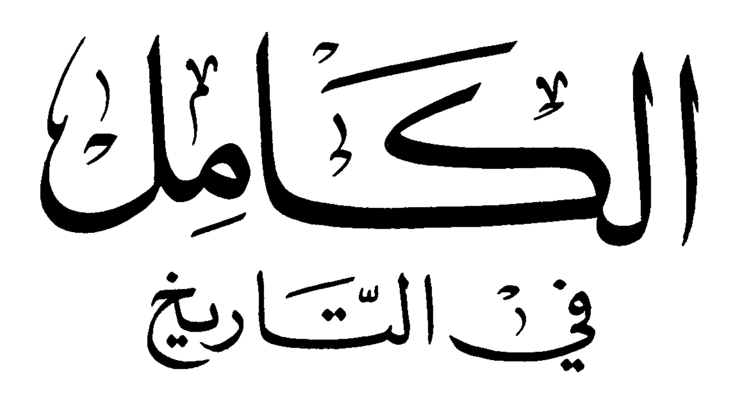


الكامل في التاريخ

تأليف

المؤرخ عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد
أبي عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني
المعروف بابن الأثير
(٥٥٥ - ٦٣٠هـ)

حققه واعتنى به

الدكتور عمر عبد السلام تدمري
أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية
عضو الهيئة العربية العليا لإعادة كتابة تاريخ الامة
في اتحاد المؤرخين العرب

الجزء الثامن

ابتداء الدولة السلجوقية والحروب الصليبية

من سنة ٤٣٢ - الى سنة ٥٢٠هـ

الناشر
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

الكامل في التاريخ

ISBN: 978-9953-27-014-2

الناشر

دار الكتاب العربي

شارع فردان، بناية بنك بيبلوس،
الطابق الثامن، ص. ب. 11-5769
بيروت 2200 1107 لبنان

DAR AL KITAB AL ARABI

Verdun St., Byblos Bank Bldg.,
8th, floor, P.O. Box 11-5769
Beirut 1107 2200 Lebanon

Tel (+961 1) 800811 - 862905 - 861178 هاتف
Fax (+961 1) 805478 فاكس

daralkitab@idm.net.lb بريد إلكتروني
academia@dm.net.lb

www.kitabalarabi.com
www.academiainternational.com




الكامل
في التاريخ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٣٢
ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة

ذكر ابتداء الدولة السلجوقيّة وسياقة أخبارهم متتابعة

في هذه السنة اشتدّ ملك[١] السلطان طُغْرُلْبَك محمّد وأخيه جغْري بك داود ابنَيْ ميكائيل بن سلجوق بن تُقاق[٢]، فنذكر أوّلاً حال آبائه، ثم نذكر حاله كيف تنقّلت[٣] حتّى صار سلطاناً، على أنّني قد ذكرتُ أكثر أخبارهم متقدّمة على السنين، وإنّما أوردناها هاهنا مجموعةً لترِد سياقاً واحداً، فهي أحسن، فأقول:

فأمّا تُقاق[٤] فمعناه القوس الحديد[٥]، وكان شهماً، ذا رأي وتدبير، وكان مقدّم الأتراك الغُزّ، ومَرجعهم إليه، لا يخالفون له قولاً، ولا يتعدّون أمراً. فاتّفق يوماً من الأيّام أنّ ملك التُّرك الذي يقال له بَيْغُو جمع عساكره، وأراد المسير إلى بلاد الإسلام، فنهاه تُقاق عن ذلك، وطال الخطابُ بينهما فيه فأغلظ له ملك التُّرك الكلام، فلطمه تُقاق فشجّ رأسه، فأحاط به خَدَمُ ملك التُّرك، وأرادوا أخْذَه، فمانَعَهم وقاتَلَهم، واجتمع معه من أصحابه من منعه، فتفرّقوا عنه، ثم صلُح الأمر بينهما، وأقام تُقاق عنده، وولد له سلجوق.

وأمّا سلجوق فإنّه لمّا كبر ظهرت عليه أمارات النجابة، ومخايل التقدّم، فقرّبه

---

(١) في (أ): «أمر».

(٢) في (أ): «يقاق»، وفي الباريسية: «دقاق» وهو المشهور.

(٣) في الأوربية: «ينقّلت».

(٤) هكذا في الأصل. وانظر الحاشية رقم (٢).

(٥) في طبعة صادر ٩/٤٧٣ «الجديد» وهو تحريف، والتصحيح: من ابن العبري، وفيه لُقّب بتيمور ياليق أي السهم الحديدي. وانظر: زبدة التواريخ للحسيني ٢٣ وفيه: «يقاق».

ملك التُرك وقدّمه، ولقّبه سُباشي، ومعناه قائد الجيش، وكانت امرأة الملك تخوّفه من سلجوق لما ترى من تقدّمه، وطاعة الناس له، والإنقياد إليه، وأغرته بقتله، وبالغت في ذلك[١].

وسمع سلجوق الخبر، فسار بجماعته كلّهم ومَن يطيعه من دار الحرب إلى ديار الإسلام، وسعد بالإيمان ومجاورة المسلمين، وازداد حاله عُلُوّاً، (وإمرة، وطاعة)[٢]، وأقام بنواحي جَنَد، وأدام غزوَ كُفّار التُرك، وكان[٣] ملكهم يأخذ الخراج من المسلمين[٤] في تلك الديار، وطرد سلجوق عُمّاله منها وصفت للمسلمين.

ثم إنّ بعض ملوك السامانيّة كان هارون بن أيلك الخان قد استولى على بعض أطراف بلاده، فأرسل إلى سلجوق يستمدّه، فأمدّه بابنه أرسلان في جمْعٍ من أصحابه، فقوي بهم السامانيُّ على هارون، واستردّ ما أخذه منه، وعاد أرسلان إلى أبيه.

وكان لسلجوق من الأولاد: أرسلان[٥]، وميكائيل، وموسى[٦]، وتُوُفّي سلجوق بجَنَد، وكان عُمره مائة سنة وسبْع سِنين، ودُفن هناك، وبقي أولاده، فغزا ميكائيل بعض بلاد الكُفّار الأتراك، فقاتل، وباشر القتال بنفسه، فاستشهد في سبيل الله، وخلّف من الأولاد: بَيْغو[٧]، وطُغْرُلْبَك محمّداً[٨]، وجَغْري بك داود، فأطاعهم عشائرهم، ووقفوا عند أمرهم ونهيهم، ونزلوا بالقرب من بخارى على عشرين فرسخاً منها، فخافهم أمير بخارى فأساء جوارهم، وأراد إهلاكهم والإيقاع بهم، فالتجأوا إلى بُغراخان ملك تركستان، وأقاموا في بلاده، واحتموا به وامتنعوا، واستقرّ الأمر بين

---

(١) زبدة التواريخ ص ٢٤.

(٢) إضافة من الباريسية.

(٣) من (أ).

(٤) من (أ).

(٥) وكان يُدعى: «إسرائيل». (زبدة التواريخ ٢٥).

(٦) في جامع التواريخ لرشيد الدين ٢/٥ كان لسلجوق خمسة أولاد: إسرائيل، ميكائيل، موسى، بيغو، يوسف ويونس. وفي تاريخ مختصر الدول لابن العبري ٢٩٣: ميكائيل، موسى، يبغو، أرسلان. وفي راحة الصدور للراوندي ١١٤٦ إسرائيل، ميكائيل، يونس وموسى، يبغو.

(٧) في زبدة التواريخ، وراحة الصدور: «يبغو».

(٨) في الأوربية: «محمد».

طُغْرُلْبَك وأخيه داود أنّهما لا يجتمعان عند بغراخان، إنّما يحضر عنده أحدهما، ويقيم الآخر في أهله خوفاً من مكرٍ يمكُرُه بهم، فبقوا كذلك.

ثم إنّ بغراخان اجتهد في اجتماعهما عنده، فلم يفعلا، فقبض على طُغْرُلْبَك وأسره، فثار[١] داود في عشائره ومن يتبعه، وقصد بغراخان ليخلّص أخاه، فأنفذ إليه بغراخان عسكراً، فاقتتلوا، فانهزم عسكر بغراخان وكثُر القتل فيهم، وخلّص أخاه من الأسر، وانصرفوا إلى جَنَد، وهي قريب بخارى، فأقاموا هناك.

فلمّا انقرضت دولة السامانيّة وملك أيلك الخان بخارى عظُم محلّ أرسلان بن سلجوق عمّ داود وطُغْرُلْبَك بما وراء النهر، وكان عليّ تكين في حبس أرسلان خان، فهرب، (وهو أخو أيلك الخان)[٢]، ولحِق ببخارى واستولى عليها، واتّفق مع أرسلان بن سلجوق فامتنعا، واستفحل أمرهما، وقصدهما أيلك أخو أرسلان خان، وقاتلهما فهزماه وبقيا ببخارى.

وكان عليّ تكين يكثر معارضة يمين الدولة محمود بن سبكتِكِين فيما يجاوره في بلاده، ويقطع الطريق على رُسُله المتردّدين إلى ملوك الترك، فلمّا عبر محمود جَيحون، على ما ذكرناه، هرب عليّ تكين من بخارى، وأمّا أرسلان بن سلجوق وجماعته فإنّهم دخلوا المفازة والرمل، فاحتموا من محمود، فرأى محمود قوّة السلجوقيّة، وما لهم من الشوكة وكثرة العدد، فكاتب أرسلانَ بن سلجوق واستماله ورغبّه، فورد إليه، فقبض يمين الدولة عليه في الحال، ولم يُمهله، وسجنه في قلعة، ونهب خركاهاته[٣]، واستشار فيما يفعل بأهله وعشيرته، فأشار أرسلان الجاذب[٤]، وهو من أكبر خواصّ محمود، بأن يقطع أباهمهم لئلا يرموا بالنُّشّاب، أو يُغرَّقوا في جَيحون، فقال له: ما أنت إلاّ قاسي القلب[٥]! ثم أمر بهم فعبروا نهر جَيحون، ففرّقهم في نواحي خُراسان، ووضع عليهم الخراج، فجار العُمّال عليهم، وامتدّت

---

(١) في (أ): «فسار».

(٢) من الباريسية.

(٣) الخركاهات: الخيام والسُرادقات.

(٤) في الباريسية: «الخازن»، وفي راحة الصدور للراوندي «جازب»، وأثبتها في زبدة التواريخ ٢٧ «الحاجب».

(٥) زبدة التواريخ ٢٧.

الأيدي إلى أموالهم وأولادهم، فانفصل منهم أكثر من ألفَيْ رجل، وساروا إلى كَرمان، ومنها إلى أصبهان، وجرى بينهم وبين صاحبها علاء الدولة بن كاكوَيْه حرب قد ذكرناها، فساروا من أصبهان إلى أذربيجان؛ هؤلاء جماعة أرسلان.

فأمّا أولاد إخوته[1] فإنّ عليّ تكين صاحب بخارى أعمل الحِيَل في الظفَر بهم، فأرسل إلى يوسف بن موسى بن سلجوق، وهو ابن عمّ طُغْرُلْبَك محمّد وجغري بك داود، ووعده الإحسان، وبالغ في استمالته، وطلب منه الحضور عنده، ففعل، ففوّض إليه عليّ تكين التقدّم على جميع الأتراك الذين في ولايته، وأقطعه أقطاعاً كثيرة، ولُقّب بالأمير اينانج بَيْغو[2].

وكان الباعث له على ما فعله به أن يستعين به وبعشيرته وأصحابه على طُغْرُلْبك وداود ابنَيْ عمّه، ويفرّق كلمتهم، ويضرب بعضهم ببعض، فعلموا مراده، فلم يُطِعْه يوسف إلى شيءٍ ممّا أراده منه، فلمّا رأى عليّ تكين أنّ مكره لم يعمل في يوسف، ولم يبلغ به غَرَضاً، أمر بقتله، فقُتل يوسف، تولّى قتله أمير من أمراء عليّ تكين اسمه ألب قُرا. فلمّا قُتل عظُم ذلك على طُغْرُلْبك وأخيه داود وجميع عشائرهما، ولبسوا ثياب الحِداد، وجمعا من الأتراك من قدرا[3] على جَمْعه للأخذ بثأره، وجمع عليّ تكين أيضا جيوشه، وسيّرها إليهم، فانهزم عسكر عليّ تكين، وكان قد وُلد السلطان ألب أرسلان بن داود أوّل محرّم سنة عشرين وأربعمائة قبل الحرب، فتبرّكوا به، وتيمّنوا بطلعته، وقيل في مولده غير ذلك.

فلمّا كان سنة إحدى وعشرين [وأربعمائة] قصد طُغْرُلْبك وداود ألبَ قُرا الذي قتل يوسفَ ابن عمّهما، فقتلاه، وأوقعا بطائفةٍ من عسكر عليّ تكين، فقتلا منها نحو ألف رجل، فجمع عليّ عسكره وقصدهم هو وأولاده ومَن حمل السلاح من أصحابه، وتبعهم من أهل البلاد خلق كثير، فقصدوهم من كلّ جانب، وأوقعوا بهم وقعة عظيمة قُتل [فيها] كثير من عساكر السلجوقيّة، وأُخذت أموالهم وأولادهم، وسبوا كثيراً من نسائهم وذراريهم، فألجأتهم الضرورة إلى العبور إلى خُراسان.

---

(١) في الباريسية: «أخيه».

(٢) من الباريسية.

(٣) في الأوربية: «قدروا».

فلمّا عبروا جَيحون كتب إليهم خُوارزمشاه هارون بن آلْتُونتاش يستدعيهم ليتّفقوا معه، وتكون أيديهم واحدة. فسار طُغْرُلْبك وأخواه داود وبَيْغو إليه، وخيّموا بظاهر خُوارزم سنة ستّ وعشرين [وأربعمائة] ووثقوا به واطمأنّوا إليه، فغدر بهم، فوضع عليهم الأمير شاهملك، فكبسهم، ومعه عسكر من هارون، فأكثر القتل فيهم والنهب والسبي، وارتكب من الغدر خطّة شنيعة، فساروا عن خُوارزم بجموعهم إلى مفازة نَسَا، وقصدوا مَرْو في هذه السنة أيضاً، ولم يتعرّضوا لأحدٍ بشرّ، وبقي أولادهم وذراريهم في الأسر.

وكان الملك مسعود بن محمود بن سبكتِكِين هذه السنة بطبرستان قد ملكها، كما ذكرناه، فراسلوه وطلبوا منه الأمان، وضمنوا أنّهم يقصدون الطائفة التي تفسد في بلاده، ويدفعونهم عنها، ويقاتلونهم، ويكونون من أعظم أعوانه عليهم وعلى غيرهم. فقبض على الرسل وجهّز عسكراً جرّاراً إليهم مع ايلتُغْدي[1] حاجبه، وغيرهم من الأمراء الأكابر، فساروا إليهم، والتقوا عند نَسَا في شعبان من السنة، واقتتلوا، وعظُم الأمر، وانهزم السلجوقيّة، وغُنمت أموالهم، فجرى بين عسكر مسعود منازعة في الغنيمة أدّت إلى القتال.

واتّفق في تلك الحال أنّ السلجوقيّة لمّا انهزموا قال لهم داود: إنّ العسكر الآن قد نزلوا، واطمأنّوا، وأمِنوا الطلب، والرأي أن نقصدهم لعلّنا نبلغ منهم غرضاً. فعادوا فوصلوا إليهم وهم على تلك الحال من الاختلاف، وقتال بعضهم بعضاً، فأوقعوا بهم، وقتلوا منهم وأسروا، واستردّوا ما أخذوا من أموالهم ورجالهم، وعاد المنهزمون من العسكر إلى الملك مسعود، وهو بنَيسابور، فندم على ردّه طاعتهم، وعلم أنّ هيبتهم قد تمكّنت من قلوب عساكره، وأنّهم قد طمعوا بهذه الهزيمة، وتجرّأوا على قتال العساكر السُّلطانيّة بعد الخوف الشديد، وخاف من أخوات هذه الحادثة، فأرسل إليهم يتهدّدهم ويتوعّدهم، فقال طُغْرلبك لإمام صلاته: اكتب إلى السلطان ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]؛ ولا تزِدْ على هذا[3].

---

(١) في (أ): «بكتغدي»، ومثلها في: تاريخ البيهقي ٥١٩، وفي زبدة التواريخ ٣٢ «بكطغدي».

(٢) سورة آل عمران، الآية ٢٦.

(٣) زبدة التواريخ ٣٢، ٣٣، وانظر: تاريخ البيهقي ٥١٧ ـ ٥٢٤.

فكتب ما قال، فلمّا ورد الكتاب على مسعود أمر فكُتب إليهم كتاب مملوء من المواعيد الجميلة، وسيّر معه الخِلَع النفيسة، وأمرهم بالرحيل إلى آمُل الشطّ، وهي مدين على جَيحون، ونهاهم عن الشرّ والفساد، وأقطع دِهِستان لداود، ونَسَا لُطغرُلبك، وفراوة لبَيْغو، ولقّب كلّ واحد منهم بالدِّهقان[1]. فاستخفّوا بالرسول والخلَع، وقالوا للرسول: لو علِمنا أنّ السلطان يُبقي علينا، إذا قدِر، لأطعناه، ولكنّا نعلم أنّه متى ظفر بنا أهْلَكَنَا لِما عملناه وأسلفناه، فنحن لا نطيعه، ولا نثق به. وأفسدوا، ثم كفّوا، وتركوا ذلك، فقالوا: إن كان لنا قدرة على الانتصاف من السلطان، وإلاّ فلا حاجة بنا إلى إهلاك العالم، ونهب أموالهم؛ وأرسلوا إلى مسعود يخادعونه بإظهار الطاعة له، والكفّ عن الشرّ، ويسألونه أن يطلق عمّهم أرسلان بن سلجوق من الحبس، فأجابهم إلى ذلك، فأحضره عنده ببلْخ، وأمره بمراسلة بني أخيه بَيْغو، وطُغْرُلبَك، وداود يأمرهم بالاستقامة، والكفّ عن الشرّ، فأرسل إليهم رسولاً يأمرهم بذلك، وأرسل معه إشفى، وأمره بتسليمه إليهم، فلمّا وصل الرسول وأدّى الرسالة وسلّم إليهم الإشفى نفروا واستوحشوا، وعادوا إلى أمرهم الأوّل في الغارة والشرّ، فأعاده مسعود إلى محبسه، وسار إلى غَزْنة، فقصد السلجوقيّةُ بلْخ ونَيسابور وطُوس وجُوزَجان، (على ما ذكرناه)[2].

وأقام داود بمدينة مرو، وانهزمت عساكر السلطان مسعود منهم مرّة بعد مرّة، واستولى الرعب على أصحابه، لا سيّما مع بُعده إلى غزنة، فتوالت كتب نوّابه وعمّاله إليه يستغيثون به، ويشكون إليه، ويذكرون ما يفعل السلجوقيّة في البلاد، وهو لا يجيبهم، ولا يتوجّه إليهم، وأعرض عن خُراسان والسلجوقيّة، واشتغل بأمور بلاد الهند.

فلمّا اشتد أمرهم بخُراسان وعظُمت حالهم اجتمع وزراء مسعود وأرباب الرأي في دولته، وقالوا له: إنّ قلّة المبالاة بخُراسان من أعظم سعادة السلجوقيّة، وبها يملكون البلاد، ويستقيم لهم الملك، ونحن نعلم، وكلّ عاقل، أنّهم إذا تُركوا على هذه الحال استولوا على خُراسان سريعاً، ثم ساروا منها إلى غزنة، وحينئذٍ لا ينفعنا[3]

(١) تاريخ البيهقي ٥٢٨.
(٢) من الباريسية.
(٣) في الباريسية: «يسعنا».

حركاتنا، ولا نتمكّن من البطالة والاشتغال باللعب واللهو والطَّرَب. فاستيقظ من رقْدته، وأبصر رُشْدَه بعد غفلته، وجهز العساكر الكثيرة مع أكبر أمير عنده يُعرف بسُباشي، وكان حاجبه، وقد سيّره قبلُ إلى الغُزّ العراقيّة، وقد تقدّم ذكر ذلك، وسيّر معه أميراً كبيراً اسمع مرداويج بن بشو[1].

وكان سُباشي جباناً، فأقام بهراة ونَيسابور، ثم أغار بغتةً على مرو، وبها داود، فسار مُجِدّاً، فوصل إليها في ثلاثة أيام، فأصاب جيوشه ودوابّه التعب والكلال، فانهزم داود بين يديه، ولحِقه العسكر، فحمل عليه صاحب جُوزَجان، فقاتله داود، فقُتل صاحب جُوزجان وانهزمت عساكره، فعظُم قتله على سباشي وكلّ مَن معه، ووقعت عليهم الذلّة، وقويت نفوس السلجوقيّة، وزاد طمعهم[2].

وعاد داود إلى مَرْو، فأحسن السيرة في أهلها، وخُطب له فيها أوّل جُمعة في رجب سنة ثمانٍ وعشرين وأربعمائة، ولُقّب في الخطبة بملك الملوك، وسُباشي يُمادي الأيّام، ويرحل من منزلٍ إلى منزل، والسلجوقيّة يراوغونه مراوغة الثعلب، فقيل إنّه كان يفعل ذلك جُبْناً وخَوراً، وقيل بل راسله السلجوقيّة واستمالوه ورغّبوه، فنفّس عنهم، وتراخى في تتبّعهم، والله أعلم.

ولمّا طال مُقام سُباشي وعساكره والسلجوقيّة بخُراسان، والبلاد منهوبة، والدماء مسفوكة، قلّت الميرة والأقوات على العساكر خاصّة. فأمّا السلجوقيّة فلا يبالون بذلك لأنهم يقنعون بالقليل، فاضطرّ سُباشي إلى مباشرة الحرب وتَرْك المحاجزة، فسار إلى داود، وتقدّم داود إليه، فالتقوا في شعبان سنة ثمانٍ وعشرين [وأربعمائة] على باب سَرْخَس. ولداود منجّم يقال له الصَّوْمعيُّ، فأشار على داود بالقتال، وضمن له الظَّفَر، وأشهد على نفسه أنّه إن أخطأ فدمُه مُباح له، فاقتتل[3] العسكران، فلم يثبت عسكر سُباشي، وانهزموا أقبح هزيمة، وساروا أخْزَى مسير إلى هَراة، فتبعهم داود وعسكره إلى طوس يأخذونهم باليد، وكفّوا عن القتل، وغنموا أموالهم، فكانت هذه الوقعة هي التي ملك السلجوقيّة بعدها خُراسان، ودخلوا قصبات البلاد، فدخل طُغْرُلْبك نَيسابور،

---

(١) في الباريسية: «سو».

(٢) زبدة التواريخ ٣٧، ٣٨.

(٣) في الأوربية: «فاقتتلا».

وسكن الشاذياخ، وخُطب له فيها في شعبان بالسلطان المعظَّم، وفرّقوا النوّاب في النواحي.

وسار داود إلى هَراة، ففارقها سُباشي ومضى إلى غَزْنة، فعاتبه مسعود وحَجَبَه، وقال له: ضَيّعْتَ العساكر، وطاولتَ الأيّام، حتّى قوي أمر العدوّ وصفا لهم مشربهم، وتمكّنوا من البلاد ما أرادوا. فاعتذر بأنّ القوم تفرّقوا ثلاث فِرَق كلّما تبِعت فرقة سارت بين يديّ، وخلفي الفريقان[1] في البلاد يفعلون ما أرادوا، فاضطرّ مسعود إلى المسير إلى خُراسان، فجمع العساكر وفرّق فيهم الأموال العظيمة، وسار عن غزنة في جيوشٍ يضيق بها الفضاء، ومعه من الفِيَلة عدد كثير، فوصل إلى بلْخ، وقصده داود إليها أيضاً، ونزل قريباً منها، فدخلها[2] يوماً جريدة (في طائفة يسيرة)[3] على حين غفلة من العساكر، فأخذ الفيل الكبير الذي على باب دار الملك مسعود، وأخذ معه عدّة جنائب، فعظُم قدْره في النفوس، وازداد العسكر هيبةً له[4].

ثم سار مسعود من بلْخ أوّل شهر رمضان سنة تسع وعشرين وأربعمائة، ومعه مائة ألف فارس سوى الأتباع، وسار إلى جُوزَجان، فأخذ واليها الذي كان بها للسلجوقيّة، فصلبه، وسار منها فوصل إلى مَرْو الشاهجان، وسار داود إلى سَرْخَس، واجتمع هو وأخواه طغرلبك وبيْغُو، فأرسل مسعود إليهم رُسُلاً في الصُّلح، فسار في الجواب بيْغو، فأكرمه مسعود وخلع عليه، وكان مضمون رسالته: إنّا لا نثق بمصالحتك، بعد ما فعلنا هذه الأفعال التي سخطتَها كلّ فعل منها مُوبق[5] مُهلك؛ وآيسوه من الصلح. فسار مسعود من مَرْو إلى هَراة، وقصد داود مَرْو، فامتنع أهلها عليه، فحصرها سبعة أشهر، وضيّق عليهم، وألحّ في قتالهم فملكها[6].

فلمّا سمع مسعود هذا الخبر سقط في يده، وسار من هَراة إلى نَيسابور، ثم منها

---

(١) في (أ): «الفرقتان».
(٢) في الباريسية: «فدخل».
(٣) من (أ).
(٤) زبدة التواريخ ٤١، ٤٢.
(٥) في (أ): «موثق».
(٦) زبدة التواريخ ٤٣.

إلى سَرَخَس، وكلّما تبع السلجوقيّة إلى[1] مكان ساروا منه إلى غيره، ولم يزل كذلك، فأدركهم الشتاء، فأقاموا بنَيسابور[2] ينتظرون الربيع، فلمّا جاء الربيع كان الملك مسعود مشغولاً بلهوه وشربه، فتقضّى الربيع والأمر كذلك، فلمّا جاء الصيف عاتبه وزراؤه وخواصّه على إهماله أمر عدوّه، فسار من نَيسابور إلى مَرْو يطلب السلجوقيّة، فدخلوا البرّية، فدخلها وراءهم مرحلتَيْن والعسكر الذي له قد ضجروا من طول سفرهم وبيكارهم، وسئموا الشدّ والترحُّل، فإنّهم كان لهم في السفر نحو ثلاث سنين، بعضها مع سُباشي، وبعضها مع الملك مسعود، فلمّا دخل البرّية نزل منزلاً قليل الماء، والحرّ شديد، فلم يكفِ الماء للسلطان وحواشيه.

وكان داود في مُعظم السلجوقيّة بإزائه، وغيره من عشيرته مقابل ساقة عساكره[3]، يتخطّفون مَن تخلّف منهم، فاتّفق لِما يريده الله تعالى أنّ حواشي مسعود اختصموا هم وجمْعٌ من العسكر على الماء وازدحموا، وجرى بينهم فتنة، حتّى صار بعضهم يقاتل بعضاً، (وبعضهم نهب بعضاً)[4]، فاستوحش لذلك أمر العسكر، ومشى بعضهم إلى بعض في التخلّي عن مسعود، فعلم داود ما هم فيه من الاختلاف، فتقدّم إليهم وحمل عليهم، وهم في ذلك التنازع، والقتال، والنهب، فولّوا منهزمين لا يلوي أوّلٌ على آخر، وكثُر القتل فيهم، والسلطان مسعود ووزيره يناديانهم، ويأمرانهم بالعَود، فلا يرجعون، وتمّت الهزيمة على العسكر، وثبت مسعود، فقيل له: ما تنتظر؟ قد فارقك أصحابك، وأنت في برّيّة مُهلكة، وبين يديك عدوّ، وخلفك عدوّ، ولا وجه للمُقام. فمضى منهزماً ومعه نحو مائة فارس، فتبِعه فارس من السلجوقيّة، فعطف عليه مسعود فقتله، وصار لا يقف على شيء، حتّى أتى غَرْشِسْتانَ.

وأمّا السلجوقيّة فإنّهم غنموا من العسكر المسعوديّ ما لا يدخل تحت الإحصاء، وقسّمه داود على أصحابه، وآثَرهم على نفسه، ونزل في سُرادق مسعود، وقعد على كُرسيّه، ولم ينزل عسكره ثلاثة أيّام عن ظهور دوابّهم[5] لا يفارقونها إلّا لِما لا بُدّ لهم

(١) في الباريسية: «من».
(٢) من (أ).
(٣) في (أ): «العساكر».
(٤) من (أ).
(٥) في (أ): «خيولهم».

منه من مأكول ومشروب وغير ذلك، خوفاً من عَوْد العسكر، وأطلق الأسرى، وأطلق[١] خراج سنة كاملة[٢].

وسار طُغْرُلْبك إلى نَيسابور، فملكها ودخل إليها آخر سنة إحدى وثلاثين [وأربعمائة] (وأوّل سنة اثنتين وثلاثين)[٣]، ونهب أصحابه الناس، فقيل عنه إنّه رأى لَوْزينجاً فأكله وقال: هذا قطماج[٤] طيّب، إلاّ أنّه لا ثوم فيه؛ ورأى الغُزُّ الكافور (فظنّوه ملحاً)[٥]، وقالوا: هذا ملح مُرّ؛ ونُقل عنهم أشياء من هذا كثير.

وكان العيّارون قد عظُم ضررهم، واشتدّ أمرهم، وزادت البليّة بهم على أهل نَيسابور، فهم ينهبون الأموال، ويقتلون النفوس، ويرتكبون الفروج الحرام، ويفعلون كلّ ما[٦] يريدونه لا يردعهم عن ذلك رادع، ولا يزجرهم زاجر، فلمّا دخل طُغْرُلْبَك البلدَ خافه العيّارون، وكفّوا عمّا كانوا يفعلون، وسكن الناس واطمأنّوا.

واستولى السلجوقيّة حينئذٍ على جميع البلاد، فسار بَيْغو إلى هَراة فدخلها، وسار داود إلى بلْخ، وبها ألْتونتاق الحاجب والياً عليها لمسعود، فأرسل إليه داود يطلب منه تسليم البلد إليه، ويعرّفه عجز صاحبه عن نُصرته، فسجن ألْتُونتاق[٧] الرُسل، فنازله داود، وحصر المدينة، فأرسل ألْتُونتاق إلى مسعود، وهو بغَزْنة، يعرّفه الحال وما هو فيه من ضِيق الحصار، فجهّز مسعود العساكر الكثيرة وسيّرها، فجاءت طائفة منهم إلى الرُّخّج، وبها جمْعٌ من السلجوقيّة، فقاتلوهم، فانهزم السلجوقيّة وقُتل منهم ثمانمائة رجل، وأُسر كثير، وخلا ذلك الصّقْع منهم.

وسار طائفة منهم إلى هَراة، وبها بَيْغو، فقاتلوه ودفعوه عنها، ثم إنّ مسعوداً سيَّر ولدَه مودوداً[٨] في عسكر كثير مدداً لهذه العساكر، فقُتل مسعود، وهو بخُراسان،

---

(١) في الباريسية: «ووضع».
(٢) زبدة التواريخ ٤٤، ٤٥، وانظر تاريخ البيهقي ٦٢٦ وما بعدها، حتى ٧٠١.
(٣) من (أ).
(٤) في نسخة بودليان «تطماح»، وفي الحاشية «تطماج».
(٥) في (أ): «ورأى الغزّ الكافور فأكلوه».
(٦) في الأوربية: «كلما».
(٧) في (أ): «التونتاش»، وفي نسخة بودليان: «التوتياق» و«التونتاق». والمثبت يتفق مع زبدة التواريخ ٤٧.
(٨) في الأوربية: «مودود».

على ما نذكره إن شاء الله تعالى، فساروا عن غَزْنة سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، فلمّا قاربوا بلْخ سيّر داود طائفة من عسكره، فأوقعوا بطلائع مودود، فانهزمت الطلائع، وتبِعهم عسكر داود، فلمّا أحسّ بهم عسكر مودود رجعوا إلى ورائهم، وأقاموا، فلمّا سمع أَلْتُونتاق صاحب بلْخ الخبر أطاع داود، وسلّم إليه البلد، ووطىء بساطه[1].

ذكر قبض السلطان مسعود وقتله ومُلك أخيه محمّد

قد ذكرنا عَود مسعود بن محمود بن سبكتِكِين إلى غَزْنة من خُراسان، فوصلها في شوّال سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، وقبض على سُباشي وغيره من الأمراء، كما ذكرناه، (وأثبت غيرهم)[2]، وسيّر ولدَهُ مودوداً[3] إلى خُراسان في جيش كثيف ليمنع السلجوقيّة عنها، فسار مودود إلى بلْخ ليردّ عنها داود أخا طُغْرُلْبك، وجعل أبوه مسعود معه وزيرَه أبا نصر أحمد بن محمد بن عبد الصمد يدبّر الأمور، وكان مسيرهم (من غزنة)[4] في ربيع الأوّل سنة اثنتين وثلاثين.

وسار مسعود بعدهم بسبعة أيّام يريد بلاد الهند ليشتو بها، على عادة والده، فلمّا سار أخذ معه أخاه محمداً مسمولاً، واستصحب الخزائن، وكان عازماً[5] على الاستنجاد بالهند على قتال السلجوقيّة ثقةً بعهودهم. فلمّا عبر سَيحون، وهو نهر كبير، نحو دجلة، وعبّر بعض الخزائن اجتمع أنوشتِكين البلْخيّ وجمْعٌ من الغلمان الداريّة، ونهبوا ما تخلّف من الخزانة، وأقاموا أخاه محمّداً ثالث عشر ربيع الآخر، وسلّموا عليه بالإمارة[6]، فامتنع من قبول ذلك، فتهدّدوه وأكرهوه، فأجاب وبقي مسعود فيمن معه من العسكر وحفظ نفسه، فالتقى الجمعان منتصف ربيع الآخر، فاقتتلوا، وعظُم الخطْب على الطائفتَيْن، ثم انهزم عسكر مسعود، وتحصّن هو في رباط[7] ماريكلة[8]،

---

(١) زبدة التواريخ ٤٧.

(٢) من الباريسية.

(٣) في الأوربية «مودود».

(٤) من الباريسية.

(٥) في الأوربية: «عازم».

(٦) نهاية الأرب ٢٦/ ٧٢، زبدة التواريخ ٥٠.

(٧) في الباريسية: «قلعة».

(٨) في (أ) وفي نسخة بودليان، والباريسية: «مارنكله»

فحصره أخوه، فامتنع عليه، فقالت له أمّه: إنّ مكانك لا يعصمك، ولأن تخرج إليهم بعهدٍ خير من أن يأخذوك قهراً. فخرج إليهم[1]، فقبضوا عليه، فقال له أخوه محمّد: والله لا قابلتُك على فِعلك بي، ولا عاملتك إلاّ بالجميل، فانظر أين تريد أن تقيم حتّى أحملك إليه ومعك أولادك وحُرَمك. فاختار قلعة كيكي[2]، فأنفذه إليها محفوظاً، وأمر بإكرامه وصيانته.

وأرسل مسعود إلى أخيه محمّد يطلب منه مالاً ينفقه، فأنفذ له خمسمائة درهم، فبكى مسعود وقال: كان بالأمس حكمي على ثلاثة آلاف حمل من الخزائن، واليوم لا أملك الدرهم الفَرْد. فأعطاه الرسول من ماله ألف دينار فقبِلها[3]، وكانت سبب سعادة الرسول، لأنّه لمّا ملك مودود بن مسعود بالغ في الإحسان إليه.

ثم إنّ محمداً فوّض أمر دولته إلى ولده أحمد، وكان فيه خَبْط وهَوج، فاتّفق هو وابن عمّه يوسف بن سبكتِكِين وابن عليّ خويشاوند[4] على قتل مسعود ليصفو المُلْك له ولوالده، فدخل إلى أبيه، فطلب خاتمة ليختم به بعض الخزائن، فأعطاه، فسار به[5] إلى القلعة، وأعطوا الخاتم لمستحفظها، وقالوا: معنا رسالة إلى مسعود؛ فأدخلهم إليه فقتلوه، فلمّا علم محمّد بذلك ساءه، وشقّ عليه، وأنكره.

وقيل إنّ مسعوداً لمّا حُبس دخل عليه ولد أخيه محمّد، واسم أحدهما عبد الرحمن، والآخر عبد الرحيم، فمدّ عبد الرحمن يده فأخذ القَلَنْسُوَة من رأس عمّه مسعود، فمدّ عبد الرحيم يده وأخذ القَلَنْسُوَة من أخيه، وأنكر عليه ذلك، وسبّه، وقبّلها، وتركها على رأس عمّه، فنجا بذلك عبد الرحيم من القتل والأسر لمّا ملك مودود بن مسعود[6]، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ثم إنّ محمّداً أغراه ولده أحمد بقتل عمّه مسعود، فأمر بذلك، وأرسل إليه مَن

---

(١) زاد في (أ): «منتصف ربيع الآخر».

(٢) في الباريسية: «كبرى»، وفي نسخة بودليان «كبرى».

(٣) نهاية الأرب ٢٦/ ٧٢، ٧٣.

(٤) في (أ) ونهاية الأرب ٢٦/ ٧٣ «خشاوند».

(٥) في الأوربية: «بها».

(٦) زبدة التواريخ ٥٠.

قتله وألقاه في بئرٍ وسدّ رأسها، وقيل بلى أُلقي في بئر حيّاً وسُدّ رأسها فمات[١]، والله أعلم.

فلمّا مات كتب محمّد إلى ابن أخيه مودود، وهو بخُراسان، يقول: إنّ والدك قُتل قصاصاً، قتله أولاد أحمد ينالتكين بلا رضاً منّي. فأجاب مودود يقول: أطال الله بقاء الأمير العمّ[٢]، ورزق ولدَه المعتوه أحمد عقلاً يعيش به، فقد ركب أمراً عظيماً، وأقدم على إراقة دم ملك مثل والدي الذي لقبّه أمير المؤمنين سيّد الملوك والسلاطين، وستعلمون في أيّ حتف تورّطتم، وأيّ شرّ تأبّطتم ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٣].

نُفَلِّقُ هاماً مِن رِجالٍ أعِزّةٍ ... علَينا، وهُم كانوا أعَقَّ وأظلَما[٤]

وطمع جُند محمّد فيه، وزالت عنهم هيبته، فمدّوا أيديهم إلى أموال الرعايا فنهبوها، فخُرّبت البلاد، وجلا أهلها، لا سيّما برشاوور فإنّها هَلك أهلها، ونُهبت أموالهم، وكان المملوك بها يُباع بدينار، وتُباع الخمر كلّ مَنَا بدينار، ثم رحل محمّد عنها لليلتَيْن بقيتا من رجب، وكان ما نذكره إن شاء الله تعالى[٥].

وكان السلطان مسعود شجاعاً كريماً، ذا فضائل كثيرة، محبّاً للعلماء، كثير الإحسان إليهم، والتقرّب لهم، صنّفوا له التصانيف الكثيرة في فنون العلوم، وكان كثير الصَّدَقة والإحسان إلى أهل الحاجة، تصدّق مرّة في شهر رمضان بألف ألف درهم، وأكثر الإدرارات والصِّلات، وعمر كثيراً من المساجد في ممالكه، وكانت صنائعه ظاهرة مشهورة، تسير بها الركبان مع عفّةٍ عن أموال رعاياه[٦]، وأجاز الشعراء بجوائز عظيمة، أعطى شاعراً على قصيدة ألف دينار، وأعطى آخر بكلّ بيت ألف

---

(١) زبدة التواريخ ٥١.

(٢) في الأوربية: «القسم».

(٣) سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.

(٤) في (أ): «وأعظما». والمثبت يتفق مع: المفضّليات، ونهاية الأرب ٢٦/ ٧٤ والبيت من شعر «الحصين بن الحمام المرّي».

(٥) انظر: تاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٨٤، ونهاية الأرب ٢٦/ ٧٣، ٧٤، وتاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٢٠، والعبر ٣/ ١٧٦، ومرآة الجنان ٣/ ٥٤، ومآثر الإنافة ١/ ٣٤٨.

(٦) في الأوربية: «رعياه».

درهم، وكان يكتب خطاً حسناً، وكان ملكه عظيماً، فسيحاً، ملك أصبهان، والرَّيّ، وهمذان، وما يليها من البلاد، وملك طَبَرِستان، وجُرجان، وخُراسان، وخُوارزم، وبلاد الراون، وكرْمان، وسِجِستان، والسِّند، والرُّخّج، وغَزْنة، وبلاد الغَور، والهند، وملك كثيراً منها، وأطاعه أهل البرّ والبحر، ومناقبه كثيرة، وقد صُنّفت فيها التصانيف المشهورة، فلا حاجة إلى الإطالة بذكرها[1].

ذكر ملك مودود بن مسعود وقتله عمّه محمّداً

لمّا قُتل الملك مسعود وصل الخبر إلى ابنه مودود، وهو بخُراسان، فعاد مُجِدّاً في عساكره إلى غَزْنة، فتصافَّ هو وعمّه محمّد في ثالث شعبان، فانهزم محمّد وعسكره وقبض عليه وعلى ولده أحمد، وأنوشتكين الخصِيّ البلْخيّ، وابن عليّ خويشاوند[2]، فقتلهم، وقتل أولاد عمّه جميعهم، إلاّ عبد الرحيم لإنكاره على أخيه عبد الرحمن ما فعله بعمّه مسعود، وبنى[3] موضعَ الوقعة قرية ورباطاً، وسمّاها فتح آباذ[4]، وقتل كلّ من له في القبض على والده صُنْع، وعاد إلى غَزْنة فدخلها في ثالثِ وعشرين شعبان سنة اثنتين وثلاثين [وأربعمائة]، واستوزر أبا نصر وزير أبيه، وأظهر العدل وحُسن السيرة، وسلك سيرة جدّه محمود[5].

وكان داود أخو طُغْرُلْبَك قد ملك مدينة بلْخ، واستباحها، كما ذكرناه، ومودود

---

(١) انظر عن (مسعود بن محمود) في: المنتظم ٨/١١٣ رقم ١٤٨ (١٥/٢٨٣ رقم ٣٢٤٢)، ووفيات الأعيان ٥/١٨١، وآثار البلاد وأخبار العباد ٣٦٧، والمختصر في أخبار البشر ٢/١٦٤، ١٦٥، ونهاية الأرب ٢٦/٧٢، ٧٣، ودول الإسلام ١/١٥٦، والعبر/٣/ ١٨٠، وتاريخ الإسلام (٤٢١ - ٤٤٠ هـ.) ص ٣٩٣ رقم ٩٨، وسير أعلام النبلاء ١٧/٤٩٥ - ٤٩٧ رقم ٣٢٠، وتاريخ ابن الوردي ١/٥٢٤، ومرآة الجنان ٣/٥٤، والبداية والنهاية ١٢/ ٥٠، ومآثر الإنافة ١/٣٤٨، ٣٤٩، وتاريخ ابن خلدون ٤/٣٧٩، ٣٨٠ و٣٨٢ - ٣٨٤، وشذرات الذهب ٣/٢٥٣، ونزهة الخواطر ١/٧٤ - ٧٦، وأخبار الدول، بتحقيق د. حطيط ود. سعد ٢/٤٢٧، ٤٥٢، وتاريخ دولة آل سلجوق ٩، وزبدة التواريخ ٤٩ - ٥١، وتاريخ البيهقي ٩٨، ١٣١.

(٢) في (أ): «خشاوند».

(٣) في الأوربية: «وبنا».

(٤) زبدة التواريخ ٥١.

(٥) نهاية الأرب ٢٦/٧٥.

مقابله، فتجدّد قتل مسعود، فعاد ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، فلمّا تجدّد هذا الظفر لمودود ثار أهل هَراة بمن عندهم من الغُزّ السلجوقيّة، فأخرجوهم وحفظوها لمودود. واستقرّ الأمر لمودود بغَزْنة، ولم يبق له همّ إلا أمر أخيه مجدود، فإنّ أباه قد سيّره إلى الهند سنة ستّ وعشرين [وأربعمائة]، فخاف أن يخالف عليه، فأتاه خبره أنّه قصد لَهَاوُور، ومُلتان، فملكها، وأخذ الأموال، وجمع بها العساكر، وأظهر الخلاف على أخيه، فندب إليه مودود جيشاً ليمنعوه ويقاتلوه، وعرض مجدود عسكره للمسير، وحضر عيد الأضحى، فبقي بعده ثلاثة أيّام، وأصبح ميّتاً بلَهَاوُور لا يُدرى كيف كان موته، وأطاعت البلاد بأسرها مودوداً، ورَسَتْ قدمُه، وثبت مُلْكُه؛ ولمّا سمعت الغُزُّ السلجوقيّة ذلك خافوه، واستشعروا منه، وراسله ملك التُرْك بما وراء النهر بالإنقياد والمتابعة[1].

ذكر الخُلْف بين جلال الدولة وقِرْواش صاحب الموصل

في هذه السنة اختلف جلال الدولة، ملك العراق، وقِرْواش بن المقلّد العُقيليُّ، صاحب الموصل.

وكان سبب ذلك أنّ قِرواشاً كان قد أنفذ عسكراً سنة إحدى وثلاثين [وأربعمائة] فحصروا خميس بن ثعلب[2] بتكْرِيت، وجرى بين الطائفتَيْن حرب شديدة في ذي القعدة منها، فأرسل خميس ولده[3] إلى الملك جلال الدولة، وبذل بذولاً كثيرة ليكفّ عنه قِرواشاً، فأجابه إلى ذلك، وأرسل إلى قِرواش يأمره بالكفّ عنه، فغالط ولم يفعل، وسار بنفسه ونزل عليه يحاصره، فتأثّر جلال الدولة منه.

ثم إنّه أرسل كُتُباً إلى الأتراك ببغداذ يفسدهم، وأشار[4] عليهم بالشغب على الملك وإثارة الفتنة معه، فوصل خبرها إلى جلال الدولة، وأشياء أُخر كانت هذه هي

(١) نهاية الأرب ٢٦/٧٥، ٧٦.
(٢) في (أ): «تغلب».
(٣) في (أ): «والده».
(٤) في (أ): «ويشير».

الأصل، فأرسل جلال الدولة أبا الحارث أرسلان[1] البساسيري[2] في صفر من سنة اثنتين وثلاثين ليقبض على نائب قِرواش بالسنديّة، فسار ومعه جماعة من الأتراك، (وتبِعه جمْعٌ من العرب)[3]، فرأى في طريقه جِمالاً لبني عيسى، فتسرّع إليها الأتراك والعرب فأخذوا منها قطعة، وأوغل الأتراك في الطلب.

وبلغ الخبر إلى العرب، وركبوا وتبِعوا الأتراك، وجرى بين الطائفتَيْن حرب انهزم فيها الأتراك، وأُسر منهم جماعة، وعاد المنهزمون فأخبروا البساسيريَّ بكثرة العرب، فعاد ولم يصل إلى مقصده.

وسار طائفة من بني عيسى، فكمنوا بين صَرْصَر وبغداذ ليفسدوا في السواد، فاتّفق أنْ وصل بعض أكابر القوّاد الأتراك[4]، فخرجوا عليه فقتلوه وجماعة من أصحابه، وحُملوا إلى بغداذ، فارتجّ البلد، واستحكمت الوحشة مع معتمد[5] الدولة قِرواش، فجمع جلال الدولة العساكر وسار إلى الأنبار، وهي لِقرواش، على عزم أخْذها منه، وغيرها من أقطاعه بالعراق، فلمّا وصلوا إلى الأنبار أُغلقتْ، وقاتلهم أصحاب قرواش، وسار قِرواش من تكريت إلى خُصَّة على عزم القتال، فلمّا نزل الملك جلال الدولة على الأنبار قلّت عليهم العلوفة، فسار جماعة من العسكر والعرب إلى الحديثة ليمتاروا منها، فخرج عليهم عندها جمْعٌ كثير من العرب، فأوقعوا بهم، فانهزم بعضهم وعادوا إلى العسكر، ونَهبت العرب ما معهم من الدوابّ التي تحمل الميرة، وبقي المرشد أبو الوفاء وهو المقدّم على العسكر الذين ساروا لإحضار الميرة وثبت معه جماعة.

ووصل الخبر إلى جلال الدولة أنّ المرشد أبا الوفاء (يقاتل، وأُخبر سلامته وصبره للعرب)[6]، وأنّهم يقاتلونه وهو يطلب النجدة، فسار الملك إليه بعسكر، فوصلوا، وقد عجز العرب عن الوصول إليه، وعادوا عنه بعد أن حملوا عليه وعلى من

---

(١) من (أ).
(٢) في الأصل مصحّفة.
(٣) من الباريسية.
(٤) في (أ): «والأتراك».
(٥) في الأوربية: «المعتمد».
(٦) في الباريسية: «صبر للعرب».

معه عدّة حملات صبر لها في قلّة من معه. ثم اختلفت عُقيل على قِرواش، فراسل جلال الدولة، وطلب رضاه، وبذل له بذلاً أصلحه به، وعاد إلى طاعته، فتحالفا، وعاد كلٌّ إلى مكانه.

ذكر ملك أبي الشوك دقوقا

كانت دَقوقا لأبي الماجد المهلهِل بن محمّد بن عنّاز، فسيّر إليها أخوه حسام الدولة أبو الشوك ولدَه سعدي، فحصرها، فقاتله من بها.

ثم سار أبو الشوك إليها، فجدّ في حصارها ونقب سورها ودخلها عَنوةً، ونهب أصحابه بعض البلد، وأخذوا سلاح الأكراد وثيابهم، وأقام حسام الدولة بالبلد ليلةً، وعاد خوفاً على البَنْدَنِيجَيْن وحُلوان، فإنّ أخاه سُرخاب بن محمّد بن عنّاز كان قد أغار على عدّة مواضع من ولايته، وحالف أبا الفتح بن ورّام والجاوانيّة[1] عليه، فأشفق من ذلك، وأرسل إلى جلال الدولة يطلب منه نجدةً، فسيّر إليه عسكراً امتنع بهم.

ذكر الحرب بين عسكر مصر والروم

في هذه السنة كانت الوقعة بين عسكر المصريّين (سيّره الدزبريُّ)[2] وبين الروم، فظفر المسلمون.

وكان سبب ذلك أنّ ملك الروم قد هادنه المستنصر بالله العلويُّ، صاحب مصر، على ما ذكرناه، فلمّا كان الآن شرع يراسل ابن صالح بن مرداس ويستميله، وراسله قبله صالح ليتقوّى به على الدزبريّ، خوفاً أن يأخذ منه الرَّقّة، فبلغ ذلك الدزبريَّ فتهدّد ابن صالح فاعتذر وجحد.

ثم إنّ جَمْعاً من بني جعفر بن كِلاب دخلوا ولاية أفامية[3]، فعاثوا فيها، ونهبوا

---

(١) في (أ): «والجامانية».

(٢) من (أ).

(٣) في الأوربية: «فامية».

عدّة قرى، فخرج عليهم جمْعٌ من الروم فقاتلوهم وأوقعوا بهم، ونكوا[1] فيهم، وأزالواهم عن بلادهم.

وبلغ ذلك الناظرَ بحلب، فأخرج[2] من بها من تُجّار الفرنج، وأرسل إلى المتولّي بأنطاكية يأمره بإخراج من عندهم من تجّار المسلمين، فأغلظ للرسول، وأراد قتلْه، ثم تركه، فأرسل الناظر بحلب إلى الدزبريّ يعرّفه الحال، وأنّ القوم على التجهّز لقصد البلاد، فجهّز الدزبريُّ جيشاً وسيّره على مقدّمته، فاتّفق أنّهم لقوا جيشاً للروم وقد خرجوا لِمثل ما خرج إليه[3] هؤلاء، والتقى الفريقان بين مدينة حماة وأفامية واشتدّ القتال بينهم، ثم إنّ الله نصر المسلمين، وأذلّ الكافرين، فانهزموا وقُتل منهم عدّة كثيرة، وأُسر ابن عمّ للملك، بذلوا في فدائه مالاً جزيلاً، وعدّة وافرة من أسراء المسلمين، وانكفّ الروم عن الأذى بعدها.

ذكر الخُلْف بين المعزّ وبني حمّاد

في هذه السنة خالف أولاد حمّاد على المعزّ بن باديس، صاحب إفريقية، وعادوا إلى ما كانوا عليه من العصيان والخلاف عليه، فسار إليهم المعزُّ، وجمع العساكر وحشدها، وحصر قلعتهم المعروفة بقلعة حمّاد، وضيّق عليهم، وأقام عليهم نحو سنتَيْن[4].

ذكر[5] صُلح أبي الشّوك وعلاء الدولة

وفيها سار مهلهلِ أخو أبي الشوّك إلى علاء الدولة بن كاكوَيْه، واستصرخه، واستعان به على أخيه أبي الشوك، فسار معه، فلمّا بلغ قَرميسِين رجع أبو الشوك إلى

---

(١) في الباريسية: «وبكوا».

(٢) في (أ): «فأخذ».

(٣) في الباريسية: «عليه».

(٤) نهاية الأرب ٢٤/٢٠٩.

(٥) في النسخة الباريسية و(أ) ورد العنوان التالي: «ذكر عصيان البختية على ابن مروان والحرب بينهم» وفيهما أيضاً خبر: «في هذه السنة توفي مامك بن منكلان الكردي.

حُلوان، فعرف علاء الدولة رجوعه، فسار يتبعه، حتّى بلغ المرج، وقرب من أبي الشوك، فعزم أبو الشوك على قصد قلعة السِّيرَوَان والتحصّن بها، ثم تجلّد، وأرسل إلى علاء الدولة: إنّني لم أنصرف من بين يديك إلاّ مراقبةً لك، وإعظاماً لقدرك، واستعطافاً لك، فإذا اضطّررتَني إلى ما لا أجد بُدّاً[1] منه كان العُذْر قائماً لي فيه، فإنْ ظفرت بك طمع فيك الأعداء، وإن ظفرتَ بي[2] سلّمت قلاعي وبلادي إلى الملك جلال الدولة. فأجابه علاء الدولة إلى الصلح على أن يكون له الدِّينَور، وعاد فلحِقه المرض في طريقه وتوفّي، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة كان بإفريقية غلاء شديد، وسببه عدم الأمطار، فسُمّيت سنة الغُبار، ودام ذلك إلى سنة أربعٍ وثلاثين [وأربعمائة]، فخرج الناس فاستسقوا.

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي قُزُل أمير الغُزّ العراقيّة بالرَّيّ، ودُفن بناحية من أعمالها.

وفيها توفّي صاعد بن محمّد[3] أبو العلاء النَّيسابوريُّ ثم الأُسْتَوائيُّ[4]، قاضي نَيسابور، وكان عالماً فقيهاً، حنفيّاً، انتهت إليه رئاسة الحنفيّة بخُراسان.

---

(1) في نسخة بودليان رقم ٦٦١ و٧٣: «يداً»، وفي (أ) والباريسية: «إلى مالا حديداً».

(2) في الأوربية: «في».

(3) انظر عن (صاعد بن محمد) في: تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٤٢، ٣٤٣ رقم ٧ وفيه مصادر ترجمته.

(4) الأُسْتَوائي: بضم الألِف، وسكون السين المهملة، وفتح التاء المثنّاة الفوقية أو ضمّها، وبعدها الواو والألِف. هذه النسبة إلى أُسْتَوا وهي ناحية بنيسابور كثيرة القرى والخير. (الأنساب ١/ ٢٢١، اللباب ١/ ٥٢).

٤٣٣
ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة

ذكر وفاة علاء الدولة بن كاكوَيْه

في هذه السنة، في المحرّم، تُوُفّي علاء الدولة أبو جعفر بن دشمنزيار، المعروف بابن كاكوَيْه، بعد عَوده من بلد أبي الشوك، وإنّما قيل له كاكوَيْه لأنّه ابن خال مجد الدولة بن بُوَيْه، والخال بلُغَتِهم كاكوَيه، وقام بأصبهان ابْنه ظهير الدين أبو منصور فرامرز مقامه، وهو أكبر أولاده، وأطاعه الجُند بها، فسار ولده أبو كاليجار كرشاسف إلى نهاوند، فأقام بها وحفظها، وضبط أعمال الجبل، وأخذها لنفسه، فأمسك عنه أخوه أبو منصور فرامرز.

ثم إنّ مستحفظاً لعلاء الدولة بقلعة نَطَنْز أرسل أبو منصور إليه يطلب شيئاً ممّا عنده من الأموال والذخائر، فامتنع وأظهر العصيان، فسار إليه أبو منصور، وأخوه الأصغر أبو حرب، ليأخذا[١] القلعة منه كيف أمكن، فصعِد أبو حرب إليها، ووافق المستحفظ على العصيان، فعاد أبو منصور إلى أصبهان، وأرسل أبو حرب إلى الغُزّ السلجوقيّة بالريّ يستنجدهم، فسار طائفة منهم إلى قاجان، فدخلوها ونهبوها وسلّموها إلى أبي حرب، وعادوا إلى الريّ، فسيّر إليها أبو منصور عسكراً ليستنقذها من أخيه، فجمع أبو حرب الأكراد وغيرهم، وجعل عليهم صاحباً له وسيّرهم إلى أصبهان ليملكوها بزعمه، فسيّر إليهم أخوه أبو منصور عسكراً، فالتقوا، وانهزم عسكر أبي حرب وأُسر جماعة منهم.

وتقدّم أصحاب أبي منصور فحصروا أبا حرب، فلمّا رأى الحال، وخاف، نزل

---

(١) في الأوربية: «ليأخذ».

منها متخفياً، وسار إلى شِيراز إلى الملك أبي كاليجار، صاحب فارس والعراق، فحسّن له قصْد أصبهان وأخذها من أخيه، فسار الملك إليها وحصرها، وبها الأمير أبو منصور، فامتنع عليه، وجرى بين الفريقَيْن عدّة وقائع، وكان آخر الأمر الصلح على أن يبقى أبو منصور بأصبهان، وتقرّر عليه مال، وعاد أبو حرب إلى قلعة نَطَنْز واشتدّ الحصار عليه، فأرسل إلى أخيه يطلب المصالحة، فاصطلحا على أن يعطي أخاه بعض ما في القلعة، ويبقى بها على حاله.

ثم إنّ إبراهيم يَنّال خرج إلى الرَّيّ، على ما نذكره، وأرسل إلى أبي منصور فرامرز يطلب منه الموادعة، فلم يُجِبْه، وسار فرامرز إلى همذان وبَرُوجِرد فملكهما، ثم اصطلح هو وأخوه كرشاسف، وأقطعه هَمَذَان، وخطب لأبي منصور على منابر بلاد كرشاسف، واتّفقت كلمتهما، وكان المدبّر لأمرهما الْكِيا أبو الفتح الحسن بن عبدالله، وهو الذي سعى في جمْع كلمتهما[1].

ذكر ملك طُغْرُلْبَك جُرجان وطَبَرِسْتان

في هذه السنة ملك طُغْرُلْبَك جُرجان وطَبَرستان؛ وسبب ذلك أنّ أنوشروان بن منوجهر بن قابوس بن وشْمكير صاحبها قبض على أبي كاليجار بن ويهان القوهيّ، صاحب جيشه، وزوّج أمّه بمساعدة أمّه عليه، فعلم حينئذٍ طُغْرُلْبك أنّ البلاد لا مانع له عنها، فسار إليها، وقصد جُرجان ومعه مرداويج بن بَسّو[2]، فلمّا نازلها فتح له المقيم بها، فدخلها وقرّر على أهلها مائة ألف دينار صلحاً، وسلّمها إلى مرداويج بن بسّو، وقرّر عليه خمسين ألف دينار كلّ سنة عن جميع الأعمال، وعاد إلى نَيسابور.

وقصد مرداويج أنو شروانَ بسَاريَة، وكان بها، فاصطلحا على أن ضمن أنوشروان له ثلاثين ألف دينار، وأُقيمت الخطبة لطُغْرلبك في البلاد كلّها، وتزوّج مرداويج بوالدة أنوشروان، وبقي أنوشروان يتصرّف بأمر مرداويج لا يخالفه في شيء البتّة.

---

(١) المختصر في أخبار البشر ٢/٦٥، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٢١، تاريخ ابن الوردي ١/٣٤٨.

(٢) في نسخة بودليان و(أ) والباريسية غير معجمة: «سو».

ذكر أحوال ملوك الروم

نذكر هاهنا أحوال الروم من عهد بسيل إلى الآن، فنقول: من عادة ملوك الروم أن يركبوا أيّام الأعياد إلى البِيعة المخصوصة بذلك العيد، فإذا اجتاز الملك بالأسواق شاهده الناس وبأيديهم المداخن يبخّرون فيها، فركب والد بسيل وقسطنطين في بعض الأعياد، وكان لبعض أكابر الروم بنت جميلة، فخرجت تشاهد الملك، فلمّا مرّ بها استحسنها، فأمر من يسأل عنها، فلمّا عرفها خطبها وتزوّجها وأحبّها، وولدت منه بسيل وقسطنطين، وتوفّي وهما صغيران، فتزوّجت بعده بمدّة طويلة نقفور[1]، فكره كلّ واحدٍ منهما صاحبه، فعملت على قتله، فراسلت الشمشقيق في ذلك، فقصد قُسطنطينيّة متخفياً، فأدخلته إلى دار الملك، واتّفقا وقتلاه ليلاً، وأحضرت البطارقة متفرّقين، وأعطتهم الأموال ودعتهم إلى تمليك الشمشقيق[2]، ففعلوا، ولم يصبح، وقد فرغت ممّا تريد ولم يجرِ خُلْفٌ.

وتزوّجت الشمشقيق وأقامت معه سنة، فخافها، واحتال عليها وأخرجها إلى دَيْرٍ بعيدٍ، وحمل ولدَيْها معها، فأقامت فيه سنة، ثم أحضرت راهباً، ووهبتْه مالاً، وأمرته بقصد قُسطنطينية، والمقام بكنيسة الملك، والاقتصار على قدْر القُوت، فإذا وثق به الملك، وأراد القربان من يده ليلة العيد سقاه سمّاً، ففعل الراهب ذلك، فلمّا كان ليلة العيد سارت ومعها ولداها، ووصلت قُسطنطينيّة في اليوم الذي توفّي فيه الشمشقيق، فملك ولدها بسيل، ودبّرت هي الأمر لصغره، فلمّا كبر بسيل قصد بلد البُلغار، وتوفّيت، وهو هناك، فبلغه وفاتها، فأمر خادماً له أن يدبّر الأمور في غيبته.

ودام قتاله لبُلغار أربعين سنة، فظفروا به، فعاد مهزوماً، وأقام بالقسطنطينية يتجهّز للعَوْد، فعاد إليهم، فظفر بهم، وقتل ملكهم، وسبى[3] أهله وأولاده، وملك بلاده، ونقل أهلها إلى الروم، وأسكن البلاد طائفة من الروم، وهؤلاء البُلغار غير الطائفة المسلمة، فإنّ هؤلاء أقرب إلى بلد الروم من المسلمين بنحو شهرَيْن، وكلاهما يسمّى بُلْغار.

---

(١) في الأوربية: «تقفور».

(٢) في الأوربية: «تقفور».

(٣) في الأوربية: «وسبا».

وكان بسيل عادلاً ، حسن السيرة، ودام ملكه نيِّفاً وسبعين سنة، وتوفّي ولم يخلّف ولداً، فملك أخوه قسطنطين، وبقي إلى أن توفّي، ولم يُخلّف[1] غير ثلاث بنات، فملكت الكبرى، وتزوّجت أرمانوس، وهو من أقارب الملك، وملّكته، فبقي مدّةً، وهو الذي ملك الرُّها من المسلمين.

وكان لأرمانوس صاحب له يخدمه، قبل ملكه، من أولاد بعض الصيارف، اسمه ميخائيل، فلمّا ملك حكّمه في داره، فمالت زوجة قسطنطين إليه، وعملا الحيلة في قتل أرمانوس، فمرض أرمانوس فأدخلاه إلى الحمّام كارهاً وخنقاه، وأظها أنّه مات في الحمّام، وملّكت زوجته ميخائيل، وتزوّجته على كرهٍ من الروم.

وعرض لميخائيل صَرَعٌ لازَمَه وشوّه صورته، فعهد بالمُلْك بعده إلى ابن أخت له اسمه ميخائيل أيضاً. فلمّا توفّي مَلَك ابن أخته[2] وأحسن السيرة، وقبض على أهل خاله وإخوته، وهم أخواله، وضرب الدنانير في هذه السنة، وهي [سنة] ثلاثٍ وثلاثين، ثم أحضر زوجته بنت الملك وطلب منها أن تترهّب وتنزع نفسها عن الملك، فأبتْ، فضربها وسيّرها إلى جزيرة في البحر، ثم عزم على القبض على البطرك، والاستراحة من تحكّمه عليه، فإنّه كان لا يقدر على مخالفته، فطلب إليه أن يعمل له طعاماً في دَيْرٍ ذكره بظاهر القسطنطينيّة ليحضر عنده، فأجابه إلى ذلك، وخرج إلى الدير ليعمل ما قال الملك، فأرسل الملك جماعة من الروس والبُلغار، ووافقهم على قتله سرّاً، فقصدوه ليلاً وحصروه في الدّير، فبذل لهم مالاً كثيراً، وخرج متخفيّاً، وقصد البِيعة الّتي يسكنها، وضرب الناقوس، فاجتمع الروم عليه، ودعاهم إلى عزل الملك، فأجابوه إلى ذلك، وحصروا الملك في دار، فأرسل الملك إلى زوجته وأحضرها من الجزيرة التي نفاها إليها، ورغب في أن تردّ عنه، فلم تفعل، وأخرجته إلى بِيعة يترهّب فيها.

ثم إنّ البطرك والروم نزعوا زوجته من المُلك، وملّكوا أختاً لها صغيرة، واسمها تَذُورة[3]، وجعلوا معها خدم أبيها يدبّرون الملك، وكحّلوا ميخائيل، ووقعت الحرب

---

(١) في الأوربية: «تخلف».

(٢) في تاريخ حلب للعظيمي ٣٣٥ «ابن أخيه».

(٣) في نسخة بودليان، رقم ٦٦١ «تدوره»، وفي (أ) والنسخة الباريسية «بدوره» وفي تاريخ حلب ٣٣٥ «تيودورا».

بالقسطنطينيّة بين مَن يتعصّب له وبين من يتعصّب لتَذُورة والبطرك، فظفر أصحاب تَذُورة بهم، ونهبوا أموالهم.

ثم إنّ الروم افتقروا إلى ملكٍ يدبّرهم، فكتبوا أسماء جماعة يصلحون للمُلك في رِقاع، ووضعوها في بنادق طِين، وأمروا من يخرج منها بندقة، وهو لا يعرف باسم من فيها، فخرج اسم قُسطنطين، فملّكوه وتزوّجته الملكة الكبيرة[1]، واستنزلت أختَها الصغيرة تَذُورة عن المُلْك بمالٍ بَذَلَته لها، واستقرّ في المُلك سنة أربعٍ وثلاثين [وأربعمائة]، فخرج عليه فيها خارجيٌّ من الروم اسمه أرميناس، ودعا إلى نفسه، فكثُر جَمْعُه حتّى زادوا على عشرين ألفاً. فأهَمَّ قسطنطينَ أمرُهُ، وسيَّر إليه جيشاً كثيفاً، فظفروا بالخارجيّ وقتلوه، وحملوا رأسه إلى القسطنطينيّة، وأُسر من أعيان أصحابه مائة رجل[2]، فشُهروا في البلد، ثم أُطلقوا وأُعطوا نفقة، وأُمروا بالانصراف إلى أيّ جهة أرادوا[3].

ذكر فساد حال الدِّزْبَريّ

بالشام وما صار الأمر إليه بالبلاد

في هذه السنة فسد أمر أنوشتكين الدِّزْبَريّ، نائب المستنصر بالله، صاحب مصر، بالشام، وقد كان كبيراً على مخدومه بما يراه من تعظيم الملوك له، وهيبة الروم منه.

وكان الوزير أبو القاسم الجَرجرائيُّ يقصده ويحسده، إلاّ أنّه لا يجد طريقاً إلى الوقيعة فيه؛ ثم اتّفق أنّه سُعي بكاتب للدِّزبريّ اسمه أبو سعد، وقيل عنه إنّه يستميل صاحبه إلى غير جهة المصريّين، فكوتب الدِّزْبريُّ بإبعاده، فلم يفعل، واستوحشوا منه، ووضع الجَرجرائيّ حاجب الدِّزْبَريّ وغيره على مخالفته.

ثم إنّ جماعة من الأجناد قصدوا مصر، وشكوا إلى الجَرْجرائيّ منه، فعرّفهم سوء رأيه فيه، وأعادهم إلى دمشق، وأمرهم بإفساد الجُنْد عليه ففعلوا ذلك.

---

(١) في تاريخ حلب ٣٣٥ اسمها: «زويني».

(٢) في الأوربية: «ما يتراجل».

(٣) انظر باختصار: تاريخ حلب للعظيمي ٣٣٤، ٣٣٥.

وأحسّ الدَّزبريُّ بما يجري، فأظهر ما في نفسه، وأحضر نائب الجَرجرائيّ عنده، وأمر بإهانته وضربه، ثم إنّه أطلق لطائفة من العسكر يلزمون خدمته أرزاقهم، ومنع الباقين، فحرّك ما في نفوسهم، وقوّى طمعهم فيه، بما كوتبوا به من مصر، فأظهروا الشغب عليه، وقصدوا قصره، وهو بظاهر البلد، وتبِعهم من العامّة من يريد النهب، فاقتتلوا، فعلم الدّزبريُّ ضعفه وعجزه عنهم، ففارق مكانه، واستصحب أربعين غلاماً له، وما أمكنه من الدوابّ والأثاث والأموال، ونُهب الباقي، وسار إلى بعلبكّ، فمنعه مستحفظها، وأخذ ما أمكنه أخْذه من مال الدّزبريّ، وتبِعه طائفة من الجُند يَقْفُون أثره، وينهبون ما يقدرون عليه.

وسار إلى مدينة حماة، فَمنُع عنها، وقوتل، وكاتب المقلّدَ بن منقذ الكنانيَّ الكَفَرْطابيَّ، واستدعاه، فأجابه، وحضر عنده في نحو ألفَيْ رجلٍ من كَفَرْطاب وغيرها، فاحتمى به، وسار إلى حلب، ودخلها، وأقام بها مدّةً، وتُوُفّي في منتصف جمادى الأولى من هذه السنة[1].

فلمّا تُوُفّي فسد أمر بلاد الشام، وانتشرت الأمور بها، وزال النظام، وطمعت العرب، وخرجوا في نواحيه، فخرج حسّان بن المفرّج الطّائيُّ بفلسطين؛ وخرج معزُّ الدولة بن صالح الكِلابيُّ بحلب، وقصدها وحصرها، وملك المدينة، وامتنع أصحاب الدّزبريّ بالقلعة، وكتبوا إلى مصر يطلبون النجدة، فلم يفعلوا، واشتغل عساكر دمشق ومقدّمهم الحسين بن أحمد الذي وليَ أمر دمشق، بعد الدّزبريّ، بحرب حسّان، ووقع الموت في الذين في القلعة، فسلّموها إلى معزّ الدولة بالأمان[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة سيّر الملك أبو كاليجار من فارس عسكراً في البحر إلى عُمان،

---

(١) انظر عن (الدزبري) في: ذيل تاريخ دمشق ٧١ ـ ٧٩ وفيه وفاته سنة ٤٣٦ هـ. (ص ٧٨)، وزبدة الحلب ١/٢٥٩، ٢٦٠ وفيه وفاته سنة ٤٣٣ هـ.، وانظر: تاريخ حلب للعظيمي ٣٣٤، وتاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ـ بتحقيقنا ـ ص ٣٩٤ ـ ٣٩٧ رقم ١٠٠ وفيه وفاته كما هنا، وكذا في المصادر التي حشدتها بالحاشية.

(٢) زبدة الحلب ١/٢٦٠، ٢٦١.

وكان قد عصى مَن بها، فوصل العسكر إلى صُحار مدينة عُمان فملكوها، واستعادوا الخارجين عن الطاعة، واستقرّت الأمور بها، وعادت العساكر إلى فارس.

وفيها قصد أبو نصر بن الهيثم الصَّليقَ من البطائح، فملكها ونهبها، ثم استقرّ أمرها على مالٍ يؤدّيه إلى جلال الدولة.

وفيها تُوُفّي أبو منصور بَهرام بن مافنّة، وهو الملقّب بالعادل، وزير الملك أبي كاليجار، ومولده سنة ستّ وستّين وثلاثمائة، وكان حَسَن السيرة، وبنى[١] دار الكتب بفَيروزاباذ، وجعل فيها سبعة آلاف مجلّد[٢]، فلمّا مات وَزَر بعده مهذّب الدولة أبو منصور هبة الله بن أحمد الفَسَويُّ.

وفيها وصل جماعة من البُلغار إلى بغداذ يريدون الحجّ، فأُقيم لهم من الديوان الإقامات الوافرة، فسُئل بعضهم: من أيّ الأمم هم البُلْغار؟ فقال: هم قومٌ تولّدوا بين التُرْك والّصقالبة، وبلدهم في أقصى التُرك، وكانوا كُفّاراً، فأسلموا عن قريب، وهم على مذهب أبي حنيفة، رضي الله عنه[٣].

[الوَفيات]

وفيها تُوُفّي ميخائيل ملك الروم، ومَلَكَ بعده ابن أخيه ميخائيل أيضاً[٤].

وفيها، في جُمادى الآخرة، تُوُفّي أبو الحسن محمّد بن جعفر الجَهْرَميُّ[٥] الشاعر، وهو القائل:

---

(١) في الأوربية: «وبنا».

(٢) المنتظم ٨/ ١١١ رقم ١٤٣ (١٥/ ٢٨٢ رقم ٣٢٣٧)، البداية والنهاية ١٢/ ٤٩ وفيه: «يهرام بن منافيه».

(٣) المنتظم ٨/ ١٠٨ (١٥/ ٢٧٩)، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٢١، البداية والنهاية ١٢/ ٤٩ وفيه «الأكراد» بدل «التُرك» وهو وهَم.

(٤) تاريخ حلب للعظيمي ٣٣٤، ٣٣٥.

(٥) انظر عن (محمد بن جعفر الجهرمي) في: تاريخ بغداد ٢/ ١٥٩، وتاريخ حلب للعظيمي (بتحقيق زعرور) ٣٣٥، و(تحقيق علي سويم) ص ٣، والمنتظم ٨/ ١١٢، ١١٣ رقم ١٤٧ (١٥/ ٢٨٣ رقم ٣٢٤١)، وزبدة الحلب ١/ ٢٦٠، ٢٦١، وتاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٩١ رقم ٩٣. وقد تصحّفت نسبة «الجهرمي» إلى «الحميري» في تاريخ حلب ـ ص ٣ بتحقيق سويم.

يــا وَيــحَ قلبــي مــن تقلُّبــهِ ... أبــداً يَحِــنُّ إلــى مُعَــذِّبــهِ

قــالــوا: كتمــتَ هــواه عــن جَلَــدٍ ... لــو أنّ لــي رَمَقَــاً لَبُحْــتُ بــهِ

بــأبــي حبيبــاً غيــرَ مكتــرثٍ ... عنّــي، ويُكثِــرُ مِــن تعتبُــهِ

حَسبــي رضــاه مِــنَ الحيــاةِ، ومــا ... قلقــي ومــوتــي مــن تغضبُــهِ[1]

وكان بينه وبين المُطرِّز مهاجاة.

(١) الأبيات في: تاريخ بغداد، والمنتظم.

٤٣٤
ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وأربعمائة

ذكر ملك طُغْرُلْبَك مدينة خُوارزم

قد تقدّم أنّ خُوارزم كانت من جملة مملكة محمود بن سبكتِكِين، فلمّا تُوُفّي وملك بعده ابنه مسعود كانت له، وكان فيها ألْتُونتاش، حاجب أبيه محمود، وهو من أكابر أمرائه، يتولاّها لمحمود، ومسعود بعده، ولمّا كان مسعود مشغولاً بقصد أخيه محمّد لأخذ الملك قصد الأمير عليّ تكين، صاحب ما وراء النهر، أطراف بلاده وشعّثها، فلمّا فرغ مسعود من أمر أخيه واستقرّ الملك له كاتب ألْتُونتاشَ في سنة أربعٍ وعشرين [وأربعمائة] بقصد أعمال عليّ تكين، وأخذ بُخَارى وسمرقند، وأمدّه بجيشٍ كثيف، فعبر جَيحون، وفتح من بلاد عليّ تكين ما أراد، وانحاز عليّ تكين من بين يديه.

وأقام ألْتُونتاش بالبلاد التي فتحها، فرأى دَخْلها لا يفي بما تحتاج عساكره لأنّه كان يريد [أن] يكون في جمْعٍ كثير يمتنع بهم على التُّرك، فكاتب مسعوداً في ذلك واستأذنه في العَود إلى خوارزم، فأذِن له، فلمّا عاد لحِقه عليّ تكين على غِرّةٍ، وكبسه، فانهزم عليّ تكين، وصعِد إلى قلعة دَبُوسِيَة، فحصره ألْتُونْتاش، وكاد يأخذه، فراسله عليّ تكين واستعطفه وضرع إليه، فرحل عنه وعاد إلى خوارزم.

وأصاب ألْتُونتاشَ في هذه الوقعة جراحةٌ، فلمّا عاد إلى خُوارزم مرض منها وتُوُفّي، وخلّف من الأولاد ثلاثة بنين: هاون، ورشيد، وإسماعيل، فلمّا تُوُفّي ضبط البلدَ وزيره أبو نصر أحمد بن محمد بن عبد الصمد، وحفظ الخزائن وغيرها، وأعلم مسعوداً الخبر، فولّى ابنه الأكبر هارون خُوارزم، وسيّره إليها وكان عنده.

الصمد واستوزره، فاستناب أبو نصر عند هارون ابنه عبد الجبّار، وجعله وزيره، فجرى بينه وبين هارون منافرة أسرّها هارون في نفسه، وحسّن له أصحابه القبض على عبد الجبّار، والعصيان على مسعود، فأظهر العصيان في شهر رمضان سنة خمسٍ وعشرين [وأربعمائة]، وأراد قتل عبد الجبّار، فاختفى منه، فقال أعداء أبيه للملك مسعود: إنّ أبا نصر قد واطأ هارون على العصيان، وإنّما اختفى ابنه حيلةً ومكراً؛ فاستوحش منه إلاّ أنّه لم يُظهر ذلك له.

وعزم مسعود على الخروج من غَزْنة إلى خُوارزم، فسار عن غَزْنَة ، والزمان شتاء، فلم يمكنه قصد خُوارزم، فسار إلى جُرجان طالباً أنوشروان بن منوجهر ليقابله على ما ظهر منه عند اشتغال مسعود بقتال أحمد ينالتكين ببلاد الهند. فلمّا كان ببلاد جُرجان أتاه كتاب عبد الجبّار أبي نصر بقتل هارون، وإعادة البلد إلى طاعته، وكان عبد الجبّار بن في بدء استتاره يعمل على قتل هارون، ووضع جماعة على الفتك به، فقتلوه عند خروجه إلى الصيد، وقام عبد الجبّار بحفظ البلد.

فلمّا وقف مسعود على كتاب عبد الجبّار علم أنّ الذي قيل عن أبيه كان باطلاً، فعاد إلى الثقة به، وبقي عبد الجبّار أيّاماً يسيرة، فوثب به غلمان هارون فقتلوه، وولّوا البلد إسماعيل بن ألْتُونْتاش، وقام بأمره شُكْر خادم أبيه، وعَصَوا على مسعود، فكتب مسعود إلى شاهملك بن عليّ، أحد أصحاب الأطراف بنواحي خُوارزم، بقصد خُوارزم وأخْذها، فسار إليها، فقاتله شُكر وإسماعيل، ومنعاه[1] عن البلد، فهزمهما وملك البلد، فسارا إلى طغرلبك وداود السلجقيّين والتجآ إليهما، وطلبا المعونة منهما، فسار داود معهما إلى خُوارزم، فلقيهم شاهملك وقاتلهم فهزمهم؛ ولمّا جرى على مسعود من القتل ما جرى وملك مودود دخل شاهملك في طاعته وصافاه، وتمسّك كلّ واحدٍ منهما بصاحبه.

ثمّ إنّ طُغْرُلْبك سار إلى خُوارزم فحصرها وملكها واستولى عليها، وانهزم شاهملك بين يديه، واستصحب أمواله وذخائره، ومضى في المفازة إلى دِهِسْتان، ثم انتقل عنها إلى طَبَس، ثم إلى أطراف كَرمان، ثم إلى أعمال التِّيز ومُكران، فلمّا وصل

---

(١) في الأوربية: «ومنعوه».

إلى هناك علم خلاصه ببُعده، وأمِن في نفسه، فعرف خبره أرتاش، أخو إبراهيم يَنّال، وهو ابن عمّ طُغْرُلْبك، فقصده في أربعة آلاف فارس، فأوقع به وأسره وأخذ ما معه، ثم عاد بِهِ فسلّمه إلى داود، وحصل هو بما غنم من أمواله، وعاد بعد ذلك إلى بَاذَغِيسَ المقاربة لهَراة، وأقام على محاصرة هَراة، لأنّهم إلى هذه الغاية كانوا مقيمين على الامتناع والاعتصام ببلدهم والثبات على طاعة مودود بن مسعود، فقاتلهم أهل هَراة، وحفظوا بلدهم مع خراب سوادهم، وإنّما حملهم على ذلك، الحربُ خوفاً من الغزّ.

ذكر قصد إبراهيم يَنّال همذان وما كان منه

قد ذكرنا خروج إبراهيم يَنّال من خُراسان إلى الريّ، واستيلاءه عليها[١]. فلمّا استقرّ أمرها سار عنها، وملك البلاد المجارة لها، ثم انتقل إلى بَرُوجِرْدَ فملكها، ثم قصد هَمَذان، وكان بها أبو كاليجار كرشاسف بن علاء الدولة صاحبها، ففارقها إلى سابور خُواست، ونزل إبراهيم يَنّال على هَمذان، وأراد دخولها، فقال له أهلها: إن كنتَ تريد الطاعة، وما يطلبه السلطان من الرعيّة، فنحن باذلوه، وداخلون تحته، فاطلب أوّلاً هذا المخالف عليك الذي كان عندنا، يعنون كرشاسف، فإنّا لا نأمن عَوده إلينا، فإذا ملكتَه أو دفعتَه كنّا لك.

فكفّ عنهم وسار إلى كرشاسف، بعد أن أخذ من أهل البلد مالاً، فلمّا قارب سابور خُواست صعِد كرشاسف إلى القلعة، فتحصَّن بها، وحصر إبراهيم البلد، فقاتله أهله خوفاً من الغُزّ، فلم يكن لهم طاقة على دفعهم، فملك البلد قهراً، ونهب الغُزّ أهله، وفعلوا الأفاعيل القبيحة بهم، ثم عادوا بما غنموه إلى الرَّيّ، فرأوا طُغْرُلْبك قد وردها، ولمّا فارق إبراهيم والغُزّ همذان نزل كرشاسف إليها، فأقام بها إلى أن وصل طُغْرُلْبك إلى الرَّيّ فسار إليه إبراهيم، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر خروج طُغْرُلْبك إلى الرَّيّ وملك بلد الجبل

في هذه السنة خرج طُغْرُلْبَك من خُراسان إلى الرَّيّ، بعد فراغه من خُوارزم، وجُرجان، وطَبَرِستان، فلمّا سمع أخوه إبراهيم يَنّال بقدومه سار إليه فلقِيه، وتسلّم

---

(١) المنتظم ٨/ ١١٤ (١٥/ ٢٨٦).

طُغْرُلْبك الريّ منه، وتسلّم غيرها من بلد الجبل، وسار إبراهيم إلى سِجِستان، وأخذ طُغْرُلْبك أيضاً قلعة طَبَرَك من مجد الدولة بن بُوَيْه، وأقام عنده مُكَرماً، وأمر طُغْرُلْبك بعمارة الريّ وكانت قد خربت، فوجد في دار الإمارة مراكب ذهبٍ مجوهرة وبَرْنيّتَيْ[1] صينيّ مملوءتين[2] جوهراً، ومالاً كثيراً، وغير ذلك[3].

وكان كامرو يهادي طُغْرلبك، وهو بخُراسان، ويخدمه، وخدم أخاه إبراهيم لمّا كان بالريّ، فلمّا حضر عنده أهدى له هدايا كثيرة من أنواع شتّى[4]، وهو يظنّ أنّ طُغْرُلْبك يزيد في إقطاعه، ويرعى له ما تقدّم من خدمته له، فخاب ظنّه، وقرّر على ما بيده كلّ سنةٍ سبعةً وعشرين ألف دينار.

ثمّ سار إلى قزوين، فامتنع عليه أهلُها، فزحف إليهم ورماهم بالسهام والحجارة، فلم يقدروا أن يقفوا على السور، وقتل من أهل البلد برشق، وأخذ ثلاثمائة وخمسين رجلاً، فلمّا رأى كامرو ومرداويج بن بَسّو[5] ذلك خافوا أن يملك البلد عَنوةً وينهب، فمنعوا الناس من القتال، وأصلحوا الحال على ثمانين ألف دينار، وصار صاحبها في طاعته.

ثم إنّه أرسل إلى كوكتاش وبوقا وغيرهما من أمراء الغُزّ، الذين تقدّم خروجهم، يُمَنّيهم، ويدعوهم إلى الحضور في خدمته، فلمّا وصل رسوله إليهم ساروا حتّى نزلوا على نهر بنواحي زَنْجَان، ثم أعادوا رسوله، وقالوا له: قل له قد علمنا أنّ غرضك أن تجمعنا لتقبض علينا، والخوف منك أبعدنا عنك، وقد نزلنا هاهنا، فإن اردتَنَا قصدنا خُراسان، أو الروم، ولا نجتمع بك أبداً.

وأرسل طُغْرلبك إلى ملك الدَّيلم يدعوه إلى الطّاعة، ويطلب منه مالاً، ففعل ذلك، وحمل إليه مالاً وعروضاً، وأرسل أيضاً إلى سلار الطّرْم يدعوه إلى خدمته،

---

(١) في (أ) والباريسية: «بزينتين»، وفي نسخة بودليان رقم ٧٣ «برنيين»، ورقم ٦٦١ «بزيتين». وفي المنتظم ٨/ ١٥١ (١٥/ ٣٣١) في حوادث ٤٤٣ هـ. «برنيتين صيني».

(٢) في الأوربية: «مملوءة».

(٣) تاريخ دولة آل سلجوق ١٠.

(٤) في الأوربية: «مشتى».

(٥) مهملة في الأصل: «سو».

ويطالب بحمل مائتَيْ ألف دينار، فاستقرّ الحال بينهما على الطاعة وشيء من المال.
وأرسل سريّةً إلى أصبهان، وبها أبو منصور فرامرز بن علاء الدولة، فأغارت على أعمالها وعادت سالمةً.

وخرج طُغْرُلْبك من الرَّيّ، وأظهر قصْد أصبهان، فراسله فرامرز، وصانعه بمال، فعاد عنه وسار إلى هَمذان فملكها من صاحبها كرشاسف بن علاء الدولة، وكان قد نزل إليه، وهو بالريّ، بعد أن راسله طُغْرُلبك غير مرّة، وسار معه من الريّ إلى أبْهَروزَنْجان، فأخذ منه هَمَذان، وتفرّق أصحابه عنه، وطلب منه طُغْرُلْبك تسليم قلعة كِنْكِوَر، فأرسل إلى مَن بها بالتسليم، فلم يفعلوا، وقالوا لرُسل طُغْرُلْبك: قل لصاحبك والله لو قطّعتَهُ قطعاً ما سلّمناها إليك. فقال له طُغْرُلْبك: ما امتنعوا إلاّ بأمرك ورأيك، فاصعدْ إليهم، وأقمْ معهم، ولا تفارق موضعك حتّى آذن لك.

ثم عاد إلى الريّ، واستناب بهمَذان ناصراً العلويَّ، وكان كرشاسف قد قبض عليه، فأخرجه طُغْرُلْبك وولاّه الرَّيّ وأمره بمساعدة من يجعله في البلد، وكان معه مرداويج بن بسّو[1] نائبه في جُرجان وطَبَرِستان، فمات، وقام ولده جسْتان مقامه، فسار طُغْرُلْبك إلى جُرجان، فعزل جستان عنها، واستعمل على جرجان أسفار، وهو من خواصّ منوجهر بن قابوس، فلمّا فرغ أمر جُرجان وطَبَرستان سار إلى دِهِستان فحصرها، وبها صاحبها كاميار، معتصماً بها لحصانتها.

ذكر مسير عساكر طُغْرُلْبك إلى كَرْمان

وسيّر طُغْرُلْبك طائفة من أصحابه إلى كرمان مع أخِيه إبراهيم يَنّال، بعد أن دخل الرَّيّ، وقيل إنّ إبراهيم لم يقصد كَرمان، وإنّما قصد سِجِستان، وكان مقدّم العساكر التي سارت إلى كَرمان غيره، فلمّا وصلوا إلى أطراف كرمان نهبوا، ولم يقدموا على التوغّل فيها، فلم يروا من العساكر من يكفّهم، فتوسّطوها وملكوا عدّة مواضع منها ونهبوها.

فبلغ الخبر إلى الملك أبي كاليجار، صاحبها، فسيّر وزيره مهذّب الدولة في

---

(١) في الأصل مهملة «سو».

العساكر الكثيرة، وأمره بالجدّ في المسير ليدركهم قبل أن يملكوا جِيرَفْتَ، وكانوا يحاصرونها، فطوى المراحل حتّى قاربهم، فرحلوا عن جِيرَفْتَ ونزلوا على ستّة فراسخ منها.

وجاء مهذّب الدولة فنزلها وأرسل ليحمل الميرة إلى العسكر، فخرجت الغُزّ إلى الجمال والبغال والميرة ليأخذوها، وسمع مهذبّ الدولة ذلك، فسيّر طائفة من العسكر لمنعهم، فتواقعوا واقتتلوا، وتكاثَرَ[١] الغُزُّ، فسمع مهذّب الدولة الخبر، فسار في العساكر إلى المعركة، وهم يقتتلون، وقد ثبتت كلّ طائفة لصاحبتها[٢] واشتدّ القتال إلى حدّ أنّ بعض الغُزّ رمى[٣] فرس بعض أصحاب أبي كاليجار بسهم، فوقع فيه، وطعنه صاحب الفرس برمح، فأصاب فرس الغُزّيّ، وحمل الغُزّيُّ على صاحب الفرس، فضربه ضربة قطعت يده، وحمل عليه صاحب الفرس وهو على هذه الحالة، فضربه بسيفه فقطعه قطعتَيْن، وسقطا إلى الأرض قتيلَيْن، والفرسان قتيلان، وهذه حالة لم يدوّن عن مقدّمي الشجعان أحسن منها.

فلمّا وصل مهذّب الدولة إلى المعركة انهزم الغُزُّ وتركوا ما كانوا ينهبونه[٤]، ودخلوا المفازة، وتبعم الديلم إلى رأس الحدّ، وعادوا إلى كَرمان فأصلحوا ما فسد منها.

ذكر الوحشة بين القائم بأمر الله أمير المؤمنين وجلال الدولة

في هذه السنة افتُتِحت الجوالي في المحرّم ببغداذ، فأنفذ الملك جلال الدولة فأخذ ما تحصّل منها، وكانت العادة أن يُحمل ما يحصّل منها إلى الخلفاء لا تعارضهم فيها الملوك، فلمّا فعل جلال الدولة ذلك عُظم الأمر فيه على القائم[٥] بأمر الله واشتدّ عليه، وأرسل مع أقضى القضاة أبي الحسن الماورديّ في ذلك، وتكرّرت الرسائل،

---

(١) في الأوربية: «وتكاثروا».
(٢) في الأوربية: «لصاحبها».
(٣) في الأوربية: «رما».
(٤) في الأوربية: «ينهبوه».
(٥) في الأوربية: «قائم».

فلم يُصْغِ جلال الدولة لذلك، وأخذ الجوالي، فجمع الخليفة الهاشميّين بالدار والرَّجّالة، وتقدّم بإصلاح الطيّار والزبازب، وأرسل إلى أصحاب الأطراف والقضاة بما عزم عليه، وأظهر العزم على مفارقة بغداذ، فلم يتمّ ذلك، وحدث وحشة من الجهتَيْن، فاقتضت الحال أنّ الملك يترك معارضة النوّاب الإماميّة فيها في السنة الآتية[1].

ذكر محاصرة شَهْرزور وغيرها

(في هذه السنة)[2] سار أبو الشوك إلى شهرزور، فحصرها ونهبها وأحرقها وخرّب قُراها وسوادها، وحصر قلعة تِبرَانْشَاه، فدفعه أبو القاسم بن عياض عنها. ووعده أن يخلّص ولدَه أبا الفتح من أخيه مُهلهل، وأن يصلح بينهما.

وكان مُهلهل قد سار من شَهرزور لمّا بلغه أنّ أخاه[3] أبا الشوك يريد قصدها، وقصد نواحي سَنْدَة وغيرها من ولايات أبي الشوك، فنهبها وأحرقها وهلكت الرعيّة في الجهتَيْن.

ثم إنّ أبا الشوك راسل أبا القاسم بن عياض يستنجزه[4] ما وعده به من تخليص ولده والشروط التي تقرّرت بينهما، فأجابه بأنّ مهلهِلاً غيرَ مجيبٍ إليه. فعند ذلك سار أبو الشوك من حُلوان إلى الصّامغان ونهبها، ونهب الولاية التي لمهلهِل جميعها، فانزاح مهلهِل من بين يديه، وتردّدت الرسل بينهما، فاصطلحا على دغَل ودَخَل، وعاد أبو الشوك.

ذكر خروج سكين بمصر[5]

في هذه السنة، في رجب، خرج بمصر إنسان اسمه سُكَين، كان يشبه الحاكم[6]

---

(١) المنتظم ٨/١١٣ (١٥/٢٨٥)، المختصر في أخبار البشر ٢/١٦٦، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٢٥، تاريخ ابن الوردي ١/٣٤٨، البداية والنهاية ١٢/٥٠، مآثر الإنافة ١/٣٦٦، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٥٣.

(٢) في (أ): «فيها».

(٣) في (أ): «أخاك».

(٤) في الأوربية: «ينتجزه».

(٥) العنوان من الباريسية. وفي (أ) سنة ٤٦٧ هـ.

(٦) في الأوربية «يتشبّه للحاكم».

صاحب مصر، فادّعى أنّه الحاكم، وقد رجع بعد موته، فاتّبه جمْعٌ ممّن يعتقد رجعة الحاكم، فاغتنموا خُلُوَّ دار الخليفة بمصر من الجُند، وقصدوها مع سُكَين نصف النهار، فدخلوا الدِّهْليز، فوثب مَنْ هناك من الجُنْد، فقال لهم أصحابه: إنّه الحاكم، فارتاعوا لذلك، ثم ارتابوا به، فقبضوا على سكين، ووقع الصوت، واقتتلوا، فتراجع الجُند إلى القصر، والحرب قائمةٌ[1]، فقُتل من أصحابه جماعة، وأُسر الباقون وصُلبوا أحياء، ورماهم الجُند بالنشّاب حتّى ماتوا[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة كانت زلزلة عظيمة بمدينة تِبريز، هدمت قلعتها وسورها ودُورها وأسواقها وأكثر دار الإمارة، وسلِم الأمير لأنّه كان في بعض البساتين، فأُحصي مَنْ هلك من أهل البلد، وكانوا قرباً من خمسين ألفاً، ولبس الأمير السواد والمسوح لِعِظَم المصيبة، وعزم على الصّعود إلى بعض قلاعه، خوفاً من توجّه الغُزّ السلجوقيّة إليه، وأخبر بذلك أبو جعفر بن الرَّقّيّ العلويّ النقيب بالموصل[3].

وفيها قتل قِرواش كاتبَهُ أبا الفتح بن المفرّج[4] صبراً.

[الوفيات]

وفيها تُوُفّي عبد[5] بن أحمد أبو ذرّ الهرويّ الحافظ، أقام بمكّة، وتزوّج من

---

(١) في الأوربية: «قائماً».

(٢) تاريخ حلب للعظيمي ٣٣٥، وتتحدّث مصادر الدروز عن شخص اسمه «مسعود بن سكينة الكردي» ويُعرف بـ«سُكَين» و تقول إنه خرج على تعاليم الدعوة التوحيدية ونشر الإباحية في وادي التيم شرقي صيدا، وتجعل وفاته سنة ٤٢٧ هـ. (انظر كتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ـ ص ٨٦، ٨٧) وفيه مراجع أخرى.

(٣) المنتظم ٨/ ١١٤ (١٥/ ٢٨٦)، تاريخ الزمان لابن العبري ٩١، الدرّة المضيّة ٣٥٤، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٢٥، ٣٢٦، العبر ٣/ ١٨٠، دول الإسلام ١/ ٢٥٦، مرآة الجنان ٢/ ٥٤، البداية والنهاية ١٢/ ٥٠، تاريخ الخميس ٢/ ٣٩٩، شذرات الذهب ٣/ ٢٥٣، ٢٥٤.

(٤) في الأوربية: «المفوج».

(٥) في طبعة صادر ٩/ ٥١٤ «عبدالله»، وما أثبتُه عن مصادر ترجمته الكثيرة التي حشدتها في (تاريخ الإسلام ـ ٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٤٠٤ ـ ٤٠٩ رقم ١٢٠.

العرب، وأقام بالسَّرَوَات. وكان يحجّ كلّ سنة يحدّث في الموسم، ويعود إلى أهله، (وصحب القاضي أبا بكر الباقلاّنيّ[1].

وفيها تُوُفّي عمر بن إبراهيم[2] بن سعيد الزهريُّ من ولد سعد بن أبي وقّاص، وكان فقيهاً شافعيّاً)[3].

---

(۱) في طبعة صادر ٩/ ٥١٤ «البقلاني»، والصحيح ما أثبتناه.

(۲) انظر عن (عمر بن إبراهيم) في: تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٤٠٩ رقم ١٢٤ وفيه مصادر ترجمته.

(۳) ما بين القوسين من الباريسية.

٤٣٥
ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وأربعمائة

ذكر إخراج المسلمين والنصارى والغرباء من القسطنطينيّة

في هذه السنة أخرج ملك الروم الغرباء من المسلمين والنصارى وسائر الأنواع من القُسطنطينيّة.

وسبب ذلك أنّه وقع الخبر بالقُسطنطينيّة أنّ قُسطنطين قتل ابنتَي الملك المتقدّم اللّتَين قد صار المُلك فيهما الآن، فاجتمع أهل البلد وأثاروا الفتنة، وطمعوا في النهب، فأشرف عليهم قُسطنطين، وسألهم عن السبب في ذلك، فقالوا: قتلتَ الملكتَيْن، وأفسدتَ المُلْك؛ فقال: ما قتلتُهما؛ وأخرجهما حتّى رآهما الناس، فسكنوا.

ثم إنّه سأل عن سبب ذلك، فقيل له: إنّه فعْل الغرباء؛ وأشاروا بإبعادهم، وأمر فنودي أن لا يقيم أحدٌ وَرَدَ البلدَ منذ ثلاثين[1] سنة، فمن أقام بعد ثلاثة أيّام كُحل، فخرج منها أكثر من مائة ألف إنسان، ولم يبق بها أكثر من اثني عشر نفساً، ضمِنَهم الروم فتركهم[2].

ذكر وفاة جلال الدولة وملك أبي كاليجار

في هذه السنة، في سادس شعبان، توفّي الملك جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة بن عضُد الدولة بن بُوَيْه ببغداذ[3]، وكان مرضه ورماً في كبِده، وبقي عدّة أيّام مريضاً وتُوفّي، وكان مولده سنة ثلاثٍ وثمانين وثلاثمائة، وملكه ببغداذ ستّ عشرة

---

(١) في (أ): «ثلاث».
(٢) الخبر باختصار شديد جداً في: تاريخ حلب للعظيمي ٣٣٦.
(٣) من (أ).

سنة وأحد عشر شهراً، ودُفن بداره، ومن علم سيرته، وضَعفَه، واستيلاءَ الجُنْد والنوّاب عليه، ودوامَ مُلكه إلى هذه الغاية، علِم أنّ الله على كلّ شيء قدير يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممّن يشاء.

وكان يزور الصّالحين، ويقرب منهم، وزار مرّة مشهدَيْ عليّ والحسين، عليهما السّلام، وكان يمشي حافياً قبل أن يصل إلى كلّ مشهدٍ منهما، نحو فرسخ، يفعل ذلك تديّناً[1].

ولمّا تُوفّي انتقل الوزير كمال المُلْك بن عبد الرحيم وأصحاب الملك الأكابر إلى باب المراتب، وحريم دار الخلافة، خوفاً من نهب الأتراك والعامّة دورهم، فاجتمع قوّاد العسكر تحت دار المملكة، ومنعوا الناس من نهبها.

ولمّا توفّي كان ولده الأكبر الملك العزيز أبو منصور بواسط، على عادته، فكاتبه الأجناد بالطاعة[2]، وشرطوا عليه تعجيل ما جرتْ به العادة من حقّ البَيعة، فتردّدت المراسلات بينهم في مقداره (وتأخيره لفقده)[3].

وبلغ موته إلى الملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة، فكاتب القوّادَ والأجنادَ، ورغّبهم في المال وكثرته وتعجيله، فمالوا إليه وعدلوا[4] عن[5] الملك العزيز.

وأمّا[6] الملك العزيز فإنّه[7] أصعد (إلى بغداذ لمّا)[8] قرُب الملك أبو كاليجار منها، على ما نذكره سنة ستّ وثلاثين [وأربعمائة]، عازماً على قصد بغداذ ومعه

---

(١) انظر عن وفاة جلال الدولة في: تاريخ حلب للعظيمي (بتحقيق زعرور) ص ٣٣٦، و(تحقيق سويم) ص ٤، والمنتظم ٨/١١٧ (١٥/٢٨٩، ٢٩٠)، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٨٤، ونهاية الأرب ٢٦/٢٥٨، والمختصر في أخبار البشر ٢/١٦٧، والعبر ٢/١٨٢، وتاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٢٧، ٣٢٨، وتاريخ ابن الوردي ١/٣٤٩.

(٢) من (أ)، وفي تاريخ الفارقي ١٣٣ توفي سنة ٤٢٢ هـ. وهو غلط.

(٣) من الباريسية.

(٤) في (أ): «وولوا».

(٥) في الأوربية: «من».

(٦) في (أ): «ثم إن».

(٧) من الباريسية.

(٨) في (أ): «من مواضع مما».

عسكره، فلمّا بلغ النُّعمانيّة غدر به عسكره ورجعوا إلى واسط، وخطبوا لأبي كاليجار، فلمّا رأى ذلك مضى إلى نور الدولة دُبَيْس بن مَزْيد، لأنّه بلغه مَيل جُند بغداذ إلى أبي كاليجار، وسار من عند دُبَيْس إلى قِرواش بن المقلّد، فاجتمع به بقرية خُصّة[1] من أعمال بغداذ، وسار معه إلى الموصل، ثم فارقه وقصد أبا الشوك لأنّه حَمْوُه، فلمّا وصل إلى أبي الشوك غدر به، وألزمه بطلاق ابنته، ففعل، وسار عنه إلى إبراهيم يَنّال أخي طُغْرُلْبَك، وتنقّلت به الأحوال، حتّى قدِم بغداذ في نفرٍ يسير عازماً على استمالة العسكر وأخْذ الملك، فثار به أصحاب الملك أبي كاليجار، فقُتل بعض مَنْ عنده، وسار هو متخفياً، فقصد نصر الدولة بن مروان فتوفي عنده بميافارقين[2]، وحُمل إلى بغداذ، ودُفن عند أبيه بمقابر قريش، في مشهد باب التبن سنة إحدى وأربعين [وأربعمائة].

وقد ذكر الشيخ أبو الفَرَج بن الجوزيّ أنّه آخر ملوك بني بُوَيْه، وليس كذلك، فإنّه ملك بعده أبو كاليجار، ثم الملك الرحيم بن أبي كاليجار، وهو آخرهم على ما تراه[3].

وأمّا الملك أبو كاليجار فلم تزل الرسل تتردّد بينه وبين عسكر بغداذ، حتّى استقرّ الأمر له، وحلفوا، وخطبوا له ببغداذ في صفر من سنة ستّ وثلاثين وأربعمائة، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر حال أبي الفتح مودود بن مسعود ابن محمود بن سبكتكين

في هذه السنة سيّر الملك أبو الفتح مودود بن مسعود بن سبكتكين عسكراً مع حاجبٍ له إلى نواحي خُراسان، فأرسل إليهم داود أخو طُغْرُلْبك، وهو صاحب خُراسان، ولدَهُ ألْب أرسلان في عسكر، فالتقوا واقتتلوا فكان الظَّفَر للملك ألْب أرسلان، وعاد عسكر غَزْنة منهزماً.

وفيها أيضاً، في صفر، سار جمع من الغُزّ إلى نواحي بُست، وفعلوا ما عُرف منهم من النهب والشرّ[4]، فسيّر إليهم أبو الفتح مودود عسكراً، فالتقوا بولاية بُست،

---

(١) في (أ): «خصى».
(٢) تاريخ الفارقي ١٣٣، ١٣٤.
(٣) انظر المنتظم ٨/ ١٥١ (١٥/ ٣٣١).
(٤) من (أ).

واقتتلوا قتالاً شديداً انهزم الغُزُّ فيه، وظفر عسكر مودود، وأكثروا فيهم القتل والأسر.

ذكر ملك مودود عدّة حصون من بلد الهند

في هذه السنة اجتمع ثلاثة ملوك من ملوك الهند، وقصدوا لَهَاوُور وحصروها، فجمع مقدّم العساكر الإسلاميّة بتلك الديار مَن عنده منهم، وأرسل إلى صاحبه مودود يستنجده، فسيّر إليه العساكر.

فاتّفق أنّ بعض أولئك الملوك[1] فارقهم وعاد إلى طاعة مودود، فرحل الملكان الآخران إلى بلادهما، فسارت العساكر الإسلاميّة إلى أحدهما، ويُعرف بدوبال هرباته[2]، فانهزم منهم، وصعِد إلى قلعةٍ له منيعة هو وعساكره، فاحتموا بها، وكانوا خمسة آلاف فارس وسبعين ألف راجل، وحصرهم المسلمون وضيّقوا عليهم، وأكثروا القتل فيهم، فطلب الهنود الأمان على تسليم الحصين، فامتنع المسلمون من إجابتهم إلى ذلك إلاّ بعد أن يضيفوا إليه باقي حصون ذلك الملك[3] الذي لهم، فحملهم الخوف وعدم الأقوات على إجابتهم إلى ما طلبوا وتسلّموا[4] الجميع، وغنم المسلمون الأموال، وأطلقوا ما في الحصون من أسرى المسلمين، وكانوا نحو خمسة آلاف نفر.

فلمّا فرغوا من هذه الناحية قصدوا ولاية الملك الثاني، واسمه تابت[5]، بالريّ[6]، فتقدّم إليهم، ولقيهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزمت الهنود، وأجلت المعركة عن قتل ملكهم وخمسة آلاف قتيل، وجُرح[7] وأُسر ضعفاهم، وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم ودوابّهم. فلمّا رأى باقي الملوك من الهند ما لقي هؤلاء أذعنوا بالطاعة، وحملوا الأموال، وطلبوا الأمان والإقرار على بلادهم، فأُجيبوا إلى ذلك.

---

(١) من (أ).
(٢) في (أ): «بدوبالي هرب به». وفي نسخة بودليان رقم ٧٣ «هربابة»، ورقم ٦٦١ «هريابه».
(٣) في (أ): «المكان».
(٤) في (أ): «وسلموا».
(٥) في الباريسية: «بابت»، وفي نسخة بودليان رقم ٧٣ «بالرى بانت»، ورقم ٦٦١ «مانت بالري».
(٦) في (أ): «بالذي».
(٧) من الباريسية.

ذكر الخُلْف بين الملك أبي كاليجار وفرامرز بن علاء الدولة

في هذه السنة نكث الأمير أبو منصور فرامرز بن علاء الدولة بن كاكوَيْه، صاحب أصبهان، العهد الذي بينه وبين الملك أبي كاليجار، وسيّر عسكراً إلى نواحي كرْمان، فملكوا منها حصنَيْن وغنموا ما فيهما.

فأرسل الملك أبو كاليجار إليه في إعادتهما وإزالة الإعتراض عنهما، فلم يفعل، فجهّز عسكراً وسيره إلى أبرقوه، فحصرها وملكها، فانزعج فرامرز لذلك، وجهز عسكراً كثيراً وسيّره إليهم، فسمع الملك أبو كاليجار بذلك، فسيّر عسكراً ثانياً مدداً لعسكره الأوّل، والتقى العسكران فاقتتلوا وصبروا، ثمّ انهزم عسكر أصبهان، وأُسر مقدّمهم الأمير إسحاق بن يَنّال، واستردّ نوّاب أبي كاليجار ما كانوا أخذوه من كَرْمان.

ذكر أخبار التُّرْك بما وراء النهر

في هذه السنة، في صفر، أسلم من كُفّار التُّرْك الذين كانوا يطرقون بلاد الإسلام بنواحي بَلاسَاغُون وكاشْغَر[1]، ويغيرون ويعيثون، عشرة آلاف خركاة، وضحّوا يوم عيد الأضحى بعشرين[2] ألف رأس غنم، وكفى الله المسلمين شرّهم.

وكانوا يَصيفون بنواحي بُلغار، ويَشتون بنواحي بَلاسَاغون، فلمّا سلِموا تفرّقوا في البلاد، فكان في كلّ ناحيةٍ ألف خركاة، وأقلّ وأكثر لأمْنهم، فإنّهم إنما كانوا يجتمعون ليحمي بعضهم بعضاً من المسلمين، وبقي من الأتراك من لم يسلم تَتَر وخَطا، وهم بنواحي الصّين.

وكان صاحب بَلاسَاغون، وبلاد التُّرْك، شرف الدولة، وفيه دين، وقد أقنع من إخوانه وأقاربه بالطاعة، وقسم البلاد بينهم، فأعطى (أخاه أصلان تكين كثيراً من بلاد التُّرك، وأعطى أخاه بغراخان طِرَازَ وأسبيجاب، وأعطى عمّه طغاخان فَرغانة بأسرها)[3]، وأعطى ابن عليّ تكين بخارى وسَمَرْقَنْد وغيرهما، وقنع هو ببَلاسَاغون وكاشْغَر.

---

(١) في الأوربية: «وكاشغار».

(٢) في (أ): «نحو».

(٣) من الباريسية.

ذكر أخبار الروم والقسطنطينيّة

في هذه السنة، في صفر أيضاً، ورد إلى القُسطنطينيّة عددٌ كثير من الروس في البحر، وراسلوا قُسطنطينَ ملك الروم بما لم تجر به عادتهم، فاجتمعت الروم على حربهم، وكان بعضهم قد فارق المراكب إلى البرّ، وبعضهم فيها، فألقى الروم في مراكبهم النار، فلم يهتدوا إلى إطفائها، فهلك كثير منهم بالحرق والغَرق، وأمّا الذين على البرّ فقاتلوا، وأبلَوا، وصبروا، ثم انهزموا، فلم يكن لهم ملجأ، فمن استسلم أوّلاً استرق وسلِم، ومن امتنع، حتّى أُخذ قهراً، قطع الروم أَيْمانَهم، وطيف بهم في البلد، ولم يسلم منهم إلاّ اليسير مع ابن ملك الروسية، وكُفي الروم شرّهم.

ذكر طاعة المعزّ بإفريقية للقائم بأمر الله

في هذه السنة أظهر المعزُّ ببلاد إفريقية الدعاء للدولة العبّاسيّة، وخطب للإمام القائم بأمر الله، أمير المؤمنين، ووردت عليه الخِلع والتقليد ببلاد إفريقية وجميع ما يفتحه، وفي أوّل الكتاب الذي مع الرسل: «من عبدالله ووليّه أبي جعفر القائم بأمر الله أمير المؤمنين إلى الملك الأوحد، ثقة الإسلام، وشرف الإمام، وعمدة الأنام ناصر دين الله، قاهر أعداء الله، ومُؤيّد سُنّة رسول الله ﷺ، أبي تميم المعزّ بن باديس بن المنصور وليّ أمير المؤمنين بولاية جميع المغرب، وما افتتحه بسيف أمير المؤمنين»؛ وهو طويل.

وأُرسل إليه سيف وفرس وأعلام على طريق القُسطنطينيّة. فوصل ذلك يوم الجمعة، فدخل به إلى الجامع، والخطب ابن الفاكاة[1] على المنبر يخطب الخطبة الثانية، فدخلت الأعلام[2]، فقال: هذا لواء الحمد يجمعكم. وهذا معزُّ الدين يسمعكم. وأستغفر الله لي ولكم. وقُطعت الخطبة للعلويّين من ذلك الوقت، وأُحرقت أعلامهم[3].

---

(١) في نسخة بودليان رقم ٧٣ «الفكاه»، ورقم ٦٦١ «الفاكه»، وفي (أ): «الفاكاه».
(٢) في الباريسية: «جمعة الأعلام فنصب الأعلام».
(٣) نهاية الأرب ٢٤/ ٢٠٩، المؤنس ٧٢، البيان المغرب ١/ ٣٩٧ (سنة ٤٣٣ هـ.)، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٦٧، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٤٩.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة جرت حرب بين ابن الهيثم، صاحب البَطِيحة، وبين الأجناد من الغُزّ والدَّيلم، فأحرق الجامدة وغيرها، وخطب الجُند للملك أبي كاليجار.

وفيها أرسل الخليفة القائم بأمر الله اقضى القضاة أبا الحسن عليَّ بن محمّد بن حبيب الماورديَّ، الفقيه الشافعيَّ، إلى السلطان طُغْرُلْبك قبل وفاة جلال الدولة، وأمره أن يقرّر الصُّلح بين طُغْرُلْبك والملك جلال الدولة وأبي كاليجار، فسار إليه وهو بجُرجان، فلقَيه طُغْرُلْبك على أربعة فراسخ إجلالاً لرسالة الخليفة، وعاد الماورديُّ سنة ستٍّ وثلاثين [وأربعمائة]، وأخبر عن طاعة طُغْرُلْبك للخليفة، وتعظيمه لأوامره ووقوفه عنده[١].

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي عبيد[٢] الله بن أحمد بن عثمان بن الفَرَج بن الأزْهر أبو القاسم (ابن أبي الفتح)[٣] الأزهريُّ (الصَّيْرفيُّ المعروف بابن السوادي[٤] شيخ الخطباء أبي بكر)[٥]، وكان إماماً في الحديث، ومن تلامذته الخطيب البغداذيُّ.

---

(١) المنتظم ٨/١١٦ (١٥/٢٨٩)، العبر ٣/١٨٢، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٢٧، البداية والنهاية ١٢/٥١، شذرات الذهب ٣/٢٥٤.

(٢) في طبعة صادر ٩/٥٢٣ «عبد»، والتصويب من مصادر ترجمته التي ذكرتها في (تاريخ الإسلام ٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٤١٨ رقم ١٤٧، ومن نسخة بودليان.

(٣) إضافة من (أ).

(٤) في طبعة صادر ٩/٥٢٣ «السواري» بالراء، والتصويب من المصادر، ومن نسخة بودليان. قال الخطيب: ذكر لي أن جدّه عثمان من أهل إسكاف، قدم بغداد واستوطنها، فعُرف بالسوادي. (تاريخ غداد ١٠/٣٨٥).

(٥) ما بين القوسين من الباريسية.

٤٣٦
ثم دخلت سنة ست وثلاثين وأربعمائة

ذكر قتل الإسماعيليّة بما وراء النهر

في هذه السنة أوقع بغراخان، صاحب ما وراء النهر، بجمعٍ كثيرٍ من الإسماعيليّة.

وكان سبب ذلك أنّ نفراً منهم قصدوا ما وراء النهر، ودعوا إلى طاعة المستنصر بالله العلويّ، صاحب مصر، فتبِعهم جمْعٌ كثير، وأظهروا مذاهبَ[1] أنكرها أهل تلك البلاد.

وسمع ملكها بغراخان خبرهم. وأراد الإيقاع بهم، فخاف أن يسلم منه بعض مَن أجابهم من أهل تلك البلاد، فأظهر لبعضهم أنّه يميل إليهم، ويريد الدخول في مذاهبهم، وأعلمهم ذلك، وأحضرهم مجالسه، ولم يزل حتى علم جميع مَن أجابهم إلى مقالتهم، فحينئذ قتل من بحضرته منهم، وكتب إلى سائر البلاد بقتل من فيها، ففُعل بهم ما أمر، وسلمت تلك البلاد منهم.

ذكر الخطبة للملك أبي كاليجار وإصعاده إلى بغداذ

قد ذكرنا لمّا تُوُفّي الملك جلال الدولة ما كان من مراسلة الجُند الملك أبا كاليجار والخطبة له. فلمّا استقرّت القواعد بينه وبينهم أرسل أموالاً فُرّقت على الجُند ببغداذ، وعلى أولادهم، وأرسل عشرة آلاف دينار للخليفة ومعها هدايا كثيرة، فخُطب له ببغداذ في صفر، وخطَب له أيضاً أبو الشوك في بلاده، ودُبيس بن مَزْيد ببلاده،

---

(١) في الأوربية: «المذاهب».

ونصر الدولة بن مروان بديار بكر، ولقّبه الخليفة محيي الدين، وسار إلى بغداذ في مائة فارس من أصحابه لئلّا تخافه الأتراك.

فلمّا وصل إلى النُّعمانيّة لقِيه دُبيس بن مَزْيد، ومضى إلى زيارة المشهدَيْن بالكوفة وكَرْبلاء[1]، ودخل إلى بغداذ في شهر رمضان ومعه وزيره ذو السعادات أبو الفَرج محمّد بن جعفر بن محمّد بن فسانجس، ووعده الخليفة القائم بأمر الله أن يستقبله، فاستعفى من ذلك، وأخرج عميد الدولة (أبا سعد بن عبد الرحيم وأخاه كمال الملك وزيرَيْ جلال الدولة)[2] من بغداذ، فمضى أبو سعد إلى تَكريت، وزُيّنت بغداذ لقدومه، وأمر فخُلع على أصحاب الجيوش، وهم: البساسيريُّ[3]، والنشاووريُّ، والهُمام أبو اللّقاء، وجرى من وُلاة العرض تقديمٌ لبعض الجُند وتأخير، فشَغب بعضهم، وقتلوا واحداً من وُلاة العرض بمرأى من الملك أبي كاليجار، فنزل في سُميريّة بكِنْكِوَر، وانحدر خوفاً من انخراق[4] الهيبة، وأصعد بفم الصِّلْح[5].

[وفاة الجرجرائيّ]

وفي رمضان منها توفّي أبو القاسم عليُّ بن أحمد الجرجرائيُّ[6] وزير الظاهر والمستنصر الخليفتَيْن، وكان فيه كفاية، وشهامةٌ، وأمانة، وصلّى عليه المستنصر بالله.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة نزل الأمير أبو كاليجار كرشاسف بن علاء الدولة من كِنْكِوَرَ وقصد هَمَذان فملكها، وأزاح عنها نوّاب السلطان طُغْرُلْبك، وخطب للملك أبي كاليجار، وصار في طاعته.

---

(١) من (أ).

(٢) ما بين القوسين من (أ).

(٣) في الباريسية: «الفساسيري».

(٤) في الأوربية: «انخراف».

(٥) المنتظم ٨/١١٩ (١٥/٢٩٢)، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٢٩، دول الإسلام ١/٢٥٨، مآثر الإنافة ١/٣٣٧.

(٦) تاريخ حلب (زعرور) ٣٣٧، (سويم) ٥، المنتظم ٨/١١٩ (١٥/٢٩٣)، المنتقى من أخبار مصر لابن ميسّر ٤، الإشارة إلى من نال الوزارة ٣٧، ٣٨، نهاية الأرب ٢٨/٢١٥، ٢١٦، الدرّة المضيّة ٣٥٦، تاريخ الإسلام (٤٢١/٤٤٠ هـ.) ص ٣٢٩، البداية والنهاية ١٢/٥٢، اتعاظ الحنفا ٢/١٩١.

وفيها أمر الملك أبو كاليجار[1] ببناء سور مدينة شِيراز، فبُني وأُحكم بناؤه، وكان دوره اثني عشر ألف ذراع، وعرضه ثمانية أذرع، وله أحد عشر باباً، وفُرغ منه سنة أربعين وأربعمائة.

وفيها نُقل تابوت جلال الدولة من داره إلى مشهد باب التبن، إلى تُربة له هناك[2].

وفيها استوزر السلطان طُغْرُلْبَك وزيرَه أبا القاسم عليَّ بن عبدالله الجُوَيْنيَّ، وهو أوّل وزيرٍ وَزَرَ له، ثم وَزَرَ له بعده رئيس الرؤساء أبو عبدالله الحسين بن عليّ بن ميكائيل، ثم وَزَرَ له بعده نظام المُلْك أبو محمّد الحسن[3] بن محمّد الدِّهِستانيُّ، وهو أوّل من لُقّب نظام المُلْك، ثم وَزَرَ له بعده عميد المُلْك الكُندريُّ، وهو أشهرهم، وإنّما اشتهر لأنّ طُغْرُلْبك، في أيّامه، عظُمَت دولته، ووصل إلى العراق، وخُطب له بالسلطنة، وسيرد في أخباره ما فيه كفاية، فلا حاجة إلى ذكرها هاهنا.

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي الشريف المرتضى[4] أبو القاسم عليّ أخو الرضيّ في آخر[5] ربيع الأوّل، ومولده سنة خمسٍ وخمسين وثلاثمائة، ووليَ نقابَة العلويّين بعده أبو أحمد عدنان ابن أخيه الرضيّ.

وفيها توفّي القاضي أبو عبدالله (الحسين بن عليّ بن محمّد)[6] الصَّيمريُّ[7]، وهو شيخ أصحاب أبي حنيفة في زمانه، ومن جملة تلامذته القاضي أبو عبدالله

---

(١) من (أ).

(٢) المنتظم ٨/١١٨ (١٥/٢٩٢)، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٢٩.

(٣) في (أ): «الحسين».

(٤) انظر عن (الشريف المرتضى) في: تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٤٣٣، ٤٣٤ رقم ١٧٧ وقد حشدت فيه عشرات المصادر لترجمته.

(٥) من (أ).

(٦) من الباريسية.

(٧) انظر عن (الصَّيْمري) في: تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٤٢٥، ٤٢٦ رقم ١٦١ وفيه حشدت مصادر ترجمته. وهو منسوب إلى «الصَّيمر» نهر من أنهار البصرة. (الأنساب ٨/١٢٧).

الدّامَغانيُّ، ومولده سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة، ووليَ بعده قضاء الكرْخ القاضي أبو الطيّب الطبريُّ مُضافاً إلى ما كان يتولاّه من القضاء بباب الطّاق.

وفيها توفّي القاضي أبو الحسن عبد الوّهاب بن منصور[1] بن المشتري قاضي خُوزستان وفارس، وكان شافعيَّ المذهب.

وفيها أيضاً توفّي أبو الحسين محمّد بن عليّ البصْريُّ[2]، المتكلّم المعتزليُّ، صاحب التصانيف المشهورة.

---

(١) انظر عن (عبد الوهاب بن منصور) في: المنتظم ٨/١٢٠ رقم ١٦٢ (١٥/٢٩٣، ٢٩٤ رقم ٣٢٥٦)، وتاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٤٣٠، رقم ١٧١ وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/٢٨٦.

(٢) انظر عن (محمد بن علي البصري) في: تاريخ الاسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٤٣٩، ٤٤٠ رقم ١٨٦ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

٤٣٧
ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وأربعمائة

ذكر وصول إبراهيم يَنّال إلى هَمذان وبلد الجبل

في هذه السنة أمر السلطان طُغْرُلْبك أخاه إبراهيم يَنّال بالخروج إلى بلد الجبل وملكها، فسار إليها من كَرمان، وقصد هَمذان، وبها كرشاسف بن علاء الدولة، ففارقها خوفاً، ودخلها يَنّال فملكها، والتحق كرشاسف بالأكراد الجوزقان.

وكان أبو الشوك حينئذ بالدِّينَور، فسار عنها إلى قَرميسِين خوفاً وإشفاقاً من يَنّال، فقوي طمع ينّال حينئذٍ في البلاد، وسار إلى الدِّينَور فملكها ورتّب أمورها، وسار منها يطلب قَرميسِين.

(فلمّا سمع أبو الشوك به سار إلى حُلوان وترك بقَرمِيسين)[١] من في عسكره من الدّيلم، والأكراد الشاذنجان، ليمنعوها ويحفظوها، ووافاهم يَنّال جريدةً، فقاتلوه، فدفعوه عنها، فانصرف عنهم وعاد بخركاهاته وحِلَله، فقاتلوه، فضعفوا عنه وعجزوا عن منعه، فملك البلد في رجب عَنوةً، وقتل من العساكر جماعة كثيرة، وأخذ أموال مَن سلم من القتل، وسلاحهم، وطردهم، ولحِقوا بأبي الشوك، ونهب البلد وقتل وسبى[٢] كثيراً من أهله[٣].

ولمّا سمع أبو الشوك ذلك سيّر أهله وأمواله وسلاحه من حُلوان إلى قلعة السِّيروان، وأقام جريدةً في عسكره، ثم إنّ ينّال سار إلى الصيَّمْرة في شعبان، فملكها ونهبها، وأوقع بالأكراد المجاورين لها من الجوزقان، فانهزموا، وكان كرشاسف بن

---

(١) من (أ).

(٢) في الأوربية: «وسبا».

(٣) المنتظم ٨/٣٢٨ (١٥/٣٠٣).

علاء الدولة نازلاً عندهم، فسار هو وهم إلى بلد شهاب الدولة أبي الفوارس منصور بن الحسين.

ثمّ إنّ إبراهيم يَنّال سار إلى حُلوان، وقد فارقها أبو الشوك، ولحِق بقلعة السِّيروان، فوصل إليها[1] إبراهيم آخر شعبان، وقد جلا أهلها عنها، وتفرّقوا في البلاد، فنهبها وأحرقها، وأحرق دار أبي الشوك، وانصرف بعد أن اجتاحها ودرسها.

وتوجّه طائفة من الغُزّ إلى خَانقين في أثر جماعة من أهل حُلوان كانوا ساروا بأهليهم وأولادهم وأموالهم، فأدركوهم وظفروا بهم وغنموا ما معهم، وانتشر الغُزّ في تلك النواحي، فبلغوا مَايَدَشْتَ وما يليها فنهبوها وأغاروا عليها.

فلمّا سمع الملك أبو كاليجار هذه الأخبار أزعجتْه وأقلقتْه، وكان بخُوزستان، فعزم على المسير، ودفْع يَنّال ومَن معه من الغُزّ عن البلاد، فأمر عساكره بالتجهّز للسفر اليهم، فعجزوا عن الحركة لكثرة ما مات من دوابّهم، فلمّا تحقّق ذلك سار نحو بلاد فارس، فحمل العسكر أثقالهم على الحمير..

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في المحرّم، خُطب للملك أبي كاليجار بأصبهان وأعمالها وعاد الأمير أبو منصور بن علاء الدولة إلى طاعته.

وكان سبب ذلك أنّه لمّا عصى على الملك أبي كاليجار، وقصد كَرمان، على ما ذكرناه، والتجأ إلى طاعة طُغْرُلْبك، لم يبلغ ما كان يؤمّله من طُغْرُلْبك، فلمّا عاد طُغْرُلْبك إلى خُراسان خاف أبو منصور من الملك أبي كاليجار، فراسله في العَود إلى طاعته، فأجابه إلى ذلك واصطلحا.

وفيها اصطلح أبو الشوك وأخوه مُهلهِل. وكانا متقاطعين من حين أسر مهلهِل أبا الفتح بن أبي الشوك، وموت أبي الفتح في سجنه. فلمّا كان الآن وخافا من الغُزّ تراسلا في الصلح، واعتذر مُهلهِل، وأرسل ولدَهُ أبا الغنائم إلى أبي الشوك، وحلف له أنّ أبا الفتح توفّي حتف أنفه من غير قتْل، وقال: هذا ولدي تقتله عِوَضه؛ فرضي أبو الشوك، وأحسن إلى أبي الغنائم، وردّه إلى أبيه، واصطلحا واتّفقا.

---

(١) في (أ): «وأخذها الملك».

وفيها، في جُمادى الأولى، خلع الخليفة على أبي القاسم عليّ بن الحسن بن المسلمة، واستوزره، ولقّبه رئيس الرؤساء، وهو ابتداء حاله[١].

وكان السبب في ذلك أنّ ذا السعادات بن فسانجس، وزير الملك أبي كاليجار، كان يسيء الرأي في عميد الرؤساء، وزير الخليفة، فطلب من الخليفة أن يعزله، فعزله واستوزر رئيس الرؤساء نيابةً، ثمّ خلع عليه وجلس في الدَّسْت.

وفيها، في شعبان، سار سُرخاب بن محمّد بن عنّاز أخو أبي الشوك إلى البَندَنِيجَين وبها سعْدي بن أبي الشوك، ففارقها سعدي ولحِق بأبيه، ونهب سُرخاب بعضها، وكان أبو الشوك قد أخذ بلد سرخاب ما عدا دَزدِيلُوية[٢] وهما متباينان لذلك.

وفيها، في آخر رمضان، توفّي أبو الشوك فارس بن محمّد بن عنّاز بقلعة السِّيروان، وكان مرض لمّا سار إلى السِّيروان (من حُلوان، ولمّا توفّي غدر الأكراد بابنه)[٣] سعْدي، وصاروا مع عمّه مُهلهِل، فعند ذلك مضى سعْدي إلى إبراهيم يَنّال، وأتى بالغُزّ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها قُتل عيسى بن موسى الهذبانيُّ صاحب إربل، وكان خرج إلى الصيد، فقتله ابنا أخٍ له، وسارا إلى قلعة إربل فملكاها؛ وكان سلّار بن موسى، أخو المقتول، نازلاً على قِرواش بن المقلّد، صاحب الموصل، لنفرةٍ كانت بينه وبين أخيه، فلمّا قُتل سار قِرواش مع السلّار إلى إربل، فملكها وسلّمها إلى السلّار، وعاد قِرواش إلى الموصل.

وفيها كانت ببغداذ فتنة بين أهل الكرْخ وباب البصرة، وقتال اشتدّ قُتل فيه جماعة[٤].

(وفيها وقع البلاء والوباء في الخيل، فهلك من عسكر الملك أبي كاليجار اثنا[٥]

---

(١) المنتظم ٨/ ١٢٧ (١٥/ ٣٠٢).
(٢) في (أ): «دردي لوني»، وفي نسخة بودليان «درديلويه».
(٣) في (أ): «هو ومن معه من العساكر والأجناد والقواد ومع أخيه».
(٤) المنتظم ٨/ ١٢٧ (١٥/ ٣٠٢)، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٣، البداية والنهاية ١٢/ ٥٤.
(٥) في الأوربية: «اثني».

عشر ألف فرس، وعمّ ذلك البلاد[1])[2].

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي عليُّ بن محمّد بن نصر[3] أبو الحسن الكاتب بواسط، صاحب الرسائل المشهورة.

---

(١) المنتظم ١٢٨/٨ (١٥/ ٣٠٢، ٣٠٣)، المختصر في أخبار البشر ١٦٨/٢، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٣١، تاريخ ابن الوردي ٣٤٩/١، البداية والنهاية ١٢/ ٥٤.

(٢) ما بين القوسين من الباريسية.

(٣) المنتظم ١٢٩/٨ (١٥/ ٣٠٤)، البداية والنهاية ١٢/ ٥٤.

٤٣٨
ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة

ذكر ملك مُهَلْهِل قَرمِيسين والدِّينور

في هذه السنة ملك مُهَلْهِل بن محمّد بن عنّاز مدينة قَرمِيسِين والدِّينَوَر.

وسبب ذلك أنّ إبراهيم يَنّال كان قد استعمل عند عَوده من حُلوان على قَرميسِين بدرَ بن طاهر بن هلال، فلمّا ملك مُهلهِل، بعد موت أخيه أبي الشوك، سار إلى مَايَدَشْتَ، ونزل (بها، ثم توجّه نحو قَرمِيسِين، فانصرف عنها بدر، فملكها)[1] مُهلهِل، وسيّر[2] ابنَهُ محمداً إلى الدِّينَور، وبها عساكر يَنّال، فاقتتلوا، فقُتل بَين الفريقَيْن جماعة، وانهزم أصحاب يَنّال، وملك محمّد البلد.

ذكر اتّصال سعْدي بن أبي الشوك بإبراهيم يَنّال وما كان منه

في هذه السنة، في شهر ربيع الأوّل، فارق سعْدي بن أبي الشوك عمَّهُ مُهلهِلاً، ولحِق بإبراهيم يَنّال فصار معه.

وسبب ذلك أنّ عمّه تزوّج أمّه وأهمل جانبه واحتقره، وكذلك أيضاً قصّر في مراعاة الأكراد الشاذنجان، فراسل سعْدي إبراهيمَ يَنّال في اللّحاق به، فأذِن له في ذلك، ووعده أن يملكه ما كان لأبيه، فسار إليه في جماعة من الأكراد الشاذنجان، فقوي بهم، فأكرمه يَنّال، وضمّ إليه جمعاً من الغُزّ وسيّره إلى حُلوان فملكها،

---

(١) في (أ): «هو وأصحابه من الجنود والقواد والعساكر وأما».
(٢) في (أ): «سير».

(وخطب فيها لإبراهيم يَنّال في شهر ربيع الأوّل، وأقام بها أيّاماً، ورجع إلى مَايَدَشْتَ، فسار عمّه مُهلهِل إلى حُلوان فملكها)[1] وقطع منها خطبة يَنّال.

فلمّا سمع سعْدي بذلك سار إلى حُلوان، ففارقها عمّه مُهلهِل إلى ناحية بَلّوطة، وملك سعْدي حُلوان وسار إلى عمّه سُرخاب فكبَسه ونهب ما كان معه، وسيّر جمعاً إلى البَنْدَنِيجَيْن، فاستولوا عليها وقبضوا على نائب سُرخاب بها، ونهبوا بعضها، وانهزم سُرخاب، فصعد إلى قلعة دَزْدِيلوَية[2]، ثمّ عاد سعْدي إلى قَرمِيسِين، فسيّر عمّه مُهلهل ابنَه بدراً إلى حُلوان فملكها، فجمع سعْدي وأكثر وعاد إلى حُلوان، ففارقها من كان بها من أصحاب عمّه إلاّ من كان بالقلعة، وملكها سعدي، وكان قد صحِبه كثيرٌ من الغُزّ، فسار بهم منها إلى عمّه مُهلهِل، وترك بها من يحفظها، فلما علم عمه بقربه منه سار بين يديه إلى قلعة تيرانشاه بقرب شهرزور، فاحتمى بها، وملك الغُزُّ كثيراً من النواحي والمواشي، وغنموا كثيراً من الأموال والدوابّ.

فلمّا رأى سعدي تحصُّنَ عمّه منه خاف على مَن خلّفه بحُلوان فعاد عازماً على محاصرة القلعة، فمضى[3] وحصرها، وقاتله من بها من أصحاب عمّه، ونهب الغُزُّ حُلوان، وفتكوا فيها وافتضّوا الأبكار، وأحرقوا المساكن، وتفرّق الناس، وفعلوا في تلك النواحي جميعها أقبح فعل.

ولمّا سمع أصحاب الملك أبي كاليجار ووزيره هذه الأخبار ندبوا العساكر إلى الخروج إلى مُهلهِل ومساعدته على ابن أخيه، ودفْعه عن هذه الأعمال، فلم يفعلوا.

ثم إنّ سعْدي أقطع أبا الفتح بن ورّام البَنَدنِيجَيْن، واتّفقا، واجتمعا على قصد عمّه سُرخاب بن محمد بن عنّاز، وحصْره بقلعة دزدِيلوية[4]، فسارا فيمن معهما من العساكر، فلمّا قاربوا القلعة دخلوا في مَضيق هناك من غير أن يجعلوا لهم طليعة طمعاً فيه وإدلالاً بقوّتهم، وكان سُرخاب قد جعل على رأس الجبل، على فم المضيق، جمعاً من الأكراد، فلمّا دخلوا المضيق لقيهم سُرخاب، وكان قد نزل من القلعة،

---

(١) ما بين القوسين من (أ).

(٢) في نسخة بودليان، «درديلويه»، وفي (أ): «دردلويه».

(٣) في (أ): «فنازلها».

(٤) في (أ): «درديلويا».

فاقتتلوا، وعادوا ليخرجوا من المضيق، فتقطّرت[1] بهم خيلهم، فسقطوا عنها ورماهم الأكراد الذين على الجبل، فوهنوا وأُسر سعْدي وأبو الفتح بن ورّام وغيرهما من الرؤوس، وتفرّق الغُزُّ والأكراد من تلك النواحي، بعد أن كانوا قد توطّنوها وملكوها.

ذكر حصار طُغْرُلْبَك أصبهان

في هذه السنة حصر طُغْرُلْبَك مدينة أصبهان، وبها صاحبها أبو منصور فرامرز بن علاء الدولة، فضيق عليه، ولم يظفر من البلد بطائل، ثم اصطلحوا على مال يحمله فرامرز بن علاء الدولة لطُغْرُلْبك، وخطب[2] له بأصبهان وأعمالها[3].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة خرج من التُرْك من بلد التُّبّت خلْقٌ لا يُحصَون كثرةً، فراسلوا أرسلان خان، صاحب بلاساغون[4]، يشكرونه على حُسن سيرته في رعيّته، ولم يكن منهم تعرُّض إلى مملكته، ولكنّهم أقاموا بها، وراسلهم ودعاهم إلى الإسلام، فلم يجيبوا، ولم ينفروا منه[5].

وفيها تُوُفّي أبو الحسن الخَيشيُّ[6] النَّحْويُّ. (في ذي الحجّة)[7]، وله نيِّف وتسعون[8] سنة.

---

(١) في (أ): «فقنطرت».

(٢) في (أ): «ويخطب».

(٣) الإنباء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني ١٨٨، نهاية الأرب ٢٦/٢٨٦، العبر ٣/١٨٨، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٣٢، دول الإسلام ١/٢٥٨، المختصر في أخبار البشر ٢/٦٥، تاريخ ابن الوردي ١/٣٤٨.

(٤) في تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٣٣ «بلا شاغون».

(٥) تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٣٢، ٣٣٣.

(٦) هو: محمد بن محمد بن عيسى، انظر عنه في: الإكمال ٣/٢٤٠، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ) ص ٤٦٥ ـ ٤٦٧ رقم ٢٤٢، وبغية الوعاة ١/٢٣٢ رقم ٤٢٠.

(٧) من (أ).

(٨) في (أ): «وسبعون».

وفيها انحدر علاء الدين أبو الغنائم ابن الوزير ذي السعادات إلى البطائح وحصرها، وبها صاحبها أبو نصر بن الهيثم، وضيّق عليه، واجتمع مع جمْعٍ كثير.

[الوَفيَات]

وفيها، في ذي القعدة، تُوُفّي عبدالله بن يوسف أبو محمّد الجُوَيْنيُّ[1]، والد إمام الحرمَيْن أبي المعالي، وكان إماماً في الشافعيّة، تفقّه على أبي الطيّب سهل بن محمّد الصُعْلُوكيّ، وكان عالماً بالأدب وغيره من العلوم، (وهو من بني سِنْبِسٍ، بطن من طيّء)[2].

(١) انظر عن (الجويني) في: تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٤٦٠، ٤٦١ رقم ٢٢٨ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) من المجلّد الثالث من النسخة الباريسية رقم ٧٤٠، وكذا في (أ).

٤٣٩
ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وأربعمائة

ذكر صلح الملك أبي كاليجار والسلطان طُغْرُلْبَك[١]

في هذه السنة أرسل الملك أبو كاليجار إلى السلطان ركن الدين طُغْرُلْبَك في الصلح، فأجابه إليه، واصطلحا، وكتب طُغْرُلْبَك إلى أخيه يَنّال يأمره بالكفّ عمّا وراء ما بيده، واستقرّ الحال بينهما أن يتزوّج[٢] طُغْرُلْبَك بابنة أبي كاليجار ويتزوّج الأمير أبو منصور بن أبي كاليجار بابنة الملك داود أخي طُغْرُلْبَك، وجرى العقد في شهر ربيع الآخر من هذه السنة.

ذكر القبض على سُرْخاب أخي أبي الشوك

في هذه السنة قبض الأكراد اللُّرِيّة وجماعة من عسكر سُرخاب عليه، لأنّه أساء السيرة معهم ووترهم، فقبضوا عليه، وحملوه إلى إبراهيم يَنّال، فقلع إحدى عينَيْه، وطالبه بإطلاق سعْدي بن أبي الشوك فلم يفعل[٣].

وكان أبو العسكر بن سُرخاب قد غاضبه لمّا قبض على سعدي، واعتزله كراهيةً لفعله، فلمّا أُسر أبوه سُرخاب سار إلى القلعة وأخرج سعدي ابنَ عمّه، وفكّ قيوده، وأحسن إليه وأطلقه، وأخذ عليه بطرح ما مضى، والسعي في خلاص والده سُرخاب، فسار سعْدي، واجتمع عليه خلْقٌ كثير من الأكراد، ووصل إلى إبراهيم يَنّال، فلم يجد

---

(١) من هنا يبدأ المجلّد الرابع من النسخة الباريسية رقم ٧٤٠، و(أ).

(٢) في الأوربية: «تزوّج».

(٣) المنتظم ٨/ ١٣١ (١٥/ ٣٠٨)، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٣٤، البداية والنهاية ٢/ ٥٦.

عنده الذي أراد، ففارقه وعاد إلى الدَّسكرة، وكاتب الخليفة ونوّاب الملك أبي كاليجار بالعَود إلى الطاعة وأقام بها.

ذكر ملك إبراهيم يَنّال قلعة كِنْكِوَر وغيرها

في هذه السنة سار إبراهيم يَنّال إلى قلعة كِنْكِوَر، وبها عُكبر بن فارس، صاحب كرشاسف، بن علاء الدولة يحفظها له، فامتنع عُكبر بها إلى أن فنيت ذخائره، وكانت قليلة، فلمّا نفدت الذخائر عمد إلى بيوت الطعام التي في القلعة وملأها تراباً وحجارة، وسدّ أبوابها، ونثر من داخل الأبواب شيئاً من طعام، وعلى رأس التراب والحجارة كذلك أيضاً، وراسل إبراهيمَ في تسليم القلعة إليه، على أن يُؤمّنه على من بها من الرجال، وما بها من الأموال، فأرسل إليه إبراهيم يمتنع عليه من ترك المال، فأخذ عُكبر رسولَ إبراهيم فطوّفه على البيوت التي فيها الطعام، وفتح مواضع من المسدود فرآها مملوءة، فظنّها طعاماً، وقال له عُكبر: ما راسلتُ صاحبك خوفاً من المطاولة، ولا إشفاقاً من نفاد الميرة، لكنّني أحببتُ الدخول في طاعته، فإنْ بذل لي الأمان على ما طلبته لي وللأمير كرشاسف وأمواله، ولمن بالقلعة، سلمّتُ إليه، وكفيتُهُ مؤونةَ المقام.

فلمّا عاد الرسول إلى إبراهيم وأخبره أجابه إلى ما طلب، ونزل عُكبر، وتسلّمها إبراهيم، فلمّا صعِد إلى القلعة انكشفت الحيلة، وسار عُكبر بمن معه إلى قلعة سَرْمَاج، وصعِد إليها.

ولمّا ملك يَنّال كِنْكِوَر عاد إلى هَمَذان، فسيّر جيشاً لأخذ قلاع سُرخاب، واستعمل عليهم نسيباً له اسمه أحمد، وسلّم إليه سُرخاباً ليفتح به قلاعه، فسار به إلى قلعة كَلكان، فامتنعتْ عليه، فساروا إلى قلعة دَزْديلوية[1] فحصروها، وامتدت طائفة منهم إلى البَندَنِيجَيْن فنهبوها في جمادى الآخرة، وفعلوا الأفاعيل القبيحة من النهب والقتل وافتراش النساء والعقوبة على تخليص الأموال، فمات منهم جماعة لشدّة الضرب.

---

(١) في (أ): «درديلويه».

وسارت طائفة منهم إلى أبي الفتح بن وَرَّام، فانصرف عنهم خوفاً منهم، وترك حلله بحالها، وقصد[1] أن يشتغلوا بنهب حلله، فيعود عليهم، فلم يعرّجوا على النهب وتبعوه، فلشدّة خوفه أن يظفروا به ويأخذوه قاتلهم، فظفر بهم، وقتل وأسر جماعة منهم، وغنِم ما معهم، ورجع الباقون، وأرسل إلى بغداذ يطلب نجدةً خوفاً من عَودهم، فلم يُنجدوه لعدم الهيبة وقلّة إمساك[2] الأمر، فعبر بنو ورَّام دجلة إلى الجانب الغربيّ.

ثمّ إن الغُزّ أسَروا إلى سعدي بن أبي الشوك في رجب، وهو نازلٌ على فرسخَيْن من باجِسْرَى، وكبسوه، فانهزم هو ومن معه لا يلوي الأخر على أخيه، ولا الوالِد على ولده، فقُتل منهم خلْقٌ كثير، وغنم الغُزّ أموالهم، ونهبوا تلك الأعمال، وكان سعدي قد أنزل مالاً من قلعة السِّيروان، فوصله تلك الليلة، فغنمه الغُزُّ إلاّ قليلاً منه سلِم معه، ونجا سعدي من الوقعة بجُرَيْعة الذقن، ونهب الغُزُّ الدَّسكرة، وباجِسْرى، والهارونيّة، وقصر سابور وجميع تلك الأعمال.

ووصل الخبر إلى بغداذ بأنّ إبراهيم يَنّال عازم على قصد بغداذ، فارتاع الناس، واجتمع الأمراء والقوّاد إلى الأمير أبي منصور ابن الملك أبي كاليجار ليجتمعوا ويسيروا إليه ويمنعوه، واتّفقوا على ذلك، فلم يخرج غير خِيَم الأمير أبي منصور والوزير ونفر يسير، وتخلّف الباقون، وهلك من أهل تلك النواحي المنهوبة خلْقٌ كثير، فمنهم مَن قُتِل، ومنهم من غرق، ومنهم من قتله البرد.

ووصل سعْدي إلى دَيالى، ثم سار منها إلى أبي الأغرّ دُبيس بن مَزيد فأقام عنده. ثمّ إنّ إبراهيم يَنّال سار إلى السِّيروان، فحصر القلعة، وضيّق على من بها، وأرسل سريّة نهبت البلاد، وانتهت إلى مكان بينه وبين تكريت عشرة فراسخ، ودخل بغداذ من أهل طريق خُراسان خلْقٌ كثير، وذكروا من حالهم ما أبكى العيون، ثم سلّمها إليه مستحفظها، بعد أن أمّنه على نفسه وماله، وأخذ منها ينّال من بقايا ما خلّفه سعْدي شيئاً كثيراً، ولمّا فتحها استخلف فيها مقدّماً كبيراً من أصحابه يقال له

(١) في (أ): «على».
(٢) في (أ): «إمتثال».

سَخت كمان، وانصرف إلى حُلوان، وعاد منها إلى هَمَذان ومعه بدر ومالك ابنا مهلهل فأكرمهما.

ثمّ إنّ صاحب قلعة سَرْمَاجَ توفّي، وهو من ولد بدر بن حَسنوَيْه، وسُلّمت القلعة بعدَه إلى إبراهيم يَنّال، وسيّر إبراهيم يَنّال وزيرَهُ إلى شَهروزر فأخذها وملكها، فهرب منه مُهلهِل، فأبعد في الهرب[1].

ثمّ نزل أحمد على قلعة تِيرانشاه وحاصرها، ونقب عليها عدّة نقوب؛ ثمّ إنّ مهلهِلاً راسل أهل شَهرزور يَعِدهم بالمسير إليهم في جَمْعٍ كثير، ويأمرهم بالوثوب بمن عندهم من الغُزّ، ففعلوا وقتلوا منهم، وسمع أحمد بن طاهر، فعاد إليهم وأوقع بهم ونهبهم، وقتل كثيراً منهم.

ثم إنّ الغُزّ المقيمين بالبَندَنِجَيْن ومن معهم ساروا إلى براز الروز، وتقدّموا إلى نهر السَّلِيل، فاقتتلوا هم وأبو دُلَف القاسم بن محمّد الجاوانيُّ قتالاً شديداً ظفر فيه[2] أبو دُلَف، وانهزم الغُزُّ وأُخذ ما معهم.

وسار، في ذي الحجّة، جمْعٌ من الغُزّ إلى بلد عليّ بن القاسم الكرديّ، فأغاروا وعاثوا، فأخذ عليهم المضيق وأوقع بهم وقتل كثيراً منهم، وارتجع ما غنموه من بلده.

ذكر استيلاء أبي كاليجار على البطيحة

في هذه السنة اشتدّ الحصار من عسكر الملك أبي كاليجار على أبي نصر بن الهيثم، صاحب البطيحة، فجنح إلى الصُّلح، فاشتطّ عليه أبو الغنائم ابن الوزير ذي السعادات، ثم استأمن نفرٌ من أصحاب أبي نصر وملاّحيه إلى أبي الغنائم، وأخبروه بضَعْف أبي نصر، وعزْمه على الانتقال من مكانه، فحفظ الطُرق عليه، فلمّا كان خامس صفر جرت وقعة كبيرة بين الفريقَيْن، واشتدّ القتال، فظفر أبو الغنائم، وقُتل من البطائحيّين جماعة كثيرة، وغرق منهم سفنٌ كثيرة، وتفرّقوا في الآجام، ومضى ابن الهيثم ناجياً بنفسه في زبزب، ومُلكت داره ونُهب ما فيها.

---

(١) في الباريسية: «الطلب».

(٢) في الأوربية: «فيها».

ذكر ظهور الأصْفَر وأسره

في هذه السنة ظهر الأصفر التَّغلِبيُّ برأسِ عينٍ، وادّعى أنّه من المذكورين في الكُتُب، واستغوى قوماً بمخاريق وضعها، وجمع جمْعاً وغزا نواحي الروم، فظفر وغنم وعاد، وظهر حديثه، وقوي ناموسه، وعاودوا الغزْوَ في عددٍ أكثر من العدد الأوّل، ودخل نواحي الروم وأوغل، وغنم أضعاف ما غنمه أوّلاً، حتّى بيعت الجارية الجميلة بالثمن البَخْس.

وتسامع الناس به فقصدوه، وكثُر جَمْعُه، واشتدّت شوكته، وثَقُلت على الروم وطأتُه. فأرسل ملك الروم إلى نصر الدولة بن مروان يقول له: إنّك عالمٌ بما بيننا من الموادعة، وقد فعل هذا الرجل هذه الأفاعيل، فإن كنتَ قد رجعتَ عن المهادنة فعرّفنا لندبّر أمرنا بحسبه.

واتّفق، في ذلك الوقت، أنْ وصل رسولٌ من الأصفر إلى نصر الدولة أيضاً، يُنكر عليه ترك الغزو والميل إلى الدَّعة، فساءه ذلك أيضاً، واستدعى قوماً من بني نُمير وقال لهم: إنّ هذا الرجل قد أثار الروم علينا، ولا قدرة لنا عليهم؛ وبذل لهم بذلاً على الفتك به، فساروا إليه، فقرّبهم، ولازموه، فركب يوماً غير متحرّز، فأبعد وهم معه، فعطفوا عليه وأخذوه وحملوه إلى نصر الدولة بن مروان، فاعتقله، وتلافى أمر الروم[1].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة تجدّدت الهدنة بين صاحب مصر وبين الروم، وحمل كلّ واحدٍ منهما لصاحبه هدّية عظيمة.

وفيها كان ببغداذ والموصل، وسائر البلاد العراقيّة والجَزَريّة، (غلاءٌ عظيم، حتى أكل الناس الميتة، وتبعه)[2] وباءٌ شديد مات فيه كثيرٌ من الناس[3]، حتّى خلت

---

(١) المنتظم ٨/١٣٢ (١٥/٣٠٨)، تاريخ الزمان لابن العبري ٩٦، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٣٤، البداية والنهاية ١٢/٥٦.

(٢) من الباريسية.

(٣) المنتظم ٨/١٣٢ (١٥/٣٠٨)، تاريخ الزمان ٩٦، المختصر في أخبار البشر ٢/١٦٨، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٣٤، تاريخ ابن الوردي ١/٣٥٠، البداية والنهاية ١٢/٥٦.

الأسواق، وزادت أثمان ما يحتاج إليه المرضى، حتّى بيع المنّ من الشراب بنصف دينار، ومنّ اللوز بخمسة عشر قيراطاً، والرمّانة بقيراطَيْن، والخيارة بقيراط، وأشباه ذلك[١].

وفيها جمع الأمير أبو كاليجار فنّاخسرو بن مجد الدولة بن بُوَيْه جَمْعاً، وسار إلى آمِد، فدخلها، وساعده أهلها، وأوقع بمن كان فيها من أصحاب طُغْرُلْبَك، فقتل وأسر؛ وعرف طُغْرُلْبَك ذلك، فسار عن الرَّيّ قاصداً إليه، ومتوجّهاً إلى قتاله.

وفيها توفّي عميد الدولة[٢] أبو سَعْد محمّد بن الحسين بن عبد الرحيم بجزيرة ابن عمر في ذي القعدة، وله شِعرٌ حَسَن، وَوَزَرَ لجلال الدولة عدّة دفعات.

وفيها سيّر المعزُّ بن باديس صاحب إفريقية أسطولاً إلى جزائر القُسطنطينيّة، فظفر وغنم وعاد.

وفيها اقتتلت طوائف من تلكاتَة[٣]، قاتل بعضهم بعضاً، وكان بينهم حرب صبروا فيها، فقُتل منهم خلق كثير.

وفيها قبض الملك أبو كاليجار على وزيره محمّد بن جعفر بن أبي الفَرَج الملقّب بذي السعادات بن فسانجس، وسجنه، وهرب ولده أبو الغنائم، وبقي الوزير مسجوناً إلى أن مات في شهر رمضان سنة أربعين [وأربعمائة]، وقيل أرسل إليه أبو كاليجار من قتله، وعمره إحدى وخمسون[٤] سنة[٥]، وللوزير ذي السعادات مكاتبات حَسَنة، وشِعر جيّد منه:

---

(١) انظر المصادر السابقة.

(٢) انظر عن (عميد الدولة) في: المنتظم ٨/ ١٣٤ رقم ١٨٥ (١٥/ ٣١١ رقم ٣٢٧٩)، وتاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٢٤ هـ.) ص ٤٧٦، ٤٧٧ رقم ٢٦٧، والبداية والنهاية ١٢/ ٥٦، والوافي بالوفيات ٣/ ٨، ٩ رقم ٨٦٤.

(٣) في الباريسية «بلدانة»، وفي (أ): «تلكانة».

(٤) في الأوربية: «وخمسين».

(٥) انظر عن الوزير (ابن فسانجس) في: دمية القصر للباخرزي (طبعة بغداد) ١/ ٢٨٧ رقم ١٠٣، وأخبار الحمقى والمغفّلين لابن الجوزي ٩٩، والمنتظم ٨/ ١٣٨، ١٣٩ رقم ١٩٣ (١٥/ ٣١٦ رقم ٣٢٨٧)، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٢٠ رقم ٤١٦، وتاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٤٨٩، ٤٩٠ رقم ٣٠٠، والبداية والنهاية ٢/ ٥٨، والوافي بالوفيات ٢/ ٣٠٤، والنجوم الزاهرة ٥/ ٤٥.

أودّعُكم، وإنّي ذو اكتئابٍ، وأرحل عنكُمُ، والقلبُ آبي
وإنّ فراقَكُمْ في كلّ حالٍ لأوجعُ من مُفارقةِ الشبّابِ
أسيرُ، وما ذممتُ لكم جِواراً، ولا ملّتْ منازلَكم رِكابي
وأشكرُ كلّما أوطَنْتُ داراً ليالينَا القِصارَ بلا اجتنابِ
وأذكرُكم، إذا هبّتْ جَنُوبٌ، فتُذكّرُني غَراراتِ التّصابي
لكم مِنّي المودّةُ في اغترابٍ[1]، وأنتم إلْفُ نفسي في اقترابي

وهو أطول من هذا.

ولمّا قُبض ذو السعادات استوزر أبو كاليجار كمالَ الملك أبا المعالي بن عبد الرحيم.

[الوَفَيَات]

فيها توفّي أبو القاسم عبدالواحد بن محمّد بن يحيى بن أيّوب المعروف بالمطرّز[2] الشاعر، وله شعر جيّد، فمن قوله في الزُّهد:

يا عبدُ كَمْ لك مِن ذنبٍ ومَعصِيةٍ، إن كنتَ ناسيها، فالله أحصَاها
لا بدَّ يا عبدُ من يومٍ تقومُ بهِ[3]، ووقفةٍ لك يُدْمي القلبَ ذِكرَاها
إذا عرضتُ على قلبي تذكّرَها، وساء[4] ظنّي فقلتُ استغفِرُ اللهَ[5]

وفيها مات أبو الخَطّاب الجُبليُّ[6] الشاعر، ومضى إلى الشام، ولقي المعرّيَّ، وعاد ضريراً، وله شِعرٌ منه قوله:

---

(١) في الأصل: «بي».

(٢) انظر عن (المطرّز) في: تاريخ بغداد ١١/١٦، المنتظم ٨/١٣٤ رقم ١٨٤ (١٥/٣١٠، ٣١١ رقم ٣٢٧٨) والمختصر في أخبار البشر ٢/١٦٨، وتاريخ الإسلام (٤٢١ - ٤٤٠ هـ.) ص ٤٧٤ رقم ٢٦٠، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٣٥٠، وهدية العارفين ١/ ٦٣٣، والأعلام ٤/ ٣٢٧، ومعجم المؤلفين ٦/ ٢١٤.

(٣) في المنتظم: «له».

(٤) في المنتظم: «قدساء».

(٥) في طبعة صادر ٩/ ٥٤٣ «اللاها»، والمثبت عن المنتظم ٨/ ١٣٤ (١٥/ ٣١١).

(٦) في الباريسية: «الحبلي»، وفي طبعة صادر ٩/ ٥٤٣ «الجيلي»، والتصحيح من مصادر ترجمته التي ذكرتها في: تاريخ الإسلام (٤٢١ - ٤٤٠ هـ.) ص ٤٧٨ رقم ٢٧٠.
و«الجَبُلي»: بفتح الجيم وضم الباء المشدّدة المنقوطة بنقطة واحدة. نسبة إلى جَبُل، وهي بلدة على الدجلة بين بغداد وواسط. (الأنساب ٣/ ١٨٢).

مـــا حَكَـــمَ الحـــبُّ فَهْـــوَ مُمتثَـــلُ، ومـــا جَنـــاه الحبيـــبُ مُحتَمَـــلُ
تَهوى، وتَشكو الضنَّى[1]، وكلُّ هوًى لا يُنحِـلُ الجِســمَ، فهــو منتحَـلُ[2]

وفيها تُوُفّي أبو محمّد الحسن بن محمدالحسن الخلاّل[3]، الحافظ، ومولده سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة، سمع أبا بكر القطيعيَّ وغيره، ومن أصحابه الخطيب أبو بكر الحافظ.

وفيها قُتل الفقيه أحمد الوَلوالجيُّ[4]، وهو من أعيان الفقهاء الحنفيّة، إلاّ أنّه كان يُكثر الوقيعة في الأئمّة والعلماء، وسلك طريق الرياضة، وفسد دماغه، فقُتل بين مَرْو وسَرْخَس (في ذي الحجّة)[5].

---

(١) في المنتظم: «يهوى ويشكو الصبا».
(٢) المنتظم ٨/ ١٣٥ (١٥/ ٣١٢).
(٣) أنظر عن الخلاّل) في: تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٤٧١، ٤٧٢ رقم ٢٥٢ وفيه حشدت مصادر ترجمته.
(٤) لم أجد مصدر ترجمته.
(٥) من (أ).

٤٤٠
ثم دخلت سنة أربعين وأربعمائة

ذكر رحيل عسكر يَنّال عن تيرانشاه وعود مهلهل إلى شهرزور

قد ذكرنا في السنة المتقدّمة استيلاء أحمد بن طاهر، وزير يَنّال، على شهرزور، ومحاصرته قلعة تِيرانشاه، ولم يزل يحاصرها إلى الآن، فوقع في عسكره الوباء وكثر الموت، فأرسل إلى صاحبه يَنّال يستمدّه، ويطلب إنجاده، ويعرّفه كثرة الوباء عنده، فأمره بالرحيل عنها، فسار إلى مَايَدَشْتَ. فلمّا سمع مُهلهِل ذلك سيّر أحد أولاده إلى شهرزور، فملكها وانزعج الغُزُّ الذين بالسِّيرَوان وخافوا.

ثم سار جمْعٌ من عسكر بغداذ إلى حُلوان، وحصروا قلعتها، فلم يظفروا بها، فنهبوا تلك الأعمال، وأتوا على ما تخلّف من الغُزّ، فخربت الأعمال بالكليّة، وسار مُهلهِل ومعه أهله وأمواله إلى بغداذ، فأنزلهم بباب المَراتب، بدار الخلافة، خوفاً من الغُزّ، وعاد إلى حلله، وبينه وبين بغداذ ستّة فراسخ، وسار جمْعٌ من عسكر بغداذ، إلى البندنيجين، وبها جمع من الغز مع عكبر بن أحمد بن عياض، فتواقعوا، واقتتلوا، فانهزم عسكر بغداذ، وقُتل منهم جماعة، وأُسر جماعة قُتلوا أيضاً صبراً.

ذكر غزو إبراهيم يَنّال الروم

في هذه السنة غزا إبراهيم يَنّال الروم، فظفر بهم وغنم.

وكان سبب ذلك أنّ خلقاً كثيراً من الغُزّ بما وراء النهر قدموا عليه، فقال لهم: بلادي تضيق عن مقامكم والقيام بما تحتاجون إليه، والرأي أن تمضوا إلى غزو الروم،

وتجاهدوا في سبيل الله، وتغنموا، وأنا سائرٌ على أثركم، ومساعدٌ لكم على أمركم. ففعلوا.

وساروا بين يديه، وتبِعهم، فوصلوا إلى ملازكرد، وأرْزَن الرُّوم، وقَالِيقَلا، وبلغوا طَرابزُون وتلك النواحي كلّها، ولقيهم عسكر عظيم للروم والأبخاز يبلغون خمسين ألفاً، فاقتتلوا، واشتدّ القتال بينهم، وكانت بينهم عدّة وقائع تارةً يظفر هؤلاء، وتارة هؤلاء، وكان آخر الأمر الظفر للمسلمين، فأكثروا القتل في الروم وهزموهم، وأسروا جماعةً كثيرةً من بطارقتهم، وممّن أُسر قاريط[1] ملك الأبخاز، فبذل في نفسه ثلاثمائة ألف دينار، وهدايا بمائة ألف، فلم يُجِبْه إلى ذلك، ولم يزل يجوس تلك البلاد وينهبها إلى أن بقي بينه وبين القُسطنطَينيّة خمسة عشر يوماً، واستولى المسلمون على تلك النواحي فنهبوها، وغنموا ما فيها، وسبوا أكثر من مائة ألف رأس، وأخذوا من الدّوابّ والبغال والغنائم والأموال ما لا يقع عليه الإحصاء، وقيل إنّ الغنائم حُملت على عشرة آلاف عجلة، وإنّ في جملة الغنيمة تسعة عشر ألف دِرع.

وكان قد دخل بلد الروم جمع من الغُزّ يقدمهم إنسان نسيب طُغْرُلبك، فلم يؤثّر كبير[2] أثر، وقُتل من أصحابه جماعة، وعاد، ودخل بعده إبراهيم يَنّال، ففعل هذا الذي ذكرناه[3].

ذكر موت الملك أبي كاليجار وملك ابنه الملك الرحيم

في هذه السنة تُوُفّي الملك أبو كاليجار المَرْزُبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة ابن عَضُد الدّولة بن بُوَيْه، رابع جُمادَى الأولى، بمدينة جَنَاب من كَرمان.

وكان سبب مسيره إليها أنّه كان قد عوّل في ولاية كَرمان حرباً وخراباً على بهرام بن لشكرستان الدَّيْلميّ، وقرّر عليه مالاً، فتراخى بهرام في تحرير الأمر[4]،

---

(١) في (أ): «فاربط».

(٢) في (أ): «كثير».

(٣) المنتظم ٨/١٣٧ (١٥/٣١٤)، نهاية الأرب ٢٦/٢٨٣، ٢٨٤، العبر ٣/١٩٢، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٣٧، ٣٣٨، دول الإسلام ١/٢٥٩، البداية والنهاية ١٢/٥٨.

(٤) في الباريسية: «الأمور».

وأحاله[1] إلى المغالطة[2] والمدافعة، فشرع حينئذٍ أبو كاليجار في إعمال الحيلة عليه، وأخذ قلعة بَرْدَسِير[3] من يده، وهي معقله الذي يحتمي به ويعوّل عليه، فراسل بعضَ من بها من الأجناد وأفسدهم، فعلم بهم بَهرام فقتلهم، وزاد نفوره واستشعاره، وأظهر ذلك، فسار إليه الملك أبو كاليجار في ربيع الآخر، فبلغ قصر مُجاشع، فوجد في حَلَقه خشونة، فلم يبال بها، وشرب وتصيّد وأكل من كبد غزالٍ مشوي، واشتدّت علّته، ولحِقه حُمّى، وضعف عن الركوب، ولم يمكنه المقام لعدم الميرة بذلك المنزل، فحُمل في محفّة على أعناق الرجال إلى مدينة جَناب، فتوفّي بها، وكان عمره أربعين سنة وشهوراً، وكان ملكه بالعراق بعد وفاة جلال الدولة أربع سنين وشهرَيْن ونيّفاً وعشرين يوماً[4].

ولمّا تُوُفّي نهب الأتراك من العسكر الخزائن والسلاح والدّوابّ، وانتقل ولده أبو منصور فلاستون إلى مخيّم الوزير أبي منصور، وكان منفرداً[5] عن العسكر، فأقام عنده، وأراد الأتراك نهب الوزير والأمير، فمنعهم الدَّيلم، وعادوا إلى شِيراز، فملكها الأمير أبو منصور، واستشعر الوزير، فصعِد إلى قلعة خُرمةَ[6] فامتنع بها.

فلمّا وصل خبر وفاته إلى بغداذ، وبها ولده الملك الرحيم أبو نصر خُرة[7] فيروز، أحضر الجُند واستحلفهم، وراسل الخليفةَ القائم بأمر الله في معنى الخطبة له، وتلقيبه بالملك الرحيم، وتردّدت الرسل بينهم في ذلك إلى أنْ أُجيب إلى ملتمسه سوى الملك الرحيم، فإنّ الخليفة امتنع من إجابته وقال: لا يجوز أن يلقّب بأخصّ صفات الله تعالى[8].

---

(١) في الأوربية: «وأخلّه».
(٢) في (أ): «المطاولة».
(٣) في (أ): «بردشير».
(٤) تاريخ حلب (زعرور) ٣٣٩ (سويم) ٦ وفيه وفاته ٤٣٩ هـ.، تاريخ الفارقي ١/ ١٥٤، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٦٩، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٣٦، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٥١.
(٥) في الأوربية: «وكانت منفردة».
(٦) في (أ): «حرقه»، وتحرفت في نسخة بودليان إلى: «حرمه».
(٧) في (أ): «خسره».
(٨) تاريخ حلب (زعرور) ٣٣٩ (سويم) ٦، تاريخ الفارقي ١/ ١٥٤، المنتظم ٨/ ١٣٦ (١٥/ ٣١٣)، دولِ الإسلام ١/ ٢٥٨، ٢٥٩، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٣٦، البداية والنهاية ١٢/ ٥٧.

واستقرّ ملكه بالعراق، وخُوزستان، والبصرة، وكان بالبصرة أخوه أبو عليّ بن أبي كاليجار. وخلّف أبو كاليجار من الأولاد: الملك الرحيم، والأمير أبا منصور فلاستون، وأبا طالب كامرو، وأبا المظفّر بهرام، وأبا عليّ كيخسرو، وأبا سعد خسروشاه، وثلاثة بنين أصاغر، فاستولى ابنه أبو منصور على شِيراز، فسيّر إليه الملك الرحيم أخاه أبا سعد في عسكر، فملكوا شيراز، وخطبوا للملك الرحيم، وقبضوا على الأمير أبي منصور ووالدته، وكان ذلك في شوّال.

ذكر محاصرة العساكر المصرية مدينة حلب

في جُمادَى الآخرة وصلت عساكر مصر إلى حلب في جمْعٍ كثير فحصروها، وبها معزُّ الدولة أبو علوان ثِمَال بن صالح الكِلابيُّ، فجمع جمعاً كثيراً بلغوا خمسة آلاف فارس وراجل، فلمّا نزلوا على حلب خرج إليهم ثِمَال، وقاتلهم قتالاً شديداً صبر فيه لهم إلى الليل، ثمّ دخل البلد، فلمّا كان الغد اقتتلوا إلى آخر النهار، وصبر أيضاً ثِمَال، وكذلك أيضاً اليوم الثالث. فلمّا رأى المصريّون صبر ثِمَال، وكانوا ظنّوا أنّ أحداً لا يقوم بين أيديهم، رحلوا عن البلد، فاتّفق أنّ تلك الليلة جاء مطرٌ عظيم لم ير الناس مثله، فجاءت المدود إلى منزلهم، فبلغ الماء ما يقارب قامتَيْن، ولو لم يرحلوا لغرقوا، ثم رحلوا إلى الشام الأعلى[1].

ذكر الخُلْف بين قِرواش والأكراد الحُميديّة والهذبانيّة

في هذه السنة اختلف قِرواش والأكراد الحُميديّة والهذبانيّة، وكان للحُمَيديّة عدّة حصون تجاور الموصل، منها العَقْر وما قاربها، وللهذبانيّة قلعة إربِلَ وأعمالها، وكان صاحب العَقْر حينئذٍ أبا الحسن بن عَيْسَكان[2] الحُميديَّ، وصاحب إربِل أبو الحسن بن موسك[3] الهذبانيُّ، وله أخٌ اسمه أبو عليّ بن موسك فأعانه الحُمَيديُّ على أخذ إربِل

(١) تاريخ حلب (زعرور) ٣٣٨، ٣٣٩ (سويم) ٦، ٧، تاريخ مصر لابن ميسّر ٢/٣، زبدة الحلب ١/٢٦٤، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٣٣٧، إتعاظ الحنفا ٢/٢٠١.

(٢) تصحّفت في (أ) والباريسية إلى «عسكان».

(٣) في (أ): «موشك».

من أخيه أبي الحسن، فملكها منه، وأخذ صاحبها أبا الحسن أسيراً.

وكان قرواش وأخوه زعيم الدولة أبو كامل بالعراق مشغولين، فلمّا عادا إلى الموصل وقد سخطا هذه الحالة لم يظهراها، وأرسل قِرواش يطلب من الحُمَيديّ والهذبانيّ نجدةً له على نصر الدولة بن مروان. فأمّا أبو الحسن الحُمَيديُّ فسار إليه بنفسه، وأمّا أبو عليّ الهذبانيُّ فأرسل أخاه، واصطلح قرواش ونصر الدولة، وقبض على أبي الحسن الحُمَيديّ، ثم صانعه على إطلاق أبي الحسن الهذبانيّ، الذي كان صاحب إربِل، وأخْذ إربِل من أخيه أبي عليّ وتسليمها إليه، فإن امتنع أبو عليّ كان عَوْناً عليه، فأجاب إلى ذلك، ورهن عليه أهله وأولاده وثلاث قلاع من حصونه إلى أن يتسلّم إربِل، وأُطلق (من الحبس)[1].

وكان أخٌ له قد استولى على قلاعه، فخرج إليها وأخذها منه، وعاد إلى قِرواش وأخيه زعيم الدولة، فوثقا به، وأطلقا أهله، ثم إنّه راسل أبا عليّ، صاحب إربل، في تسليمها، فأجاب إلى ذلك، وحضر بالموصل ليسلّم إربل إلى أخيه أبي الحسن، فقال الحُميديُّ لِقرواش: إنّني قد وفيتُ بعهدي، فتسلّمان إليّ حصوني؛ فسلّما إليه قلاعه، وسار هو وأبو[2] الحسن وأبو عليّ الهذبانيُّ[3] إلى إربِل ليسلّماها إلى أبي الحسن، فغدرا به في الطريق، وكان قد أحسّ بالشرّ، فتخلّف عنهما، وسيّر معهما أصحابه ليتسلّموا إربِل، فقبضا على أصحابه وطلبوه ليقبضوه، فهرب إلى الموصل، وتأكّدت الوحشة حينئذٍ بين الأكراد وقرواش وأخيه، وتقاطعوا، وأضمر كلّ منهم الشرّ لصاحبه.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة سار الملك الرحيم من بغداذ إلى خوزستان، فلقِيه مَن بها من الجُنْد وأطاعوه، وفيهم كرشاسف بن علاء الدولة الذي كان صاحب هَمَذان وكِنْكِوَر، فإنّه كان انتقل إلى الملك أبي كاليجار، بعد أن استولى ينّال على أعماله، ولمّا مات أبو كاليجار سار الملك العزيز ابن الملك جلال الدولة إلى البصرة طمعاً في ملكها،

(١) من (أ).
(٢) في الباريسية: «هو أبو».
(٣) في (أ): «الحميديان».

فلقِيه مَن بها من الجند وقاتلوه وهزموه، فعاد عنها، وكان قبل ذلك عند قرواش ثم عند ينّال، ولمّا سمع[1] باستقامة الأمور للملك الرحيم انقطع أمله، ولمّا سار الملك الرحيم عن بغداذ كثُرت الفِتَن بها، ودامت بين أهل باب الأَزَج[2] والأساكفة، (وهم السُّنّة)[3]، فأحرقوا عقاراً كثيراً.

وفيها سار سعْدي بن أبي الشوك من حلّة دُبيس بن مَزْيد إلى إبراهيم يَنّال، بعد أن راسله، وتوثّق منه، وتقرّر بينهما أنّه كلّ ما[4] يملكه سعْدي ممّا ليس بيد ينّال ونوّابه فهو له، فسار سعْدي إلى الدَّسكرة، وجرى بينه وبين من بها من عسكر بغداذ (حرب انهزموا [فيها] منه، وملكها وما يليها، فسُيِّر إليها عسكرٌ ثانٍ من بغداذ[5]، فقتل مقدّمهم وهزمهم[6]، وسار من الدَّسكرة وتوسّط تلك الأعمال بالقرب من بَعقُوبا، ونهب أصحابه البلاد، وخطبوا لإبراهيم يَنّال.

وفيها كان ابتداء الوحشة بين معتمد الدولة قِرواش بن المقلّد وبين أخيه زعيم الدولة أبي كامل بن المقلّد، فانضاف قريش بن بدران بن المقلّد إلى عمّه قِرواش، وجمع جَمْعاً، وقاتلَ عمّه أبا كامل، فظفر ونُصر وانهزم أبو كامل، ولم يزل قريش يُغري قرواشاً بأخيه حتّى تأكّدت الوحشة، وتفاقم الشرّ بينهما.

وفيها خُطب للأمير أبي العبّاس محمّد بن القائم بأمر الله بولاية العهد، ولُقّب ذخيرة الدّين، ووليَ عهد المسلمين.

وفيها، في رمضان، قُتل الأمير أقْسُنقُر بهَمَذان، قتله الباطنيّة لأنّه كان كثير الغزو إليهم، والقتل فيهم، والنهب لأموالهم، والتخريب لبلادهم، فلمّا كان الآن قصد إنساناً من الزُّهّاد ليزوره، فوثب عليه جماعة من الإسماعيليّة فقتلوه.

---

(١) في الأوربية: «استمع».

(٢) في (أ): «الطاق».

(٣) من (أ).

(٤) في الأوربية: «كلّما».

(٥) ما بين القوسين من الباريسية.

(٦) في الباريسية: «وهزموه».

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي أبو محمّد الحسن[1] بن عيسى بن المقتدر بالله، وكان من الصّالحين وُرواة الحديث، وأوصى أن يُدفن بجوار أحمد بن حَنبَل، ومولده سنة ثلاثٍ وأربعين وثلاثمائة.

وأبو طالب محمّد بن محمّد بن غَيْلان[2] البزّاز، ومولده سنة سبْعٍ وأربعين وثلاثمائة، روى عن أبي بكر الشافعيّ وغيره، وتُوُفّي في شوّال، وهو راوي الأحاديث المعروف بالغَيْلانيّات التي خرّجها[3] الدّارقُطْنيُّ له، وهي من أعلى الحديث وأحسنه. وعُبَيدالله بن عمر بن أحمد بن عثمان أبو القاسم الواعظ المعروف بابن شاهين[4]، ومولده سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة.

وفيها كان الغلاء والوباء عامّاً في البلاد جميعها، بمكّة، والعراق، والموصل، والجزيرة، والشام، ومصر وغيرها من البلاد.

وفيها قُبض بمصر على الوزير فخر المُلْك صَدَقة بن يوسف وقُتل، وكان أوّل أمره يهوديّاً فأسلم، واتّصل بالدِّزْبريّ، وخدمه بالشام، ثم خافه فعاد إلى مصر، وخدم الجَرْجَرائيَّ الوزير، وأنفق عليه، فلمّا تُوفّي الجَرْجَرائيُّ استوزره المستنصر إلى الآن، ثم قتله واستوزر القاضي أبا محمّد الحسن بن عبدالرحمن اليازوريَّ في ذي القعدة[5].

(١) في طبعة صادر ٥٥٢/٩: «توفي أبو الحسن محمد بن الحسن»، والتصحيح من مصادر ترجمته التي ذكرتها في: تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٤٨٣ رقم ٢٨٣.

(٢) انظر عن (ابن غيلان) في: تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٤٩٢ ـ ٤٩٤ رقم ٣٠٦ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٣) في (أ): «أخرجها».

(٤) انظر عن (ابن شاهين) في: تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٤٨٥ رقم ٢٨٩ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) أخبار مصر لابن ميسر ٢/٢، الإشارة إلى من نال الوزارة ٣٧ ـ ٤٠، وأخبار الدول المنقطعة ٧٨، الدرّة المضيّة ٣٥٧، الوافي بالوفيات ٣٠٣/١٦ رقم ٣٣١، واتعاظ الحنفا (في مواضع كثيرة من الجزء ٢)، وحسن المحاضرة ١٢٩/٢.

٤٤١
ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وأربعمائة

ذكر ظهور الخُلف بين قِرواش وأخيه أبي كامل وصلحهما

في هذه السنة ظهر الخُلف بين معتمد الدولة قِرواش وبين أخيه زعيم الدولة أبي كامل ظهوراً آل إلى المحاربة، وقد تقدّم سبب ذلك. فلمّا اشتدّ الأمر، وفسد الحال فساداً لا يمكن إصلاحه، جمع كلّ منهما جمعاً لمحاربة صاحبه، وسار قِرواش في المحرّم، وعبر دجلة بنواحي بَلَد، وجاءه سليمان بن نصر الدولة بن مروان، وأبو الحسن بن عَيْسَكان الحُميديُّ، وغيرهما من الأكراد، وساروا إلى مَعْلَثَايَا[1] فأخربوا المدينة ونهبوها ونزلوا بالمُغيثة، وجاء أبو كامل فيمن معه من العرب وآل المسيّب، فنزلوا بمرج بابنيثا[2]، وبين الطائفتَيْن نحو فرسخ، واقتتلوا يوم السبت ثاني عشر المحرّم، وافترقوا من غير ظفر، ثم اقتتلوا يوم الأحد كذلك، ولم يلابس الحرب سليمان بن مروان بل كان ناحيةً، ووافقه أبو الحسن الحُميديُّ، وساروا عن قِرواش، وفارقه جَمْعٌ من العرب، وقصدوا أخاه، فضعف أمر قِرواش، وبقي في حلّته وليس معه إلاّ نفر يسير، فركبت العرب من أصحاب أبي كامل لقصده، فمنعهم، وأسفر الصُّبح يوم الاثنين وقد تسرّع بعضهم ونهب بعضاً من عرب قرواش، وجاء أبو كامل إلى قرواش واجتمع به ونقله إلى حلّته، وأحسن عشرته، ثم أنفذه إلى الموصل محجوراً عليه وجعل معه بعض زوجاته في دارٍ.

وكان ممّا فتّ في عضُد قِرواش وأضعف نفسه أنّه كان قد قبض على قومٍ من الصيّادين بالأنبار لسوى طريقهم وفسادهم، فهرب الباقون منهم، وبقي بعضهم

---

(١) في (أ): «بعلثايا».

(٢) في الباريسية: «باما».

بالسِّنديّة، فلمّا كان الآن سار جماعة منهم إلى الأنبار، وتسلّقوا السور ليلة خامس المحرّم من هذه السنة، وقتلوا حارساً، وفتحوا الباب، ونادوا بشعار أبي كامل، فانضاف إليهم أهلوهم وأصدقاؤهم ومن له هوًى في أبي كامل، فكثروا، وثار بهم أصحاب قرواش، فاقتتلوا فظفروا وقتلوا من أصحاب معتمد الدولة قرواش جماعة، وهرب الباقون، فبلغه خبر استيلاء أخيه، ولم يبلغه عود أصحابه.

ثم إنّ المسيّب وأمراء العرب كلّفوا أبا كامل ما يعجز عنه، واشتطّوا عليه، فخاف أن يؤول الأمر بهم إلى طاعة قرواش وإعادته إلى مملكته، فبادرهم إليه، وقبّل يده وقال له: إنّني وإن كنتُ أخاك فإنّني عبدك، وما جرى هذا إلاّ بسبب من أفسد رأيك فيَّ، وأشعرك الوحشة منّي، والآن فأنت الأمير، وأنا الطائع لأمرك والتابع لك؛ فقال له قرواش: بل أنت الأخ، والأمر لك مُسلَّم، وأنت أقْوَم به منّي. وصلح الحال بينهما، وعاد قرواش إلى التصرّف على حكم اختياره.

وكان أبو كامل قد أقطع بلال بن غريب بن مقن حَربَى، وأوَانَا، فلمّا اصطلح أبو كامل وقرواش أرسلا إلى حَربَى من منع بلالاً عنها، فتظاهر بلال (بالخلاف عليهما)[1]، وجمع إلى نفسه جمعاً وقاتل أصحاب قرواش، وأخذ حَربَى وأوَانَا بغير اختيارهما، فانحدر قرواش من الموصل إليهما وحصرهما وأخذهما.

ذكر مسير الملك الرحيم إلى شيراز وعوده عنها

في هذه السنة، في المحرّم، سار الملك الرحيم من الأهواز إلى بلاد فارس، فوصلها، وخرج عسكر شِيراز إلى خدمته، ونزل بالقرب من شِيراز ليدخل البلد.

ثم إنّ الأتراك الشِّيرازيّين والبَغداذيّين اختلفوا، وجَرى بينهم مناوشة استظهر فيها البغداذيّون، وعادوا إلى العراق، فاضطرّ الملك الرحيم إلى المسير معهم، لأنّه لم يكن يثق بالأتراك[2] الشيرازيّة.

وكان دَيْلَم بلاد فارس قد مالوا إلى أخيه فولاستون، وهو بقلعة إصْطَخْرَ، فهو

---

(١) في الباريسية: «عليها».

(٢) في الأوربية «إلى الأتراك».

أيضاً منحرف عنهم، فاضطرّ إلى صُحْبة البغداذيّين فعاد، في ربيع الأوّل من هذه السنة، إلى الأهواز وأقام بها، واستخلف بأرّجَانَ أخوَيْه أبا سعد، وأبا طالب، ووقع الخُلْف بفارس، فإنّ الأمير أبا منصور، فولاستون، كان قد خلص وصار بقلعة إصْطَخْر، واجتمع معه جماعة من أعيان العسكر الفارسيّ، فلمّا عاد الملك الرحيم إلى الأهواز انبسط في البلاد، وقصده كثير من العساكر، واستولى على بلاد فارس، ثم سار إلى أرّجانَ عازماً على قصْد الأهواز وأخْذها[1].

ذكر الحرب بين البساسيريّ وعُقيل

في هذه السنة سار جَمْعٌ من بني عُقيل إلى بلد العجم من أعمال العراق وبَادُوريا[2]، فنهبوهما، وأخذوا من الأموال الكثير، وكانا في إقطاع البساسيري، فسار من بغداذ بعد عَوده من فارس إليهم، فالتقوا هم وزعيم الدولة أبو كامل بن المقلّد، واقتتلوا قتالاً شديداً أبلى الفريقان فيه بلاء حسناً، (وصبرا صبراً جميلاً، وقُتل جماعة من الفريقَيْن)[3].

ذكر الوحشة بين طُغْرُلْبَك وأخيه إبراهيم يَنّال

في هذه السنة استوحش إبراهيم يَنّال من أخيه السلطان طُغْرُلْبك.

وكان سبب ذلك أنّ طُغْرُلْبك طلب من إبراهيم يَنّال أن يسلّم إليه مدينة هَمَذان (والقلاع التي بيده من بلد الجبل)[4]، فامتنع من ذلك، واتّهم وزيره أبا علي بالسَّعْي بينهما في الفساد، فقبض عليه، وأمر به فضُرب بين يديه، وَسمَلَ إحدى عينَيْه، وقطع شَفتَيْه، وسار عن طُغْرُلْبك، وجمع جمعاً من عسكره، والتقيا، وكان بين العسكرَيْن قتالٌ شديد انهزم [فيه] يَنّال وعاد منهزماً، فسار طُغْرُلْبك في أثره، فملك قلاعه وبلاده جميعها.

---

(1) تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٥، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٥٤.

(2) في (أ): «باذوريا».

(3) من (أ).

(4) في (أ): «الجيل».

وتحصّن إبراهيم يَنّال بقلعة سَرماج، وامتنع على أخيه، فحصره طُغْرُلْبك فيها، وكانت عساكره قد بلغت مائة ألف من أنواع العسكر، وقاتله، فملكها في أربعة أيّام، وهي من أحصن القلاع وأمنعها، واستنزل ينّال منها مقهوراً، وأرسل إلى نصر الدولة ابن مروان يطلب منه إقامة الخطبة له في بلاده، فأطاعه وخطب له في سائر ديار بكر، وراسل ملك الروم طُغْرُلْبك، وأرسل إليه هديّة عظيمة، وطلب منه المعاهدة، فأجابه إلى ذلك.

وأرسل ملك الروم إلى ابن مروان يسأله أن يسعى في فداء ملك الأبخاز المقدّم ذكره، فأرسل نصر الدولة شيخَ الإسلام أبا عبدالله بن مروان في المعنى إلى السلطان طُغْرُلبك، فأطلقه بغير فداء، فعظم ذلك عنده وعند ملك الروم، وأرسل عِوَضه من الهدايا شيئاً كثيراً[1]، وعمّروا مسجد القُسطنطينيّة، وأقاموا فيه الصَّلاة والخطبة لطُغْرُلْبك، ودان حينئذٍ الناس كلّهم له، وعظُم شأنه، وتمكّن ملْكه وثبت.

ولمّا نزل يَنّال إلى طُغْرُلْبك أكرمه وأحسن إليه، وردّ عليه كثيراً ممّا أخذ منه، وخيّره بين أن يُقْطعه بلاداً يسيرُ إليها، وبين أن يقيم معه، فاختار المقام[2] معه.

ذكر الحرب بين دُبَيْس بن مَزْيد وعسكر واسط

في هذه السنة كانت حرب شديد بين نور الدولة دُبيس بن مَزيد وبين الأتراك الواسطيّين.

وسبب ذلك أنّ الملك الرحيم أقطع نور الدولة حماية نهر الصِّلة، ونهر الفَضل، وهما من إقطاع الواسطيّين، فسار إليهما ووليهما[3]، فسمع عسكر واسط ذلك فسخطوه، واجتمعوا وساروا إلى نور الدولة ليقاتلوه ويدفعوه عنهما، وأرسلوا إليه يتهدّدونه، فأعاد الجواب يقول: إنّ الملك أقطعني هذا، فنُرسل إليه أنا وأنتم، فبأيّ شيء أمر رضينا به. فسبّوه، وساروا مُجِدّين إليه، فأرسل إلى طريقهم طائفة من

---

(١) تاريخ حلب للعظيمي ٣٣٩.
(٢) في (أ): «الإقامة».
(٣) في الأوربية: «إليها ووليها».

عسكره، فلقوهم، وكمن لهم، فلمّا التقوا استجرّهم العرب إلى أن جاوزوا الكمين، (وخرج عليهم الكمين)[1] فأوقعوا بهم، وقتلوا منهم جماعة كثيرة، وأسروا كثيراً، وجُرح مثلهم، وتمّت الهزيمة على الواسطيّين، وغنم نور الدولة أموالهم ودوابّهم، وساروا إلى واسط فنزلوا بالقرب منها.

وأرسل الواسطيّون إلى بغداذ يستنجدون جُنْدها، ويبذلون للبساسيريّ أن يدفع عنهم نور الدولة، ويأخذ نهر الصِّلة ونهر الفَضل لنفسه.

ذكر وفاة مودود بن مسعود وملك عمّه عبد الرشيد

في هذه السنة، في العشرين من رجب، تُوُفّي أبو الفتح مودود بن مسعود[2] بن محمود بن سُبُكْتِكِين، صاحب غَزْنة، وعُمره تسعٌ وعشرون سنة، وملكه تسع سنين وعشرة أشهر، وكان موته بغَزْنة، وكان قد كاتب أصحاب الأطراف في سائر البلاد، ودعاهم إلى نُصْرته وإمداده بالعساكر، وبذل لهم الأموال الكثيرة، وتفويض أعمال خُراسان ونواحيها إليهم على قدر مراتبهم، فأجابوا إلى ذلك منهم أبو كاليجار، صاحب أصبهان، فإنّه جمع عساكره وسار في المفازة، فهلك كثير من عسكره، ومرض وعاد.

ومنهم خاقان ملك التُّرك، فإنّه سار إلى تِرمِذ، ونهب وخرّب، وصادر أهل تلك الأعمال، وسارت طائفة أخرى مّما وراء النهر إلى خُوارزم.

وسار مودود من غَزْنة، فلم يسر غير مرحلةٍ واحدة حتّى عارضه قُولَنج اشتدّ عليه، فعاد إلى غَزْنة مريضاً، وسيّر وزيرَه أبا الفتح عبد الرزّاق بن أحمد المِيمَنْديَّ إلى سِجِستان في جيش كثيف لأخذها من الغُزّ، واشتدّت[3] العلّة بمودود فتوفّي، وقام في المُلْك بعده ولده، فبقي خمسة أيّام، ثم عدل الناس عنه إلى عمّه عليّ بن مسعود.

---

(١) من الباريسية.

(٢) انظر عن (مودود بن مسعود) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٥٦، ٥٧ رقم ٢٩ وفيه مصادر ترجمته، ويضاف إليها: زبدة التواريخ ٤٧ وما بعدها.

(٣) في طبعة صادر ٥٥٨/٩ «واشدّت» وهي خطأ.

وكان مودود لمّا ملك قبض على عمّه عبد الرشيد بن محمود وسجنه في قلعة مَيدين[1]، بطريق بُست، فلمّا توفّي كان وزيره قد قارب هذه القلعة، فنزل عبد الرشيد إلى العسكر ودعاهم إلى طاعته، فأجابوه وعادوا معه إلى غَزْنة، فلمّا قاربها هرب عنها عليُّ بن مسعود، وملك عبد الرشيد، واستقرّ الأمر له، ولُقّب شمس دين الله سيف الدولة، وقيل جمال الدولة[2]، ودفع الله شرّ مودود عن داود، وهذه السعادة التي تقتل الأعداء بغير سلاح ولا أجناد.

ذكر استيلاء البساسيريّ على الأنبار

في هذه السنة أيضاً، في ذي القعدة، ملك البساسيريُّ الأنبار، ودخلها أصحابه.

وكان سبب ملكها أنّ قِرواشاً أساء السيرة في أهلها، ومدّ يده إلى أموالهم، فسار جماعة من أهلها إلى البساسيريّ ببغداذ، وسألوه أن ينفذ معهم عسكراً يسلّمون إليه الأنبار، فأجابهم إلى ذلك، وسيّر معهم جيشاً، فتسلّموا الأنبار، ولحِقهم البساسيريُّ وأحسن إلى أهلها وعدل فيهم، ولم يمكّن أحداً من أصحابه أن يأخذ رطْل الخبز بغير ثمنه، وأقام فيها إلى أن أصلح حالها وقرّر قواعدها، وعاد إلى بغداذ.

ذكر انهزام الملك الرحيم من عسكر فارس

في هذه السنة عاد الملك الرحيم من الأهواز إلى رامَهُرْمُز في ذي القعدة، فلمّا وصل إلى وادي المِلح لقيه عسكر فارس، واقتتلوا (قتالاً شديداً، فغدر بالملك الرحيم بعض عسكره)[3]، وانهزم هو وجميع العسكر، ووصل إلى بَصِنّى ومعه أخواه أبو سعد وأبو طالب، وسار منها إلى واسط، وسار عسكر فارس إلى الأهواز، فملكوها وخيّموا بظاهرها.

---

(١) في الباريسية: «مدن».

(٢) نهاية الأرب ٢٦/٧٦، ٧٧.

(٣) من (أ).

ذكر عدّة حوادث

وفيها وصل عسكر من مصر إلى حلب، وبها صاحبها ثَمَال بن صالح بن مِرداس، فخافهم لكثرتهم، فانصرف عنها، فملكها المصريّون[1].

وفيها، في ذي القعدة، ارتفعت سحابة سوداء مظلمة ليلاً، فزادت ظلمتها على ظلمة الليل، وظهر في جوانب السماء كالنار المضطّرمة، (وهبّت معها ريح شديدة قلعت رواشن دار الخليفة)[2]، وشاهد الناس من ذلك ما أزعجهم وخوّفهم، فلزِموا الدعاء والتّضرُّع، فانكشفت في باقي الليل[3].

وفيها، في شعبان، سار البساسيريُّ من بغداذ إلى طريق خُراسان، وقصد ناحية الدّزْدار وملكها وغنم ما فيها، وكان سعْدي بن أبي الشوك قد ملكها، وقد عمل لها سوراً وحصّنها، وجعلها معقلاً يتحصّن فيه، ويدّخر بها كلّ ما يغنمه، فأخذه البساسيريُّ جميعه.

وفيها مُنع أهل الكرْخ من النَّوح، وفِعْل ما جرت عادتهم بفِعله يوم عاشوراء، فلم يقبلوا[4] وفعلوا ذلك، فجرى بينهم وبين السُّنّة فتنة عظيمة قُتل فيها وجُرح كثير من الناس، ولم ينفصل الشرّ بينهم حتّى عبر الأتراك وضربوا خيامهم عندهم، فكفّوا حينئذٍ، ثم شرع أهل الكرْخ في بناء سور على الكرْخ، فلمّا رآهم السُّنّة من القلاّئين ومن يجري مجراهم شرعوا في بناء سور على سوق القلاّئين، وأخرج الطّائفتان في العمارة مالاً جليلاً، وجرت بينهما فِتَنٌ كثيرة، وبطلت الأسواق، وزاد الشرّ، حتّى انتقل كثير من الجانب الغربيّ إلى الجانب الشرقيّ فأقاموا به، وتقدّم الخليفة إلى أبي محمّد بن النَّسويّ بالعبور وإصلاح الحال وكفّ الشرّ، فسمع أهل الجانب الغربيّ

---

(١) زبدة الحلب في تاريخ حلب ١/٢٦٥، ٢٦٦، المختصر في أخبار البشر ٢/١٧٠، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٥، تاريخ ابن الوردي ١/٣٥٢، البداية والنهاية ١٢/٥٩، إتعاظ الحنفا ٢/٢١٣، وانظر كتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ١١٢.

(٢) من الباريسية.

(٣) المنتظم ٨/١٤٢ (١٥/٣٢١)، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٦، البداية والنهاية ١٢/٥٩، تاريخ الخميس ٢/٣٩٩، ٤٠٠.

(٤) في الباريسية: «يفعلوا».

ذلك، فاجتمع السُّنّة والشيعة (على المنع)[1] منه، وأذّنوا في القلاّئين وغيرها بحيّ على خير العمل، وأذّنوا في الكرْخ: الصَّلاةُ خيرٌ من النوم؛ وأظهروا الترحّم على الصحابة، فبطل عبوره[2].

[الوَفَيَات]

وفيها تُوُفّي أبو عبدالله محمّد بن عليّ بن عبدالله الصُّوريُّ[3] الحافظ، كان إماماً صحِب عبد الغني بن سعيد، وتخرّج به، ومن تلامذته الخطيب أبو بكر.

وفيها تُوُفّي الملك العزيز أبو منصور[4] بن جلال الدولة، وقد ذكرنا تنقّل الأحوال به فيما تقدّم، وله شِعْر حَسَن.

وفيها توفّي أحمد بن محمّد بن أحمد أبو الحسن العتيقيُّ[5]، نُسب إلى جدٍّ له يسمّى عتيقاً، ومولده سنة سبْعٍ وستّين وثلاثمائة.

وفيها تُوفّي أبو الفائز[6] عبد الوهّاب ابن أقضى القضاة أبي الحسن الماورديّ، وكانت شهادته سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، وقبِلها القاضي في بيت النُّوبة، ولم يفعل ذلك مع غيره، وإنّما فعل معه هذا احتراماً لأبيه.

---

(١) من الباريسية.

(٢) المنتظم ٨/ ١٤١، ١٤٢ (١٥/ ٣١٩، ٣٢٠)، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٧٠، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٦، دول الإسلام ١/ ٢٥٩، العبر ٣/ ١٩٤، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٥١.

(٣) انظر عن (الصوريّ) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٥٢ ـ ٥٦ رقم ٢٧ وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته، وانظر ترجمة موسعة له أفردتها في مقدمة كتاب (الفوائد العوالي المؤرخة) للتنوخي، في ٣٢ صفحة لم أُسبق إليها، وفيها مصادر أخرى.

(٤) في طبعة صادر ٩/ ٥٦١ «أبو بكر منصور»، والتصويب من مصادر ترجمته التي ذكرتها في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٤٣، ٤٤ رقم ١٢.

(٥) انظر عن (العتيقي) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٤٠، ٤١ رقم ٥ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٦) في طبعة صادر ٩/ ٥٦١ «أبو القاسم»، والتصحيح من (أ)، ومن: المنتظم ٨/ ١٤٣ رقم ١٩٨ (١٥/ ٣٢٢ رقم ٣٢٩٢)، والبداية والنهاية ١٢/ ٦٠.

٤٤٢
ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة

ذكر ملك طُغْرُلْبَك أصبهان

كان أبو منصور بن علاء الدولة، صاحب أصبهان، غير ثابتٍ على طريقةٍ واحدةٍ مع السلطان طُغْرُلْبَك، كان يكثر التلوّن معه، تارة يطيعه وينحاز إليه، وتارة ينحرف عنه ويطيع الملك الرحيم، فأضمر له طُغْرُلْبك سوءاً، فلمّا عاد[1] هذه الدفعة من خُراسان لأخذ البلاد الجبليّة من أخيه إبراهيم يَنّال، واستولى عليها، على ما ذكرناه، عدل إلى أصبهان عازماً على أخذها من أبي منصور، فسمع ذلك، فتحصّن ببلده، واحتمى بأسواره، ونازله طُغْرُلْبك في المحرّم، وأقام على محاصرته نحو سنة، وكثرت الحروب بينهما، إلاّ أن طُغْرُلْبك قد استولى على سواد البلد، وأرسل سريّة من عسكره نحو فارس، فبلغوا إلى البيضاء، فأغاروا على السواد هناك وعادوا غانمين.

ولمّا طال الحصار على أصبهان، وأخرب أعمالها، ضاق الأمر بصاحبها وأهلها، وأرسلوا إليه يبذلون له الطّاعة والمال، فلم يُجِبْهم إلى ذلك، ولم يقنع منهم إلاّ بتسليم البلد، فصبروا حتّى نفدت الأقوات، وامتنع الصبر، وانقطعت الموادّ، واضطرّ الناس حتّى نقضوا الجامع، وأخذوا أخشابه لشدّة الحاجة إلى الحطب، فحيث بلغ بهم الحال إلى هذا الحدّ خضعوا له واستكانوا، وسلّموا البلد إليه فدخله وأخرج أجناده منه وأقطعهم في بلاد الجبل، وأحسن إلى الرعيّة، وأقطع صاحبها أبا منصور ناحيتَيْ يَزْد وأبرقوية، وتمكّن من أصبهان ودخلها في المحرّم من سنة ثلاثٍ وأربعين [وأربعمائة] واستطابها، ونقل ما كان له بالرَّيّ من مال وذخائر وسلاح إليها، وجعلها

---

(١) في (أ): «سار».

دار مقامه، وخرّب قطعة من سورها، وقال: وإنّما يحتاج إلى الأسوار مَن تضعف قوّته، فأمّا من حِصْنُه عساكره وسيفه فلا حاجة به[1] إليها[2].

ذكر عَود عساكر فارس من الأهواز وعَود[3] الرحيم إليها

في هذه السنة، في المحرّم، عادت عساكر فارس التي مع الأمير أبي منصور صاحبها عن الأهواز إلى فارس.

وسبب هذا العود أنّ الأجناد اختلفوا، وشغبوا، واستطالوا وعاد بعضهم إلى فارس بغير أمر صاحبهم، وأقام بعضهم معه، وسار بعضهم إلى الملك الرحيم، وهو بالأهواز، يطلبونه ليعود إليهم، فعاد فيمن عنده من العساكر، وأرسل إلى بغداذ يأمر[4] العساكر التي فيها بالحضور عنده ليسير بهم إلى فارس، فلمّا وصل إلى الأهواز لقيه العساكر مُقرّين بالطاعة، وأخبروه بطاعة عساكر فارس، وأنّهم ينتظرون قدومه، فدخل الأهواز في شهر ربيع الآخر، فتوقّف بالأهواز ينتظر عساكر بغداذ، ثم سار عنها إلى عسكر مُكرم فملكها وأقام بها.

ذكر استيلاء زعيم الدولة على مملكة أخيه قرواش

في هذه السنة، في جُمادى الأولى، استولى زعيم الدولة أبو كامل بركة بن المقلّد على أخيه قرواش، وحجر عليه، ومنعه من التصرّف على اختياره.

وسبب ذلك أنّ قرواشاً كان قد أنِف من تحكّم أخيه في البلاد، وأنّه قد صار لا حكم له، فعمل على الانحدار إلى بغداذ ومفارقة أخيه، وسار عن الموصل، فشُقّ ذلك على بركة وعظُم عنده.

---

(١) في الأوربية: «له».

(٢) الإنباء في تاريخ الخلفاء ١٨٨، تاريخ الفارقي ١/ ١٥٥، تاريخ مختصر الدول ١٨٤، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٧٠، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٨، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٥١، البداية والنهاية ١/ ٦١، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٥٥.

(٣) في (أ): «ومسير».

(٤) في الباريسية: «بأمر».

ثمّ أرسل إليه نفراً من أعيان أصحابه يشيرون عليه بالعود، واجتماع الكلمة، ويحذّرونه من الفرقة والاختلاف، فلمّا بلّغوه ذلك امتنع عليهم، فقالوا: أنت ممنوع عن فعلك، والرأي لك القبول والعود ما دامت الرغبة[1] إليك؛ فعلم حينئذٍ أنّه يُمنْع قهراً، فأجاب إلى العود على شرط أن يسكن دار الإمارة بالموصل، وسار معهم. فلمّا قارب حلّة أخيه زعيم الدولة لقيه، وأنزله عنده، فهرب أصحابه وأهله خوفاً، فأمّنهم زعيم الدولة، وحضر عنده وخدمه وأظهر له الخدمة، وجعل عليه من يمنعه من التصرّف على اختياره.

ذكر استيلاء الغُزّ على مدينة فَسَا

وفيها، في جُمادى الآولى، سار الملك ألْب أرسلان بن داود أخي طُغْرُلْبك من مدينة مرو بخُراسان، وقصد بلاد فارس في المفازة، فلم يعلم به أحد، ولا أعلم عمّه طُغْرُلْبك، فوصل إلى مدينة فَسَا، فانصرف النائب بها من بين يديه، ودخلها ألْب أرسلان فقتل من الدّيلم بها ألف رجل، وعدداً كثيراً من العامّة، ونهبوا ما قدرُهُ ألف ألف دينار، وأسروا ثلاثة آلاف إنسان، وكان الأمر عظيماً. فلمّا فرغوا من ذلك عادوا إلى خُراسان، ولم يلبثوا خوفاً من طُغْرُلبك أن يرسل إليهم، ويأخذ ما غنموه منهم.

ذكر استيلاء الخوارج على عُمان

في هذه السنة استولى الخوارج المقيمون بجبال عُمان على مدينة تلك الولاية.

وسبب ذلك أنّ صاحبها الأمير أبا المظفّر ابن الملك أبي كاليجار كان مقيماً بها، ومعه خادم له قد استولى على (الأمور، وحكم على)[2] البلاد، وأساء السيرة في أهلها، فأخذ أموالهم، فنفروا منه وأبغضوه.

وعرف إنسان من الخوارج يقال له ابن راشد الحال، فجمع مَن عنده منهم فقصد المدينة، فخرج إليه الأمير أبو المظفّر في عساكره، فالتقوا واقتتلوا، فانهزمت الخوارج وعادوا إلى موضعهم.

---

(١) في الباريسية: «الرعية».

(٢) من الباريسية:

وأقام ابن راشد مدّةً يجمع ويحتشد، ثم سار ثانياً، وقاتله الديلم، فأعانه أهل البلد لسوء سيرة الديلم فيهم، فانهزم الديلم، وملك ابن راشد البلد وقتل الخادم وكثيراً من الديلم، وقبض على الأمير أبي المظفّر وسيّره إلى جباله مستظهراً عليه، وسجن معه كلّ من خطّ بقلم من الديلم، وأصحاب الأعمال، وأخرب دار الإمارة، وقال: هذه أحقّ دار بالخراب! وأظهر العدل، وأسقط المكوس، واقتصر على رفع[1] عُشر ما يَرِد إليهم، وخطب لنفسه، وتلقّب بالراشد بالله، ولبس الصوف، وبنى[2] موضعاً على شكل مسجد، وقد كان هذا الرجل تحرّك أيضاً أيّام أبي القاسم (بن مُكرم)[3] فسيّر إليه أبو القاسم من منعه وحصره وأزال طمعه.

ذكر دخول العرب إلى إفريقية

في هذه السنة دخلت العرب إلى إفريقية

وسبب ذلك أنّ المعزّ بن باديس كان خطب للقائم بأمر الله الخليفة العبّاسيّ وقطع خطبة المستنصر العلويّ، صاحب مصر، سنة أربعين وأربعمائة، فلمّا فعل ذلك كتب إليه المستنصر العلويُّ يتهدّده، فأغلظ المعزُّ في الجواب.

ثمّ إنّ المستنصر استوزر الحسن بن عليّ اليازوريَّ، ولم يكن من أهل الوزارة، إنّما كان من أهل التّناية[4] والفلاحة، فلم يخاطبه المعزُّ كما كان يخاطب مَن قبلَهُ من الوزراء؛ كان يخاطبهم بعبده فخاطب اليازوريَّ بصنيعته، فعظُم ذلك عليه، فعاتبه فلم يرجع إلى ما يحبّ، فأكثر الوقيعة في المعزّ، وأغرى به المستنصر، وشرعوا في إرسال العرب إلى الغرب، فأصلحوا بني زُغبة[5] ورياح، وكان بينهم حروب وحقود، وأعطوهم مالاً، وأمروهم بقصد بلاد القَيروان، وملّكوهم كلَّ ما[6] يفتحونه،

---

(١) في (أ): «ربع».

(٢) في الأوربية «وبنا».

(٣) من (أ).

(٤) في طبعة صادر ٥٦٦/٩ «التبانة»، والتصحيح من: نهاية الأرب، وهي: الزراعة. ووردت على الصحيح في الطبعة الأوربية.

(٥) في الباريسية: «رغبة»، وفي (أ): «زعبة».

(٦) في الأوربية: «كلّما».

ووعدوهم بالمدد والعُدد. فدخلت العرب إلى إفريقية، وكتب اليازوريُّ إلى المعزّ: أمّا بعد، فقد أرسلنا إليكم خيولاً فحولاً. وحملنا عليها رجالاً كهولاً. ليقضي الله أمراً كان مفعولاً... فلمّا حلّوا أرض بَرْقة وما والاها وجدوا بلاداً كثيرة المَرعى خالية من الأهل لأنّ زناتة كانوا أهلها، فأبادهم المعزُّ، فأقامت العرب بها واستوطنتها، وعاثوا في أطراف البلاد. وبلغ ذلك المعزَّ فاحتقرهم[١].

وكان المعزُّ لمّا رأى تقاعد صنهاجة عن قتال زناتة اشترى العبيد، وأوسع[٢] لهم في العطاء، فاجتمع له ثلاثون ألف مملوك. وكانت عرب[٣] زُغبة[٤] قد ملكت مدينة طرابلس سنة ستّ وأربعين [وأربعمائة]، فتتابعت رياح والأثبج[٥] وبنو عديّ إلى إفريقية، وقطعوا السبيل وعاثوا في الأرض[٦]، وأرادوا الوصول إلى القَيروان، فقال مؤنس بن يحيى المرداسيُّ: ليس المبادرة عندي برأي؛ فقالوا: كيف تحبّ أن تصنع؟ فأخذ بساطاً فبسطه، ثم قال لهم: من يدخل إلى وسط البساط من غير أن يمشي عليه؟ قالوا: لا نقدر على ذلك! قال: فهكذا القَيروان، خذوا شيئاً فشيئاً حتّى لا يبقى إلاّ القَيروان فخذوها حينئذٍ. فقالوا: إنّك لشيخ العرب وأميرها وأنت المقدّم علينا، ولسنا نقطع أمراً دونك.

ثم قدم أمراء العرب إلى المعزّ، فأكرمهم وبذل لهم شيئاً كثيراً، فلمّا خرجوا من عنده لم يجازوه بما فعل من الإحسان، بل شنّوا الغارات، وقطعوا الطريق، وأفسدوا الزروع، وقطعوا الثمار، وحاصروا المدن، فضاق بالناس الأمر، وساءت أحوالهم، وانقطعت أسفارهم، ونزل بإفريقية بلاء لم ينزل بها مثله قطّ، فحينئذٍ[٧] احتفل المعزُّ، وجمع عساكره، فكانوا ثلاثين ألف فارس، ومثلها رَجّالة، وسار حتّى أتى جندران، وهو جبل بينه وبين القَيروان ثلاثة أيّام، وكانت عدّة العرب ثلاثة آلاف فارس، فلمّا

---

(١) نهاية الأرب ٢٤/ ٢١٠، ٢١١، تاريخ ابن خلدون ٤/ ١٣١.

(٢) في (أ): «ووسع».

(٣) في الأوربية: «العرب».

(٤) في (أ): «زعبة»، وفي الباريسية: «رغبة».

(٥) في الباريسية: «الآنج»، وفي (أ): «الابتج».

(٦) في (أ): «البلاد».

(٧) في (أ): «فعند ذلك».

رأت العرب عساكر صنهاجة والعبيد مع المعزّ هالهم ذلك، وعظم عليهم، فقال لهم مؤنس بن يحيى: ما هذا يوم فِرار؛ فقالوا: اين نَطْعُنُ هؤلاء وقد لبسوا الكُزَاغَنْدات والمغافر؟ قال: في أعينهم؛ فسُمّي ذلك اليوم يوم العين[١].

والتحم القتال، واشتدّت الحرب، فاتّفقت صنهاجة على الهزيمة، وترك المعزّ مع العبيد حتّى يرى فعلهم، ويقتل أكثرهم، فعند ذلك يرجعون على العرب، فانهزمت صنهاجة، وثبت العبيد مع المعزّ، فكثُر القتل فيهم، فقُتل منهم خلق كثير، وأرادت صنهاجة الرجوع على العرب، فلم يمكنهم ذلك، واستمرّت[٢] الهزيمة، وقُتل من صنهاجة أمّةٌ عظيمة، ودخل المعزُّ القَيروان مهزوماً، على كثرة مَن معه، وأخذت العرب الخيل والخيام وما فيها من مالٍ وغيره، وفيه يقول بعض الشعراء[٣]:

وإنّ ابـنَ بـاديـسٍ لأفضَـلُ[٤] مـالـكٍ، ولكــن لعَمْــري[٥] مــا لَــديَــهِ رجــالُ
ثــلاثــون ألفــاً منهُــمُ غلبتْهُــمُ ثــلاثــةُ ألــفٍ إنَّ ذا لَمُحــالُ[٦]

ولمّا كان يوم النحر من هذه السنة جمع المعزُّ سبعة وعشرين ألف فارس وسار إلى العرب جريدة، وسبق خبرَه، وهجم عليهم وهم في صلاة العيد، فركبت العرب خيولهم وحملتْ، فانهزمت صنهاجة، فقُتل منهم عالم كثير.

ثم جمع المعزُّ وخرج بنفسه في صنهاجة وزناتة في جمع كثير، فلمّا أشرف على بيوت العرب، وهو قبليّ جبل جَندران، (انتشب القتال)[٧]، واشتعلت نيران الحرب، وكانت العرب سبعة آلاف فارس، فانهزمت (صنهاجة وولّى كلّ رجل منهم إلى منزله، وانهزمت)[٨] زناتة، وثبت المعزُّ فيمن معه من عبيده ثباتاً عظيماً لم يُسمع بمثله، ثم

---

(١) في (أ): «العينين»، وفي نهاية الأرب ٢٤/ ٢١٥ «أبا العينين».
(٢) في (أ): «واشتهرت».
(٣) هو: علي بن رزق الرياحي، وأو ابن شداد، كما في: البيان المغرب ١٠/ ٤٢٠، تاريخ ابن خلدون ٦/ ٣٣.
(٤) في تاريخ الفتح العربي في ليبيا للطاهر الزاوي ٢٠٠ «لأحزم».
(٥) في تاريخ ابن خلدون ٦/ ٣٣ «لعمري ولكن».
(٦) ورد بصيغ مختلفة في: البيان المغرب، وتاريخ ابن خلدون، والفتح العربي.
(٧) في الباريسية: «فاست العرب».
(٨) من الباريسية.

انهزم وعاد إلى المنصوريّة، وأُحصي من قُتل من صنهاجة ذلك اليوم، فكانوا ثلاثة آلاف وثلاثمائة.

ثم أقبلت العرب حتّى نزلت بمصلّى القَيروان، ووقعت الحرب، فقُتل من المنصورية ورَقّادة خلق كثير، فلمّا رأى ذلك المعزُّ أباحهم دخول القَيروان لما يحتاجون إليه من بيع وشراء، فلمّا دخلوا استطالت عليهم العامّة، ووقعت بينهم حرب كان سببها فتنة بين إنسان عربيّ وآخر عاميّ وكانت الغَلَبَة للعرب[1].

وفي سنة أربعٍ وأربعين [وأربعمائة] بُني سور زَوِيلة والقَيروان، وفي سنة ستّ وأربعين حاصرت العرب القَيروان، وملك مؤنس بن يحيى مدينة بَاجَةَ، وأشار المعزُّ على الرعيّة بالانتقال إلى المهديّة لعجزه عن حمايتهم من العرب.

وشرعت العرب في هدم الحصون والقصور، وقطعوا الثمار[2]، وخرّبوا الأنهار، وأقام المعزُّ والناس ينتقلون إلى المهديّة إلى سنة تسعٍ وأربعين، فعدنها انتقل المعزُّ إلى المهديّة في شعبان، فتلقّاه ابنه تميم، ومشى بين يديه[3]، وكان أبوه قد ولّاه المهديّة سنة خمسٍ وأربعين، فأقام بها إلى أن قِدم أبوه الآن.

وفي رمضان من سنة تسعٍ وأربعين نهبت العرب القَيروان[4].

وفي سنة خمسين خرج بُلُكّين[5] ومعه العرب زناتة، فقاتلهم، فانهزمت زناتة وقُتل منها عدد كثير[6].

وفي سنة ثلاثٍ وخمسين (وقعت الحرب بين العرب وهوارة، فانهزمت هوارة وقُتل منها الكثير.

وفي سنة ثلاثٍ وخمسين)[7] قتل أهل تَقْيُوس من العرب مائتَيْن وخمسين رجلاً،

---

(١) نهاية الأرب ٢٤/٢١٢ ـ ٢١٦، البيان المغرب ١/٤٢٠، ٤٢٦، تاريخ ابن خلدون ٤/١٣١.
(٢) في (أ): «الأشجار».
(٣) نهاية الأرب ٢٤/٢١٧.
(٤) نهاية الأرب ٢٤/٢١٧.
(٥) في الباريسية: «ملكن».
(٦) نهاية الأرب ٢٤/٢١٧.
(٧) ما بين القوسين من (أ).

وسبب ذلك أنّ العرب دخلت المدينة متسوّقة، فقتل رجل من العرب رجلاً متقدّماً من أهل البلد، لأنّه سمعه يُثني على المعزّ ويدعو له، فلمّا قُتل ثار أهل البلد بالعرب، فقتلوا منهم العدد المذكور.

وكان ينبغي أن يأتي كلّ شيء من ذلك في السنة التي حدث فيها، وإنّما أوردناه متتابعاً ليكون أحسن لسياقته، فإنّه إذا انقطع وتخلّلته الحوادث في السنين لم يُفهم.

ذكر عدّة حوادث

فيها سار المُهلهِل بن محمّد بن عنّاز أخو أبي الشوك إلى السلطان طُغْرُلْبك، فأحسن إليه وأقرّه على إقطاعه، ومن جملته السِّيروان، ودَقُوقا، وشَهرزُور، والصَّامَغَان، وشفّعه في أخيه سُرخاب بن محمّد بن عنّاز، وكان محبوساً عند طُغْرُلْبك، وسار سُرخاب إلى قلعة الماهكي، وهي له، وأقطع سعدي بن أبي الشوك الراوندَيْن.

وفيها قبض المستنصر بمصر على أبي البركات عمّ أبي القاسم الجَرْجَرائيّ، واستوزر القاضي أبا محمّد الحسن بن عبد الرحمن اليازوريَّ[1]، ويازور: من أعمال الرَّملة.

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي محمّد بن أحمد بن محمّد بن عبدالله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله أبو الحسين، ومولده سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

وفيها، في شعبان، توفّي أبو الحسن عليُّ بن عمر القزوينيُّ[2]، الزاهد، وكان من الصالحين، روى الحديث، والحكايات، والأشعار، وروى عن ابن نُباتة شيئاً من شعره، فمن ذلك قال ابن نُباتة:

---

(١) أخبار مصر لابن ميسّر ٢/٢، أخبار الدول المنقطعة ٧٨، الإشارة إلى من نال الوزارة ٣٨، ٣٩.

(٢) انظر عن (القزويني) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٦٤ ـ ٦٨ رقم ٤٨ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

وإذا عجـزتَ عـن العـدوّ فـدارِهِ، وامـزُجْ لـه، إنّ المِـزاجَ وِفـاقُ
فـالنـارُ بـالمـاء الـذي هـو ضـدُّهـا تُعطـي النِّضـاج وطبعُهـا[1] الإحـراقُ

وفيها، في ذي القعدة، توفّي أبو القاسم عمر بن ثابت النَّحْويُّ الضّرير، المعروف بالثمانينيّ[2].

---

(1) في الباريسية: «وضدّها».

(2) انظر عن (الثمانيني) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٦٨، ٦٩ رقم ٥٠ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

٤٤٣
ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة

ذكر نهب سُرّق والحرب الكائنة عندها وملك الرحيم رامَهُرمُز

وفيها، في المحرّم، اجتمع جمع كثير من العرب والأكراد، وقصدوا سُرَّقَ (من خُوزستان)[١]، ونهبوها، ونهبوا دُورَق، ومقدّمهم مطارد بن منصور، ومذكور بن نزار، فأرسل إليهم الملك الرحيم جيشاً، ولقوهم بين سُرَّقَ وُدورَق، فاقتتلوا، فقُتل مطارد وأُسر ولده، وكثر القتل فيهم، واستنقذوا ما نهبوه، ونجا الباقون على أقبح صورة من الجراح والنهب، فلمّا تمّ هذا الفتح للملك الرحيم انتقل من عسكر مُكرَم متقدّماً إلى قَنطرة أرْبَقَ، ومعه دُبيس بن مَزْيَد والبساسيريُّ وغيرهما.

ثم إنّ (الأمير أبا منصور، صاحب فارس)[٢]، وهزارسب بن بنكير[٣]، ومنصور بن الحسين الأسديَّ، ومن معهما من الديلم والأتراك، ساروا من أرّجان يطلبون تُستَر، فسابقهم الرحيم إليها، وحال بينهم وبينها، والتقت الطلائع، فكان الظفر لعسكر الرحيم.

ثم إنّ الإرجاف وقع في عسكر هزارسب بوفاة الأمير أبي منصور ابن الملك أبي كاليجار بمدينة شِيراز، فسُقط في أيديهم وعادوا، وقصد كثير منهم الملك الرحيم فصاروا معه، فسيّر قطعة من الجيش إلى رامَهُرمُز، وبها أصحاب هزارسب، وقد أفسدوا في تلك الأعمال، فلمّا وصل إليها[٤] عسكر الرحيم خرج أولئك إلى قتالهم،

---

(١) من (أ).
(٢) من (أ).
(٣) في (أ): «منكر».
(٤) في الباريسية: «إليهم».

فاقتتلوا قتالاً شديداً أُكثر فيه القتل والجراح، (ثم انهزم أصحاب هزارسب فدخلوا البلد وحُصروا فيه)[1]، ثم ملك البلد عَنوةً، ونهب وأسر جماعة من العساكر التي فيه، وهرب كثير منهم إلى هزارسب، وهو بإيذج، وملك الملك الرحيم البلد في ربيع الأوّل من هذه السنة.

ذكر ملك الملك الرحيم إصطخر وشيراز

في هذه السنة سيّر الملك الرحيم أخاه الأمير أبا سعد في جيش إلى بلاد فارس.

وكان سبب ذلك أنّ المقيم في قلعة إصْطَخْر، وهو أبو نصر بن خسرو، كان له أخَوان قبض[2] عليهما هزارسب بن بنكير[3] بأمر الأمير أبي منصور، فكتب إلى الملك الرحيم يبذل له الطاعة والمساعدة، ويطلب أن يسيّر إليه أخاه ليملّكه بلاد فارس، فسيّر إليه أخاه أبا سعد في جيش، فوسل إلى دَوْلَتَابَاذَ، فأتاه كثير من عساكر فارس الديلم، والتُّرك، والعرب، والأكراد، وسار منها إلى قلعة إصطَخر، فنزل إليه صاحبها أبو نصر، فلقِيَه وأصعده إلى القلعة، وحمل له وللعساكر التي معه الإقامات والخِلع وغيرها.

ثم ساروا منها إلى قلعة بَهَنْدَر[4] فحصروها، (وأتاه كتب)[5] (بعض مستحفظي البلاد الفارسيّة بالطاعة، منها مستحفظ دَرَابْجِرْدَ وغيرها، ثم سار إلى شِيراز فملكها في رمضان)، فلمّا سمع (أخوه الأمير)[6] أبو منصور، وهزارسب، ومنصور بن الحسين الأسديُّ ذلك ساروا في عسكرهم إلى الملك الرحيم فهزموه، على ما نذكره إن شاء الله تعالى، وفارق الأهواز إلى واسط، ثمّ عطفوا من الأهواز إلى شِيراز لإجلاء الأمير أبي سعد عنها، فلمّا قاربوها لِقيهم أبو سعد وقاتلهم فهزمهم، فالتجأوا إلى جبل قلعة بَهَنْدَر[7]، وتكرّرت الحروب بين الطائفتَيْن إلى منتصف شوّال، فتقدّمت طائفة من

---

(١) من الباريسية.
(٢) في الباريسية: «فهرب».
(٣) في (أ): «ينكير».
(٤) في الباريسية: «يهدز».
(٥) إضافة على الأصل.
(٦) من (أ).
(٧) في الباريسية: «مدز».

عسكر أبي سعد فاقتتلوا عامّة النهار ثم عادوا، فلمّا كان الغد التقى العسكران جميعاً واقتتلوا، فانهزم عسكر الأمير أبي منصور، وظفر أبو سعد، وقتل منهم خلقاً كثيراً، واستأمن إليه كثير منهم، وصعِد أبو منصور إلى قلعة بَهَندر واحتمى بها، وأقام إلى أن عاد إلى ملكه، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ولمّا فارق الأمير أبو منصور الأهواز أُعيدت الخطبة للملك الرحيم، وأرسل من بها من الجُند يستدعونه إليهم.

ذكر انهزام الملك الرحيم بالأهواز

لمّا انصرف الأمير أبو منصور، وهزارسب، ومن معهما من منزلهم قريب تُستَر، على ما ذكرناه، مَضَوا إلى إيذَج وأقاموا فيها، وخافوا الملك الرحيم واستضعفوا نفوسهم عن مقاومته، فاتّفق رأيهم على أن راسلوا السلطان طُغْرُلْبك، وبذلوا له الطّاعة، وطلبوا منه المساعدة، فأرسل إليهم عسكراً كثيراً، وكان قد ملك أصبهان، وفرغ باله منها.

وعرف الملك الرحيم ذلك، وقد فارقه كثير من عسكره، منهم: البساسيريُّ ونور الدولة دُبَيْس بن مَزْيد، والعرب، والأكراد، وبقي في الديلم الأهوازيّة وطائفة قليلة من الأتراك البغداذيّين كانوا وصلوا إليه أخيراً، فقرّر رأيه على أن عاد من عسكر مُكرَم إلى الأهواز لأنّها أحصن، وينتظر بالمقام فيها وصول العساكر، ورأى أن يرسل أخاه الأمير أبا سعد إلى فارس، حيث طُلب إلى أصطَخْر، على ما ذكرناه[1]، وسيّر معه جمعاً صالحاً من العساكر، ظنّاً منه أنّ أخاه إذا وصل إلى فارس ومُلكت[2] قلعة إصطَخْر انزعج الأمير أبو منصور، وهزارسب، ومن معهما، واشتغلوا بتلك النواحي عنه، فازداد قلقاً[3] وضعفاً، فلم يلتفت أولئك إلى الأمير أبي سعد بل ساروا مُجِدّين إلى الأهواز، فوصلوها أواخر ربيع الآخر.

ووقعت الحرب بين الفريقَيْن يومَيْن متتابعَيْن كثر فيهما القتال واشتدّ، فانهزم

---

(١) في الباريسية: «نذكره».
(٢) في (أ): «وملك».
(٣) في (أ): «قلة».

الملك الرحيم، وسار في نفر قليل إلى واسط، ولقي في طريقه مشقّة، وسلم واستقرّ بواسط فيمن لحِق به من المنهزمين، ونُهبت الأهواز، وأُحرق فيها عدّة محالّ، وفُقد في الوقعة الوزير كمال الملك أبو المعالي بن عبد الرحيم، (وزير الملك الرحيم)[1]، فلم يُعرف له خبر[2].

ذكر الفتنة بين العامّة ببغداذ وإحراق المشهد على ساكنيه[3] السلام

في هذه السنة، في صفر، تجدّدت الفتنة ببغداذ بين السُّنّة والشيعة، وعظُمت أضعاف ما كانت قديماً، فكان الاتفاق الذي ذكرناه في السنة الماضية غير مأمون الانتقاض، لما في الصدور من الإحَن.

وكان سبب هذه الفتنة أنّ أهل الكرخ شرعوا في عمل باب السمّاكين، وأهل القلّائين في عمل ما بقي من باب مسعود، ففرغ أهل الكرْخ، وعملوا أبراجاً كتبوا عليها بالذّهب: محمّد وعليّ خير البشر؛ وأنكر الُسنّة ذلك وادّعوا أنّ المكتوب: محمّد وعليّ خير البشر، فمن رضي فقد شكر، ومن أبى[4] فقد كفر؛ وأنكر أهل الكرْخ الزيادة وقالوا: ما تجاوزنا ما جرت به عادتنا فيما نكتبه على مساجدنا. فأرسل الخليفة القائم بأمر الله أبا تمّام، نقيب العبّاسيّين ونقيب العلويّين، وهو عدنان بن الرضِيّ، لكشْف الحال وإنهائه، فكتبا بتصديق قول الكرْخيّين، فأمر حينئذٍ الخليفة ونوّاب الرحيم بكفّ القتال، فلم يقبلوا؛ وانتدب ابن المذهِب القاضي[5]، والزهيريّ، وغيرهما من الحنابلة أصحاب عبد الصّمد [أن] يحمل العامّة على الإغراق في الفتنة، فأمسك نوّاب الملك الرحيم عن كفّهم غيظاً من رئيس الرؤساء لميله إلى الحنابلة، ومنع هؤلاء[6] السُّنّة من حمل الماء من دجلة إلى الكرْخ، وكان نهر عيسى قد انفتح

---

(١) من (أ).
(٢) المنتظم ٨/ ١٥١ (١٥/ ٣٣١).
(٣) في الأوربية: «ساكنها».
(٤) في الأوربية: «أبا».
(٥) في (أ): «القاص».
(٦) في (أ): «أهل».

بثقُهُ، فعظُم الأمر عليهم، وانتدب جماعة منهم وقصدوا دجلة وحملوا الماء وجعلوه في الظروف، وصبّوا عليه ماء الورد، ونادوا: الماء للسبيل؛ فأغروا بهم السُنّة.

وتشدّد رئيس الرؤساء على الشيعة، فمحوا: خير البشر، وكتبوا: عليهما السلام، فقالت السُنّة: لا نرضى إلاّ أن يُقلع الآجُرّ الذي عليه محمّد وعليّ وأن لا يؤذَّن: حيَّ على خير العمل؛ وامتنع الشيعة من ذلك، ودام القتال إلى ثالث ربيع الأوّل، وقُتل فيه رجل هاشميّ من السُنّة، فحمله أهله على نعش، وطافوا به في الحربيّة، وباب البصرة، وسائر محالّ السُنّة، واستنفروا الناس للأخذ بثأره، ثم دفنوه عند أحمد بن حَنبَل، وقد اجتمع معهم خلْقٌ كثير أضعاف ما تقدّم.

فلمّا رجعوا من دفنه قصدوا مشهد باب التبْن فأُغلق بابه، فنقبوا في سوره وتهدّدوا البوّاب، فخافهم وفتح الباب[1] فدخلوا ونهبوا ما في المشهد من قناديل ومحاريب ذهب وفضّة وستور وغير ذلك، ونهبوا (ما في التُّرب والدُّور)[2]، وأدركهم الليل فعادوا.

فلمّا كان الغد كثُر الجَمْع، فقصدوا المشهد، وأحرقوا جميع التُّرَب والازاج، واحترق ضريح موسى، وضريح ابن ابنه محمّد بن عليّ، والجوار، والقُبّتان الساج اللتان عليهما، واحترق ما يقابلهما ويجاورهما من قبور ملوك بني بُوَيْه، مُعزّ الدولة، وجلال الدولة، ومن قبور الوزراء والرؤساء، وقبر جعفر بن أبي المنصور، وقبر الأمير محمّد بن الرشيد، وقبر أمّه زبيدة، وجرى من الأمر الفظيع ما لم يجرِ في الدنيا مثله.

فلمّا كان الغد خامس الشهر عادوا وحفروا قبر موسى بن جعفر ومحمّد بن عليّ لينقلوهما إلى مقبرة أحمد بن حَنبَل، فحال الهدْم بينهم وبين معرفة القبر، فجاء الحفر إلى جانبه.

وسمع أبو تمّام نقيب العبّاسيّين وغيره من الهاشميّين السُنّة الخبر، فجاؤوا ومنعوا عن ذلك، وقصد أهل الكرْخ إلى خان الفقهاء (الحنفيّين فنهبوه، وقتلوا مدرّس

---

(١) في (أ): «لهم».
(٢) في (أ): باقي الدور.

الحنفيّة أبا سعد السَّرْخَسيَّ، وأحرقوا الخان ودُور الفقهاء)[1]. وتعدّت الفتنة إلى الجانب الشرقيّ، فاقتتل أهل باب الطّاق وسوق بَجّ[2]، والأساكفة، وغيرهم.

ولمّا انتهى خبر إحراق المشهد إلى نور الدولة دُبَيْس بن مَزْيد عظُم عليه واشتدّ وبلغ منه كلّ مبلغ، لأنّه وأهل بيته وسائر أعماله من النيل، وتلك الولاية كلّهم شيعة، فقُطعت في أعماله خطبة الإمام القائم بأمر الله، فروسل في ذلك وعوتب، فاعتذر بأنّ أهل ولايته شيعة، واتّفقوا على ذلك، فلم يمكنه أن يَشُقّ عليهم، كما أنّ الخليفة لم يمكنه كفّ السفهاء الذين فعلوا بالمشهد ما فعلوا، وأعاد الخطبة إلى حالها[3].

ذكر عصيان بني قُرّة على المستنصر بالله بمصر

في هذه السنة، في شعبان، عصى بنو قُرّة بمصر على المستنصر بالله الخليفة العلويّ.

وكان سبب ذلك أنه أمّر عليهم رجلاً منهم يقال له المُقَرّب، وقدّمه، فنفروا من ذلك وكرهوه واستعفوا[4] منه، فلم يعزله عنهم، فكاشفوا بالخلاف والعصيان، وأقاموا بالبحيرة[5] مقابل مصر، وتظاهروا بالفساد، فعبّر إليهم المستنصر بالله جيشاً يقاتلهم ويكفّهم، فقاتلهم بنو قُرّة فانهزم الجيش، وكثُر القتل فيهم، فانتقل بنو قُرّة إلى طرف البرّ، فعظُم الأمر على المستنصر بالله، وجمع العرب من طَيّء، وكلب، وغيرهما من[6] العساكر، وسيّرهم في أثر بني قُرّة، فأدركوهم بالبحيرة[7]، فواقعوهم في ذي القعدة، واشتدّ القتال، وكثُر القتل في بني قُرّة، وانهزموا وعاد العسكر إلى مصر،

---

(١) من (أ).

(٢) في (أ): «بحي».

(٣) المنتظم ٨/ ١٥٠ (١٥/ ٣٣٠، ٣٣١)، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٧١، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ)، ص ٩، ١٠، العبر ٣/ ٢٠١، دول الإسلام ١/ ٢٦١، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٥٢، مرآة الجنان ٣/ ٦١، شذرات الذهب ٣/ ٢٧٠.

(٤) في الباريسية: «واستغاثوا».

(٥) في طبعة صادر ٩/ ٥٧٨ «بالجيزة».

(٦) في (أ) زيادة: «العرب و».

(٧) في طبعة صادر ٩/ ٥٧٨ «بالجيزة». والمثبت عن الأوربية، وأخبار مصر لابن ميسّر، واتعاظ الحنفا.

وتركوا في مقابل بني قُرّة طائفة منهم لتردّ بني قُرّة إن أرادوا التعرّض إلى البلاد، وكفى الله شرّهم[١].

ذكر وفاة زعيم الدولة وإمارة قُرَيش بن بدران

في هذه السنة، في شهر رمضان، توفّي زعيم الدولة أبو كامل بركة بن المقلّد[٢] بتكِريت، وكان انحدر إليها في حِلَله قاصداً نحو العراق لينازع النوّاب به عن الملك الرحيم، وينهب[٣] البلاد، فلمّا بلغها انتقض عليه جُرْحٌ كان أصابه من الغُزّ لمّا ملكوا الموصل، فتوفّي، ودُفن بمشهد الخَضِر بتَكريت.

واجتمعت (العرب من أصحابه على تأمير علم الدين أبي المعالي قريش بن بدران ابن المقلّد، فعاد بالحلل)[٤] والعرب إلى الموصل، وأرسل إلى عمّه قِرواش، وهو تحت الاعتقال، يُعلِمه بوفاة زعيم الدولة، وقيامه (بالإمارة، وأنّه يتصرّف على اختياره، ويقوم)[٥]، ؛ بالأمر نيابة عنه، فلمّا وصل قريش إلى الموصل جرى بينه وبين عمّه قِرواش منازعة ضعف فيها قِرواش، وقوي ابن أخيه، ومالت العرب إليه[٦] واستقرّت الإماره له، وعاد عمّه إلى ما كان عليه من الاعتقال الجميل، والاقتصار به على قليل من الحاشية والنساء والنفقة، ثم نقله إلى قلعة الجراحية من أعمال الموصل، فاعتُقل بها.

ذكر عدّة حوادث

ظهر ببغداذ يوم الأربعاء، سابع صفر وقت العصر، كوكب غلب نوره على نور الشمس، له ذُؤآبة نحو ذراعَيْن، وسار سيراً بطيئاً ثم انقضّ، والناس يشاهدونه.

---

(١) أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٦، إتعاظ الحنفا ٢/ ٢١٨ ـ ٢٢٠.

(٢) انظر عن (بركة) في: المنتظم ٨/ ١٥١ رقم ٢١٨ (١٥/ ٣٣٢ رقم ٣٣٠٢)، وتاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٧٧ رقم ٧٢.

(٣) في الباريسية «ونهب».

(٤) ما بين القوسين من (أ)، وورد في الباريسية: «الحلل».

(٥) من (أ).

(٦) في الباريسية: «عليه».

وفيها، في رمضان، ورد رُسُل السلطان طُغْرُلْبك إلى الخليفة جواباً عن رسالة الخليفة إليه، وشُكراً لإنعام الخليفة عليه بالخِلع والألقاب، وأرسل معه طُغْرُلْبك إلى الخليفة عشرة آلاف دينار عيناً، وأعلاقاً نفيسة من الجواهر، والثياب، والطِّيب، وغير ذلك، وأرسل خمسة آلاف دينار للحاشية، وألفَيْ دينار لرئيس الرؤساء، وأنزل الخليفة الرسل بباب المراتبِ، وأمر بإكرامهم، ولمّا جاء العيد أظهر أجناد بغداذ الزينة الرائقة، والخيول النفيسة، (والتّجافيف الحَسَنة)[1]، وأرادوا إظهار قوّتهم عند الرسل.

وفيها عاد الغُزّ أصحاب الملك داود أخي طُغْرُلْبك عن كَرْمان، وسبب عَودهم أنّ عبد الرشيد بن محمود بن سبكتِكِين، صاحب غَزْنة، سار عنها إلى خُراسان، فالتقى هو والملك داود، واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم داود، فاقتضى[2] الحال عَود أصحابه عن كَرمان.

وفيها أيضاً عاد السلطان طُغْرُلْبك عن أصبهان إلى الرَّيّ.

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي أبو كاليجار كرشاسف بن علاء الدولة بن كاكَوَيْه بالأهواز، وكان قد استخلفه بها الأمير أبو منصور عند عَوده عنها إلى شِيراز، فلمّا توفّي خطب للملك الرحيم بالأهواز.

وفيها توفّي أبو عبدالله الحسين بن المرتضى الموسويُّ.

وفيها، في ربيع الأوّل، توفّي أبو الحسن محمّد بن محمّد البَصْرويُّ[3] (الشاعر، وهو)[4] منسوب إلى قرية تسمّى بُصْرَى قريب عُكبرا[5]، وكان صاحب نادرة، قال له رجل: شربتُ البارحة ماءً كثيراً، فاحتجتُ إلى القيام كلّ ساعة كأنّي جَدْي؛ فقال له: لِمَ تصغّر نفسَك؟ ومن شِعره:

---

(١) من (أ).

(٢) في الأوربية: «فاقتفى».

(٣) انظر عن (البصروي) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٨٤ رقم ٩١ وفيه مصادر ترجمته.

(٤) من (أ).

(٥) زاد في (أ): «الشاعر».

ترى[1] الدنيا، وزينتها[2]، فتصبو[3]، ... وما يَخلو من الشَّهوات قلبُ
فضولُ العيشِ أكثرُها همومٌ ... وأكثرُ ما يَضرُّك ما تُحِبُّ
فلا يَغْرُرْك زُخرفُ ما تَراهُ، ... وعيشٌ ليّنُ الأعطافِ رَطْبُ
إذا ما بُلغةٌ جاءتكَ عفواً، ... فخذها، فالغنى مَرْعَى وشُربُ
إذا اتّفقَ القليلُ وفيه[4] سِلمٌ، ... فلا تُرِدِ الكثير وفيه حربُ[5]

(١) في المنتظم: «نرى»، وفي الباريسية «يرى».
(٢) في (أ) والمنتظم: «وزهرتها».
(٣) في المنتظم: «فنصبو».
(٤) في الباريسية: «وأنت».
(٥) المنتظم ٨/ ١٥٢ (١٥/ ٣٣٣).

٤٤٤
ثم دخلت سنة أربع وأربعين وأربعمائة

ذكر قتل عبد الرشيد صاحب غَزْنَة وملك فرّخ زاد

في هذه السنة قُتل عبد الرشيد بن محمود بن سُبُكْتِكِين صاحب غَزْنة.

وكان سبب ذلك أنّ حاجباً لمودود ابن أخيه مسعود، اسمه طُغرل[١]، وكان مودود قد قدّمه، ونوّه باسمه، وزوّجه أخته، فلمّا توفّي مودود وملك عبد الرشيد أجرى طُغْرل على عادته في تقدّمه، وجعله حاجب[٢] حُجّابه، فأشار عليه طُغْرل بقصد الغُزّ وإجلائهم من خُراسان، فتوقّف استبعاداً لذلك، فألحّ عليه طُغْرل، فسيّره في ألف فارس، فسار نحو سِجِستان، وبها أبو الفضل، نائباً عن بَيْغو، فأقام طُغْرل على حصار قلعة طاق[٣]، وأرسل إلى أبي الفضل يدعوه إلى طاعة عبد الرشيد، فقال له: إنّني نائب عن بَيْغو، وليس من الدين والمروءة خيانته، فاقصدهُ، فإذا فرغتَ منه سلّمتُ إليك. فقام على حصار طاق أربعين يوماً، فلم يتهيّأ له فتحها[٤]؛ وكتب أبو الفضل إلى بَيْغو يعرّفه حال طُغْرل، فسار إلى سِجِستان ليمنع عنها طُغْرل.

ثم إنّ طُغْرل ضجر من مُقامه على حصار طاق، فسار نحو مدينة سِجِستان، فلمّا كان على نحو فرسخ منها كمن بحيث لا يراه أحد (لعلّةٍ يجدها، وفرصة ينتهزها)[٥]، فسمع أصواب دبادب وبوقات، فخرج وسأل بعض من على الطريق، فأخبره أنّ بَيْغو قد وصل، فعاد إلى أصحابه وأخبرهم وقال لهم: ليس لنا إلاّ أن نلتقي القوم، ونموت

(١) في الباريسية: «طغرلبك»، وفي (أ): «طغرك».
(٢) في الباريسية: «صاحب».
(٣) في (أ): «قلعة حصار طاق».
(٤) في (أ): «ملكها».
(٥) في (أ): «العله يجد غرة وفرصة ينتهز».

تحت السيوف أعزّةً، فإنّه لا سبيل لنا إلى الهرب لكثرتهم وقلّتنا. فخرجوا من مكمنهم، فلمّا رآهم بَيْغو سألَ أبا الفضل عنهم، فأخبره أنّه طُغْرل، فاستقلّ من معه، وسيّر طائفة من أصحابه لقتالهم، فلمّا رآهم طُغرل لم يُعرّج عليهم، بل أقحم فرسه نهراً هناك فعبره، وقصد بَيْغو ومن معه، فقاتلهم، وهزمهم طُغْرل وغنم ما معهم، ثم عطف على الفريق[1] الآخر، فصنع بهم مثل ذلك، وأَمَّ[2] بَيْغو وأبو الفضل نحو هَراة، وتبِعهم طُغْرل نحو فرسخَيْن، وعاد إلى المدينة فملكها، وكتب إلى عبد الرشيد بما كان منه، ويطلب الإمداد ليسير إلى خُراسان، فأمّده بعدّةٍ كثيرة من الفرسان، فوصلوا إليه، فاشتدّ بهم وأقام مُدَيْدة.

ثمّ حدّث نفسه بالعَود إلى غَزنة والاستيلاء عليها، فأعلم أصحابه ذلك، وأحسن إليهم، واستوثق منهم، ورحل إلى غَزْنة طاوياً للمراحل كاتماً أمره، فلمّا صار على خمسة فراسخ من غَزْنة أرسل إلى عبد الرشيد مخادعاً له يُعلمه أنّ العسكر خالفوا عليه، وطلبوا الزيادة في العطاء، وأنّهم عادوا بقلوبٍ متغيّرة مستوحشة. فلمّا وقف على ذلك جمع أصحابه وأهل ثقته وأعلمهم الخبر، فحذّروه منه، وقالوا له: إنّ الأمر قد أعجل عن الاستعداد، وليس غير الصعود إلى القلعة والتحصّن بها. فصعد إلى قلعة غَزْنة وامتنع بها.

ووافى طُغرل من الغد إلى البلد، ونزل في دار الإمارة، وراسل المقيمين بالقلعة في تسليم عبد الرشيد، ووعدهم، ورغّبهم إن فعلوا، وتهدّدهم إن امتنعوا. فسلّموه إليه، فأخذه طُغرل فقتله، واستولى على البلد وتزوّج ابنة[3] مسعود كرهاً.

وكان في الأعمال الهنديّة أمير يسمّى خرخيز[4]، ومعه عسكر كثير[5]، فلمّا قتل طُغْرل عبدَ الرشيد واستولى على الأمر كتب إليه ودعاه إلى الموافقة والمساعدة على ارتجاع الأعمال من أيدي الغُزّ، ووعده على ذلك، وبذل البذول الكثيرة، فلم يرض

---

(١) في (أ): «الغزّ».
(٢) في الأوربية: «وتمّ».
(٣) في (أ) زيادة: «السلطان».
(٤) في الباريسية: «خرخير».
(٥) في (أ): «عساكر كثيرة».

فِعله، وأنكره وامتعض[1] منه، وأغلظ له في الجواب، وكتب إلى ابنة مسعود بن محمود زوجة طُغْرل، ووجوه القوّاد يُنكر ذلك عليهم، ويوبّخهم على إغضائهم وصبرهم على ما فعله طُغْرل من قتل ملكهم وابن ملكهم، ويحثّهم على الأخذ بثأره. فلمّا وقفوا على كتبه عرفوا غلطتهم[2] ودخل جماعة منهم على طُغْرل، ووقفوا بين يديه، فضربه أحدهم بسيفه، وتبِعه الباقون فقتله.

وورد خرخيز الحاجب بعد خمسة أيّام، وأظهر الحُزن على عبد الرشيد، وذمّ طُغرل ومن تابعه على فعله، وجمع وجوه القوّاد وأعيان أهل البلد وقال لهم: قد عرفتم ما جرى ممّا خولفت به الديانة والأمانة، وأنا تابعٌ، ولا بدّ للأمر من سائس، فاذكروا ما عندكم من[3] ذلك! فأشاروا بولاية فرّخ زاد بن مسعود بن محمود، وكان محبوساً في بعض القلاع، فأُحضر وأجلس بدار الإمارة وأقام خرخيز بين يديه يدبّر الأمور، وأخذ من أعان على قتل عبد الرشيد فقتله. فلمّا سمع داود أخو طُغْرلبك صاحب خُراسان بقتل[4] عبد الرشيد جمع عساكره وسار إلى غَزْنة، فخرج إليه خرخيز ومنعه وقاتله، فانهزم داود وغنم ما كان معه.

ولمّا استقرّ ملك فرّخ زاد وثبت قدمه جهّز جيشاً جرّاراً إلى خُراسان، فاستقبلهم الأمير كُلْسَارُغ، وهو من أعظم الأمراء، فقاتلهم، وصبر لهم، فظفروا به، وانهزمّ أصحابه عنه، وأُخذ أسيراً، وأُسر معه كثير من عسكر خُراسان ووجوههم وأمرائهم. فجمع ألْب أرسلان عسكراً كثيراً، وسيّر[5] والده داود في ذلك العسكر إلى الجيش الذي أسر كُلْسَارُغ، فقاتلهم وهزمهم، وأسر جماعة من أعيان العسكر، فأطلق فرّخ زاد الأسرى، وخلع على كُلْسارُغ وأطلقه[6].

---

(١) في (أ): «وامتنع».
(٢) في الأوربية: «غلظهم»، وفي الباريسية: «كتبهم».
(٣) في الباريسية: «في».
(٤) في الأوربية: «قتل».
(٥) في (أ): «وسيره».

ذكر وصول الغُزّ إلى فارس وانهزامهم عنها

في هذه السنة وصل أصحاب السلطان طُغْرلبك إلى فارس، وبلغوا إلى شِيراز، ونزلوا بالبيضاء، واجتمع معهم العادل أبو منصور الذي كان وزير الأمير أبي منصور الملك أبي كاليجار، ودبّر أمرهم، فقبضوا عليه وأخذوا منه ثلاث قلاع، وهي: قلعة كَبزة[1]، وقلعة جُوَيم، وقلعة بَهَنْدر[2]، فأقاموا بها، وسار من الغُزّ نحو مائتيْ رجل إلى الأمير أبي سعد، أخي الملك الرحيم، وصاروا معه، وراسل أبو سعد الذين بالقلاع المذكورة، فاستمالهم، فأطاعوه وسلّموا القلاع إليه وصاروا في خدمته.

واجتمع العسكر الشيرازيُّ، وعليهم الظهير أبو نصر، وأوقعوا بالغُزّ بباب شِيراز، فانهزم الغُزُّ، وأُسر تاج الدين نصر بن هبة الله بن أحمد، وكان من المقدّمين عند الغُزّ، فلمّا انهزم الغُزُّ سار العسكر الشيرازيُّ إلى فَسا، وكان قد تغلّب عليها بعض السفل، وقوي أمره لاشتغال العساكر بالغُزّ، فأزالوا المتغلّب عليها واستعادوها.

ذكر الحرب بين قُرَيش وأخيه المقلّد

في هذه السَّنة جرى خُلْف بين عَلَم الدين قريش بن بدران وبين أخيه المقلّد، وكان قريش قد نقل عمّه قِرواشاً إلى قلعة الجراحيّة من أعمال الموصِل وسجنه بها، وارتحل يطلب العراق، فجرى بينه وبين أخيه المقلّد منازعة أدّت إلى الاختلاف. فسار المقلّد إلى نور الدولة دُبَيْس بن مَزْيد ملتجئاً إليه، فحمل أخاه الغيظ منه على أن نهب حلّته وعاد إلى الموصل، واختلّت أحواله، واختلفت العرب عليه، وأخرج نوّاب الملك الرحيم ببغداذ إلى ما كان بيد قريش من العراق بالجانب الشرقيّ من عُكبرا، والعِلث، وغيرهما مَنْ قَبَضَ غَلته[3]، وسلّم الجانب الغربيّ من أوانا ونهر بيطر إلى أبي الهندي بلال بن غريب.

ثم إنّ قريشاً استمال العرب وأصلحهم، فأذعنوا له بغد وفاة عمّه قِرواش، فإنّه

---

(١) في نسخة بودليان رقم ٧٣ «كبيرة»، وفي رقم ٦٦١ «كره».

(٢) في الباريسية: «الهندر».

(٣) في الباريسية: «عليه».

توفّي هذه الأيام، وانحدر إلى العراق ليستعيد ما أخذ منه، فوصل إلى الصالحيّة[1]، وسيّر بعض أصحابه إلى ناحية الخظيرة وما والاها، فنهبوا ما هناك وعادوا، فلقوا كامل بن محمّد بن المسيّب، صاحب الحظيرة، فأوقع بهم وقاتلهم، فأرسلوا إلى قريش يعرّفونه الحال، فسار إليهم في عدّة كثيرة من العرب والأكراد، فانهزم كامل، وتبعه قريش فلم يلحقه، فقصد حلل بلال بن غريب، وهي خالية من الرجال، فنهبها، وقاتله بلال وأبلى بلاء حسناً فجُرح ثم انهزم، وراسل قريش نوّاب الملك الرحيم يبذل الطاعة، ويطلب تقرير ما كان له عليه، فأجابوه إلى ذلك على كرهٍ لقوّته وضعفهم، واشتغال الملك الرحيم بخوزستان عنهم، فاستقرّ أمره وقوي شأنه.

ذكر وفاة قِرواش

في هذه السنة، مستهلّ رجب، تُوفّي معتمد الدولة أبو المنيع قِرواش بن المقلّد العُقيليُّ[2]، الذي كان صاحب الموصل، محبوساً بقلعة الجراحيّة، من أعمال الموصل، على ما ذكرناه قبلُ، وحُمل ميّتاً إلى الموصل، ودُفن بتل تَوبة من مدينة نِينَوى، شرقيّ الموصل.

وكان من رجال العرب، وذوي العقل منهم، وله شِعر حَسَن، فمن ذلك ما ذكره أبو الحسن عليُّ بن الحسن البَاخَرزيُّ في «دُمْية القصر»[3] من شِعره:

للهِ[4] دَرُّ النائباتِ، فإنّها ... صَدأُ النفوس[5] وصَيْقَلُ الأحرارِ
ما كنتُ[6] إلاّ زُبرةً فطبعنَني ... سيفاً، وأُطلقَ شفرتي وغِراري[7]

وذُكر له أيضاً:

---

(1) في الباريسية: «الصالحين».
(2) انظر عن (قرواش) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ - ٤٦٠ هـ) ص ٤٨ - ٥٠ رقم ٢٣ وفيه مصادر ترجمته (سنة ٤٤١ هـ).
(3) طبعة بغداد ١/ ١٣٠، ١٣١ رقم ٢.
(4) في الأوربية: «الله».
(5) في (أ): «القلوب».
(6) في نسخة بودليان و(أ) والباريسية: «وكنت».
(7) في نسخة بودليان: «سيفهن غراري». وفي نسخة «مارش»: (غرار)، وفي الباريسية: «سفهر».

مَن كان يحمَدُ، أو يذمُّ مُوَرِّثاً[1] للمالِ مِن آبائهِ وجدودِهِ

إنّي امرؤٌ للهِ شكرٌ وحدَه شكراً كثيراً، جالباً لمزيدِهِ

لي أشقَرٌ سَمْحُ العِنان مُغاوِرٌ يُعطيك ما يُرضِيك من مَجهودِهِ

ومهنَّدٌ عضبٌ، إذا جرّدتُهُ خلْتَ البروقَ تَمُوج في تجريدِهِ[2]

ومثقَّفٌ لدنُ السِّنان[3] كأنّما أمُّ المنايا رُكِّبَتْ في عُودِهِ

وبِذَا حَويتُ المالَ، إلاّ أنني سلّطتُ جُودَ يدي على تبديدِهِ

قيل إنّه جمع بين أُختَيْن في نكاحه، فقيل له: إنّ الشريعة تحرّم هذا؛ فقال: وأيّ شيء عندنا تجيزه الشريعة[4]؟ وقال مرّة: ما في رقبتي غير خمسة أو ستّة من البادية قتلتهم، وأمّا الحاضرة فلا يُعبأ الله بهم[5].

ذكر استيلاء الملك الرحيم على البصرة

في هذه السنة، في شعبان، سيّر الملك الرحيم جيشاً مع الوزير والبساسيريّ إلى البصرة، وبها أخوه أبو عليّ بن أبي كاليجار، فحصروه بها، فأخرج عسكره في السفن لقتالهم، فاقتتلوا عدّة أيّام، ثم انهزم البصْريّون في الماء إلى البصرة، واستولى عسكر الرحيم على دجلة والأنهر جميعاً، وسارت العساكر على البرّ من المنزلة بمَطَارا إلى البصرة، فلمّا قاربوها لقيهم رُسُل مُضر وربيعة يطلبون الأمان، فأجابوهم إلى ذلك، وكذلك بذلوا الأمان لسائر أهلها، ودخلها الملك الرحيم، فسُرّ به أهلها، وبذل لهم الإحسان.

فلمّا دخل البصرة وردت إليه رسل الدَّيلم بخُوزِستان يبذلون الطاعة، ويذكرون أنّهم ما زالوا عليها. فشكرهم على ذلك، وأقام بالبصرة ليُصلح أمرها.

---

(1) وأمّا أخوه أبو عليّ، صاحب البصرة، فإنّه مضى إلى شطّ عُثمان[6] فتحصّن به،

(2) في الباريسية: «تحديده».

(3) في (أ)؛ «العوام».

(4) تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٤٩، ٥٠.

(5) المنتظم ١٤٧/٨ (٣٢٧/١٥)، وفيات الأعيان ٢٦٧/٥، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٥٠.

(6) في الباريسية: «عمان».

وحفر الخندق، فمضى الملك الرحيم إليه وقاتلهم، فملك الموضع ومضى أبو عليّ ووالدته إلى عَبّادان، وركبوا البحر إلى مَهْرُوبان، وخرجوا من البحر واكتروا دوابّ وساروا إلى أرّجان عازمين على قصد السلطان طُغْرلبك، وأخرج الملك الرحيم كلَّ من بالبصرة من الديلم أجناد أخيه وأقام غيرهم.

ثم إنّ الأمير أبا عليّ وصل إلى السلطان طُغْرلبك، وهو بأصبهان، فأكرمه وأحسن إليه، وحمل إليه مالاً، وزوّجه امرأة من أهله، وأقطعه إقطاعاً من أعمال جَربَاذَقَان، وسلّم إليه قلعتَيْن من تلك الأعمال أيضاً. وسلّم الملك الرحيم البصرة إلى البساسيريّ ومضى إلى الأهواز، وترددت الرسل بينه وبين منصور بن الحُسين وهزارسب، حتّى اصطلحوا، وصارت أرّجان وتُستَر للملك الرحيم[1].

ذكر ورود سعْدي العراق

وفيها، في ذي القعدة، ورد سعْدي بن أبي الشوك في جيش من عند السلطان طُغْرلبك إلى نواحي العراق، فنزل ما يَدَشْتَ، وسار منها جريدةً فيمن معه من الغُزّ إلى أبي دُلَفٍ الجاوانيّ، فنَذِر به أبو دلف، وانصرف من بين يديه، ولحِقه سعدي فنهبه وأخذ ماله، وأفلت أبو دُلَف بحُشاشة نفسه، ونهب أصحاب سعدي البلاد حتّى بلغوا النُّعمانيّة، فأسرفوا في النهب والغارة، وفتكوا في البلاد، وافتضّوا الأبكار، فأخذوا الأموال والأثاث فلم يتركوا شيئاً، وقصد البَنْدَنِيجَيْن.

وبلغ خبره إلى خاله خالد بن عمر، وهو نازل على الزَّرير[2] ومطر ابنَيْ عليّ بن مَقن العُقيليّين، فأرسل إليه ولده مع أولاد[3] الزّرير ومطر يشكون إليه ما عاملهم به عمّه مُهلهِل[4]، وقريش بن بدران، فلقوه بحُلوان وشكوا إليه حالهم، فوعدهم المسير إليهم، والأخذ لهم ممّن قصدهم. فعادوا من عنده، فلقيهم نفر من أصحاب مُهلهِل فواقعوهم، فظفر بهم العُقيليّون وأسروهم.

---

(١) العبر ٣/٢٠٤، ٢٠٥، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١١، ١٢، دول الإسلام ١/٢٦١، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٥٦.

(٢) في (أ): «الدرير»، وفي الباريسية: «زرير».

(٣) في الباريسية: «ولد».

(٤) في (أ): «المهلهل».

وبلغ الخبر مُهلهِلاً، فسار إلى حُلل الزَّرير[1] ومطر في نحو[2] خمسمائة فارس، فأوقع بهم على تلّ عُكْبَرا ونهبهم، وانهزم الرجال، فلقي خالد ومطر والزّرير سعدي بن أبي الشوك على تامرّا، فأعلموه الحال وحملوه على قتال عمّه، فتقدّم إلى طريقه والتقى القوم، وكان سعدي في جَمْعٍ كثير، فظفر بعمّه وأسره، وانهزم أصحابه في كلّ جهة، وأُسر أيضاً مالك ابن عمّه مهلهِل وأَعاد الغنائم التي كانت معهم على أصحابها وعاد إلى حُلوان.

ووصل الخبر إلى بغداذ، فارتجّ الناس بها وخافوا[3]، وبرز[4] عسكر الملك الرحيم ليقصدوا حُلوان لمحاربة سعدي، ووصل إليهم أبو الأغرّ دُبَيْس بن مَزْيد الأسديُّ ولم يصنعوا شيئاً.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قبض عيسى بن خميس بن مَقن على أخيه أبي غشّامٍ[5]، صاحب تَكريت بها، وسجنه في سرداب بالقلعة، واستولى على تَكريت.

وفيها زلزلت خُوزستان وأرّجَان وإيذَج، وغيرها من البلاد، زلازل كثيرة، وكان معظمها بأرَّجان، فخرب كثير من بلادها وديارها، وانفرج جبل كبير قريب من أرَّجان، وانصدع، فظهر في وسطه درجةٌ مبنيّة بالآجُرّ والجصّ قد خفيت في الجبل، فتعجّب الناس من ذلك[6].

وكان بخُراسان أيضاً زلزلة عظيمة خرّبت كثيراً، وهلك بسببها كثير، وكان أشدّها بمدينة بَيْهق فأتى الخراب عليها، وخرّب سورها ومساجدها، ولم يزل سورها خراباً إلى سنة أربع وستّين وأربعمائة، فأمر نظام المُلْك ببنائه، فبُني، ثم خرّبه أرسلان

---

(١) في الباريسية: «الوزير».
(٢) من (أ).
(٣) العبر ٣/ ٢٠٥، دول الإسلام ١/ ٢٦١، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٢.
(٤) في (أ): «وترقى».
(٥) في الباريسية: «عسام».
(٦) المنتظم ٨/ ١٥٤ (١٥/ ٣٣٦)، تاريخ حلب ٣٤١، كشف الصلصلة للسيوطي ١٧٨.

أرغو[1]، بعد موت السلطان ملكشاه، وقد ذكرناه، ثم عمّره مجد الملك البلاسانيُّ.

وفيها عُمل محضرٌ ببغداذ يتضمّن القدح في نسب العلويّين أصحاب مصر، وأنّهم كاذبون في ادّعائهم النسب إلى عليّ، عليه السلام، وَعَزَوْهم فيه إلى الدّيصانيّة من المجوس، والقدّاحيّة من اليهود، وكتب فيه العلويّون، والعبّاسيّون، والفقهاء، والقضاة، والشهود، وعُمل به عدّة[2] نسخ، وسُيّر في البلاد، وشُيّع بين الحاضر والبادي[3].

وفيها شهد الشيخ أبو نصر عبد السيّد بن محمّد بن عبد الواحد بن[4] الصّبّاغ مصنّف الشامل، عند قاضي القضاة أبي عبدالله الحسين بن عليّ بن ماكولا[5].

وفيها حدثت فتنة بين السُّنّة والشيعة ببغداذ، وامتنع الضَّبْط، وانتشر العيّارون وتسلّطوا، وجبوا الأسواق، وأخذوا ما كان يأخذه أرباب الأعمال، وكان مقدّمهم الطّقطقِيّ والزّيْبق، وأعاد الشيعة الأذان بحيّ على خير العمل، وكتبوا على مساجدهم: محمّد وعليّ خير البشر؛ وجرى القتال بينهم، وعظُم الشرّ[6].

وفيها زوّج نور الدولة دُبيس بن مَزْيد ابنَهُ بهاء الدولة منصوراً[7] بابنة أبي البركات بن البساسيريّ.

[الوَفَيَات]

وفيها، في ربيع الأوّل، توفّي القاضي أبو جعفر السِّمنانيُّ[8] بالموصل، وكان

---

(١) في الباريسية: «بيغو».

(٢) من (أ).

(٣) تاريخ حلب (زعرور) ٣٤٠ (سويم) ٨، أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٦، المنتظم ٨/ ١٥٤، ١٥٥ (١٥/ ٣٣٦)، العبر ٣/ ٢٠٤، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٢، مرآة الجنان ٣/ ٦٢، البداية والنهاية ١٢/ ٦٣، إتعاظ الحنفا ٢/ ٢٢٣.

(٤) من الباريسية.

(٥) المنتظم ٨/ ١٥٤ (١٥/ ٣٣٥).

(٦) المنتظم ٨/ ١٥٤ (١٥/ ٣٣٥، ٣٣٦)، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٧٢، العبر ٣/ ٢٠٣، ٢٠٤، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١١، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٥٤، مرآة الجنان ٣/ ٦٢، البداية والنهاية ١٢/ ٦٣.

(٧) في الأوربية: «منصور».

(٨) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد. انظر عنه في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.)=

إماماً في الفقه على مذهب أبي حنيفة، والأصول على مذهب الأشعريّ، وروى الحديث عن الدارقَطْنِيّ وغيره.

وفي هذا الشهر توفّي أيضاً أبو عليّ الحسن بن عليّ بن المُذْهِب[1]، الواعظ، وهو راوي «مُسْنَد» أحمد بن حَنبَل.

= ص ١٠٣، ١٠٤ رقم ١٢٠ وفيه مصادر ترجمته.
و«السِّمناني»: بكسر السين وفتح الميم، نسبة إلى سمنان، وهي قرية من قرى نسا في العراق. (الأنساب ٧/ ١٤٩).

(١) انظر عن (الحسن المذهب) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٨٨ ـ ٩٠ رقم ٩٧ وفيه مصادر ترجمته.
و«المُذْهب»: بضم الميم (وقد وقع في المطبوع من «الأنساب ١١/ ٢١٧»: «بفتح الميم» وهو غلط). وسكون الذال المعجمة، وكسر الهاء، ووقع في طبعة صادر ٩/ ٥٩٢ «المذهّب» بتشديد الهاء، وهو غلط أيضاً.

٤٤٥
ثم دخلت سنة خمس وأربعين وأربعمائة

ذكر الفتنة بين السُّنّة والشيعة ببغداذ

في هذه السنة، في المحرّم، زادت الفتنة بين أهل الكرْخ وغيرهم من السُّنّة، وكان ابتداؤها أواخر سنة أربعٍ وأربعين [وأربعمائة].

فلمّا كان الآن عظُم الشرّ، واطّرحت المراقبة للسلطان، واختلط بالفريقَيْن طوائف من الأتراك، فلمّا اشتدّ الأمر اجتمع القوّاد واتفقوا على الركوب إلى المحالّ وإقامة السياسة بأهل الشرّ والفساد، وأخذوا من الكرخ إنساناً علويّاً وقتلوه، فثار نساؤه، ونشرن شعورهنّ واستغثن، فتبِعهنّ العامّة من أهل الكرْخ، وجرى بينهم وبين القوّاد، ومَن معهم من العامّة، قتال شديد، وطرح الأتراك النار في أسواق الكرْخ، فاحترق كثير منها، وألحقتها بالأرض، وانتقل كثير من الكرخ إلى غيرها من المحالّ.

وندم القوّاد على ما فعلوه، وأنكر الإمام القائم بأمر الله ذلك، وصلح الحال، وعاد الناس إلى الكرْخ، بعد أنِ استقرّت القاعدة بالديوان بكفّ الأتراك أيديهم عنهم(١).

ذكر استيلاء الملك الرحيم على أرّجان ونواحيها

في هذه السنة، في جمادى الأولى، استولى الملك الرحيم على مدينة أرَّجان، وأطاعه من كان بها من الجُند، وكان المقدّم عليهم فولاذ بن خُسرو الدَّيْلَميّ.

وكان قد تغلّب على ما جاورها من البلاد إنسان متغلّب يسمّى خُشنام، فأنفذ إليه فولاذ جيشاً فأوقعوا به وأجلوه عن تلك النواحي واستضافوا إلى طاعة الرحيم.

---

(١) المنتظم ٨/ ١٥٧ (١٥/ ٣٤٠)، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ) ص ١٣، البداية والنهاية ١٢/ ٦٤.

وخاف هزارسب بن بنكير من ذلك لأنّه مبايناً للملك الرحيم على ما ذكرناه، فأرسل يتضرّع ويتقرّب، ويسأل التقدّم إلى فولاذ بإحسان مجاورته، فأُجيب إلى ذلك[1].

ذكر مرض السلطان طُغْرلبك

في هذه السنة وصل السلطان طُغْرُلبك إلى أصبهان مريضاً، وقوي الإرجاف عليه بالموت، ثم عُوفي، ووصل إليه الأمير أبو عليّ ابن الملك أبي كاليجار الذي كان صاحب البصرة، ووصل إليه أيضاً هزارسب بن بنكير بن عياض، صاحب إيذَج، فإنّه كان قد خاف الملك الرحيم لمّا استولى على البصرة وأرّجان. فأكرمهما طُغْرلبك، وأحسن ضيافتهما، ووعدهما النُّصْرة والمعونة.

ذكر عَود سعْدي بن أبي الشوك إلى طاعة الرحيم

قد ذكرنا سنة أربعٍ وأربعين [وأربعمائة] وصول سعدي إلى العراق، وأسْره عمّه، فلمّا أسره سار ولده بدر بن المُهلهِل إلى السلطان طُغرلبك، وتحدّث معه في مراسلة سعدي ليطلق أباه، فسلّم إليه طُغْرلبك ولداً كان لسعدي عنده رهينةً، وأرسل معه رسولاً يقول فيه: إنْ أردتَ فديةً عن أسيرك فهذا ولدك قد رددتُه عليك، وإن أبيت إلاّ المخالفة ومفارقة الجماعة[2] قابلناك على فعلك.

فلمّا وصل بدر والرسول إلى همذان تخلّف بدر، وسار الرسول إليه، فامتعض من قوله، وخالف طُغْرلبك، وسار إلى حُلوان، وأراد أخذها، فلم يمكنه، وتردّد بين رُوشَنقباذ والبَرَدان، وكاتب الملكَ الرحيم، وصار في طاعته، فسار إليه إبراهيم بن إسحاق، وسخت كمان، وهما من أعيان عسكر طُغْرلبك، في عسكر مع بدر بن المُهلهِل فأوقعوا به فانهزم هو وأصحابه، وعاد الغُزُّ عنهم إلى حُلوان، وسار بدر إلى شهرزور في طائفة من الغُزّ، ومضى سعدي إلى قلعة روشنقباذ.

---

(١) الخبر باختصار شديد في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٤.
(٢) في (أ): «الطاعة».

ذكر عود الأمير أبي منصور إلى شيراز

في هذه السنة، في شوّال، عاد الأمير أبو منصور فولاستون ابن الملك أبي كاليجار إلى شيراز مستولياً عليها، وفارقها أخوه الأمير أبو سعد.

وكان سبب ذلك أنّ الأمير أبا سعد كان قد تقدّم معه في دولته إنسان يُعرف بعميد الدين أبي نصر بن الظهير، فتحكّم معه، واطّرح الأجناد واستخفّ بهم، وأوحش أبا نصر بن خسرو، صاحب قلعة إصطَخر، الذي كان قد استدعى الأمير أبا سعد وملّكه.

فلمّا فعل ذلك اجتمعوا على مخالفته وتألّبوا عليه، وأحضر أبو نصر بن خسرو الأميرَ أبا منصور بن أبي كاليجار إليه، وسعى في اجتماع الكلمة عليه، فأجابه كثير من الأجناد لكراهتهم لعميد الدين، فقبضوا عليه، ونادوا بشعار الأمير أبي منصور، وأظهروا طاعته، وأخرجوا الأمير أبا سعد عنهم فعاد إلى الأهواز في نفر يسير، ودخل الأمير أبو منصور إلى شيراز مالكاً لها، مستولياً عليها، وخطب فيها لطُغْرلبك، وللملك الرحيم، ولنفسه بعدهما.

ذكر إيقاع البساسيريّ بالأكراد والأعراب

وفيها، في شوّال، وصل الخبر إلى بغداذ بأنّ جَمْعاً من الأكراد وجَمْعاً من الأعراب قد أفسدوا في البلاد، وقطعوا الطريق ونهبوا القرى، طمعاً في السلطنة بسبب الغُزّ، فسار إليهم البساسيريُّ جريدةً، وتبِعهم إلى البَوَازِيج، فأوقع بطوائف كثيرة منهم، وقتل فيهم، وغنم أموالهم، وانهزم بعضهم فعبروا الزّاب عند البَوَازِيج فلم يدركهم، وأراد العبور إليهم، وهم بالجانب الآخر، وكان الماء زائداً، فلم يتمكّن من عبوره، فنجَوا.

ذكر عدّة حوادث

[الوفيات]

في هذه السنة توفيّ الشريف أبو تمام محمّد بن محمّد بن عليّ الزينبيُّ[1]، نقيب النُّقباء، وقام بعده في النقابة ابنه أبو علّي.

---

(١) انظر عن (الزينبي) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص١٢٠ رقم ١٥٤ وفيه مصادر ترجمته.

وفيها توفّي أبو إسحاق إبراهيم بن عمر[1] بن أحمد البرمكيُّ، وكان مكثراً من الحديث، سمع ابن مالك القطيعيَّ وغيره، وإنّما قيل له البرمكيُّ لأنّه سكن محلّة ببغداذ تُعرف بالبرامكة، وقيل: كان من قرية عند البصرة تُعرف بالبرمكيّة.

---

(١) في طبعة صادر ٥٩٦/٩ «إبراهيم بن محمد» والتصحيح من مصادر الترجمة التي ذكرتها في تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٠٩، ١١٠ رقم ١٣٤.

٤٤٦
ثم دخلت سنة ست وأربعين وأربعمائة

ذكر فتنة الأتراك ببغداذ

في هذه السنة، في المحرّم، كانت فتنة الأتراك ببغداذ.

وكان سببها أنّهم تخلّف لهم على الوزير الذي للملك الرحيم مبلغ كثير من رسومهم، فطالبوه، وألّحوا عليه، فاختفى في دار الخلافة، فحضر الأتراك بالديوان وطالبوه، وشكوا ما يلقونه منه من المطال بمالهم، فلم يجابوا إلى إظهاره، فعدلوا عن الشكوى منه إلى الشكوى من الديوان، وقالوا: إنّ أرباب المعاملات قد سكنوا بالحريم، وأخذوا الأموال، وإذا طلبناهم بها يمتنعون بالمقام بالحريم، وانتصب الوزير والخليفة لمنعنا عنهم، وقد هلكنا.

فتردّد الخطاب منهم، والجواب عنه، فقاموا نافرين، فلمّا كان الغد ظهر الخبر أنّهم على عزم حصر دار الخلافة، فانزعج الناس لذلك، وأخفوا أموالهم، وحضر البساسيريُّ دار الخلافة، وتوصّل إلى معرفة خبر الوزير، فلم يظهر له على خبر، فطُلب من داره ودور من يُتّهم به، وكُبست الدور، فلم يظهروا له على خبر.

وركب جماعة من الأتراك إلى دار الروم فنهبوها، وأحروا البِيَع والقلّايات، ونهبوا فيها دار أبي الحسن بن عُبيد، وزير البساسيريّ.

وقام أهل نهر المُعلّى، وباب الأَزَج، وغيرهما من المحالّ، في منافذ الدروب لمنع الأتراك، وانخرق الأمر، ونهب الأتراك كلّ من ورد إلى بغداذ، (فغلت الأسعار)[1]،

---

(١) في (أ): «فقلت الأسفار».

وعُدِمت الأقوات، وأرسل إليهم الخليفة ينهاهم، فلم ينتهوا، فأظهر أنّه يريد الانتقال عن بغداذ، فلم يُزجَروا.

هذا جميعه والبساسيريُّ غير راضٍ بفعلهم، وهو مقيم بدار الخليفة. وتردّد الأمر إلى أن ظهر الوزير، وقام لهم بالباقي من مالهم من ماله، وأثمان دوابّه، وغيرها، ولم يزالوا في خبطٍ وعسف، فعاد طمع الأكراد والأعراب أشدّ[1] منه أوّلاً، وعاودوا الغارة والنهب والقتل، فخربت البلاد وتفرّق أهلها.

وانحدر أصحابُ قُريش بن بدران من الموصل طامعين، فكبسوا حلل كامل بن محمّد بن المسيّب، وهي بالبَرَدان، فنهبوها، وبها دوابّ، وجِمال بخاتيّ للبساسيريّ، فأخذوا الجميع، ووصل الخبر إلى بغداذ، فازداد خوف الناس من العامّة والأتراك، وعظُم انحلال أمر السلطنة بالكليّة، وهذا من ضرر الخلاف[2].

ذكر استيلاء طُغْرلبك على أذربيجان وغزو الروم

في هذه السنة سار طُغْرلبك إلى أَذَرْبيجان، فقصد تِبريز، وصاحبها الأمير أبو منصور وهسوذان بن محمّد الروّاديُّ، فأطاعه وخطب له وحمل إليه ما أرضاه به، وأعطاه ولدَهُ رهينةً، فسار طُغْرلبك عنه إلى الأمير أبي الأسوار، صاحب جَنْزة، فأطاعه أيضاً وخطب له، وكذلك سائر تلك النواحي أرسلوا إليه يبذلون الطاعة والخطبة.

وانقادت[3] العساكر إليه، فأبقى[4] بلادهم عليهم، وأخذ رهائنهم وسار إلى أرمينية، وقصد ملازكرد، وهي للروم، فحصرها وضيّق على أهلها، ونهب ما جاورها من البلاد وأخربها، وهي مدينة حصينة. فأرسل إليه نصر الدولة بن مروان، صاحب ديار بكر، الهدايا الكثيرة والعساكر، وقد كان خطب له قبل هذا الوقت وأطاعه، وأثّر السلطان طُغْرلبك في غزو الروم، آثاراً عظيمة، ونال منهم من النهب والقتل والأسر شيئاً كثيراً.

---

(١) في الأوربية: «اشتدّ».

(٢) المنتظم ٨/١٥٩، ١٦٠ (١٥/٣٤٣، ٣٤٤)، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٥، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٥٧.

(٣) في (أ): «وإنفاذ».

(٤) في الباريسية: «فألقى».

وبلغ في غزوته هذه إلى أرْزَن الروم، وعاد إلى أَذَرْبيجان، لمّا هجم الشتاء، من غير أن يملك ملازكرد، وأظهر أنّه يقيم إلى أن ينقضي الشتاء، ويعود يتمّ غَزَاته، ثم توجّه إلى الرَّيّ فأقام بها إلى أن دخلت سنة سبْعٍ وأربعين [وأربعمائة]، وعاد نحو العراق[1]، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر محاربة بني خفاجة وهزيمتهم

في هذه السنة، في رجب، قصد بنو خفاجة الجامعَيْن، وأعمال نور الدولة دُبَيْس، ونهبوا وفتكوا في أهل تلك الأعمال، وكان نور الدولة شرقيّ الفُرات، وخفاجة غربيّها، فأرسل نور الدولة إلى البساسيريِّ يستنجده، فسار إليه، فلمّا وصل عَبَرَ الفراتَ من ساعته، وقاتل خفاجة وأجلاهم عن الجامعَيْن، فانهزموا منه ودخلوا البرَّ، فلم يتبعهم، وعاد عنهم، فرجعوا إلى الفساد، فاستعدّ لسلوك[2] البرّ خلفهم أين قصدوا، وعطف نحوهم قاصداً حربهم، فدخلوا البرّ أيضاً، فتبِعهم فلحِقهم بخفّان، وهو حصن بالبرّ، فأوقع بهم، (وقتل منهم)[3]، ونهب أموالهم وجِمالهم وعبيدهم وإماءهم، وشرّدهم كلَّ مشرَّد، وحصر خفّان ففتحه وخرّبه، وأراد تخريب القائم به، وهو بناء من آجُرّ وكلس، وصانع عنه صاحبه ربيعة بن مُطاع بمالٍ بذله، فتركه وعاد إلى البلاد.

وهذا القائم قيل إنّه كان عَلَماً تهتدي به السفن، لما كان البحر يجيء إلى النجف[4]، ودخل بغداذ ومعه خمسة وعشرون رجلاً من خفاجة، عليهم البرانس، وقد شدّهم بالحبال إلى الجِمال، وقتل منهم جماعة، وصلب جماعة، وتوجّه إلى حَرْبَى فحصرها، وقَرّر على أهلها تسعة[5] آلاف دينار وأمّنهم.

---

(١) تاريخ حلب (زعرور) ٣٤٢ (سويم) ١٠، تاريخ مختصر الدول ١٨٤، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٧٢، العبر ٣/ ٢١٠، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٩، دول الإسلام ١/ ٢٦٢، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٥٤، البداية والنهاية ١٢/ ٦٥.

(٢) في (أ): «الدخول».

(٣) من (أ).

(٤) في (أ) زيادة: «وعاد نور الدولة».

(٥) في (أ): «سبعة».

ذكر استيلاء قُرَيش بن بدران على الأنبار والخطبة لطغرلبك بأعماله

في شعبان من هذه السنة حصر الأمير أبو المعالي قُريش بن بدران، صاحب الموصل، مدينة الأنبار وفتحها، وخطب لطُغْرلبك فيها وفي سائر أعماله، ونهب ما كان فيها للبساسيريّ وغيره، ونهب حلل أصحابه بالخالص، وفتحوا بُثُوقَه، فامتعض البساسيريُّ من ذلك، وجمع جموعاً كثيرة، وقصد الأنبار وحَرْبَى فاستعادهما[1]، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر وفاة القائد ابن حمّاد وما كان من أهله بعده

في هذه السنة، في رجب، تُوُفّي القائد ابن حمّاد، وأوصى إلى ولده محسّن، وأوصاه بالإحسان إلى عمومته، فلمّا مات خالف ما أمره به، وأراد عزل جميعهم، فلمّا سمع عمّه يوسف بن حمّاد بما عزم عليه خالفه، وجمع جمعاً عظيماً وبنى[2] قلعة في جبل منيع وسمّاها الطيّارة.

ثم إنّ محسّناً قتل من عمومته أربعة، فازداد يوسف نفوراً؛ وكان ابن عمّه بُلُكّين بن محمّد في بلده أفريون، فكتب إليه محسّن يستدعيه، فسار إليه، فلمّا قرُب منه أمر محّسن رجالاً من العرب أن يقتلوه، فلمّا خرجوا قال لهم أميرهم خليفة بن مكن: إنّ بُلُكّين لم يزل محسناً إلينا، فكيف نقتله؟ فأعلموه ما أمرهم به محسّن، فخاف، فقال له خليفة: لا تخف، وإن كنتَ تريد قتْل محسّن فأنا أقتله لك. فاستعدّ بُلُكّين لقتاله، وسار إليه، فلمّا علم محسّن بذلك وكان قد فارق القلعة عاد هارباً إليها، فأدركه بلكّين فقتله وملك القلعة ووليَ الأمر، وكان ملكه القلعة سنة سبْعٍ وأربعين وأربعمائة.

ذكر ابتداء الوحشة بين البساسيريّ والخليفة

في شهر رمضان من هذه السنة ابتدأت الوحشة بين الخليفة والبساسيريِّ.

---

(١) المنتظم ٨/ ١٦٠ (١٥/ ٣٤٤)، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٥، البداية والنهاية ١٢/ ٦٥، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٥٧.

(٢) في الأوربية: «وبنا».

وسبب ذلك أنّ أبا الغنائم وأبا سعد ابنَي المحلبان، صاحبَيْ قُريش بن بدران، وصلا إلى بِغداذ سرّاً، فامتعض البساسيريُّ من ذلك، وقال: هؤلاء وصاحبهم كبسوا حِلَل أصحابي، ونهبوا، وفتحوا البثوق، وأسرفوا في إهلاك الناس؛ وأراد أخْذهم فلم يُمكنّ منهم، فمضى إلى حَربَى، وعاد ولم يقصد دار الخلافة على عادته، فنسب ذلك إلى رئيس الرؤساء.

واجتازت به سفينة لبعض أقارب رئيس الرؤساء، فمنعها وطالب بالضّريبة التي عليها، وأسقط مشاهرات الخليفة من دار الضَّرْب، وكذلك مشاهرات رئيس الرؤساء، وحواشي الدار، وأراد هدم دُور بني المحلبان، فمُنع منه، فقال: ما أشكو إلاّ من رئيس الرؤساء الذي قد خرّب البلاد وأطمع الغُزَّ وكاتبهم.

ودام ذلك إلى ذي الحجّة، فسار البساسيريُّ إلى الأنبار، وأحرق ناحيتَيْ دُمّا[1]، والفلّوجَة، وكان أبو الغنائم بن المحلبان بالأنبار قد أتاها من بغداذ، وورد نور الدولة دُبَيْس إلى البساسيريّ، معاوناً له على حصرها، ونصب البساسيريُّ عليها المجانيق، فهدم برجاً، ورماهم بالنِّفط فأحرق أشياء كان قد أعدّها أهل البلد لقتاله، ودخلها قهراً، فأسر مائة نفس من بني خفاجة، وأسر أبا الغنائم بن المحلبان، فأُخذ وقد ألقى نفسه في الفرات، ونهب الأنبار، وأسر من أهلها خمسمائة رجل، وعاد إلى بغداذ وبين يديه أبو الغنائم على جمل، وعليه قميص أحمر، وعلى رأسه برنس، وفي رِجْليه قيدٌ، وأراد صلبه وصلْب مَن معه من الأسرى، فسأله نور الدولة أن يؤخّر ذلك حتّى يعود، وأتى البساسيريُّ إلى مقابِل التاج، فقبّل الأرض، وعاد إلى منزله، وترك أبا الغنائم لم يصلبْه، وصلب جماعة من الأسرى، فكان هذا أوّل الوحشة[2].

ذكر وصول الغُزّ إلى الدَّسكرة وغيرها

في شوّال من هذه السنة وصل إبراهيم بن إسحاق، وهو من الأمراء الغُزّيّة

(١) في الأوربية: «دمما».
(٢) المنتظم ٨/ ١٦٠، ١٦١ (١٥/ ٣٤٤، ٣٤٥)، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٥، ١٦، البداية والنهاية ١٢/ ٦٥، إتعاظ الحنفا / ٢٣٢.

السلجوقيّة، إلى الدَّسكرة، وكان مقيماً بحُلوان، فلمّا وصل إليها قاتله أهلها، ثم ضعفوا وعجزوا وهربوا متفرّقين، ودخل الغُزُّ البلد فنهبوه أقبح نهبٍ، وضربوا النساء وأولادهنّ، فاستخرجوا بذلك أموالاً كثيرة، وساروا إلى روشنقباذ لفتحها، وهي بيد سعْدي، وأمواله فيها وفي قلعة البَرَدان.

وكان سعْدي قد فارق طاعة السلطان طُغْرلبك، على ما ذكرناه، فلم يفتحها، وأجلى أهل تلك البلاد، وخُرّبت القُرى، ونُهبت أموال أهلها.

وسار طائفةٌ أخرى من الغُزّ إلى نواحي الأهواز وأعمالها، فنهبوها واجتاحوا أهلها، وقوي طمع الغُزّ في البلاد وانخذل الديلم ومَن معهم من الأتراك، وضعُفت نفوسهم.

ثم سيّر طُغْرلبك الأمير أبا علّي ابن الملك أبي كاليجار، الذي كان صاحب البصرة، في جيشٍ من الغُزّ إلى خُوزستان ليملكها، فوصل سابورْ خُواست، وكاتب الدَّيلمَ الذين بالأهواز يدعوهم إلى طاعته، ويعِدهم الإحسانَ إنْ أجابوا، والعقوبة إن امتنعوا فمنهم من أطاع، ومنهم من خالف، فسار إلى الأهواز فملكها واستولى عليها، ولم يعرض لأحدٍ في مالٍ ولا غيره، فلم يوافقه الغُزُّ على ذلك، ومدّوا أيديهم إلى النهب والغارة والمصادرة، ولقي الناس منهم عَنَتاً وشِدّة.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة كثُرت الصّراصر ببِغداذ، حتّى كان يُسمع لها بالليل دويّ كدويّ الجراد إذا طار[1].

[الوَفَيَات]

وفيها، في ذي الحجّة، توفّي أبو حسّان المقلّد بن بدران أخو قُريش بن بدران، صاحب الموصل.

---

(١) المنتظم ٨/ ١٦٠ (١٥/ ٣٤٤).

وفيها، في شوّال، توفّي قسطنطين ملك الروم[1]، زوج تذورة[2] بنت قسطنطين، الموسومة بالملك، وإنّما ملك قسطنطين هذا حيث تزوّجها.

وفيها توفّي عبدالله بن محمّد بن عبد الرحمن أبو محمد[3] الأصبهانيُّ، المعروف بابن اللبّان[4]، الفقيه الشافعيُّ، وهو من أصحاب أبي حامد الإسَفَرايينيّ، وروى الحديث عن ابن المقري، والمخلص، وغيرهما.

وتوفّي فيها أحمد بن عمر بن رَوح[5] أبو الحسين[6] النَّهْروانيُّ، وله شِعْر جيّد، فمنه أنّه سمع رجلاً يتغنّى وهو يقول:

وما طلبوا سوى قتلي، فهان عليّ ما طلبوا

فاستوقفه وقال له: أضِفْ إليه:

(على قَلبي الأحبّةُ با لتَّمادِي في الهوَى غلَبُوا)[7]
وبالهِجرانِ من عَيْنيَّ طيبَ النومِ قد سَلبُوا[8]
وما طلَبُوا سِوى قتلي، فهانَ عليّ ما طلَبُوا[9]

---

(١) تاريخ حلب (زعرور) ٣٤١ (سويم) ١٠.
(٢) في الباريسية: «بدارة».
(٣) في طبعة صادر ٩/ ٦٠٤ «أبو عبدالله»، والمثبت عن المصادر.
(٤) في (أ): «الكبان» والمثبت هو الصحيح. انظر عن (ابن اللّبان) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٣٢، ١٣٣ رقم ١٦٨ وفيه مصادر ترجمته.
(٥) انظر عن (ابن روح) في: تاريخ الاسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٠٩ رقم ١٣٢ (وفيات الأعيان ٤٤٥ هـ.) وفيه مصادر ترجمته.
(٦) في طبعة صادر ٩/ ٦٠٤ «أبو الحسن»، والتصحيح من المصادر.
(٧) هذا البيت من (أ). وهو في المنتظم:

على قتلي الأحبّة با لتمادي في الجفا غلبوا

(٨) في المنتظم:

وبالهجران طيب النو م من عيني قد سلبوا

(٩) المنتظم ٨/ ١٥٨ (١٥/ ٣٤١).

٤٤٧

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وأربعمائة

ذكر استيلاء الملك الرحيم على شيراز وقطع خطبة طُغْرلبك فيها

في هذه السنة، في المحرّم، سار قائد كبير من الدَّيلم، يسمّى فولاذ، وهو صاحب قلعة إصطَخْر، إلى شيراز، فدخلها وأخرج عنها الأمير أبا منصور فولاستون، ابن الملك أبي كاليجار، فقصد فَيْرُوزَابَاذَ وأقام بها.

وقطع فولاذ خطبة السلطان طُغْرلبك في شيراز، وخطب للملك الرحيم، ولأخيه أبي سَعْد، وكاتبهما يُظهر لهما الطاعة، (فعلما أنّه)[1] يخدعهما بذلك، فسار إليه أبو سعد، وكان بأرَّجان، ومعه عساكر كثيرة، واجتمع هو وأخوه الأمير أبو منصور على قصد شيراز ومحاصرتها على قاعدة استقرّت بينهما من طاعة أخيهما الملك الرحيم، فتوجّها نحوها[2] فيمن معهما من العساكر، وحصرا فولاذ فيها.

وطال الحصار إلى أن عدم القُوت فيها، وبلغ السعر سبعة أرطال حنطة بدينار، ومات أهلها جوعاً، وكان منَ بقي فيها نحو ألف إنسان، وتعذّر المقام في البلد على فولاذ، فخرج هارباً مع مَن في صُحبته من الدَّيلم إلى نواحي البيضاء وقلعة إصطَخْر، ودخل الأمير أبو سَعْد، والأمير أبو منصور شيراز، وعساكرهما، وملكوها[3]، وأقاموا بها[4].

---

(١) في (أ): «فلما علما».

(٢) في الأوربية: «نحوهما».

(٣) في الأوربية: «وملوكهما».

(٤) تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦ هـ.) ص ٢٠، مآثر الإنافة ١/ ٣٣٧.

ذكر قتل أبي حرب بن مروان صاحب الجزيرة

في هذه السنة قُتل الأمير أبو حرب سليمان بن نصر الدولة بن مروان، وكان والده قد سلّم إليه الجزيرة وتلك النواحي ليقيم بها ويحفظها، وكان شجاعاً، مقداماً، فاستبدّ بالأمر، واستولى عليه، فجرى بينه وبين الأمير مُوسَك بن المجلّي ابن زعيم الأكراد البُختيّة، وله حصون منيعة شرقيّ الجزيرة، نَفرةٌ.

ثم راسله أبو حرب واستماله، وسعى أن يزوّجه ابنة الأمير أبي طاهر البَشْنوي، صاحب قلعة فَنَك وغيرها من الحصون، وكان أبو طاهر هذا ابن أخت نصر الدولة بن مروان، فلم يخالف أبو طاهر، صاحب فَنَك، أبا حرب في الذي أشار به من تزويج الأمير موسك، فزوّجه ابنته ونقلها إليه، فاطمأنّ حينئذٍ موسك، وسار إلى سليمان، فغدر به، وقبض عليه وحبسه.

ووصل السلطان طُغْرُلبك إلى تلك الأعمال لمّا توجّه إلى غزو الروم، على ما ذكرناه، فأرسل إلى نصر الدولة يشفع في مُوسَك، فأظهر أنّه توفّي، فشقّ ذلك على حميه أبي طاهر البشنويّ، وأرسل إلى نصر الدولة وابنه سليمان فقال لهما: حيث أردتما قتله، فلِمَ جعلتما ابنتي طريقاً إلى ذلك، وقلّدتموني العار؟ وتنكّر لهما وخافه أبو حرب، فوضع عليه مَن سقاه سُمّاً فقتله.

ووليَ بعده ابنه عُبيد[1] الله، فأظهر له أبو حرب المودّة استصلاحاً له، وتبرّؤاً إليه من كلّ ما قيل عنه، واستقرّ الأمر بينهما على الاجتماع وتجديد الأيمان، فنزلوا من فَنَك، وخرج إليهم أبو حرب من الجزيرة في نفر قليل فقتلوه.

وعرف والده ذلك، فأقلقه وأزعجه، وأرسل ابنه نصراً إلى الجزيرة ليحفظ تلك النواحي، ويأخذ بثأر أخيه، وسيّر معه جيشاً كثيفاً.

وكان الأمير قُريش بن بدران، صاحب الموصل، لمّا سمع قتل أبي حرب انتهز الفرصة، وسار إلى الجزيرة ليملكها، وكاتب البُختيّةَ والبشنويّةَ، واستمالهم، فنزلوا إليه واجتمعوا معه على قتال نصر بن مروان، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً كثر فيه القتلى، وصبر الفريقان، فكانت الغلبة أخيراً لابن مروان، وجُرح قُريش جراحة قويّة

(١) في الباريسية: «عبد».

بزوبين رُمي به، وعاد عنه، وثبت أمر ابن مروان بالجزيرة، وعاود مراسلة البشنويّة والبختيّة، واستمالهم لعلّه يجد فيهم طمعاً، فلم يطيعوه.

ذكر وثوب الأتراك ببغداذ بأهل البساسيريّ والقبض عليه ونهب دُوره وأملاكه وتأكّد الوحشة بينه وبين رئيس الرّؤساء

في هذه السنة ثارت فتنة ببغداذ بالجانب الشرقيّ بين العامّة، وثار جماعة من أهل السُّنّة، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحضروا الديوان، وطلبوا أن يؤذَن لهم في ذلك، وأن يُتقدّم إلى أصحاب الديوان بمساعدتهم، فأُجيبوا إلى ذلك، وحدث من ذلك شرّ كثير.

ثمّ إنّ أبا سعد النصرانيَّ، صاحب البساسيريّ، حمل في سفينة ستّمائة جرّة خمراً ليُحدرها إلى البساسيريّ بواسط، في ربيع الآخر، فحضر ابن سُكّرة الهاشميُّ وغيره من الأعيان في هذا الباب، وتبِعهم خلْق كثير، وحاجب باب المراتب من قِبَل[1] الديوان، وقصدوا السفينة، وكسروا جِرارَ الخمر وأراقوها.

وبلغ ذلك البساسيريَّ، فعظُم عليه، ونسبه إلى رئيس الرؤساء، وتجدّدت الوحشة، فكتب فتاوَى أخذ فيها خطوط الفقهاء الحنفيّة بأنّ الذي فعل من كَسْر الجرار [واراقة الخمر] تَعدّ غير واجب، (وهي ملك رجل نصرانيّ، لا يجوز، وتردّد القول في هذا المعنى)[2]، فتأكّدت الوحشة من الجانبَيْن، ووضع رئيس الرؤساء الأتراك البغداذيّين على ثلب البساسيريّ والذّمّ له، ونسب كلّ ما يجري عليهم من نقْضٍ إليه، فطمعوا فيه، وسلكوا في هذا المعنى زيادةً على ما أراد رئيس الرؤساء، وتمادت الأيّام إلى رمضان، فحضروا دار الخليفة، واستأذنوا في قصد دُور البساسيريّ ونهبها، فأذِن لهم في ذلك، فقصدوها ونهبوها وأحرقُوها، ونكّلوا[3] بنسائه وأهله ونوّابه، ونهبوا دوابّه وجميع ما يملكه ببغداذ.

---

(١) في (أ): «جانب».

(٢) من (أ).

(٣) في الأوربية: «ووكلوا».

وأطلق رئيس الرؤساء لسانه[1] في البساسيريّ وذمّه، ونسبه إلى مكاتبة المستنصر، صاحب مصر، وأفسد الحال مع الخليفة إلى حدّ لا يُرجى صلاحه، وأرسل إلى الملك الرحيم يأمره بإبعاد البساسيريّ، فأبعده، وكانت هذه الحالة من أعظم الأسباب في ملك السلطان طُغْرلبك العراق[2]، وقبْض الملك الرحيم، وسيرد من ذلك ما تراه إن شاء الله تعالى.

ذكر وصول طُغْرلبك إلى بغداذ والخطبة له بها

قد ذكرنا قبلُ مسير طُغْرلبك إلى الرَّيّ، بعد عَوده من غزو الروم، للنظر في ذلك الطرف، فلمّا فرغ من الرَّيّ عاد إلى هَمَذان في المحرّم من هذه السنة، وأظهر أنّه يريد الحجّ، وإصلاح طريق مكّة، والمسير إلى الشام ومصر، وإزالة المستنصر العلويّ صاحبها.

وكاتب أصحابه بالدِّينَوَر وقَرمِيسِين وحُلوان[3] وغيرها[4]، فأمرهم بإعداد الأقوات والعلوفات. فعظم الإرجَافُ ببغداذ، وفتّ في أعضاد الناس، وشغب الأتراك ببغداذ، وقصدوا ديوان الخلافة.

ووصل السلطان طُغرلبك إلى حُلوان، وانتشر أصحابه في طريق خُراسان، فأجفل الناس إلى غربيّ بغداذ، وأخرج الأتراك خيامهم إلى ظاهر بغداذ.

وسمع الملك الرحيم بقرب طُغْرلبك من بغداذ، فأصعد من واسط إليها، وفارقه البساسيريُّ في الطريق لمراسلة وردت من القائم في معناه إلى الملك الرحيم أنّ البساسيريَّ خلع الطاعة، وكاتب الأعداء، يعني المصريّين، وأنّ الخليفة له على الملك عهود، وله على الخليفة مثلها، فإن آثَرَهُ فقد قطع ما بينهما، وإن أبعده وأصعد إلى بغداذ تولّى الديوان تدبير أمره؛ فقال الملك الرحيم ومَن معه: نحن لأوامر الديوان متّبعون، وعنه منفصلون.

---

(١) من (أ).

(٢) في الباريسية: «بغداذ». وعلى الهامش: «العراق».

(٣) في (أ): «وحران».

(٤) من (أ).

وكان سبب ذلك ما ذُكر. وسار البساسيريُّ إلى بلد نور الدولة دُبَيْس بن مَزْيد لمصاهرة بينهما، وأصعد الملك الرحيم إلى بغداذ. وأرسل طُغْرلبك رسولاً إلى الخليفة يبالغ في إظهار الطاعة والعبوديّة، وإلى الأتراك البغداذيّين يعدهم الجميل والإحسان. فأنكر الأتراك ذلك، وراسلوا الخليفة في المعنى، وقالوا: إنّنا فعلنا بالبساسيريّ ما فعلنا، وهو كبيرنا، ومقدّمنا، بتقدّم أمير المؤمنين، ووعدنا أمير المؤمنين بإبعاد[1] هذا الخَصْم عنّا، ونراه قد قرب منّا، ولم يُمنع من المجيء. وسألوا التقدّم عليه (في العَود)[2]، فغُولطوا في الجواب، وكان رئيس الرؤساء يُؤثر مجيئَهُ، ويختار انقراض الدولة الديلميّة.

ثمّ إنّ الملك الرحيم وصل إلى بغداذ منتصف رمضان[3]، وأرسل إلى الخليفة يُظهر له العبوديّة، وأنّه قد سلّم أمره إليه ليفعل ما تقتضيه العواطف معه في تقرير القواعد[4] مع السلطان طُغْرلبك، وكذلك قال من مع الرحيم من الأمراء، فأُجيبوا بأنّ المصلحة أن يُدخل الأجناد خيامهم من ظاهر بغداذ، وينصبوها بالحريم، ويُرسلوا رسولاً إلى طُغْرلبك يبذلون له الطاعة والخطبة، فأجابوا إلى ذلك وفعلوه، وأرسلوا رسلاً إليه، فأجابهم إلى ما طلبوا، ووعدهم الإحسان إليهم.

وتقدّم الخليفة إلى الخطباء بالخطبة لطُغْرلبك بجوامع بغداذ، فخُطب له يوم الجمعة لثمانٍ بقين من رمضان من السنة. وأرسل طُغْرُلبك يستأذن الخليفة في دخول بغداذ، فأذِن له، فوصل إلى النَّهروان، وخرج الوزير رئيس الرؤساء إلى لقائه في موكبٍ عظيمٍ من القضاة، والنقباء، والأشراف، والشهود، والخَدَم، وأعيان الدولة، وصحِبه أعيان الأمراء من عسكر الرحيم، فلمّا علم طُغْرلبك بهم أرسل إلى طريقهم الأمراء، ووزيره أبا نصر الكندريَّ، فلمّا وصل رئيس الرؤساء (إلى السلطان)[5] أبلغه رسالة الخليفة، واستحلفه للخليفة، وللملك الرحيم، وأمراء الأجناد، وسار طُغْرلبك ودخل بغداذ يوم الإثنين لخمسٍ بقين من الشهر، ونزل بباب الشَّمّاسيّة، ووصل إليه

---

(١) في الأوربية: «بإعادة».
(٢) من (أ).
(٣) في (أ): «النهار».
(٤) في (أ): «قاعدته».
(٥) من (أ).

قُريش بن بدران، صاحب الموصل، وكان في طاعته قبل هذا الوقت على ما ذكرناه.

ذكر وثوب العامّة ببغداذ بعسكر السلطان طغرلبك وقبض الملك الرحيم

لمّا وصل السلطان طُغْرلبك بغداذ دخل عسكره البلد للامتيار، وشراء ما يريدونه من أهلها، وأحسنوا معاملتهم، فلمّا كان الغد، وهو يوم الثلاثاء، جاء بعض العسكر إلى باب الأزَج، وأخذ واحداً من أهله ليطلب[1] منه تبناً، وهو لا يفهم ما يريدون، فاستغاث عليهم، وصاح العامّة بهم، ورجموهم، وهاجوا عليهم.

وسمع الناس الصياح، فظنّوا أنّ الملك الرحيم وعسكره قد عزموا على قتال طُغْرلبك، فارتجّ البلد من أقطاره، وأقبلوا من كلّ حَدَبٍ يَنْسِلُون، يقتلون[2] من الغُزّ من وُجد في محالّ بغداذ، إلاّ أهل الكرخ فإنّهم لم يتعرّضوا إلى الغُزّ، بل جمعوهم وحفظوهم.

وبلغ السلطانَ طُغْرلبك ما فعله أهل الكرْخ من حماية أصحابه، فأمر بإحسان معاملتهم. فأرسل عميد المُلك، الوزير، إلى عدنان بن الرضي، نقيب العلويّين، يأمره بالحضور، فحضر، فشكره عن السلطان، وترك عنده خيلاً بأمر السلطان تحرسه وتحرس المحلّة.

وأمّا عامّة بغداذ، فلم يقنعوا بما عملوا، حتّى خرجوا ومعهم جماعة من العسكر إلى ظاهر بغداذ، يقصدون العسكر السلطانيّ، فلو تبِعهم الملك الرحيم وعسكره لبلغوا ما أرادوا، لكن تخلّفوا، ودخل أعيان أصحابه إلى دار الخلافة، وأقاموا بها نفياً للتُّهمة عن أنفسهم، ظنّاً منهم أنّ ذلك ينفعهم.

وأمّا عسكر طُغْرلبك فلمّا رأوا فعل العامّة وظهورهم من البلد قاتلوهم، فقُتل بين الفريقَيْن جمْعٌ كثير، وانهزمت العامّة، وجُرح فيهم وأُسر كثير، ونهب الغُزُّ درب يحيى، ودرب سُلَيم، وبه دُور رئيس الرؤساء ودُور أهله، فنُهب الجميع، ونُهبت الرُّصافة، وتُرَب الخلفاء، وأُخذ منها من الأموال ما لا يُحصَى، لأنّ أهل تلك الأصقاع

---

(١) في (أ): «ليطلبوا».

(٢) في (أ): «وقتل».

نقلوا إليها أموالهم اعتقاداً منهم أنّها محترمة. ووصل النّهب إلى أطراف نهر المُعلّى[1] واشتدّ البلاء على النّاس وعظُم الخوف، ونقل الناس أموالهم إلى باب النُّوبي، وباب العامّة، وجامع القصر، فتعطّلت[2] الجمعات لكثرة الزحمة.

وأرسل طُغْرلبك من الغد إلى الخليفة يعتب، وينسب ما جرى إلى الملك الرحيم وأجناده، ويقول: إن حضروا بُرّئت ساحتُهم، وإن تأخّروا عن الحضور أيقنتُ[3] أنّ ما جرى إنّما كان بوضع منهم.

وأرسل للملك الرحيم وأعيان أصحابه أماناً لهم[4]، فتقدّم إليهم الخليفة بقصده، فركبوا إليه، وأرسل الخليفة معهم رسولاً يبرئهم ممّا خامر خاطر السلطان، فلمّا وصلوا إلى خيامه نهبهم الغُزّ، ونهبوا رُسُل الخليفة معهم، وأخذوا دوابّهم وثيابهم.

ولمّا دخل الملك الرحيم إلى خيمة السلطان أمر بالقبض عليه وعلى من معه، فقُبضوا كلّهم آخر شهر رمضان، وحُبسوا، ثمّ حُمل الرحيم إلى قلعة السِّيروان؛ وكانت ولاية الملك الرحيم على بغداذ ستّ سنين وعشرة أيّام، ونُهب أيضاً قريش بن بدران، صاحب الموصل، ومن معه من العرب، ونجا مسلوباً، فاحتمى بخيمة بدر بن المُهلهِل، فألقوا عليه الزّلاليّ حتّى أخفوه بها عن الغُزّ.

ثم علم السلطان ذلك، فأرسل إليه، وخلع عليه، وأمره بالعَود إلى أصحابه وحِلله تسكيناً له.

وأرسل الخليفة إلى السلطان ينكر ما جرى من قبض الرحيم وأصحابه، ونهْب بغداذ، ويقول: إنّهم إنّما خرجوا إليك بأمري وأماني، فإنْ أطلقتَهم، وإلاّ فأنا أُفارق بغداذ، فإني إنّما اخترتُك واستدعيتُك اعتقاداً منّي أنّ تعظيم الأوامر الشريفة يزداد[5]، وحُرمة الحريم تعظم، وأرى الأمر بالضّدّ. فأطلق بعضهم، وأخذ جميع إقْطاعات[6]

---

(١) في (أ): «يعلى».
(٢) في (أ): «فتقطعت».
(٣) في (أ): «تيقنت».
(٤) في (أ): «لما نالهم».
(٥) في الأوربية: «تزداد».
(٦) في الأوربية: «إقطعات».

عسكر الرحيم، وأمرهم بالسعي في أرزاق يحصّلونها لأنفسهم. فتوجّه كثير منهم إلى البساسيريّ ولزموه، فكثُر جمعه ونفق سوقه.

وأمر طُغْرلبك بأخذ أموال الأتراك البغداذيّين، وأرسل إلى نور الدولة دُبَيْس يأمره بإبعاد البساسيريّ عنه، ففعل، فسار إلى رحبة مالك بالشام، على ما نذكره، وكاتب المستنصرَ، صاحب مصر، بالدخول في طاعته. وخطب نور الدولة لطُغْرلبك في بلاده، وانتشر الغُزُّ السلجوقيّة في سواد بغداذ، فنهبوا من الجانب الغربيّ من تَكريت إلى النِّيل ومن الشرقيّ إلى النَّهروان وأسافل الأعمال، وأسرفوا في النهب، حتّى بلغ ثمن الثور ببغداذ خمسة قراريط إلى عشرة، والحمار بقيراطَيْن إلى خمسة[1]، وخرب السواد، وأجلى أهله عنه.

وضمن السلطان طُغرلبك البصرة والأهواز من هزارسب بن بنكير بن عياض بثلاثمائة ألف وستّين ألف دينار، وأقطعه أرّجان، وأمره أن يخطب لنفسه بالأهواز، دون الأعمال التي ضمنها، وأقطع الأمير أبا عليّ بن أبي كاليجار الملك قَرمِيسين وأعمالها، وأمر أهل الكرخ أن يؤذّنوا في مساجدهم سَحَراً: الصلاةُ خيرٌ من النَّوم؛ وأمر بعمارة دار المملكة، فعُمرت، وزيد فيها، وانتقل إليها في شوّال.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة وقعت الفتنة بين الفقهاء الشافعية والحنابلة ببغداذ، ومقدّم الحنابلة أبو يَعَلى[2] بن الفرّاء، وابن التميميّ، وتبِعهم من العامّة الجمّ الغفير، وأنكروا الجهرَ ببسم الله الرحمن الرحيم، ومنعوا من الترجيع في الأذان، والقنوت في الفجر، ووصلوا إلى ديوان الخليفة، ولم ينفصل حال، وأتى الحنابلة إلى مسجد بباب الشعير، فنَهوا إمامه عن الجهر بالبَسملة، فأخرج مُصحفاً وقال: أزيلوها من المصحف حتّى لا أتلوها[3].

---

(١) في المنتظم ٨/١٦٦ (١٥/٣٥٠): «حتى بلغ الثور خمسة قراريط إلى عشرة، والحمار قيراطين إلى خمسة»، وفي تاريخ الزمان لابن العبري ٩٩ «بيع ثور الغدّان بعشرين درهماً والجحش بعشرة دراهم». وانظر: نهاية الأرب ٢٦/٢٩١، والعبر ٣/٢١٢، وتاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٢، والبداية والنهاية ١٢/٦٧.

(٢) في طبعة صادر ٩/٦١٤ «أبو علي»، والتصحيح من المصادر.

(٣) المختصر في أخبار البشر ٢/١٧٤، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٣، تاريخ ابن الوردي ١/٣٥٥، البداية والنهاية ١٢/٦٦.

وفيها كان بمكّة غلاء شديد، وبلغ الخبز عشرة أرطال بدينار مغربيّ، ثم تعذّر وجوده، فأشرف الناس والحجّاج على الهلاك، فأرسل الله تعالى عليهم من الجراد ما ملأ الأرض فتعوّض الناس به، ثم عاد الحاجّ فسهل الأمر على أهل مكّة؛ وكان سبب هذا الغلاء عدمُ زيادة النيل بمصر عن العادة، فمل يُحْمَلْ منها الطعام إلى مكّة.

وفيها ظهر باليمن إنسان يُعرف بأبي كامل عليّ بن محمّد الصُّلَيحيّ، واستولى على اليمن، وكان معلّماً، فجمع إلى نفسه جمعاً، وانتمى إلى صاحب مصر، وتظاهر بطاعته، فكثُر جَمْعه، وتبعه، واستولى على البلاد، وقوي على ابن سادل[1] وابن الكُريديّ المقيمَين بها على طاعة القائم بأمر الله، وكان يتظاهر بمذهب الباطنيّة[2].

وفيها خطب محمود الخفاجيُّ للمستنصر العلويّ، صاحب مصر، بشفاثا والعين، وصار في طاعته.

[الوَفَيَات]

وفيها، في شوّال، توفّي قاضي القضاة أبو عبدالله الحسين بن عليّ بن ماكولا[3]، ومولده سنة ثمانٍ وستّين وثلاثمائة، وبقي في القضاء سبعاً[4] وعشرين سنة؛ وكان شافعيّاً، ورِعاً، نَزِهاً، أميناً، ووليَ بعده أبو عبدالله محمّد بن عليّ بن الدّامَغانيّ الحنفيُّ.

وفيها، في ذي القعدة، توفّي ذخيرة الدّين[5] أبو العبّاس محمّد ابن أمير المؤمنين، ومولده في جُمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة.

---

(١) في (أ): «ساول».
(٢) المنتظم ٨/ ١٦٥ (١٥/ ٣٥٠).
(٣) انظر عن (ابن ماكولا) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٤٧ رقم ١٩٨ وفيه مصادر ترجمته.
(٤) في الأوربية: «سبع».
(٥) انظر عن (ذخيرة الدين) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٦٣، ١٦٤ رقم ٢٢٩ وفيه مصادر ترجمته.

وفيها قبض الملك الرحيم (قبل وصول طُغْرلبك إلى بغداذ)[1] على الوزير[2] أبي عبدالله عبد الرحيم[3] بن الحسين بن عبد الرحيم، وطُرِح في بئرٍ في دار المملكة، وطُمّ عليه، وكان وزيراً متحكّماً في دولته.

وفيها، في المحرّم، توفّي القاضي أبو القاسم عليُّ بن المحسّن بن عليّ التنوخيُّ[4]، ومولده بالبصرة سنة خمسٍ وستّين وثلاثمائة، وخلّف ولداً صغيراً، وهو أبو الحسن محمّد بن عليّ[5]، ثم توفيّ في شوّال سنة أربعٍ وتسعين[6] وأربعمائة وانقرض بيته بموته.

قال القاضي أبو عبدالله بن الدامَغَانيّ: دخلتُ على أبي القاسم قبل موته بقليل، فأخرج إليّ ولده هذا من جاريته وبكى[7] فقلتُ: يعيش إن شاء الله وتُربّيه؛ فقال: هيهات! والله ما يتربّى إلاّ يتيماً؛ وأنشد:

أرى ولـدَ الفتـى كَـلاًّ عليـه، لقـد سعِـدَ الـذي أمَسـى عَقِيمـا
فـإمّـا أن تـربّيـه عـدوّاً، وإمّـا أن تُخلّفَـه يَتِيمـا

فتربّى يتيماً كما قال[8].

---

(١) من الباريسية.

(٢) في (أ): «المعدل».

(٣) في طبعة صادر ٩/٦١٥ «عبد الرحمن»، والمثبت من (أ)، ومصادر ترجمته في تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٥٦، ١٥٧ رقم ٢١٢، ووقع في: المنتظم ٨/١٦٦ (١٥/٣٥٠): «أبو عبدالله بن عبد الرحيم».

(٤) انظر عن (التنوخي) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٦١، ١٦٢ رقم ٢٢٣ وفيه حشدت مصادر ترجمته، وقد وضعت له ترجمة مع مقدّمة كتابه: «الفوائد العوالي المؤرّخة»، ـ وصدر بتحقيقنا عن مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار الإيمان، طرابلس ١٩٨٥ و١٩٨٧ ـ ص ٤٥ ـ ٦٩ ووقع في الطباعة وفاته (٤٧٤ هـ.) وهو خطأ مطبعيّ.

(٥) انظر عن (محمد بن علي بن المحسّن التنوخي) في ترجمة أبيه في (معجم الأدباء ١٤/١١٠ ـ ١٢٤).

(٦) في (أ): «وسبعين». والمثبت هو الصحيح كما في: معجم الأدباء ١٤/١١٢.

(٧) في الأوربية: «وبكّا».

(٨) معجم الأدباء ١٤/١١٢.

وفي جُمادى الأولى توفّي (أبو محمّد الحسن بن رجاء الدّهّان[١] اللُّغَويُّ.

وفي جُمادى الآخرة فيها تُوُفّي)[٢] أبو القاسم منصور بن عمر[٣] بن علي[٤] الكرخيُّ (من كرخ جُدّان)[٥]، الفقيه الشافعيُّ.

(وفي رجب توفّي أبو نصر أحمد بن عبدالله[٦] الثابتيُّ، الفقيه الشافعيُّ)[٧]، وهما[٨] من شيوخ أصحاب أبي حامد الإسْفَرَايينيّ.

وفي شعبان توفّي أبو البركات حسين بن عليّ بن عيسى الرَّبَعيُّ[٩] النَّحْويُّ، وكان ينوب عن الوزراء ببغداذ.

---

(١) انظر عن (الدّهان) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٤٥ رقم ١٩٥.

(٢) ما بين القوسين من الباريسية.

(٣) في طبعة صادر ٩/٦١٦ «منصور بن حمزة»، والمثبت هو الصحيح عن مصادره التي ذكرتها في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٦٦، ١٦٧ رقم ٢٣٥، ومن (أ).

(٤) في طبعة صادر ٩/٦١٦ «إبراهيم»، والتصويب من (أ) والمصادر.

(٥) ما بين القوسين في الأوربية: «حدان».

(٦) في طبعة صادر ٩/٦١٦ «أحمد بن محمد»، والتصويب من: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٤١، ١٤٢ رقم ١٨٩ والمصادر التي ذكرتها في حاشيته.

(٧) ما بين القوسين من الباريسية.

(٨) في (أ): «وهو».

(٩) انظر عن (الربعي) في: المنتظم ٨/ ٢٣٠ (١٥/ ٣٥١ رقم ٣٣٢٤) وفيه: «الحسن بن علي».

٤٤٨
ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وأربعمائة

ذكر نكاح الخليفة ابنة داود أخي طغرلبك

في هذه السنة، في المحرّم، جلس أمير المؤمنين القائم بأمر الله جلوساً عامّاً، وحضر عميد الملك الكندريُّ، وزير طُغْرلبك، وجماعة من الأمراء منهم: أبو عليّ ابن الملك أبي كاليجار، وهزارسب بن بنكير بن عياض الكُرديّ، وابن أبي الشوك، وغيرهم من الأمراء الأتراك من عسكر طُغْرلبك.

وقام عميد الملك، وزير طُغْرلبك، وبيده دبّوسٌ، ثم خطب رئيس الرؤساء وعقد العقد على أرسلان خاتون، واسمها خديجة ابنة داود أخي السلطان طُغْرلبك[1]، وقبل الخليفة بنفسه النكاح، وحضر العقد نقيب النُّقباء أبو عليّ بن أبي تمام، وعدنان ابن الشريف الرضيّ، نقيب العلويّين، وأقضى القضاة الماورديُّ، وغيرهم، وأُهديتْ خاتون إلى الخليفة في هذه السنة أيضاً في شعبان، وكانت والدة الخليفة قد سارت ليلاً وتسلّمتها وأحضرتها إلى الدار[2].

---

(١) في (الإنباء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني ١٩٠) «وعقد الخليفة عقداً على خديجة المدعوّة أرسلان خاتون بنت الأمير جغري بك والي خراسان، وهو أخو ركن الدولة، وكانت خديجة هذه مسمّاة لابن الخليفة ذخيرة الدين».
وبعد وفاة القائم تزوّجها علي بن قرامرز بن كاكويه الديلمي، فقال العماد الإصفهاني في «زبدة النصرة» ص ٥٢ «فاستبدلت عن القرشي ديلمياً، وعن الإمام أميّاً».

(٢) المنتظم ٨/ ١٦٩، ١٧٠ (١٦/ ٤)، ذيل تاريخ دمشق ٨٦، تاريخ الزمان ٩٩، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٧٤، تاريخ دولة آل سلجوق ١٣، العبر ٣/ ٢١٥، تاريخ الإسلام (٤٢١ ـ ٤٤٠ هـ.) ص ٢٤، دول الإسلام ١/ ٢٦٣، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٥٥، البداية والنهاية ١٢/ ٦٧، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٦٠، شذرات الذهب ٣/ ٢٧٧.

ذكر الحرب بين عبيد المعزّ بن باديس وعبيد ابنه تميم

في هذه السنة وقعت الحرب بين عبيد المعزّ، المقيمين بالمهديّة، وعبيد ابنه تميم، بسبب منازعة أدّتْ إلى المقاتلة، فقامت عامّة زَوِيلة وسائر مَن بها من رجال الأسطول مع عبيد تميم، فأخرجوا عبيد المعزّ، وقُتل منهم كثير، ومضي الباقون منهم يريدون المسير إلى القيروان، فوضع عليهم تميم العرب، فقتلوا منهم جمعاً غفيراً، وهذه النَّوبة هي سبب قَتل تميم مَن قَتَلَ من عبيد أبيه لمّا ملك.

ذكر ابتداء دولة الملثّمين

في هذه السنة كان ابتداء أمر المُلَثّمين، وهم عدّة قبائل يُنسبون إلى حِمْيَر، أشهرها[1]: لمتُونة، ومنها أمير المسلمين عليُّ بن يوسف بن تاشفين، وجدالة، ولمطة.

وكان أوّل مسيرهم من اليمن، أيّام أبي بكر الصدّيق، رضي الله عنه، فسيّرهم إلى الشام، وانتقلوا إلى مصر، ودخلوا المغرب مع موسى بن نُصير، وتوجّهوا مع طارق إلى طنجة، فأحبّوا الانفراد، فدخلوا الصحراء واستوطنوها إلى هذه الغاية.

فلمّا كان هذه السنة توجّه رجل منهم، اسمه الجوهر، من قبيلة جدالة إلى إفريقة، طالباً للحجّ، وكان مُحِبّاً للدين وأهله، فمرّ بفقيهٍ بالقَيروان، وعنده جماعة يتفقّهون، قيل: هو أبو عمران الفاسيُّ في غالب الظَّنّ، فأصغى الجوهر إليه، وأعجبه حالهم.

فلمّا انصرف من الحجّ قال للفقيه: ما عندنا في الصّحراء من هذا شيء غير الشهادتَيْن، والصلاة في بعض الخاصّة، فابعث معي من يعلّمهم شرائع الإسلام! فأرسل معه رجلاً اسمه عبدالله بن ياسين الكُزوليّ، وكان فقيهاً، صالحاً، شهْماً، فسار معه حتّى أتيا قبيلة لمتونة، فنزل الجوهر عن جَمَله، وأخذ بزمام جمل عبدالله بن ياسين، تعظيماً لشريعة الإسلام، فأقبلوا إلى الجوهر يهنّئونه بالسلامة، وسألوه عن

---

(١) في (أ): «أشرها».

الفقيه فقال: هذا حامل سنّة رسول الله ﷺ، قد جاء يعلّمكم ما يلزم في دين الإسلام. فرحّبوا بهما، وأنزلوهما، وقالوا: تذكر[1] لنا شريعة الإسلام؛ فعرّفهم عقائد الإسلام وفرائضه، فقالوا: أمّا ما ذكرتَ من الصلاة، والزّكاة، فهو قريب، وأمّا قولك مَنْ قَتَلَ يُقتل، ومَن سرق يُقطع، ومَنْ زنى[2] يُجلَد، أو يُرجم، فأمر لا نلتزمه، اذهب إلى غيرنا.

فرحلا عنهم، فنظر إليهما شيخٌ كبير فقال: لا بدّ وأن يكون لهذا الجمل في هذه الصحراء شأن يُذكر في العالم. فانتهى الجوهر والفقيه إلى جدالة، قبيل الجوهر، فدعاهم عبدالله بن ياسين والقبائل الذين يجاورونهم إلى حكم الشريعة، فمنهم من أطاع، ومنهم من أعرض وعصى.

ثم إنّ المخالفين لهم تحيّزوا، وتجمّعوا، فقال ابن ياسين للذين أطاعوا: قد وجب عليكم أن تقاتلوا هؤلاء الذين خالفوا الحقّ، وأنكروا شرائع الإسلام، واستعدّوا لقتالكم، فأقيموا لكم رايةً، وقدّموا عليكم أميراً. فقال له الجوهر: أنت الأمير! فقال: لا، إنّما أنا حامل أمانة الشريعة، ولكن أنت الأمير. فقال الجوهر: لو فعلتُ هذا تسلّط قبيلي على الناس، ويكون وِزْرُ ذلك عليّ. فقال له ابن ياسين: الرأي أن نولّي ذلك أبا بكر بن عمر، رأس لمتونة وكبيرها، وهو رجل سيّد، مشكور الطريقة[3]، مُطاع في قومه، فهو يستجيب لنا لحبّ الرئاسة، وتتبعه قبيلته، فنتقوّى[4] بهم.

فأتيا أبا بكر بن عمر، وعرضا ذلك عليه، فأجاب، فعقدوا له البيعة، وسمّاه ابن ياسين أمير المسلمين، وعادوا إلى جدالة، وجمعوا إليهم من حَسُن إسلامه، وحرّضهم عبدالله بن ياسين على الجهاد في سبيل الله، وسمّاهم مرابطين، وتجمّع[5] عليهم مَن خالفهم، فلم يقاتلهم المرابطون بل استعان ابن ياسين وأبو بكر بن عمر على أولئك

---

(١) في (أ): «يذكر».
(٢) في الأوربية: «زنا».
(٣) في (أ): «الحال.
(٤) في الأوربية: «فنتقوى».
(٥) في الأوربية: «ويجمع».

الأشرار بالمصلحين من قبائلهم، فاستمالوهم[1] وقرّبوهم حتّى حصّلوا منهم نحو ألفَيْ رجل من أهل البغي والفساد، فتركوهم في مكان، وخندقوا عليهم، وحفظوهم، ثم أخرجوهم قوماً بعد قوم، فقتلوهم، فحينئذٍ دانت لهم أكثر قبائل الصحراء[2]، وهابوهم، فقويت شوكة المرابطين.

هذا وعبدالله بن ياسين مشتغل بالعلم، وقد صار عنده منهم جماعة يتفقّهون، ولمّا استبدّ بالأمر هو وأبو بكر بن عمر عن الجوهر الجداليّ، وبقي لا حُكم له تَدَاخَلَه الحسد، وشرع سرّاً في فساد الأمر، فعُلم بذلك منه وعُقِد له مجلس، وثبّت عليه ما نُقل عنه، فحكم عليه بالقتل لأنّه نكث البيعة، وشقّ العصا، وأراد محاربة أهل الحقّ، فقُتل بعد أن صلّى ركعتَيْن، وأظهر السرور بالقتل طلباً للقاء الله تعالى. فاجتمعت القبائل على طاعتهم، ومن خالفهم قتلوه.

فلمّا كان سنة خمسين[3] وأربعمائة قحطت بلادهم؛ (فأمر ابن ياسين ضعفاءهم بالخروج إلى السوس وأخْذ الزّكاة، فخرج منهم نحو تسعمائة رجل، فقدموا سِجِلْمَاسة، وطلبوا الزكاة)[4]، فجمعوا لهم شيئاً له قدرٌ وعادوا.

ثم إنّ الصحراء ضاقت عليهم، وأرادوا إظهار كلمة الحقّ، والعبور إلى الأندلس ليجاهدوا الكفّار، فخرجوا إلى السُّوس الأقصى، فجمع لهم أهل السُّوس وقاتلوهم، فانهزم المرابطون، وقُتل عبدالله بن ياسين الفقيه، فعاد أبو بكر بن عمر فجمع جيشاً وخرج إلى السوس في ألفَيْ راكب، فاجتمع من بلاد السوس وزناتة اثنا عشر ألف فارس، فأرسل إليهم وقال: افتحوا لنا الطريق لنجوز إلى الأندلس ونجاهد أعداء الإسلام؛ فأبوا ذلك، فصلّى أبو بكر، ودعا الله تعالى، وقال: اللهمّ إن كنّا على الحقّ فانصرنا، وإلاّ فأرِحْنَا من هذه الدنيا. ثم قاتلهم وصدق هو وأصحابه القتال، فنصرهم الله تعالى، وهزم أهل السوس ومن معهم وأكثر القتل فيهم، وغنم المرابطون أموالهم وأسلابهم، وقويت نفسه ونفوس أصحابه، وساروا إلى سِجِلماسة فنزلوا عليها، وطلبوا من أهلها الزكاة، فامتنعوا عليهم، وسار إليهم صاحب سِجلماسة فقاتلهم فهزموه

---

(١) في الأوربية: «فاستمالهم».
(٢) في الأوربية: «الحصراء».
(٣) في هامش الباريسية: «أربعين»، وفي (أ): «خمس».
(٤) ما بين القوسين من (أ).

وقتلوه[1]، ودخلوا سِجِلماسة واستولوا عليها، وكان ذلك سنة ثلاثٍ وخمسين وأربعمائة.

ذكر ولاية يوسف بن تاشفين

لمّا ملك أبو بكر بن عمر سِجِلماسة استعمل عليها يوسفَ بن تاشفين اللمتونيَّ، وهو من بني عمّه الأقربين، ورجع إلى الصحراء، فأحسن يوسف السيرة في الرعيّة، ولم يأخذ منهم سوى الزكاة، فأقام بالصحراء مدّةً، ثم عاد أبو بكر بن عمر إلى سِجلماسة، فأقام بها سنةً، والخطبة والأمر والنهي له، واستخلف عليها ابن أخيه أبا بكر بن إبراهيم بن عمر، وجهّز مع يوسف بن تاشفين جيشاً من المرابطين إلى السوس ففُتِحَ على يدَيْه.

وكان يوسف رجلاً ديّناً، خيّراً، حازماً، داهيةً، مجرّباً[2]، وبقوا كذلك إلى سنة اثنتين وستّين وأربعمائة، وتوفّي أبو بكر بن عمر بالصحراء، فاجتمعت طوائف المرابطين على يوسف بن تاشفين، وملّكوه عليهم، ولقّبوه أمير المسلمين، وكانت الدولة في بلاد المغرب لزناتة الذين ثاروا في أيّام الفتن، وهي دولة رديّة مذمومة، سيئة السيرة، لا سياسة ولا ديانة، (وكان أمير المسلمين وطائفته على نهج السُّنّة، واتّباع الشريعة)[3]، فاستغاث به أهل المغرب، فسار إليها وافتتحها حصناً حصناً، وبلداً بلداً بأيسر سعي، فأحبه الرعايا، وصلحت أحوالهم.

ثم إنّه قصد موضع مدينة مَرّاكُش، وهو قاع صفصف، لا عمارة فيه، وهو موضع متوسّط في بلاد المغرب كالقَيْروان في إفريقية، ومَرّاكُش تحتَ جبال المَصَامدة الذين هم أشدّ أهل المغرب قوّةً، وأمنعهم معقلاً، فاختطّ هناك مدينة مَرّاكُش ليقوى على قمع أهل تلك الجبال إن همّوا بفتنة، واتّخذها مقرّاً، فلم يتحرّك أحد بفتنةٍ، وملك البلاد المتّصلة بالمجاز مثل سَبْتة، وطَنجة، وسَلا، وغيرها، وكثرت عساكره.

وخرجت جماعة قبيلة لمتونة وغيرهم، وضيّقوا حينئذٍ لثامهم، وكانوا قبل أن

(١) من الباريسية، وفي الأوربية: «وقتلوا».
(٢) في الباريسية: «مجزماً».
(٣) من (أ).

يملكوا يتلثّمون في الصحراء من الحرّ والبرد، كما يفعل العرب، والغالب على ألوانهم السُّمرة، فلمّا ملكوا البلاد ضيّقوا اللّثامَ.

وقيل كان سبب اللّثام لهم أنّ طائفة من لمتونة خرجوا مُغيرين[١] على عدوّ لهم، فخالفهم العدوّ إلى بيوتهم، ولم يكن بها إلاّ المشايخ، والصبيان، والنساء، فلمّا تحقّق المشايخ أنّه العدوّ أمروا النساء أن يلبسن ثياب الرجال، ويتلثّمن، ويضيّقنه، حتّى لا يُعرفن، ويلبسن السلاح. ففعلن ذلك، وتقدّم المشايخ والصبيان أمامهنّ، واستدار النساء بالبيوت، فلمّا أشرف العدوّ رأى جمعاً عظيماً، فظنّه[٢] رجالاً، فقال[٣]: هؤلاء عند حُرَمهم يقاتلون عنهنّ قتال الموت، والرأي أن نسوق النَّعَم ونمضي، فإن اتّبعونا قاتلناهم خارجاً عن حريمهم.

فبينما هم في جَمْع النَّعم من المراعي إذ قد أقبل رجال الحيّ، فبقي العدوّ بينهم وبينم النساء، فقتلوا من العدوّ فأكثروا، وكان مَن قتل النساء أكثر، فمن ذلك الوقت جعلوا اللّثام سُنّة يلازمونه، فلا يُعرف الشيخ من الشاب[٤]، فلا يزيلونه ليلاً ولا نهاراً، وممّا قيل في اللّثام:

قومٌ لهم دَرَكُ العُلى في حِمْيَرٍ، وإن انتمَوا صِنهاجةً فهمُ هُمُ
لمّا حَوَوا إحرازَ كلّ فضيلةٍ، غلَبَ الحياءُ عليهمُ فتلثَّموا

ونذكر باقي أخبار أمير المسلمين في مواضعها إن شاء الله تعالى.

ذكر تبييض أبي الغنائم بن المحلبان

في هذه السنة بيّض علاء الدين أبو الغنائم بن المحلبان بواسط، وخطب فيها للعلويّين المصريّين.

وكان سبب ذلك أنّ رئيس الرؤساء سعى له في النظر على واسط وأعمالها،

(١) في الأوربية: «غائرين».
(٢) في (أ): «فظنوهم».
(٣) في (أ): «فقالوا».
(٤) في الأوربية: «الشباب».

فأُجيب إلى ذلك، فانحدر إليها، (فصار عنده)[1] جماعة من أعيانها، وجنّد جماعة عظيمة، وتقوّى بالبطائحيّين، وحفر على الجانب الغربيّ من واسط خندقاً، وبنى عليه سوراً، وأخذ ضريبةً من سُفُنٍ أُصعدتْ للخليفة، فسيّر لحربه عميد العراق أبو نصر، فاقتتلوا، فانهزم ابن المحلبان، وأُسر من أصحابه عدد كثير، ووصل أبو نصر إلى السور، فقاتله العامّة مِنْ على السور.

ثم تسلّم البلد، وأمر أهله بطمّ الخندق، وتخريب السور، ثم أصعد إلى بغداذ، فلمّا فارقها (عاد إليها)[2] ابن فسانجس، ونهب قرية عبدالله، وقتل كلَّ أعمى رآه بواسط، وأعاد خطبة المصريّين، وأمر أهل كلّ محلّة بعمارة ما يليهم من السور.

ومضى منصور بن الحسين إلى المدار، وأرسل إلى بغداذ يطلب المدد، فكتب إليه عميد العراق ورئيس الرؤساء يأمرانه أن يقصد واسطاً هو وابن الهيثم، وأن يحاصراها[3]، فأقبلا إليها فيمن معهما وحصروها في الماء والبرّ، وكان هذا الحصار سنة تسعٍ وأربعين [وأربعمائة]، فاشتدّ فيها الغلاء حتّى بيع التمر، والخبز، وكروش البقر، كلّ خمسة أرطال بدينار، وإذا وُجد الخبازى باعوه كلّ عشرين رطلاً بدينار.

ثمّ ضعفوا وضجروا من الحصار، فخرج ابن فسانجس ليقاتل، فلم يثبت، وقُتل جماعة من أصحابه، وانهزموا إلى سور البلد، واستأمن جماعة من الواسطيّين إلى منصور بن الحسين، وفارق ابن فسانجس واسطاً، ومضى إلى قصر ابن أخضر[4]، وسار إليه طائفة من العسكر ليُقاتلوه، فأدركوه بقرب النيل، فأُسر هو وأهله، وحُمل إلى بغداذ، فدخلها في صفر سنة تسعٍ وأربعين [وأربعمائة] وشُهّر على جمل، وعليه قميص أحمر، وعلى رأسه طُرطُور بِوَدَعٍ، وصُلب[5].

ذكر الوقعة بين البساسيريّ وقُرَيش

في هذه السنة، سلْخ شوّال، كانت وقعة بين البساسيريّ ومعه نور الدولة

---

(١) في (أ): «فصادر».

(٢) في (أ): «قصدها».

(٣) في الأوربية: «يحاصرانها».

(٤) في الباريسية: «خضر».

(٥) دول الإسلام ١/ ٢٦٣، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٤، ٢٥، مرآة الجنان ٣/ ٦٦.

دُبيس بن مَزيد، وبين قُريش بن بدران، صاحب الموصل، ومعه قُتُلْمُش، وهو ابن عمّ السلطان طُغْرلبك، وهو جدّ هؤلاء الملوك أولاد قِلج أرسلان، ومعه أيضاً سهم الدولة أبو الفتح بن عمرو[1]، وكانت الحرب عند سِنجار، فاقتتلوا، فاشتدّ القتال بينهم، فانهزم قريش وقُتُلْمُش، وقُتل من أصحابهما[2] الكثير.

ولقي قُتُلْمُش من أهل سِنجار العَنَت، وبالغوا في أذاه وأذى أصحابه، وجُرح قريش بن بدران، وأتى إلى نور الدولة جريحاً، فأعطاه خلعةً كانت قد نُفّذت من مصر، فلبسها وصار في جملتهم، وساروا إلى الموصل، وخطبوا لخليفة مصر بها، وهو المستنصر بالله، وكانوا قد كاتبوا الخليفة المصريَّ بطاعتهم، فأرسل إليهم الخِلع من مصر للبساسيريّ، ولنور الدولة دُبيس بن مَزْيَد، ولجابر بن ناشب، ولمقبل بن بدران أخي قريش، ولأبي الفتح بن ورّام، ونصير بن عمر، وأبي الحسن بن عبد الرحيم، ومحمّد بن حمّاد، وانضاف إليهم قريش بن بدران[3].

ذكر مسير السلطان طُغْرُلبك إلى الموصل

لمّا طال مُقام السلطان طُغْرُلبك ببغداذ، وعمّ الخلقَ ضَرَرُ عسكرِه، وضاقت عليهم مساكنهم، فإنّ العساكر نزلوا فيها، وغلبوهم على أقواتهم، وارتكبوا منهم كلّ محظور، أمر الخليفة القائم بأمر الله وزيره رئيس الرؤساء أن يكتب إلى عميد الملك الكندريّ، وزير السلطان طُغْرلبك، يستحضره، فإذا حضر قال له عن الخليفة ليُعرّف السلطان ما الناس فيه من الجور والظلم، ويعِظه، ويذكّره، فإنّ أزال ذلك، وفعل ما أمر الله به، وإلاّ فيساعد الخليف على الانتزاح عن بغداذ ليبعد عن المنكرات.

فكتب رئيس الرؤساء إلى الكندريّ يستدعيه، فحضر، فأبلغه ما أمر به الخليفة، وخرج توقيع من الخليفة إلى السلطان فيه مواعظ، فمضى إلى السلطان وعرّفه الحال، فاعتذر بكثرة العساكر، وعجزه عن تهذيبهم وضبطهم، وأمر عميد الملك أن يبكّر بالجواب إلى رئيس الرؤساء، ويعتذر بما ذكره.

---

(١) في (أ): «عمر».

(٢) في الباريسية: «أصحابه».

(٣) العبر ٣/٢١٥، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٥، اتعاظ الحنفا ٢/٢٣٤.

فلمّا كان تلك الليلة رأى السلطان في منامه النبيَّ، ﷺ، عند الكعبة وكأنّه يسلّم على النبيِّ وهو مُعرض عنه لم يلتفتْ إليه، وقال له: يحكّمك الله في بلاده وعباده، فلا تراقبه فيهم، ولا تستحي من جلاله، عزّ وجلّ، في سوء معاملتهم، وتغتّر بإهماله عند الجور عليهم!

فاستيقظ فزعاً، وأحضر عميد الملك، وحدّثه ما رأى، وأرسله إلى الخليفة يعرّفه أنّه يقابل ما رسم به بالسمع والطاعة، وأخرج الجُنْد من دُور العامّة، وأمر أن يظهر من كان مختفياً، وأزال التوكيل عمّن كان وكّل به.

فبينما هو على ذلك، وقد عزم على الرحيل عن بغداذ للتخفيف عن أهلها، وهو يتردّد فيه، إذ أتاه[1] الخبر بهذه الوقعة المتقدّمة، فتجهّز وسار عن بغداذ عاشر ذي القعدة، ومعه خزائن السلاح، والمنجنيقات، وكان مقامه ببغداذ ثلاثة عشر شهراً وأيّاماً لم يلق الخليفة فيها، فلمّا بلغوا أوانا نهبها العسكر، ونهبوا عُكبرا وغيرهما.

ووصل إلى تكريت فحصرها، وبها صاحبها نصر بن (عليّ بن خميس)[2] فنصب على القلعة عَلَماً أسود، وبذل مالاً، فقبِله السلطان، ورحل عنه إلى البَوازيج ينتظر جمْعَ العساكر ليسير إلى الموصل، فَلمّا رحل عن تكريت توفّي صاحبها، وكانت أمّه أميرة[3] بنت غريب بن مَقن، فخافت أن يملك البلدة أخوه أبو الغِشّام، فقتلته وسارت إلى الموصل، فنزلت على دُبَيْس بن مَزْيد، فتزوّجها قُريش بن بدران، ولمّا رحلت عن تكريت استخلفت بها أبا الغنائم ابن المحلبان، فراسل رئيس الرؤساء واستعطفه، فصلح ما بينهما، وسلّم تكريت إلى السلطان ورحل إلى بغداذ[4].

وأقام السلطان بالبوازيج إلى أن دخلت سنة تسعٍ وأربعين [وأربعمائة] فأتاه أخوه ياقوتي في العساكر، فسار بهم إلى الموصل، وأقطعَ مدينة بلَد لهزارسب بن بنكير، فأجفل أهل البلاد إلى بلَد، (فأراد العسكر نهبهم، فمنعهم السلطان وقال: لا يجوز أن

---

(١) في الأوربية: «فأتاه».
(٢) في (أ): «عيسى».
(٣) في (أ): «غريبة».
(٤) المنتظم ٨/ ١٦٩ (١٦/ ٤).

تعرضوا إلى بلَد)[1] هزارسب؛ فلجّوا وقالوا: نريد الإقامة؛ (فقال السلطان لهزارسب: إنّ هؤلاء قد احتجّوا بالإقامة)[2]، فأخرج أهل البلد إلى معسكرك لتحفظ[3] نفوسهم. ففعل ذلك، وأخرجهم إليه، فصار البلد بعد ساعة قفراً، وفرّق فيهم هزارسب مالاً، وأركب من يعجز عن المشْي، وسيّرهم إلى الموصل ليأمنوا.

وتوجّه السلطان إلى نَصِيبين، فقال له هزارسب: قد تمادت الأيّام وأرى[4] أن أختار من العسكر ألف فارس أسير بهم إلى البرّيّة، فلعلّي أنال من العرب غَرَضاً؛ فأذِن له في ذلك؛ فسار إليهم، فلمّا قاربهم كمَن لهم كمينَيْن وتقدّم إلى الحِلَل، فلمّا رأوه قاتلوه، فصبر لهم ساعةً، ثم انزاح بين أيديهم كالمنهزم، فتبِعوه، فخرج عليهم[5] الكمينان، فانهزمت العرب، وكثر فيهم القتل والأسر، وكان قد انضاف إليهم جماعة من بني نُمَيْرأصحاب حَرّان، والرَّقّة، وتلك الأعمال، وحمل الأسرى إلى السلطان، فلمّا أُحضروا بين يدَيْه قال لهم: هل وطئتُ لكم أرضاً، وأخذتُ لكم بلداً؟ قالوا: لا! قال: فَلِمَ أتيتم لحربي؟ وأحضر الفيل فقتلهم، إلاّ صبيّاً أمرد، فلمّا امتنع الفيل من قتله عفا عنه السلطان.

ذكر عود نور الدولة دُبَيْس بن مزيد وقُريش ابن بدران إلى طاعة طغرلبك

لمّا ظفر هزارسب بالعرب وعاد إلى السلطان طُغْرلبك، أرسل إليه نور الدولة وقُريش يسألانه أن يتوسّط حالهما عند السلطان، ويُصلح أمرهما معه، فسعى في ذلك، واستعطف السلطان عليهما، فقال: أمّا هما فقد عفوتُ عنهما، وأمّا البساسيريُّ فذنبه إلى الخليفة، ونحن متبعون أمر الخليفة فيه؛ فرحل البساسيري عند ذلك إلى الرحبة، وتبعه الأتراك البغداذيّون، ومُقْبِل بن المقلّد وجماعة من عُقَيْل.

وطلب دُبَيْس وقُريش أن يرسل طُغْرلبك إليهما أبا الفتح بن ورّام، فأرسله، فعاد

(١) من (أ).
(٢) من (أ).
(٣) في الأوربية: «لتنحفظ».
(٤) في الأوربية: «ورأى».
(٥) في الأوربية: «عليه».

من عندهما وأخبر بطاعتهما، وأنّهما يطلبان[1] أن يمضي هزارسب إليهما ليحلّفهما، فأمره السلطان بالمُضِيّ إليهما، فسار واجتمع بهما، وأشار عليهما بالحضور عند السلطان، فخافا وامتنعا، فأنفذ قريش أبا السداد[2] هبة الله بن جعفر، وأنفذ دُبيس ابنَهُ بهاء الدولة منصوراً، فأنزلهما السلطان وأكرمهما وكتب لهما بأعمالهما، وكان لقريش نهر الملك، وبادوريا، والأنبار، وهَيت، ودُجيل، ونهر بَيطر، وعُكبرا، وأوَانَا، وتَكريت، والموصِل، ونَصِيبين، وأعاد الرُسُل إلى أصحابهم.

ذكر قصد السلطان ديار بكر وما فعله بسِنجار

لمّا فرغ طُغْرُلبك من العرب سار إلى ديار بكر التي هي لابن مروان، وكان ابن مروان يرسل إليه كلَّ يوم الهدايا والثلج، فسار السلطان إلى جزيرة ابن عمر فحصرها، وهي لابن مروان، فأرسل إليه ابن مروان يبذل له مالاً يُصلح حاله به، ويذكر له ما هو بصدده من حفظ ثغور المسلمين، وما يعانيه من جهاد[3] الكفّار، ولمّا كان السلطان يحاصر الجزيرة سار جماعة من الجيش إلى عُمْر أكمُن[4]، وفيه أربعمائة راهب، فذبحوا منهم مائة وعشرين راهباً، وافتدى الباقون أنفسهم بستّة مكاكيك ذهباً وفضّة.

ووصل إبراهيم يَنّال أخو السلطان إليه، فلقِيه الأمراء والناس كلّهم، وحملوا إليه الهدايا، وقال لعميد الملك الوزير: مَنْ هؤلاء العرب حتّى تجعلهم نظراء السلطان، وتصلح بينهم؟ فقال: مع حضورك يكون ما تريد، فأنت نائب[5] السلطان.

ولمّا وصل إبراهيم ينّال أرسل هزارسب إلى نور الدولة بن مَزْيد وقُريش يعرّفهما وصوله، ويحذّرهما منه، فسارا من جبل سِنجار إلى الرَّحبة، فلم يلتفت البساسيريُّ إليهما، فانحدر نور الدولة إلى (بلده بالعراق)[6]، وأقام قريش عند البساسيريّ بالرَّحبة ومعه ابنه مسلم بن قريش.

---

(١) في الأوربية: «يطلعان».
(٢) في (أ): «السيد».
(٣) في (أ): «مجاهدة».
(٤) في نسخة بودليان والباريسية: «عمر أوكين»، و(أ): «عم أكمز».
(٥) من (أ).
(٦) في (أ): «العراق».

وشكا قُتُلْمش ابن عمّ السلطان إليه[1] ما لقي من أهل سنجار في العام الماضي لمّا انهزم، وأنّهم قتلوا رجالاً، فسيّر العساكر إليهم، فأحاطت بهم، وصعِد أهلها على السور وسبوا، وأخرجوا جماجم مَن كانوا قتلوا، وقلانسهم، وتركوها على رؤوس القصب، ففتحها السلطان عَنوةً، وقتل أميرها مجلى[2] بن مُرَجّا وخلْقاً كثيراً من رجالها، وسبى[3] نساءهم، وخُرّبت، وسأل إبراهيم ينّال في الباقين فتركهم، فسلّمها هي والموصل والبلاد إلى إبراهيم ينّال، ونادى في عسكره: من تعرّض لنهبِ صلبتُه؛ فكفّوا عنهم.

وعاد السلطان إلى بغداذ[4]، على ما نذكره؛ كان ينبغي أن نذكر هذه الحادثة سنة تسِع وأربعين [وأربعمائة]، وإنّما ذكرناها هذه السنة لأنّ الابتداء بها كان فيها، فأَتْبَعْنا بعضَها بعضاً، وذكرنا أنّها كانت سنة تسعٍ وأربعين.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة انقطعت الطرق عن العراق لخوف النهب، فغلت الأسعار، وكثر الغلاء، وتعذّرت الأقوات وغيرها من كلّ شيء، وأكل الناس الميتة، ولحِقهم وباءٌ عظيم، فكثُر الموت حتّى دُفن الموتى بغير غُسل ولا تكفين، فبيع رطل لحم بقيراط، (وأربع دجاجات بدينار، ورطلا شراب بدينار، وسفرجلة بدينار)[5]، ورُمّانة بدينار، وكلّ شيء كذلك[6].

وكان بمصر أيضاً وباء شديد[7]، فكان يموت في اليوم ألف نفس، ثم عمّ ذلك

---

(١) في (أ): «إلى السلطان».
(٢) في (أ): «على».
(٣) في الأوربية: «وسبا».
(٤) تاريخ الزمان ١٠٠، المختصر في أخبار البشر ٢/١٧٥، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٦، تاريخ ابن الوردي ١/٣٥٦، ٣٥٧، البداية والنهاية ١٢/٦٩.
(٥) من (أ).
(٦) المنتظم ٨/١٧٠ (١٦/٥).
(٧) تاريخ حلب (زعرور) ٣٤٣ (سويم) ١١ (حوادث ٤٤٧ هـ.)، أخبار مصر لابن ميسّر ٢/٧ (حوادث ٤٤٧ هـ.)، ذيل تاريخ دمشق ٨٦، المغرب في حُلى المغرب ٧٩، الدرّة المضية ٣٦٩، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٥، العبر ٣/٢١٥.

سائر البلاد من الشام، والجزيرة، والموصل، والحجاز، واليمن وغيرها[١].

وفيها، في جُمادى الأولى، ولدت جارية ذخيرة الدّين بن الخليفة، الذي ذكرنا وفاتهُ قبلُ، ولداً ذَكَراً، ويسمّى عبدالله، وكُني أبا القاسم، وهو المقتدي.

وفيها، في العشر الثاني من جمادى الآخرة، ظهر وقت السَّحَر في السماء ذُؤآبة بيضاء طولها نحو عشرة أذرُع في رأي العين، وعرضُها ذراع، وبقيت كذلك إلى نصف رجب واضمحلّتْ[٢].

وفيها أمر الخليفة بأن يُؤذَّن بالكرْخ والمشهد وغيرهما: «الصَّلاةُ خيرٌ من النوم»؛ وأن يتركوا: «حيّ على خير العمل»؛ ففعلوا ما أمرهم به خوف السلطنة وقوّتها[٣].

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي عليُّ بن أحمد بن عليّ أبو الحسن المؤدّب المعروف بالفاليّ[٤]، من أهل مدينة فَالة بالقرب من إيذَج؛ روى الحديث والأدب، وله شعر حسن، فمنه قوله:

تَصَدَّرَ للتدريسِ كلُّ مُهوّسِ ... بَلِيدٍ تَسمّى بالفَقيهِ المُدَرِّسِ
فحَقٌّ لأهلِ العلمِ أن يتمثّلوا ... ببَيتٍ[٥] قديمٍ شاعَ في كلّ مَجلِسِ
لقد هَزَلَتْ، حَتّى بدَا من هُزالِها ... كُلاها، وحتى سامَها[٦] كلُّ مُفلسِ[٧]

وفي هذه السنة تُوُفّي محمّد بن الحسين بن محمّد بن السريّ أبو الحسن[٨] البزّاز

---

(١) الدرّة المضية ٣٦٩.

(٢) المنتظم ٨/ ١٧١ (١٦/ ٦).

(٣) المنتظم ٨/ ١٧٢ (١٦/ ٧).

(٤) في الأوربية: «الغاليّ». والمثبت هو الصحيح كما في مصادر ترجمته التي حشدتها في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٨٣ رقم ٢٧٥.

(٥) في الأوربية: «يتشملوا بيت».

(٦) في تاريخ الإسلام: «استامها».

(٧) تاريخ بغداد ١١/ ٣٣٤، المنتظم ٨/ ١٧٤ (١٦/ ١٠)، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٨٣.

(٨) في طبعة صادر ٩/ ٦٣٢ «محمد بن الحسين بن محمد بن سعدون أبو طاهر»، والمثبت عن مصادر ترجمته التي ذكرتها في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٨٧، ١٨٨ رقم ٢٨٣.

الموصليُّ، وُلد بالموصل[1]، ونشأ ببغداذ، وروى عن ابن حَيُّوَيْه[2]، والدّارَقُطْني، وابن بطّة وغيرهم، وكان موته بمصر.

وفيها توفّي أميرك الكاتب[3] البيهقيُّ في شوّال، وكان من رجال الدّنيا.

ومحمّد بن عبدالواحد بن عمر بن الميمون الدارميُّ[4] الفقيه الشافعيُّ.

---

(١) ليس في مصادر ترجمته ما يدلّ على أنه موصليّ، وهي تنسبه إلى نيسابور ومصر، فقيل: النيسابوري، المصري.

(٢) في طبعة صادر ٩/٦٣٢ «ابن حَبابة». والتصويب من المصادر، وهو: «محمد بن عبدالله بن حيُّويه النيسابوري».

(٣) له ذِكر في: زبدة التواريخ ٧٢.

(٤) انظر عن (الدارمي) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠هـ). ص ١٩٢ ـ١٩٤ رقم ٢٩٥ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

٤٤٩
ثم دخلت سنة تسع وأربعين وأربعمائة

ذكر عَود السلطان طغرلبك إلى بغداذ

لمّا سلّم السلطان طُغْرلبك الموصل وأعمالها إلى أخيه إبراهيم ينّال عاد إلى بغداذ، فلمّا وصل إلى القُفْص خرج رئيس الرؤساء إلى لقائه، فلمّا قارب القُفْص لقِيه عميد الملك، وزير السلطان، في جماعة من الأمراء، وجاء رئيس الرؤساء إلى السلطان فأبلغه سلام الخليفة واستيحاشه، فقبّل الأرض، وقدّم رئيس الرؤساء جاماً من ذهب فيه جواهر، وألبسة فرجيّة جاءت معه من عند الخليفة، ووضع العمامة على مخدّته، فخدم السلطان، وقبّل الأرض، (ووصل إلى بغداذ)[1]، ولم يمكّن أحداً من النزول في دُور الناس، وطلب السلطان الاجتماع بالخليفة، فأذِن له في ذلك.

وجلس الخليفة يوم السبت لخمسٍ بقين من ذي القعدة جلوساً عامّاً، وحضر وجوه عسكر السلطان وأعيان بغداذ، وحضر السلطان في الماء، وأصحابه حوله في السُّميريّات، فلمّا خرج من السُّميريّة أُركِب فرساً من مراكب الخليفة، فحضر عند الخليفة، والخليفة على سرير عالٍ من الأرض نحو سبعة أذرُع، وعليه بُردة النبيّ، ﷺ، وبيده القضيب الخيزُران، فقبّل السلطان الأرض، وقبّل يده، وأُجلس على كرسيّ، فقال الخليفة لرئيس الرؤساء:

قل له إنّ أمير المؤمنين شاكرٌ لسعيك، حامدٌ لفِعلك، مستأنسٌ بقربك، وقد ولاّك جميع ما ولاّه الله من بلاده، وردّ عليك[2] مراعاة عباده، فاتّق الله فيما ولاّك، واعرفْ نعمته عليك في ذلك، واجتهد في نشر العدل، وكفّ الظُّلم، وإصلاح الرعيّة.

---

(١) من (أ).

(٢) في (أ): «إليك».

فقبّل الأرض، وأمر الخليفة بإفاضة الخِلع عليه، فقام إلى موضع لبسها فيه وعاد وقبّل يد الخليفة ووضعها على عينيْه، وخاطبه الخليفة بملك المشرق والمغرب، وأُعطي العهد، وخرج، وأرسل إلى الخليفة خدمةً كثيرة منها خمسون[1] ألف دينار، وخمسون مملوكاً أتراكاً من أجْوَد ما يكون، ومعهم خيولهم وسلاحهم، إلى غير ذلك من الثياب وغيرها[2].

ذكر الحرب بين هزارسب وفولاذ

كان السلطان قد ضمن هزارسب بن بنكير بن عياض البصرة، وأرَّجان، وخُوزِستان، وشِيراز، فتجرّد رسولتكين ابن عمّ السلطان ومعه فولاذ لهزارسب، وقصدا أرَّجان ونهباها.

وكان هزارسب مع طُغْرلبك بالموصل والجزيرة، فلمّا فرغ السلطان من تلك الناحية ردّ هزارسب إلى بلاده، وأمره بقتال رسولتكين وفولاذ، فسار إلى البصرة وصادر بها تاج الدين بن سَخطة العلويَّ وابن سمحا اليهوديَّ بمائة ألف وعشرين ألف دينار، وسار منها إلى قتال فولاذ ورسولتكين فلقيهما، وقاتلهما قتالاً شديداً، فقُتل فولاذ، وأُسر رسولتكين ابن عمّ السلطان، فأبقى عليه هزارسب، فسأل رسولتكين هزارسبَ ليرسله إلى دار الخلافة ليشفع فيه الخليفة، ففعل ذلك.

ووصل بغداذ مع أصحاب هزارسب، فاجتاز بدار رئيس الرؤساء، فهجم ودخلها، واستدعى طعاماً إيجازاً للحرمة، فأمر الخليفة بإحضار عميد الملك (وإعلامه بحال رسولتكين ليخاطب السلطان في أمره، فلمّا حضر عميد الملك)[3] وقيل له ذلك قال: إنّ السلطان يقول إنّ هذا لا حُرمة له يستحقّ بها المراعاة، وقد قابل إحساني بالعصيان، ويجب تسليمه ليتحقّق الناس منزلتي، وتتضاعف هيبتي؛ فاستقرّ الأمر، بعد مراجعة، على أن يقيّده، وخرج توقيع الخليفة: إنّ منزلة ركن الدّين، يعني طُغْرلبك،

---

(١) في الأوربية: «خمسين».

(٢) الإنباء في تاريخ الخلفاء ١٩٢، المنتظم ٨/١٨٣ (١٦/٢١)، المختصر في أخبار البشر ٢/١٧٦، العبر ٣/٢١٨، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٧، تاريخ ابن الوردي ١/٣٥٧، مآثر الإنافة ١/٣٣٩.

(٣) من (أ).

عندنا اقتضت ما لم نفعله مع غيره، لأنّه لم تجر العادة بتقييد أحدٍ في الدار العزيزة، ولا بدّ أن يكون الرضا في جواب ما فعل؛ فراسله رئيس الرؤساء حتّى رضي.

وقد كانت دار الخلافة أيّام بني بُوَيه ملجأ لكلّ خائف منهم، من وزير وعميد وغير ذلك، ففي الأيّام السلجوقيّة سُلك[1] غير ذلك، وكان أوّل شيء فعلوه هذا.

ذكر القبض على الوزير اليازوريّ بمصر

في هذه السنة، في ذي الحجّة، قُبض بمصر على الوزير أبي محمّد الحسن بن عبد الرحمن اليازوريّ، وقُرّر عليه أموال عظيمة منه ومن أصحابه، ووُجد له مكاتبات إلى بغداذ.

وكان في ابتداء أمره قد حجّ، فلمّا قضى[2] حجّه أتى المدينة، وزار مسجد رسول الله، ﷺ، فسقط على منكبَيْه قطعة من الخلوق الذي على حائط الحُجرة، فقال له أحد القوام: أيّها الشيخ! إني أُبشّرك، ولي الحباء والكرامة إذ بلغتَه، أنّك تلي ولاية عظيمة، وهذا الخلوق دليل على ذلك.

فلم يَحُلْ عليه الحول حتّى وليَ الوزارة، وأحسن إلى ذلك الرجل وراعاه.

وكان يتفقّه على مذهب أبي حنيفة، وكان قاضياً بالرملة، يُكرم العلماء، ويحسن إليهم ويجالسهم، وكان ابتداء أمره كابتداء أمر رئيس الرؤساء: الشهادة، والقضاء، وكانت سعادتهما متّفقة، ونهايتهما متقاربة[3].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة زاد الغلاء ببغداذ والعراق حتّى بيعت كارة الدقيق السّميد بثلاثة

(١) في الباريسية: «فعل».

(٢) في الأوربية: «قضا».

(٣) انظر عن (اليازوري) في: أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٨، ٩، والمنتظم ٨/ ١٨٣ (١٦/ ٢١)، وأخبار الدول المنقطعة ٧٩، والإشارة إلى من نال الوزارة ٤٠ ـ ٤٥، والمقفى الكبير ٢/ ٦٤٤ و٣/ ٣٦٦ ـ ٤٠٨ رقم ١١٨٨، وذيل تاريخ دمشق ٨٤، واتعاظ الحنفا ٢/ ٢١٢، ٢٥٩، ٢٦٠، والأعلام ٢/ ٢١٨، والدرّة المضية ٣٧٠ (حوادث ٤٥٠ هـ)، ونهاية الأرب ٢٥/ ٢٢١ ـ ٢٢٣.

عشر ديناراً، والكارة من الشعير والذُّرَة بثمانية دنانير، وأكل الناس الميتة والكلاب وغيرها، وكثر الوباء حتّى عجز الناس عن دفن الموتى، فكانوا يجعلون الجماعة في الحفيرة(١).

[وفاة أبي العلاء المَعَرّي]

وفيها، في ربيع الأوّل، توفّي أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان المَعَرّيُّ(٢)، الأديب، وله نحو ستّ وثمانين سنة، وعلمه أشهر من أن يُذكر، إلاّ أنّ أكثر الناس يرمونه(٣) بالزَّنْدقة، وفي شِعره ما يدلّ على ذلك، حُكي أنّه قال يوماً لأبي يوسف القزوينيّ: ما هجوتُ أحداً؛ فقال له القزوينيُّ: هجوتَ الأنبياء؛ فتغيّر وجهه وقال: ما أخاف أحداً سواك.

وحكى عنه القزوينيُّ أنّه قال: ما رأيتُ شِعراً في مرثيّة الحسين بن عليّ يساوي أن يُحفظ؛ فقال القزوينيُّ: بلى، قد قال بعض أهل سوادنا:

رأسُ ابنِ بِنتِ محمّدٍ ووصيّهِ ... للمُسلمينَ على قَناةٍ يُرفَعُ
والمسلمون بمَنْظرٍ وبمَسْمَعٍ، ... لا جازعٌ منهم، ولا متفجّعُ
أيقظتَ أجفاناً وكنتَ لها كرًى، ... وأنَمْتَ عَيناً لم تكن بك تَهجَعُ
كُحِلتْ بمَصرَعك(٤) العيونُ عَمايةً، ... وأصمّ نعيُك كلَّ أُذنٍ تَسْمَعُ
ما روضةٌ إلاّ تمنّتْ أنّها ... لك مَضجَعٌ ولخَطّ قَبرِك مَوضِعُ

وفيها أصلح دُبَيس بن عليّ بن مَزْيَد ومحمود بن الأخرم الخفاجيُّ حالهما مع السلطان، فعاد دُبيس إلى بلاده فوجدها خراباً لكثرة من مات بها من الوباء الجارف، ليس بها أحد(٥).

---

(١) المنتظم ٨/ ١٧٩، ١٨٠ (١٦/ ١٧، ١٨)، تاريخ الزمان ١٠٠، والدرّة المضية ٣٧٠، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٨، البداية والنهاية ١٢/ ٧٠، شذرات الذهب ٣/ ٢٦٩.

(٢) انظر عن (أبي العلاء) في تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ١٩٨ ـ ٢٢٠ رقم ٣٠٥ وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

(٣) في الباريسية: «يرميه».

(٤) في (أ): «بمنظرك».

(٥) المنتظم ٨/ ١٨١ (١٦/ ١٨).

وفيها كثر الوباء ببخارى حتّى قيل إنّه مات في يومٍ واحد ثمانية عشر ألف إنسان من أعمال بُخَارى، وهلك في هذه الولاية في مدّة الوباء ألف ألف وستّمائة ألف وخمسون[1] ألفاً، وكان بسَمَرْقَند مثل ذلك، وُوجد ميّت، وقد دخل تركيّ يأخذ لحافاً عليه، فمات التركيُّ وطرف اللّحاف بيده، وبقيت أموال الناس سائبةً[2].

وفيها نُهبت دار أبي جعفر الطُّوسيّ بالكَرْخ، وهو فقيه الإماميّة، وأُخِذ ما فيها، وكان قد فارقها إلى المشهد الغربيّ[3].

[الوفيات]

وفيها، في صفر، توفّي أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابونيُّ[4] مقدّم أصحاب الحديث بخُراسان، وكان فقيهاً، خطيباً، إماماً، في عدّة علوم.

وفيها، في ربيع الأوّل، تُوُفّي إياز بن أيماق أبو النجم غلام محمود بن سُبُكتِكِين، وأخباره معه مشهورة.

وفيها مات أبو أحمد عدنان ابن الشَّريف الرَّضيّ نقيب العلويّين[5].

وفيها تُوفيّ أبو الحسين عبد الوهّاب بن أحمد بن هارون الغَسّانيُّ[6]، المعروف بابن الجُنْديّ.

---

(١) في الأوربية «وخمسين».

(٢) المنتظم ٨/ ١٧٩، ١٨٠ (١٦/ ١٧، ١٨)، تاريخ الزمان ١٠٠، العبر ٣/ ٢١٨، دول الإسلام ١/ ٢٦٤، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٨، تاريخ الخميس ٢/ ٤٠٠، إتعاظ الحنفا ٢/ ٢٣٥، شذرات الذهب ٣/ ٢٧٩.

(٣) من (أ). والخبر في: المنتظم ٨/ ١٧٩ (١٦/ ١٦).

(٤) انظر عن (الصابوني) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٢٤ ـ ٢٢٩ رقم ٣١٣ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٥) تاريخ الفارقي ١/ ١٧٤، المنتظم ٨/ ١٨٩ رقم ٢٥٤ (١٦/ ٢٨ رقم ٣٣٤٩)، الأعلام ٤/ ٢١٩.

(٦) انظر عن (الغسّاني) في: تاريخ دمشق (مخطوطة التيمورية) ٢٥/ ١٤٤، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ١٥/ ٢٧٠ رقم ٢٦٤، وتاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٣٢ رقم ٣٢١.

٤٥٠
ثم دخلت سنة خمسين وأربعمائة

ذكر مفارقة إبراهيم ينّال الموصل واستيلاء البساسيريّ عليها وأخذها منه

في هذه السنة فارق إبراهيم ينّال الموصل نحو بلاد الجبل، فنسب السلطان طُغْرلبك رحيله إلى العصيان، فأرسل إليه رسولاً يستدعيه، وصحبته الفُرجيّة التي خلعها عليه الخليفة، وكتب الخليفة إليه أيضاً كتاباً في المعنى، فرجع إبراهيم إلى السلطان، وهو ببغداذ، فخرج الوزير الكندريُّ لاستقباله، وأرسل الخليفة إليه الخِلع.

ولمّا فارق إبراهيم الموصل قصدها البساسيريُّ، وقريش بن بدران، وحاصراها، فملكا البلد ليومه، وبقيت القلعة، وبها الخازن، وأردم، وجماعة من العسكر، فحاصراها أربعة أشهر حتّى أكل من فيها دوابّهم، فخاطب[1] ابن مُوسَك صاحب إربل قريشاً حتّى أمّنهم فخرجوا، فهدم البساسيريُّ القلعة، وعفّى[2] أثرها.

وكان السلطان قد فرّق عسكره في النّوروز، وبقي جريدةً في ألفَيْ فارس حين بلغه الخبر، فسار إلى الموصل فلم يجد بها أحداً؛ كان قريش والبساسيريُّ قد فارقاها، فسار السلطان إلى نَصِيبين ليتتبّع آثارهم ويخرجهم من البلاد، ففارقه أخوه إبراهيم ينّال، وسار نحو همَذان، فوصلها في السادس والعشرين من رمضان سنة خمسين [وأربعمائة]، وكان قد قيل إنّ المصريّين كاتبوه، والبساسيريّ قد استماله وأطمعه في السلطنة والبلاد، فلمّا عاد إلى هَمَذان سار السلطان[3] في أثره[4].

---

(١) في الباريسية: «فحاصر».

(٢) في الأوربية: «وعفّا».

(٣) في الباريسية: «الخليفة».

(٤) مختصر التاريخ لابن الكازروني ٢٠٦، ٢٠٧، تاريخ دولة آل سلجوق ١٧، تاريخ الإسلام (٤٤١ - ٤٦٠ هـ.) ص ٣٣، النجوم الزاهرة ٨/٥.

ذكر الخطبة بالعراق للعلويّ المصريّ وما كان إلى قتل البساسيريّ

لمّا عاد إبراهيم ينّال إلى هَمَذان (سار طُغْرلبك خلفه)[1]، وردّ وزيرَه عميد الملك الكندريَّ وزوجته إلى بغداذ[2].

وكان مسيره من نَصِيبين في منتصف شهر رمضان، ووصل إلى هَمَذان، وتحصّن بالبلد، وقاتل أهلُها بين يدَيْه، وأرسل إلى الخاتون زوجته وعميد الملك الكندريّ يأمرهما باللحاق به، فمنعهما الخليفة من ذلك تمسّكاً بهما، وفرّق غِلالاً كثيرة في الناس، وسار من كان ببغداذ من الأتراك إلى السلطان بهمذان، وسار عميد الملك إلى دُبَيْس بن مَزْيد فاحترمه وعظّمه، ثمّ سار من عنده إلى هزارسب، وسارت خاتون إلى السلطان بهمذان، فأرسل الخليفة إلى نور الدولة دبيس بن مزيد يأمره بالوصول إلى بغداذ، فورد إليها في مائة فارس، ونزل في النجميّ، ثم عبر إلى الأتانين.

وقوي الإرجاف بوصول البساسيريّ، فلمّا تحقّق الخليفة وصوله إلى هَيْت أمر الناس بالعبور من الجانب الغربيّ إلى الجانب الشرقيّ، فأرسل دُبَيْس بن مَزْيد إلى الخليفة وإلى رئيس الرؤساء يقول: الرأي عندي خروجكما من البلد معي، فإنّني أجتمع أنا وهزارسب فإنّه بواسط على دفع عدوّكما. فأُجيب ابن مَزْيد بأن يُقيم حتّى يقع الفكر في ذلك، فقال: العرب لا تطيعني على المقام، وأنا أتقدّم إلى دَيَالى! فإذا انحدرتم سِرتُ في خدمتكم. وسار وأقام بدَيَالى ينتظرهما، فلم يرَ لذلك أثراً، فسار إلى بلاده[3].

ثمّ إنّ البساسيريَّ وصل إلى بغداذ يوم الأحد ثامن ذي القعدة، ومعه أربعمائة غلام على غاية الضُّرّ والفقر، وكان معه أبو الحسن بن عبد الرحيم الوزير، فنزل البساسيريُّ بمشرعة الروايا، ونزل قُريش بن بدران، وهو في مائتَيْ فارس، عند مشرعة باب البصرة، وركب عميد العراق، ومعه العسكر والعوامّ، وأقاموا بإزاء عسكر

---

(١) في (أ): «تبعه السلطان».
(٢) في (أ): «حمدان».
(٣) في (أ): «بلده».

البساسيريّ، وعادوا، وخطب البساسيريُّ بجامع المنصور للمستنصر بالله العلويّ، صاحب مصر، وأمر فأُذّن بحَيّ على خير العمل، وعقد الجسر، وعبر عسكره إلى الزاهر وخيّموا فيه، وخطب في الجُمعة من وصوله (بجامع الرُّصافة)[1] للمصريّ، وجرى بين الطائفتَيْن حروب في أثناء الأسبوع.

وكان عميد العراق يشير على رئيس الرؤساء بالتوقّف عن المناجزة، ويرى المحاجزة ومطاولة الأيّام انتظاراً لِما يكون من السلطان، ولِما يراه من المصلحة بسبب ميل العامّة الى البساسيريّ، أمّا الشيعة فللمذهب، وأمّا السُّنّة فلما فعل بهم الأتراك.

وكان رئيس الرؤساء لقلّة معرفته بالحرب ولِما عنده من البساسيريّ يرى المبادرة إلى الحرب، فاتّفق أن في بعض الأيّام حضر القاضي الهمذانيُّ عند رئيس الرؤساء واستأذنه في الحرب، وضمن له قتل البساسيريّ، فأذِن له من غير علم عميد العراق، فخرج ومعه الخدم، والهاشميّون، والعجم، والعوامّ، إلى الحَلْبة، وأبعدوا، والبساسيريُّ يستجرُّهم، فلمّا أبعدوا حمل عليهم فعادوا منهزمين، وقُتل منهم جماعة، ومات في الزحمة جماعة من الأعيان، ونُهب باب الأزج، وكان رئيس الرؤساء واقفاً دون الباب، فدخل الدار، وهرب كلّ من في الحريم.

ولمّا بلغ عميدَ العراق فعْلُ رئيس الرؤساء لطم على وجهه كيف استبدّ برأيه ولا معرفة له بالحرب. ورجع البساسيريُّ إلى معسكره، واستدعى الخليفة عميد العراق، وأمره بالقتال على سور الحريم، فلم يَرُعْهم إلاّ الزعقات، وقد نُهب الحريم، وقد دخلوا بباب النُّوبيّ، فركب الخليفة لابساً للسواد، وعلى كتفه البُردة، وبيده السيف، وعلى رأسه اللواء، وحوله زمرة من العبّاسيّين والخدم بالسيوف المسلولة، فرأ النهب قد وصل إلى باب الفِردوس من دارِه، فرجع إلى ورائه، ومضى نحو عميد العراق، فوجده قد استأمن إلى قُريش، فعاد وصعِد[2] المَنْظَرة، وصاح رئيس الرؤساء: يا عَلَم الدين! يعني قريشاً، أميرُ المؤمنين يستدنيك؛ فدنا منه، فقال له رئيس الرؤساء: قد أنالك الله منزلةً لم ينلها أمثالك، وأمير المؤمنين يستذمّ منك على نفسه، وأهله، وأصحابه بذمام الله تعالى، وذمام رسوله، ﷺ، وذمام العربيّة.

---

(١) في (أ): «بالجامع بالرصافة».

(٢) في (أ) زيادة: «إلى».

فقال: قد أذمّ الله تعالى له؛ قال: ولي؟ ولمن معه؟ قال: نعم؛ وخلع قَلَنْسُوَته فأعطاها الخليفة، وأعطى مخصَرته رئيس الرؤساء ذماماً، فنزل إليه الخليفة ورئيس الرؤساء من الباب المقابل لباب الحَلبة، وصارا معه.

فأرسلة إليه البساسيريُّ : أتخالف ما استقرّ بيننا، وتنقض ما تعاهدنا عليه؟ فقال قُريش: لا! وكانا قد تعاهدا على المشاركة في الذي يحصل لهما، وأن لا يستبدّ أحدهما دون الآخر بشيء، فاتّفقا على أن يسلّم قريش رئيس الرؤساء إلى البساسيريّ لأنّه عدوّه، ويترك الخليفة عنده، فأرسل قريش رئيس الرؤساء إلى البساسيريّ، فلمّا رآه قال: مرحباً بمُهلك الدول، ومُخرّب البلاد! فقال: العفو عند المقدرة. فقال البساسيريُّ: فقد قدرتَ فما عفوتَ، وأنت صاحب طَيلسان، وركبتَ الأفعال الشنيعة مع حُرَمي وأطفالي، فكيف أعفو أنا، وأنا صاحب سيف؟

وأمّا الخليفة فإنّه حمله قريش راكباً إلى معسكره، وعليه السواد والبُردة، وبيده السيف، وعلى رأسه اللواء، وأنزله في خيمة، وأخذ أرسلان خاتون، (زوجة الخليفة، وهي)[1]، ابنة أخي السلطان طُغْرلبك، فسلّمها إلى أبي عبدالله بن جردة ليقوم بخدمتها[2].

ونُهبت دار الخلافة وحريمها أيّاماً، وسلّم قريش الخليفة إلى ابن عمّه مُهارش (بن المجلّي)[3]، وهو رجل فيه دين، وله مروءة، فحمله في هودج وسار به إلى حديثة عانة فتركه بها، وسار من كان مع الخليفة من خدمه[4] وأصحابه إلى السلطان طُغْرلبك مستنفرين.

فلمّا وصل الخليفة إلى الأنبار شكا البَرد، فأنفذ إلى مقدّمها يطلب منه ما يلبسه، فأرسل له جُبّة فيها قطن ولحافاً.

وأمّا البساسيريُّ فإنّه ركب يوم عيد النحر، وعَبر[5] إلى المصلّى بالجانب

---

(١) من (أ).

(٢) المنتظم ٨/ ١٩٤ (١٦/ ٣٤).

(٣) من الباريسية.

(٤) في (أ): «حريمه».

(٥) في الباريسية: «وركب».

الشرقيّ، وعلى رأسه الألوية المصريّة، فأحسن إلى الناس، وأجرى الجرايات على المتفقّهة، ولم يتعصّب لمذهب، وأفرد لوالدة الخليفة القائم بأمر الله داراً، وكانت قد قاربت تسعين سنة، وأعطاها جاريتَيْن من جواريها للخدمة، وأجرى لها الجراية، وأخرج محمود بن الأخرم إلى الكوفة وسَقي[1] الفُرات أميراً.

وأمّا رئيس الرؤساء فأخرجه البساسيريُّ، آخر ذي الحجّة، من محبسه بالحريم الطّاهريّ مقيّداً، وعليه جُبّة صوف، وطُرطُور من لبد أحمر، وفي رقبته مِخنَقة جلود بعير[2]، وهو يقرأ: **﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾** الآية[3].

وبصق أهل الكرْخ في وجهه عند اجتيازه بهم، لأنّه كان يتعصّب عليهم، وشُهّر إلى حدّ النجميّ، وأُعيد إلى معسكر البساسيريّ، وقد نُصبت له خشبة، وأُنزل عن الجمل، وأُلبس جلد ثَور، وجُعلت قرونه على رأسه، وجُعل فيْ فكّيْه[4] كلاّبان من حديد، وصُلب، فبقي يضطّرب إلى آخر النهار ومات.

وكان مولده في شعبان سنة سبعين[5] وثلاثمائة، وكانت شهادته عند ابن ماكولا سنة أربع عشرة وأربعمائة، وكان حسن التلاوة للقرآن، جيّد المعرفة بالنحو[6].

وأمّا عميد العراق فقتله البساسيريُّ، وكان فيه شجاعة، وله فُتُوّة، وهو الذي بنى رباط شيخ الشيوخ.

ولمّا خطب البساسيريُّ للمستنصر العلويّ بالعراق أرسل إليه بمصر يعرّفه ما فعل، وكان الوزير هناك أبا الفرج ابن أخي أبي القاسم المغربيّ، وهو ممّن هرب من البساسيريّ وفي نفسه ما فيها، فوقع فيه، وبرّد فعله، وخوّف[7] عاقبته، فتُركت أجوبته مدّةً، ثم عادت بغير الذي أمّله ورجاه.

---

(١) في (أ): «وشقي».
(٢) من (أ).
(٣) سورة آل عمران، الآية ٢٦.
(٤) في (أ): «فيه».
(٥) في (أ): «تسعين».
(٦) انظر عن مقتل رئيس الرؤساء في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٣١ و فيه حشدت مصادر كثيرة عنه.
(٧) في (أ) زيادة: «من».

وسار البساسيريُّ من بغداذ إلى واسط والبصرة فملكهما، وأراد قصد الأهواز، فأنفذ صاحبها هزارسب بن بنكير إلى دُبَيْس بن مَزْيد يطلب منه أن يصلح الأمر على مالٍ يحمله إليه، فلم يُجب البساسيريُّ إلى ذلك، وقال: لا بدّ من الخطبة للمستنصر، والسكّة باسمه؛ فلم يفعل هزارسب ذلك، ورأى البساسيريُّ أنّ طُغرلبك يمدّ هزارسب بالعساكر، فصالحه، وأصعد إلى واسط في مستهل شعبان من سنة إحدى وخمسين [وأربعمائة]، وفارقه صَدَقَة بن منصور بن الحسين الأسَديُّ، ولحِق بهزارسب، وكان قد وليَ بعد أبيه على ما نذكره.

وأمّا أحوال السلطان طُغرلبك، وإبراهيم يَنّال، فإنّ السلطان كان في قلّة من العسكر، كما ذكرناه، وكان إبراهيم قد اجتمع معه كثير من الأتراك، وحلف لهم أنّه لا يصالح أخاه طُغْرلبك، ولا يكلّفهم المسير إلى العراق، وكانوا يكرهونه لطول مُقامهم وكثرة إخراجاتهم، فلم يَقو به طُغْرلبك، وأتى إلى إبراهيم محمّد وأحمد ابنا أخيه أرتاش في خلقٍ كثير، فازداد بهم قوّةً، وازداد طُغْرلبك ضعفاً، فانزاح (من بين يدَيْه)[1] إلى الرَّيّ، وكاتب ألبَ أرسلان، وياقوتي، وقاورت بك، أولاد أخيه داود، وكان داود قد مات، (على ما نذكره سنة إحدى وخمسين [وأربعمائة] إن شاء الله تعالى)[2]، وملك خُراسان بعده ابنه ألب أرسلان، فأرسل إليهم طُغْرلبك يستدعيهم إليه، فجاؤوا بالعساكر الكثيرة، فلقي إبراهيم بالقرب من الري، فانهزم إبراهيم ومن معه وأُخذ أسيراً هو ومحمّد وأحمد ولدا أخيه، فأمر به فخُنق بوَتَر قوسه تاسع جُمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين[وأربعمائة]، وقُتل ولدا[3] أخيه معه[4].

وكان إبراهيم قد خرج على طُغْرلبك مراراً، فعفا عنه، وإنّما قتله في هذه الدفعة لأنّه علم أنّ جميع ما جرى على الخليفة كان بسببه، فلهذا لم يعفُ عنه.

(١) من الباريسية.

(٢) من الباريسية.

(٣) في (أ): «ولدي».

(٤) زبدة التواريخ ٦٠، ٦١.

ولمّا قُتل إبراهيم أرسل طُغْرلبك إلى هزارسب بالأهواز يعرّفه ذلك، وعنده عميد الملك الكُنْدريُّ، فسار إلى السلطان، فجهزّه هزارسب تجهيز مثله[1].

ذكر عود الخليفة إلى بغداذ

لمّا فرغ السلطان من أمر أخيه إبراهيم يَنّال عاد يطلب العراق، ليس له همّ إلاّ إعادة القائم بأمر الله إلى داره، فأرسل إلى البساسيريّ وقُريش في إعادة الخليفة إلى داره على أن لا يدخل طُغْرلبك العراق، ويقنع بالخطبة والسكّة، فلم يُجِب البساسيريُّ إلى ذلك، فرحل طُغْرلبك إلى العراق، فوصلت مقدّمته إلى قصر شِيرين، فوصل الخبر إلى بغداذ، فانحدر حُرَم البساسيريّ وأولاده، ورحل أهل الكرخ بنسائهم وأولادهم في دجلة وعلى الظهر، ونهب بنو شيبان الناس، وقتلوا كثيراً منهم، وكان دخول البساسيريّ وأولاده بغداذ سادس ذي القعدة سنة خمسين [وأربعمائة] وخرجوا منها سادس ذي القعدة سنة إحدى وخمسين[2].

وثار أهل باب البصرة إلى الكرْخ فنهبوه، وأحرقوا درب الزَّعفران، وهو من أحسن الدروب وأعمرها. ووصل طُغْرلبك إلى بغداذ، وكان قد أرسل من الطريق الإمامَ أبا بكر أحمد بن محمّد بن أيُّوب المعروف بابن فورك، إلى قُريش بن بدران يشكره على فعله بالخليفة، وحفظه على صيانته[3] ابنة أخيه امرأة الخليفة، ويعرّفه أنّه قد أرسل أبا بكر بن فورك للقيام بخدمة الخليفة، وإحضاره، وإحضار أرسلان خاتون ابنة أخيه امرأة الخليفة.

ولمّا سمع قُريش بقصد طُغْرلبك العراق أرسل إلى مُهارش يقول له: أودعنا الخليفة عندك ثقةً بأمانتك، لينكفّ بلاء[4] الغُزّ عنّا، والآن فقد عادوا، وهم عازمون على قصدك، فارحلْ أنت وأهلك إلى البرّيّة، فإنّهم إذا علموا أنّ الخليفة عندنا في

---

(١) انظر: الفخري ٢٩٥، والمختصر في أخبار البشر ٢/١٧٨، وتاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٩ ـ ٣٦، وتاريخ ابن الوردي ١/٣١٤، والبداية والنهاية ١٢/٧٨، ٧٩، ومآثر الإنافة ١/٣٤١، والنجوم الزاهرة ٥/١١.

(٢) تاريخ الزمان ١٠٥، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٣٧، النجوم الزاهرة ٥/١١.

(٣) في (أ): «صيانة».

(٤) من (أ).

البرّيّة لم يقصدوا العراق، ونحكم عليهم[1] بما نريد. فقال مُهارش: كان بيني وبين البساسيريّ عهود ومواثيق نقضها، وإنّ الخليفة قد استحلفني بعهود ومواثيق لا مخلص منها.

وسار مُهارش ومعه الخليفة حادي عشر ذي القعدة (سنة إحدى وخمسين وأربعمائة)[2] إلى العراق، وجعلا طريقهما على بلد بدر بن مُهلهِل ليأمنا من يقصدهما، ووصل ابن فورك إلى حلّة بدر بن مُهلهِل، وطلب منه أن يوصله[3] إلى مُهارش، فجاء إنسان سواديّ إلى بدر، وأخبره أنّه رأى الخليفة ومُهارشاً بتّل عُكبرا، فسُرّ بذلك بدر ورحل ابن فورك، وخدماه، وحمل له بدر شيئاً كثيراً، وأوصل إليه ابن فورك رسالة طُغرلبك وهدايا كثيرة أرسلها معه.

ولمّا سمع طُغْرلبك بوصول الخليفة إلى بلد بدر أرسل وزيرَهُ الكُنْدريَّ، والأمراء، والحجّاب، وأصحبهم الخيام العظيمة، والسُّرادقات، والتُّحَف (من الخيل بالمراكب الذّهَب)[4] وغير ذلك، فوصلوا إلى الخليفة وخدموه ورحلوا، ووصل الخليفة إلى النَّهروان في الرابع والعشرين من ذي القعدة، وخرج السلطان إلى خدمته، فاجتمع به، وقبّل الأرض بين يدَيْه، وهنّأه بالسلامة، وأظهر الفرح بسلامته، واعتذر من تأخّره بعصيان إبراهيم، وأنّه قتله عقوبة لما جرى منه من الوهن على الدولة العبّاسيّة، وبوفاة أخيه داود بخراسان، وأنّه اضطرّ[5] إلى التريّث[6] حتّى يرتب أولاده بعده في المملكة، وقال: أنا أمضي خلف هذا الكلب، يعني البساسيريّ، وأقصد الشام، وأفعل في حقّ صاحب مصر ما أجازي به فعله!

وقلّده الخليفة بيده سيفاً، وقال: لم يبق مع أمير المؤمنين من داره سواه، وقد تبرّك به أمير المؤمنين؛ فكشف غشاء الخركاة حتّى رآه الأمراء، فخدموا وانصرفوا.

---

(١) في (أ): «ونتحكم».
(٢) من (أ).
(٣) من (أ): «يرحل».
(٤) في (أ): «والخيل والمراكب والذهب».
(٥) في (أ): «اصطبر».
(٦) في الباريسية: «الترتب»، وفي (أ): «الترتب».

ولم يبقَ ببغداذ من أعيانها من يستقبل الخليفة غير القاضي أبي عبدالله[1] الدّامغانيّ وثلاثة نفر من الشهود. وتقدّم السلطان في المسير، فوصل إلى بغداذ، وجلس في باب النُّوبيّ مكان الحاجب، ووصل الخليفة فقام طُغْرلبك وأخذ بلجام بغلته، حتّى صار على باب حُجرته، وكان وصوله يوم الإثنين لخمسٍ بقين من ذي القعدة[2] سنة إحدى وخمسين [وأربعمائة]، وعبر السلطان إلى معسكره، وكانت السنة مُجدبةِ، ولم ير الناس فيها مطراً، فجاء تلك الليلة وهنّأ الشعراء الخليفةَ والسلطَانَ بهذا الأمر، ودام البرد بعد قدوم الخليفة نيّفاً وثلاثين يوماً، ومات بالجوع والعقوبة عدد لا يحصى، وكان أبو عليّ بن شِبْل ممّن هرب من طائفة من الغُزّ، فوقع به غيرهم فأخذوا ماله، فقال:

خَرَجنا من قضاء اللهِ خَوفاً، فكانَ فِرارُنا مِنه إليهِ
وأشقَى الناسِ ذو عَزْمٍ تَوالَتْ مصائبُهُ عليه، من يدَيْهِ
تَضِيقُ[3] عليهِ طُرقُ العُذْرِ مِنها ويَقْسُو قلبُ راحِمِه عليهِ

ذِكر قتْل البساسيريّ

أنفذ السلطان بعد استقرار الخليفة في داره جيشاً عليهم خُمارتكين الطُّغْرائيُّ في ألفَيْ فارس نحو الكوفة، فأضاف إليهم سرايا بن منيع الخفاجيَّ، وكان قد قال للسلطان: أرِسلْ معي هذه العدّة حتّى أمضي إلى الكوفة وأمنع البساسيريَّ من الإصعاد إلى الشام.

وسار السلطان طُغْرلبك في أثرهم، فلم يشعر دُبَيْس بن مَزْيد والبساسيريُّ إلاّ والسريّة قد وصلت إليهم ثامن ذي الحجّة من طريق الكوفة، بعد أن نهبوها، وأخذ نور الدولة دُبَيْس رَحْلَه جميعه وأحدره إلى البطيحة، وجعل أصحاب نور الدولة دُبَيس يرحلون بأهليهم، فيتبعهم الأتراك، فتقدّم نور الدولة ليردّ العرب إلى القتال، فلم يرجعوا، فمضى.

---

(١) في (أ) زيادة: «بن».
(٢) زبدة التواريخ ٦٣، تاريخ دولة آل سلجوق ١٩.
(٣) في (أ): «يضيق».

ووقف البساسيريُّ في جماعته، وحمل عليه الجيش، فأُسر من أصحابه أبو الفتح بن ورّام، وأُسر منصور وبدران[1] وحمّاد، بنو نور الدولة دُبيس، وضُرب فرس[2] البساسيريّ بنُشّابة، وأراد قطع تَجفافِهِ لتسهل[3] عليه النجاة فلم ينقطع. وسقط عن الفرس، ووقع في وجهه ضربة، ودلّ عليه بعض الجَرحى، فأخذه كمشتكين دواتي عميد الملك الكُنْدريّ وقتله، وحمل رأسه إلى السلطان، ودخل الجُند في الظَّعْن[4]، فساقوه جميعه، وأُخذت أموال أهل بغداذ وأموال البساسيريّ مع نسائه وأولاده، وهلك من الناس الخلق العظيم، وأمر السلطان بحمل رأس البساسيريّ إلى دار الخلافة، فحُمل إليها، فوصل منتصف ذي الحجّة سنة إحدى وخمسين [وأربعمائة]، فنُظّف[5] وغُسل وجُعل على قناة وطيف به، وصُلب قبالة باب النُّوبي[6].

وكان في أسر البساسيريّ جماعة من النساء المتعلّقات بدار الخلافة، فأُخذن، وأُكرمن، وحُملن إلى بغداذ.

ومضى نور الدولة دُبَيْس إلى البطيحة، ومعه زعيم الملك أبو الحسن عبد الرحيم؛ وكان من حقّ هذه الحوادث المتأخّرة أن تُذكر سنة إحدى وخمسين [وأربعمائة]، وإنّما ذكرناها هاهنا لأنّها كالحادثة الواحدة يتلو بعضها بعضاً.

وكان البساسيريُّ مملوكاً تركيّاً من مماليك بهاء الدولة بن عضُد الدولة، تقلّبت به الأمور حتّى بلغ هذا المقام المشهور، واسمه أرسلان، وكنيته أبو الحارث، وهو منسوب إلى بَسا مدينة بفارس، والعرب تجعل عِوض الباء فاء فتقول فَسَا، والنسبة إليها فساويّ، ومنها أبو عليّ الفارسيّ النحويّ، وكان سيّد هذا المملوك أوّلاً من بَسَا، فقيل له البساسيريُّ لذلك، وجعل العرب الباء فاء فقيل[7] فساسيريّ[8].

---

(١) في (أ): «بن بدران».

(٢) في (أ): «قريش».

(٣) في (أ): «ليسهل».

(٤) في (أ): «الظن».

(٥) في الأوربية: «فنطف».

(٦) انظر عن مقتل البساسيري في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٧٢ وفيه حشدت مصادر كثيرة عنه.

(٧) في (أ): «فقالوا».

(٨) انظر عن (البساسيري) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٣٠١. ٣٠٢ رقم ٩ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

ذكر عدّة حوادث

في[1] هذه السنة أقرّ السلطان طُغْرلبك حملان بن وهسوذان بن مملان على ولاية أبيه بأَذَرْبيَجان[2].

وفيها مات شهاب الدولة أبو الفوارس منصور بن الحسين الأسديُّ، صاحب الجزيرة، (عند خُوزستان)[3]، واجتمعت عشيرته على ولده صدقة[4].

وفيها تُوفّي الملك الرحيم[5]، آخر ملوك بني بُوَيْه، بقلعة الرَّيّ، وكان طُغْرلبك سجنه أوّلاً بقلعة السِّيروان، ثم نقله إلى قلعة الرَّيّ فتوفّي بها.

وفيها عصى علّي بن أبي الجبر[6] بالبطائح، وكان متقدّم بعض نواحيها، فأرسل إليه طُغْرلبك جيشاً مع عميد العراق أبي نصر، فهزمهم أبو عليّ.

وفيها يوم النَّوروز أرسل السلطان مع وزيره عميد الملك إلى الخليفة عشرة آلاف دينار سوى ما أضيف إليها من الأعلاق النفيسة.

[الوفيات]

وفيها، في صفر، تُوُفّي أبو الفتح بن شيطا القاري[7]، الشاهد، وكانت شهادته سنة خمسٍ وأربعين وأربعمائة.

وفيها، في شهر ربيع الأوّل، تُوُفّي القاضي أبو الطيّب الطبريُّ[8]، الفقيه

---

(١) في الباريسية: «كانت سنة خمسين».

(٢) تاريخ الإسلام (٤٥١ هـ.) ص ٢٧٣ وفيه «علان».

(٣) من (أ).

(٤) انظر عن (أبي الفوارس) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٤٥٩ رقم ٣٦٤ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) انظر عن (الملك الرحيم) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٦١ رقم ٣٦٨ وفيه مصادر ترجمته.

(٦) في طبعة صادر ٩/ ٦٥٠ «أبو علي بن أبي الجبر»، والتصحيح من: المنتظم ٨/ ١٩٧ (١٦/ ٣٨).

(٧) انظر عن (ابن شيطا القاري) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٤٨، ٢٤٩ رقم ٣٤٦ وفيه مصادر ترجمته.

(٨) هو: طاهر بن عبدالله بن طاهر، انظر عنه في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٤١ ـ ٢٤٥ =

الشافعيّ، وله مائة سنة وسنتان، وكان صحيح السمع والبصر، سليم الأعضاء، يناظر ويُفتي ويستدرك على الفقهاء، وحضر عميد الملك جنازته، (ودفن عند قبر أحمد، وله شِعْرٌ حَسَن.

وفي سَلْخه تُوُفّي قاضي القضاة أبو الحسين)[1] عليُّ (بن محمّد)[2] بن حبيب الماورديُّ[3]، الفقيه الشافعيُّ، وكان إماماً، وله تصانيف كثيرة منها: الحاوي وغيره في علوم كثيرة، وكان عُمره ستّاً[4] وثمانين سنة.

وفي آخر هذه السنة توفّي أبو عبدالله الحسين بن محمد[5] الرقّا[6]، الضّرير الفَرَضيُّ، وكان إماماً فيها على مذهب الشافعيّ.

وفيها، في شوّال، كانت زلزلة عظيمة بالعراق، والموصل، ووصلت إلى هَمَذان، ولبثت ساعةً، فخرّبت كثيراً من الدور، وهلك فيها الجمُّ الغفير[7].

[الوفيات]

وفيها توفّي أبو محمّد عبدالله بن عليّ بن عياض المعروف بابن أبي عقيل[8]، وكان قد سمع الكثير من الحديث ورواه.

وتوفّي أيضاً القاضي أبو الحسن عليُّ بن هندي قاضي حمص، وكان وافر العلم والأدب.

= رقم ٣٣٩ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(١) ما بين القوسين من (أ). وفي الباريسية ورد بدله: «وتوفي».

(٢) من (أ).

(٣) انظر عن (الماوردي) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٥٢ ـ ٢٥٥ رقم ٣٥٢ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٤) في الأوربية: «ست».

(٥) في طبعة صادر ٦٥١/٩ «الحسين بن علي»، والتصحيح من مصادر ترجمته التي حشدتها في تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٤٠ رقم ٣٣٦.

(٦) من (أ).

(٧) المنتظم ١٩٠/٨ (٣٠/١٦)، البداية والنهاية ٧٩/١٢، كشف الصلصلة ٧/٩.

(٨) أنظر عن (ابن عقيل) في: تاريخ الإسلام (٤٤١-٤٦٠) ص ٢٤٦، ٢٤٧ رقم ٣٤٢ وفيه مصادر ترجمته، وكتابنا: موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ق ١ج ٣/ ٢٠٠- ٢٠٢ رقم ٨٩١، وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ١١٦- ١١٨.

٤٥١
ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وأربعمائة

ذكر وفاة فرّخ زاد صاحب غَزْنة وملك أخيه إبراهيم

في هذه السنة، في صفر، تُوفّي فرّخ زاد[١] بن مسعود بن محمود بن سُبُكتِكِين، صاحب غَزْنة، وكان قد ثار به مماليكه سنة خمسين، واتّفقوا على قتله، فقصدوه وهو في الحمّام، وكان معه سيفٌ، فأخذه وقاتلهم، ومنعهم عن نفسه حتّى أدركه أصحابه وخلّصوه، وقتلوا أولئك الغلمان.

وصار بعد أن نجا من هذه الحادثة يُكثر ذكر الموت ويحتقر الدنيا ويزدريها، وبقي كذلك إلى هذه السنة، فأصابه قُولَنْج فمات منه، وملك بعده أخوه إبراهيم بن مسعود بن محمود، فأحسن السيرة، فاستعدّ لجهاد الهند، ففتح حصوناً امتنعت على أبيه وجدّه، وكان يصوم رجباً وشعبانَ ورمضانَ.

ذكر الصُّلح بين الملك إبراهيم وجُغري بك داود

في هذه السنة استقرّ الصلح بين الملك إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين وبين داود بن ميكائيل بن سلجوق، صاحب خُراسان، على أن يكون كلّ واحدٍ منهما على ما بيده، ويترك منازعة الآخر في ملكه.

وكان سبب ذلك أنّ العقلاء من الجانبَيْن نظروا فرأوا أنّ كلّ واحد من الملكَيْن لا يقدر على أخذ ما بيد الآخر، وليس يحصل غير إنفاق الأموال، وإتعاب العساكر،

---

(١) انظر عن (فرّخ زاد) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٣١٢ رقم ٢٥ وفيه مصادر ترجمته، ويضاف إليها: نهاية الأرب ٢٦/ ٧٩.

ونهب البلاد، وقتل النفوس، فسعوا في الصُّلح، فوقع الاتّفاق واليمين، وكُتبت النُّسَخ بذلك، فاستبشر الناس، وسرّهم لما أشرفوا عليه من العافية[1].

ذكر وفاة داود وملك ابنه ألب أرسلان

في هذه السنة، في رجب، توفّي جُغري بك[2] داود بن ميكائيل بن سلجوق، أخو السلطان طُغْرلبك، وقيل كان موته في صفر سنة اثنتين وخمسين، وعمره نحو سبعين سنة، وكان صاحب خراسان، وهو مقابل آل سبكتكين ومقاتلهم، ومانعهم عن خراسان؛ فلمّا توفّي ملك بعده خراسان ابنه السلطان ألب أرسلان، (وخلّف داود عدّةَ أولاد ذكور منهم: السلطان ألب أرسلان)[3]، وياقوتي، وسليمان، وقاورت بك، فتزوّج أمَّ سليمان السلطان طغرلبك، بعد أخيه داود، ووصّى له بالملك بعده، وكان من أمره ما نذكره.

وكان خيّراً، عادلاً، حَسَن السيرة، معترفاً بنعمة الله تعالى عليه، شاكراً عليها، فمن ذلك أنّه أرسل إلى أخيه طُغْرلبك مع عبد الصّمد، قاضي سَرْخَس، يقول له: بلغني إخرابُك البلاد التي فتحتَها وملكتَها، وجلا أهلها عنها، وهذا ما لا خفاء به في مخالفة أمر الله تعالى في عباده وبلاده، وأنت تعلم ما فيه من سوء السُّمعة وإيحاش الرعيّة.

وقد علمتَ أنّنا لقينا[4] أعداءنا ونحن في ثلاثين رجلاً، وهم في ثلاثمائة، فغلبناهم، وكنّا في ثلاثمائة، وهم في ثلاثة آلاف، فغلبناهم، وكنّا في ثلاثة آلاف، وهم في ثلاثين ألفاً، فدفعناهم؛ وقاتلنا بالأمس شاه ملك، وهو في أعدادٍ كثيرة متوافرة، فقهرناه، وأخذنا مملكته بخُوارزم، وهرب من بين أيدينا إلى خمسمائة فرسخ من موضعه، فظفرنا به وأسرناه وقتلناه، واستولينا على ممالك خُراسان وطَبَرستان

---

(١) تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٧٣، مآثر الإنافة ١/ ٣٤٩، تاريخ الخلفاء ٤١٩، ٤٢٠، نهاية الأرب ٢٦/ ٨٠.

(٢) انظر عن (جُغري بك) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٣٠٣ رقم ١١ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) من (أ).

(٤) في الأوربية: «ألقينا».

وسِجِستان، وصِرْنا ملوكاً متبوعين، بعد أن كنّا أصاغر تابعين، وما تقتضي[1] نِعم الله علينا أن نقابلها هذه المقابلة.

فقال طُغْرلبك: قُل له في الجواب: يا أخي أنت ملكتَ خُراسان وهي بلاد عامرة، فخرّبتَها، ووجب عليك مع استقرار قدمك عمارتها، وأنا وردتُ بلاداً خرّبها مَنْ تقدّمني، واجتاحها من كان قبلي، فما أتمكّن من عمارتها والأعداء محيطةٌ بها، والضرورة تقود إلى طَرقها بالعساكر، ولا يمكن دفع مضرّتها عنها.

وله مناقب كثيرة تركناها خوف التطويل.

ذكر حريق بغداذ

في هذه السنة احترقت ببغداذ: الكرْخ وغيره، وبين السورَيْن، واحترقت فيه خزانة الكتب التي وقفها أردشير[2] الوزير، ونُهبت بعض كتبها، وجاء عميد الملك الكُنْدريُّ، فاختار من الكتب خيرها، وكان بها عشرة آلاف مجلّد وأربعمائة مجلّد من أصناف العلوم منها: مائة مصحف بخطوط بني مُقلة، وكان العامّة[3] قد نهبوا بعضها لمّا وقع الحريق، فأزالهم عميد الملك، وقعد يختارها، فنُسب ذلك إلى سوء سيرته، وفساد اختياره، وشتّان بين فعله وفعل نظام المُلك الذي عمّر المدارس، ودوّن العلم في بلاد الإسلام جميعها، ووقف الكتب وغيرها.

ذكر انحدار السلطان إلى واسط وما فعل العسكر وإصلاح دُبَيْس

في هذه السنة انحدر السلطان طُغْرلبك إلى واسط بعد فراغه من أمر بغداذ، فرآها قد نُهبت، وحضر عنده هزارسب بن بنكير، وأصلح معه حال دُبَيْس بن مَزْيد، وأحضره معه إلى خدمة السلطان، وأصعد في صحبته إلى بغداذ، وكذلك صدقة بن منصور بن الحسين، وضمن واسطاً أبو عليّ بن فضلان بمائتَيْ ألف دينار، وضمن البصرة الأغرُّ أبو سعد سابور بن المظفّر، وعبر السلطان إلى الجانب الشرقيّ من دجلة، وسار إلى

---

(١) في الأوربية: «نقتضي».

(٢) في المنتظم ٨/٢١٦ (١٦/٦٢) «سابور» (حوادث ٤٥٢ هـ).

(٣) من(أ).

قرب البطائح، فنهب العسكر ما بين واسط والبصرة والأهواز.

وأصعد السلطان إلى بغداذ في صفر سنة اثنتين وخمسين [وأربعمائة] ومعه أبو الفتح بن ورّام، وهزارسب بن بنكير بن عياض، ودُبيس بن مَزْيَد، وأبو عليّ ابن الملك أبي كاليجار، وصدقة بن منصور بن الحسين وغيرهم، واجتمع السلطان بالخليفة، وأمر الخليفة بعمل طعام كثير حضره السلطان والأمراء وأصحابهم، وعمل السلطان أيضاً سِماطاً أحضر فيه الجماعة، وخلع عليهم، وسار إلى بلاد الجبل في شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين وخمسين، وجعل ببغداذ شِحنةِ الأمير برسق، وضمنها أبو الفتح المظفّر بن الحسين ثلاث سنين بأربع مائة ألف دينار.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عُزل أبو الحسين بن المهتدي من الخطابة بجامع المنصور لأنّه خطب للعلويّ ببغداذ في الفتنة، وأقيم مقامه بهاء الشرف[١] أبو عليّ الحسن بن عبد الودود بن المهتدي بالله[٢].

[الوَفَيات]

وفيها توفّي عليُّ بن محمود (بن إبراهيم)[٣] الزوْزنيُّ[٤] أبو الحسن، صحِب أبا الحسن الحُصْريّ، وروى عن أبي عبد الرحمن السُّلميّ، وهو الذي نُسب إليه رباط الزوزنيّ المقابل لجامع المنصور.

وفيها، في جُمادى الأولى، تُوُفّي محمّد بن عليّ بن الفتح بن محمّد بن عليّ أبو طالب العُشاريُّ[٥]، ومولده في المحرّم سنة ستّ وستّين وثلاثمائة، وسمع الدارقطنيَّ وغيره.

---

(١) في (أ): «بهاء الدولة».

(٢) المنتظم ٨/ ٢١١ (١٦/ ٥٥)، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٧٣، ٢٧٤.

(٣) من (أ).

(٤) انظر عن (الزوزني) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٣١١، ٣١٢ رقم ٢٤ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) انظر عن (العشاري) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٣١٦، ٣١٧ رقم ٣٢ وفيه مصادر ترجمته.

٤٥٢
ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة

ذكر عود وليّ العهد إلى بغداذ
مع أبي الغنائم بن المحلبان

في جمادى الآخرة ورد عُدّة الدين أبو القاسم المقتدي بأمر الله، وليُّ العهد، ومعه جدّته أمُّ الخليفة، وخرج الناس لاستقباله، وجلس في الزبزب على رأسه أبو الغنائم بن المحلبان، وقُدّم له بباب الغربة فرس، فحمله ابن المحلبان على كتفه (وأركبه وسلّمه إلى مجلس الخليفة، فشكره، وخرج ابن المحلبان فركب)[1] في الزبزب، وانحدر إلى دارٍ أُفرِدت له بباب المراتب، ودخل إلى الخليفة واجتمع به.

وكان سبب مصير وليّ العهد مع ابن المحلبان أنّه دخل داره، فوجد زوجة رئيس الرؤساء وأولاده بها، وهم مطلوبون من البساسيريّ، فعرّفوه أنّ رئيس الرؤساء أمرهم بقصده، فأدخلهم إلى أهله، وأقام لهم من حملهم إلى ميّافارقين، فساروا مع قِرواش لمّا أصعد من بغداذ، ولم يعلم بهم.

ثمّ لقيه أبو الفضل محمّد بن عامر الوكيل، وعرّفه ما عليه وليُّ العهد ومَنْ معه من إيثار الخروج من بغداذ، وما هم عليه من تناقص الحال، فبعث ابن المحلبان زوجته، فأتته بهم سِرّاً، فتركهم عنده ثمانية أشهر، وكان يحضر ابن البساسيريّ وأصحابه، ويعمل لهم الدعوات، ووليُّ العهد ومن معه مستترون عنده، يسمعون ما يقول أولئك فيهم.

ثم اكترى لهم، وسار هو في صحبتهم إلى قريب سنجار، ثم حُملوا إلى حَرّان،

---

(١) من (أ).

وسار مع صاحبها أبي الزمام منيع بن وثّاب النُّمَيريّ، حين قصد الرحبة، وفتح قَرقِيسِيا، وعقد لعُدّة الدين على بنت مَنيع، وانحدروا إلى بغداذ[١].

ذكر ملك محمود بن شِبْل الدولة حلب

في هذه السنة، (في جمادى الآخرة)[٢]، حصر محمود بن شبل الدولة بن صالح بن مرداس الكلابيُّ مدينة حلب، وضيّق عليها، واجتمع مع جمع كثير من العرب، فأقام عليها، فلم يتسهّل له فتحها، فرحل عنها، ثم عاودها فحصرها، فملك المدينة عَنوةً[٣] (في جمادى الآخرة، بعد أن حصرها)[٤]، وامتنعت القلعة عليه.

وأرسل مَن بها إلى المستنصر بالله، صاحب مصر ودمشق، يستنجدونه[٥]، فأمر ناصرَ الدولة أبا محمّد الحسين بن الحسن بن حمدان، الأمير بدمشق، أن يسير بمن عنده من العساكر إلى حلب يمنعها من محمود، فسار إلى حلب، فلمّا سمع محمود بقربه[٦] منه خرج من حلب، ودخلها عسكر ناصر الدولة فنهبوها.

ثم إنّ الحرب وقعت بين محمود وناصر الدولة بظاهر حلب، واشتدّ القتال بينهم، فانهزم ناصر الدولة وعاد مقهوراً إلى مصر، وملك محمود حلب، وقتل عمّه معزّ الدولة، واستقام أمره بها، وهذه الوقعة تُعرف بوقعة الفُنَيْدِق، وهي مشهورة[٧].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة خلع السلطان طُغْرلبك على محمود بن الأخرم الخفاجيّ، ورُدّت

---

(١) المنتظم ٨/ ٢١٥، ٢١٦ (١٦/ ٦١).
(٢) من (أ).
(٣) من (أ).
(٤) من (أ).
(٥) في الأوربية: «يستنجدوه».
(٦) في (أ): «بقربهم».
(٧) تاريخ حلب (زعرور) ٣٤٤ (سويم) ١٢ (حوادث ٤٥١ هـ.) و(٤٥٢ هـ.)، أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ١١، ١٢، ذيل تاريخ دمشق ٩٠، المنتظم ٨/ ٢١٦ (١٦/ ٦٢)، زبد الحلب ١/ ٢٧٧ ـ ٢٨٠، أخبار الدولة الحمدانية لابن ظافر ٥٩، ودول الإسلام ١/ ٢٦٦، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٧٥، العبر ٣/ ٢٢٧، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٦٦، البداية والنهاية ١٢/ ٨٥، مآثر الإنافة ١/ ٣٤٥، إتعاظ الحنفا ٢/ ٢٦١.

إليه إمارة بني خفاجة، وولاية الكوفة، وسقي[1] الفُرات، وضمن خواصّ السلطان هناك بأربعة آلاف دينار كلّ سنة، وصرف عنها رجب بن منيع.

وفيها توفّي أبو محمّد النَّسَويُّ[2]، صاحب الشُّرطة ببغداذ، وقد جاوز ثمانين سنة.

وفيها سدّ بنو ورّام بثق النَّهروانات، وشرع العميد أبو الفتح في عمارة بثوق[3] الكَرْخ.

وفيها، في ذي القعدة، توفّيت خاتون زوجة السلطان طُغْرلبك بزَنجان، فوجد عليها وجْداً شديداً، وحُمل تابوتها إلى الرَّيّ فدُفنت بها[4].

وفيها، ثالث جمادى الآخرة، انقضّ كوكب عظيم القدْر عند طلوع الفجر من ناحية المغرب إلى ناحية المشرق، فطال لَبْثُه[5].

وفيها جمع عطيّة بن صالح بن مرداس جمْعاً وحصر الرحْبة، وضيّق على أهلها، فملكها في صفر من هذه السنة[6].

[الوَفَيَات]

وفيها تُوفّيت والدة الخليفة القائم بأمر الله، واسمها قطر النَّدى[7]، وقيل بدر الدُّجى، وقيل عَلَم، وهي جارية أرمينيّة.

---

(١) في (أ): «وشقي».

(٢) في (أ): «الفسوي»، والمثبت يتفق مع مصادر ترجمته في تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٣٣٥ رقم ٧٣، والمنتظم ٨/ ٢١٧ (١٦/ ٦٣)، والبداية والنهاية ١٢/ ٨٥ وفيه الفسوي»، والنجوم الزاهرة ٥/ ٨٦.

(٣) في البارسية: «سوق».

(٤) المنتظم ٨/ ٢١٨ (١٦/ ٦٥) حوادث ٤٥٣ هـ.

(٥) المنتظم ٨/ ٢١٥ (١٦/ ٦٠).

(٦) تاريخ حلب للعظيمي ٣٤٤، ذيل تاريخ دمشق ٩٠، زبدة الحلب ١/ ٢٧٥، العبر ٣/ ٢٢٧، دول الإسلام ١/ ٢٦٦، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٧٥، تاريخ ابن خلدون ٤/ ٢٧٤، النجوم الزاهرة ٥/ ٦٦.

(٧) انظر عن (قطر الندى) في: الإنباء في تاريخ الخلفاء ١٩٨ وفيه وفاتها في اليوم الخامس عشر من ذي الحجة سنة إحدى وخمسين وأربعمائة، وكانت عجوزاً، قد أنافت على المائة، والمنتظم ٨/ ٢١٧ رقم ٢٧٦ (١٦/ ٦٣، ٦٤ رقم ٣٣٧١)، وتاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص٢٧٦، والبداية والنهاية ١٢/ ٨٦، والنجوم الزاهرة ٥/ ٦٧.

وفيها توفّي محمّد بن الحسين بن محمّد بن الحسن أبو عليّ المعروف بالجازريّ[1] النهروانيّ، وكان مكثِراً من الرواية، (الجازريُّ: بالجيم وبعد الألف زاي ثم راء.

وفيها توفّي باي[2] أبو منصور الفقيه الجيليُّ، بالباء الموحّدة وبعد الألف ياء تحتها نقطتان؛ ومحمّد بن عُبيد[الله][3] بن أحمد بن محمد بن عمروس، أبو الفضل[4]، الفقيه المالكيُّ)[5].

---

(١) انظر عن (الجازري) في: المنتظم ٨/ ٢١٧، ٢١٨ رقم ٢٧٧ (١٦/ ٦٤ رقم ٣٣٧٢)، وتاريخ بغداد ٢/ ٢٥٥.

(٢) انظر عن (باي) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٣٢٢ رقم ٤٣ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) انظر عن (محمد بن عبيدالله) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.)، ص ٣٣٣، ٣٣٤ رقم ٧٠ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٤) في طبعة صادر ١٠/ ١٣ «أبو عمرو بن أبي الفضل»، والتصحيح من مصادر الترجمة.

(٥) ما بين القوسين من الباريسية.

٤٥٣
ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة

ذكر وزارة ابن دارست للخليفة

لمّا عاد الخليفة إلى بغداذ استخدم أبا تراب الأثيريَّ في الإنهاء، وحضور المواكب، ولقّبه حاجب الحجّاب، وكان قد خدمه بالحديث، وقرب منه، فخاطب الشيخ أبو منصور بن يوسف في وزارة أبي الفتح منصور بن أحمد بن دارست، وقال إنّه يخدم بغير إقطاع، ويحمل مالاً، فأُجيب إلى ذلك، فأُحضر من الأهواز إلى بغداذ، وخُلع عليه خلعة الوزارة منتصف ربيع الآخر، وجلس في منصبه، ومدحه الشعراء، فممّن مدحه وهنّأه أبو الحسن الخبّاز بقصيدة منها:

أمِنَ المُلكُ بالأمينِ أبي الفَتْـ ـحِ وصُدَّت[1] عن صَفوِهِ الأقذاءُ
دولةٌ أصبحتْ، وأنتَ وليُّ الرأيِ فيها، لَدَولةٌ غرّاءُ

وهي طويلة، وكان ابن دارست في أوّل أمره تاجراً للملك أبي كاليجار[2].

ذكر موت المعزّ بن باديس وولاية ابنه تميم

في هذه السنة تُوُفّي المعزُّ بن باديس[3]، صاحب إفريقية، من مرضٍ أصابه، وهو

(١) في (أ): «وسدت».
(٢) المنتظم ٨/٢٢٦ (١٦/٧٦) وفيه: «أبو الفتح محمد بن منصور بن دارست»، مختصر التاريخ ٢٠٩، خلاصة الذهب المسبوك ٢٦٨، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٧٧، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٦٦.
(٣) انظر عن (المعزّ بن باديس) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٣٧١ ـ ٣٧٣ رقم ١٢٤ (وفيات ٤٥٤ هـ.) وفيه حشدت مصادر ترجمته.

ضعف الكبِد، وكانت مدّة ملكه سبعاً[1] وأربعين سنة، وكان عمره لمّا ملك إحدى عشرة سنة، وقيل ثماني سنين وستّة أشهر.

وكان رقيق القلب، خاشعاً، متجنّباً لسفك الدماء إلاّ في حدّ، حليماً، يتجاوز عن الذنوب العظام، (حَسَن الصُّحبة مع عبيده وأصحابه، مكرِماً لأهل العلم، كثير العطاء لهم)[2]، كريماً، وهب مرّة مائة ألف دينار للمستنصر الزناتيّ وكان عنده وقد جاءه هذا المال، فاستكثرهُ، فأمر به فأُفرغ بين يَديْه، ثم وهبه له، فقيل له: لِمَ أمرتَ بإخراجه من أوعيته؟ قال: لئلاّ يقال لو رآه ما سمحت نفسه به؛ وكان له شِعر حسنٌ.

ولمّا مات رثاه الشعراء، فمنهم أبو الحسن بن رشيق[3] فقال:

لكلّ حيّ وإن طالَ المدَى هُلُكُ ... لا عِزُّ مملكةٍ يبقَى، ولا ملكُ
ولّى المُعِزُّ على أعقابهِ فرَمَى[4]، ... أو كاد يَنهدُّ من أركانِه الفَلَكُ
مضَى فقيداً، وأبقَى في خزائنهِ ... هامَ الملوكِ، وما أدراك ما ملكوا
ما كانَ إلاّ حُساماً سلَّهُ قَدَرٌ ... على الذين بغَوا في الأرض وانهمكُوا
كأنّه لم يخُضْ للموتِ بحرَ وغًى، ... خُضر البحار، إذا قِيسَتْ بهِ، بِرَكُ
ولم يجُدْ بقَناطيرٍ مُقنطَرةٍ ... قد أرّخَتْ[5] باسمِه إبريزها السككُ[6]
روحُ المُعزّ وروحُ الشَّمس قد قُبضَا، ... فانظُر بأيّ ضِياء يَصْعَد الفلَكُ[7]

ولمّا توفّي ملك بعده ابنه تميم، وكان مولد تميم بالمنصوريّة التي هي مقرّه[8]، منتصف رجب سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، وولاّه المهديّة في صفر سنة خمسٍ وأربعين [وأربعمائة]، فأقام بها إلى أن وافاه أبوه المعزُّ، لمّا انتزح عن القَيروان من العرب، وقام بخدمة أبيه، وأظهر من طاعته وبرّه ما بَانَ [به] كذِب ما كان يُنسب إليه.

---

(١) في الأوربية: «سبع».
(٢) من (أ).
(٣) في ديوانه ١٣٧.
(٤) في (أ): «فدعى»، وفي الباريسية: «فرعى».
(٥) في الباريسية: «ارحت»، وفي الأوربية: «أرعت».
(٦) من (أ).
(٧) في (أ): «الملك».
(٨) في (أ): «صبره».

ولمّا استبدّ بالمُلك بعد أبيه سلك طريقه في حُسن السيرة، ومحبّة أهل العلم، إلاّ أنّه كان أصحاب البلاد قد طمعوا بسبب العرب، وزالت الهيبة والطاعة عنهم في أيّام المعزّ، فلمّا مات ازداد طمعهم، وأظهر كثير منهم الخلافَ، فممّن أظهر الخلاف القائد حَمّو بن مليك، صاحب سَفَاقُسَ، واستعان بالعرب، وقصد المهديّة ليحاصرها، فخرج إليه تميم وصافّه، فاقتتلوا، فانهزم حَمّو وأصحابه، وكثر القتل فيهم، ومضى حمّو ونجا بنفسه، وتفرّقت خيله ورجاله، وكان ذلك سنة خمسٍ وخمسين [وأربعمائة].

(وسار تميم)[1] إلى سُوسَةَ، وكان أهلها قد خالفوا أباه المعزَّ وعصوا عليه، فملكها وعفا عن أهلها.

ذكر وفاة قُريش صاحب الموصل وإمارة ابنه شرف الدولة

في هذه السنة تُوفّي قُريش بن بدران[2] صاحب الموصل ونَصِيبين، أصابه خروج الدم من فيه وأنفه وعينَيْه وأذنَيْه، فحمله ابنه شرف الدولة إلى نَصيبين، حتّى حفظ خزانته بها، وتوفّي هناك.

وسمع[3] فخر الدولة أبو نصر محمّد بن محمّد بن جَهِير حاله، فسار من دارا إلى نَصِيبين، وجمع بني عُقَيْل على أن يؤمّروا ابنه أبا المكارم مُسلِم بن قريش عليهم، وكان القائم بأمره جابر بن ناشب، فزوّجه فخر الدولة بأخت مسلِم، وزوّج مسلِماً بابنة نصر بن منصور.

ذكر وفاة نصر الدولة بن مروان

في هذه السنة توفّي نصر الدولة[4] أحمد بن مروان الكرديُّ، صاحب ديار بَكر، ولقّبه القادر بالله نصر الدولة، وكان عُمره نيّفاً وثمانين سنة، وإمارته اثنتين وخمسين

---

(١) من (أ).
(٢) انظر عن (قريش بن بدران) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٣٤٨، ٣٤٩ رقم ٩٢ وفيه مصادر ترجمته.
(٣) في الباريسية: «وكان».
(٤) انظر عن (نصر الدولة) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٣٣٧ ـ ٣٤٠ رقم ٧٦ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

نة، واستولى على الأمور ببلاده استيلاءً تامّاً، وعمّر الثغور وضبطها، وتنعّم تنعّماً لم يُسمَعْ بمثله عن أحدٍ من أهل زمانه.

وملك من الجواري المغنّيات ما اشترى بعضهنّ بخمسة آلاف دينار، وأكثر من ذلك، وملك خمسمائة سُرّيّة سوى توابعهنّ، وخمسمائة خادم.

وكان في مجلسه من الآلات ما تزيد قيمته على مائتَيْ ألف دينار، وتزوّج من بنات الملوك جملة، وأرسل طبّاخين إلى الديار المصريّة، وغرم على إرسالهم جملة وافرة حتّى تعلّموا الطَّبخ من هناك.

وأرسل إلى السلطان طُغْرلبك هدايا عظيمة، من جملتها الجبل الياقوت الذي كان لبني بُوَيْه، اشتراه من الملك العزيز[1] أبي منصور بن جلال الدولة، وأرسل معه مائة ألف دينار سوى ذلك[2].

وَوَزَرَ له أبو القاسم بن المغربيّ، وفخر الدولة بن جَهِير، ورخُصت الأسعار في أيّامه، وتظاهر الناس بالأموال، ووفد إليه الشعراء، وأقام عنده العلماء والزهّاد.

وبلغه أنّ الطيور في الشتاء تخرج من الجبال إلى القُرى فتُصاد، فأمر أن يُطرح لها الحَبّ من الأهراء التي له، فكانت في ضيافته طول عمره[3].

ولمّا مات اتّفق وزيره فخر الدولة بن جَهِير وابنه نصر، فرتّب نصراً في المُلْك بعد أبيه[4]، وجرى بينه وبين أخيه سعيد حروب شديدة كان الظفر في آخرها لنصر، فاستقرّ في الإمارة بميّافارقين وغيرها، وملك أخوه سعيد آمِد.

ذكر عدّة حوادث

في رجب خُلع على الكامل أبي الفوارس طِراد بن محمّد الزينبيّ، وقُلّد نقابة النقباء، ولُقّب الكامل ذا[5] الشرفَيْن[6].

---

(١) من الباريسية.

(٢) انظر: تاريخ الفارقي ١٤٤، والأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ١/ ٣٥٩، ٣٦٠.

(٣) تاريخ الإسلام (٤٥٣ هـ.) ص ٣٣٩.

(٤) الفارقي ١٧٧.

(٥) في الأوربية: «ذو».

(٦) المنتظم ٨/ ٢٢٢ (١٦/ ٤٩ تاريخ دولة آل سلجوق ٢٥).

وفيها تولّى[1] شمس الدين أُسامة بن أبي عبدالله بن عليّ نقابة[2] العلويّين ببغداذ، ولُقِّب المرتضى.

(وفيها، في جمادى الأولى، انكسفت[3] الشمس جميعها، فظهرت الكواكب، وأظلمت الدنيا، وسقطت الطيور الطائرة)[4].

[الوَفَيَات]

وفيها، في شهر رمضان، توفّي شكر العلويُّ الحَسَنيُّ[5]، أمير مكّة، وله شِعرٌ حَسَن، فمنه:

قَوِّضْ خِيامَكَ[6] عن أرضٍ تُضامُ بها، وجانبِ الذُّلَّ، إنّ الذُّلَّ مُجْتَنَبُ
وارحَلْ إذا كان في الأوطان مَنْقصَةٌ فالمَنْدَلُ الرَّطبُ في أوطانِه حطَبُ

وفيها توفّي أبو القاسم عليُّ بن (محمد بن يحيى)[7] السُّمَيْساطيُّ[8] بدمشق، وكان عالماً بالهندسة والرياضيّات من علوم الفلاسفة، (وإليه يُنسب الرباط الذي عند جامع دمشق)[9].

---

(١) في طبعة صادر ١٠/ ١٨ «وفيها توفي».
(٢) في طبعة صادر ١٠/ ١٨ «علي تولى نقابة». والمثبت عن: المنتظم ٨/ ٢٢٢ (١٦/ ٦٩) وتاريخ الإسلام (حوادث ٤٥٣ هـ.) ص ٢٧٧.
(٣) في الأوربية: «انكشف».
(٤) ما بين القوسين من الباريسية. والخبر في: المنتظم ٨/ ٢٢١ (١٦/ ٦٨، ٦٩).
(٥) في طبعة صادر ١٠/ ١٩ «الحسيني»، والتصحيح من: الباريسية، وجمهرة أنساب العرب ٤٧، ودمية القصر (طبعة مصر) ١/ ٣٠، وخريدة القصر (قسم الشام) ٣/ ١٩، والمختصر في أخبار البشر ١/ ١٩٠، والوافي بالوفيات ١٦/ ١٧٥ رقم ٢٠٧، وتاريخ ابن خلدون ٤/ ١٠٢، وشفاء الغرام (بتحقيقنا) ٢/ ٣٠٩، ٣١٠.
(٦) في (أ): «ركابك».
(٧) من الباريسية.
(٨) في طبعة صادر ١٠/ ١٩ «الشمشاطي»، والمثبت من (أ)، ومن مصادر ترجمته التي حشدتها في تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٣٤٦، ٣٤٧ رقم ٨٩.
(٩) من الباريسية.

٤٥٤
ثم دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة

ذكر نكاح السلطان طُغرلبك[١] ابنة الخليفة

في هذه السنة عُقد للسلطان طُغْرلبك على ابنة الخليفة القائم بأمر الله، وكانت الخطبة تقدّمت سنة ثلاثٍ وخمسين [وأربعمائة] مع أبي سعد قاضي الرَّيّ، فانزعج الخليفة من ذلك، وأرسل في الجواب أبا محمّد التميميَّ، وأمره أن يستعفي، فإن أُعفي، وإلاّ تمّم الأمر على أن يحمل السلطان ثلاثمائة ألف دينار[٢]، ويسلّم واسطاً وأعمالها.

فلمّا وصل إلى السلطان ذَكَر لعميد المُلك الوزير ما ورد فيه من الاستعفاء، فقال: لا يحسن أن يُرَدّ السلطان، وقد سأل وتضرّع، ولا يجوز مقابلته أيضاً بطلب الأموال والبلاد، فهو يفعل أضعاف ما طُلب منه.

فقال التميميُّ: الأمر لك، ومهما فعلتَهُ فهو[٣] الصواب؛ فبنى الوزير الأمر على الإجابة، وطالع به السلطان، فسُرّ به، وجمع الناس وعرّفهم أنّ همّته سمتْ به إلى الاتصال بهذه الجهة النبويّة، وبلغ من ذلك ما لم يبلغه سواه من الملوك. وتقدّم إلى عميد المُلك الوزير أن يسير ومعه أرسلان خاتون، زوجة الخليفة، وأن يصحبها مائة ألف[٤] دينار برسم الحمل، وما شاكلها من الجواهر وغيرها، ووجّه معه فرامرز بن كاكوَيْه، وغيره من وجوه الأمراء وأعيان الرَّيّ.

---

(١) من (أ).
(٢) في المنتظم: «أربعمائة ألف دينار».
(٣) في الأوربية: «هو».
(٤) في (أ): «مائة ألف ألف».

فلمّا وصل إلى الإمام القائم بأمر الله، وأوصل خاتون زوجة الخليفة إلى دارها، وأنهى حضوره وحضور من معه، ذكر حال الوصلة، فامتنع الخليفة من الإجابة إليها وقال: إن أُعفينا، وإلاّ خرجنا من بغداذ.

فقال عميد المُلك: كان الواجب الامتناع من غير اقتراح، وعند الإجابة إلى ما طلب، فالامتناع سعيٌ على دمي؛ وأخرج خيامه إلى النَّهروان، فاستوقفه قاضي القضاة، والشيخ أبو منصور بن يوسف، وأنهيا إلى الخليفة عاقبة انصرافه على هذا الوجه، (وصنع له)[1] ابن دارست وزير الخليفة (دعوة، فحضر عنده)[2]، فرأى على مسجدٍ مكتوباً: معاوية خال عليّ؛ فأمر بحكّه.

وكتب من الديوان إلى خُمارتكين الطُّغْرائيّ كتاباً يتضمّن الشكوى من عميد المُلك، فورد الجواب عليه بالرفق، وكتب الخليفة إلى عميد المُلك: نحن نردّ الأمر إلى رأيك، ونعوّل على أمانتك ودينك.

فحضر يوماً عند الخليفة، ومعه جماعة من الأمراء، والحُجّاب، والقُضاة والشهود، فأخذ المجلس لنفسه، ولم يتكلّم سواه، وقال للخليفة: أسأل مولانا أمير المؤمنين التطوّل بذكر ما شرّف به العبد المخلص شاهنشاه، ركن الدين، فيما رغب فيه ليعرفه الجماعة.

فغالطه، وقال: قد سُطّر في المعنى ما فيه كفاية. فانصرف عميد المُلك مَغيظاً[3]، ورحل في السادس والعشرين[4] من جُمادى الآخرة، وأخذ المال معه إلى همَذان، وعرّف السلطان أنّ السبب في اتّفاق الحال من خُمارتكين الطُّغْرائيّ. فتغيّر السلطان عليه، فهرب في ستّة غلمان.

وكتب السلطان إلى قاضي القضاة والشيخ أبي منصور بن يوسف يعتب ويقول: هذا جزاء من الخليفة الذي قتلتُ أخي في خدمته، وأنفقتُ أموالي في نُصرته، وأهلكتُ خواصي في محبّته. وأطال العتاب، وعاد الجواب إليه بالاعتذار.

---

(١) في (أ) والباريسية: «وحضر دعوة».
(٢) من الباريسية.
(٣) في (أ): «مغبضاً».
(٤) في الباريسية: «عشر».

وأمّا الطُّغرائيّ فإنّه أُدرك ببَرُوجِرْدَ فقال أولاد إبراهيم ينّال للسلطان: إنّ هذا قتل أبانا، ونسأل أن نُمكَّن من قتله؛ وأعانهم عميد المُلك، فأذِن لهم في قتله، فساروا إلى طريقه وقتلوه، وجعل مكانه ساوتكين، وبسط[1] الكُنْدريُّ لسانه. وطلب طُغْرلبك ابنة أخيه، زوجة الخليفة، لتُعاد إليه، وجرى ما كاد[2] يُفْضي إلى الفساد الكلّيّ.

فلمّا رأى الخليفة شدّة الأمر أذِن في ذلك، وكتب الوكالة باسم عميد المُلك، وسُيّرت الكتب مع أبي الغنائم بن المحْلَبَان، وكان العقد في شعبان سنة أربعٍ وخمسين [وأربعمائة] بظاهر تِبريز، وهذا ما لم يُجْرَ للخلفاء مثله، فإنّ بني بُوَيْه مع تحكّمهم ومخالفتهم لعقائد الخلفاء لم يطمعوا في مثل هذا ولا ساموهم فعله.

وحمل السلطان أموالاً كثيرة، وجواهر نفيسة للخليفة، ولوليّ العهد، وللجهة المطلوبة، ولوالدتها، وغيرهم، وجعل بَعْقُوبا وما كان بالعراق للخاتون زوجة السلطان التي توفّيت للسيدة ابنة الخليفة[3].

ذكر عزل ابن دارست ووزارة ابن جُهير

في هذه السنة عُزل أبو الفتح محمّد بن منصور بن دارست من وزارة الخليفة.

وسببه أنّه وصل معه إنسان يهوديٌّ يقال له ابن علاّن، فضمن أعمال الوكلاء التي لخاصّ الخليفة بستّة آلاف كُرّ غلّة، ومائة ألف دينار، فصحّ منها ألفا كُرّ، وثلاثون ألف دينار، وانكسر الباقي، فظهر عجز ابن دارست ووهنه، فعُزل، وعاد إلى الأهواز، فتوفّي بها سنة سبْعٍ وستّين [وأربعمائة].

وكان فخر الدولة أبو نصر بن جَهِير، وزير نصر الدولة بن مروان، قد أرسل

---

(١) في نسخة بودليان و(أ) والباريسية: «وسبط». وجاء في هامش (أ): «لعله وبسط».

(٢) في الأوربية: «كان».

(٣) المنتظم ٨/٢٢٦ (١٦/٧٥)، تاريخ الزمان ١٠٥، تاريخ دولة آل سلجوق ٢٠، ٢١، زبدة التواريخ ٦٣، الإنباء في تاريخ الخلفاء ١٩٨، المختصر في أخبار البشر ٢/١٨١، نهاية الأرب ٢٦/٢٩٨ ـ ٣٠٠، تاريخ الإسلام (٤٥٤ هـ.) ص٢٧٨، تاريخ ابن الوردي ١/٣٦٧، الجوهر الثمين ١٩٥، البداية والنهاية ١٢/٨٧، ٨٨، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٦٦، ٤٦٧، مآثر الإنافة ١/٣٤١، تاريخ الخلفاء ٤٢٠.

يخطب الوزارة، وبذل فيها بذولاً كثيرة، فأجيب إليها، وأرسل كامل طِراد الزَّينبيّ إلى ميّافارقين كأنّه رسولٌ، فلمّا عاد سار معه ابن جَهِير كالمودّع له، فتمّم السير معه.

وخرج ابن مروان في أثره، فلم يدركه، فلمّا وصل إلى بغداذ خرج الناس إلى استقباله، وخُلع عليه خِلَع الوزارة يوم عَرفة، ولُقّب فخر الدولة، واستقرّ في الوزارة، ومدحه وهنّأه ابن الفضل وغيره من الشعراء[1].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عمّ الرخص جميع الأصقاع، فبيع بالبصرة ألف رِطلٍ من التمر بثمانية قراريط[2].

[وفاة القُضاعيّ]

وفيها توفّي القاضي أبو عبدالله محمّد بن سلامة بن جعفر القُضاعيُّ[3] بمصر.

وفيها سار السلطان طُغْرلبك إلى قلعة الطِّزْم من بلاد الدَّيلم، وقرّر على مسافر مَلِكها مائةَ ألف دينار وألفَ ثوب.

[الوَفيات]

وفيها مات أبو علوان ثَمَال بن صالح بن مرداس[4] الملقّب معزّ الدولة بحلب، وقام أخوه عطيّة مقامه.

---

(1) تاريخ الفارقي ١٨١، ١٨٢، الفخري ٢٩٣، تاريخ دولة آل سلجوق ٢٥، مختصر التاريخ ٢٠٩، خلاصة الذهب المسبوك ٢٦٨، المنتظم ٨/٢٢٦ (١٦/٧٦)، نهاية الأرب ٢٣/٢٣٥، المختصر في أخبار البشر ٢/١٨١، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٧٨، تاريخ ابن الوردي ١/٣١٨، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٦٦.

(2) المنتظم ٨/٢٦٦ (١٦/٧٦)، نهاية الأرب ٢٣/٢٣٥، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٧٩، البداية والنهاية ١٢/٨٨.

(3) انظر عن (القضاعي) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٣٦٨ ـ ٣٧١ رقم ١٢٠ وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

(4) انظر عن ثمال بن صالح) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٣٥٥ رقم ١٠٢ وفيه حشدت مصادر ترجمته. وانظر كتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ـ ١١٠ ـ ١١٤.

وتوفّي الحسن بن عليّ بن محمّد أبو محمّد الجوهريُّ[1]، ومولده سنة ثلاثٍ وستّين وثلاثمائة، وكان من الأئمّة المكثِرين من سماع الحديث وروايته، وهو آخر من حدّث عن أبي بكر القَطِيعي، والأبهريّ، وابن شاذان، وغيرهم.

(١) انظر عن (الجوهري) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٣٥٦، ٣٥٧ رقم ١٠٣ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

٤٥٥
ثم دخلت سنة خمس وخمسين وأربعمائة

ذكر ورود السلطان بغداذ ودخوله بابنة الخليفة

في هذه السنة، في المحرّم، توجّه السلطان طُغْرلبك من أرمينية إلى بغداذ، وأراد الخليفة أن يستقبله، فاستعفاه من ذلك، وخرج الوزير ابن جَهِير فاستقبله.

وكان مع السلطان من الأمراء: أبو عليّ ابن الملك أبي كاليْجار، وسُرخاب بن بدر، وهزارسب، وأبو منصور فرامرز بن كاكوَيْه، فنزل عسكره في الجانب الغربيّ، فزاد بهم أذى.

ووصل عميد المُلك إلى الخليفة، وطالب بالجهة، وبات بالدّار، فقيل له: خطُّك موجود بالشرط، وإنّ المقصود بهذه الوصلة الشرف لا الاجتماع، وإنّه إن كانت مشاهدة فتكون في دار الخلافة؛ فقال السلطان: نفعل هذا، ولكن نفرد له من الدُّور والمساكن ما يكفيه، ومعه خواصّه، وحُجّابه، ومماليكه، فإنّه لا يمكنه مفارقتهم. فحينئذٍ نُقلتُ إلى دار المملكة في منتصف صفر، فجلست على سرير ملبَّس بالذهب، ودخل السلطان إليها، وقبّل الأرض وخدمها، ولم تكشف الخمار عن وجهها، ولا قامت هي له، وحمل لها شيئاً كثيراً من الجواهر وغيرها، وبقي كذلك يحضر كلّ يوم يخدم وينصرف.

وخلع على عميد المُلك وعمل السّماط عدّة أيّام، وخلع على جميع الأمراء، وظهر عليه سرور عظيم، وعقد ضمان بغداذ على أبي سعيد القايني[1] بمائةٍ وخمسين ألف دينار، فأعاد ما كان أطلقه رئيس العراقَيْن من المواريث والمكوس، وقبض على

---

(١) في تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٦٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ٤٥٥ هـ.): «على أبي سعد والعابني».

الأعرابيّ سعد، ضامن البصرة، وعقد ضمان واسط على أبي جعفر بن صقالب بمائتَيْ ألف دينار[1].

ذكر وفاة السلطان طُغْرلبك[2]

في هذه السنة سار السلطان من بغداذ، في ربيع الأوّل، إلى بلد الجبل، فوصل إلى الرَّيّ واستصحب معه أرسلان خاتون ابنة أخيه، زوجة الخليفة، لأنّها شكت اطّراح الخليفة لها، فأخذها معه، فمرض، وتوفّي يوم الجمعة ثامن شهر رمضان، وكان عمره سبعين سنة تقريباً، وكان عقيماً لم يلد ولداً.

وكان وزيره الكُندريُّ على سبعين فرسخاً، فأتاه الخبر، فسار، ووصل إليه في يومَيْن وهو بعد لم يُدفن فدفنه. وجلس له الوزير فخر الدولة بن جَهِير ببغداذ للعزاء.

حكى عنه الكُنْدريُّ أنّه قال: رأيتُ، وأنا بخُراسان، في المنام كأنّني رُفعتُ إلى السماء، وأنا في ضبابٍ لا أبصر معه شيئاً، غير أنّي أشمّ رائحة طيّبة، وأنّني أُنادَى: إنّك قريبٌ من الباري، جلّت قدرته، فاسألْ حاجتك لتُقضى؛ فقلت[3] في نفسي: أسأل طول العمر، فقيل: لك سبعون سنة؛ فقلت: يا ربّ ما يكفيني؛ فقيل: لك سبعون سنة؛ فقلت: يا ربّ لا يكفيني؛ فقيل؛ لك سبعون سنة. فلمّا مات حسب عميد المُلك عمره، على التقريب، فكان سبعين سنة. وكانت مملكته، بحضرة الخلافة، سبع سنين وأحد عشرشهراً واثني عشر يوماً.

وأمّا الأحوال بالعراق، بعد وفاته، فإنّه كُتب من ديوان الخلافة إلى شرف الدولة مسلم بن قريش، صاحب الموصل، وإلى نور الدولة دُبَيس بن مَزْيد، وإلى هزارسب، وإلى بني ورَّام، وإلى بدر بن المُهلهِل، بالاستدعاء إلى بغداذ، وأُرسل لشرف الدولة تشريف، وعمل أبو سعد القاينيُّ، ضامن بغداذ، سوراً على قصر عيسى، وجمع

---

(١) المنتظم ٨/٢٢٨، ٢٢٩ (١٦/٧٩)، تاريخ دولة آل سلجوق ٢٣، العبر ٣/٢٣٤، تاريخ الإسلام (٤٥٥ هـ.) ص ٢٨١، تاريخ ابن الوردي ١/٣٦٩، البداية والنهاية ١٢/٨٨، مآثر الإنافة ١/٣٤١، شذرات الذهب ٣/٢٩٤.

(٢) انظر عن (وفاة طغرلبك) في: تاريخ الإسلام (حوادث ٤٥٥ هـ.) ص ٢٨١، ٢٨٢ ووفيات (٤٥٥ هـ.) ص ٣٧٨ ـ ٣٨١ رقم ١٣٣ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٣) في الأوربية: «فعلت».

الغلاّت. فانحدر إبراهيم بن شرف الدولة إلى أوَانَا، وتسلّم أصحابه الأنبار، وانتشرت البادية في البلاد، وقطعوا الطرقات.

وقدِم إلى بغداذ دُبَيْس بن مَزْيد، وخرج الوزير ابن جَهِير لاستقباله، وقدَم أيضاً ورّام، وتوفّي ببغداذ أبو الفتح بن ورّام، مقدّم الأكراد الجاوانيّة، فحُمل إلى جَرْجَرَايَا، وفارق شرف الدولة مسلم بغداذ، ونهب النواحي، فسار نور الدولة، والأكراد، وبنو خَفَاجة إلى قتاله.

ثم أُرسل إليه من ديوان الخلافة(١) رسول معه خلعة له، وكوتب بالرضاء عنه، وانحدر إليه نور الدولة دُبَيْس، فعمل له شرف الدولة سِماطاً كثيراً، وكان في الجماعة الأشرف أبو الحسين بن فخر المُلك أبي غالب بن خَلَف، كان قصد شرف الدولة مُستجدِياً، فمضغ لُقمة، فمات من ساعته.

وحكى عنه بعض مَن صَحِبه أنّه سمعه ذلك اليوم يقول: اللّهمّ اقبضني، فقد ضجرَتُ من الإضاقة! فلمّا توفّي ورُفع من السماط خاف شرف الدولة أن يظنّ مَنْ حضر أنّه تناول طعاماً مسموماً قصد به غيره، فقال: يا معشر العرب لا بَرِح منكم أحد؛ ونهض وجلس مكان ابن فخر المُلك المتوفّى، وجعل يأكل من الطعام الذي بين يدَيْه، فاستحسن الجماعة فِعله، وعادوا عنه وخلع على دُبَيْس وولده منصور وعاد إلى حلّته.

ولمّا رأى الناس ببغداذ انتشار الأعراب في البلاد ونهْبها، حملوا السلاح لقتالهم، وكان ذلك سبباً لكثرة العيّارين وانتشار المفسدين.

ذكر شيء من سيرته

كان عاقلاً حليماً من أشدّ الناس احتمالاً، وأكثرهم كِتماناً لسِرّه، ظفر بملطّفات كتبها بعض خواصّه إلى الملك أبي كالَيْجار، فلم يُطلعه على ذلك ولا تغيّر عليه، حتّى أظهره بعد مدّةٍ طويلة لغيره.

وحكى عنه أقضى القضاة الماورديُّ قال: لمّا أرسلني القائم بأمر الله إليه سنة

---

(١) في الأوربية: «الخلعة».

ثلاثٍ وثلاثين [وأربعمائة] كتبتُ كتاباً إلى بغداذ أذكر فيه سيرته وخراب بلاده، وأطعن عليه بكلّ وجه، فوقع الكتاب من غلامي، فحُمل إليه، فوقف عليه وكتمه، ولم يحدّثني فيه بشيء، ولا تغيّرَ عمّا كان عليه من إكرامي.

وكان، رحمه الله، يحافظ على الصلوات، ويصوم الاثنَيْن، والخميس، وكان لبسه الثياب البياض، وكان ظلوماً، غشوماً، قاسياً، وكان عسكره يغصبون الناس أموالهم، وأيديهم مطلقة في ذلك نهاراً وليلاً.

وكان كريماً، فمن كرمه أنّ أخاه إبراهيم ينّال أسر من الروم، لمّا غزاهم، بعض ملوكهم فبذل في نفسه أربعمائة ألف دينار، فلم يقبل إبراهيم منه وحمله إلى طُغرلبك، فأرسل ملك الروم إلى نصر الدولة بن مروان حتّى خاطب طُغْرلبك في فكاكه، فلمّا سمع طُغْرلبك رسالته أرسل الروميَّ إلى ابن مروان بغير فِداء، وسيّر معه رجلاً علويّاً، فأنفذ ملك الروم إلى طُغْرلبك ما لم يُحمل في الزمان المتقدّم، وهو ألف ثوب ديباج، وخمسمائة ثوب أصناف، وخمسمائة رأس من الكراع إلى غير ذلك، وأنفذ مائتَيْ ألف دينار، ومائة لبنة فضّة، وثلاثمائة شهريّ، وثلاثمائة حمار مصريّة، وألف عنز بيض الشُعور، سُود العيون والقرون، وأنفذ إلى ابن مروان عشرة أَمْناء مِسكاً[1] وعمّر ملك الروم الجامع الذي بناه مَسْلَمَة بن عبد الملك بالقُسطنطينيّة، وعمّر منارته، وعلّق فيه القناديل، وجعل في محرابه قوساً ونُشّابة، وأشاع المهادنة.

ذكر ملك السلطان ألب أرسلان

لمّا مات السلطان طُغرلبك أجلس عميد الملك الكُنْدُريُّ في السلطنة سليمان بن داود جُغْري بك، أخي السلطان طُغرلبك، وكان طُغْرلبك قد عهد إليه بالمُلك، وكانت والدة سليمان عند طُغْرلبك، فلمّا خطب له بالسلطنة اختلف الأمراء، فمضى باغي سيان وأردم إلى قزوين، وخطبا لعضُد الدولة ألْب أرسلان محمّد بن داود جُغْري بك، وهو حينئذٍ صاحب خُراسان، ومعه نظام المُلك وزيره، والناس مائلون إليه. فلمّا رأى عميد الملك الكُنْدُريُّ انعكاس الحال عليه أمر بالخطبة بالرَّيّ للسلطان ألْب أرسلان، وبعده لأخيه سليمان[2].

---

(١) تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٣٨١.

(٢) المنتظم ٨/ ٢٣١ (٢٦/ ٨٢)، تاريخ دولة آل سلجوق ٢٧، تاريخ الزمان ١٠٦، زبدة التواريخ =

ذكر خروج حمّو عن طاعة تميم بن المعزّ بإفريقية

في هذه السنة خالف حمّو بن مليل[1]، صاحب مدينة سَفَاقس بإفريقية، على الأمير تميم بن المعزّ بن باديس، فجمع أصحابه، واستعان بالعرب، وسار إلى المهديّة، فسمع تميم الخبر، فسار إليه بعساكر ومعه[2] أيضاً طائفة من العرب من زغبة، ورياح، ووصل حمّو إلى سَلَقْطة[3]، والتقى الفريقان بها، وكانت بينهما حرب شديدة فانهزم حمّو ومَن معه، وأخذتهم[4] السيوف، فقُتل أكثر حُماته وأصحابه، ونجا بنفسه، وتفرّقت رجاله، وعاد تميم مظفّراً منصوراً.

ثم قصد، بعد هذه الحادثة، مدينة سُوسَة، وكان أهلها قد خالفوا عليه، فملكها، وعفا عنهم وحقن دماءهم.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، (في المحرّم)[5]، قُبض بمصر على الوزير أبي الفرج بن المغربيّ[6].

وفيها دخل الصُلَيحيُّ، صاحب اليمن، إلى مكّة مالكاً لها، فأحسن السيرة فيها، وجلب إليها الأقوات، ورفع جورَ من تقدّم، وظهرت منه أفعال جميلة[7].

وفيها، في ربيع الآخر، انقضّ كوكب عظيم، وكان له ضوء كثير[8].

= ٦٣ ـ ٦٥، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٣٥ و٢٦/ ٣٠٣، راحة الصدور ١٨٥، تاريخ الإسلام (٤٥٥ هـ.) ص ٢٨١، ٢٨٢، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٦٨.

(١) في طبعة صادر ١٠/ ٢٩ «مليك»، والمثبت من: نهاية الأرب ٢٤/ ٢١٩، والبيان المغرب / ٢٩٩ (حوادث ٤٥٦ هـ.)، وتاريخ الإسلام (٤٥٥ هـ.) ص ٢٨٢، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٦٨.

(٢) من (أ).

(٣) في الباريسية: «سرقسطة».

(٤) في الأوربية: «وأخذ بهم».

(٥) من (أ).

(٦) وهو: محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين المغربي. (أخبار الدول المنقطعة ٧٩).

(٧) المنتظم ٨/ ٢٣٢ (١٦/ ٨٣)، شفاء الغرام (بتحقيقنا) ٢/ ٣٦١.

(٨) المنتظم ٨/ ٢٣٠ (١٦/ ٨١).

وفيها، في شعبان، كان بالشام زلزلة عظيمة خرب منها كثير من البلاد، وانهدم سور طرابلس[1].

وفيها ملك أمير الجيوش بدر دمشق للمستنصر، صاحب مصر، فوصل إليها في الثالث والعشرين من ربيع الآخر، وأقام بها، واختلف هو والجُند، فثاروا به، ووافقهم العامّة، فضعف عنهم، ففارقها في رجب سنة ستّ وخمسين [وأربعمائة][2].

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي سعيد[3] بن نصر الدولة بن مروان، صاحب آمِد، من ديار بكر.

وزُهير بن الحسن[4] بن عليّ أبو نصر الجذاميُّ، الفقيه الشافعيُّ، تفقّه على أبي حامد الإسْفَرَايينيّ، وسمع الحديث الكثير ورواه، وكان موته بسَرْخَس.

---

(١) المنتظم ٨/ ٢٣١ (١٦/ ٨٢)، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٨٤، دول الإسلام ١/ ٢٦٧، تاريخ الإسلام (٤٥٥ هـ.) ص ٢٨٢، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٧٠، البداية والنهاية ١٢/ ٨٩، كشف الصلصلة ١٧٩.

(٢) المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٨٤، دول الإسلام ١/ ٢٦٧، تاريخ الإسلام (٤٥٥ هـ.) ص ٢٨٣، أمراء دمشق ١٦ رقم ٥٦، إتعاظ الحنفا ٢/ ٢٦٨، شذرات الذهب ٣/ ٣٦٣.

(٣) انظر عن (سعيد بن مروان) في: المنتظم ٨/ ٢٣٢ (١٦/ ٨٤ رقم ٣٣٨٠)، والأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ١/ ٣٦٧ ـ ٣٦٩، وتاريخ الفارقي ١٧٧، والبداية والنهاية ١٢/ ٩٠.

(٤) في طبعة صادر ١٠/ ٣٠ «الحسن»، والتصحيح من: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤/ ٣٧٩ رقم ٤٠٥، والوافي بالوفيات ١٤/ ٢٢٨ رقم ٣١١.

٤٥٦
ثم دخلت سنة ست وخمسين وأربعمائة

ذكر القبض على عميد الملك وقتله

في هذه السنة قبض السلطان ألْب أرسلان على الوزير عيمد الملك أبي نصر (منصور بن محمّد)[١] الكُنْدريّ وزير طُغْرلبك.

وسبب ذلك أنّ عميد الملك قصد خدمة نظام المُلك، وزير ألب أرسلان، وقدّم بين يدَيْه خمسمائة دينار، واعتذر، وانصرف من عنده، فسار أكثر الناس معه، فخُوّف السلطان من غائلة ذلك، فقبض عليه وأنفذه إلى مرو الرُّوذ، وأتت عليه سنة في الاعتقال، ثم نفّذ إليه غلامين فدخلا عليه وهو محموم، فقالا له: تُبْ ممّا أنت عليه؛ ففعل[٢]، ودخل فودّع أهله، وخرج إلى مسجدٍ هناك فصلّى ركعتَيْن، وأراد الغلامان خنقه، فقال: لستُ بلصّ! وخرّق خرقة من طرف كمّه وعصب عينَيْه، فضربوه بالسيف، وكان قتْله في ذي الحجّة، ولُفّ في قميص دبيقيّ من ملابس الخليفة، وخرقة كانت البردة التي عند الخلفاء فيها، وحُملت جثّته إلى كُندُر، فدُفن عند أبيه، وكان عمره يوم قُتل نيّفاً وأربعين سنة[٣].

وكان سبب اتّصاله بالسلطان طُغْرلبك أنّ السلطان لمّا ورد نَيسابور طلب رجلاً يكتب له، ويكون فصيحاً بالعربيّة، فدلّ عليه الموفّق، والد أبي سهل، وأعطته

---

(١) من الباريسية.

(٢) في (أ): «فافعل».

(٣) انظر عن قتل عميد الملك في: المنتظم ٨/ ٢٣٤ (١٦/ ٨٦)، الهفوات النادرة ٧، ٨، معجم الأدباء ١٣/ ٣٤، ٤٣، زبدة التواريخ ٦٧، ٦٨، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٨٤، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٠٤، تاريخ الإسلام (٤٥٦ هـ.) ص ٢٨٤ و٤٢٢ ـ ٤٢٦ رقم ١٧٩ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

السعادة، وكان فصيحاً، فاضلاً، وانتشر من شِعره ما قاله في غلام تركيّ صغير السنّ كان واقفاً على رأسه يقطع بالسكّين قصبةً، فقال عميد المُلك فيه:

أنـــا مشغـــولٌ بحُبّـــهْ، وهـــو مشغـــولٌ بلُعبِـــهْ
لـــو أرادَ اللهُ خيـــراً، وصَـــلاحـــاً لمُحبّـــهْ
نُقِلَـــتْ رِقّـــةُ خَـــدَّيـ ـــهِ إلـــى قَســـوةِ قَلْبِـــهْ
صـــانَـــه اللهُ فمـــا أكـ ـثَـر إعجـابـي بعُجْبِـهْ[1]

ومن شِعره:

إنْ كان بالناس ضيقٌ عن مُناقشتي[2]، فـالمـوتُ قـد وسّـع الـدُّنيـا علـى النـاسِ
مضيـتُ، والشـامـتُ المغبـونُ يَتبعُنـي، كـلٌّ لكـأسِ المَنـايـا شـاربٌ حـاسِـي

وقال أبو الحسن الباخَرْزيُّ يخاطب ألْب أرسلان عند قتل الكُندُرِيّ:

وعَمُّـــك أدنَـــاه، وأعلَـــى مَحلّـــه، وبـــوّأهُ مـــن مُلكِـــه كَنفـــاً رحبَـــا
قضَـى كـلُّ مـولًى منكُمـا حَـقَّ عبـدِهِ[3] فخـوّلَـهُ الـدُّنيـا، وخـوّلتَـهُ العُقْبَـى[4]

وكان عميد المُلك خصيّاً، قد خصاه طُغْرلبك لأنّه أرسله يخطب عليه امرأةً ليتزوّجها، فتزوّجها هو، وعصى عليه، فظفر به وخصاه، وأقرّه على خدمته.

وقيل بل أعداؤه أشاعوا عنه أنّه تزوّجها، فخصَى نفسه ليخلص من سياسة السلطنة، فقال فيه عليُّ بن الحسن الباخَرْزيُّ:

قـالُـوا: مَحـا السلطـانُ عنـه بعِـزّةٍ[5] سِمَـةَ الفحـولِ، وكـان قَـرمـاً صـائـلاَ
قلـتُ: اسكتـوا، فـالآن زَاد فحـولـةً لمّـا اغتـدى[6] عـن أُنثَيَيْـه عـاطـلاَ
فـالفحـلُ يـأنَـفُ أن يسمّـى بعضُـهُ أُنثَـى، لـذلـك جـذَّه مُستـأصِـلاَ[7]

---

(١) تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٤٢٤.
(٢) في (أ): «منافستي».
(٣) في الأوربية: «عنده».
(٤) دمية القصر ٢/٧٩٦.
(٥) في الباريسية: «بغربه»، وفي الأوربية: «تعزة».
(٦) في الباريسية: «اعتدى».
(٧) معجم الأدباء ١٣/٤٣، زبدة التواريخ ٦٩، وفيات الأعيان ٥/١٤١، ١٤٢.

يعني بالأنثى واحدة الأنثيين.

وكان شديد التعصّب على الشافعيّة، كثير الوقيعة في الشافعيّ، رضي الله عنه، بلغ من تعصّبه[1] أنّه خاطب السلطان في لعن الرافضة على منابر خُراسان، فأذن في ذلك، فأمر بلعنهم، وأضاف اليهم الأشعرية، فأنف من ذلك أئمة خراسان منهم: الإمام أبو القاسم القُشَيريُّ، والإمام أبو المعالي الجُوَينيُّ، وغيرهما، ففارقوا خُراسان، وأقام إمام الحرمَيْن بمكّة أربع سنين إلى أن انقضت دولته، يدرّس، ويُفْتي، فلهذا لُقّب إمام الحرمَيْن، فلمّا جاءت الدولة النظاميّة[2] أحضر من انتزح منهم وأكرمهم، وأحسن إليهم.

وقيل إنّه تاب من الوقيعة في الشافعيّ، فإن صحّ فقد أفلح، وإلاّ فعلى نفسها براقش تجني.

ومن العجب أنّ ذَكَره دُفن بخُوارزم لمّا خُصي، ودمه مسفوح بمَرو، وجسده مدفون بكُندُر، ورأسه ما عدا قحفه مدفون بنَيسابور، ونُقل قحفه إلى كَرمان لأنّ نظام الملك كان هناك، فاعتبِروا يا أولي الأبصار[3].

ولمّا قُرّب للقتل قال للقاصد إليه: قُل لنظام الملك: بئس ما عوّدتَ الأتراك قتل الوزراء، وأصحاب الديوان، ومن حفر قَلِيباً وقع فيه. ولم يخلّف عميد الملك غيرَ بنت.

ذكر ملك ألب أرسلان خَتلان وهَراة وصَغَانيان

لمّا تُوفّي طُغْرلبك وملك ألب أرسلان عصى عليه أمير خَتلان بقلعتِه، ومنع الخراج، فقصده السلطان، فرأى الحصن منيعاً على شاهقٍ، فأقام عليه وقاتله، فلم يصل منه إلى مُراده.

ففي بعض الأيّام باشر ألب أرسلان لقتال بنفسه، وترجّل، وصعِد في الجبل،

---

(١) في (أ): «بغضه».

(٢) في (أ) زيادة: «سقى الله عهدها صوب الرضوان».

(٣) معجم الأدباء ١٣/ ٤٤، ووفيات الأعيان ٥/ ١٤٢.

فتبِعه الخلْق، وتقدّموا عليه في الموقف، وألحّوا في الزحف والقتال، وكان صاحب القلعة على شرفةٍ من سورها يحرّض الناس على القتال، فأتته نُشّابة من العسكر فقتلته، وتسلّم ألب أرسلان القلعة وصارت في جملة ممالكه.

وكان عمّه فخر المُلك بَيْغو بن ميكائيل في هَراة، فعصى أيضاً عليه، وطمع في المُلك لنفسه، فسار إليه ألب أرسلان في العساكر العظيمة، فحصره وضيّق عليه، وأدام القتال ليلاً ونهاراً، فتسلّم المدينة، وخرج عمّه إليه، فأبقى عليه وأكرمه وأحسن صُحبته.

وسار من هناك إلى صَغَانيان، وأميرها اسمه موسى، وكان قد عصى عليه، فلمّا قاربه ألب أرسلان صعِد موسى إلى قلعة على رأس جبل شاهق، ومعه من الرجال الكُماة جماعة كثيرة، فوصل السلطان إليه، وباشر الحرب لوقته، فلم ينتصف النهار حتّى صعِد العسكر الجبل، وملكوا القلعة قهراً، وأُخذ موسى أسيراً، فأمر بقتله، فبذل في نفسه أموالاً كثيرة، فقال السلطان: ليس هذا أوان تجارة؛ واستولى على تلك الولاية بأسرها، وعاد إلى مَرو، ثم منها إلى نَيسابور[1].

ذكر عود ابنة الخليفة إلى بغداذ والخطبة للسلطان ألب أرسلان ببغداذ[2]

في هذه السنة أمر السلطان ألب أرسلان السيّدة ابنة الخليفة بالعَود إلى بغداذ، وأعلمها أنه لم يقبض على عميد المُلك إلاّ لِما اعتمده من نقلها من بغداذ إلى الرَّيّ بغير رضاء الخليفة، وأمر الأمير أيتكين السليمانيَّ بالمسير في خدمتها إلى بغداذ، والمقام بها شِحنةً، وأنفذ أبا سهل محمّد بن هبة الله، المعروف بابن الموفَّق، للمسير في الصُّحْبة، وأمره بالمخاطبة في إقامة الخطبة له، فمات في الطريق مُجَّدراً[3].

---

(١) المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٨٤، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٠٥، ٣٠٦، العبر ٣/ ٢٣٦، ٢٣٧، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٨٤، ٢٨٥، البداية والنهاية ١٢/ ٩١، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٧٠.

(٢) من (أ).

(٣) المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٨٤، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٨٥، تاريخ ابن الوردي ١/ ٢٧٠، البداية والنهاية ١٢/ ٩١.

وهذا[1] أبو سهل من رؤساء أصحاب الشافعيّ بنَيسابور، وكان يحضر طعامه في رمضان، كلّ ليلة، أربع مائة مُتَفَقّه، ويصِلهم ليلةَ العيد بكسوةٍ ودنانير تعمّهم، فلمّا سمع بموته أرسل العميد أبا الفتح المظفّر بن الحسين فمات أيضاً في الطريق، فألزم السلطان رئيس العراقَيْن بالمسير، فوصلوا بغداذ منتصف ربيع الآخر، وخرج عميد الدولة ابن الوزير فخر الدولة بن جَهِير لتلقيّهم، واقترح السلطان أن يخاطَب بالولد المؤيّد، فأُجيب إلى ذلك، ولُقّب ضياء الدين عضُد الدولة.

وجلس الخليفة جلوساً عامّاً سابع جُمادى الأولى، وشافه الرسل بتقليد ألْب أرسلان للسلطنة، وسُلّمت الخِلع بمشهدٍ من الخلْق، وأرسل إليه من الديوان لأخذ البَيعة النقيب طِراداً الزينبيَّ، فوصلوا إليه وهو بنَقْجُوانَ من أَذَرْبِيَجان، فلبس الخِلع، وبايع للخليفة[2].

ذكر الحرب بين ألب أرسلان وقُتلْمِش

سمع ألْب أرسلان أنّ شهاب الدولة قُتُلمش، وهو من السّلجوقيّة أيضاً، وهو جدّ الملوك أصحاب قُونِيَة، وقَيصريّة[3]، وأقصَرا، ومَلَطْيَة، يومنا هذا، قد عصى عليه، وجمع جموعاً كثيرة، وقصد الرّيّ ليستولي عليها، فجهّز ألْب أرسلان جيشاً عظيماً وسيّرهم على المفازة إلى الرَّيّ، فسبقوا قُتلمِش إليها.

وسار ألْب أرسلان من نَيسابور أوّل المحرّم من هذه السنة، فلمّا وصل إلى دَامَغَان أرسل إلى قُتلمِش يُنكر عليه فعله، وينهاه عن ارتكاب هذه الحال، ويأمره بتركها، فإنّه يرعى[4] له القرابة والرحم، فأجاب قُتلمِش جواب مُغترّ بمن معه من الجموع، ونهب قُرى الرَّيّ، وأجرى الماء على وادي الملح، وهي سبخةٌ، فتعذّر[5] سلوكها، فقال نظام المُلْك: قد جعلتُ لك من خُراسان جُنداً ينصرونك ولا

---

(١) في (أ): «وكان».
(٢) آثار البلاد وأخبار العباد ٤٤٧، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٣٥، دول الإسلام ١/ ٢٦٨، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٨٥.
(٣) من الباريسية.
(٤) في (أ): «يدعي».

يخذلونك، ويرمون دونك بسهامٍ لا تخطىء، وهم العلماء والزُهّاد، فقد جعلتُهم بالإحسان إليهم من أعظم أعوانك.

وقرب السلطان من قُتلمِش، فلبس نظام المُلك السلاح، وعبّأ الكتائب، واصطفّ العسكران.

وكان قُتلمِش يعلم[1] علم النجوم، فوقّف[2] ونظر، فرأى أنّ طالعه في ذلك اليوم قد قارنه نحوس لا يرى معها ظفراً، فقصد المحاجزة، وجعل السبخة بينه وبين ألب أرسلان ليمتنع من اللقاء. فسلك ألب أرسلان طريقاً في الماء، وخاض غَمْرته، وتبِعه العسكر، فطلع منه سالماً هو وعسكره، فصاروا مع قُتلمِش واقتتلوا، فلم يثبت عسكر قُتلمِش لعسكر السلطان، وانهزموا لساعتهم، ومضى منهزماً إلى قلعة كَردَ كوه، وهي من جملة حصونه ومعاقله، واستولى القتل والأسر على عسكره، فأراد السلطان قتل الأسرى، فشفع فيهم نظام المُلك فعفا عنهم وأطلقهم.

ولمّا سكن الغبار، ونزل العسكر، وُجد قُتلمِش ميّتاً ملقًى على الأرض لا يُدرى كيف كان موته، قيل: إنّه مات من الخوف، والله أعلم، فبكى السطان لموته، وقعد لعزائه، وعظُم عليه فقْدُه، فسلاّه نظام المُلك، ودخل ألْب أرسلان إلى مدينة الرَّيّ آخر المحرّم من السنة.

ومن العجب أنّ قُتلمِش هذا كان يعلم علم النجوم، قد أتْقَنَهُ، مع أنّه تركيّ، ويعلم غيره من علوم القوم، ثم إنّ أولاده من بعده لم يزالوا يطلبون هذه العلوم الأوّليّة، ويقرّبون أهلها، فنالهم بهذا غضاضة في دينهم، وسيرِد من أخبارهم ما يُعلم (منه ذلك)[3] وغيرُه من أحوالهم[4].

---

(١) في (أ): «يعرف».

(٢) من الباريسية.

(٣) في (أ): «به».

(٤) مرآة الزمان ١٢/١١١، زبدة التواريخ ٧٩ ـ ٨١، المختصر في أخبار البشر ٢/١٨٤، ١٨٥، نهاية الأرب ٢٦/٣٠٦، بغية الطلب (تراجم السلاجقة) ٢٠، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٨٥،

ذكر فتح ألب أرسلان مدينة آني
وغيرها من بلاد النصرانيّة

ثم سار السلطان من الرَّيّ أوّل ربيع الأوّل، وسار إلى أذربِيجان، فوصل إلى مَرَنْدَ عازماً على قتال[1] الروم وغزوهم، فلمّا كان بمَرَنْدَ أتاه أمير من أمراء التركمان، كان يُكثر غزو الروم، اسمه طُغْدكين، ومعه من عشيرته خلق كثير، قد ألِفوا الجهاد، وعرفوا تلك البلاد، وحثّه على قصد بلادهم، وضمن له سلوك الطريق المستقيم إليها، فسار معه، فسلك بالعساكر في مضايق تلك الأرض ومخارمها، فوصل إلى نَقْجُوان، فأمر بعمل السفن لعبور نهر أرَسَ، فقيل له إن سكّان خُوَيّ، وسَلَمَاسَ، من أَذَرْبيجان، لم يقوموا بواجب الطاعة، وإنّهم قد امتنعوا ببلادهم، فسيّر إليهم عميد خُراسان، ودعاهم[2] إلى الطاعة، وتهدّدهم[3] إن امتنعوا، فأطاعوا، وصاروا من جملة حزبه وجُنده، واجتمع عليه هناك من الملوك والعساكر ما لا يُحصَى.

فلمّا فرغ من جمْع العساكر والسفن سار إلى بلاد الكُرج، وجعل مكانه في عسكره ولدَهُ ملكشاه، ونظام المُلْك وزيره، فسار ملكشاه ونظام المُلك إلى قلعة فيها جمْعٌ كثير من الروم،

فنزل أهلها منها، وتخطّفوا[4] من العسكر، وقتلوا منهم فئةً كثيرة، فنزل نظام الملك وملكشاه، وقاتلوا من بالقلعة وزحفوا إليهم، فقُتل أمير القلعة وملكها المسلمون، وساروا منها إلى قلعة سُرماري[5]، وهي قلعة فيها المياه الجارية والبساتين، فقاتلوها وملكوها، وأنزلوا منها أهلها، وكان بالقرب منها قلعة أخرى، ففتحها ملكشاه، وأراد تخريبها، فنهاه نظام الملك عن ذلك، وقال: هي ثغر للمسلمين؛ وشحنها بالرجال والذخائر والأموال والسلاح، وسلّم هذه[6] القلاع إلى أمير نَقْجُوانَ.

---

(١) في (أ): «جهاد».
(٢) في (أ): «يدعوهم».
(٣) في (أ): «ويتهدّدهم».
(٤) في الباريسية: «وتحفظوا».
(٥) في (أ): «سماري».
(٦) في (أ): «عدة».

وسار ملكشاه ونظام المُلْك إلى مدينة مريم نشين[1]، وفيها كثير من الرهبان والقسّيسين وملوك النصارى وعامّتهم يتقرّبون إلى أهل هذه البلدة، وهي مدينة حصينة، سورها من الأحجار الكبار الصلبة، المشدودة بالرصاص والحديد، وعندها نهر كبير، فأعدّ نظام الملك لقتالها (ما يحتاج إليه من السفن وغيرها، وقاتلها، وواصل[2] قتالها)[3] ليلاً ونهاراً، وجعل العساكر عليها يقاتلون بالنَّوبة، فضجر الكفّار، وأخذهم الإعياء والكلال، فوصل المسلمون إلى سورها، ونصبوا عليه السلاليم، وصعدوا إلى أعلاه، لأنّ المعاول كلّتْ عن نقبه لقوّة حجره.

فلمّا رأى أهلُها المسلمين على السور فتّ ذلك في أعضادهم، وسُقط في أيديهم، ودخل ملكشاه البلد، ونظام المُلك، وأحرقوا البِيَع، وخرّبوها، وقتلوا كثيراً من أهلها، وأسلم كثير فنجوا من القتل.

واستدعى ألب أرسلان إليه ابنه، ونظام الملك، وفرح بما يسّره الله من الفتح على يد ولده، وفتحِ ملكشاه في طريقه عدّة من القلاع والحصون، وأسر من النصارى ما لا يُحصون كثرةً. وساروا إلى سُبيذ شَهر، فجرى بين أهلها وبين المسلمين حروب شديدة استشهد فيها كثير من المسلمين، ثم إنّ الله تعالى يسّر فتحها فملكها ألب أرسلان.

وسار منها إلى مدينة أعآل لآل[4]، وهي حصينة، عالية الأسوار، شاهقة البنيان، وهي من جهة الشرق والغرب على جبل عالٍ، وعلى الجبل عدّة من الحصون، ومن الجانبَيْن الآخرَيْن نهر كبير لا يُخْاض، فلمّا رآها المسلمون علموا عجزهم عن فتحها والاستيلاء عليها، وكان ملكها من الكُرج، وهكذا ما تقدّم من البلاد التي ذكرنا فتحها، وعقد السلطان جسراً على النهر عريضاً، واشتدّ القتال، وعظم الخطب[5]، فخرج من المدينة رجلان يستغيثان، ويطلبان الأمان، والتمسا[6] من السلطان أن يرسل

---

(١) في الباريسية: «ولسر»، وفي (أ): «وسن»، وفي نسخة بودليان: «وس».
(٢) في الأوربية: «ووصل».
(٣) ما بين القوسين من (أ).
(٤) في (أ): «لال»، وفي زبدة التواريخ ٩٠ «أغاك لال».
(٥) في الباريسية: «الحرب».
(٦) في الأوربية: «والتمسوا».

معهما طائفة من العسكر، فسيّر جمعاً صالحاً، فلمّا جازوا الفصيل أحاط بهم الكُرج من أهل المدينة وقاتلوهم فأكثروا القتل فيهم، ولم يتمكّن المسلمون من الهزيمة لضيق المسلك.

وخرج الكُرج من البلد وقصدوا العسكر، واشتدّ القتال، وكان السلطان، ذلك الوقت، يصلّي، فأتاه الصَّريخ، فلم يبرح حتّى فرغ من صلاته، وركب، وتقدّم إلى الكفّار، فقاتلهم، وكبّر المسلمون عليهم، فولّوا منهزمين، فدخلوا البلد والمسلمون معهم، ودخلها السلطان وملكها، واعتصم جماعة من أهلها في برج من أبراج المدينة، فقاتلهم المسلمون، (فأمر السلطان)[1] بإلقاء الحطب حول البرج وإحراقه. ففُعل ذلك، وأُحرق البرج ومن فيه، وعاد السلطان إلى خيامه، وغنم المسلمون من المدينة ما لا يُحدّ ولا يُحصى.

ولمّا جنّ الليل عصفت ريح شديدة، وكان قد بقي من تلك النار التي أُحرق بها البرج بقية كثيرة، فأطارتها الريح، فاحترقت المدينة بأسرها، وذلك في رجب سنة ستّ وخمسين [وأربعمائة]، وملك السلطان قلعة حصينة كانت إلى جانب تلك المدينة، وأخذها[2]، وسار منها إلى ناحية قرس، ومدينة آني وبالقرب منها ناحيتان يقال لهما سَيل ورده، ونُورة، فخرج أهلهما مذعِنين بالإسلام، وخرّبوا البِيَع، وبنوا المساجد.

وسار منها إلى مدينة آني فوصل إليها فرآها مدينة حصينة، شديدة الامتناع، لا تُرام، ثلاثة أرباعها على نهر أرس، والربع الآخر نهر عميق شديد الجريَة، لو طرحت فيه[3] الحجارة الكبار لدحاها وحملها، والطريق إليها على خندق عليه سور من الحجارة الصُّمّ، وهي بلدة كبيرة، عامرة، كثيرة الأهل، فيها ما يزيد على خمسمائة بيعة، فحصرها وضيّق عليها، إلاّ أنّ المسلمين قد أيسوا من فتحها لما رأوا من حصانتها، فعمل السلطان برجاً من خشب، وشحنه بالمقاتلة، ونصب عليه المنجنيق، ورُماة النشّاب، فكشفوا الروم عن السور، وتقدّم المسلمون إليه لينقبوه، فأتاهم من لُطف الله ما لم يكن في حسابهم، فانهدم قطعة كبيرة من السور بغير سبب، فدخلوا المدينة وقتلوا من أهلها ما لا يُحصى، بحيث أنّ كثيراً من المسلمين عجزوا عن دخول البلد من كثرة القتلى، وأسروا نحواً ممّا قتلوا.

---

(١) من الباريسية.

(٢) في (أ): «وأخذ ما فيها».

(٣) في الأوربية: «فيها».

وسارت البُشرى بهذه الفتوح في البلاد، فسُرّ المسلمون، وقُرِىء كتاب الفتح ببغداذ في دار الخلافة، فبرز خطّ الخليفة بالثناء على ألب أرسلان والدعاء له.

ورتّب [السُّلطان] فيها أميراً في عسكرٍ جرّار، وعاد عنها، وقد راسله ملك الكُرج في الهدنة، فصالحه على أداء الجزية كلّ سنة، فقبِل ذلك[1].

ولمّا رحل السلطان عائداً قصد أصبهان، ثم سار منها إلى كَرمان، فاستقبله أخوه قاورت[2] بك بن جُغري بك داود، ثم سار منها إلى مَرْو، فزوّج ابنَه ملكشاه بابنة خاقان، ملك ما وراء النهر، وزُفّت إليه في هذا الوقت، وزوّج ابنَهُ أرسلانشاه بابنة صاحب غَزْنة، واتحد[3] البيتان: البيت السلجوقيُّ، والبيت المحموديُّ، واتّفقت الكلمة[4].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في ربيع الأوّل، ظهر بالعراق[5] وخُوزستان وكثير من البلاد جماعة من الأكراد، خرجوا يتصيّدون، فرأوا في البرّيّة خيماً سوداً، وسمعوا منها لطماً شديداً، وعويلاً كثيراً، وقائلاً يقول: قد مات سيّدوك ملك الجنّ، وأيّ بلد لم يلطم أهله عليه ويعملوا[6] له العزاء[7] قُلع أصله، وأُهلك أهله. فخرج كثير من النساء في[8] البلاد إلى المقابر يلطمن، وينُحن، وينشرن شعورهنّ، وخرج رجال من سفِلة الناس يفعلون ذلك، وكان ذلك ضحكة عظيمة[9].

---

(١) المنتظم ٨/٢٣٦ (١٦/٨٨)، زبدة التواريخ ٩٦، نهاية الأرب ٢٦/٣٠٧ـ٣٠٩، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٥٠ هـ.) ص ٢٨٥، ٢٨٦، شذرات الذهب ٣/٢٩٦.

(٢) في تاريخ الإسلام ٢٨٦ «قاروت».

(٣) في الأوربية: «واتحدا».

(٤) نهاية الأرب ٢٦/٣٠٩، العبر ٣/٢٣٦، ٢٣٧، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٨٦، دول الإسلام ١/٢٦٨، شذرات الذهب ٣/٢٩٦، ٢٩٧.

(٥) في (أ): «ظهر ببغداد وبالعراق».

(٦) في الأوربية: «ويعملون».

(٧) في (أ): «المأتم».

(٨) من (أ).

(٩) تاريخ حلب (زعرور) ٣٤٦ (سويم) ٢٣، المنتظم ٨/٢٣٥ (١٦/٨٧)، تاريخ الزمان ١٠٦، المختصر في أخبار البشر ٢/١٨٥، نهاية الأرب ٢٣/٢٣٦، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٨٦، =

ولقد جرى في أيّامنا نحن في الموصل، وما والاها من البلاد إلى العراق، وغيرها، نحو هذا، وذلك أنّ الناس (سنة ستّمائة)[1] أصابهم وجع كثير[2] في حلوقهم، ومات منه كثير من الناس، فظهر أنّ امرأة من الجنّ يقال لها أمّ عُنقود، مات ابنها عُنقود، وكلّ من لا يعمل له مأتماً أصابه هذا المرض، فكثُر فِعل ذلك، وكانوا يقولون:

يـــا أمّ عُنقـــود اعـــذرينـــا قـــد مـــات عنقـــود مـــادرينـــا

وكان النساء يلطمن، وكذلك الأوباش[3].

وفيها وليَ أبو الغنائم المعمّر بن محمّد بن عبيدالله العلويُّ نقابةَ العلويّين ببغداذ، وإمارة الموسم، ولُقّب بالطاهر[4] ذي المناقب، وكان المرتضى أبو الفتح أُسامة قد استعفى من النقابة، وصاهر بني خفاجة، وانتقل معهم إلى البرّيّة، وتوفّي أُسامة بمشهد أمير المؤمنين عليّ، عليه السلام، في رجب سنة اثنتين وسبعين [وأربعمائة][5].

[الوَفَيَات]

وفيها (في جمادى الآخرة)[6] توفّي أبو القاسم عبد الواحد بن عليّ[7] بن برهان الأَسَديُّ النحويُّ المتكلّم، وكان له اختيار في الفقه، وكان عالماً بالنسب، ويمشي في الأسواق مكشوف الرأس، ولم يقبل من أحد شيئاً، وكان موته في جُمادى الآخرة،

= تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٧١، البداية والنهاية ١٢/ ٩١.

(١) من الباريسية.

(٢) من (أ).

(٣) في الأوربية: «أوباش». والخبر في: المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٨٥.

(٤) في (أ): «بالظاهر».

(٥) المنتظم ٨/ ٢٣٦ (١٦/ ٨٩).

(٦) من الباريسية.

(٧) انظر عن (عبد الواحد بن علي) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٤٠١، ٤٠٢ رقم ١٦٦ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

وقد جاوز ثمانين سنة، (وكان يميل إلى مذهب مُرْجِئة المعتزلة، ويعتقد أنّ الكفّار لا يخلَّدون في النار)[١].

وفيها انقضّ كوكب عظيم، وكثُر نوره، فصار أكثر من نور القمر، وسُمِع له دَويّ عظيم، ثمّ غاب[٢].

(١) من الباريسية.

(٢) سيعاد هذا الخبر في السنة الآتية.

٤٥٧
ثم دخلت سنة سبع وخمسين وأربعمائة

ذكر الحرب بين بني حمّاد والعرب

في هذه السنة كانت حرب بين الناصر بن علناس بن حمّاد ومن معه من رجال المغاربة من صِنهاجة ومن زَناتة ومن العرب: عديّ والأثبج[١]، وبين رياح، وزُغْبة[٢]، وسُلَيم، ومع هؤلاء المعزُّ بن زيري الزناتيُّ، على مدينة سَبتة.

وكان سببها أنّ حمّاد بن بُلُكّين جدّ الناصر كان بينه وبين باديس بن المنصور من الخلف، وموت باديس محاصراً قلعة حمّاد، ما هو مذكور، ولولا تلك القلعة لأُخذ سريعاً، وإنّما امتنع هو وأولاده بها بعده، وهي من أمنع الحصون، وكذلك ما استمرّ بين حمّاد والمعزّ بن باديس، ودخول حمّاد في طاعته ما تقدّم ذكره، وكذلك أيضاً ما كان بين القائد بن حمّاد وبين المعزّ، وكان القائد يُضمر الغدر وخلع طاعة المعزّ، والعجز يمنعه من ذلك، فلمّا رأى القائد قوّة العرب، وما نال المعزّ منهم، خلع الطاعة، واستبدّ بالبلاد، وبعده ولده محسن، وبعده ابن عمّه بُلُكّين بن محمّد بن حمّاد، وبعده ابن عمّه الناصر بن علناس بن محمّد بن حمّاد، وكلّ منهم متحصّن بالقلعة، وقد جعلوها دار ملكهم.

فلمّا رحل المعزُّ من القَيروان وصَبْرَةَ إلى المَهديّة تمكنّت العرب، ونهبت الناس، وخرّبت البلاد، فانتقل كثير من أهلها إلى بلاد بني حمّاد لكونها جبالاً وعرة يمكن الامتناع بها من العرب، فعمرت بلادهم، وكثُرت أموالهم، وفي نفوسهم الضغائن والحقود من باديس، ومَن بعده من أولادهم، يَرِثه صغير عن كبير.

(١) من الباريسية، وفي (أ): «والابح».
(٢) في الباريسية: «ورعبه»، والمثبت من (أ).

ووَلِيَ تميم بن المعزّ بعد أبيه، فاستبدّ كلّ من هو بِبَلَد وقلعة بمكانه، وتميم صابر يداري ويتجلّد.

واتّصل بتميم أنّ الناصر بن علناس يقع فيه في مجلسه ويذمّه، وأنّه عزم على المسير إليه ليحاصره بالمهديّة، وأنّه قد حالف بعض صِنهاجة، وزَناتة، وبني هلال ليعينوه على حصار المهديّة. فلمّا صحّ ذلك عنده أرسل إلى أمراء بني رياح، فأحضرهم إليه وقال: أنتم تعلمون أنّ المهديّة حصن منيع، أكثره في البحر، لا يقاتل منه في البرّ غير أربعة أبراج يحميها أربعون رجلاً، وإنّما جمع الناصر هذه العساكر إليكم. فقالوا له: الذي تقوله حقّ، ونحبّ منك المعونة؛ فأعطاهم المال، والسلاح من الرماح والسيوف والدروع والدرق، فجمعوا قومهم، وتحالفوا، واتّفقوا على لقاء[1] الناصر.

وأرسلوا إلى من مع الناصر من بني هلال يقبّحون عندهم مساعدتهم للناصر، ويخوّفونهم منه إن قوي، وأنه يهلكهم بمن معه من زَناتة وصنهاجة، وأنّهم إنّما يستمرّ لهم المقام، والاستيلاء على البلاد، إذا تمّ الخُلْف وضعف السلطان. فأجابهم بنو هلال إلى الموافقة، وقالوا: اجعلوا أوّل حملة تحملونها علينا، فنحن ننهزم بالناس، ونعود عليهم، ويكون لنا ثُلث الغنيمة. فأجابوهم[2] إلى ذلك، واستقرّ الأمر.

وأرسل المعزُّ بن زيري الزَّناتيُّ إلى من مع الناصر من زَناتة بنحو ذلك، فوعدوه أيضاً أن ينهزموا، فحينئذٍ رحلت رياح وزَناتة جميعها، وسار إليهم الناصر بصِنهاجة، وزنَاتة، وبني هلال، فالتقت العساكر بمدينة سَبتة، فحملت رياح على بني هلال، وحمل المعزُّ على زَناتة، فانهزمت الطائفتان، وتبِعهم عساكر الناصر منهزمين، ووقع فيهم القتل، فقُتل فيمن قُتل القاسم بن علناس، أخو الناصر، وكان مبلغ من قُتل من صِنهاجة وزَناتة أربعةً[3] وعشرين ألفاً، وسلِم الناصر في نفرٍ يسير، وغنمت العرب جميع ما كان في العسكر من مالٍ وسلاحٍ ودوابّ[4] (وغير ذلك، فاقتسموها على ما

---

(١) من الباريسية.

(٢) في الأوربية: «فأجابهم».

(٣) في الأوربية: «أربع».

(٤) نهاية الأرب ٢٤/ ٢٢٠، البيان المغرب ١/ ٢٩٩، دول الإسلام ١/ ٢٦٨، تاريخ الإسلام=

استقرّ بينهم، وبهذه الوقعة تمّ للعرب ملك البلاد، فإنّهم قدِموها في ضِيق وفقر وقلّة دوابّ فاستغنوا، وكثُرت دوابّهم وسلاحهم، وقلّ المحامي عن البلاد، وأرسلوا الألوية والطبول وخيم الناصر بدوابّها إلى تميم، فردّها وقال: يقبح بي أن آخذ سلب ابن عمّي! فأرضى العرب بذلك)[1].

ذكر بناء مدينة بجّاية

لمّا كانت هذه الوقعة بين بني حمّاد والعرب، (وقويت العرب)[2]، اهتمّ تميم بن المُعزّ لذلك، وأصابه حزن شديد، فبلغ ذلك الناصر، وكان له وزير اسمه أبو بكر بن أبي الفتوح، وكان رجلاً جيّداً يحبّ الاتفاق بينهم، ويهوى دولة تميم، فقال للناصر: ألم أُشِرْ عليك أن لا تقصد ابن عمّك، وأن تتفّقا[3] على العرب، فإنّكما لو اتّفقتما لأخرجتما العربَ.

فقال الناصر: لقد صدقتَ، ولكن لا مردَّ لما قُدّر، فأصلِحْ ذات بيننا. فأرسل الوزير رسولاً من عنده إلى تميم يعتذر، ويرغب في الإصلاح، فقبِل تميم قوله، وأراد أن يرسل رسولاً إلى الناصر، فاستشار أصحابه، فاجتمع رأيهم على محمّد بن البعبع، وقالوا له: هذا رجل غريب، وقد أحسنتَ إليه، وحصل له منك الأموال والأملاك. فأحضَره، وأعطاه مالاً ودوابّ وعبيداً وأرسله، فسار مع الرسول حتّى وصل إلى بجّايةَ، وكانت حينئذٍ منزلاً فيه رعيّة من البربر، فنظر إليها محمّد بن البعبع، وقال في نفسه: إنّ هذا المكان يصلح أن يكون به مَرسى[4] ومدينة؛ وسار حتّى وصل إلى الناصر، فلمّا أوصل الكتاب وأدّى الرسالة قال للناصر: معي وصيّة إليك، وأُحبّ أن تخلّي المجلس؛ فقال الناصر: أنا لا أخفي عن وزيري شيئاً. فقال بهذا أمرني الأمير تميم؛ فقام الوزير أبو بكر وانصرف، فلمّا خرج قال الرسول: يا مولاي إنّ الوزير مخامرٌ عليك، هواه مع الأمير تميم، لا يُخفي عنه من أمورك شيئاً، وتميم مشغول مع

= (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٨٩، البداية والنهاية ١٢/ ٩٢.

(١) ما بين القوسين من (أ) وفيه زيادة: «علناس: بفتح العين المهملة واللام والنون وبعده سين مهملة».

(٢) من الباريسية.

(٣) في الأوربية: «تتفقوا».

(٤) من الباريسية.

عبيده قد استبدّ بهم، واطّرح صِنهاجة وغير هؤلاء، ولو وصلتَ بعسكرك ما بِتَّ إلاّ فيها لبُغض[1] الجُند والرعيّة لتميم، وأنا أشير عليك بما تملك به المهديّة وغيرها. وذكر له عمارة بِجَايَة، وأشار عليه أن يتّخذها دار ملك، ويقرب[2] من بلاد إفريقية، وقال له: أنا أنتقل إليك بأهلي، وأدبّر دولتك؛ فأجابه الناصر إلى ذلك، وارتاب بوزيره، وسار مع الرسول إلى بجّاية، وترك الوزير بالقلعة.

فلمّا وصل الناصر والرسول إلى بجّاية أراه موضع الميناء والبلد والدار السلطانيّة، وغير ذلك، فأمر الناصر من ساعته بالبناء والعمل، وسُرّ بذلك، وشكره، وعاهده على وزارته إذا عاد إليه، ورجعا إلى القلعة، فقال الناصر لوزيره: إنّ هذا الرسول محبٌّ لنا، وقد أشار ببناء بِجّاية، ويريد الانتقال إلينا، فاكتب له جواب كتبه؛ ففعل.

وسار الرسول، وقد ارتاب به تميم، حيث تجدّد بناء بجاية عُقَيْب مسيره إليهم، وحضوره مع الناصر فيها، وكان الرسول قد طلب من الناصر أن يرسل معه بعض ثقاته ليشاهد الأخبار ويعود بها، فأرسل معه رسولاً[3] يثق به، فكتب معه: إنّني لمّا اجتمعتُ بتميم لم يسألني (عن شيء)[4] قبل سؤآله عن بناء بِجّاية، وقد عظُم أمرها عليه، واتّهمني، فانظر إلى من تثق به من العرب ترسلهم إلى موضع كذا، فإنّي سائرٌ إليهم مسرعاً، وقد أخذتُ عهود زَويلة وغيرها[5] على طاعتك. وسيّر الكتاب، فلمّا قرأه الناصر سلّمه إلى الوزير، فاستحسن الوزير ذلك، وشكره وأثنى عليه، وقال: لقد نصح وبالغ في الخدمة، فلا تؤخّر عنه إنفاذ العرب ليحضر معهم.

ومضى الوزير إلى داره، وكتب نسخة الكتاب، وأرسل الكتاب الذي بخطّ الرسول إلى تميم، وكتاباً منه يذكر له الحال من أوّله إلى آخره. فلمّا وقف تميم على الكتاب عجب من ذلك، وبقي يتوقّع له سبباً يأخذه به، إلاّ أنّه جعل عليه من يحرسُه

---

(١) في الأوربية: «البعض».
(٢) في (أ): «وتقرب».
(٣) في (أ): «رجلاً».
(٤) من الباريسية.
(٥) من الباريسية.

في الليل والنهار من حيث لا يشعر، فأتى بعض أولئك الحرس إلى تميم، وأخبره أنّ الرسول صنع طعاماً، وأحضر عنده الشريف الفهريَّ[1]، وكان هذا الشريف من رجال تميم وخواصّه، فأحضره تميم، فقال: كنتُ واصلاً إليك؛ وحدّثه أنّ ابن البعبع الرسول دعاني، فلمّا حضرتُ عنده قال: أنا في ذمامك، أُحبّ أن تعرّفني مع مَن أخرج من المهديّة؛ فمنعتُه من ذلك وهو خائف، فأوقفه تميم على الكتاب الذي بخطّه، وأمره بإحضاره، فأحضره الشريف[2].

فلمّا وصل إلى باب السلطان لقيه رجل بكتاب العرب الذين سيّرهم الناصر، ومعهم كتاب الناصر إليه[3] يأمره بالحضور عنده، فأخذ الكتاب وخرج الأمير تميم، فلمّا رآه ابن البعبع سقطت الكتب منه، فإذا عنوان أحدها: من الناصر بن علناس إلى فلان، فقال له تميم: من أين هذه الكتب؟ فسكت، فأخذها وقرأها، فقال الرسول ابن البعبع: العفو يا مولانا! فقال: لا عفا الله عنك! وأمر به فقُتل وغُرّقت جثّته[4].

ذكر ملك ألب أرسلان جَنْد وصَبْران[5]

في هذه السنة عبر ألب أرسلان جَيحُون، وسار إلى جَنْد وصَبْران، وهما عند بخارى، وقبر جدة سجلوق بجَنْد، فلمّا عبر النهر استقبله ملك جَنْد وأطاعه، وأهدى له هدايا جليلة، فلم يغيّر ألب أرسلان عليه شيئاً، وأقرّه على ما بيده، وعاد عنه بعد أن أحسن إليه وأكرمه، ووصل إلى كُركَانْج خُوارزم، وسار منها إلى مَرْو[6].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ابتُدىء بعمارة المدرسة النظاميّة ببغداذ[7].

---

(١) في (أ): «العميري».

(٢) من الباريسية.

(٣) من (أ).

(٤) نهاية الأرب ٢٤/٢٢٣.

(٥) في طبعة صادر ١٠/٤٩ «صيران» بمثنّاة من تحت، والمثبت من: معجم البلدان ٣/٣٩١.

(٦) تاريخ الزمان ١٠٧ (حوادث ٤٥٨ هـ.)، زبدة التواريخ ٩٦، ٩٧، العبر ٣/٢٤١، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٨٩، ٢٩٠ دول الإسلام ١/٢٦٨، تاريخ ابن الوردي ١/٣٧١، شذرات الذهب ٣/٣٠٤.

(٧) المنتظم ٨/٢٣٨ (١٦/٩١)، تاريخ دولة آل سلجوق ٣٥، المختصر في أخبار البشر ٢/١٨٥، نهاية=

وفيها انقضّ كوكب عظيم، وصار له شُعاع كثير أكثر من شُعاع القمر، وسُمع له صوت مُفزع[1].

[الوَفَيات]

وفيها توفّي محمّد بن أحمد أبو الحسين بن الآبنوسيّ[2]، روى عن الدارقَطنيّ وغيره[3].

= الأرب ٢٣/٢٣٦ و٢٦/٣٠٩، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٩٠، تاريخ ابن الوردي ١/٣٧١، البداية والنهاية ١٢/٩٢، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٦٩.

(١) المنتظم ٨/٢٤٠ و٢٤١ (١٦/٩٥ و٩٦).

(٢) انظر عن (ابن الآبنوسي) في: تاريخ بغداد ١/٣٥٦ رقم ٢٨٦، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٤٣٦، ٤٣٧.

(٣) من الباريسية.

٤٥٨
ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وأربعمائة

ذكر عهد ألب أرسلان بالسلطنة لابنه ملكشاه

في هذه السنة سار ألْب أرسلان من مرو إلى رايكان، فنزل بظاهرها، ومعه جماعة أمراء دولته، فأخذ عليهم العهود والمواثيق لولده ملكشاه بأنّه السلطان بعده، وأركبه، ومشى بين يدَيْه يحمل الغاشية.

وخلع السلطان على جميع الأمراء، وأمرهم بالخطبة له في جميع البلاد التي يحكم عليها، ففعل ذلك، وأقطعَ البلاد، فأقطع مَازَنْدَرَانَ للأمير إينانج بَيْغو؛ وبَلْخ لأخيه سليمان بن داود جُغري بك؛ وخُوارِزم لأخيه أرسلان أرغو؛ ومَرْو لابنه الآخر أرسلان شاه؛ وصَغَانيان وطَخَارِستان لأخيه إلياس؛ وولاية بَغْشُور ونواحيها لمسعود ابن أرتاش، وهو من أقارب السلطان؛ وولاية أسفرار لمودود بن أرتاش[1].

ذكر استيلاء تميم على مدينة تونس

في هذه السنة سيّر تميم، صاحب إفريقية، عسكراً كثيفاً إلى مدينة تُونُس، وبها أحمد بن خُراسان قد أظهر عليه الخلاف.

وسبب ذلك أنّ المعزّ بن باديس، أبا تميم، لمّا فارق القَيروان والمنصوريّة ورحل إلى المَهديّة، على ما ذكرناه، استخلف على القَيروان وعلى قَابِس قائد بن ميمون الصِنهاجيَّ، وأقام بها ثلاث سنين، ثم غلبته هوارة عليها، فسلّمها إليهم وخرج إلى المهديّة، فلمّا وليَ الملك تميم بن المعزّ بعد أبيه ردّه إليها، وأقام عليها إلى الآن، ثم أظهر الخلاف على تميم والتجأ إلى طاعة الناصر بن عَلناس بن حمّاد، فسيّر

---

(١) زُبدة التواريخ ٩٧، نهاية الأرب ٢٦/ ٣١٠، دول الإسلام ١/ ٢٦٩، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٩١، البداية والنهاية ١٢/ ٩٤، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٦٩.

إليه تميم الآن عسكراً كثيراً، فلمّا سمع بهم قائد بن ميمون علم أنّه لا طاقة له بهم، فترك القَيروان وسار إلى الناصر، فدخل عسكر تميم القَيروان، وخرّبوا دور القائد، وسار العسكر إلى قَابِس، وبها ابن خُراسان، فحصروه بها سنةً وشهرَيْن، ثم أطاع ابن خُراسان تميماً وصالحه.

وأمّا قائد فإنّه أقام عند الناصر، ثم أرسل إلى أمراء العرب، فاشترى منهم إمارة القَيروان، فأجابوه إلى ذلك، فعاد إليها فبنى سورها وحصنّها[١].

ذكر ملك شرف الدولة الأنبار وهَيْت وغيرهما

في هذه السنة سار شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران، صاحب الموصل، إلى السلطان ألْب أرسلان، فأقطعه الأنبار، وهَيْت، وحَربَى، والسِّنّ، والبوازيجَ، ووصل إلى بغداذ، فخرج الوزير فخر الدولة بن جهير في الموكب، فلقيه، ونزل شرف الدولة بالحريم الطاهريّ، وخلع عليه الخليفة[٢].

ذكر عدّة حوادث

في (العشر الأوّل من)[٣] جُمادى الأولى ظهر كوكب كبير، له ذُؤَابةٌ طويلة، بناحية المشرق، عرضها نحو ثلاث أذرع، وهي ممتدّة إلى وسط السماء، وبقي إلى السابع والعشرين من الشهر وغاب، ثم ظهر أيضاً آخر الشهر المذكور، عند غروب الشمس، كوكب[٤] قد استدار نوره عليه كالقمر، فارتاع الناس وانزعجوا، ولمّا أظلم الليل صار له ذوائب نحو الجنوب، وبقي عشرة أيّام ثم اضمحلّ[٥].

---

(١) نهاية الأرب ٢٤/٢٢٨، البيان المغرب ١/٢٩٩، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٩٢، تاريخ ابن خلدون ٦/٣٢٧.

(٢) تاريخ دولة آل سلجوق ٣٣، المختصر في أخبار البشر ٢/١٨٥، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٩١، تاريخ ابن الوردي ١/٣٧١، تاريخ ابن خلدون ٤/٢٦٧.

(٣) في الأوربية: «أول».

(٤) من الباريسية.

(٥) المنتظم ٨/٢٤٠، ٢٤١، (١٦/٩٥)، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٩٢، ٢٩٣، تاريخ الخلفاء ٤٢٠، شذرات الذهب ٣/٢٠٤، أخبار الدولة ٢/١٦٢.

وفيها، في جمادى الآخرة، كانت بخُراسان والجبال زلزلةٌ عظيمة، بقيت تتردّد أيّاماً، تصدّعت منها الجبال، وأهلكت خلقاً كثيراً، وانخسف منها عدّة قُرى، وخرج الناس إلى الصحراء فأقاموا هناك[1].

(وفيها، في جمادى الأولى، وقع حريق بنهر مُعَلّى، فاحترق من باب الجريد إلى آخر السوق الجديد من الجانَبين)[2].

وفيها وَلَدَت[3] صبيّةٌ بباب الأزج (ولداً برأسَيْن)[4]، ورقبتَيْن، ووجهَيْن، وأربع أيدٍ على بدنٍ واحد[5].

[الوَفيَات]

وفي جُمادى الآخرة توفّي الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقيُّ[6]، ومولده سنة سبعٍ وثمانين وثلاثمائة، وكان إماماً في الحديث والفقه على مذهب الشافعيّ، وله فيه مصنّفات أحدها «السُّنَن الكبير»، عشرة مجلّدات، وغيره من التصانيف الحسنة، وكان عفيفاً، زاهداً، ومات بنَيسابور.

وفي شهر رمضان منها تُوُفّي أبو يعلَى محمّد بن الحسين بن الفرّاء[7] الحنبليُّ،

---

(١) المنتظم ٨/ ٢٤١ (١٦/ ٩٥، ٩٦)، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٣٧، دول الإسلام ١/ ٢٦٩، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٩٢، البداية والنهاية ١٢/ ٩٣، تاريخ الخميس ٢/ ٤٠٠، كشف الصلصلة ١٧٩، شذرات الذهب ٣/ ٣٠٤.

(٢) ما بين القوسين من الباريسية. والخبر في: المنتظم ٨/ ٢٤١ (١٦/ ٩٦).

(٣) في (أ) ضبطت بضم الواو «وُلدت».

(٤) في (أ): «لها رأسان».

(٥) المنتظم ٨/ ٢٤٠ (١٦/ ٩٥)، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٣٧، تاريخ مختصر الدول ١٨٥، دول الإسلام ١/ ٢٦٩، العبر ٣/ ٢٤٢، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٩٢، مرآة الجنان ٣/ ٨١، البداية والنهاية ١٢/ ٩٣، تاريخ الخميس ٢/ ٤٠٠، تاريخ الخلفاء ٤٢٠، شذرات الذهب ٣/ ٣٠٤، أخبار الدول (الطبعة الجديدة) ٢/ ١٦٢.

(٦) انظر عن (البيهقي) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٤٣٨ ـ ٤٤١ رقم ١٩٧ وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

(٧) انظر عن (ابن الفرّاء) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٤٥٣ ـ ٤٦٣ رقم ٢١٥ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

ومولده سنة ثمانين وثلاثمائة، وعنه انتشر مذهب أحمد، رضي الله عنه، وكان إليه قضاء الحريم ببغداذ بدار الخلافة، وهو مصنّف كتاب «الصفات» أتى فيه بكلّ عجيبة، وترتيب أبوابه يدلّ على التجسيم المحض، تعالى الله عن ذلك؛ وكان ابن تميميّ الحنبليُّ يقول: لقد خَريء أبو يعلى الفرّاء على الحنابلة خِرية لا يغسلها الماء[1].

---

(١) المختصر في أخبار البشر ١٨٦/٢، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٤٦٣، تاريخ ابن الوردي ٣٧٢/١.

٤٥٩
ثم دخلت سنة تسع وخمسين وأربعمائة

ذكر عصيان ملك كَرْمان على ألب أرسلان وعوده إلى طاعته

في هذه السنة عصى ملك كَرمان، وهو قُرا أرسلان، على السلطان ألْب أرسلان.

وسبب ذلك أنّه كان له وزير جاهل سوّلت له نفسه الاستبداد بالبلاد عن السلطان، وأنّ صاحبه، إذا عصى، احتاج إلى التمسّك به، فحسّن لصاحبه الخلاف على السلطان، فأجاب إلى ذلك، وخلع الطاعة، وقطع الخطبة.

فسمع ألْب أرسلان، فسار إلى كَرمان، فلمّا قاربها وقعتْ طليعته على طليعة قُرا أرسلان، فانهزمت طليعة قُرا أرسلان بعد قتال، فلمّا سمع قرا أرسلان وعسكره بانهزام طليعتهم، خافوا وتحيّروا، فانهزموا لا يلوي أحد على آخر، فدخل قرا أرسلان إلى جِيرَفت وامتنع بها، وأرسل إلى السلطان ألب أرسلان يُظهر الطاعة ويسأل العفو عن زلّته، فعفا عنه، وحضر عند السلطان فأكرمه، وبكى وأبكى مَن عنده، فأعاده إلى مملكته، ولم يغيّر عليه شيئاً من حاله، فقال للسلطان: إنّ لي بنات تجهيزهنّ إليك، وأمورهن إليك؛ فأجابه إلى ذلك، وأعطى كلّ واحدة منهنّ مائة ألف دينار سوى الثياب والإقطاعات[1].

ثم سار منها إلى فارس فوصل إلى إصطَخْر، وفتح قلعتها، واستنزل واليها،

---

(١) في الأوربية: «والاقطعات».

فحمل إليه الوالي هدايا عظيمة جليلة المقدار من جملتها قدح فيرُوزَج، فيه مَنَوان من المسك، مكتوب عليه اسم جَمشيد الملك، وأطاعه جميع حصون فارس، وبقي قلعة يقال لها بَهَنْزَاد[1]، فسار نظام الملك إليها، وحصرها تحت جبلها، وأعطى كلّ من رمى[2] بسهم وأصاب قبضة من الدنانير، ومن رمى حجراً ثوباً نفيساً، ففتح القلعة في اليوم السادس عشر من نزوله، ووصل السلطان إليه بعد الفتح، فعظُم محلّ نظام المُلك عنده، فأعلى منزلته، وزاد في تحكيمه[3].

ذكر عدّة حوادث

في المحرّم منها تُوُفّي الأغرُّ أبو سعد، ضامن البصرة، على باب السلطان بالرَّيّ، وعُقدت البصرة وواسط على هزارسب بثلاثمائة ألف دينار[4].

وفي صفر منها وصل إلى بغداذ شرف الملك أبو سعد المستوفي، وبنى على مشهد أبي حنيفة، رضي الله عنه، مدرسة لأصحابه، وكتب الشريف أبو جعفر بن البياضيّ على القبّة التي أحدثها:

ألم تَر أنّ العِلمَ كانَ مشتّتاً[5]، فجمّعه هذا المُغيَّبُ في اللّحدِ
كذلك كانَت هذه الأرضُ مَيتةً، فأنشَرَها فضلُ[6] العَميدِ أبي سَعدِ[7]

وفيها، في جمادى الأولى، وصلت أرسلان خاتون، أخت السلطان ألب أرسلان، وهي زوجة الخليفة، إلى بغداذ، واستقبلها فخر الدولة بن جَهِير الوزير على فراسخ[8].

---

(١) في الباريسية: «بهزاد»، وفي نسخة بودليان: «بهبزاد».
(٢) في الأوربية: «رما».
(٣) زبدة التواريخ ٩٩، ١٠٠.
(٤) المنتظم ٨/٢٤٧ (١٦/١٠٣).
(٥) في المنتظم: «مضيّعا».
(٦) في المنتظم: «جود».
(٧) المنتظم ٨/٢٤٥ (١٦/١٠٠)، زبدة التواريخ ١٤٤، وفيات الأعيان ٥/٤١٤، ٤١٥، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٩٥، مرآة الجنان ٣/٨٣، البداية والنهاية ١٢/٩٥.
(٨) تاريخ دولة آل سلجوق ٣٤.

وفيها، في ذي القعدة، احترقت تربة معروف الكرخيّ، رحمة الله عليه، وسبب حريقها أنّ قيّمها كان مريضاً، فطبخ لنفسه ماء الشعير، فاتّصلت النار بخشب وبواري كانت هناك، فأحرقته واتّصل الحريق، فأمر الخليفة أبا سعد الصوفيَّ، شيخ الشيوخ، بعمارتها(١).

وفيها، في ذي القعدة، فرغت عمارة المدرسة النظاميّة، وتقرّر التدريس بها للشيخ أبي إسحاق الشيرازيّ، فلمّا اجتمع الناس لحضور الدرس، وانتظروا مجيئه، تأخّر، فطُلب، فلم يوجَدْ.

وكان سبب تأخّره أنّه لقيه صبيّ فقال له: كيف تدرّس في مكان مغصوب؟ فتغيّرت نيّته عن التدريس بها، فلمّا ارتفع النهار، وأيس الناس من حضوره، أشار الشيخ أبو منصور بن يوسف بأبي نصر بن الصبّاغ، صاحب كتاب «الشامل»، وقال: لا يجوز أن ينفصل هذا الجمع إلاّ عن مدرّس، ولم يبق ببغداذ من لم يحضر غير الوزير، فجلس أبو نصر للدرس، وظهر الشيخ أبو إسحاق بعد ذلك، ولمّا بلغ نظامَ المُلك الخبرُ أقام القيامة على العميد أبي سعد، ولم يزل يرفق بالشيخ أبي إسحاق حتّى درّس بالمدرسة، وكانت مدّة تدريس ابن الصبّاغ عشرين يوماً(٢).

وفيها، في ذي القعدة، قُتل الصُّليحيُّ، أمير اليمن، بمدينة المَهْجَم، قتله أحد أمرائها وأُقيمت الدعوة العبّاسيّة هناك، وكان قد ملك مكّة، على ما ذكرناه سنة خمسٍ وخمسين [وأربعمائة]، وأمِن الحجّاجُ في أيّامه، فأثنوا عليه خيراً، وكسا البيت بالحرير الأبيض الصينيّ، وردّ حُلى البيت إليه، وكان بنو حسن قد أخذوه وحملوه إلى اليمن، فابتاعه الصُّليحيُّ منهم(٣).

---

(١) المنتظم ٨/٢٤٦ (١٦/١٠٢).

(٢) المنتظم ٨/٢٤٦، ٢٤٧ (١٦/١٠٢، ١٠٣)، المختصر في أخبار البشر ٢/١٨٦، نهاية الأرب ٢٦/٣٠٩ (حوادث ٤٥٧ هـ.)، العبر ٣/٢٤٤، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٩٤، دول الإسلام ١/٢٠٩، تاريخ ابن الوردي ١/٣٧٢، مرآة الجنان ٣/٨٣، البداية والنهاية ١٢/٩٥، ٩٦، تاريخ الخلفاء ٤٢٠، ٤٢١، شذرات الذهب ٣/٣٠٧.

(٣) نهاية الأرب ٢٣/٢٣٧، الدرّة المضيّة ٤١٧، ٤١٨، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٩٤، البداية والنهاية ١٢/٩٦، إتعاظ الحنفا ٢/٢٧٤.

[الوَفيَات]

(وفيها توفّي محمد بن إسماعيل بن أحمد[1] أبو عليّ الطُّوسيُّ، قاضيها، وكان يلقّب العراقيّ لطول مقامه ببغداذ، وتفقّه على أبي طاهر الإسْفَرايينيّ الشافعيّ، وأبي محمّد الشاشيّ وغيرهما)[2].

---

(١) في طبعة صادر ٥٦/١٠ «عمر بن إسماعيل بن محمد»، والتصحيح من مصادر ترجمته التي ذكرتها في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٤٢.

(٢) ما بين القوسين من الباريسية.

٤٦٠

ثم دخلت سنة ستين وأربعمائة

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة كانت حرب بين شرف الدولة بن قريش وبين بني كلاب بالرَّحبة، وهم في طاعة العلويّ[١] المصريّ، فكسرهم شرف الدولة، وأخذ أسلابهم، وأرسل أعلاماً كانت معهم، عليها سِمات المصريّ، إلى بغداذ، وكُسرت، وطيف بها في البلد، وأُرسِلت الخِلع إلى شرف الدولة.

وفيها، في جمادى الأولى، كانت بفِلَسْطِينَ ومصر زلزلة شديدة خربت الرَّملةَ، وطلع الماء من رؤوس الآبار، وهلك من أهلها خمسة وعشرون[٢] (ألف نسمة)[٣] وانشقّت الصخرة بالبيت المقدّس، وعادت بإذن الله تعالى، وعاد[٤] البحر من الساحل مسيرة يوم، فنزل الناس إلى أرضه يلتقطون منه، فرجع الماء عليهم فأهلك منهم خلقاً كثيراً[٥].

وفيها، في رجب، ورد أبو العبّاس الخُوافيُّ بغداذ عميداً من جهة السلطان.

وفيها عُزل فخر الدولة بن جَهِير من وزارة الخليفة، فخرج من بغداذ إلى نور

(١) في (أ): «المستنصر».
(٢) في الأوربية: خمس وعشرين.
(٣) في (أ): «ألفاً».
(٤) في (أ): «وغاب».
(٥) تاريخ حلب (زعرور) ٣٤٧ (سويم ١٤١)، المنتظم ٨/٢٤٨ (١٦/١٠٥)، المختصر في أخبار البشر ٢/١٨٦، نهاية الأرب ٢٣/٢٣٧، ، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٩٦، العبر ٣/٢٤٦، دول الإسلام ١/٢٦٩، تاريخ ابن الوردي ١/٣٧٢، مرآة الجنان ٣/٨٤، البداية والنهاية ١٢/٩٦، وكرّر الخبر في حوادث سنة ٤٦٢ هـ. ص ٩٩، مآثر الإنافة ١/٣٤٣، إتعاظ الحنفا ٢/٢٧٧، تاريخ الخميس ٢/٤٠٠، النجوم الزاهرة ٥/٨٠، تاريخ الخلفاء ٤٢١، كشف الصلصلة ١٨٠، شذرات الذهب ٣/٣٠٨ وتكرّر الخبر في حوادث ٤٦٢ هـ. (٣/٣٠٩)، أخبار الدول (الطبعة الجديدة) ٢/١٦٢.

الدولة دُبَيْس بن مَزْيد بالفَلّوجَةِ، وأرسل الخليفة إلى أبي يعلى والد الوزير أبي شجاع يستحضره ليولّيه الوزارة، وكان يكتب لهزارسب بن بنكير، فسار، فأدركه أجله في الطريق فمات، ثم شفع نور الدولة في فخر الدولة بن جَهِير، فأُعيد إلى الوزارة سنة إحدى وستّين [وأربعمائة] في صفر[1].

وفيها كان بمصر غلاء شديد، وانقضت سنة إحدى وستّين وأربعمائة[2].

وفيها حاصر الناصر بن عَلناس مدينة الأرْبُس[3] بإفريقية ففتحها وأمّن أهلها[4].

[الوَفَيَات]

وفيها، في المحرّم، توفّي الشيخ أبو منصور عبد الملك[5] بن يوسف، ورثاه ابن الفضل وغيره من الشعراء، وعمّ مُصابه المسلمين، وكان من أعيان الزمان، فمن أفعاله أنّه تسلّم المارستان العضُديّ[6]، وكان قد دثر واستولى عليه الخراب، فجدّ في عمارته، وجعل فيه ثمانية وعشرين طبيباً، وثلاثة من الخُزّان، إلى غير ذلك، واشترى له الأملاك النفيسة[7]، بعد أن كان ليس به طبيب ولا دواء، وكان كثير المعروف والصِّلات والخير، ولم يكن يُلقّب في زمانه أحد بالشيخ[8] الأجلّ سِواه.

وفي المحرّم أيضاً توفّي أبو جعفر الطُّوسيُّ[9]، فقيه الإماميّة، بمشهد أمير المؤمنين (عليّ بن أبي طالب)[10]، عليه السلام.

---

(١) المنتظم ٨/ ٢٤٩ و٢٥٢ (حوادث ٤٦٠ و٤٦١ هـ.) (١٦/ ١٠٦ و١١١).

(٢) الدرّة المضيّة ٣٨٦، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٩٧، مرآة الجنان ٣/ ٨٤، النجوم الزاهرة ٥/ ٧٩، أخبار الدول (الطبعة الجديدة) ٢/ ١٦٢.

(٣) في (أ): «الارنيس».

(٤) البيان المغرب ١/ ٢٩٩، تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٢٩٧.

(٥) في طبعة صادر ١٠/ ٥٨ «أبو منصور بن عبدالملك»، والتصحيح من مصادر ترجمته التي ذكرتها في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٤٨٦ رقم ٢٦٠٠ وهو «عبد الملك بن محمد بن يوسف».

(٦) في (أ): «القصوي».

(٧) في الباريسية: «لنفسه».

(٨) في الباريسية: «الشيخ».

(٩) انظر عن (الطوسي) في: تاريخ الإسلام (٤٤١ ـ ٤٦٠ هـ.) ص ٤٩٠. ٤٩١ رقم ٢٦٨ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(١٠) من الباريسية.

٤٦١
ثم دخلت سنة إحدى وستين وأربعمائة

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في صفر، أُعيد فخر الدولة بن جَهِير إلى وزارة الخليفة، على ما ذكرناه، فلمّا عاد مدحه ابن الفضل فقال:

قد رجَعَ الحقُّ إلى نِصابِهِ، وأنتَ مِن كلّ الوَرَى أوْلَى بِهِ
ما كنتَ إلاّ السيفَ سلّته يدٌ، ثمّ أعادتْه إلى قِرابِهِ

وهي طويلة[١].

وفي شعبان احترق جامع دمشق. وكان سبب احتراقه أنّه وقع[٢] بدمشق حرب بين المغاربة أصحاب المصريّين والمشارقة، فضربوا داراً مجاورة للجامع بالنار، فاحترقت، واتّصلت بالجامع، (وكانت العامّة تعين المغاربة، فتركوا القتال واشتغلوا بإطفار النار من الجامع)[٣]، فعظُم الخَطْب واشتدّ الأمر، وأتى الحريق على الجامع، فدثرت محاسنه، وزال ما كان فيه من الأعمال النفيسة[٤].

---

(١) انظر بقيّتها في: المنتظم ٨/٢٥٣، ٢٥٤ (١٦/١١٢، ١١٣).

(٢) في (أ) زيادة: «للجامع».

(٣) من الباريسية.

(٤) تاريخ دمشق (مخطوطة التيمورية) ١٢/١٢، وتهذيبه ٥/٢٤، ومختصره لابن منظور ١٥/٢٥٩ رقم ٢٤٨، وذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ٩٦، وتاريخ دولة آل سلجوق ٣٧، ومرآة الزمان (في حاشية ذيل تاريخ دمشق) ٩٧، ٩٨، المختصر في أخبار البشر ٢/١٨٦، نهاية الأرب ٢٣/٢٣٨، العبر ٣/٢٤٧، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٥، دول الإسلام ١/٢٧٠، تاريخ ابن الوردي ١/٣٧٣، إتعاظ الحنفا ٢/٣٠٠، ٣٠١، تاريخ الخلفاء ٤٢١، شذرات الذهب ٣/٣٠٨، ٣٠٩، أخبار الدول ٢/٦٣.

٤٦٢

ثم دخلت سنة اثنتين وستين وأربعمائة

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة أقبل ملك الروم من القُسطنطينيّة في عسكرٍ كثيف إلى الشام، ونزل على مدينة مَنْبِج ونهبها وقتل أهلها، وهزم محمود بن صالح بن مرداس، وبني كِلاب، وابن حسّان الطائيّ، ومن معهما من جموع العرب؛ ثمّ إنّ ملك الروم ارتحل وعاد إلى بلاده، ولم يُمكنه المقام لشدّة الجوع[1].

وفيها سار أمير الجيوش بدر من مصر في عساكر كثيرة إلى مدينة صور وحصرها، وكان قد تغلّب عليها القاضي عين الدولة بن أبي عَقيل، فلمّا حصره أرسل القاضي إلى الأمير قَزلُوا[2]، مقدّم الأتراك المقيمين بالشام، يستنجده، فسار في اثني [عشر] ألف فارس، فحصر مدينة صيدا، وهي لأمير الجيوش بدر، فرحل حينئذٍ بدر، فعاد الأتراك، فعاود بدر حصر صور برّاً وبحراً سنةً، وضيّق على أهلها حتّى أكلوا الخبز كلّ رِطْلٍ بنصف دينار، ولم يبلغ غرضه فرحل عنها[3].

---

(١) تاريخ حلب (زعرور) ٣٤٧ (سويم) ١٥، المنتظم ٨/٢٥٦ (١٦/١١٦)، ذيل تاريخ دمشق ٩٨، تاريخ دولة آل سلجوق ٣٧، زبدة الحلب ٢/١٣، الدرّة المضيّة ٣٨٨، العبر ٣/٢٤٨، ٢٤٩، دول الإسلام ١/ ٢٧٠، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٧، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٧٣ (حوادث ٤٦١ هـ.)، مرآة الجنان ٣/ ٨٥، البداية والنهاية ١٢/ ٩٩، شذرات الذهب ٣/ ٣١٠.

(٢) في الباريسية: «مرلوا».

(٣) تاريخ حلب (زعرور) ٣٤٧ (سويم) ١٥، ذيل تاريخ دمشق ٩٨. أخبار مصر، لابن ميسّر ٢/ ٢٠، وفيه (صفد) بدل (صور) وهو غلط، الأعلاق الخطيرة ٢/ ١٦٥، مرآة الزمان (مخطوط) ج ١٢ ق ٢/ ورقة ١٢٣ ب، دول الإسلام ١/ ٢٧٠، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٧، إتعاظ الحنفا ٢/ ٣٠٣، وفيه اسم القاضي «علي بن عبدالله»، والصحيح: «عبدالله بن علي». وانظر كتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ص ١٢١، ١٢٢.

وفيها صارت دار ضرب الدنانير ببغداذ في يد وكلاء الخليفة، وسبب ذلك أنّ البَهْرجَ كثُر في أيدي الناس على السكك[1] السلطانيّة، وضُرب اسم وليّ العهد على الدينار[2]، وسُمّي الأميريّ، ومُنع من التعامل بسواه.

وفيها ورد رسول صاحب مكّة محمّد بن أبي هاشم، ومعه ولده، إلى السلطان ألْب أرسلان، يخبره بإقامة الخطبة للخليفة القائم بأمر الله وللسلطان بمكّة، وإسقاط خطبة العلويّ، صاحب مصر، وترك الأذان بحيّ على خير العمل، فأعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار، وخِلعاً نفيسة، وأجرى له كلّ سنة عشرة آلاف دينار، وقال: إذا فعل أمير (المدينة مُهنّا)[3] كذلك، أعطيناه عشرين ألف دينار، وكلّ سنة خمسة آلاف دينار[4].

وفيها تزوّج عميد الدولة بن جُهير بابنة نظام الملك بالرَّيّ وعاد إلى بغداذ[5].

وفيها، في شهر رمضان، توفّي تاج الملوك هزارسب بن بنكير بن عياض بأصبهان وهو عائد من عند السلطان إلى خوزستان، وكان قد علا أمره، وتزوّج بأخت السلطان، وبغى[6] على نور الدولة دُبَيْس بن مَزْيد، وأغرى السلطان به ليأخذ بلاده، فلمّا مات سار دُبَيْس إلى السلطان، ومعه شرف الدولة مُسلم، صاحب الموصل، فخرج نظام المُلك فلقِيهما، وتزوّج شرف الدولة بأخت السلطان التي كانت امرأة هزارسب، وعادا إلى بلادهما من هَمَذان[7].

وفيها كان بمصر غلاء شديد، ومجاعة عظيمة[8]، حتّى أكل الناس بعضهم

---

(١) في (أ): «السكة».

(٢) في (أ): «الدنانير».

(٣) في (أ): «بها».

(٤) تاريخ دولة آل سلجوق ٣٨، نهاية الأرب ٢٣/٢٣٨، العبر ٣/٢٤٩، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٧، ٨، مرآة الجنان ٣/٨٥، البداية والنهاية ١٢/٩٩، مآثر الإنافة ١/٣٤٧. تاريخ ابن خلدون ٣/٤٧٠، إتعاظ الحنفا ٢/٣٠٤، تاريخ الخلفاء ٤٢١، شذرات الذهب ٣/٣١٠.

(٥) تاريخ دولة آل سلجوق ٣٧.

(٦) في الأوربية: «وبغا».

(٧) تاريخ دولة آل سلجوق ٣٨.

(٨) في الباريسية: «شديدة».

بعضاً، وفارقوا الديار المصريّة، فورد بغداذ منهم خلقٌ كثير هرباً من الجوع، وورد التجار، ومعهم ثياب صاحب مصر وآلاته، نُهبت من الجوع، وكان فيها أشياء كثيرة نُهبت من دار الخلافة وقت القبض على الطائع لله سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وممّا نُهب[1] أيضاً في فتنة البساسيريّ وخرج من خزائنهم ثمانون ألف قطعة بلّور كبار، وخمسة وسبعون ألف قطعة من الديباج القديم، وأحد عشر ألف كُزَاغَند، وعشرون ألف سيف مُحَلًّى.

وقال ابنُ الفضل[2] يمدح القائم بأمر الله، ويذكر الحال بقصيدةٍ فيها:

قد عَلِمَ المِصريُّ أنّ جُنودَه[3] ... سنُو[4] يوسفٍ منها[5]، وطاعونُ عَمَوَاسِ

أقامتْ[6] به حتّى استرابَ بنفسِهِ، ... وأوجَسَ منه[7] خِيفةً أيَّ إيجاسِ[8]

في أبيات:

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي أبو الجوائز[9] الحسن بن عليّ بن محمّد الواسطيُّ، كان أديباً، شاعراً، حَسَنَ القول، فمن قوله:

واحَسْرتي[10] مِن قولِها: ... خانَ عُهودي ولَهَا

---

(١) في (أ): «وفيها نهبت».

(٢) في أخبار الدول المنقطعة ٧٥ «ابن صُرَّبَعر».

(٣) في أخبار الدول المنقطعة: «بلاده».

(٤) في أخبار الدول المنقطعة: «سني».

(٥) في تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ٩ «فيها».

(٦) في أخبار الدول المنقطعة: «أحاطت».

(٧) في أخبار الدول المنقطعة: «منهم»، وفي تاريخ الإسلام «منها».

(٨) في أخبار الدول المنقطعة: «أنجاس» وهو غلط. والبيتان في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٩.

(٩) تاريخ بغداد ٧/ ٣٩٣، المنتظم ٨/ ٢٥٨، ٢٥٩ رقم ٣٠٧ (١٦/ ١١٩، ١٢٠ رقم ٣٤٠٢)، وفيات الأعيان ٢/ ١١١، ميزان الاعتدال ١/ ٣٣٨، فوات الوفيات ١/ ١٢٩، لسان الميزان ٢/ ٢٤٠، الأعلام ٢/ ٢٠٢.

(١٠) في المنتظم: «واحربا».

وحَقِّ مَن صيّرني ... وَقفاً عليها ولَهَا
ما خطَرَت بخاطري، ... إلاّ كَسَتْني ولَهَا[1]

وتوفّي محمّد بن أحمد أبو غالب بن بِشْران[2] الواسطيُّ الأديب، وانتهت الرحلة إليه في الأدب، وله شعر، فمنه في الزهد:

يا شائداً للقصور كَهلاً ... أقصِرْ، فقَصْرُ الفَتى المماتُ
لم يجتمع شَملُ أهل قصرٍ، ... إلاّ قُصاراهُمُ[3] الشّتَاتُ
وإنّما العيشُ مثلُ ظلٍّ، ... مُنتقلٍ ما لهُ ثَباتُ[4]

وفيها توفّي القاضي أبو الحسين محمّد بن إبراهيم بن حَذْلَم[5]، قاضي دمشق؛ وأبو محمّد عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي العجائز[6]، الخطيب بدمشق.

---

(١) المنتظم ٨/ ٢٥٨ (١٦/ ١٢٠).
(٢) انظر عن (ابن بشران) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٧٠ ـ ٧٢ رقم ٥٢ وفيه حشدت مصادر ترجمته.
(٣) في المنتظم: «وقصراهم».
(٤) المنتظم ٨/ ٢٥٩ (١٦/ ١٢٠).
(٥) في طبعة صادر ١٠/ ٦٢ «حزم» وهو غلط، والتصحيح من: تاريخ دمشق (مخطوطة التيمورية) ٣٦/ ٥٣٥، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٢١/ ٣٤٣ رقم ٣٠٠، وتاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٧٢ رقم ٥٣.
(٦) انظر عن (ابن أبي العجائز) في: تاريخ دمشق (مخطوطة التيمورية) ٢١/ ٢٤٠، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ١٢/ ٣٣٦، ٣٣٧ رقم ١٣، وتاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٦٧ رقم ٤٥.

٤٦٣

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وأربعمائة

ذكر الخطبة للقائم بأمر الله والسلطان بحلب

في هذه السنة خطب محمود بن صالح بن مرداس بحلب لأمير المؤمنين القائم بأمر الله، وللسلطان ألب أرسلان.

وسبب ذلك أنّه رأى إقبال دولة السلطان، وقوّتها، وانتشار دعوتها، فجمع أهل حلب وقال: هذه دولة جديدة، ومملكة شديدة، ونحن تحت الخَوف منهم، وهم يستحلّون دماءكم لأجل مذاهبكم، والرأي أن نقيم الخطبة قبل أن يأتي[1] وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل. فأجاب المشايخ[2] [إلى] ذلك، ولبس المؤذّنون السواد، وخطبوا للقائم بأمر الله والسلطان، فأخذت العامّة حُصْرَ الجامع، وقالوا: هذه حُصر عليّ بن أبي طالب، فليأتِ أبو بكر بِحُصرٍ يصلّي عليها بالناس.

وأرسل الخليفة إلى محمود الخِلَع مع نقيب النقباء طِراد بن محمّد الزينبيّ، فلبسها[3]، ومدحه ابن سِنان الخفاجيُّ، وأبو الفتيان بن حَيّوس.

وقال أبو عبدالله بن عطيّة يمدح القائم بأمر الله، ويذكر الخطبة بحلب ومكّة والمدينة:

كم طائعٍ لك لم تجلِبْ عليه، ولم ... تَعرِفْ لِطاعتِه غيرَ التُّقى سَبَبا
هذا البشيرُ بإذعانِ الحجازِ، وذا ... داعي دمشقَ وذا المبعوثُ[4] من حَلَبا

---

(١) في (أ): «يأتينا».

(٢) في الأصل: «مشايخ».

(٣) تاريخ حلب (زعرور) ٣٤٧ (سويم) ١٥، زبدة الحلب ٢/١٦ ـ ١٨، نهاية الأرب ٢٣/٢٣٨ و٢٦/٣١٢، العبر ٣/٢٥٠، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٠، تاريخ ابن الوردي ١/٣٧٣، مرآة الجنان ٣/٨٦، مآثر الإنافة ١/٣٤٧، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٧٠، إتعاظ الحنفا ٢/٣٠٢ (حوادث ٤٦٢ هـ.) و٣٠٣، تاريخ الخلفا ٤٢١.

(٤) في (أ): «المنعوت».

ذكر استيلاء السلطان ألب أرسلان على حلب

في هذه السنة سار السلطان ألْب أرسلان إلى حلب، وجعل طريقه على ديار بكر، فخرج إليه صاحبها، نصر بن مروان، وخدمه بمائة ألف دينار، وحمل إليه إقامة عرف السلطان أنّه قسّطها على البلاد، فأمر بردّها.

ووصل إلى آمِد فرآها ثغراً منيعاً، فتبرّك[1] به، وجعل يُمِرّ يده على السور ويمسح بها صدره.

وسار إلى الرُّها فحصرها، فلم يظفر منها بطائل، فسار إلى حلب وقد وصلها نقيب النقباء أبو الفوارس طِراد بالرسالة القائمية، والخِلع، فقال له محمود، صاحب حلب: أسألك الخروج إلى السلطان، والاستعفاء[2] لي من الحضور عنده؛ فخرج نقيب النقباء، وأخبر السلطان بأنّه قد لبس الخِلع القائميّة وخطب فقال: أيّ شيء تساوي خطبتهم وهم يؤذّنون: حيّ على خير العمل؟ ولا بدّ من الحضور، ودَوْس بساطي؛ فامتنع محمود من ذلك.

فاشتدّ الحصار على البلد، وغلت الأسعار، وعظُم القتال، وزحف السلطان يوماً وقرب من البلد، فوقع[3] حجر مِنجنيق في فرسه، فلمّا عظُم الأمر على محمود خرج ليلاً، ومعه والدته منيعة بنت وثّاب النُّميريّ، فدخلا على السلطان وقالت له: هذا ولدي، فافعل به ما تحبّ. فتلقّاهما بالجميل، وخلع على محمود وأعاده إلى بلده، فأنفذ إلى السلطان مالاً جزيلاً[4].

---

(١) في (أ): «فنزل».

(٢) في الأوربية: «واستعفاء».

(٣) في الأوربية: «فوقعت».

(٤) من (أ). والخبر في: تاريخ حلب (زعرور) ٣٤٨، (سويم) ١٥، تاريخ الزمان ١٠٩، بغية الطلب (تراجم السلاجقة) ١٧، ١٨ و١٩ و٢٣ و٢٤، نهاية الأرب ٢٦/٣١٢، ٣١٣، المختصر في أخبار البشر ٢/٢٨٧، الدرّة المضية ٣٩١، ٣٩٢، دول الإسلام ١/٢٧١، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ) ص ١٠، ١١، تاريخ ابن الوردي ١/٣٧٣، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٧٠، إتعاظ الحنفا ٢/٣٠٢.

ذكر خروج ملك الروم إلى خِلاط وأسره

في هذه السنة خرج أرمانوس ملك الروم في (مائتي ألف)[1] من الروم، والفرنج، والغرب، والروس، والبجناك[2]، والكُرج[3]، وغيرهم، من طوائف تلك البلاد، فجاؤوا في تجمّل كثير، وزِيّ عظيم، وقصد بلاد الإسلام، فوصل إلى ملازكرد[4] من أعمال خِلاط. فبلغ السلطانَ ألْب أرْسلان الخبر، وهو بمدينة خُوَيّ[5] من أَذْرِبِيجان، قد عاد من حلب، وسمع ما هو ملك الروم فيه من كثرة الجموع، فلم يتمكّن من جمع العساكر لبُعدها وقُرب العدوّ، فسيّر الأثقال مع زوجته ونظام المُلك إلى همذان، وسار هو فيمن عنده من العساكر، وهم خمسة عشر ألف فارس، وجدّ في السير، وقال لهم: إنّني أقاتل محتسباً صابراً، فإنْ سلِمتُ فنعمةٌ من الله تعالى، وإنْ كانت الشهادة فإنّ ابني ملكشاه وليّ عهدي؛ وساروا.

فلمّا قارب العدوّ جعل له مقدّمة، فصادفت مقدّمته، عند خِلاط، مقدّم الروسيّة في نحو عشرة آلاف من الروم، فاقتتلوا، فانهزمت الروسيّة، وأُسر مقدّمهم، وحُمل إلى السلطان، فجدع أنفه، وأنفذ بالسلب إلى نظام المُلك، وأمره أن يرسله إلى بغداذ، فلمّا تقارب العسكران أرسل السلطان إلى ملك الروم يطلب منه المُهادنة، فقال: لا هدنة إلاّ بالرَّيّ؛ فانزعج السلطان لذلك، فقال له إمامه وفقيهه أبو نصر محمّد بن عبد الملك البخاريُّ، الحنفيُّ: إنّك تقاتل عن دينٍ وَعَدَ اللهُ بنصره وإظهاره على سائر الأديان، وأرجو أن يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح، فالقَهم يوم الجُمعة، بعد الزوال، في الساعة التي تكون الخطباء على المنابر، فإنّهم يدعون للمجاهدين بالنصر، والدعاء مقرون بالإجابة.

---

(١) في الأوربية: «مائتين ألوف».

(٢) من (أ). وفي الباريسية: «البحماك»، وفي تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١١.

(٣) قال ابن العماد الحنبلي: «الكزج بالزاي والجيم». (شذرات الذهب ٣/٣١١).

(٤) في معجم البلدان ٥/٢٠٢: منازجرد: بعد الألف زاي ثم جيم مكسورة وراء ساكنة، ودال. وأهله يقولون: منا زكرد، بالكاف. بلد مشهور من خلاط وبلاد الروم، يُعدّ في أرمينية، وأهله أرمن الروم.

(٥) في الباريسية: «خونج». وهو بلفظ تصغير خوّ. (معجم البلدان ٢/٤٠٨).

فلمّا كانت تلك الساعة صلّى بهم، وبكى السلطان، فبكى الناس لبكائه، ودعا، ودعوا معه[1]، وقال لهم: من أراد الانصراف فلينصرف، فما هاهنا سلطان يأمر ويَنهى؛ وألقى القوس والنُّشّاب، وأخذ السيف والدبّوس، وعقد ذَنَب فرسه بيده، وفعل عسكره مثله، ولبس البياض، وتحنّط، وقال: إن قُتلتُ فهذا كفني.

وزحف إلى الروم، وزحفوا إليه، فلمّا قاربهم ترجّل وعفّر وجهه على التراب، وبكى، وأكثر الدعاء، ثم ركب وحمل، وحملت العساكر معه، فحصل المسلمون في وسطهم وحجز الغبار بينهم، فقتل المسلمون فيهم كيف شاؤوا، وأنزل الله نصره عليهم، فانهزم الروم، وقُتل منهم ما لا يُحصى، حتى امتلأت الأرض بجثث القتلى، وأُسر ملك الروم، أسره بعض غلمان كوهرائين، أراد قتله ولم يعرفه، فقال له خادم[2] مع الملك: لا تقتله، فإنّه الملك.

وكان هذا الغلام قد عرضه كوهرائين على نظام المُلك، فردّه استحقاراً له، فأثنى عليه كوهرائين، فقال نظام المُلك: عسى أن يأتينا بملك الروم أسيراً؛ فكان كذلك.

فلمّا أسر الغلام الملك أحضره عند كوهرائين، فقصد السلطان وأخبره بأسر الملك، فأمر بإحضاره، فلمّا أُحضر ضربه السلطان ألْب أرسلان ثلاث مقارع بيده وقال له: ألم أُرسل إليك في الهُدنة فأبيتَ؟ فقال: دعني من التوبيخ، وافعل ما تريد! فقال السلطان: ما عزمتَ أن تفعل بي إن أسرتَني؟ فقال: أفعل القبيح. قال له: فما تظنُّ أنّني أفعل بك؟ قال: إمّا أن تقتلني، وإمّا أن تشهّرني في بلاد الإسلام، والأخرى بعيدة، وهي العفو، وقبول الأموال، واصطناعي نائباً عنك. قال: ما عزمتُ على غير هذا.

ففداه بألف ألف دينار وخمس مائة ألف دينار، وأن يرسل[3] إليه عساكر الروم أيّ وقت طلبها، وأن يطلق كلّ أسير في بلاد الروم، واستقرّ الأمر على ذلك، وأنزله في خيمة، وأرسل إليه عشرة آلاف دينار يتجهّز بها، فأطلق له جماعة من البطارقة،

---

(١) في (أ): «له».

(٢) في (أ): «خدمة».

(٣) في (أ) وتاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ) ص ١٣ «ينفذ».

وخلع عليه (من الغد)[1]، فقال ملك الروم: أين جهة الخليفة؟ فدُلّ عليها، فقام وكشف رأسه وأومأ إلى الأرض بالخدمة، وهادنه السلطان خمسين سنة، وسيّره إلى بلاده، وسيّر معه عسكراً أوصلوه إلى مأمنه، وشيّعه السلطان فرسخاً[2].

وأمّا الروم فلمّا بلغهم خبر الوقعة وثب ميخائيل على المملكة فملك البلاد، فلمّا وصل أرمانوس الملك إلى قلعة دُوقِية بلغه الخبر، فلبس الصوف وأظهر الزهد، وأرسل إلى ميخائيل يعرّفه ما تقرّر مع السلطان، وقال: إن شئتَ أن تفعل ما استقرّ، وإن شئتَ أمسكت؛ فأجابه ميخائيل بإيثار ما استقرّ، وطلب وساطته، وسؤال السلطان في ذلك.

وجمع أرمانوس ما عنده من المال[3] فكان مائتَيْ ألف دينار، فأرسله إلى السلطان، وطبق ذهب عليه جواهر بتسعين ألف دينار[4]، وحلف له أنّه لا يقدر على غير ذلك؛ ثم إنّ أرمانوس استولى على أعمال الأرمن وبلادهم. ومدح الشعراء السلطان، وذكروا هذا الفتح، فأكثروا[5].

---

(١) من (أ).

(٢) علّق ابن العبري على هذا الخبر بقوله: «هكذا رأينا هذا الخبر في نسختين أحدهما عربية والثانية فارسية، غير أن البطريرك ميخائيل المغبوط ذكر عن ان أخت السلطان هو الذي قبض على الملك وأن رجلاً كردياً وثب فقتله وأوثق الملك كأنه هو الذي أحرز الغلبة، وأن السلطان لما سأل الملك: ما كانت نيّتك أن تصنع بي لو وقعت بيدك؟ وأن ديوجنيس قال له: كنت أحرقك بالنار، فعلى ما يظهر أن عبارة كهذه لا يعقل أن يقولها ملك لملك. زِد عليه أن رجلاً كردياً لا يتيسّر له أن يقتل ابن أخت السلطان ويخطف الملك من يده مدّعياً أنه هو الذي أوثقه، إذ كان هذا الكردي يخشى أقلّه أن يفضح الملك كذبه». (تاريخ الزمان ١١١، ١١٢).

(٣) في (أ): «الأموال».

(٤) من الباريسية.

(٥) انظر عن الموقعة في: تاريخ حلب للعظيمي (زعرور) ٣٤٨ (سويم) ١٥، والمنتظم ٨/ ٢٦٠ ـ ٢٦٥ (١٦/ ١٢٣ ـ ١٢٨)، وتاريخ الفارقي ١٨٦ـ ١٩٢، وتاريخ الزمان ١١٠ ـ ١١٢، وتاريخ مختصر الدول ١٨٥، ١٨٦، وتاريخ دولة آل سلجوق ٤٠ ـ ٤٤، وتاريخ گزيدة لحمدالله مستوفي القزويني ٤٣٣، ولب التواريخ للقزويني ١٠٦، والإنباء في تاريخ الخلفاء ٢٠٠، وزبدة الحلب ٢/ ٢٧ ـ ٣٠، وبغية الطلب (تراجم السلاجقة) ١٧، و١٨ و١٩ و٢٥ و٢٦ و٣١، والأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ١/ ٣٧٦، ٣٧٧، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٨٧، وراحة الصدور ١٨٨، ١٨٩، ومرآة الزمان ٨/ ١٤٢ ـ ١٤٨، والدرّة المضيّة ٣٩٠ و٣٩٢، ونهاية الأرب ٢٦/ ٣١٣ ـ ٣١٥، وتاريخ الإسلام=

ذكر ملك أتسِز[1] الرملة وبيت المقدس

في هذه السنة قصد أتسِز بن أوق[2] الخُوَارزميُّ، وهو من أمراء السلطان ملكشاه، بلد الشام، فجمع الأتراك وسار إلى فِلَسْطِين، ففتح مدينة الرَّملة، وسار منها إلى البيت المقدّس وحصره، وفيه عساكر المصريّين، ففتحه، وملك ما يجاوِرهما من البلاد، ما عدا عَسْقَلان، وقصد دمشق فحصرها، وتابع النهب لأعمالها حتّى خرّبها، وقطع الميرة عنها، فضاق الأمر بالناس، فصبروا، ولم يمكّنوه من ملك البلد، فعاد عنه، وأدام[3] قصد أعماله وتخريبها حتّى قلّت الأقوات عندهم[4].

ذكر عدّة حوادث
[الوَفَيات]

في هذه السنة توفّي أبو القاسم عبد الرحمن بن محمّد بن أحمد بن فُوْران[5] الفوارنيُّ، الفقيه الشافعيُّ، مصنّف كتاب «الإبانة» وغيره.

وفي هذه السنة، في ذي الحجّة، توفّي الخطيب[6] أبو بكر أحمد بن عليّ بن

= (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١١ ـ ١٤، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٧٠، والنجوم الزاهرة ٥/ ٨٦، وتاريخ الخلفاء ٤٢١، ٤٢٢، والبداية والنهاية ١٢/ ١٠٠، ١٠١ (في حوادث سنة ٤٦٢ هـ.)، وشذرات الذهب ٣/ ٣١١، والسلاجقة في التاريخ والحضارة ٢٤ ـ ٢٦.

(١) يرد في المصادر: «أتسز» و«أتسِيز» و«أطسِز»، و«أقسيس». انظر: المنتقى من أخبار مصر ٢٤٢، وتاريخ مختصر الدول ١٩٢.

(٢) في (أ): «أبق» وكذا في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٤.

(٣) في الباريسية: «أقام».

(٤) ذيل تاريخ دمشق ٩٨، مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٤/ ٢٠٤، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٨٧، العبر ٣/ ٢٥٢، دول الإسلام ١/ ٢٧٣، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٤، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٧٤، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٧٣، النجوم الزاهرة ٥/ ٨٧.

(٥) انظر عن (ابن فوران) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٤٥ ـ ٤٧ رقم ١١ (في وفيات سنة ٤٦١ هـ.). وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٦) انظر عن (الخطيب البغدادي) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٨٥ ـ ١١٢ رقم ٦٤ وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

ثابت البغداذيُّ، صاحب «التاريخ» والمصنّفات الكثيرة ببغداذ، وكان إمام الدنيا، في زمانه، وممّن حمل جنازته الشيخ أبو إسحاق الشيرازيُّ.

وتوفّي أيضاً فيها، في شهر رمضان، أبو يعلى حمزة بن محمّد[١] بن الحسن[٢] بن حمزة الجعفريُّ، فقيه الإماميّة، وحسّان بن سعيد[٣] بن حسّان بن محمّد ابن عبدالله المنيعيُّ المخزوميُّ من أهل مرو الرُّوذ، كان كثير الصدقة والمعروف، والعبادة، والقنوع بالقليل من القوت، والإعراض عن زينة الدنيا وبهجتها، وكان السلاطين[٤] يزورونه ويتبرّكون به، وأكثر من بناء المساجد والخانقاهات والقناطر، وغير ذلك من مصالح المسلمين.

وتُوُفّيت أيضاً كريمة[٥] بنت أحمد بن محمّد المَرْوَزِيّة، وهي التي تروي «صحيح البخاريّ»، تُوُفّيت بمكّة، وإليها انتهى عُلُوّ الإسناد للصحيح إلى أن جاء أبو الوقت.

---

(١) في طبعة صادر ٦٨/١٠ «أبو يعلى محمد»، والمستدرك من مصادر ترجمته التي حشدتها في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٦٦، ١٦٧ رقم ١٣٣ (وفيات ٤٦٥ هـ.).

(٢) في طبعة صادر ٦٨/١٠ «الحسين»، والمثبت من الباريسية، ومن المسند لعبد الوهاب الكلابي (ملحق بمناقب أمير المؤمنين علي، لابن المغازلي) ص ٢٦٧ وفيه: أبو طالب حمزة بن محمد بن عبدالله بن محمد بن حسن».

(٣) في (أ): «سعد». والمثبت يتفق مع مصادر ترجمته التي ذكرتها في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١١٦ ـ ١١٩ رقم ٦٩.

(٤) في (أ): «يقصدونه و».

(٥) انظر عن (كريمة) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٢٥، ١٢٦ رقم ٨٤ وفيه حشدت مصادر ترجمتها.

٤٦٤

ثم دخلت سنة أربع وستين وأربعمائة

ذكر ولاية سعد الدولة كوهرائين شِحنكيّة بغداذ

في ربيع الأوّل من هذه السنة ورد إيتكين السليمانيُّ شِحنة بغداذ من عند السلطان، إلى بغداذ، فقصد دار الخلافة، وسأل العفو عنه، وأقام أيّاماً، فلم يُجَبْ إلى ذلك.

وكان سبب غضب الخليفة عليه أنّه كان قد استخلف ابنَهُ عند مسيره إلى السلطان، وجعله شِحنةً ببغداذ، فقتل أحد المماليك الداريّة، فأنفذ قميصه من الديوان إلى السلطان، ووقع الخطاب في عزله.

وكان نظام المُلك يُعنَى بالسليمانيّ، فأضاف إلى إقطاعه تكريت، فكوتب واليها، من ديوان الخلافة، بالتوقّف عن تسليمها. فلمّا رأى نظام المُلك والسلطان إصرار الخليفة على الإستقالة من ولايته شِحنكيّة بغداذ، سيّر سعد الدولة كوهرائين إلى بغداذ شِحنةً، وعزل السليمانيَّ عنها، اتّباعاً لما أمر به الخليفة القائم بأمر الله، ولمّا ورد سعد الدولة خرج الناس لتلقّيه، وجلس له الخليفة[1].

ذكر تزويج وليّ العهد بابنة السلطان

في هذه السنة أرسل الإمام القائم بأمر الله عميدَ الدولة بن جَهِير، ومعه الخِلع للسلطان ولولده ملكشاه؛ وكان السلطان قد أرسل يطلب من الخليفة أن يأذنَ في أن يجعل ولده ملكشاه وليَّ عهده، فأذِن، وسُيّرت له الخِلع مع عميد الدولة، وأمر عميد الدولة أن يخطب ابنة السلطان ألب أرسلان من سفري خاتون لوليّ العهد المقتدي بأمر الله، فلمّا حضر عند السلطان خطب ابنته، فأُجيب إلى ذلك.

---

(١) تاريخ دولة آل سلجوق ٤٥.

وعقد النكاح بظاهر نَيسابور، وكان عميد الدولة الوكيل في قبول النكاح، ونظام المُلك الوكيل من جهة السلطان في العقد، وكان النثار جواهر، وعاد عميد الدولة من عند السلطان إلى[1] ملكشاه، وكان ببلاد فارس، فلقيه بأصبهان، فأفاض عليه الخِلع، فلبسها وسار إلى والده، وعاد عميد الدولة إلى بغداذ، فدخلها في ذي الحجّة[2].

ذكر ولاية أبي الحسن بن عمّار طرابلس

في هذه السنة، في رجب، توفّي القاضي أبو طالب بن عمّار، قاضي طرابلس، وكان قد استولى عليها، واستبدّ بالأمر فيها، فلمّا توفّي قام مكانه ابن أخيه جلال الملك أبو الحسن بن عمّار، فضبط البلد أحسن ضبطٍ، ولم يظهر لفقد عمّه أثر لكفايته[3].

ذكر ملك السلطان ألب أرسلان قلعة فضلون بفارس

في هذه السنة سيّر السلطان ألْب أرسلان وزيرَهُ نظام المُلك في عسكر إلى بلاد فارس، وكان بها حصن من أمنع الحصون والمعاقل، وفيه صاحبه فضلون، وهو لا يُعطي الطاعة، فنازله وحصره، ودعاه إلى طاعة السلطان فامتنع، فقاتله فلم يبلغ بقتاله غرضاً لعلوّ الحصن وارتفاعه، فلم يطُل مقامهم عليه حتّى نادى أهل القلعة بطلب الأمان ليسلّموا الحصن إليه، فعجب الناس من ذلك.

وكان السبب فيه أنّ جميع الآبار التي بالقلعة غارت مياهها في ليلة واحدة، فقادتهم ضرورة العطش إلى التسليم، فلمّا طلبوا الأمان أمّنهم نظام المُلك، وتسلّم

---

(١) في (أ) زيادة: «السلطان».

(٢) تاريخ دولة آل سلجوق ٤٥، ٤٦.

(٣) زبدة الحلب ٢/٣٥، الأعلاق الخطيرة ج ١ ق ٢/١٠٧، المختصر في أخبار البشر ٢/١٨٨، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠) ص ١٥، تاريخ ابن الوردي ١/٣٧٥، مآثر الإنافة ١/٣٤٥، إتعاظ الحنفا ٢/٣٠٧، النجوم الزاهرة ٥/٨٩، وانظر كتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري (طبعة ثانية) ج ١/٣٧٩ ـ ٤٢٩ و٤٥٩ ـ ٤٦١، وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ١٥٥ ـ ١٦٧.

الحصن، والتجأ فضلون إلى قُلّة القلعة، وهي أعلى موضع فيها، وفيه بناء مرتفع، فاحتمى فيها، فسيّر نظام المُلك طائفة من العسكر إلى الموضع الذي فيه أهل فضلون وأقاربه ليحملوهم إليه وينهبوا مالهم، فسمع فضلون الخبر، ففارق موضعه مستخفياً فيمن عنده من الجُنْد، وسار ليمنع عن أهله، فاستقبلته طلائع نظام المُلك، فخافهم، فتفرّق مَن معه، واختفى في نبات الأرض، فوقع فيه بعض العسكر، فأخذه أسيراً، وحمله إلى نظام المُلْك، فأخذه[1] وسار به إلى السلطان فأمّنه وأطلقه[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة توفّي القاضي أبو الحسن[3] محمّد بن أحمد بن عبد الصّمد بن المهتدي بالله الخطيب بجامع المنصور، وكان قد أضرّ، ومولده سنة أربعٍ وثمانين وثلاثمائة، وكان إليه قضاء واسط، وخليفته عليها أبو محمّد بن السّمان[4].

---

(١) من (أ).

(٢) نهاية الأرب ٢٦/٣١٧، ٣١٨، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٥.

(٣) في طبعة صادر ١٠/ ٧٢ «الحسين». والتصحيح من: تاريخ بغداد ٢/٣٥٦ رقم ٢٨٧، والمنتظم ٨/ ٢٧٤، ٢٧٥ رقم ٣٢١ (١٦/ ١٤١، ١٤٢ رقم ٣٤١٦)، وتاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٥٥ رقم ١١٧، والبداية والنهاية ١٢/ ١٠٥، والنجوم الزاهرة ٥/ ٩٠.

(٤) في طبعة صادر ١٠/ ٧٢ «السمال».

٤٦٥
ثم دخلت سنة خمس وستين وأربعمائة

ذكر قتل السلطان ألب أرسلان

في أوّل هذه السنة قصد السلطان ألْب أرسلان، واسمه محمّد، وإنّما غلب عليه ألْب أرسلان ما وراء النهر، وصاحبه شمس المُلك تكين، فعقد على جَيحون جسراً وعبر عليه في نيِّف وعشرين يوماً، وعسكره يزيد على مائتَيْ ألف فارس، فأتاه أصحابه بمستحفظ قلعة يُعرف بيوسف الخوارِزميّ، في سادس شهر ربيع الأوّل، وحُمل إلى قرب سريره مع غلامَيْن، فتقدّم أن تُضرب له أربعة أوتاد وتُشدّ أطرافه إليها، فقال له يوسف: يا مخنّث! مثلي يُقتل هذه القتلة؟ فغضب السلطان ألب أرسلان، وأخذ القوس والنشّاب، وقال للغلامَيْن: خلّياه! ورماه السلطان بسهم فأخطأه، ولم يكن يخطىء سهمه، فوثب يوسف يريده، والسلطان على سُدّة، فلمّا رأى يوسف يقصده قام عن السُّدّة ونزل عنها، فعثر، فوقع على وجهه، فبرك عليه يوسف وضربه بسكّين كانت معه في خاصرته، وكان سعد الدولة واقفاً، فجرحه يوسف أيضاً جراحات، ونهض السلطان فدخل إلى خيمة أخرى، وضرب بعض الفرّاشين يوسفَ بمرزبّة على رأسه، فقتله وقطّعه الأتراك.

وكان أهل سمرقند لمّا بلغهم عبور السلطان النهر، وما فعل عسكره بتلك البلاد لا سيّما بخارى، اجتمعوا، وختموا ختماتٍ[1]، وسألوا الله أن يكفيهم أمره، فاستجاب لهم.

ولمّا جُرح السلطان قال: ما من وجهٍ قصدتُه، وعدوّ أردتُه، إلا استعنتُ بالله عليه، ولما كان أمسِ صعِدتُ على تلّ، فارتجّت الأرض تحتي من عِظَم الجيش وكثرة العسكر، فقلتُ في نفسي: أنا ملك الدنيا، وما يقدر أحدٌ عليّ،

---

(١) في الباريسية: «ختماتان».

فعجزّني[1] الله تعالى بأضعف خلقه، وأنا أستغفر الله تعالى، وأستقيله من ذلك الخاطر. فتوفّي عاشر ربيع الأوّل من السنة، فحُمل إلى مرو ودُفن عند أبيه.

ومولده سنة أربعٍ وعشرين وأربعمائة، وبلغ من العمر أربعين سنة وشهوراً، وقيل كان مولده سنة عشرينٍ وأربعمائة، وكانت مدّة ملكه منذ خُطب له بالسلطنة إلى أن قُتل تسع سنين وستّة أشهر وأيّاماً، ولمّا وصل خبر موته إلى بغداذ جلس الوزير فخر الدولة بن جَهِير للعزاء به في صحن السلام[2].

ذكر نسب ألب أرسلان وبعض سيرته

هو ألب أرسلان محمّد بن داود جُغري بك بن ميكائيل بن سلجوق، وكان كريماً، عادلاً، عاقلاً، لا يسمع السعايات، واتّسع ملكه جدّاً[3]، ودان له العالم، وبحقّ قيل له سلطان العالم.

وكان رحيم القلب رفيقاً بالفقراء، كثير الدعاء بدوام ما أنعم الله به عليه.

اجتاز يوماً بمرو على فقراء الخرائين[4]، فبكى، وسأل الله تعالى أن يغنيه من فضله.

وكان يكثر الصدقة، فيتصدّق في رمضان بخمسة عشر ألف دينار[5]، وكان في ديوانه أسماء خلْقٍ كثير من الفقراء في جميع ممالكه، عليهم الإدرارات والصلات، ولم يكن في جميع بلاده جناية ولا مصادرة، قد قنع من الرعايا بالخراج الأصليّ يؤخذ منهم كلّ سنة دفعتَيْن رفقاً بهم.

وكتب إليه بعض السُّعاة سعايةً في نظام المُلك وزيره، وذكر ما له في ممالكه من الرسوم والأموال، وتُركتْ على مصلاّه، فأخذها فقرأها، ثم سلّمها إلى نظام الملك

---

(١) في الأوربية: «فعجز بي».

(٢) انظر عن مقتل ألب أرسلان في المصادر الكثيرة التي حشدتها في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٧.

(٣) في (أ): «جيداً».

(٤) في الباريسية: «الحدائين»، وفي نسخة بودليان: «الخزايين».

(٥) زبدة التواريخ ٢٧، بغية الطلب (تراجم السلاجقة) ٣٥.

وقال له: خذ هذا الكتاب، فإنْ صدقوا في الذي كتبوه فهذّبْ أخلاقك، وأصلح أحوالك، وإنْ كذبوا فاغفر لهم زلّتهم واشغلهم[1] بمهمّ يشتغلون به عن السعاية بالناس[2].

وهذه حالة لا يُذكر عن أحد من الملوك أحسن منها.

وكان كثيراً ما يُقرأ عليه تواريخ الملوك وآدابهم، وأحكام الشريعة، ولمّا اشتهر بين الملوك حُسن سيرته، ومحافظته على عهوده، أذعنوا له بالطاعة والموافقة بعد الامتناع، وحضروا عنده من أقاصي ما وراء النهر إلى أقصى الشام.

وكان شديد العناية بكفّ الجُند عن أموال الرعيّة؛ بلغه أنّ بعض خواصّ مماليكه سلب من بعض الرستاقيّة إزاراً، فأخذ المملوك وصلبه، فارتدع الناس عن التعرّض إلى مال غيرهم.

ومناقبه كثيرة لا يليق بهذا الكتاب أكثر من هذا القدر منها.

وخلّف ألْب أرسلان من الأولاد: ملكشاه، وهو صار السلطان بعده، وإياز، وتكش، وبوري برش[3]، وتُتش[4]، وأرسلان أرغو[5]، وسارة، وعائشة، وبنتاً أُخرى[6].

ذكر ملك السلطان ملكشاه

لمّا جُرح السلطان ألْب أرسلان أوصى بالسلطنة لابنه ملكشاه، وكان معه، وأمر أن يحلف له العسكر، فحلفوا جميعهم، وكان المتولّي للأمر في ذلك نظام الملك، وأرسل ملكشاه إلى بغداذ يطلب الخطبة له، فخُطب له على منابرها، وأوصى ألْب

---

(١) من (أ).

(٢) زبدة التواريخ ٧٧، بغية الطلب ٣٥.

(٣) في الباريسية ونسخة بودليان: «برس»، وكذا في تاريخ دولة آل سلجوق ٤٩.

(٤) من (أ).

(٥) في تاريخ دولة آل سلجوق «أرغون».

(٦) انظر عن (ألب أرسلان) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٦٠ ـ ١٦٤ رقم ١٢٧ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

أرسلان ابنَهُ ملكشاه أيضاً أن يعطي أخاه قاورت[1] بك بن داود أعمال فارس وكَرمان، وشيئاً عيّنه من المال، وأن يُزَوّج[2] بزوجته؛ وكان قاورت بك بكَرمان، وأوصى أن يعطى ابنه إياز[3] بن ألْب أرسلان ما كان لأبيه داود، وهو خمسمائة ألف دينار، وقال: كلّ من لم يرض بما أوصيتُ له فقاتلوه، واستعينوا بما جعلته له على حربه.

وعاد ملكشاه من بلاد ما وراء النهر، فعبر العسكر الذي قطع النهر في نيّف وعشرين يوماً في ثلاثة أيام، وقام بوزارة ملكشاه نظام المُلك، وزاد الأجناد في معايشهم سبع مائة ألف[4] دينار، وعادوا إلى خُراسان، وقصدوا نَيسابور؛ وراسل ملكشاه جماعة الملوك أصحاب الأطراف يدعوهم إلى الخطبة له والانقياد إليه، وأقام إياز أرسلان ببَلْخ وسار السلطان ملكشاه في عساكره من نَيسابور إلى الرَّيّ.

ذكر ملك صاحب سَمَرْقَنْد مدينة تِرمِذ

في هذه السنة، في ربيع الآخر، ملك ألْتَكِين صاحب سَمَرْقَنْد مدينة تِرمِذ.

وسبب ذلك أنّه لمّا بلغه وفاة ألْب أرسلان، وعَوْد ابنه ملكشاه عن خُراسان، طمع في البلاد المجاورة له، فقصد تِرمِذ أوّل ربيع الآخر، وفتحها، ونقل ما فيها من ذخائر وغيرها إلى سَمَرقند.

وكان إياز[5] بن ألب أرسلان قد سار عن بَلخ إلى الجُوزَجَان[6]، فخاف أهل بَلخ، فأرسلوا إلى ألتِكِين يطلبون منه الأمان، فأمّنهم، فخطبوا له فيها، وورد إليها، فنهب عسكره شيئاً من أموال الناس، وعاد إلى تِرمِذ، فثار أوباش بَلْخ بجماعة من أصحابه فقتلوهم، فعاد إليهم وأمر بإحراق المدينة، فخرج إليه أعيان أهلها وسألوه

---

(١) هكذا في طبعة صادر، وطبعة دار الكتاب العربي، وبغية الطلب (تراجم السلاجقة) ص ٢٠، وفي: تاريخ الزمان ١١٣ «قاروت»، وكذا في تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٧، وفي تاريخ دولة آل سلجوق ٤٨، ونهاية الأرب ٢٦/ ٣٢١ «قاورد».

(٢) في (أ): «يتزوج»، وفي الطبعة الأوربية: «زُوّج».

(٣) في (أ): «إياس».

(٤) من (أ).

(٥) في الباريسية: «إياز»، وفي الهامش: «إلياس»، وكذا في (أ) ونسخة بودليان.

(٦) في (أ): «الخوزجان».

الصفح، واعتذروا، فعفا عنهم، لكنّه أخذ أموال التجّار فغنم شيئاً عظيماً.

فلمّا وصل الخبر إلى إياز[1] عاد من الجُوزَجان[2] إلى بلْخ، فوصل غرّة[3] جُمادى الأولى، فأطاعه أهلُها، وسار عنها إلى تِرمِذ في عشرة آلاف فارس في الثالث والعشرين من جُمادى الآخرة، فلقِيهم عسكر ألتِكِين، فانهزم إياز[4]، فغرق من عسكره في جَيحون أكثرهم، وقُتل كثير[5] منهم، ولم ينج إلاّ القليل.

ذكر قصد صاحب غزنة سَكُلْكَنْد

وفي هذه السنة أيضاً، في جمادى الأولى، وردت طائفة كثيرة من عسكر غزنة إلى سَكُلْكَنْدَ، وبها عثمان عمّ السلطان ملكشاه، ويلقّب بأمير الأمراء، فأخذوه أسيراً، وعادوا به إلى غَزنة مع خزائنه وحَشَمه، فسمع الأمير كُمُشْتِكِين بلكابك، وهو من أكابر الأمراء، فتبع آثارهم، وكان معه أنوشتِكِين جدّ ملوك خُوارزم في زماننا، فنهبوا مدينة سَكُلْكَنْدَ.

ذكر الحرب بين السلطان ملكشاه وعمّه قاورت بك

لمّا بلغ قاورت بك، وهو بكَرمان، وفاة أخيه ألْب أرسلان سار طالباً للرَّيّ يريد الاستيلاء على الممالك، فسبقه إليها السطان ملكشاه ونظام المُلك، وسارا (منها إليه)[6]، فالتقوا بالقرب من هَمَذان في[7] شعبان، وكان العسكر يميلون إلى قاورت بك، فحملت ميسرة قاورت على ميمنة ملكشاه، فهزموها، وحمل شرف الدولة مسلم بن قُريش، وبهاء الدولة منصور بن دُبَيْس بن مَزْيد، وهما مع ملكشاه، ومن معهما من العرب والأكراد، على ميمنة قاورت بك فهزموها، وتمّت الهزيمة على

---

(١) في الأصل: «إلياس» وهو غلط.
(٢) في (أ): «الخوزجان».
(٣) في (أ): «إلى غزنة».
(٤) في الأصل: «إلياس».
(٥) من (أ).
(٦) في الباريسية: «فيها».
(٧) في (أ): «رابع».

أصحاب قاورت بك، ومضى المنهزمون من أصحاب السلطان ملكشاه إلى حِلَل شرف الدولة، وبهاء الدولة، فنهبوها غيظاً منهم، حيث هزموا عسكر قاورت بك، ونهبوا أيضاً ما كان لنقيب النقباء طِراد بن محمّد الزينبيّ رسول الخليفة[1].

وجاء رجل سواديّ إلى السلطان ملكشاه، فأخبره أنّ عمّه قاورت بك في بعض القُرى، فأرسل مَنْ أخذه وأحضره، فأمر سعد الدولة كوهرائين فخنقه، وأقرّ كرمان بيد أولاده، وسيّر إليهم الخِلع، وأقطع العرب والأكراد إقطاعات[2] كثيرة لِما فعلوه في الوقعة.

وكان السبب في حضور شرف الدولة، وبهاء الدولة، عند ملكشاه، أنّ السلطان ألْب أرسلان كان ساخطاً على شرف الدولة، فأرسل الخليفة نقيب النقباء طِراد بن محمّد الزينبيَّ إلى شرف الدولة بالموصل، فأخذه وسار به إلى ألب أرسلان ليشفع فيه عند الخليفة، فلمّا بلغ الزاب وقف على ملطّفاتٍ كتبها وزيره أبو جابر بن صقلاب، فأخذه شرف الدولة فغرّقه، وسار مع طِراد، فبلغهما الخبر بوفاة ألْب أرسلان، ومسير ابنه ملكشاه، فتمّما إليه.

وأمّا بهاء الدولة فإنّه كان قد سار بمالٍ أرسله به أبوه إلى السلطان، فحضر الحرب[3] بهذا السبب.

ذكر تفويض الأمور إلى نظام الملك

ثم إنّ عسكر ملكشاه بسطوا[4] ومدّوا أيديهم في أموال الرعيّة، وقالوا: ما يمنع السلطان أن يعطينا الأموال إلاّ نظام المُلك، فنال الرعيّة أذًى شديدٌ، فذكر ذلك نظام المُلك للسلطان، فبيّن له ما في هذا الفعل من الوهن، وخراب البلاد، وذهاب السياسة، فقال له: افعلْ في هذا ما تراه مصلحة! فقال له نظام المُلك: ما يمكنني أن أفعل إلاّ بأمرك.

---

(١) انظر: زبدة التواريخ ١٢٢، ١٢٣، والمنتظم ٨/ ٢٧٧ (١٦/ ١٤٥، ١٤٦)، وتاريخ دولة آل سلجوق ٥٠، ومرآة الزمان ٨/ ١٦١.

(٢) في الأوربية: «إقطعات».

(٣) من (أ).

(٤) في (أ): «تبسطوا».

فقال السلطان: قد رددتُ الأمور كلّها كبيرها وصغيرها إليك، فأنت الوالد؛ وحلف له، وأقطعه إقطاعاً زائداً على ما كان، من جملته طُوس مدينة نظام المُلك، وخلع عليه، ولقّبه ألقاباً من جملتها: أتابَك، ومعناه الأمير الوالد، فظهر من كفايته، وشجاعته، وحُسن سيرته ما هو مشهور، فمن ذلك أنّ امرأة ضعيفة استغاثت به، فوقف يكلّمها وتكلّمه، فدفعها[١] بعض حجّابه، فأنكر ذلك عليه وقال: إنّما استخدمتُك لأمثال هذه، فإنّ الأمراء والأعيان لا حاجة بهم إليك؛ ثم صرفه عن حجابته[٢].

ذكر قتل ناصر الدولة بن حمدان

في هذه السنة قُتل ناصر الدولة أبو عليّ الحسن[٣] بن حمدان، وهو من أولاد[٤] ناصر الدولة بن حمدان، بمصر، وكان قد تقدّم فيها تقدّماً عظيماً.

ونذكر هاهنا الأسباب الموجبة لقتله، فإنّها تتبع بعضها بعضاً، وفي حروب وتجارب، وكان أوّل ذلك انحلال أمر الخلافة، وفساد أحوال المستنصر بالله العلويّ، صاحبها، وسببه أنّ والدته كانت غالبةً على أمره، وقد اصطنعتْ أبا سعيد إبراهيم التُّستَريَّ[٥] اليهوديَّ، وصار وزيراً لها، فأشار عليها بوزارة أبي نصر الفلاحيّ، فولّته الوزارة، واتّفقا مدّةً، ثم صار الفلاحيُّ ينفرد بالتدبير، فوقع بينهما وحشة، فخافه الفلاحيُّ أن يُفسد أمرَه مع أمّ المستنصر، فاصطنع الغلمان الأتراك، واستمالهم، وزاد في أرزاقهم، فلمّا وثق بهم وضعهم على قتل اليهوديّ، فقتلوه، فعظُم الأمر على أمّ المستنصر، وأغرت به ولدها، فقبض عليه، وأرسلت من قتله تلك الليلة، وكان بينهما في القتل تسعة أشهر.

ووزَر بعده أبو البركات حسن بن محمّد، فوضعه على الغلمان الأتراك فأفسد

---

(١) في طبعة صادر ١٠/ ٨٠ «فدفعه».

(٢) في الأوربية: «حجبته». والخبر في: المنتظم ٨/٢٧٨ (١٦/١٤٦).

(٣) في (أ): «الحسين»، والمثبت في نهاية الأرب ٢٨/٢٢٦، واتعاظ الحنفا ٢/٢٧٣.

(٤) في (أ): «أحفاد».

(٥) في الباريسية: «المشري».

أحوالهم، وشرع يشتري العبيد للمستنصر، واستكثر منهم، فوضعته أمّ المستنصر ليُغري العبيد المجرّدين[1] بالأتراك، فخاف عاقبة ذلك، وعلم أنّه يورث شرّاً وفساداً، فلم يفعل، فتنكّرت له، وعزلتْه عن الوزارة.

ووليَ بعده الوزارة أبو محمّد اليازوريُّ من قرية من قُرى الرملة اسمُها يازور، فأمرته أيضاً بذلك، فلم يفعل، وأصلح الأمور إلى أن قُتل.

ووزر بعده أبو عبدالله الحسين بن البابليّ، فأمرته بما أمرتْ به غيره من الوزراء من إغراء العبيد بالأتراك، ففعل، فتغيّرتْ نيّاتهم.

ثم إنّ المستنصر ركب ليشيّع الحجّاج، فأجرى بعض الأتراك فرسه، فوصل به إلى جماعة العبيد المحدَثين، وكانوا يحيطون بالمستنصر، فضربه أحدهم فجرحه، فعظُم ذلك على الأتراك ونشبت بينهم الحرب، ثمّ اصطلحوا على تسليم الجارح[2] إليهم، واستحكمت العداوة، فقال الوزير للعبيد: خذوا حِذْركم؛ فاجتمعوا في محلّتهم.

وعرف الأتراك ذلك، فاجتمعوا إلى مقدّميهم، وقصدوا ناصر الدولة بن حمدان، وهو أكبر قائد بمصر، وشكوا إليه، واستمالوا المصامدة، وكُتامة، وتعاهدوا، وتعاقدوا، فقوي الأتراك، وضعُف العبيد المحدَثون، فخرجوا من القاهرة إلى الصّعيد ليجتمعوا هناك، فانضاف إليهم خلْقٌ كثير يزيدون على خمسين ألف فارس وراجل، فخاف الأتراك وشكوا إلى المستنصر، فأعاد الجواب أنّه لا عِلم له بما فعل العبيد، وأنّه لا حقيقة له، فظنّوا قوله حيلة عليهم.

ثم قوي الخبر بقرب العبيد منهم بكثرتهم، فأجفل الأتراك، وكُتامة، والمصامدة[3]، وكانت عدّتهم ستّة آلاف، فالتقوا بموضع يُعرف بكَوْمِ الريشِ، واقتتلوا، فانهزم الأتراك ومن معهم إلى القاهرة، وكان بعضهم قد كمن في خمسمائة فارس، فلمّا انهزم الأتراك خرج الكمين على ساقة العبيد ومن معهم، وحملوا عليهم

---

(١) من (أ).
(٢) في (أ): «الخارج».
(٣) من (أ).

حملة منكرة، وضربت البوقات، فارتاع العبيد، وظنّوها مكيدةً من المستنصر، وأنّه قد ركب في باقي العسكر، فانهزموا، وعاد عليهم الأتراك وحكّموا فيهم السيوف، فقتل منهم وغرق[1] نحو أربعين ألفاً وكان يوماً مشهوداً.

وقويت نفوس الأتراك، وعرفوا حُسن رأي المستنصر فيهم، وتجمّعوا، وحشدوا، فتضاعفت عدّتهم، وزادت واجباتهم للإنفاق فيهم، فخلت الخزائن، واضطربت الأمور، وتجمّع باقي العسكر من الشام وغيره إلى الصّعيد، فاجتمعوا مع العبيد، فصاروا خمسة عشر ألف فارس وراجل، وساروا إلى الجِيزة، فخرج عليهم الأتراك ومن معهم، واقتتلوا في الماء عدّة أيّام، ثم عبر الأتراك النيل إليهم مع ناصر الدولة بن حمدان، فاقتتلوا، فانهزم العبيد إلى الصّعيد، وعاد ناصر الدولة والأتراك منصورين.

ثم إنّ العبيد اجتمعوا بالصّعيد في خمسة عشر ألف فارس وراجل، فقلق الأتراك لذلك، فحضر مقدّموهم دار المستنصر لشكوى حالهم، فأمرتْ أمّ المستنصر مَنْ عندها من العبيد بالهجوم[2] على المقدّمين والفتك بهم، ففعلوا ذلك، وسمع ناصر الدولة[3] الخبر، فهرب إلى ظاهر البلد، واجتمع الأتراك إليه، ووقعت الحرب بينهم وبين العبيد، ومن تبِعهم من مصر، والقاهرة، وحلف الأمير ناصر الدولة بن حمدان أنّه لا ينزل عن فرسه ولا يذوق طعاماً، حتّى ينفصل الحال بينهم، فبقيت الحرب ثلاثة أيّام، ثم ظفر بهم ناصر الدولة، وأكثر القتل فيهم، ومن سلِم هرب، وزالت دولتهم من القاهرة.

وكان بالإسكندريّة جماعة كثيرة من العبيد، فلمّا كانت هذه الحادثة طلبوا الأمان، فأُمّنوا[4] وأُخذت منهم الإسكندريّة، وبقي العبيد الذين بالصّعيد[5].

---

(١) في الباريسية: «وعرض».

(٢) في الباريسية: «بالحرم».

(٣) ساقطة من (أ).

(٤) في الأوربية: «فأومنوا».

(٥) أخبار مصر لابن ميسّر ٢/١٣، نهاية الأرب ٢٨/٢٢٧ (سنة ٤٥٩ هـ.)، العبر ٣/٢٥٧، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٨، ١٩، دول الإسلام ١/٢٧٥، تاريخ ابن الوردي ١/٣٧٦، إتعاظ الحنفا ٢/٢٧٣ و٢٧٥ (سنة ٤٥٩ و٤٦٠ هـ.).

فلمّا خلت الدولة للأتراك طمعوا في المستنصر، وقلّ ناموسه عندهم، وطلبوا الأموال، فخلت الخزائن، فلم يبق فيها شيء البتّة، واختلّ ارتفاع الأعمال، وهم يطالبون، واعتذر المستنصر بعدم الأموال عنده، فطلب ناصر الدولة العُرُوض، فأُخرجت إليهم، وقُوّمت بالثمن البخْس، وصُرفت إلى الجُند؛ قيل إنّ واجب الأتراك كان في الشهر عشرين ألف دينار، فصار الآن في الشهر أربعمائة ألف دينار[١].

وأمّا العبيد بالصّعيد فإنّهم أفسدوا، وقطعوا الطريق، وأخافوا السبيل، فسار إليهم ناصر الدولة في عسكرٍ كثير، فمضى العبيد من بين يدَيْه إلى الصعيد الأعلى، فأدركهم، فقاتلهم، وقاتلوه، فانهزم ناصر الدولة منهم وعاد إلى الجيزة[٢] بمصر، واجتمع إليه مَن سلم من أصحابه، وشغبوا على المستنصر، واتّهموه بتقوية العبيد والميل إليهم. ثم جهّزوا جيشاً وسيّروه إلى طائفة من العبيد بالصعيد، وقاتلوهم، فقُتلت تلك الطائفة من العبيد، فوهن الباقون، وزالت دولتهم.

وعظُم أمر ناصر الدولة، وقويت شوكته، وتفرّد بالأمر دون الأتراك، فامتنعوا من ذلك، وعظُم عليهم، وفسدت نيّاتهم له، فشكوا ذلك إلى الوزير، وقالوا: كلّما خرج من الخليفة مالٌ أخذ أكثره له ولحاشيته، ولا يصل إلينا منه إلاّ القليل. فقال الوزير: إنّما وصل إلى هذا وغيره بكم، فلو فارقتموه لم يتمّ له أمر. فاتّفق رأيهم على مفارقة ناصر الدولة، وإخراجه من مصر، فاجتمعوا، وشكوا إلى المستنصر، وسألوه أن يخرج عنهم ناصر الدولة، فأرسل إليه يأمره بالخروج، ويتهدّده إن لم يفعل، فخرج من القاهرة إلى الجيزة، ونُهبت داره ودُور حواشيه وأصحابه.

فلمّا كان الليل دخل ناصر الدولة مستخفياً إلى القائد المعروف بتاج الملوك شاذي، فقبّل رجله، وقال: اصطنعني! فقال: أفعل؛ فحالفه على قتل مقدّم من الأتراك اسمه إلْدِكْز، والوزير الخطير، وقال ناصر الدولة لشاذي: تركب في أصحابك، وتسير بين القصرَيْن، فإذا أمكنتك الفرصة فيهما[٣] فاقتلهما.

---

(١) يجعل النويري هذه الحوادث في سنة ٤٦٠ هـ. (نهاية الأرب ٢٨/٢٢٧). وكذا المقريزي في اتعاظ الحنفا ٢/ ٢٧٥ و٢٧٦.

(٢) في الأصل: «الحيرة».

(٣) في الأوربية: «فيها».

وعاد ناصر الدولة إلى موضعه إلى الجيزة. وفعل شاذي ما أمره، فركب إِلْدِكْز إلى القصر، فرأى شاذي في جَمْعه، فأنكره، وأسرع فدخل القصر، ففاته، ثم أقبل الوزير في موكبه، فقتله شاذي، وأرسل إلى ناصر الدولة يأمره بالركوب، فركب إلى باب القاهرة، فقال إِلْدِكْز للمستنصر: إن لم تركب، وإلاّ هلكتَ أنت ونحن. فركب، ولبس سلاحه، وتبِعه خلق عظيم من العامّة والجُند، واصطفّوا للقتال، فحمل الأتراك على ناصر الدولة فانهزم، وقُتل من أصحابه خلق كثير، ومضى منهزماً على وجهه لا يلوي على شيء، وتبِعه فلُّ أصحابه، فوصل إلى بني سِنبِس، فأقام عندهم وصاهرهم فقوي بهم.

وتجهّزت العساكر إليه ليبعدوه، فساروا حتّى قربوا منه، وكانوا ثلاث طوائف، فأراد أحد المقدّمين أن يفوز بالظَّفَر وحده دون أصحابه، فعبر فيمن معه إلى ناصر الدولة، وحمل عليه فقاتله، فظفر به ناصر الدولة، فأخذه أسيراً، وأكثر القتل في أصحابه، وعبر العسكر الثاني، ولم يشعروا بما جرى على أصحابهم، فحمل ناصر الدولة عليهم، ورفع رؤوس القتلى على الرماح، فوقع الرعب في قلوبهم، فانهزموا وقُتل أكثرهم، وقويت نفس ناصر الدولة.

وعبر العسكر الثالث، فهزمه وأكثر القتل فيهم، وأسر مقدّمهم، وعظُم أمره، ونهب الريف فأقطعه، وقطع الميرة عن مصر برّاً وبحراً، فغلت الأسعار بها، وكثُر الموت بالجوع، وامتدّت أيدي الجُند بالقاهرة إلى النهب والقتل، وعظم الوباء حتى إنّ أهل البيت الواحد كانوا يموتون كلّهم في ليلة واحدة.

واشتدّ الغلاء، حتّى حُكي أنّ امرأة أكلت رغيفاً بألف دينار، فاستُبعد ذلك، فقيل: إنّها باعت عُروضاً قيمتها ألف دينار بثلاثمائة دينار، واشترت بها حنطة، وحملها الحمّال على ظهره، فنُهبت الحنطة في الطريق، فنُهبت هي مع الناس، فكان الذي حصل[١] لها ما عملته رغيفاً واحداً[٢].

وقطع ناصر الدولة الطريق برّاً وبحراً، فهلك العالم، ومات أكثر أصحاب

---

(١) في نسخة بودليان «فصل».

(٢) نهاية الأرب ٢٨/ ٢٣٤، العبر ٣/ ٢٥٧، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٩، ٢٠، مرآة الجنان ٣/ ٨٩، ٩٠، تاريخ الخلفاء ٤٢٢، شذرات الذهب ٣/ ٢٩٩ و٣١٨.

المستنصر، وتفرّق كثير منهم، فراسل الأتراك من القاهرة ناصر الدولة في الصُّلح، فاصطلحوا على أن يكون تاج الملوك شاذي نائباً عن ناصر الدولة بالقاهرة، يحمل المال إليه، ولا يبقى[(١)] معه لأحدٍ حكم.

فلمّا دخل تاج الملوك إلى القاهرة تغيّر عن القاعدة، واستبدّ بالأموال دون ناصر الدولة، ولم يرسل إليه منها شيئاً، فسار ناصر الدولة إلى الجيزة، واستدعى إليه شاذي وغيره من مقدّمي الأتراك، فخرجوا إليه إلاّ أقلّهم، فقبض عليهم كلّهم، ونهب ناحيتَيْ مصر، وأحرق كثيراً منهما[(٢)]، فسيّر إليه المستنصر عسكراً فكبسوه، فانهزم منهم ومضى هارباً، فجمع جمعاً، وعاد إليهم فقاتلهم فهزمهم، وقطع خطبة المستنصر بالإسكندريّة ودمياط، وكانا معه، وكذلك جميع الريف، وأرسل إلى الخيلفة ببغداذ يطلب خِلعاً ليخطب له بمصر[(٣)].

واضمحلّ أمر المستنصر، وبطل ذكره، وتفرّق الناس من القاهرة، وأرسل ناصر الدولة إليه أيضاً يطلب المال، فرآه الرسول جالساً على حصير، وليس حوله غير ثلاثة خَدَم، ولم ير الرسول شيئاً من آثار المملكة، فلمّا أدّى الرسالة قال: أما يكفي ناصر الدولة أن أجلس في مثل هذا البيت على مثل هذا الحصير؟ فبكى الرسول، وعاد إلى ناصر الدولة فأخبره الخبر، فأجرى له كلّ يوم مائة دينار، وعاد إلى القاهرة، وحكم فيها، وأذلّ السلطان وأصحابه[(٤)].

وكان الذي حمله على ذلك أنّه كان يُظهر التَّسَنُّن من بين أهله، ويعيب المستنصر، وكان المغاربة كذلك فأعانوه على ما أراد، وقبض على أمّ المستنصر، وصادرها بخمسين ألف دينار، وتفرّق عن المستنصر أولاده وكثيرٌ من أهله إلى الغرب، وغيره[(٥)] من البلاد، فمات كثير منهم جوعاً[(٦)].

---

(١) في الأصل: «أنه ما»، والمثبت من (أ).

(٢) في الأوربية: «كثير منها».

(٣) تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢١، إتعاظ الحنفا ٢/٣٠٦.

(٤) في (أ): «وأهانه».

(٥) في الأوربية: «وغيرها».

(٦) أخبار الدول المنقطعة ٧٣ ـ ٧٥، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢١، إتعاظ الحنفا ٢/٢٧٩، ٢٨٠.

وانقضت سنة أربعٍ وستّين [وأربعمائة] وما قبلها بالفِتن. وانحطّ السعر سنة خمسٍ وستّين، ورخصت الأسعار، وبالغ ناصر الدولة في إهانة المستنصر، وفرّق عنه عامّة أصحابه، وكان يقول لأحدهم: إنّني أُريد أن أوليّك عمل كذا؛ فيسير إليه، فلا يمكّنه من العمل ويمنعه من العَود، وكان غرضه بذلك (أن يخطب)[1] للخليفة القائم بأمر الله، ولا يمكنه مع وجودهم، ففطن لِفعله قائد كبير من الأتراك اسمه إلْدِكْز، وعلم أنّه متى ما تمّ ما أراد تمكّن منه ومن أصحابه، فأطْلع على ذلك غيره من قوّاد الأتراك، فاتّفقوا على قتل ناصر الدولة، (وكان قد أمن لقوّته، وعدم عدوّه)[2]، فتواعدوا ليلةً على ذلك، فلمّا كان سَحَر الليلة التي تواعدوا فيها على قتله جاؤوا إلى باب داره، وهي (التي تُعرف بمنازل العزّ[3]، وهي)[4] على النيل، فدخلوا، من غير استئذان، إلى صحن داره، فخرج إليهم ناصر الدولة في رداء لأنّه كان آمناً منهم، فلمّا دنا منهم ضربوه بالسيوف، فسبّهم، وهرب منهم يريد الحرم، فلحِقوه فضربوه حتّى قتلوه، وأخذوا رأسه.

ومضى رجل منهم، يُعرف بكوكب الدولة، إلى فخر العرب، أخي ناصر الدولة، وكان فخر العرب كثير الإحسان إليه، فقال للحاجب: استأذن لي على فخر العرب، وقُلْ صنيعتك فلان على الباب، فاستأذن له؛ فأذِن له وقال: لعلّه قد دهمه أمر. فلمّا دخل عليه أسرع نحوه كأنّه يريد السلام عليه، وضربه بالسيف على كتفه، فسقط إلى الأرض، فقطع رأسَه، وأخذ سيفه، وكان ذا قيمةٍ وافرة، وأخذ جاريةً له أردفها خلفه، وتوجّه إلى القاهرة؛ وقُتل أخوهما تاج المعالي، وانقطع ذِكر الحمدانيّة بمصر بالكلّيّة[5].

فلمّا كان سنة ستّ[6] وستّين وأربعمائة وليَ الأمر بمصر بدر الجماليّ، أمير

---

(١) في الأوربية: «ليخطب».

(٢) في الأوربية: «عدوّ»، وما بين القوسين من الباريسية.

(٣) منازل العزّ: دار أنشأتها تغريد أم العزيز بالله، تشريف على النيل، اتخذها الخلفاء الفاطميون متنزّهاً، وسكنها ناصر الدولة بن حمدان إلى أن قُتل. (المواعظ والاعتبار ١/ ٤٨٤ و٢/ ٣٦٤).

(٤) من الباريسية.

(٥) نهاية الأرب ٢٨/ ٢١٤ ـ ٢٣٢، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٢، إتعاظ الحنفا ٢/ ٢٧٩ و٣٠٩ و٣١٠، النجوم الزاهرة ٥/ ٩١.

(٦) في (أ): «سبع».

الجيوش، وقتل إلْدِكْزَ والوزير ابن كُدَيْنة[1]، وجماعة من المَسْلَحيّة، وتمكّن من الدولة إلى أن مات، ووليَ بعده ابنه الأفضل، وسيرد ذِكرهم إن شاء الله تعالى.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة أُقيمت الدعوة العبّاسيّة بالبيت المقدّس[2].

[الوفيات]

وفيها تُوُفيّ الأمير ليث بن منصور صدقة بن الحسين[3] بالدّامغان، والشريف أبو الغنائم[4] عبد الصّمد بن عليّ بن محمّد بن المأمون ببغداذ، وكان موته في شوّال، ومولده سنة أربعٍ وسبعين وثلاثمائة، وكان عالي الإسناد في الحديث.

وفيها، في ذي الحجّة، تُوُفّي الشريف أبو الحسين محمّد بن عليّ بن [محمد بن][5] (عُبَيد[6] الله بن)[7] عبد الصّمد بن المهتدي بالله، المعروف بابن

---

(١) ابن كُدَينة هو: أحمد بن عبد الكريم بن عبد الحاكم بن أبي كدَينة أبو أحمد الفارقي المعروف بأبي يعلى العِرقي الملقّب جلال الملك. من أهل عِرقة القريبة من طرابلس الشام، ومن أسرة عبد الحاكم الفارقي الذي ولي قضاء طرابلس. كان يتنقل بين القضاء والوزارة: انظر عنه في: الإشارة ٥٠، وأخبار مصر ٢/ ١٢ ـ ١٦، وأخبار الدول المنقطعة ٨٠، ٨١، واتعاظ الحنفا ٢/ ٢٧١ و٢٧٢ و٢٧٤ و٢٧٦ و٢٩٦ و٣٣٣، وكتابنا: موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ١/ ٣١٥، ٣١٦ رقم ١٣٩، وكتابنا لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين (التاريخ الحضاري) موضوع: القضاء.

(٢) انظر: الدرّة المضيّة ٣٩٨.

(٣) هكذا في الأصول والمطبوع، وأعتقد أن العبارة فيها وهْم، فصدقة بن الحسين مقحم هنا لأنه لم يكن قد وُلد بعد، فهو وُلد سنة ٤٩٧ هـ. وتوفي ٥٧٣ هـ. أما الأمير «ليث بن منصور» فلم أقف على ترجمته.

(٤) انظر عن (أبي الغنائم) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٦٩، ١٧٠ رقم ١٣٨ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) إضافة على الأصل والمطبوع.

(٦) في طبعة صادر ١٠/ ٨٨ «عبد» والتصحيح من مصادر ترجمته التي حشدتها في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٨٦ ـ ١٨٨ رقم ١٥٧.

(٧) ما بين القوسين من الباريسية.

الغريق، وكان يسمّى راهب بني العبّاس، وهو آخر من حدّث عن الدّارَقُطْنيّ، وابن شاهين، وغيرهما[1]، وكان موته ببغداذ.

وفيها قُتل ناصر الدولة أبو عليّ الحسين[2] بن حمدان بمصر، قتله إلْدِكْز التركيُّ، وقد تقدّم شرحه مستوفًى.

وفيها توفّي الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القُشيريُّ[3]، النَّيسابوريُّ، مصنّف «الرسالة» وغيرها، وكان إماماً، فقيهاً، أُصوليّاً، مفسّراً، كاتباً، ذا فضائل جمّة، وكان له فرس قد أُهدي إليه، فركبه نحو عشرين سنة، فلمّا مات الشيخ لم يأكل الفرس شيئاً فعاش أسبوعاً ومات.

وفيها أيضاً توفّي عليُّ بن الحسن بن عليّ بن الفضل أبو منصور، الكاتب المعروف بابن صُرّبَعْر، وكان نظام المُلك قال له أنت ابن صُرّدُرّ[4]، لا صُرّ بعر، فبقي ذلك عليه، وهو من الشعراء المُجِيدين، وهجاه ابن البياضيّ فقال:

لئـن نَبَـزَ النـاسُ قِـدمـاً أبـاك، فسمَّـوه مـن شَعْـره صُـرّ بَعْـرا
فـإنّـك تَنظِـمُ مـا صَـرَّهُ عُقـوقـاً لـهُ، وتُسمّيـهِ شِعْـرا[5]

وهذا ظلم من ابن البياضيّ، فإنّه كان شاعراً محسناً، ومن شِعر ابن صرّ دُرّ قوله:

تـزاوَرْنَ عـن أذرِعـاتٍ يمينـا، نـواشِـزَ ليـسَ[6] يُطِقـنَ[7] البُـرِينَـا

---

(١) من (أ).
(٢) في الباريسية: «الحسن»، والمثبت يتفق مع مصادر ترجمته التي حشدتها في تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٦٥ رقم ١٣١.
(٣) انظر عن (القشيري) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٧٠ ـ ١٧٦ رقم ١٤٠ وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.
(٤) انظر عن (صُرَّدُرّ) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٧٦ ـ ١٧٨ رقم ١٤٢ وفيه حشدت مصادر ترجمته.
(٥) البيتان بألفاظ مختلفة في: المنتظم ٨/ ٢٨١ (١٦/ ١٤٩، ١٥٠)، والبداية والنهاية ١٢/ ١٠٨.
(٦) في تاريخ الإسلام: «لسن».
(٧) في الباريسية: «يطعن».

كَلِفْـــنَ بنَجــدٍ، كـــأن الــرِّيـــاض ... أخـــذْنَ لنَجـــدٍ عليهـــا يمينَـــا

وأقسَمـــنَ يَحمِلـــن إلاّ نحيـــلاً ... إليـــه، ويُبلِغْـــنَ إلاّ حـــزينَـــا

فلمّـــا استمعْـــنَ زفيـــرَ المَشـــوقِ، ... ونـــوحَ الحَمـــام، تـــركْـــنَ[1] الحَنينَـــا

إذا جئتُمَـــا بـــانـــةَ الـــواديـــن، ... فـــأرْخُـــوا النُّســـوعَ، وحُلّـــوا الـــوَضِينَـــا

فثـــمَّ عـــلائـــقُ مـــن أجلِهـــنّ، ... مُـــلاء الُـــدجـــى والضُّحَـــى قـــد طُـــوينَـــا

وقـــد أنبـــأتهـــم مِيـــاهُ الجُفـــونِ ... بـــأنَّ بقَلبِـــكَ داء دَفِينَـــا[2]

(١) في تاريخ الإسلام: «تركت».

(٢) المنتظم ٨/ ٢٨١ (١٦/ ١٥٠)، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٧٧.

٤٦٦
ثم دخلت سنة ست وستين وأربعمائة

ذكر تقليد السلطان ملكشاه السلطنة والخلع عليه

في هذه السنة، في صفر، ورد كوهرائين إلى بغداذ من عسكر السلطان، وجلس له الخليفة القائم بأمر الله، ووقف على رأسه وليُّ العهد المقتدي بأمر الله، وسلّم الخليفة إلى كوهرائين عهد السلطان ملكشاه بالسلطنة، وقرأ الوزير أوّله، وسلّم إليه أيضاً لواء عقده الخليفة بيده، ولم يُمنع يومئذٍ أحدٌ من الدخول إلى دار الخلافة، فامتلأ صحن السلام بالعامّة، حتّى كان الإنسان تُهمّه نفسه ليتخلّص، وهنّأ الناس بعضُهم بعضاً بالسلامة(١).

ذكر غرق بغداذ

في هذه السنة غرق الجانب الشرقيّ وبعض الغربيّ من بغداذ.

وسببه أنّ دجلة زادت زيادة عظيمة، وانفتح القورج عند المُسَنّاة المُعِزّيّة، وجاء في الليل سيل عظيم، وطفح الماء من البرّيّة مع ريح شديدة، وجاء الماء إلى المنازل من فوق، ونبع من البلاليع والآبار بالجانب الشرقيّ، وهلك خلق كثير تحت الهدم، وشُدّت الزواريق تحت التاج خوف الغرق.

وقام الخليفة يتضرّع ويصلّي، وعليه البُردة، وبيده القضيب، وأتى أيتِكِين السليمانيُّ من عُكبرَا، فقال للوزير: إنّ الملاّحين يؤذون الناس في المعابر فأحضرهم، وتهدّدهم بالقتل، وأمر بأخذ ما جرت به العادة.

وجُمع(٢) الناس، وأقيمت الخطبة للجمعة في الطيّار مرّتين، وغرق من الجانب

---

(١) المنتظم ٨/ ٢٨٤ (١٦/ ١٥٤)، تاريخ دولة آل سلجوق ٥١.

(٢) في (أ): «وحمي».

الغربيّ مقبرة أحمد، ومشهد باب التبن، وتهدّم سوره، فأطلق شرف الدولة ألف دينار تُصرف في عمارته، ودخل الماء من شبابيك البيمارستان[1] العضُديّ.

ومن عجيب ما يحكى في هذا الغرق أنّ الناس، في العام الماضي، كانوا قد أنكروا كثرة المغنّيات والخمور، فقطع بعضهم أوتار عود مغنّية كانت عند جُنديّ، فثار به الجُنديُّ الذي كانت عنده، فضربه، فاجتمعت العامّة ومعهم كثير من الأئمة منهم أبو إسحاق الشيرازيُّ، واستغاثوا بالخليفة[2]، وطلبوا هدم المواخير والحانات[3] وتبطيلها، فوعدهم أن يكاتب السلطانَ في ذلك، فسكنوا وتفرّقوا.

ولازم كثير من الصالحين الدعاء بكشفه، فاتّفق أن غرقت بغداذ، ونال الخليفةَ والجندَ من ذلك أمرٌ عظيم، وعمّت[4] مصيبته الناسَ كافّة[5]، فرأى الشريف أبو جعفر بن أبي موسى بعض الحجّاب الذين يقولون: نحن نكاتب السلطان، ونسعى[6] في تفريق الناس، ويقول: اسكنوا إلى أن يرد الجواب. فقال له أبو جعفر: قد كتبنا، وكتبتم، فجاء جوابنا قبل جوابكم، يعني أنّهم شكوا ما حلّ بهم إلى الله تعالى، وقد أجابهم بالغرق، قبل ورود جواب السلطان[7].

ذكر ملك السلطان ملكشاه تِرمِذ والهدنة بينه وبين صاحب سَمَرقَنْد

قد ذكرنا أنّ خاقان ألتِكِين صاحب سَمَرْقَنْد ملك تِرمِذ بعد قتل السلطان ألْب أرسلان، فلمّا استقامت الأمور للسلطان ملكشاه سار إلى تِرمِذ وحصرها، وطمّ

(١) في (أ): «المارستان».
(٢) في الأوربية: «إلى الخليفة».
(٣) في الباريسية: «والخانات».
(٤) في (أ): «وعظمت».
(٥) في الأوربية: «كافّة النّاس».
(٦) في (أ): «ويسعى».
(٧) انظر عن الغرق في: المنتظم ٨/ ٢٨٤ ـ ٢٨٦ (١٦/ ١٥٤ ـ ١٥٧)، تاريخ الزمان ١١٤، ذيل تاريخ دمشق ١٠٦، تاريخ دولة آل سلجوق ٥١. الإنباء في تاريخ الخلفاء ٢٠٠، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٩٠، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٣٩، ٢٤٠، الدرة المضية ٣٩٧ و٤٠١، العبر ٣/ ٢٦١، دول الإسلام ١/ ٢٧٥، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٤، ٢٥، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٧٧، مرآة الجنان ٣/ ٩٣، البداية والنهاية ١٢/ ١٠٩، تاريخ الخلفاء ٤٢٢، شذرات الذهب ٣/ ٣٢٤، ٣٢٥.

العسكر خندقها، ورماها بالمجانيق[1]، فخاف من بها، فطلبوا الأمان فأمّنهم، وخرجوا منها وسلّموها.

وكان بها أخٌ لخاقان ألتِكِين، فأكرمه السلطان، وخلع عليه (وأحسن إليه)[2]، وأطلقه، وسلّم قلعة تِرمِذ إلى الأمير سلوتكين، وأمره بعمارتها وتحصينها وعمارة سورها بالحجر المحكَم، وحفْر خندقها وتعميقه، ففعل ذلك.

وسار السلطان ملكشاه يريد سَمَرْقَند، ففارقها صاحبها، وأنفذ يطلب المصالحة، ويضرع إلى نظام المُلك في إجابته إلى ذلك، ويعتذر من تعرّضه إلى تِرمِذ، فأُجيب إلى ذلك، واصطلحوا، وعاد ملكشاه عنه إلى خُراسان، ثم منها إلى الرَّيّ، وأقطع بلْخ وطُخارِستان لأخيه شهاب الدين تكش[3].

ذكر عدّة حوادث
[الوَفَيَات]

فيها توفّي زعيم الدولة[4] أبو الحسن بن عبد الرحيم بالنيْل فجأةً، وله سبعون سنة، وقد تقدّم من أخباره ما فيه كفاية.

وفيها توفّي إياز[5] أخو السلطان ملكشاه، وكُفي شرّه كما كُفي شرّ عمّه قاورت بك.

وفيها، في ربيع الأوّل، توفّي القاضي أبو الحسين بن أبي جعفر السِّمنانيُّ[6]

---

(١) في (أ): «بالمنجنيق».
(٢) من (أ).
(٣) زبدة التواريخ ١٢٨، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٢١، ٣٢٢، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٥، دول الإسلام ١/ ٢٧٥.
(٤) انظر عن (زعيم الدولة) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٠٧ رقم ١٨٧ وفيه مصادر ترجمته، يُضاف إليها: تاريخ دولة آل سلجوق ٥٢ وفيه «زعيم الملك».
(٥) في (أ): «إياس»، وعلى الهامش «إلياس»، وفي الباريسية: «إياز»، وفي نسخة بودليان: «إلياس».
(٦) هو: أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمود بن أعين. انظر عنه في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ١٩٢، ١٩٣ رقم ١٦٥ وفيه مصادر ترجمته.

حمو قاضي القضاة أبي عبدالله الدّامغانيّ، ووليَ ابنه أبو الحسن ما كان إليه من القضاء بالعراق والموصل، وكان مولده سنة أربع وثمانين وثلاثمائة بسمنان، وكان هو وأبوه من المغالين[1] في مذهب الأشعريّ، ولأبيه فيه تصانيف كثيرة، وهذا ممّا يُستطرف أن يكون حنفيّ أشعريّاً.

وفيها، في جمادى الآخرة، توفّي عبد العزيز [بن][2] أحمد بن محمّد بن عليّ أبو محمد الكتّانيُّ، الدمشقيُّ، الحافظ، وكان مكثراً في الحديث، ثقة، وممّن سمع منه الخطيب أبو بكر البغداذيُّ.

(١) في (أ): «المضاهين».

(٢) في طبعة صادر ١٠/٩٣ «عبد العزيز أحمد»، والمستدرك من مصادر ترجمته الكثيرة التي حشدتها في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٠٢ ـ ٢٠٤ رقم ١٨١.

٤٦٧
ثم دخلت سنة سبع وستين وأربعمائة[١]

ذكر وفاة القائم بأمر الله وذكر بعض سيرته

في هذه السنة، ليلة الخميس ثالث عشر شعبان، توفّي القائم بأمر الله أمير المؤمنين[٢]، رضي الله عنه، واسمه عبدالله أبو جعفر بن القادر بالله أبي العبّاس أحمد ابن الأمير إسحاق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العبّاس أحمد.

وكان سبب موته أنّه كان قد أصابه شَرَى، فافتصد، ونام منفرداً[٣]، فانفجر فصاده، وخرج منه دمٌ كثير ولم يشعر، فاستيقظ وقد ضعف وسقطت قوّته، فأيقن بالموت، فأحضر وليَّ العهد، ووصّاه بوصايا، وأحضر النقيبَيْن وقاضي القضاة وغيرهم مع الوزير ابن جَهِير، وأشهدهم على نفسه أنّه جعل ابن ابنه أبا القاسم عبدالله بن محمّد بن القائم بأمر الله وليَّ عهده.

ولمّا توفّي غسله الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشميُّ، وصلّى عليه المقتدي بأمر الله.

وكان عمره ستّاً[٤] وسبعين سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيّام، وخلافته أربعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر وأيّاماً[٥]؛ وقيل[٦] كان مولده ثامن[٧] عشر ذي

---

(١) العنوان من الباريسية. وفي الأصول مكانه: «ذكر خروج سكين بمصر».
(٢) انظر عن (القائم بأمر الله) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٨ وفيه حشدت عشرات المصادر لخبر وفاته. وكذا ترجمته ص ٢٢٦ ـ ٢٣١ رقم ٢١٣.
(٣) من (أ).
(٤) في الأوربية: «ستّ».
(٥) في (أ): «وخمسة وعشرين يوماً»، وفي الأوربية: «وأيام».
(٦) من (أ).
(٧) في الباريسية: «ثالث».

الحجّة[١] سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، (وعلى هذا يكون عمره ستّاً وسبعين سنة وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يوماً)[٢].

وأمّه أمّ ولد تُسمّى قَطر النَّدى، أرمنيّة، وقيل رُوميّة، أدركت خلافته، وقيل اسمها عَلَم، وماتت في رجب سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة.

وكان القائم[٣] جميلاً، مليح الوجه، أبيض، مشرباً حُمرةً، حَسَن الجسم، ورعاً، ديّناً، زاهداً، عالماً، قويّ اليقين بالله تعالى، كثير الصبر، وكان للقائم عناية بالأدب، ومعرفةٌ حسنة بالكتابة، ولم يكن يرتضي أكثر ما يكتب من الديوان، فكان يُصلح فيه أشياء، وكان مؤثِراً للعدل والإنصاف[٤] يريد قضاء حوائج الناس، لا يرى المنع من شيء يُطْلب منه.

قال محمّد بن عليّ بن عامر الوكيل: دخلتُ يوماً إلى المخزن، فلم يبق أحدٌ إلاّ أعطاني قَصّةً، فامتلأت أكمامي منها، فقلتُ في نفسي: لو كان الخليفة أخي لأعرض عن هذه كلّها، فألقيتها في بركة، والقائم ينظر ولا أشعر، فلمّا دخلتُ إليه أمر الخدم بإخراج الرقاع من البركة، فأُخرِجَت، ووقف عليها، ووقّع فيها بأغراض أصحابها، ثم قال لي: يا عامّي! ما حملك على هذا؟ فقلتُ: خوف الضجر منها؛ فقال: لا تَعُدْ إلى مثلها! فإنّا ما أعطيناهم من أموالِنا شيئاً، إنّما نحن وكلاء[٥].

ووزر للقائم أبو طالب محمّد بن أيّوب، وأبو الفتح بن دارست، ورئيس الرؤساء، وأبو نصر بن جَهِير؛ وكان قاضيه ابن ماكولا، وأبو عبدالله الدّامغانيُّ.

ذكر خلافة المقتدي بأمر الله

لمّا توفّي القائم بأمر الله بويع المقتدي بأمر الله عبدالله بن محمّد بن القائم بالخلافة، وحضر مؤيّد الملك بن نظام المُلك، والوزير فخر الدولة بن جَهِير وابنه

---

(١) في (أ): «القعدة».
(٢) من الباريسية.
(٣) من (أ).
(٤) في (أ): «والإحسان».
(٥) تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ ـ) ص ٢٣٠.

عميد الدولة، والشيخ أبو إسحاق، وأبو نصر بن الصبّاغ، ونقيب النقباء طِراد، والنقيب الطّاهر المعمّر بن محمّد، وقاضي القضاة أبو عبدالله الدامغانيُّ وغيرهم من الأعيان والأماثل، فبايعوه.

وقيل: كان أوّل من بايعه الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشميُّ، فإنّه لمّا فرغ من غسل القائم بايعه، وأنشده:

إذا سيّــدٌ منّــا مضَــى قــامَ سيّــدٌ

ثمّ أرتِج عليه، فقال المقتدي:

قَــؤولٌ بمــا قــال الكِــرامُ[1] فَعــولُ

فلمّا فرغوا من البَيعة صلّى بهم العصر.

ولم يكن للقائم من أعقابه ذَكَرٌ سواه، فإنّ الذخيرة أبا العبّاس محمّد بن القائم توفّي أيّام أبيه، ولم يكن له غيره، فأيقن الناس بانقراض نسله، وانتقال الخلافة من البيت القادريّ إلى غيره، ولم يشكّوا في اختلال الأحوال بعد القائم، لأنّ من عدا البيت القادريّ كانوا يخالطون العامّة في البلد، ويَجرون مَجرى السوقة، فلو اضطرّ الناس إلى خلافة أحدهم لم يكن له ذلك القبول، ولا تلك الهيبة، فقدّر الله تعالى أنّ الذّخيرة أبا العبّاس كان له جارية اسمها أُرجُوان، وكان يُلمّ بها، فلمّا توفّي ورأت ما نال القائم من المصيبة واستعظمه من انقراض عَقِبه، ذكرتْ أنّها حامل، فتعلّقت النفوس بذلك، فولدت بعد موت سيّدها بستّة أشهر المقتدي، فاشتدّ فرح القائم، وعظُم سروره، وبالغ [في] الإشفاق عليه والمحبّة له.

فلمّا كانت حادثة البساسيريُّ كان للمقتدي قريب أربع سنين، فأخفاه أهله، وحمله أبو الغنائم بن المَحْلَبان إلى حَرّان، كما ذكرنا، ولمّا عاد القائم إلى بغداذ أُعيد المقتدي إليه. فلمّا[2] بلغ الحُلم جعله وليَّ عهد، ولمّا وليَ الخلافة أقرّ فخرَ الدولة

---

(١) في المنتظم ٨/٢٩٣ (١٦/١٦٥) «بما قال الرجال». والمثبت يتفق مع: نهاية الأرب ٢٣/٢٤٣، وتاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٨.

(٢) في (أ) زيادة: «سمع أنه».

ابن جَهِير على وزارته بوصيّةٍ من القائم بذلك، وسيّر عميد الدولة بن فخر الدولة بن جَهِير إلى السلطان ملكشاه لأخذ البيعة، وكان مسيره في شهر رمضان، وأرسل معه من أنواع الهدايا ما يجلّ عن[1] الوصف[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في شوّال، وقعت نار ببغداذ[3] في دكّان خبّاز بنهر المعلّى، فاحترقت من السوق مائة[4] وثمانون[5] دكّاناً سوى الدور، ثمّ وقعت نار في المأمونيّة، ثم في الظفريّة، ثم في درب المطبخ، ثم في دار الخليفة، ثم في حمّام السمرقنديّ، ثم في باب الأَزَج ودَرب خُراسان[6]، ثمّ في الجانب الغربيّ في نهر طابق، ونهر القلّائين، والقطيعة، وباب البصرة، واحترق[7] ما لا يُحصى[8].

وفيها أرسل المستنصر بالله العلويُّ، صاحب مصر، إلى صاحب مكّة ابن أبي هاشم رسالة وهدية جليلة، وطلب منه أن يُعيد له الخطبة بمكّة، حرسها الله تعالى، وقال: إنّ أيمانك وعهودك كانت للقائم، وللسلطان ألْب أرسلان، وقد ماتا؛ فخطب له بمكّة وقطع خطبة المقتدي، وكانت مدّة الخطبة العبّاسيّة بمكّة أربع سنين وخمسة أشهر، ثم أُعيدت في ذي الحجة سنة ثمانٍ وستّين [وأربعمائة][9].

---

(١) في الأوربية: «من».
(٢) المنتظم ٨/٢٩٣ (١٦/١٦٦)، الإنباء في تاريخ الخلفاء ٢٠١، تاريخ دولة آل سلجوق ٥٣، ٥٤، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٩.
(٣) من (أ).
(٤) من الباريسية.
(٥) في الأوربية: «وثمانين».
(٦) في (أ): «فراسيا».
(٧) في الباريسية: «وأرسل».
(٨) المنتظم ٨/٢٩٤ (١٦/١٦٧)، مرآة الزمان (حوادث ٤٦٧ هـ.)، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٣٠، البداية والنهاية ١٢/١١١، تاريخ الخميس ٢/٤٠٠، ٤٠١.
(٩) المنتظم ٨/٢٩٤ (١٦/١٦٧)، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٩، البداية والنهاية ١٢/١١١، إتعاظ الحنفا ٢/٣١٤.

وفيها كانت حرب شديدة بين بني رياح وزُغبة ببلاد إفريقية، فقويت بنو رياح على زُغبة فهزموهم وأخرجوهم عن البلاد[1].

وفيها جمع نظام المُلك، والسلطان ملكشاه، جماعة من أعيان المنجّمين، وجعلوا النَّيروز[2] أوّل نُقطة من الحمَل، وكان النَّيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت. وصار ما فعله السلطان مبدأ التقاويم[3].

وفيها أيضاً عُمل الرَّصد للسلطان ملكشاه، واجتمع جماعة من أعيان المنجّمين في عمله منهم: عمر بن إبراهيم الخيّاميُّ، وأبو المظفّر الإسفزاريُّ، وميمون بن النجيب الواسطيُّ، وغيرهم، وخرج عليه من الأموال شيء عظيم، وبقي الرصد دائراً إلى أن مات السلطان سنة خمسٍ وثمانين وأربعمائة، فبطل (بعد موته)[4].

---

(١) البيان المغرب ١/ ٣٠٠، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٣٠.

(٢) في الباريسية: «النوروز».

(٣) المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٩١، العبر ٣/ ٢٦٣، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٣٠، شذرات الذهب ٣/ ٣٢٦.

(٤) من الباريسية.

والخبر في: المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٩١، ١٩٢، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٣٠، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٧٨، مرآة الجنان ٣/ ٩٤، البداية والنهاية ١٢/ ١١١، شذرات الذهب ٣/ ٣٢٥.

٤٦٨
ثم دخلت سنة ثمان وستين وأربعمائة

ذكر ملك أقسيس دمشق

قد ذكرنا سنة ثلاثٍ[١] وستّين [وأربعمائة] ملك أقسيس الرملة، والبيت المقدّس، وحصره مدينة دمشق، فلمّا عاد عنها جعل يقصد أعمالها كلّ سنة عند إدراك الغلّات فيأخذها، فيقوى هو وعسكره، ويضعف أهل دمشق وجُندها، فلمّا كان رمضان سنة سبْعٍ وستّين سار إلى دمشق فحصرها، وأميرها المُعَلّى بن حَيْدرة من قِبَل الخليفة المستنصر، فلم يقدر عليها، فانصرف عنها في شوّال، فهرب أميرها المُعَلّى في ذي الحجّة.

وكان سبب هربه أنّه أساء السيرة مع الجُند والرعيّة وظلمهم، فكثر الدعاء عليه، وثار به العسكر، وأعانهم العامّة، فهرب منها إلى بانياس، ثم منها إلى صور، ثم أُخِذ إلى مصر فحُبس بها، فمات محبوساً.

فلمّا هرب من دمشق اجتمعت المَصامدة، وولّوا عليهم انتصار بن يحيى المصموديّ، المعروف برزين الدولة، وغلت الأسعار بها حتّى أكل الناس بعضهم بعضاً.

ووقع الخلف بين المصامدة وأحداث البلد، وعرف أقسيس[٢] ذلك، فعاد إلى دمشق، فنزل عليها في شعبان من هذه السنة، فحصرها، فعُدمت[٣] الأقوات، فبيعت الغرارة، إذا وُجدتْ، بأكثر من عشرين ديناراً، فسلّموها إليه بأمان، (وعُوّض انتصارٌ عنها بقلعة بانياس، ومدينة يافا من الساحل)[٤]، ودخلها هو وعسكره في ذي القعدة،

---

(١) في الباريسية: «إحدى».
(٢) هكذا ورد هنا، مع أنه تقدّم قبل ذلك: «أتسِز»، ونوّهت بأنه يرد في المصادر بعدّة صِيغ.
(٣) في (أ): «فغلت».
(٤) من الباريسية.

وخطب بها يوم الجمعة لِخمسٍ[1] بقين من ذي القعدة، للمقتدي بأمر الله الخليفة العبّاسيّ، وكان آخر ما خطب فيها للعلويّين المصريّين، وتغلّب على أكثر الشام، ومنع الأذان بحيّ على خير العمل، ففرح أهلها فرحاً عظيماً، وظلم أهلها، وأساء السيرة فيهم[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ملك نصر بن محمود بن مرداس مدينة مَنبج وأخذها من الروم[3].

وفيها قدِم سعد الدولة[4] كوهرائين شِحنةً إلى بغداذ من عسكر السلطان، ومعه العميد أبو نصر ناظراً في أعمال بغداذ.

وفيها وثب الجُند بالبطيحة على أميرها أبي نصر بن الهَيثم، وخالفوا عليه، فهرب منهم، وخرج من ملكه والذخائر والأموال التي جمعها في المدّة الطويلة، ولم يصحبه من ذلك جميعه شيء، وصار نزيلاً على كوهرائين شِحنة العراق.

وفيها انفجر البثوق بالفَلّوجة، وانقطع الماء من النّيْل وغيره من تلك الأعمال من بلاد دُبَيْس بن مَزْيد، فجلا أهل البلاد، ووقع الوباء فيهم، ولم يزل كذلك إلى أن سدّه عميد الدولة بن جَهِير سنة اثنتين وسبعين [وأربعمائة][5].

[الوَفَيات]

وفي هذه السنة توفّي أبو عليّ الحسن[6] بن القاسم بن محمّد المقري، المعروف بغلام الهرّاس الواسطيّ، بها، وكان محدّثاً علّامةً في كثير من العلوم.

---

(١) في الأوربية: «بخمس».

(٢) انظر هذا الخبر في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٣١ ـ ٣٣ وقد حشدت فيه روايات مختلفة عنه وتعليقات.

(٣) انظر خبر منبج في تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٣١ وفيه حشدت المصادر عنه.

(٤) في (أ): «الدين».

(٥) انظر: المنتظم ٨/ ٢٩٤، ٢٩٥ (١٦/ ١٦٧).

(٦) في (أ): «الحسين»، والمثبت هو الصحيح كما في مصادر ترجمته التي حشدتها في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٥٠ ـ ٢٥٣ رقم ٢٤٤.

وفي شعبان توفّي القاضي أبو الحسن[1] محمّد بن محمّد بن البيضاويّ الفقيه الشافعيُّ، وكان يدرّس الفِقه بدرب السلوليّ بالكرْخ، وهو زوج ابنة القاضي أبي الطيّب الطبريّ؛ وعبد الرحمن (بن محمّد)[2] بن المظفّر بن محمّد بن داود أبو الحسن بن أبي طلحة الدّاوديُّ، راوي «صحيح البخاريّ»، وُلد سنة أربعٍ وسبعين وثلاثمائة، وسمع الحديث وتفقّه للشافعيّ على أبي بكر القفّال، وأبي حامد الإسْفَرَايينيّ، وصحِب أبا عليّ الدقّاق، وأبا عبد الرحمن السُّلميّ، وكان عابداً خيّراً، قصده نظام المُلك، فجلس بين يديه، فوعظه، وكان في قوله: إنّ الله تعالى سلّطك على عباده، فانظر كيف تجيبه إذا سألك عنهم[3]؛ فبكى. وكان موته ببُوشَنْجَ.

(وفيها توفّي أبو الحسن عليُّ بن أحمد بن محمّد بن مَتُّوَيْه الواحديُّ[4] المفسّر، مصنّف «الوسيط»، و«البسيط»، و«الوجيز»، في التفسير، وهو نَيسابوريٌّ إمام)[5] مشهور؛ وأبو الفتح منصور بن أحمد بن دارست[6]، وزير القائم، توفّي بالأهواز. ومحمّد بن القاسم بن حبيب بن عبدوس[7] أبو بكر الصَّفّار النَّيسابوريُّ، الفقيه الشافعيُّ، تفقّه على أبي محمّد الجُوَينيّ، وسمع من الحاكم أبي عبدالله، وأبي عبد الرحمن السُّلميّ، وغيرهما.

---

(١) في طبعة صادر ١٠/١٠١ «الحسين»، والمثبت من (أ): ومن مصادر ترجمته في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٦٩، ٢٧٠ رقم ٢٦٨.

(٢) من (أ) وفيها: «بن محمد بن محمد»، والمثبت من مصادر ترجمته التي حشدتها في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٣٢ ـ ٢٣٦ رقم ٢١٧ (وفيات ٤٦٧ هـ.).

(٣) المنتظم ٨/٢٩٦ (١٦/١٦٨)، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٣٥.

(٤) انظر عن (الواحدي) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٥٧ ـ ٢٦٠ رقم ٢٥٣ وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

(٥) ما بين القوسين من الباريسية.

(٦) انظر عن (ابن دارست) في: الإنباء في تاريخ الخلفاء ١٩٧، وزبدة التواريخ ١٢٩ (بالحاشية)، وزبدة النصرة للعماد ٢٢، ٢٣، ومختصر التاريخ لابن الكازروني ٢٠٩، والبداية والنهاية ١٢/٨٦، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٦٨ وفيه «محمد بن دارست». ولم يذكره ابن طباطبا في: الفخري.

(٧) انظر عن (ابن عبدوس) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٦٩ رقم ٢٦٧ وفيه مصادر ترجمته.

وفيها توفّي مسعود بن المحسن[1] بن الحسن بن عبد الرزّاق أبو جعفر البياضيُّ[2] الشاعر، له شِعر مطبوع، فمنه قوله:

يا من لبستُ لبُعدهِ[3] ثوبَ الضَّنى، حتّى خَفِيتُ به عن العُوّادِ
وأنِسْتُ بالسَّهَر[4] الطويل، فأُنسِيَتْ أجفانُ عيني كيفَ كان رُقادِي
إن كان يوسفُ بالجَمالِ مُقطِّعَ الـ أيدي، فأنتَ مُفتّتُ[5] الأكبادِ[6]

---

(١) في (أ): «الحسن». والمثبت يتفق مع مصادر ترجمته التي حشدتها في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٧١، ٢٧٢ رقم ٢٧٠.

(٢) قيل له البياضي: لأن بعض أجداده كان مع جماعة بني العباس وكلهم قد لبسوا أسود غيره، فسأل الخليفة عنه وقال: من ذلك البياضي؟ فبقي عليه لقباً. (الأنساب المتّفقة ١/٣، الأنساب ٢/٣٥٦، ٣٥٧، وفيات الأعيان ٥/١٩٩، المختصر في أخبار البشر ٢/١٩٢، تاريخ ابن الوردي ١/٣٧٨، ٣٧٩.

(٣) في المنتظم، وتاريخ الإسلام: «لهجره».

(٤) في المنتظم: «بالسَّحَر».

(٥) في المنتظم، وتاريخ الإسلام: «مقطّع».

(٦) الأبيات في: المنتظم ٨/٣٠٠، ٣٠١ (١٦/١٧٥، ١٧٦)، والمختصر في أخبار البشر ٢/١٩٢، وتاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٧٢، وتاريخ ابن الوردي ١/٣٧٨.

٤٦٩
ثم دخلت سنة تسع وستين وأربعمائة

ذكر حصر أقسيس مصر وعَوده عنها

في هذه السنة سار أقسيس من دمشق إلى مصر، وحصرها، وضيّق على أهلها، ولم يبق غير أن يملكها، فاجتمع أهلها مع ابن الجوهريّ الواعظ في الجامع، وبكوا وتضرّعوا ودعَوا، فقبِل الله دعاءهم، فانهزم أقسيس من غير قتال، وعاد على أقبح صورة بغير سبب، فوصل إلى دمشق وقد تفرّق أصحابه، فرأى أهلها قد صانوا مخلّفيه وأمواله[1]، فشكرهم، ورفع عنهم الخراج تلك السنة.

وأتى البيتَ المقدّس، فرأى أهله قد قبّحوا على أصحابه ومخلّفيه، وحصروهم[2] في محراب داود، عليه السلام، فلمّا قارب البلد تحصّن أهله منه وسبّوه، فقاتلهم، ففتح البلد عَنْوةً ونهبه، وقتل من أهله فأكثر حتّى قتل مَن التجأ إلى المسجد الأقصى، وكفّ عمّن كان عند الصخرة وحدها.

هكذا يذكر الشاميّون (هذا الاسم)[3] أقسيس، والصحيح أنّه[4] أتسِز، وهو اسم تركيّ، وقد ذكر بعض مؤرّخي الشام أنّ أتسِز لمّا وصل إلى مصر جمع أمير الجيوش بدر العساكر، واستمدّ العرب وغيرهم من أهل البلاد، فاجتمع معه خلق كثير، واقتتلوا، فانهزم أتسِز، وقُتل أكثر أصحابه، وقُتل أخٌ له، وقُطعت يد أخٍ آخر، وعاد

---

(١) من (أ).
(٢) في الأوربية: «وحصروهم».
(٣) من (أ).
(٤) من (أ).

منهزماً إلى الشام في نفرٍ قليل من عسكره، فوصل إلى الرَّملة، ثم سار منها إلى دمشق.

وحكى لي من أثق به عن جماعة من فضلاء مصر: أنّ أتسِز لمّا وصل إلى مصر ونزل بظاهر القاهرة أساء أصحابه السيرة في الناس، وظلموهم، وأخذوا أموالهم، وفعلوا الأفاعيل القبيحة، فأرسل رؤساء القُرى ومقدّموها إلى الخليفة المستنصر بالله العلويّ يشكون إليه ما نزل بهم، فأعاد الجواب بأنّه عاجز عن دفع هذا العدوّ، فقالوا له: نحن نرسل إليك مَنْ عندنا من الرجال المقاتلة يكونون معك، ومن ليس له سلاح تعطيه من عندك سلاحاً، وعسكر هذا العدوّ قد أمِنوا، وتفرّقوا في البلاد، فنثور بهم في ليلةٍ واحدة ونقتلهم، وتخرج أنت إليه فيمن اجتمع عندك من الرجال، فلا يكون له بك قوّة. فأجابهم إلى ذلك.

وأرسلوا إليه الرجال، وثاروا كلّهم في ليلة واحدة بمن عندهم، فأوقعوا بهم، وقتلوهم عن آخرهم، ولم يسلم منهم إلاّ من كان عنده في عسكره، وخرج إليه العسكر الذي عند المستنصر بالقاهرة، فلم يقدر على الثبات لهم، فولّى منهزماً، وعاد إلى الشام، وكُفي أهل مصر شرّه وظلمه[1].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ورد بغداذ أبو نصر ابن الأستاذ أبي القاسم القُشيري حاجّاً، وجلس في المدرسة النظاميّة يعظ الناس، وفي رباط شيخ الشيوخ، وجرى له مع الحنابلة فِتَنٌ لأنّه تكلّم على مذهب الأشعريّ، ونَصَرَه، وكثُر أتباعه والمتعصّبون له، وقصد خصومه من الحنابلة، ومن تبِعهم، سوق المدرسة النظاميّة وقتلوا جماعة.

---

(1) تاريخ حلب (زعرور) ٣٥٠ (سويم) ١٧، أخبار مصر لابن ميسّر ٢/٢٥، تاريخ الزمان ١١٥، ذيل تاريخ دمشق ١٠٩ ـ ١١٢، مرآة الزمان (حوادث ٤٦٩ هـ.)، المختصر في أخبار البشر ٢/١٩٢، المنتقى من أخبار مصر ٤٤، نهاية الأرب ٢٨/٢٣٧، العبر ٢/٢٦٩، دول الإسلام ٢/٤، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٣٤، ٣٥، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٧٣، ٤٧٤، إتعاظ الحنفا ٢/٣١٧، ٣١٨.

وكان من المتعصّبين للقشيري الشيخ أبو إسحاق، وشيخ الشيوخ، وغيرهما من الأعيان[1]، وجرت بين الطائفتين أمور عظيمة[2].

وفيها تزوّج الأمير عليُّ بن أبي منصور بن فرامرْز بن علاء الدولة أبي جعفر بن كاكوَيْه أرسلان خاتون[3] بنت داود عمّة السلطان ملكشاه التي كانت زوجة القائم بأمر الله.

وفيها كان بالجزيرة، والعراق، والشام وباء عظيم، وموت كثير، حتّى بقي كثير [من] الغلّات ليس لها من يعملها لكثرة الموت في الناس[4].

[الوَفيات]

وفيها مات محمود بن مرداس[5]، صاحب حلب، وملك بعده ابنه نصر، فمدحه ابن حيّوس بقصيدة يقول فيها:

ثمانيةٌ لم تفترِقْ مُذْ جَمَعتَها، فلا افترقتْ ما ذَبَّ[6] عن ناظرٍ شَعْرُ
ضيمرُكَ والتّقوَى وَجُودكَ والغِنَى ولَفظُكَ والمَعْنى وعَزمُك والنَّصْرُ
وكان لمحمودِ بنِ نصرٍ سَجِيّةٌ وغالبُ ظَنّي أنْ سيُخلِفُها[7] نَصْرُ

فقال: والله لو قال سيضعفها نصر لأضعفتها له. وأمر له بما كان يعطيه أبوه، وهو ألف دينار، في طبق فضّة[8].

---

(١) من (أ): «الأئمة».

(٢) المنتظم ٨/ ٣٠٥ (١٦/ ١٨٠)، تاريخ دولة آل سلجوق ٥٤، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٤٣، ٢٤٤، العبر ٣/ ٢٦٩، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٣٤، مرآة الجنان ٣/ ٩٧، تاريخ الخلفاء ٤٢٤.

(٣) اسمها: «خديجة». انظر: زبدة التواريخ ٥٨ و٦٣.

(٤) المنتظم ٨/ ٣٠٧ (١٦/ ١٨٣، ١٨٤).

(٥) انظر عن (محمود بن مرداس) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٤٤ رقم ٢٣١ وفيه مصادر ترجمته، في وفيات ٤٦٧ هـ.

(٦) في (أ): «فر».

(٧) في المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٩٢، ١٩٣ «سيخلف».

(٨) المنتظم ٨/ ٣٠٤ (١٦/ ١٨٠).

وكان على بابه جماعة من الشعراء، فقال بعضهم:

على بـابِـكَ المعمـورِ[1] مِنّـا عِصـابـةٌ مَفَـاليسُ فـانظُـر فـي أُمـورِ المَفـاليـسِ
وقـد قَنِعَـتْ منـك العِصـابـةُ كلّهـا بعُشـر الـذي أعطيتَـهُ لابـن حَيُّـوس
ومـا بينَنـا هـذا التقـاربُ[2] كلّـه، ولكـن سعيـدٌ لا يُقـاسُ بمَنحـوسِ[3]

فقال لو قال: بمثل الذي أعطيته، لأعطيتُهم ذلك؛ وأمر لهم بمثل نصفه.

وفيها توفّي أَسْبَهْدُوَسْت[4] بن محمّد بن الحسن أبو منصور الدَّيْلميُّ الشاعر، وكان قد لقي ابن الحَجّاج، وابن نُباتة، وغيرهما، وكان يتشيّع، وتركه، وقال في ذلك:

وإذا سُئِلْـتُ عـن اعتقـادي قلـتُ: مـا كـانَـت عليـه مـذاهـبُ الأبـرارِ
وأقـولُ: خيـرُ النـاس بعـدَ محمّـدٍ صِـدّيقُـهُ وأنِيسُـه فـي الغـارِ[5]

وفيها توفّي رئيس العِراقَيْن أبو أحمد النهاونديُّ الذي كان عميد بغداذ، والشريف أبو جعفر بن أبي موسى[6] الهاشميُّ الحنبليُّ؛ ورِزْق الله بن محمّد بن أحمد بن عليّ أبو سعد[7] الأنباريُّ الخطيب، الفقيه، الحنفيّ، سمع الحديث الكثير، وكان ثقةً حافظاً؛ وطاهر[8] بن أحمد بن بابشاذ[9] النحوي، المصريُّ[10]، توفّي في رجب،

---

(1) في زبدة الحلب: «الميمون».
(2) في (أ): «التقاوت»، وفي المنتظم، والزبدة: «التفاوت».
(3) المنتظم ٨/ ٣٠٥ (١٦/ ١٨٠، ١٨١)، زبدة الحلب ٢/ ٤١.
(4) انظر عن (أسبهدوست) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٨١، ٢٨٢ رقم ٢٨٢ وفيه مصادر ترجمته. وفي: المنتظم: «اسبهندوست».
(5) البيتان من جملة أبيات في: المنتظم ٨/ ٣٠٨ (١٦/ ١٨٤، ١٨٥).
(6) هو عبد الخالق بن عيسى بن أحمد. انظر عنه في: طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤١، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٢٣، ومصادر أخرى ذكرتها في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٣٢٢، ٣٢٧ رقم ٣٢٢.
(7) في (أ): «سعيد». والمثبت يتفق مع مصادر ترجمته التي ذكرتها في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٨٨ رقم ٢٨٦.
(8) انظر عن (طاهر بن أحمد) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٨٩ ـ ٢٩١ رقم ٢٨٨ وفيه حشدت مصادر ترجمته.
(9) بابشاذ: كلمة عجمية يتضمّن معناها الفرح والسرور. (مرآة الجنان ٣/ ٩٨).
(10) في الباريسية: «المصيري».

سقط من سطح جامع عمرو بن العاص بمصر فمات لوقته؛ وعبدالله بن محمّد بن عبدالله بن عمر بن أحمد المعروف بابن هَزَارْمَرْد[1]، الصَّرِيفِينيّ[2]، راوية أحاديث عليّ بن الجَعْد، وهو آخر من رواها، وكان ثقةً، صالحاً، ومن طريقه سمعناها.

---

(١) هَزَارْمَرْد: بفتح أوله وثانيه، وسكون الراء، وفتح الميم، وسكون الدال المهملة، ودال مهملة في آخره.

(٢) الصَّرِيفيني: بفتح الصاد المهملة وكسر الراء، وسكون الياء المنقوطة من تحتها باثنتين والفاء بين الياءين، وفي آخرها النون. هذه النسبة إلى صَرِيفين، قريتين إحداهما من أعمال واسط، والأخرى صريفين بغداد. (الأنساب ٨/٥٨، ٥٩) وينسبه ابن القيسراني إلى «صريفين عُكبرا». (الأنساب المتفقة ٨٩)، وانظر عنه في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٢٩٢ ـ ٢٩٤ رقم ٢٩٠ وفيه حشدت مصادره.

٤٧٠
ثم دخلت سنة سبعين وأربعمائة

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ورد مؤيّد المُلك بن نظام المُلك إلى بغداذ من العسكر.

وفيها اصطلح تميم بن المعزّ بن باديس، صاحب إفريقية، مع الناصر بن عَلناس، وهو من بني حمّاد، عمّ جدّه، وزوّجه تميم ابنته بلارة، وسيّرها إليه من المهديّة في عسكر، وأصحبها من الحُليّ والجِهاز ما لا يُحدّ، وحمل الناصر ثلاثين ألف دينار، فأخذ منها تميم ديناراً واحداً وردّ الباقي[١].

وفيها استعمل تميم ابنه مُقلّداً على مدينة طرابلس الغرب.

وكان ببغداذ، في هذه السنة، فتنة بين أهل سوق المدرسة وسوق الثلاثاء بسبب الاعتقاد، فنهب بعضهم بعضاً، وكان مؤيد الملك بن نظام الملك ببغداذ بالدار التي عند المدرسة، فأرسل إلى العميد والشحنة فحضرا ومعهما الجُند، فضربوا الناس، فقُتل بينهم جماعة وانفصلوا[٢].

[الوَفيات]

وفي هذه السنة، في ربيع الأوّل، توفّي القاضي أبو عبدالله محمّد بن محمّد (بن محمّد)[٣] بن البيضاويّ، الفقيه الشافعيّ، وكان القاضي أبو الطيّب الطبريّ جدّه لأمّه.

---

(١) نهاية الأرب ٢٤/٢٢٩، البيان المغرب ١/٣٠٠، المؤنس ٨ (حوادث ٤٦٧ هـ.)، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٣٦، تاريخ ابن خلدون ٦/٣٢٧.

(٢) المنتظم ٨/٣١٢ (١٦/١٩٠، ١٩١)، العبر ٣/٢٧٢، تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص٣٦، مرآة الجنان ٣/٩٨، ٩٩، البداية والنهاية ١٢/١١٧.

(٣) من (أ) ومصادر ترجمته: المنتظم ٨/٣١٧ رقم ٣٨٩ (١٦/١٩٧ رقم ٣٤٨٣)، والبداية والنهاية ١٢/١١٩.

وفيها توفّي أحمد بن محمّد بن محمّد بن أحمد بن عبدالله بن النَّقُّور[1] أبو الحسين البزّاز في رجب، وكان مكثراً من الحديث، ثقةً في الرواية؛ وأحمد بن عبد الملك بن عليّ أبو صالح المؤذّن[2] النَّيسابوريُّ، كان يعِظ ويؤذّن، وكان كثير الرواية، حافظاً، ومولده سنة ثمانٍ وثمانين وثلاثمائة؛ وعبد الرحمن بن محمّد بن إسحاق بن محمّد بن يحيى بن مَنْدَة[3] الأصبهانيُّ أبو القاسم بن أبي عبدالله الحافظ، له تصانيف كثيرة، منها: «تاريخ أصبهان»، وله طائفة ينتمون إليه في الإعتقاد من أهل أصبهان، يقال لهم العبد رحمانيّة.

وفي شوّال منها تُوُفّيت ابنة نظام المُلك[4] زوجة عميد الدولة بن جَهِير، نُفساء بولدٍ مات من يومه، ودُفنا بدار الخلافة، ولم تجر بذلك عادة لأحد، فُعِل ذلك إكراماً لأبيها، وجلس الوزير فخر الدولة بن جَهِير، وابنه عميد الدولة زوجها، للعزاء في دارٍ بباب العامّة ثلاثة أيّام.

---

(١) انظر عن (ابن النقّور) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٣١٢ ـ ٣١٤ رقم ٣١٢ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) انظر عن (أبي صالح المؤذّن) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٣٠٨ ـ ٣١٢ رقم ٣١١ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٣) انظر عن (ابن مندة) في: تاريخ الإسلام (٤٦١ ـ ٤٧٠ هـ.) ص ٣٢٧ ـ ٣٣٣ رقم ٣٢٣ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٤) انظر عن ابنة نظام الملك في: المنتظم ٨/٣١٧ رقم ٣٩٠ (١٦/١٩٧ رقم ٣٤٨٤).

٤٧١
ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وأربعمائة

ذكر عزل ابن جهير من وزارة الخليفة

في هذه السنة عُزل فخر الدولة أبو نصر بن جَهِير من وزارة الخليفة المقتدي بأمر الله، ووزَر بعده أبو شجاع محمد بن الحسين.

وكان السبب في ذلك أنّ أبا نصر بن القُشيريّ ورد إلى بغداذ، على ما تقدّم ذِكره، وجرى له الفِتَن مع الحنابلة، لمّا ذكر مذهب الأشعريّة، ونصره، وعاب مَن سواهم، وفعلت الحنابلة ومن معهم ما ذكرناه، نسب أصحاب نظام الملك ما جرى إلى الوزير فخْر الدولة، وإلى الخَدَم، وكتب أبو الحسن محمّد بن عليّ بن أبي الصقْر الواسطيُّ الفقيه الشافعيُّ إلى نظام المُلْك:

يا نظامَ المُلك قد حُلّ ... ببغداذَ النِّظامُ
وابنُك[1] القاطنُ فيها ... مُستهانٌ مُستضامُ
وبِها أودَى له قتَـ ... ـلَى[2] غلامٌ، وغلامُ
والذي منهم تبقّى ... سالماً فيه سِهامُ
يا قِوامَ الدين لم يبـ ... ـقَ ببغداذ مُقَامُ
عظُم الخَطْبُ، وللحرْ ... بِ اتّصالٌ، ودَوامُ
فمتى لم تحسِم الدا ... ءَ أياديكَ الحسامُ
ويكفّ القوم في بغـ ... ـداذ قتلُ، وانتقامُ
فعلى مدرسة فيـ ... ـها، ومن فيها السلامُ
واعتِصامٌ بحَرِيمٍ ... لكَ، مِن بَعدُ، حَرامُ[3]

---

(١) في الأوربية: وبقي.
(٢) في (أ): «قتلا»، وفي تاريخ الإسلام: «قتيلاً»، والمثبت يتفق مع: نهاية الأرب.
(٣) الأبيات في: نهاية الأرب ٢٣/٢٤٤، وتاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ٥.

فلمّا سمع نظام المُلْك ما جرى من الفِتَن، وقصْد مدرسته، والقتْل بجوارها، مع أنّ ابنه مؤيَّد المُلك فيها، عظُم عليه. فأعاد كوهرائين إلى شِحْنكيّة العراق، وحمّله رسالةً إلى الخليفة المقتدي بأمر الله تتضمّن[1] الشكوى من بني جَهِير، وسأل عزْل فخر الدولة من الوزارة، وأمرَ كوهرائين بأخذ أصحاب بني جَهِير، وإيصال المكروه إليهم وإلى حواشيهم.

فسمع بنو جَهِير الخبر، فسار عميد الدولة إلى المعسكر يريد نظام المُلْك ليستعطفه، وتجنَّبَ الطريق، وسلك الجبال خوفاً أن يلقاه كوهرائين ويناله فيها أذًى، فلمّا وصل كوهرائين إلى بغداذ اجتمع بالخليفة وأبلغه رسالة نظام المُلك، فأمر فخر الدولة بلزوم منزله.

ووصل عميد الدولة إلى المعسكر السلطانيّ، ولم يزل يستصلح نظام المُلْك حتّى عاد إلى ما أَلِفَه منه، وزوّجه بابنة بنتٍ[2] له، وعاد إلى بغداذ في العشرين من جُمادى الأولى، فلم يردّ الخليفة أباه إلى وزارته، وأمرهما بملازمة منازلهما، واستوزر أبا شجاع محمّد بن الحسين.

ثم إنّ نظام الملك راسل الخليفة في إعادة بني جَهِير إلى الوزارة، وشفع في ذلك، فأُعيد عميد الدولة إلى الوزارة، وأُذِنَ لأبيه فخر الدولة في فتح بابه. وكان ذلك في صفر سنة اثنتين وسبعين [وأربعمائة][3].

ذكر استيلاء تُتُش على دمشق

في هذه السنة ملك تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان دمشق[4].

---

(١) في الأوربية: «يتضمّن».

(٢) في (أ): «ابن».

(٣) تاريخ دولة آل سلجوق ٥٥، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٤٤، ٢٤٥، تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ٥، ٦.

(٤) الخبر في: تاريخ حلب للعظيمي (زعرور) ٣٥٠ (سويم) ١٧، ١٨، وأخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٢٩ (حوادث سنة ٤٧٢ هـ.)، وزبدة الحلب ٢/ ٦٥، وتاريخ دولة آل سلجوق ٧١، ٧٢، ووفيات الأعيان ١/ ٢٩٥، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٩٣، ١٩٤، ونهاية الأرب ٢٧/ ٦٤، ٦٥، والدرة=

وسبب ذلك أنّ أخاه السلطان ملكشاه أقطعه الشام، وما يفتحه في تلك النواحي، سنة سبعين وأربعمائة، فأتى حلبَ وحصرها، ولحِق أهلَها مجاعةٌ شديدة، وكان معه جمْعٌ كثير من التركمان، فأنفذ إليه أقسِيس، صاحب دمشق، يستنجده، ويعرّفه أنّ عساكر مصر قد حصرته بدمشق.

وكان أمير الجيوش بدر قد سيّر عسكراً من مصر، ومقدّمهم قائد يُعرف بنصر[1] الدولة، فحصر دمشق، فأرسل أقسيس إلى تاج الدولة تُتُش يستنصره، فسار إلى نُصرة أقسيس، فلمّا سمع المصريّون بقُربه أجفلوا من بين يديْهِ شبه المنهزمين، وخرج أقسيس إليه يلتقيه عند سور البلد، فاغتاظ منه تُتُش حيث لم يبعد في تلقّيه، وعاتبه على ذلك، فاعتذر بأمورٍ لم يقبلها تُتُش، فقبض عليه في الحال، وقتله من ساعته، وملك البلد، وأحسن السيرة في أهله، وعدل فيهم.

قد ذكر ابن الهمذانيّ وغيره من العراقيّين أنّ مُلك تُتُش دمشق كان هذه السنة، وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقيُّ في كتاب «تاريخ دمشق» أن ملكه إيّاها كان سنة اثنتين وسبعين [وأربعمائة][2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة وُلد الملك بركيارُق ابن السلطان ملكشاه.

= المضيّة ٣٩٠ (حوادث سنة ٤٧٢ هـ.)، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٣٨٠، ودول الإسلام ٢/ ٥، وتاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ٦، ٧، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٧٤، واتعاظ الحنفا ٢/ ٣٢٠، وأمراء دمشق في الإسلام ٢١ رقم ٧٣، وولاة دمشق في العهد السلجوقي للدكتور المنجد ١٨.

(١) في (أ): «بنصير».

(٢) جاء في ترجمة «أتسِز بن أوق» في (تاريخ دمشق) أن تتش قدم دمشق سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، فغلب على البلد وقُتل أتسز لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من هذه السنة. (مختصر تاريخ دمشق ٤/ ٢٠٥، تهذيب تاريخ دمشق ٢/ ٣٣٤) وعاد ابن عساكر فأكد مقتل أتسز في ربيع الآخر سنة ٤٧١ هـ. مرة ثانية في آخر الترجمة. (تهذيب تاريخ دمشق ٢/ ٣٣٤) إلا أنه قال في ترجمة تتش أنه قدم دمشق سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة فقتل أتسز. (تهذيب تاريخ دمشق ٢/ ٣٤٣) ونقل أيضاً في آخر الترجمة أن «يحيى بن زريق» قال: دخل تاج الدولة دمشق في ربيع الآخر سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة، وحسنت السيرة في أيامه.

وفيها، في المحرّم، وصل سعد الدولة كوهرائين إلى بغداذ، وضُرب الطبل على باب داره، أوقاتَ الصَّلوات، وكان قد طلب ذلك من قبلُ، فلم يُجَبْ إليه لأنّه لم تجر به عادة.

[الوفيات]

وفيها توفّي سيف الدولة أبو النجم بدر بن ورّام الكرديُّ، الجاوانيُّ، في شهر ربيع الأول، ودُفن بطَسْفُونَج[1].

وفي رجب توفّي أبو عليّ بن البنّا[2] المقري الحنبليُّ، وله مصنّفات كثيرة.

وسُليم الجُوريُّ[3] بناحية جُور[4] من دُجَيْل، وكان زاهداً، يعمل، ويأكل من كسبه، ولم يكلّف أحداً حاجةً، وأقام بطَنْزَةَ من ديار بكر، وهي كثيرة الفواكه، فلم يأكل بها فاكهة البتّة[5].

---

(١) طَسْفُونج: قرية كبيرة في شرقيّ دجلة مقابل النعمانية بين بغداد وواسط. (معجم البلدان ٣/ ٣٥).

(٢) هو الحسن بن أحمد بن عبدالله. انظر ترجمته ومصادرها التي حشدتها في: تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ٣٩ ـ ٤١ رقم ٧.

(٣) في (أ) والمنتظم: «الحوزي». وفي البداية والنهاية ١٢/ ١٢٠ «الجوزي».

(٤) في (أ): «حوزي».

(٥) المنتظم ٨/ ٣٢٠ رقم ٣٩٣ (١٦/ ٢٠١)، البداية والنهاية ١٢/ ١٢٠.

٤٧٢
ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة

ذكر فتوح إبراهيم صاحب غَزْنة في بلاد الهند

في هذه السنة غزا الملك إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سُبُكتِكين بلاد الهند، فحصر قلعة أجود[١]، وهي على[٢] مائة وعشرين فرسخاً من لَهَاوُور، وهي قلعة حصينة، في غاية الحصانة، كبيرة، تحوي عشرة آلاف رجل من المقاتلة، فقاتلوه، وصبروا تحت الحَصْر، وزحف إليهم غير مرّة، فرأوا من شدّة حربه ما ملأ قلوبهم خوفاً ورعباً، فسلّموا القلعة (إليه في الحادي والعشرين من صفر هذه السنة.

وكان في نواحي الهند قلعة)[٣] يقال لها قلعة[٤] روبال[٥]، على رأس جبل شاهق، وتحتها غياض أشِبَة، وخلفها البحر، وليس عليها قتال إلاّ من مكان ضيّق، وهو مملوء بالفِيلَة المقاتلة، وبها من رجال الحرب ألوف كثيرة، فتابع عليهم الوقائع، وألحّ عليهم بالقتال بجميع أنواع الحرب، وملك القلعة، واستنزلهم[٦] منها.

وفي موضع يقال له دره نوره أقوام من أولاد الخُراسانيّين الذين جعل أجدادهم فيها أفراسياب التركيُّ من قديم الزمان، ولم يتعرّض إليهم أحد من الملوك، فسار إليهم إبراهيم[٧]، ودعاهم إلى الإسلام أوّلاً، فامتنعوا من إجابته، وقاتلوه، فظفر بهم، وأكثر القتل فيهم، وتفرّق من سلم في البلاد، وسبى[٨] واسترقّ من النسوان والصبيان

(١) في (أ): «أخود».
(٢) في الأوربية: «ما».
(٣) ما بين القوسين من الباريسية.
(٤) من الباريسية.
(٥) في الباريسية: «وبال».
(٦) في الأوربية: «وانتزلهم».
(٧) في الباريسية: «أولاً».
(٨) في الأوربية: «وسبا».

مائة ألف. وفي هذه القلعة حوض للماء يكون قُطْره نحو نصف فرسخ لا يُدرَك قعره، يشرب منه أهل القلعة وجميع ما عندهم من دابّة، ولا يظهر فيه نقص.

وفي بلاد الهند موضع يقال له وره، وهو برّ بين خليجَيْن، فقصده الملك إبراهيم، فوصل إليه في جمادى الأولى، وفي طريقه عقبات[1] كثيرة، وفيها أشجار ملتفّة، فأقام هناك ثلاثة أشهر ولقي الناس من الشتاء شدّة، ولم يفارق الغزوة[2] حتّى أنزل الله نصره على أوليائه، وذُلّه على أعدائه، وعاد إلى غَزْنة سالماً مظفّراً.

هذه الغزوات لم أعرف تاريخها، (وأمّا الأولى فكانت هذه السنة)[3]، فلهذا أوردتُها متتابعة في هذه السنة[4].

ذكر ملك شرف الدولة مُسلم مدينة حلب

في هذه السنة ملك[5] شرف الدولة مُسلم بن قُريش العُقيليُّ، صاحب الموصل[6]، مدينة حلب.

(وسبب ذلك أنّ تاج الدولة تُتُش بن ألْب أرسلان)[7] حصرها[8] مرّة بعد أخرى، فاشتدّ الحصار بأهلها، وكان شرف الدولة يواصلهم بالغلّات وغيرها.

ثم إنّ تُتُش حصرها هذه السنة، وأقام عليها أيّاماً ورحل عنها وملك بُزاعَةَ والبِيرةَ، وأحرق رَبَض عَزَازَ، وعاد إلى دمشق.

فلمّا رحل عنها تاج الدولة استدعى أهلها شرف الدولة ليسلّموها إليه، فلمّا

---

(١) في (أ): «عقبان».
(٢) في (أ) العرصة.
(٣) من الباريسية.
(٤) المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٩٤، تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ٩، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٨٠، البداية والنهاية ١٢/ ١٢٠.
(٥) في (أ): «سار».
(٦) في (أ) زيادة: «إلى».
(٧) من (أ).
(٨) في (أ): «فحصرها».

قاربها امتنعوا من ذلك، وكان مقدّمهم يُعرف بابن الحُتَيْتي[1] العبّاسيّ، فاتّفق أنّ ولده خرج يتصيّد بضَيْعةٍ له، فأسره أحد التركمان، وهو صاحب حصن بنواحي حلب، وأرسله إلى شرف الدولة، فقرّر معه أن يسلّم البلد إليه إذا أطلقه، فأجاب إلى ذلك، فأطلقه، فعاد إلى حلب، واجتمع بأبيه، وعرّفه ما استقرّ، فأذعن إلى تسليم البلد، ونادى بشعار شرف الدولة، وسلّم البلد إليه، فدخله سنة ثلاثٍ وسبعين [وأربعمائة]، وحصر القلعة، واستنزل منها سابقاً ووثّاباً ابنَيْ محمود بن مرداس، فلمّا ملك البلد أرسل ولدَهُ، وهو ابن عمّة السلطان، إلى السلطان يخبره بملك البلد، وأنفذ معه شهادةً فيها خطوط المعدّلين بحلب بضمانها، وسأل أن يقرّر عليه الضمان، فأجابه السلطان إلى ما طلب، وأقطع ابن عمّته مدينة بالس[2].

ذكر مسير ملكشاه إلى كرمان

في أوّل هذه السنة سار السلطان ملكشاه إلى بلاد كرَمان، فلمّا سمع صاحبها سلطانشاه بن قاورت بك[3]، وهو ابن عمّ السلطان، بوصوله إليها خرج إلى طريقه ولقيه وحمل له الهدايا الكثيرة، وخدمه، وبالغ في الخدمة، فأقرّه السلطان على البلاد، وأحسن إليه، وعاد عنه في المحرّم سنة ثلاثٍ وسبعين [وأربعمائة] إلى أصبهان.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة وُلد للخليفة المقتدي بأمر الله أمير المؤمنين ولد سمّاه موسى، وكناه أبا جعفر، وزُيّنت بغداذ سبعة أيّام.

وفيها وصل السلطان ملكشاه إلى خُوزِستان متصيّداً، فوصل معه خُمارتِكين

---

(١) في (أ): «الجنني».

(٢) تاريخ حلب للعظيمي (زعرور) ٣٥١ (سويم) ١٨ (حوادث ٤٧٣ هـ.)، المنتظم ٨/ ٣٢٣ (١٦/ ٢٠٦)، ذيل تاريخ دمشق ١١٣، زبدة الحلب ٢/ ٦٧، ٦٨، تاريخ دولة آل سلجوق ٧٢، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٩٤، دول الإسلام ٢/ ٥، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٨٠، تاريخ ابن خلدون ٤/ ٢٧٥.

(٣) من (أ).

وكوهرائين، [وكانا يسعيان] في قتل ابن علاّن اليهوديّ، ضامن البصرة، وكان ملتجئاً إلى نظام المُلْك، وكان بين نظام المُلك وبين خُمارتكين الشرابيّ وكوهرائين عداوة، فسعيا باليهوديّ لذلك، فأمر السلطان بتغريقه فغُرّق، وانقطع نظام المُلك عن الركوب ثلاثة أيّام، وأغلق بابه، ثم أُشير عليه بالركوب فركب، وعمل للسلطان دعوة عظيمة قدّم له فيها أشياء كثيرة، وعاتبه على فِعله، فاعتذر إليه.

وكان أمر (اليهوديّ قد عظُم)[1] إلى حدّ أنّ زوجته توفّيت، فمشى خلف جنازتها كلّ من في البصرة، إلاّ القاضي، وكان له نعمة عظيمة، وأموال كثيرة، فأخذ السلطان منه مائة ألف دينار، وضمِن خُمارتكين البصرة كلّ سنة بمائة ألف دينار ومائة فرس[2].

وفيها زادت [مياه] الفرات تِسع أذرُع، فخرّبت بعض دواليب هَيْت، وخرّبت[3] فوهة نهر عيسى، وزادت تامرّا نيّفاً وثلاثين ذراعاً، وعلا على قنطرتَيْ طَرَاستان وخَانقِين الكسرويّتَيْن فقطعهما.

[الوفيات]

وفيها، في ذي الحجّة، توفّي نصر بن مروان[4]، صاحب ديار بكر، وملك بعده[5] ابنه منصور، ودبّر دولته ابن الأنباريّ.

وفيها توفّي أبو منصور محمّد بن عبد العزيز[6] العُكبَريُّ، ومولده سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، وهو من المحدّثين المعروفين، وكان صدوقاً.

ومحمّد بن هبة الله[7] بن الحسن بن منصور أبو بكر بن أبي القاسم الطَّبريُّ

---

(١) في (أ): «النظام فيه عظيم».

(٢) المنتظم ٨/ ٣٢٣ (١٦/ ٢٠٥، ٢٠٦).

(٣) في الأوربية: «وخرب».

(٤) هو نصر بن أحمد بن مروان. انظر عنه في تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ٧٩ رقم ٦٠ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) في الأوربية: «بعد».

(٦) هو محمد بن محمد بن أحمد بن الحسين بن عبد العزيز. انظر عنه في: تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ٧٦ ـ ٧٨ رقم ٥٧ وفيه مصادر ترجمته.

(٧) أنظر عن (محمد بن هبة الله) في: تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ٧٨ رقم ٥٨ وفيه مصادر ترجمته.

اللالكائيُّ[1] ووُلد سنة تسعٍ[2] وأربعمائة، وحدّث عن هلال الحفّار وغيره، وتوفّي في جمادى الأولى.

وفيها توفّي أبو الفتيان محمّد بن سلطان بن حيّوس[3] الشاعر المشهور، وحدّث عن جدّه لأمّه القاضي أبي نصر محمّد بن هارون بن الجنديّ[4].

---

(١) في (أ): «اللالكاني».
(٢) في (أ): «سبع».
(٣) انظر عن (ابن حيّوس) في: تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ١٠٠ ـ ١٠٢ رقم ٩١ وفيه حشدت مصادر ترجمته.
(٤) في (أ): «الجعفري».

٤٧٣

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة

ذكر استيلاء تكش على بعض خراسان وأخذها منه

في هذه السنة، في شعبان، سار السلطان ملكشاه إلى الريّ، وعرض العسكر، فأسقط منهم سبعة آلاف رجل لم يرض حالهم، فمضوا إلى أخيه تكش، وهو ببُوشنَج، فقوي بهم، وأظهر العصيان على أخيه ملكشاه، واستولى على مرو الروذ، ومرو الشاهجان، وتِرمِذ، وغيرها، وسار إلى نَيسابور[١] طامعاً في ملك خُراسان.

وقيل إنّ نظام المُلْك قال للسلطان لمّا أمر بإسقاطهم: إنّ هؤلاء ليس فيهم كاتب، ولا تاجر، ولا خيّاط، ولا مَنْ له صنعة غير الجنديّة، فإذا أُسقطوا لا نأمن أن يقيموا منهم رجلاً ويقولوا[٢] هذا السلطان، فيكون لنا منهم شغل، ويخرج عن أيدينا أضعاف ما لهم من الجاري إلى أن نظفر[٣] بهم. فلم يقبل السلطان قوله، فلمّا مضوا إلى أخيه وأظهر العصيان ندم على مخالفة وزيره حيث لم ينفع الندم.

واتّصل خبره بالسلطان ملكشاه، فسار مُجِدّاً إلى خُراسان، فوصل إلى نَيسابور قبل أن يستولي تكش عليها، فلمّا سمع تكش بقربه منها سار عنها، وتحصّن بتِرمِذ، وقصده السلطان، فحصره بها، وكان تكش قد أسر جماعة من أصحاب السلطان، فأطلقهم، واستقرّ الصلح بينهما، ونزل تكش إلى أخيه السلطان ملكشاه، ونزل عن تِرمِذ[٤].

---

(١) في (أ): «نيشابور».

(٢) في الأوربية: «وقالوا».

(٣) في الباريسية: «يظفر».

(٤) نهاية الأرب ٢٦/ ٣٢٢، ٣٢٣، تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ١٠، البداية والنهاية ١٢/ ١٢١، النجوم الزاهرة ٥/ ١١٠.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة تسلّم مؤيّد المُلْك بن نظام الملك تكريت من صاحبها المهرباط.

[الوفيات]

وفيها توفّي أبو عليّ بن شِبل[1] الشاعر المشهور، ومن شِعره في الزُّهْد:

أهُمُّ بتَركِ الذَّنب ثمَّ يردُّني ... طُموحُ شبابٍ بالغَرامِ مُوَكَّلُ
فمن لي[2] إذا أخّرتُ[3] ذا اليومَ توبةً ... بأنّ المنَايا لي إلى الشَّيب[4] تُمهِلُ
أأعجَزُ ضُعفاً عن أدَا[5] حقّ خالقي، ... وأحمِلُ وِزراً فَوق ما يُتَحمّلُ

وفيها أيضاً توفّي العميد أبو منصور[6] بالبصرة.

وفيها توفّي عبد السلام بن أحمد[7] بن محمّد بن جعفر أبو الفتح الصوفيُّ من أهل فارس، سافر الكثير، وسمع الحديث بالعراق، والشام، ومصر، وأصبهان وغيرها، وكانت وفاته بفارس.

ويوسف بن الحسن[8] بن محمّد بن الحسن أبو الهيثم التفكريُّ، الزَّنْجانيُّ، وُلد سنة خمسٍ وتسعين وثلاثمائة، وسمع من أبي نُعَيم الحافظ وغيره، وتفقّه على أبي إسحاق الشيرازيّ، وأدرك أبا الطيّب الطبريّ، وكان من العلماء العاملين، المشتغلين[9] بالعبادة.

---

(١) هو محمد بن الحسين بن عبدالله البغدادي: انظر عنه في: تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ٩٩ رقم ٩٠ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) في الأوربية: «إلى».

(٣) في (أ): «أحدثت».

(٤) في الباريسية: «الست»، و(أ): «الشيب».

(٥) في الأوربية: «أذى».

(٦) في (أ): «مضر».

(٧) انظر عن (عبد السلام بن أحمد) في: المنتظم ٨/٣٢٨ رقم ٤١٤ (١٦/٢١٢، ٢١٣ رقم ٣٥٠٨)، وتاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ٨٩ رقم ٧٩.

(٨) انظر عن (يوسف بن الحسن) في: المنتظم ٨/٣٢٩، ٣٣٠ رقم ٤١٩ (١٦/٢١٥ رقم ٣٥١٣)، والبداية والنهاية ١٢/١٢٢.

(٩) من الباريسية.

٤٧٤

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وأربعمائة

ذكر خطبة الخليفة ابنة السلطان ملكشاه

في هذه السنة أرسل الخليفة الوزير فخر الدولة أبا نصر بن جَهِير إلى السلطان يخطب ابنته لنفسه، فسار فخر الدولة إلى أصبهان، إلى السلطان يخطب ابنته، فأمر نظام المُلك أن يمضي معه إلى خاتون زوجة السلطان في المعنى، فمضيا إليها فخاطباها، فقالت إن ملك غزَنة وملوك الخانيّة بما وراء النهر طلبوها، وخطبوها لأولادهم، وبذلوا أربع مائة ألف دينار، فإنْ حمل الخليفة هذا المال فهو أحقّ منهم. فعرّفتها أرسلان خاتون التي كانت زوجة القائم بأمر الله ما يحصل لها من الشرف والفخر بالاتّصال بالخليفة، وأنّ هؤلاء كلّهم عبيده وخَدَمه، ومثل الخليفة لا يُطلب منه المال، فأجابت إلى ذلك، وشرطت أن يكون الحمل المعجّل خمسين ألف دينار، وأنّه لا يبقي له سُرّيّة ولا زوجة غيرها، ولا يكون مَبِيته إلاّ عندها، فأجيبت[1] إلى ذلك، فأعطى السلطان يده، وعاد فخر الدولة إلى بغداذ[2].

ذكر وفاة نور الدولة بن مَزْيَد وإمارة ولده منصور

في هذه السنة، في شوّال، توفّي نور الدولة أبو الأغرّ دُبَيْس بن عليّ بن مَزْيد الأسَديُّ بمطيراباذ، وكان عمره ثمانين سنة، وإمارته سبعاً[3] وخمسين سنة، وما زال مُمدّحاً في كلّ زمان مذكوراً بالتفضّل والإحسان، ورثاه الشعراء فأكثروا، ووليَ بعده ما كان إليه ابنه أبو كامل منصور، ولقبه بهاء الدولة، فأحسن السيرة، واعتمد الجميل،

---

(١) في الأوربية: «فأجيب».

(٢) تاريخ دولة آل سلجوق ٧٢، وفيات الأعيان ٥/ ٢٨٧، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٤٥، تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ١١، البداية والنهاية ١٢/ ١٢٢.

(٣) في الأوربية: «سبع».

وسار إلى السلطان ملكشاه في ذي القعدة، واستقرّ له الأمر، وعاد في صفر سنة خمسٍ وسبعين [وأربعمائة]، وخلع الخليفة أيضاً عليه[1].

ذكر محاصرة تميم بن المعزّ مدينة قابِس

في هذه السنة حصر الأمير تميم بن المعزّ بن باديس، صاحب إفريقية، مدينة قابِس حصاراً شديداً، وضيّق على أهلها، وعاث عساكره في بساتينها المعروفة بالغابة، فأفسدوها[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة سار تُتُش، بعد عود شرف الدولة عن دمشق، وقصد الساحل الشاميّ، فافتتح أَنْطَرطُوسَ، وبعضاً[3] من الحصون، وعاد إلى دمشق[4].

وفيها ملك شرف الدولة، صاحب الموصل، مدينة حَرّان، وأخذها من بني وثّاب النُّميريّين، وصالحه صاحب الرُّها، ونقش السكّة باسمه[5].

وفيها سدّ ظَفَر القائميُّ بثق نهر[6] عيسى، وكان خراباً منذ ثلاثٍ وعشرين سنة، وسُدّ مراراً، وتخرّب إلى أن سدّه ظَفَر.

وفيها أرسل السلطان إلى بغداذ ليُخْرَج الوزير أبو شجاع الذي وزَر للخليفة بعد بني جَهِير، فأرسله الخليفة إلى نظام المُلك، وسيّر معه رسولاً، وكتب معه إلى نظام

---

(١) تاريخ مختصر الدول ١٩٢، نهاية الأرب ٢٢/ ٢٤٥، دول الإسلام ٢/ ٦، تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ١٣، البداية والنهاية ١٢/ ١٢٣، تاريخ ابن خلدون ٤/ ٢٨٠، النجوم الزاهرة ٥/ ١١٤.

(٢) تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ١١.

(٣) في الأوربية: «وبعض».

(٤) تاريخ حلب ٣٥٢ (١٩) حوادث ٤٧٥ هـ. وفيه فتح تاج الدولة بعلبك، ذيل تاريخ دمشق ١١٥، نهاية الأرب ٢٧/ ٦٥، تاريخ الإسلام ٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ. ص ١١، وانظر تاريخ الزمان ١١٦.

(٥) تاريخ الزمان ١١٧ (٤٧٦ هـ.)، دول الإسلام ٢/ ٦، تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ١١، ١٢، البداية والنهاية ١٢/ ١٢٢، تاريخ ابن خلدون ٤٥/ ٢٦٧، النجوم الزاهرة ٥/ ١١٣.

(٦) في (أ): «بنهر».

المُلْكَ كتاباً بخطّه، يأمره بالرضا عن أبي شجاع، فرضي عنه وأعاده إلى بغداذ.

[الوَفَيَات]

وفيها مات ابن السلطان ملكشاه، واسمه داود، فجزع عليه جزعاً شديداً، وحزن حزناً عظيماً، ومنع من أخْذه وغسْله، حتّى تغيّرت رائحته، وأراد قتل نفسه مرّات، فمنعه خواصّه، ولمّا دُفن لم يُطِق المُقام، فخرج يتصيّد، وأمر بالنياحة عليه في البلد، ففُعل ذلك عدّة أيّام، وجلس له وزير الخليفة في العزاء ببغداذ[1].

وفيها توفّي عبد الله بن أحمد بن رضوان أبو القاسم، وهو من أعيان أهل بغداذ، وكان مرضه شقيقة، وبقي ثلاث سنين في بيت مظلم لا يقدر يسمع صوتاً ولا يبصر ضوءاً[2].

وفيها، في ذي الحجّة، توفّي أبو محمّد بن أبي عثمان[3] المحدّث، وكان صالحاً، يُقرىء القرآن بمسجده بنهر القلاّئين.

وتوفّي عليُّ بن أحمد بن عليّ أبو القاسم البُسْريُّ[4] البندار، ومولده سنة ستٍّ وثمانين وثلاثمائة، سمع المخلّص وغيره، وكان ثقةً صالحاً.

وفيها توفّي أبو إسحاق إبراهيم بن عُقَيل[5] بن حبش[6] القُرَشيُّ، النَّحْويُّ[7].

---

(١) نهاية الأرب ٢٦/ ٣٢٣، تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ١٢، النجوم الزاهرة ٥/ ١١٣.

(٢) المنتظم ٨/ ٣٣٣ رقم ٤٢٧ (١٦/ ٢٢٠، ٢٢١ رقم ٣٥٢١)، البداية والنهاية ١٢/ ١٢٣.

(٣) هو أحمد بن علي بن الحسن الدقّاق، انظر عنه في: المنتظم ٨/ ٣٣٢، ٣٣٣ رقم ٤٢٣ (١٦/ ٢١٩، ٢٢٠ رقم ٣٦٥٧، تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ١٠٦، ١٠٧ رقم ١٠٢.

(٤) في (أ): «البيري». والمثبت هو الصحيح كما في ترجمته في تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ١٢٤ ـ ١٢٦ رقم ١٢٠ وفيه حشدت مصادرها.

(٥) انظر عن (إبراهيم بن عقيل) في: تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ١٠٨ ـ ١١٠ رقم ١٠٧ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٦) انظر تعليقنا بحاشية تاريخ الإسلام ١٠٩ حول الاختلاف في رسم «حبش».

(٧) زاد في (أ): «وتمت السنة».

٤٧٥
ثم دخلت سنة خمس وسبعين وأربعمائة

ذكر وفاة جمال المُلك بن نظام المُلك

في هذه السنة، في رجب، تُوُفّي جمال المُلْك [أبو][١] منصور[٢] بن نظام المُلْك، وورد الخبر بوفاته إلى بغداذ في شعبان، فجلس أخوه مؤيّد الملك للعزاء، وحضر فخر الدولة بن جَهِير، وابنه عميد المُلْك، معزّيين، وأرسل الخليفة إليه في اليوم الثالث فأقامه من العزاء.

وكان سبب موته أنّ مسخرةً كان للسلطان ملكشاه يُعرف بجعفرك يحاكي نظام المُلْك، ويذكره في خلواته مع السلطان، فبلغ ذلك جمال المُلْك، وكان يتولّى مدينة بَلخ وأعمالها، فسار من وقته يطوي المراحل إلى والده والسلطان، وهما بأصبهان، فاستقبله أخواه، فخرَ المُلْك ومؤيّد المُلْك، فأغلظ لهما القول في إغضائهما على ما بلغه عن جعفرك، فلمّا وصل إلى حضرة السلطان رأى[٣] جعفرك يُسارُّه، فانتهره وقال: مثلك يقف هذا الموقف، وينسبط[٤] بحضرة السلطان في هذا الجمع! فلمّا خرج من عند السلطان أمر[٥] بالقَبض على جعفرك، وأمر بإخراج لسانه من قفاه وقطعه فمات.

ثم سار مع السلطان وأبيه إلى خُراسان، وأقاموا بنَيسابور مدّة، ثم أرادوا العَود إلى أصبهان، وتقدّمهم نظام المُلْك، فأحضر السلطان عميد خُراسان، وقال له: أيّما أحبّ لك رأسك أم رأس جمال المُلْك؟ فقال: بل رأسي. فقال: لئن لم تعمل في

---

(١) ساقطة من طبعة صادر ١٠/١٢٣.
(٢) من الباريسية.
(٣) في (أ): «وجد».
(٤) في (أ): «وتنبسط».
(٥) في (أ) زيادة: «أصحابه».

قتله لأقتلنّك. فاجتمع بخادم يختصّ بخدمة جمال المُلك، وقال له سرّاً: الأَوْلَى أن تحفظوا نعمتكم، ومناصبكم، وتدبّر في قتل جمال المُلْك، فإنّ السلطان يريد أن يأخذه ويقتله، ولأن تقتلوه[1] أنتم سرّاً أصلح لكم من أن يقتله السلطان ظاهراً. فظنّ الخادم أنّ ذلك صحيح، فجعل له سمّاً في كوز فُقّاع، فطلب جمال المُلك فُقّاعاً، فأعطاه الخادم ذلك الكوز، فشربه فمات، فلمّا علم السلطان بموته سار مُجِدّاً، حتّى لحِق نظامَ المُلك، فأعلمه بموت ابنه، وعزّاه، وقال: أنا ابنك، وأنتَ أَوْلَى مَنْ صَبر واحتسب[2].

ذكر الفتنة ببغداذ بين الشافعية والحنابلة

ورد إلى بغداذ، هذه السنة، الشريف أبو القاسم البكريُّ، المغربيُّ، الواعظ، وكان أشعريَّ المذهب، وكان قد قصد نظامَ المُلك، فأحبّه ومال إليه، وسيّره إلى بغداذ، وأجرى عليه الجراية الوافرة، فوعظ بالمدرسة النظاميّة، وكان يذكر الحنابلة ويعيبهم، ويقول: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾[3]، والله ما كفر أحمد ولكنّ أصحابه كفروا.

ثمّ إنّه قصد يوماً دار قاضي القضاة أبي عبدالله الدّامغانيّ بنهر القلاّئين، فجرى بين بعض أصحابه وبين قوم من الحنابلة مشاجرة أدّت إلى الفتنة، وكثُر جَمْعه، فكبس دُور بني الفرّاء، وأخذ كُتُبهم، وأخذ منها كتاب الصّفات (لأبي يَعلَى)[4]، فكان يُقرأ بين يديه وهو جالس على الكرسيّ للوعظ، فيشنّع[5] به عليهم، وجرى له معهم خصومات وفِتَن. ولُقّبَ البكريُّ من الديوان بعَلَم السُّنّة، ومات ببغداذ، ودُفن عند قبر أبي الحسن الأشعريّ[6].

---

(١) في الأوربية: «ولئن تقتلونه».

(٢) الخبر باختصار شديد في: المنتظم ٩/٥ رقم ٤ (١٦/٢٢٦ رقم ٣٥٢٦).

(٣) سورة البقرة، الآية ١٠٢.

(٤) من الباريسية.

(٥) في (أ): «فشنع».

(٦) المنتظم ٩/٣، ٤ (١٦/٢٢٤، ٢٢٥)، تاريخ دولة آل سلجوق ٧٥، المختصر في أخبار البشر ٢/١٩٤، نهاية الأرب ٢٣/٢٤٦، ٢٤٧، العبر ٣/٢٨١، ٢٨٢، تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.)=

ذكر مسير الشيخ أبي إسحاق إلى السلطان في رسالة

في هذه السنة، في ذي الحجّة، أوصل الخليفة المقتدي بأمر الله الشيخ أبا إسحاق الشِيرازيَّ إلى حضرته، وحمّله رسالةً إلى السلطان ملكشاه، ونظام المُلْك، تتضمّن[1] الشكوى من العميد أبي الفتح بن أبي الليث، عميد العراق، وأمره أن ينهي ما يجري على البلاد من النظّار[2]. فسار فكان كلّما وصل إلى مدينة من بلاد العجم يخرج أهلها إليه بنسائهم وأولادهم يتمسّحون بركابه، ويأخذون تراب بغلته للبركة.

وكان في صحبته جماعة من أعيان بغداذ[3] منهم الإمام أبو بكر الشاشيُّ وغيره.

ولمّا وصل إلى ساوة خرج جميع أهلها، وسأله[4] فقهاؤها كلّ منهم أن يدخل بيته، فلم يفعل، ولقيه أصحاب[5] الصناعات، ومعهم ما ينثرونه على محفّته، فخرج الخبّازون ينثرون الخبز، وهو ينهاهم، فلم ينتهوا، وكذلك أصحاب الفاكهة، والحلواء، وغيرهم، وخرج إليه الأساكفة، وقد عملوا مداسات لِطافاً تصلح لأرجل الأطفال، ونثروها، فكانت تسقط على رؤوس الناس، فكان الشيخ يتعجّب، ويذكر ذلك لأصحابه بعد رجوعه، ويقول: ما كان حظّكم من ذلك النثار؟ فقال له بعضهم: ما كان حظّ سيّدنا منه. فقال: [أمّا] أنا فغُطّيتُ بالمِحَفّة؛ وهو يضحك. فأكرمه السلطان ونظام المُلك. وجرى بينه وبين إمام الحرمَيْن أبي المعالي الجوَينيّ مناظرة بحضرة نظام المُلك، وأجيب إلى جميع ما التمسه، ولمّا عاد أُهين العميد، (وكُسِر عمّا كان يعتمده)[6]، ورُفعت يده عن جميع ما يتعلّق بحواشي الخليفة.

ولمّا وصل الشيخ إلى بِسطام خرج إليه السهلكيُّ، شيخ الصوفيّة بها، وهو شيخ كبير، فلمّا سمع الشيخ أبو إسحاق بوصوله خرج إليه ماشياً، فلمّا رآه السهلكيُّ ألقى

= ص ١٤، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٨٠، مرآة الجنان ٣/ ١٠٩.

(١) في الأوربية: «يتضمّن».

(٢) في (أ): «النظام».

(٣) في الباريسية: «أصحابه».

(٤) في الأوربية: «وسألوه».

(٥) في (أ): «أرباب».

(٦) من الباريسية.

نفسه من دابّة كان عليها، وقبّل يد الشيخ أبي إسحاق، فقبّل أبو إسحاق رِجله، وأقعده موضعه، وجلس أبو إسحاق بين يديه، وأظهر كلّ واحد منهما من تعظيم صاحبه كثيراً، وأعطاه شيئاً من حنطة ذُكر أنّها من عهد أبي يزيد البِسطاميّ، ففرح بها أبو إسحاق[1].

ذكر حصر شرف الدولة دمشق وعَوده عنها[2]

في هذه السنة جمع تاج الدولة تُتُش جمعاً كثيراً، وسار عن بغداذ، وقصد بلاد الروم: (أنطاكية وما جاورها)[3]، فسمع شرف الدولة، صاحب حلب، الخبر، فخافه، فجمع أيضاً العرب من عُقَيْل، والأكراد، وغيرهم، فاجتمع معه جمْعٌ كثير، فراسل الخليفةَ بمصر يطلب منه إرسال نجدة إليه ليحصر دمشق، فوعده ذلك[4] فسار إليها. فلمّا سمع تُتُش الخبر عاد إلى دمشق، فوصلها أوّل المحرّم سنة ستّ وسبعين [وأربعمائة]، ووصل شرف الدولة أواخر المحرّم، وحصر المدينة وقاتله أهلها.

وفي بعض الأيّام خرج إليه عسكر دمشق وقاتلوه، وحملوا على عسكره حملة صادقة، فانكشفوا وتضعضعوا، وانهزمت العرب، وثبت شرف الدولة، وأشرف على الأسر، وتراجع إليه أصحابه، فلمّا رأى شرف الدولة ذلك، ورأى أيضاً أنّ مصرَ لم يصل إليه منها عسكر، وأتاه عن بلاده[5] (الخبر أنّ أهل حَرَّان عصَوا عليه)[6] رحل[7] عن دمشق إلى بلاده، وأظهر أنّه يريد البلاد بفِلَسطين، فرحل أوّلاً إلى مَرْج الصُّفّر، فارتاع أهل دمشق وتُتُش واضطربوا، ثم إنه رحل من مرج الصفّر مشرّقاً في البريّة

---

(١) الإنباء في تاريخ الخلفاء ٢٠٣، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٩٤، تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ١٤، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٨٠، البداية والنهاية ١٢/ ١٢٣، مآثر الإنافة ٢/ ٢، تاريخ الخلفاء ٤٢٤.

(٢) العنوان من نسخة (أ) رقم ٤٧٦.

(٣) من (أ).

(٤) في (أ): «بذلك».

(٥) في الأوربية: «بلاد».

(٦) في الباريسية: «ما أزعجه أيضاً».

(٧) في الأوربية: «فرحل».

(وجدّ في مسيره)[1]، فهلك من المواشي الكثير مع عسكره، ومن الدوابّ شيء كثير، وانقطع خلْق كثير[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قدِم مؤيَّد المُلك بن نِظام المُلك إلى بغداذ من أصبهان، فخرج عميد الدولة بن جَهِير إلى لقائه[3]، ونزل بالمدرسة النظاميّة، وضرب على بابه الطبول، أوقات الصلوات الثلاث، فأُعطي مالاً جليلاً حتّى قطعه، وأرسل الطبول إلى تكريت[4].

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي أبو عمرو عبد الوهّاب بن محمّد بن إسحاق بن مَنْدَة[5] الأصبهانيُّ، في جُمادى الآخرة، بأصبهان، وكان حافظاً فاضلاً. والأمير أبو نصر عليّ ابن الوزير أبي القاسم هبة الله بن عليّ بن جعفر بن ماكولا[6]، مصنّف كتاب «الإكمال»[7]، ومولده سنة عشرين وأربعمائة، وكان فاضلاً حافظاً، قتله مماليكه الأتراك بكرَمان، وأخذوا ماله.

---

(١) من الباريسية.

(٢) ذيل تاريخ دمشق ١١٤ ـ ١١٦.

(٣) في الباريسية: «العامة».

(٤) تاريخ دولة آل سلجوق ٧٣، نهاية الأرب ٢٣/٢٤٧، دول الإسلام ٢/٦، تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ١٥، البداية والنهاية ١٢/١٢٣.

(٥) نظر عن (ابن مندة) في: تاريخ الإسم (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ١٣٩، ١٤٠ رقم ١٤٥ وفيه مصادر ترجمته.

(٦) انظر عن (ابن ماكولا) في: تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ١٤١ رقم ١٤٧ وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته. وقد قيل إنه توفي سنة ٤٧٥ أو ٤٧٦ أو ٤٧٩ أو ٤٨٥ أو ٤٨٦ أو ٤٨٧ أو ٤٨٩ هـ. وسيعاد في وفيات ٤٨٦ هـ.

(٧) مطبوع في سبعة أجزاء.

٤٧٦
ثم دخلت سنة ست وسبعين وأربعمائة

ذكر عزل عميد الدولة بن جَهِير عن وزارة الخليفة ومسير والده فخر الدولة إلى ديار بكر

في هذه السنة، في صفر، عُزل عميد الدولة بن جَهِير عن وزارة الخليفة، ووصل يوم عُزل رسول من السلطان، ونظام المُلك، إلى الخليفة يطلبان أن يُرْسَل إليهما بنو جَهِير، فأذِن لهما في ذلك، وساروا بجميع أهلهم ونسائهم إلى السلطان، فصادفوا منه، ومن نظام المُلك، الإكرام والاحترام، وعقد السلطان على فخر الدولة بن جَهِير ديار بكر، وخلع عليه، وأعطاه الكوسات، وسيّر معه العساكر، وأمره أن يقصدها ويأخذها من بني مروان، وأن يخطب لنفسه، ويذكر اسمه على السكّة، فسار إليها.

ولمّا فارق بنو جَهِير بغداذ رُتّب في الديوان أبو الفتح المظفّر ابن رئيس الرؤساء، وكان قبل ذلك على أبنية الدار وغيرها[١].

ذكر عصيان أهل حرّان على شرف الدولة وفتحها

في هذه السنة عصى أهل حرّان على شرف الدولة مُسلم بن قُرَيش، وأطاعوا قاضيهم ابن جَلَبَة[٢]، (وأرادوا هم)[٣] وابن عُطَير[٤] النُّميريُّ تسليم البلد إلى

---

(١) تاريخ الفارقي ٢١٩، تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ١٧، تاريخ الخلفاء ٤٢٤، نهاية الأرب ٢٣/٢٤٧، ٢٤٨.

(٢) في طبعة صادر ١٠/١٦، وتاريخ ابن خلدون ٤/٢٦٨ «ابن حلبة»، وفي مرآة الزمان «ابن جبلة» والمثبت يتفق مع زبدة الحلب ٢/٨٣، والعبر ٣/٢٨٣، وتاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ١٦.

(٣) في (أ): «وأراد واهم».

(٤) في (أ): «عطية».

جُبنق[١]، أمير التركمان، وكان شرف الدولة على دمشق، يحاصر تاجَ الدولة تُتُش بها، فبلغه الخبر، فعاد إلى حرّان وصالحَ ابن مُلاعب، صاحب حِمص، وأعطاه سَلَمْيَةَ ورَفَنِيّةَ، وبادر بالمسير[٢] إلى حَرّان، فحصرها، ورماها بالمنجنيق، فخرّب من سورها بدنة، وفتح البلد في جُمادى الأولى، وأخذ القاضي ومعه ابنان[٣] له، فصلبهم على السور[٤].

ذكر وزارة أبي شجاع محمّد بن الحسين للخليفة

في هذه السنة عزل الخليفة أبا الفتح ابن رئيس الرؤساء من النيابة في الديوان، واستوزر أبا شجاع محمّد بن الحسين، وخلع عليه خِلَع الوزارة في شعبان، ولقّبه ظهير الدين، ومدحه الشعراء فأكثروا، فممنّ مدحه وهنّأه أبو المظفّر محمّد بن العبّاس الآبِيورديُّ بالقصيدة المشهورة التي أوّلها:

هــا إنّهــا مُقَــلُ الظِّبــاء العِيــنِ ... فتكَــتْ بِسِــرّ فُــؤادِيَ المكنــونِ[٥]

ومنها:

فــانهــلّ أســرابُ الــدمــوعِ كــأنّهــا ... مِنَـحٌ يتــابعُهــا ظَهِيــرُ الــدِّيــنِ[٦]

ذكر قتل أبي المحاسن بن أبي الرضا

في هذه السنة، (في شوّال)[٧]، قُتل سيّد الرؤساء أبو المحاسن بن كمال الملك أبي الرضا، وكان قد قرب من السلطان ملكشاه قُرباً عظيماً، وكان أبوه يكتب الطُّغْراء،

---

(١) في (أ): «جيق».
(٢) في (أ): «السير».
(٣) في الأوربية: «ابنين».
(٤) تاريخ حلب ٣٥٢ (١٩)، ذيل تاريخ دمشق ١١٦، مرآة الزمان (حوادث ٤٧٦ هـ.)، تاريخ الزمان ١١٧ زبدة الحلب ٢/ ٨٣، الأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ١/ ٤٦، ٤٧، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٤٨، الدرّة المضية ٤٢٩ (حوادث ٤٨٠ هـ.)، العبر ٣/ ٢٨٣، تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ١٦، ١٧، مرآة الجنان ٣/ ١٠٩، ١١٠، البداية والنهاية ١٢/ ١٢٤، تاريخ ابن خلدون ٤/ ٢٦٧، ٢٦٨، شذرات الذهب ٣/ ٣٤٩.
(٥) في (أ): «المظنون».
(٦) في (أ) زيادة: «وهي طويلة مشهورة».
والخبر في: تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ١٧، وتاريخ الخلفاء ٤٢٤.
(٧) من (أ).

فقال أبو المحاسن للسلطان: سلّمْ إليّ نظام المُلك وأصحابه، وأنا أُسلّم إليك منهم ألف ألف دينار، فإنّهم يأكلون الأموال، ويقتطعون الأعمال؛ وعظّم عنده ذخائرهم.

فبلغ ذلك نظام المُلك، فعمل سِماطاً عظيماً، وأقام عليه مماليكه، وهم[1] ألوف من الأتراك، وأقام خيلهم وسلاحهم على حيالهم[2]، فلمّا حضر السلطان قال له: إنّني قد خدمتُك، وخدمتُ أباك وجدّك، ولي حقّ خدمة، وقد بلغك أخْذي لعُشر أموالك، وصدق هذا، أنا آخذه وأصرفه إلى هؤلاء الغلمان الذين جمعتُهم لك، وأصرفه أيضاً إلى الصدقات، والصِّلات، والوقوف التي أعظم ذِكرها، وشكرها، وأجرها لك، وأموالي، وجميع ما أملكه بين يدَيْك، وأنا أقنع بمرقّعةٍ وزاوية، فأمر السلطان بالقبض على أبي المحاسن وأن تُسمَل عيناه، وأنفذه إلى قلعة سَاوة.

وسمع أبوه كمال الملك الخبر، فاستجار بدار نظام الملك، فسلم، وبذل مائتَيْ ألف دينار، وعُزل عن الطُّغراء، ورُتّب مكانه مُؤيّد المُلْك بن نظام المُلك[3].

ذكر استيلاء مالك بن عَلَويّ على القَيروان وأخذها منه

في هذه السنة جمع مالك بن عَلَويّ الصخريُّ[4] العرب فأكثر، وسار إلى المهديّة فحصرها، فقام الأمير تميم بن المعزّ قياماً تامّاً، ورحّله عنها، ولم يظفر منها بشيء، فسار مالك منها[5] إلى القَيروان فحصرها وملكها، فجرّد إليه تميم العساكر العظيمة، فحصروه بها، فلمّا رأى مالك أنّه لا طاقة له بتميم خرج عنها وتركها، فاستولى عليها عسكر تميم وعادت إلى ملكه كما كانت[6].

---

(١) في الأصل: «وهو».
(٢) في الأوربية: «حمالهم».
(٣) نهاية الأرب ٢٦/٣٢٣، ٣٢٤، تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ١٧، ١٨.
(٤) من (أ): «الصحري».
(٥) من (أ).
(٦) تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ١٨، مآثر الإنافة ١/٣٤٩.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عمّ الرخص جميع البلاد، فبلغ كرُّ الحنطة الجيّدة ببغداذ عشرة دنانير[1].

[الوَفَيَات]

وفيها، في جمادى الآخرة، توفّي الشيخ أبو إسحاق الشيرازيُّ[2]، وكان مولده سنة ثلاثٍ وتسعين وثلاثمائة، وأكثر الشعراء مراثيه، فمنهم أبو الحسن الخبّاز، والبَنْدَنِيجيُّ، وغيرهما، وكان، رحمة الله عليه، واحد عصره علماً وزهداً وعبادة وسخاء، وصُلّي عليه في جامع القصر، وجلس أصحابه للعزاء في المدرسة النظاميّة ثلاثة أيّام، ولم يتخلّف أحدٌ عن العزاء.

وكان مؤيّد المُلك بن نظام المُلك ببغداذ، فرتّب في التدريس أبا سعد عبد الرحمن بن المأمون المتولّي، فلمّا بلغ ذلك نظام المُلك أنكره، وقال: كان يجب أن تُغْلَق المدرسة بعد الشيخ أبي إسحاق سنةً؛ وصُلّي عليه بباب الفردوس، وهذا لم يُفعل على غيره، وصلّى عليه الخليفة المقتدي بأمر الله، وتقدّم في الصلاة عليه أبو الفتح ابن رئيس الرؤساء، وهو ينوب في الوزارة، ثم صُلّي عليه بجامع القصر، ودفن بباب أبرز.

---

(1) تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ١٨، تاريخ الخلفاء ٤٢٤.

(2) هو إبراهيم بن علي بن يوسف. انظر عنه في: تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ١٤٨ ـ ١٦٣ رقم ١٦٢ وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

٤٧٧
ثم دخلت سنة سبع وسبعين وأربعمائة

ذكر الحرب بين فخر الدولة بن جَهِير وابن مروان وشرف الدولة

قد تقدّم ذكر مسير فخر الدولة بن جَهِير في العساكر السلطانيّة إلى ديار بكر، فلمّا كانت هذه السنة سيّر السلطان إليه أيضاً جيشاً فيهم الأمير أُرتق بن أكسب، وأمرهم بمساعدته.

وكان ابن مروان قد مضى إلى شرف الدولة وسأله نُصرته على أن يسلّم إليه آمِد، وحلف كلّ واحد لصاحبه، وكلّ منهما يرى أنّ صاحبه كاذبٌ لما كان بينهما من العداوة المستحكمة، واجتمعا على حرب فخر الدولة، وسارا إلى آمِد، وقد نزل فخر الدولة بنواحيها، فلمّا رأى فخر الدولة اجتماعهما مال إلى الصُّلح، وقال: لا أوثر أن يحلّ بالعرب بلاء على يدي. فعرف[1] التركمان ما عزم عليه، فركبوا ليلاً وأتوا إلى العرب وأحاطوا بهم في ربيع الأوّل، والتحم القتال واشتدّ، فانهزمت العرب، ولم يحضر هذه الوقعة الوزير فخر الدولة، ولا أُرتُق، وغنم التركمان حِلل العرب ودوابّهم، وانهزم شرف الدولة، وحمى[2] نفسه حتّى وصل إلى فصيل آمِد، وحصره فخر الدولة ومن معه.

فلمّا رأى شرف الدولة أنّه محصورٌ خاف على نفسه، فراسل الأميرَ أُرتُق، وبذل له مالاً، وسأله أن يمنّ عليه بنفسه، ويمكّنه من الخروج من آمِد، وكان هو على حفظ الطُّرق والحصار. فلمّا سمع أُرتُق ما بذل له شرف الدولة أذِن له في الخروج، فخرج منها في الحادي والعشرين من ربيع الأوّل، وقصد الرَّقّة، وأرسل إلى أُرتُق بما كان

---

(١) في (أ): «فعلم».
(٢) في الأوربية: «وحما».

وعده به، وسار ابن جَهِير إلى ميّافارقين، ومعه من الأمراء الأمير بهاء الدولة منصور بن مَزْيد، وابنه سيف الدولة صدقة، ففارقوه وعادوا إلى العراق، وسار فخر الدولة إلى خِلاط.

ولمّا استولى العسكر السلطانيّ على حِلل العرب، وغنموا أموالهم، وسبوا حريمهم، بذل سيف الدولة صدقة بن منصور بن مَزْيد الأموال، وافتكّ أسرى بني عُقَيْل ونساءهم وأولادهم وجهّزهم جميعهم وردّهم إلى بلادهم، ففعل أمراً عظيماً، وأسدى مَكْرُمة شريفةً، ومدحه الشعراء في ذلك فأكثروا، فمنهم محمّد بن خليفة السِّنبسيُّ يذكر ذلك في قصيدة:

كما أحْرزتَ شُكرَ بَني عُقَيْلٍ ... بآمِدَ يومَ كَظَّهُمُ الحِذارُ
غداةَ رَمَتْهُمُ الأتراكُ طُرّاً ... بشُهبٍ في حَوافِلِها ازورارُ
فنا جَبُنُوا، ولكِن فاضَ بحرٌ ... عظيمٌ لا تقاومُهُ البحارُ
فحِينَ تنازَلُوا تَحتَ المَنايا، ... وفيهِنّ الرَّزِيَّةُ والدَّمارُ[1]
مننتَ عليهِمُ، وفككتَ عَنهُم، ... وفي أثناء حبلِهِمُ انتشارُ
ولولا أنتَ لم يَنفكَّ منهُم ... أسِيرٌ، حينَ أغْلَقَهُ الإسارُ

في أبياتٍ كثيرة، وذكرها أيضاً البندنيجيُّ فأحسن، ولولا خوف التطويل لذكرتُ أبياته[2].

ذكر استيلاء عميد الدولة على الموصل

لمّا بلغ السلطانَ أنّ شرف الدولة انهزم وحُصر بآمِد لم يشكّ في أسره، فخلع على عميد الدولة بن جَهِير، وسيّره في جيش كثيفٍ إلى الموصل، وكاتب أمراء التركمان بطاعته، وسيّر معه من الأمراء آقسَنْقَر، قسيم الدولة، جدَّ ملوكنا أصحاب الموصل، وهو الذي أقطعه السلطان بعد ذلك حلب.

---

(١) في الأوربية: «والذمار».

(٢) تاريخ حلب ٣٥٢ (١٩)، ذيل تاريخ دمشق ١١٧، تاريخ دولة آل سلجوق ٧٥، ٧٦، تاريخ الفارقي ٢١١، ٢١٢ و٢٢١، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٩٥، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٤٨، الدرة المضية ٤٠٩، ٤١٠، تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ١٩، ٢٠، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٨١، ٣٨٢، البداية والنهاية ١٢/ ١٢٦، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٧٥ و٤/ ٢٦٩.

وكان الأمير أُرْتُق قد قصد السلطان، فعاد صحبة[1] عميد الدولة من الطريق، فسار عميد الدولة حتّى وصل إلى الموصل، فأرسل إلى أهلها يشير عليهم بطاعة السلطان وترك عصيانه، ففتحوا له البلد وسلّموه إليه، وسار السلطان بنفسه وعساكره إلى بلاد شرف الدولة ليِملكها، فأتاه الخبر بخروج أخيه تكش بخُراسان، على ما نذكره.

ورأى شرَف الدولة قد خلص من الحصْر، فأرسل مؤيّد المُلك بن نظام المُلك إلى شرف الدولة، وهو مقابل الرحبة، فأعطاه العهود والمواثيق، وأحضره عند السلطان، وهو بالبوازيج، فخلع عليه آخر رجب، وكانت أمواله قد ذهبت، فاقترض ما خدم به، وحمل للسلطان خيلاً رائقة، من جملتها فرسه بشّار، وهو فرسه المشهور الذي نجا عليه من المعركة، ومن آمِد أيضاً، وكان سابقاً لا يُجارى، فأمر السلطان بأن يسابق به الخيل، فجاء سابقاً، فقام السلطان قائماً لِما تَدَاخله[2] من العجب.

وأرسل الخليفة النقيب طراداً[3] الزينبيَّ في لقاء[4] شرف الدولة، فلقيه بالموصل، فزاد أمر شرف الدولة قوّةً، وصالحه السلطان، وأقرّه على بلاده، وعاد إلى خُراسان لحرب أخيه[5].

ذكر عصيان تكش على أخيه السلطان ملكشاه

قد تقدَّم ذكرُه، وذكر مصالحته للسلطان، فلمّا كان الآن، ورأى بُعد السلطان عنه عاود العصيان، وكان أصحابه يؤثرون الاختلاط، فحسّنوا له مفارقة طاعة أخيه، فأجابهم، وسار معهم، فملك مرو الروذ وغيرها إلى قلعة تقارب سَرْخَس وهي

---

(1) في الأوربية: «صحبته».

(2) في (أ): «داخله».

(3) في الأوربية: «طراد».

(4) في الأوربية: «معنى».

(5) تاريخ حلب ٣٥٢ (١٩)، التاريخ الباهر ٥، ذيل تاريخ دمشق ١١٧، زبدة الحلب ٢/ ٨٤ ـ ٨٦، تاريخ دولة آل سلجوق ٧٦، ٧٧، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٩٥، تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ٢٠، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٨٢، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٧٥.

لمسعود ابن الأمير ياخز[1]، وقد حصنّها جُهْدَهُ، فحصروه بها، ولم يبق غير أخذها منه.

فاتّفق أبو الفتوح الطُّوسيُّ، صاحب نظام المُلك، وهو بنَيسابور، وعميد خُراسان، وهو أبو عليّ، على أن يكتب أبو الفتوح ملطّفاً إلى مسعود بن ياخز[2]، وكان خطّ أبي الفتوح أشبه شيء بخطّ نظام المُلك، يقول فيه: كتبتُ هذه الرقعة من الرَّيّ يوم كذا، ونحن سائرون من الغد نحوك، فاحفظ القلعة، ونحن نكبس العدوّ في ليلة كذا. واستدعيا فَيْجاً يثقونَ به، وأعطياه دنانير صالحة، وقالا: سِرْ نحو مسعود، فإذا وصلتَ إلى المكان الفلاني فأَقِمْ به ونم وأخف هذا الملطّف في بعض حيطانه، فستأخذك طلائع تكش، فلا تعترف لهم حتّى يضربوك، فإذا فعلوا ذلك وبالغوا فأخرِجْه لهم، وقُلْ إنّك فارقتَ السلطان بالرَّيّ، ولك منّا الحِباء والكرامة.

ففعل ذلك، وجرى الأمر على ما وصفا، وأُحضِر بين يدَيْ تكش وضُرب، وعُرض على القتل، فأظهر الملطّف وسلّمه إليهم، وأخبرهم أنّه فارق السلطان ونظام المُلك بالرَّيّ في العساكر، وهو سائر، فلمّا وقفوا على الملطّف، وسمعوا كلام الرجل، ساروا من وقتهم، وتركوا خيامهم ودوابّهم، والقدور على النار، (فلم يصبروا على ما فيها)[3]، وعادوا إلى قلعة وَنَجَ[4]. وكان هذا من الفرج العجيب. فنزل مسعود وأخذ ما في المعسكر، وورد السلطان إلى خُراسان بعد ثلاثة أشهر، ولولا هذا الفعل لنهب تكش إلى باب الرَّيّ.

ولمّا وصل السلطان قصد تكش وأخذه، وكان قد حلف له بالأَيْمان أنّه لا يؤذيه، ولا يَناله منه مكروه، فأفتاه بعض من حضر بأن يجعل الأمر إلى ولده أحمد، ففعل ذلك، فأمر أحمد بكحْله، فكُحل وسُجن[5].

---

(١) في الباريسية: «باجر».

(٢) في الباريسية: «باحر».

(٣) من الباريسية.

(٤) في (أ): «وبج».

(٥) تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ) ص ٢٠، البداية والنهاية ١٢/١٢٦.

ذكر فتح سليمان بن قُتلمش أنطاكية

في هذه السنة سار سليمان بن قُتلمش، صاحب قونية وأقصرا وأعمالها من بلاد الروم، إلى الشام، فملك مدينة أنطاكية من أرض الشام، وكانت بيد الروم من سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة.

وسبب ملك سليمان المدينة أنّ صاحبها الفردوس[١] الروميّ كان قد سار عنها إلى بلاد الروم، ورتّب بها شِحنةً، وكان الفِردوس[٢] مُسيئاً إلى أهلها، وإلى جُنده أيضاً، حتّى إنّه حبس ابنه، فاتّفق ابنه والشِحنة على تسليم البلد إلى سليمان بن قُتلمش، وكاتبوه يستدعونه، فركب البحر في ثلاثمائة فارس وكثير من الرجّالة، وخرج منه، وسار في جبال وعرة، ومضايق شديدة، حتّى وصل إليها للموعد، فنصب السلاليم، باتّفاق من الشِحنة ومن معه، وصعد السور، واجتمع بالشِحنة وأخذ[٣] البلد في شعبان، فقاتله أهل البلد، فهزمهم مرّةً بعد أخرى، وقتل كثيراً من أهلها، ثمّ عفا عنهم، وتسلّم القلعة المعروفة بالقُسيان، وأخذ من الأموال ما يجاوز الإحصاء، وأحسن إلى الرعيّة، وعدل فيهم، وأمرهم بعمارة ما خرب، ومنع أصحابه من النزول في دُورهم ومخالطتهم.

ولمّا ملك سليمان أنطاكية أرسل إلى السلطان ملكشاه يبشّره بذلك، وينسب هذا الفتح إليه لأنّه من أهله، وممّن يتولّى طاعته، فأظهر ملكشاه البشارة به، وهنأهُ الناس، فممّن قال فيه الآبيورديُّ من قصيدة مطلعُها:

لمعَتْ كناصِيةِ الحِصانِ الأشقَرِ ... نارٌ بمُعتَلِجِ الكَثِيبِ الأعفَرِ
وفَتحتَ أنطاكيّةَ الروم التي ... نَشَرتْ مَعاقِلَها على الإسكندرِ
وطِئَتْ مَناكبَها جِيادُك، فانثنَت ... تُلقِي أجِنّتها بناتُ الأصْفَرِ

وهي طويلة[٤].

---

(١) في (أ): «الفردروس».
(٢) في (أ): «الفرد الدوس».
(٣) في (أ): «ودخل».
(٤) تاريخ الزمان ١١٩، زبدة الحلب ٢/٨٦ ـ ٨٨، المختصر في أخبار البشر ٢/١٩٥، نهاية الأرب ٢٣/٢٤٨، الدرّة المضية ٤١٠، ٤١١ و٤٢٧، العبر ٣/٢٨٥، ٢٨٦، دول الإسلام=

ذكر قتل شرف الدولة وملك أخيه إبراهيم

قد تقدّم ذكر مُلك سليمان بن قُتلمش مدينة أنطاكية، فلمّا ملكها أرسل إليه شرف الدولة مُسلم بن قُريش يطلب منه ما كان يحمله إليه الفردوس[1] من المال، ويخوّفه معصية السلطان، فأجابه:

أمّا طاعة السلطان، فهي شعاري، ودثاري، والخطبة له، والسكّة في بلادي، وقد كاتبته بما فتح الله على يدي بسعادته من هذا البلد، وأعمال الكفّار.

وأمّا المال الذي كان يحمله صاحب أنطاكية قبلي، فهو كان كافراً، وكان يحمل جِزية رأسه وأصحابه، وأنا بحمد الله مؤمن، ولا أحمل شيئاً. فنهب شرف الدولة بلد أنطاكية، فنهب سليمان أيضاً بلد حلب، فلقيه أهل السواد يشكون إليه نهْب عسكره، فقال:

أنا كنتُ أشدّ كَراهيةً لما يجري، ولكنّ صاحبكم أحوجني إلى ما فعلتُ، ولم تجرِ عادتي بنهب مال مسلم، ولا أخذ ما حرّمتْه الشريعة. وأمر أصحابه بإعادة ما أخذوه منهم فأعاده.

ثم إنّ شرف الدولة جمع الجموع من العرب والتركمان، وكان ممّن معه جبق أمير التركمان في أصحابه، وسار إلى أنطاكية ليحصرها. فلمّا سمع سليمان الخبر جمع عساكره وسار إليه، فالتقيا في الرابع والعشرين من صفر سنة ثمانٍ وسبعين وأربعمائة في طرف من أعمال أنطاكية، واقتتلوا، فمال تركمان جبق إلى سليمان، فانهزمت العرب، وتبعهم شرف الدولة منهزماً، فَقُتل بعد أن صبر، وقُتل بين يدَيْه أربعمائة غلام من أحداث حلب، وكان قتله يوم الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة ثمانٍ وسبعين [وأربعمائة] وذكرتُهُ هاهنا لتتبع الحادثة بعضها بعضاً.

وكان أحول، وكان قد ملك من السنديّة التي على نهر عيسى إلى مَنْبِج من

= (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ٢١، ٢٢، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٨٢، تاريخ ابن خلدون ٤/ ٢٦٩، تاريخ الخلفاء ٤٢٤.

(١) في (أ): «الفردروس»؛ وكذا في التاريخ الباهر، وتاريخ الإسلام، وفي زبدة الحلب ٢/ ٨٦ «الفلادرس» و«الفلاردوس».

الشام، وما والاها من البلاد، وكان في يده ديار ربيعة ومُضر من أرض الجزيرة والموصل وحلب، وما كان لأبيه وعمّه قرواش، وكان عادلاً، حسن السيرة، والأمن في بلاده عامٌّ، والرخص شاملٌ، وكان يسوس بلاده سياسة عظيمة بحيث يسير الراكب والراكبان فلا يخافان شيئاً. وكان له في كلّ بلد وقرية عامل، وقاضٍ، وصاحب خبر، بحيث لا[1] يتعدّى أحدٌ على أحد.

ولمّا قُتل قصد بنو عُقيل أخاه إبراهيم بن قُريش، وهو محبوس، فأخرجوه وملّكوه أمرهم، وكان قد مكث في الحبس سنين كثيرةً بحيث أنّه لم يمكنه المشي والحركة لمّا أُخرج؛ ولمّا قُتل شرف الدولة سار سليمان بن قُتلمش إلى حلب فحصرها مستهلّ ربيع الأوّل سنة ثمانٍ وسبعين [وأربعمائة]، فأقام عليها إلى خامس ربيع الآخر من السنة، فلم يبلغ منها غرضاً، فرحل عنها[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في صفر، انقضّ كوكب من المشرق إلى المغرب، كان حجمه كالقمر وضوءُه كضوئه، وسار مدًى بعيداً على مهلٍ وتُؤدةٍ في نحو ساعة، ولم يكن له شبيه[3] من الكواكب[4].

وفيها وُلد السلطان سَنْجَرُ بن ملكشاه في الخامس والعشرين من رجب، بمدينة سِنجار من أرض الجزيرة مقارب الموصل بينهما يومان، عند نزول السلطان بها، وسمّاه أحمد، وإنّما قيل له سَنْجَر باسم المدينة التي وُلد فيها، وأمّه أمّ ولد.

---

(١) في الأوربية: «ألاّ».

(٢) تاريخ حلب ٣٥٣ (٢٠) ذيل تاريخ دمشق ١١٨، تاريخ الزمان ١١٩، زبدة الحلب ٢/ ٩١، ٩٢ و٩٥، تاريخ دولة آل سلجوق ٧٧، الأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ٢/ ٤٨، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٩٦، الدرة المضية ٤١١، العبر ٣/ ٢٨٦، تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ٢٢، دول الإسلام ٢/ ٧، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٨٢، البداية والنهاية ١٢/ ١٢٦، تاريخ ابن خلدون ٤/ ٢٦٩، مآثر الإنافة ٢/ ٥.

(٣) في (أ): «شبه».

(٤) المنتظم ٩/ ١٠ (١٦/ ٢٣٤).

[الوفيات]

وفي هذه السنة، في جمادى الأولى، توفّي الشيخ أبو نصر عبد السيّد بن محمّد[1] بن عبد الواحد بن الصَّبّاغ، الفقيه الشافعيُّ، صاحب الشامل والكامل، وكفاية المسائل وغيرها من التصانيف، بعد أن أضرّ عدّة سنين، وكان مولده سنة أربعمائة.

والقاضي أبو عبدالله الحسين بن عليّ[2] البغداذيُّ المعروف بابن البقّال، وهو من شيوخ أصحاب الشافعيّ، وكان إليه القضاء بباب الأزج، وحجّ لمّا انقطع الحجّ على سبيل التجريد.

وإسماعيل بن مسعدة[3] بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم أبو القاسم الإسماعيليُّ، الجُرجانيُّ، ومولده سنة سبع[4] وأربعمائة، وكان إماماً فقيهاً شافعيّاً، محدّثاً، أديباً، وداره مجمع العلماء.

---

(1) انظر عن (عبد السيد بن محمد) في: تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ١٩٧ ـ ١٩٩ رقم ٢٠٧ وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

(2) هو الحسين بن أحمد بن علي، انظر عنه في: تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ١٩٣ رقم ٢٠٠ وفيه مصادر ترجمته.

(3) انظر عن (إسماعيل بن مسعدة) في: تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ١٨٧، ١٨٨ رقم ١٩٧ وفيه مصادر ترجمته.

(4) في طبعة صادر ١٠/١٤١ «أربع»، والتصحيح من (أ) وتاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ١٨٨ والمنتظم ٩/١٠ رقم ١٠ (١٦/٣٣٤ رقم ٣٥٣٢) أما في المنتخب من السياق ١٤٢: وُلد سنة ست وأربعمائة.

٤٧٨

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وأربعمائة

ذكر استيلاء الفرنج على مدينة طُلَيْطُلة

في هذه السنة استولى الفرنج، لعنهم الله، على مدينة طُلَيْطُلة من بلاد الأندلس، وأخذوها من المسلمين، وهي من أكبر البلاد وأحصنها.

وسبب ذلك أنّ الأذْفونش، ملك الفرنج بالأندلس، كان قد قوي شأنه، وعظُم مُلكُه، وكَثُرَت عساكره، مذ تفرّقت بلاد الأندلس، وصار كلّ بلد بيد ملك، فصاروا مثل ملوك الطوائف، فحينئذٍ طمع الفرنج فيهم، وأخذوا كثيراً من ثغورهم.

وكان قد خدم قبل ذلك صاحبها القادر بالله بن المأمون بن يحيى بن ذي النُّون، وعرف من أين يؤتى البلد، وكيف الطريق إلى مُلكه. فلمّا كان الآن جمع الأذْفُونش عساكره وسار إلى مدينة طُلَيطلة فحصرها سبع سنين، وأخذها من القادر، فازداد قوّةً إلى قوّته.

وكان المعتمد على الله أبو عبدالله محمّد بن عَبّاد أعظم ملوك الأندلس من المسلمين، وكان يملك أكثر البلاد مثل: قُرْطُبَة وإشبيليةَ، وكان يؤدّي إلى الأذْفُونش ضريبة كلّ سنة. فلمّا ملك الأذفونش طُلَيطُلة أرسل إليه المعتمد الضريبة على عادته، فردّها عليه ولم يقبلها منه، فأرسل إليه يتهدّده ويتوعدّه أنّه يسير إلى مدينة قُرطُبة ويتملّكها إلاّ أن يسلّم إليه جميع الحصون التي في الجبل، ويبقي السهل للمسلمين، وكان الرسول في جمعٍ كثير كانوا خمسمائة فارس، فأنزله محمّد بن عبّاد، وفرّق أصحابه على قوّاد عسكره، ثم أمر كلّ مَنْ عنده منهم رجل أن يقتله، وأحضر الرسول وصفعه[1] حتّى خرجت عيناه، وسلِم من الجماعة ثلاثة نفَر، فعادوا إلى الأذفونش

---

(١) في (أ): «ضغطه».

فأخبروه الخبر، وكان متوجهاً إلى قُرطُبة ليحاصرها، فلمّا بلغه الخبر عاد إلى طُليطلة ليجمع آلات الحصار، ورحل المعتمِد إلى إشبيلية[١].

ذكر استيلاء ابن جَهِير على آمِد

في المحرّم من هذه السنة ملك ابن جَهِير مدينة آمِد.

وسبب ذلك أنّ فخر الدولة بن جَهِير كان قد أنفذ إليها ولدَهُ زعيم الرؤساء أبا القاسم، ومعه جناح الدولة، المعروف بالمقدّم السالار[٢]، وأرادوا[٣] قلع كرومها وبساتينها، ولم يطمَعْ مع ذلك في فتحها لحصانتها، فعمّ أهلها الجوع، وتعذّرت الأقوات، وكادوا يهلكون، وهم صابرون على الحصار، غير مكترثين له.

فاتّفق أنّ بعض الجُند نزل من السور لحاجةٍ لهم، وتركوا أسلحتهم مكانها، فصعِد إلى ذلك المكان عددٌ من العامّة تقدّمهم رجل من السواد يُعرف بأبي الحسن[٤]، فلبس السلاح، ووقف على ذلك المكان[٥]، ونادى بشعار السلطان، وفعل من معه كفعله، وطلبوا زعيم الرؤساء، فأتاهم، وملك البلد، واتّفق أهل المدينة على نهب بيوت النصارى لما كانوا يلقون من نُوّاب بني مروان من الجور والحكم[٦]، وكان أكثرهم نصارى، فانتقموا منهم[٧].

ذكر ملكه أيضاً ميّافارقين

وفي هذه السنة أيضاً، في سادس جمادى الآخرة، ملك فخر الدولة ميّافارقين، وكان مقيماً على حصارها، فوصل إليه سعد الدولة كوهرائين في عسكره نجدةً له،

---

(١) وفيات الأعيان ٥/٢٧، المختصر في أخبار البشر ٢/١٩٦، نهاية الأرب ٢٣/٢٤٨، دول الإسلام ٢/٨، العبر ٣/٢٨٩، تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ٢٤، تاريخ ابن الوردي ١/٣٨٣، مآثر الإنافة ٢/١٠، شذرات الذهب ٣/٣٥٧.

(٢) في (أ): «السلار».

(٣) في (أ) «فحصرها وأرادوا».

(٤) في (أ): «الجيش».

(٥) من (أ).

(٦) في (أ): «والتحكم».

(٧) المختصر في أخبار البشر ٢/١٩٦، تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ٢٦، تاريخ ابن الوردي ١/٣٨٣، البداية والنهاية ١٢/١٢٧.

فجدّ في القتال فسقط من سورها قطعة، فلمّا رأى أهلها ذلك نادوا بشعار ملكشاه، وسلّموا البلد إلى فخر الدولة وأخذ[1] جميع ما استولى عليه من أموال بني مروان وأنفذه[2] إلى السلطان مع ابنه زعيم الرؤساء، فانحدر هو وكوهرائين إلى بغداذ، وسار زعيم الرؤساء منها إلى أصبهان، فوصلها في شوّال، وأوصل ما معه إلى السلطان[3].

ذكر ملك جزيرة ابن عمر

في هذه السنة أرسل فخر الدولة جيشاً إلى جزيرة ابن عمر، وهي لبني مروان أيضاً، فحصروها، فثار أهل بيتٍ من أهلها يقال لهم بنو وهبان، وهم من أعيان أهلها، وقصدوا باباً للبلد صغيراً يقال له باب البُوَيبة[4] لا يسلكه إلاّ الرجّالة لأنّه يُصعد إليه من ظاهر البلد بدرجٍ، فكسروه، وأدخلوا العسكر، فملكه، وانقرضت دولة بني مروان، فسبحان من لا يزول ملكه.

وهؤلاء بنو وهبان، إلى يومنا هذا، كلّما جاء إلى الجزيرة من يحصرها يخرجون من البلد، ولم يبق منهم من له شوكة، ولا منزلة يفعل بها شيئاً، وإنّما بتلك الحركة يؤخذون إلى الآن[5].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، (في ربيع الأوّل)[6]، وصل أمير الجيوش في عساكر مصر إلى الشام، فحصر دمشق، وبها صاحبها تاج الدولة تُتُش، فضيّق عليه، وقاتله، فلم يظفر منها بشيء، فرحل عنها عائداً إلى مصر[7].

---

(١) في الباريسية: «وأرسل».
(٢) في (أ): «وأرسله».
(٣) تاريخ الفارقي ١/٢٠٨ ـ ٢٢١ وفيه: «الكوهباري» بدل «كوهرائين»، الأعلاق الخطيرة ج٣ ق ١/٣٨٥ وفيه «الكوهياري».
(٤) في (أ): «البونية».
(٥) المختصر في أخبار البشر ٢/١٩٦، تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ٢٦، تاريخ ابن الوردي ١/٣٨٣، البداية والنهاية ١٢/١٢٧.
(٦) من (أ).
(٧) تاريخ حلب للعظيمي ٢٥٣ (٢٠)، المختصر في أخبار البشر ٢/١٩٦، العبر ٣/٢٨٩، دول الإسلام=

وفيها كانت الفتنة بين أهل الكرخ وسائر المحالّ من بغداذ، وأحرقوا من نهر الدجاج درب الآجُرّ وما قاربه، وأرسل الوزير أبو شجاع جماعةً من الجُند، ونهاهم عن سفك الدماء تحرّجاً من الإثم، فلم يمكنهم تلافي الخَطْب فعظُم[1].

وفيها كانت زلزلة شديدة بخُوزستان وفارس، وكان أشدّها بأرّجَان، فسقطت الدُّور، وهلك تحتها خلق كثير[2].

وفيها، في ربيع الأوّل، هاجت ريحٌ عظيمة سوداء بعد العشاء، وكثر الرَّعد والبرق، وسقط على الأرض رمل أحمر وتراب كثير، وكانت النيران[3] تضطرم في أطراف السماء، وكان أكثرها بالعراق وبلاد الموصل، فألقت النخيل والأشجار، وسقط معها صواعق في كثير من البلاد، حتّى ظنّ الناس أنّ القيامة قد قامت، ثم انجلى ذلك نصف الليل[4].

[الوفيات]

وفيها، في ربيع الآخر، توفّي إمام الحرمَيْن أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجُوَينيُّ، ومولده سنة سبع[5] عشرة وأربعمائة، وهو الإمام المشهور في الفقه والأصولَيْن وغيرهما من العلوم، وسمع الحديث من أبي محمّد الجوهريّ وغيره[6].

= ٨/٢، تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ٢٧، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٨٣.

(١) المنتظم ٩/ ١٥ و١٦ (١٦/ ٢٤١ و٢٤٢)، العبر ٣/ ٢٨٩، تاريخ الإسلام ٢٧، مرآة الجنان ٣/ ١٢٢، البداية والنهاية ١٢/ ١٢٧.

(٢) المنتظم ٩/ ١٤ (١٦/ ٢٣٩)، تاريخ الإسلام ٢٧، البداية والنهاية ١٢/ ١٢٧، كشف الصلصلة ١٨١.

(٣) في (أ): «النار».

(٤) المنتظم ٩/ ١٤ (١٦/ ٢٤٠، ٢٤١)، تاريخ الزمان ١١٩، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٤٩، دول الإسلام ٨/٢، تاريخ الإسلام ٢٧، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٨٣، البداية والنهاية ١٢/ ١٢٧، النجوم الزاهرة ٥/ ١٢٠، تاريخ الخلفاء ٤٢٤.

(٥) في تاريخ الإسلام وغيره من المصادر: سنة تسع عشرة، والمثبت يتفق مع: المنتظم، وتاريخ الخميس، والنسخة الباريسية.

(٦) انظر عن (الإمام الجويني) في: تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ٢٢٩ ـ ٢٣٩ رقم ٢٤٧ وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

وفيها، في ذي الحجّة، توفّي محمّد بن أحمد بن عبدالله (بن أحمد)[1] بن الوليد أبو عليّ المتكلّم[2]، كان أحد رؤساء المعتزلة وأئمتهم، ولزم بيته خمسين سنة لم يقدر على أن يخرج منه من عامّة بغداذ، وأخذ الكلام عن أبي الحسين البصريّ وعبد الجبّار الهمذانيّ القاضي؛ ومن جملة تلاميذه ابن برهان، وهو أكبر منه.

وفي هذه السنة توفّي القاضي أبو الحسن هبة الله بن محمّد[3] بن السِّيبيّ، قاضي الحريم، بنهر مُعَلَّى، ومولده سنة أربع وتسعين وثلاثمائة، وكان يذاكر الإمام المقتدي بأمر الله، ووليَ ابنه أبو الفَرَج عبد الوهّاب بين يدَيْ قاضي القضاة ابن الدّامغانيّ.

وفيها، في جُمادى الأولى، توفّي أبو العزّ بن صدقة، وزير شرف الدولة، ببغداذ، وكان قد قبض عليه شرف الدولة وسجنه بالرحبة، فهرب منها إلى بغداذ، فمات بعد وصوله إلى مأمنه بأربعة أشهر، وكان كريماً متواضعاً لم تغيّره الولاية عن إخوانه.

وفيها، في رجب، توفّي قاضي القضاة أبو عبدالله بن الدامغانيّ[4]، ومولده سنة ثمانٍ وتسعين[5] وثلاثمائة، ودخل بغداذ سنة تسع عشرة وأربعمائة، وكان قد صحِب القاضي أبا العلاء بن صاعد، وحضر ببغداذ مجلس أبي الحسين القُدُوريّ، ووليه قضاء القضاة بعده القاضي أبو بكر بن المظفّر بن بكران الشاميُّ، وهو من أكبر أصحاب القاضي أبي الطيّب الطبريّ.

وفيها توفّي (عبد الرحمن بن مأمون بن عليّ)[6] أبو سعد[7] المتولّي مدرّس النظاميّة، وهو من أصحاب القاضي حسين المَرْوَرُّوذِيّ وتمّم كتاب «الإبانة».

---

(١) من (أ).

(٢) انظر عن (أبي علي بن الوليد) في: تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ٢٤٤، ٢٤٥ رقم ٢٥٩ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٣) هو هبة الله بن عبدالله بن أحمد بن محمد القصري. انظر عنه في: تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ٢٥٥، ٢٥٦ رقم ٢٦٧ وفيه مصادر ترجمته.

(٤) هو محمد بن علي بن محمد بن حسن. انظر عنه في: تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ٢٤٧ ـ ٢٥١ رقم ٢٦٣ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٥) في (أ): «وسبعين». والمثبت هو الصحيح.

(٦) من الباريسية.

(٧) انظر عن (أبي سعد عبد الرحمن) في: تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ٢٢٦، ٢٢٧ رقم ٢٤٣ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

٤٧٩
ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة

ذكر قتل سليمان بن قُتلمِش

لمّا قتَل سليمانُ بن قُتلمِش شرفَ الدولة مُسلمَ بن قُريش على ما ذكرناه، أرسل إلى ابن الحُتَيْتيّ العبّاسيّ، مقدّم أهل حلب، يطلب منه تسليمها إليه، فأنفذ إليه، واستمهله إلى[١] أن يكاتب السلطانَ ملكشاه، وأرسل ابن الحتيتيّ إلى تُتُش، صاحب دمشق، يعده أن يسلّم إليه حلب، فسار تُتُش طالباً لحلب، فعلم سليمان بذلك، فسار نحوه مُجِدّاً، فوصل إلى تُتُش وقت السَّحَر[٢] على غير تَعْبئةٍ، فلم يعلم به حتّى قَرُب منه، فعبّأ أصحابه.

وكان الأمير أُرْتُق بن أكسب مع تُتُش، وكان منصوراً لم يشهد حرباً إلاّ وكان الظَّفَر له، وقد ذكرنا فيما تقدّم حضوره مع ابن جَهِير على آمِد، وإطلاقه شرف الدولة من آمِد، فلمّا فعل ذلك خاف أن ينهي ابن جَهِير ذلك إلى السلطان، ففارق خدمته، ولحِق بتاج الدولة تُتُش، فأقطعه البيت المقدّس، وحضر معه هذه الحرب، فأبلى فيها بلاءً حسناً، وحرّض العرب على القتال، فانهزم أصحاب سليمان، وثبت وهو في القلب، فلمّا رأى انهزام عساكره أخرج سكّيناً معه فقتل نفسه، وقيل بل قُتل في المعركة، واستولى تُتُش على عسكره.

وكان سليمان بن قُتلمِش، في السنة الماضية، (في صفر)[٣]، قد أنفذ جثّة شرف

---

(١) من الباريسية.

(٢) في (أ): زيادة «وتَتش».

(٣) من (أ).

الدولة إلى حلب على بغل ملفوفةً في إزار، وطلب من أهلها أن يسلّموها إليه.

وفي هذه السنة في صفر أرسل تُتُش جثّة سليمان في إزارٍ ليسلّموها إليه، فأجابه ابن الحتيتيّ أنّه يكاتب السلطانَ، ومهما أمره فعل، فحصر تُتُش البلد، وأقام عليه، وضيّق على أهله.

وكان ابن الحُتَيْتيّ قد سلّم كلّ برج من أبراجها إلى رجل من أعيان البلد ليحفظه، وسلّم برجاً فيها إلى إنسان يُعرف بابن الرعوي. ثم إنّ ابن الحتيتيّ أوحشه بكلام أغلظ له فيه، وكان هذا الرجل شديد القوّة، ورأى ما الناس فيه من الشدّة، فدعاه ذلك إلى أن أرسل إلى تُتُش يستدعيه، وواعده ليلة يرفع الرجال إلى السور في الحبال، فأتى تُتُش للميعاد الذي ذكره، فأصعد الرجال في الحبال والسلاليم، وملك تُتُش المدينة، واستجار ابن الحُتيتيّ بالأمير أُرتُق فشفع فيه، وأمّا القلعة فكان بها سالم بن مالك بن بدران، وهو ابن عمّ شرف الدولة مسلم بن قريش، فأقام تُتُش يحصر القلعة سبعة عشر يوماً، فبلغه الخبر بوصول مقدّمة أخيه السلطان ملكشاه، فرحل عنها[1].

ذكر ملك السلطان حلب وغيرها

كان ابن الحُتَيْتيّ قد كاتب السلطانَ ملكشاه يستدعيه ليسلّم إليه حلب، لمّا خاف تاج الدولة تُتُش، فسار إليه من أصبهان في جمادى الآخرة، وجعل على مقدّمته الأمير برسق[2]، وبوزان، وغيرهما من الأمراء، وجعل طريقه على الموصل، فوصلها في رجب، وسار منها، فلمّا وصل إلى حَرّان سلّمها إليه ابن الشاطر، فأقطعها السلطان لمحمّد بن شرف الدولة، وسار إلى الرُّها، وهي بيد الروم، فحصرها وملكها، وكانوا قد اشتروها من ابن عُطَيْر[3]، وتقدّم ذِكر ذلك، وسار إلى قلعة جَعْبَر، فحصرها يوماً

---

(١) تاريخ حلب للعظيمي ٣٥٣ (٢٠)، ذيل تاريخ دمشق ١١٨، ١١٩، تاريخ الزمان ١١٩، زبدة الحلب ٢/ ٩٥ ـ ٩٩، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٩٧، الدرّة المضية ٤١٢، العبر ٣/ ٢٩٣، دول الإسلام ٢/ ٩، تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ) ص ٢٨، البداية والنهاية ١٢/ ١٣٠، تاريخ ابن خلدون ٤/ ٢٦٩، إتعاظ الحنفا ٢/ ٣٢٢، النجوم الزاهرة ٥/ ١٢٤.

(٢) في (أ): «برشق».

(٣) في (أ): «عطية».

وليلة وملكها، وقتل من بها من بني قُشير، وأخذ جَعْبَر من صاحبها، وهو شيخ أعمى، وولدَيْن له، وكانت الأذيّة بهم عظيمة يقطعون الطرق ويلجأون إليها.

ثم عبر الفرات إلى مدينة حلب، فملك في طريقه مدينة مَنْبِج، فلمّا قارب حلب رحل عنها أخوه تُتُش، وكان قد ملك المدينة، كما ذكرناه، وسار عنها يسلك البرّيّة، ومعه الأمير أُرتق، فأشار بكبس عسكر السلطان، وقال: إنّهم قد وصلوا، وبهم وبدوابّهم من التعب ما ليس عندهم معه امتناع؛ ولو فعل لظفر بهم.

فقال تُتُش: لا أكسِرُ جاهَ أخي الذي أنا مستظلّ بظلّه، فإنّه يعود بالوهن عليّ أوّلاً.

وسار إلى دمشق، ولمّا وصل السلطان إلى حلب تسلّم المدينة، وسلّم إليه سالم بن مالك القلعة على أن يعوّضه عنها قلعة جَعْبَر، وكان سالم قد امتنع بها أوّلاً، فأمر السلطان أن يُرمى إليه رشقاً واحداً بالسهام، فرمى الجيش، فكادت الشمس تحتجب لكثرة السهام، فصانع عنها بقلعة جَعْبَر وسلّمها[(١)]، وسلّم السلطان إليه قلعة جَعْبَر. فبقيت بيده وبيد أولاده إلى أن أخذها منهم نور الدين محمود بن زنكي، على ما نذكره إن شاء الله تعالى[(٢)].

وأرسل إليه الأمير نصر بن عليّ بن مُنقذ الكِنانيُّ، صاحب شَيْزَر، فدخل في طاعته، وسلّم إليه اللاّذقيّة[(٣)]، وكَفَرطاب، وأفَامية[(٤)]، فأجابه إلى المسالمة، وترك قصده، وأقرّ عليه شَيزر.

ولمّا ملك السلطان حلب سلّمها إلى قسيم الدولة آقسنقر، فعمّرها، وأحسن السيرة فيها.

---

(١) في (أ): «وتسلمها».

(٢) تاريخ حلب ٣٥٤ (٢٠، ٢١)، التاريخ الباهر ٧، ٨، ذيل تاريخ دمشق ١١٩، زبدة الحلب ٢/ ٩٩ - ١٠١، المختصر ٢/ ١١٩، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٤٩ و٢٦/ ٣٢٤، ٣٢٥، الدرّة المضيّة ٤١٢، ٤١٣، تاريخ الإسلام ٢٨، ٢٩، تاريخ ابن الوردي ١/ ٢٨٤ و٢/ ٢، مرآة الجنان ٣/ ١٣١، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٧٦ و٤/ ٢٧٥، مآثر الإنافة ٢/ ٢.

(٣) في الأوربية: «لاذقية».

(٤) في الأوربية: «وفامية».

وأمّا ابن الحتيتيّ فإنّه كان واثقاً بإحسان السلطان ونظام المُلْك إليه، لأنّه استدعاهما، فلمّا ملك السلطان البلد طلب أهله أن يُعفيهم من ابن الحُتَيْتِيّ، فأجابهم إلى ذلك، واستصحبه معه، وأرسله إلى ديار بكر، فافتقر، وتوفّي بها على حالٍ شديدة من الفقر، وقُتل ولده بأنطاكية، قتله الفرنج لما ملكوها[1].

ذكر وفاة بهاء الدولة منصور بن مَزْيد
وولاية ابنه صدقة

في هذه السنة، في ربيع الأوّل، توفّي بهاء الدولة أبو كامل منصور بن دُبَيْس بن عليّ بن مَزْيد الأسديُّ، صاحب الحِلّة، والنِّيل، وغيرهما (ممّا يجاورها)[2]؛ ولمّا سمع نظام الملك خبر وفاته قال: مات أجلّ صاحب عِمامة؛ وكان فاضلاً قرأ على علي[3] بن برهان، فبرع بذكائه[4] في الذي استفاد منه، وله شِعر حسن، فمنه:

فإن أنَا لم أحمِلْ عظيماً ولم أَقُدْ ... لُهاماً، ولم أصبِرْ على فِعلِ مُعظمِ
ولم أُجِرِ الجاني، وأمنَعَ حوزَهُ، ... غَداةَ أُنادي للفَخارِ وأنتَمِي[5]

وله في صاحب له يُكنى أبا مالك يرثيه:

فإن كان أودَى خِدنُنا، ونديمُنا، ... أبو مالكٍ، فالنائباتُ تَنوبُ
فكلُّ ابن أُنثَى لا مَحالةَ ميّتٌ، ... وفي كلّ حيّ للمَنون نَصيبُ
ولو ردّ حُزنٌ، أو بُكاءٌ لهالكٍ، ... بَكَيْنَاهُ[6] ما هبّتْ صَباً وجَنوبُ

(١) التاريخ الباهر ٨، ذيل تاريخ دمشق ١١٩، زبدة الحلب ٢/١٠٢ و١٠٣، ١٠٤، المختصر في أخبار البشر ٢/١٩٧، ١٩٨، نهاية الأرب ٢٦/٣٢٥ و٢٣/٢٤٩، الدرّة المضية ٤٢١ و٤٣٠، مفرّج الكروب ١/١٩، تاريخ الإسلام ٢٩، تاريخ ابن الوردي ٢/٢، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٧٦ و٤/٢٧٦.

(٢) من الباريسية.

(٣) من (أ).

(٤) في الأوربية: «بذكاته».

(٥) انظر عن (منصور بن دُبيس) في: تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص٢٨٤ رقم ٣١٠ وفيه مصادر ترجمته.

(٦) في الأوربية: «بكنياه».

ولمّا توفّي أرسل الخليفة إلى ولده سيف الدولة صدقة نقيب العلويّين أبا الغنائم يعزّيه، وسار سيف الدولة إلى السلطان ملكشاه، فخلع عليه، وولاّه ما كان لأبيه، وأكثر الشعراء مراثي بهاء الدولة.

ذكر وقعة الزلاّقة بالأندلس وهزيمة الفرنج

قد تقدّم ذكر ملك الفرنج طُليطُلة، وما فعله المعتمد بن عبّاد برسول الأذفونش، ملك الفرنج، وعَود المعتمد إلى إشبيلية. فلمّا عاد إليها، وسمع مشايخ قُرطُبة بما جرى، ورأوا قوّة الفرنج، وضعْف المسلمين، واستعانة بعض ملوكهم بالفَرنج على بعض، اجتمعوا وقالوا: هذه بلاد الأندلس قد غلب عليها الفرنج، ولم يبق منها إلاّ القليل، وإن استمرّت الأحوال على ما نرى عادت نصرانيّةً كما كانت.

وساروا إلى القاضي عبدالله بن محمّد بن أدهم، فقالوا له: ألا تنظر إلى ما فيه المسلمون من الصَّغار والذِّلّة، وعطائهم الجِزية بعد أن كانوا يأخذونها، وقد رأينا رأياً نعرضه عليك. قال: ما هو؟ قالوا: نكتب إلى عرب إفريقية ونبذل لهم، فإذا وصلوا إلينا قاسمناهم أموالنا، وخرجنا معهم مجاهدين في سبيل الله. قال: نخاف، إذا وصلوا إلينا، يخرّبون بلادنا، كما فعلوا بإفريقية، ويتركون الفرنج ويبدأون بكم، والمرابطون أصلح منهم وأقرب إلينا.

قالوا له: فكاتِبْ أميرَ المسلمين، وارغبْ إليه ليعبر إلينا، ويرسل بعض قوّاده.

وقدم عليهم المعتمد بن عبّاد، وهم في ذلك، فعرض عليه القاضي ابن أدهم ما كانوا فيه، فقال له ابن عبّاد: أنت رسولي إليه في ذلك؛ فامتنع، وإنّما أراد أن يبرّىء نفسه من تهمةٍ، فألحّ عليه المعتمد، فسار إلى أمير المسلمين (يوسف بن تاشِفين)[1]، فأبلغه الرسالة، وأعلمه ما فيه المسلمون من الخوف من الأذفونش.

وكان أمير المسلمين بمدينة سَبتة، ففي الحال أمر بعبور العساكر إلى الأندلس، وأرسل إلى مَرّاكُش في طلب مَنْ بقي من عساكره، فأقبلتْ إليه تتلو بعضها بعضاً، فلمّا تكاملت عنده عبر البحر وسار، فاجتمع بالمعتمد بن عبّاد بإشبيلية، وكان قد جمع

---

(١) من الباريسية.

عساكره أيضاً، وخرج من أهل قُرطُبة عسكر كثير، وقصده المتطوّعة من سائر بلاد[1] الأندلس.

ووصلت الأخبار إلى الأذفونش فجمع فرسانه وسار من طُليطلة، وكتب إلى أمير المسلمين كتاباً كتبه له بعض أدباء المسلمين، يغلظ له القول، ويصف ما عنده من القوّة والعَدد والعُدد، وبالغ الكاتب في الكتاب. فأمر أمير المسلمين أبا بكر بن القصيرة أن يجيبه، وكان كاتباً مفلقاً، فكتب فأجاد، فلمّا قرأه على أمير المسلمين قال: هذا كتاب طويل، أحضر كتاب الأذفونش واكتبْ في ظهره الذي يكون ستراً له.

فلمّا عاد الكتاب إلى الأذفونش ارتاع لذلك، وعلم أنّه بُلي برجل له عزم وحزم، فازداد استعداداً، فرأى في منامه كأنّه راكب فيلٍ، وبين يدَيْه طبل صغير، وهو ينقر فيه، فقصّ رؤياه على القِسّيسين، فلم يعرفوا تأويلَها، فأحضر رجلاً مسلماً، عالماً بتعبير الرؤيا، فقصّها عليه[2]، فاستعفاه من تعبيرها[3]، فلم يُعفه، فقال: تأويل هذه الرؤيا من كتاب الله العزيز، وهو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ[4]﴾[5] السورة، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾[6]؛ ويقتضي هلاك ها الجيش الذي تجمعه.

فلمّا اجتمع جيشه رأى كثرته فأعجبته، فأحضر ذلك المعبّر، وقال له: بهذا الجيش ألقى إلَه محمّد، صاحب كتابكم. فانصرف المعبّر، وقال لبعض المسلمين: هذا الملك هالك وكلّ من معه؛ وذكر قول رسول الله، ﷺ، «ثلاث مهلكات» الحديث، وفيه: «وإعجاب المرء بنفسه».

وسار أمير المسلمين، والمعتمد بن عبّاد، حتّى أتوا أرضاً يقال لها الزَّلاّقة، من بلد بَطَلْيُوسَ، وأتى الأذفونش فنزل موضعاً بينه وبينهم ثمانية عشر ميلاً، فقيل لأمير

---

(١) من (أ).
(٢) من الباريسية.
(٣) في (أ): «تفسيرها».
(٤) أول سورة الفيل.
(٥) زاد في (أ): «إلى آخر».
(٦) سورة المدّثّر، الآيات ٨ ـ ١٠.

المسلمين: إنّ ابن عبّاد ربّما لم ينصحْ، ولا يبذل نفسه دونك. فأرسل إليه أمير المسلمين يأمره أن يكون في المقدّمة، ففعل ذلك، وسار، وقد ضرب الأذفونش خيامه في لحف جبل، والمعتمد في سفح جبل آخر، يتراءون، وينزل أمير المسلمين وراء الجبل الذي عنده المعتمد، وظنّ الأذفونش أنّ عساكر المسلمين ليس إلاّ الذي يراه.

وكان الفرنج في خمسين ألفاً، فتيقّنوا الغلب، وأرسل الأذفونش إلى المعتمد في ميقات القتال، وقصده الملك، فقال: غداً الجمعة، وبعده الأحد، فيكون اللقاء يوم الاثنين، فقد وصلنا على حال تعب؛ واستقرّ الأمر على هذا، وركب ليلة الجمعة سَحَراً، وصبّح بجيشه جيش المعتمد بُكرة الجمعة، غدراً، وظنّاً[1] منه أنّ ذلك المخيّم هو جميع عسكر المسلمين، فوقع القتال بينهم، فصبر المسلمون، فأشرفوا على الهزيمة.

وكان المعتمد قد أرسل إلى أمير المسلمين يعلمه بمجيء الفرنج للحرب، فقال: احملوني إلى خيام الفرنج؛ فسار إليها، فبينما هم في القتال وصل أمير المسلمين إلى خيام الفرنج[2]، فنهبها، وقتل من فيها، فلمّا رأى الفرنج ذلك لم يتمالكوا أن انهزموا، وأخذهم السيف، وتبِعهم المعتمد من خلفهم، ولقيهم أمير المسلمين من بين أيديهم، ووضع فيهم السيف، فلم يفلت منهم أحد، ونجا الأذفونش في نفرٍ يسير، وجعل المسلمون من رؤوس القتلى كُوَماً كثيرة، فكانوا يؤذّنون عليها إلى أن جِيفَت فأحرقوها.

وكانت الوقعة يوم الجمعة في العشر الأوّل من شهر رمضان سنة تسعٍ وسبعين [وأربعمائة]، وأصاب المعتمدَ جراحات في وجهه، وظهرت ذلك اليوم شجاعته. ولم يرجع من الفرنج إلى بلادهم غير ثلاثمائة فارس، وغنم المسلمون كلّ ما[3] لهم من مال وسلاح ودوابّ وغير ذلك.

وعاد ابن عبّاد إلى إشبيلية، ورجع أمير المسلمين إلى الجزيرة الخضراء، وعبر إلى سَبتة، وسار إلى مَرَّاكُش، فأقام بها إلى العام المقبل، وعاد إلى الأندلس، وحضر

---

(١) في (أ): «وبناء».
(٢) زاد في (أ): «فسار إليها».
(٣) في الأوربية: «كلّما».

معه المعتمد بن عبّاد في عسكره، وعبدالله بن بُلَكّين الصِّنْهاجيُّ، صاحب غَرناطة، في عسكره، وساروا حتّى نزلوا على ليط[1]، وهو حصن منيع بيد الفرنج، فحصروه حصراً شديداً فلم يقدروا على فتحه، فرحلوا عنه بعد مدّة، ولم يخرج إليهم أحد من الفرنج، لما أصابهم في العام الماضي، فعاد ابن عبّاد إلى إشبيلية، وعاد أمير المسلمين إلى[2] غَرناطة، وهي طريقه، ومعه عبدالله بن بُلكين، فغدر به أمير المسلمين، وأخذ غَرناطة منه وأخرجه منها، فرأى في قصوره من الأموال والذخائر ما لم يَحْوِه ملك قبله بالأندلس، ومن جملة ما وجده سُبْحَة فيها أربعمائة جوهرة، قُوّمت كلّ جوهرة بمائة دينار، ومن الجواهر ما له قيمة جليلة، إلى غير ذلك من الثياب والعُدد وغيرها، وأخذ معه عبدالله، وأخاه تميماً ابنَيْ بُلكين إلى مَرّاكُش، فكانت غَرناطة أوّل ما ملكه من بلاد الأندلس.

وقد ذكرنا فيما تقدّم سبب دخول صنهاجة إلى الأندلس، وعود مَنْ عاد منهم إلى المعزّ بإفريقية، وكان آخر من بقي منهم بالأندلس عبدالله هذا، وأُخذت مدينته، ورحل إلى العدوة.

ولمّا رجع أمير المسلمين إلى مَرّاكُش أطاعه من كان لم يُطِعه من بلاد السُّوس، ووَرغة، وقلعة مهدي، وقال له علماء الأندلس إنّه ليست طاعته بواجبة حتّى يخطب للخليفة، ويأتيه تقليد منه بالبلاد، فأرسل إلى الخليفة المقتدي بأمر الله ببغداذ، فأتاه الخِلع، والأعلام، والتقليد، ولُقّب بأمير المسلمين، وناصر الدين[3].

ذكر دخول السلطان إلى بغداذ

في هذه السنة دخل السلطان ملكشاه بغداذ في ذي الحجّة، بعد أن فتح حلب وغيرها من بلاد الشام، والجزيرة، وهي أوّل قَدْمة قدِمَها، ونزل بدار المملكة، وركب

---

(١) في (أ): «لبط».

(٢) في الأوربية: «على».

(٣) في (أ): «الدولة». وانظر خبر «الزلاّقة» في: تاريخ حلب للعظيمي ٣٥٣ (٢٠)، ذيل تاريخ دمشق ١١٨، الحلّة السيراء ٢/ ١٥٥ و١٠١، وفيات الأعيان ٥/ ٢٩، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٩٨، العبر ٣/ ٢٩٣، تاريخ الإسلام ٢٩، ٣٠، دول الإسلام ٢/ ٩، مرآة الجنان ٣/ ١٣١، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٣، شذرات الذهب ٣/ ٣٦٢.

من الغد إلى الحلْبة، ولعب بالجَوْكان والكُرَة، وأرسل إلى الخليفة هدايا كثيرة، فقبِلها الخليفة، ومن الغد أرسل نظام المُلك إلى الخليفة خدمةً كثيرة، فقبِلها، وزار السلطان (ونظام المُلك مشهد موسى بن جعفر، وقبر معروف، وأحمد بن حَنبَل وأبي حنيفة، وغيرها من)[1] القبور المعروفة، فقال ابن زكرويْه الواسطيّ يهنّىء نظام المُلك بقصيدة منها:

زُرْتَ[2] المشاهدَ زَوْرةً مشهودةً،	أرضَتْ مضاجِعَ مَنْ بها مَدفونُ
فكأنّك الغَيثُ استهلَّ[3] بتُربِها،	وكأنّها بكَ روضةٌ ومَعِينُ
فازَتْ قِداحُك بالثّوابِ وأنجَحتْ	ولكَ الإلهُ على النَّجاحِ[4] ضَمِينُ

وهي مشهورة.

وطُلب نظام المُلك إلى دار الخلافة ليلاً، فمضى في الزَّبزب، وعاد من ليلته، ومضى السلطان ونظام المُلك إلى الصيد في البرّيّة، فزارا المشهدَيْن: مشهد أمير المؤمنين عليّ، ومشهد الحسين، عليه السلام، ودخل السلطان البرّ، فاصطاد شيئاً كثيراً من الغزلان وغيرها، وأمر ببناء منارة القرون بالسُّبيعي[5]، وعاد السلطان إلى بغداذ، ودخل إلى الخليفة، فخلع عليه الخِلع السلطانيّة.

ولمّا خرج من عنده لم يزل نظام المُلك قائماً يقدّم أميراً أميراً إلى الخليفة، وكلمّا قدّم أميراً يقول: هذا العبد فلان بن فلان، وأقطاعه كذا وكذا، وعدّة عسكره كذا وكذا، إلى أن أتى على آخر الأمراء، وفوّض الخليفة إلى السلطان أمر البلاد والعباد، وأمره بالعدل فيهم، وطلب السلطان أن يقبّل يد الخليفة، فلم يُجِبه، فسأل أن يقبّل خاتمه، فأعطاه إيّاه فقبّله، ووضعه على عينه، وأمره الخليفة بالعَود فعاد.

وخلع الخليفة أيضاً على نظام المُلك، ودخل نظام المُلك إلى المدرسة النظاميّة، وجلس في خزانة الكتب، وطالع فيها كتباً، وسمع الناس عليه بالمدرسة جُزء

---

(١) ما بين القوسين من الباريسية.
(٢) في الباريسية: «القف».
(٣) في الأوربية: «استحلّ».
(٤) في الأوربية: «النحاح»، وفي الباريسية: «العجاج».
(٥) في (أ): «بالنسيعي»، والمثبت من الباريسية.

حديث، وأملَى جزءاً آخر. وأقام السلطان ببغداذ إلى صفر سنة ثمانين [وأربعمائة]، وسار منها إلى أصبهان(١).

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في المحرّم، جرى بين أهل الكَرْخ وأهل باب البصرة فتنة قُتل فيها جماعة، من جملتهم القاضي أبو الحسن ابن القاضي أبي الحسين بن الغريق الهاشميُّ، الخطيب، أصابه سهم فمات منه، ولمّا قُتل تولّى ابنه الشريف أبو تمّام ما كان إليه من الخطابة، وكان العميد كمال المُلك الدّهِستانيُّ ببغداذ، فسار بخيله ورجله إلى القنطرة العتيقة، وأعان أهل الكرْخ، ثم جرت بينهم فتنة ثانية في شوّال منها، فأعان الحجّاج على أهل الكرْخ، فانهزموا، وبلغ الناس إلى درب اللؤلؤ، وكاد أهل الكرْخ يهلكون، فخرج أبو الحسن بن برغوث العلويُّ إلى مقدّم الأحداث من السُّنّة، فسأله العفو، فعاد عنهم وردّ الناس(٢).

(وفيها زاد الماء بدجلة تاسع عشر حزيران، وجاء المطر يومَيْن ببغداذ)(٣).

وفيها، في ربيع الأوّل، أرسل العميد كمال المُلك إلى الأنبار، فتسلّمها من بني عُقَيل، وخرجت من أيديهم.

وفيها، في ربيع الآخر، فرغت المنارة بجامع القصر وأُذِّن فيها.

وفيها، في جمادى الأولى، ورد الشريف أبو القاسم عليُّ بن أبي يعلى الحسني الدبوسيُّ إلى بغداذ، في تجمّل عظيم، لم يُرَ مثله لفقيه، ورُتّب مدرّساً بالنظاميّة بعد أبي سعد المتولّي(٤).

---

(١) نهاية الأرب ٣٢٦/٢٦، العبر ٢٩٣/٣، تاريخ الإسلام ٣١، ٣٢، دول الإسلام ٩/٢، مرآة الجنان ١٣١/٣، البداية والنهاية ١٣١/١٢.

(٢) المنتظم ٢٦/٩، ٢٧ (٢٥٦/١٦)، تاريخ الإسلام ٣٢.

(٣) الخبر من (أ).

(٤) المنتظم ٢٧/٩ (٢٥٧/١٦)، الإنباء في تاريخ الخلفاء ٢٤، تاريخ الإسلام ٣٢، البداية والنهاية ١٣١/١٢.

فيها أمر السلطانُ أن يزاد في إقطاع وكلاء الخليفة نهر بُرزَى[1] من طريق خُراسان، وعشرة آلاف دينار من معاملة بغداذ.

وفيها أقطع السلطانُ ملكشاه محمّد بن شرف الدولة مسلم مدينة الرَّحبة وأعمالها، وحرَّان، وسَروج، والرَّقّة، والخَابور، وزوّجه بأخته زُلَيْخَا خاتون، فتسلّم البلاد جميعها ما عدا حرّان، فإنّ محمّد بن الشاطر امتنع من تسليمها، فلمّا وصل السلطان إلى الشام نزل عنها ابن الشاطر، فسلّمها السلطان إلى محمّد[2].

وفيها وقع ببغداذ صاعقتان، فكسرتْ إحداهما أُسطوانتَيْن، وأحرقت قطناً في صناديق، ولم تحترق الصناديق، وقتلت الثانية رجلاً[3].

وفيها كانت زلازل بالعراق، والجزيرة، والشام، وكثير من البلاد، فخربت كثيراً من البلاد، وفارق الناس مساكنهم إلى الصحراء، فلمّا سكنَتْ عادوا[4].

وفيها عُزل فخر الدولة بن جَهِير عن ديار بكر، وسلّمها السلطان إلى العميد أبي عليّ البلخيّ، وجعله عاملاً عليها[5].

وفيها أسقط اسم الخليفة المصريّ[6] من الحرمَيْن الشريفَيْن، وذكر اسم الخليفة المقتدي بأمر الله[7].

وفيها أسقط السلطان المكوس والاجتيازات بالعراق[8].

---

(1) في الباريسية مهملة: «بررى».

(2) الأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ٤٨/١، المختصر في أخبار البشر ١٩٨/٢، العبر ٢٩٣/٣، ٢٩٤، دول الإسلام ٩/٢، تاريخ الإسلام ٣٢، تاريخ ابن الوردي ٣/٢، البداية والنهاية ١٣٠/١٢، ١٣١، تاريخ ابن خلدون ٢٦٩/٤.

(3) انظر المنتظم ٢٧/٩ (٢٥٧/١٦، ٢٥٨).

(4) البداية والنهاية ١٣١/١٢، كشف الصلصلة ١٨١.

(5) تاريخ دولة آل سلجوق ٧٦، تاريخ الفارقي ٢٢١، الأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ٣٨٩/١، تاريخ الإسلام ٣٣، البداية والنهاية ١٣١/١٢.

(6) في (أ): «المستنصر العلوي صاحب مصر».

(7) نهاية الأرب ٢٤٩/٢٣، تاريخ الإسلام ٣٣، دول الإسلام ٩/٢، العبر ٢٩٤/٣، مرآة الجنان ١٣٢/٣، تاريخ الخلفاء ٤٢٥.

(8) تاريخ حلب للعظيمي ٣٥٣ (٢٠)، المنتظم ٣٥/٩ (٢٦٧/١٦)، ذيل تاريخ دمشق ١١٨، نهاية الأرب ٢٤٩/٢٣، تاريخ الإسلام ٣٣.

وفيها حصر تميم بن المعزّ بن باديس، صاحب إفريقية، مدينتيْ قَابِسَ وسَفَاقُسَ في وقت واحد، وفرّق عليهما[1] العساكر[2].

[الوفيات]

وفيها، في ربيع الأوّل، توفّي أبو الحسن بن فضّال[3] المُجَاشِعيُّ، النحويُّ، المقري.

وفي ربيع الآخر توفّي شيخ الشيوخ أبو سعد الصوفيُّ[4]، النَّيسابوريُّ، وهو الذي تولّى بناء الرباط بنهر المُعَلّى، وبنى وقوفه، وهو رباط شيخ الشيوخ الآن، وبنى وقوف المدرسة النظاميّة، وكان عالي الهمّة، كثير التعصّب لمن يلتجىء إليه، وجدّد تربة معروف الكَرْخيّ بعد أن احترقت، وكانت له منزلة كبيرة عند السلطان، وكان يقال: نحمد الله الذي أخرج رأس أبي سعد من مرقّعةٍ، ولو أخرجه من قباء لهلكنا.

وفيها توفّي أبو عليّ (عليّ)[5] بن أحمد التُّسْتَرِيّ[6]، البصْريُّ، وكان خيّراً، حافظاً للقرآن، ذا مالٍ كثير، وهو آخر من روى «سُنَن» أبي داود السِّجِستانيّ، عن أبي عمر الهاشميّ.

وفيها توفّي الشريف أبو نصر الزينبيُّ[7]، العبّاسيُّ، نقيب الهاشميّين، وهو محدّث مشهور عالي الإسناد.

---

(١) في الأوربية: «عليها».

(٢) البيان المغرب ١/ ٣٠٠، تاريخ الإسلام ٣٣.

(٣) هو عليّ بن فضّال بن علي بن غالب. انظر عنه في: تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ٢٧٠ ـ ٢٧٢ رقم ٢٩٤، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٤) هو أحمد بن محمد بن دُوَست دادا. انظر عنه في: تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ٢٥٨ ـ ٢٦٠ رقم ٢٧١، وفيه مصادر ترجمته.

(٥) في طبعة صادر ١٠/ ١٥٩ والمنتظم ٩/ ٢٣ رقم ٤٤ (١٦/ ٢٦٤ رقم ٣٥٦٦) «محمد بن أحمد»، وما أثبتناه من: تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ٢٦٩ رقم ٢٩٢ ومصادر ترجمته.

(٦) في طبعة صادر ١٠/ ١٥٩ «الشيري»، وفي الباريسية: «السيري». والمثبت عن المصادر.

(٧) هو: محمد بن محمد بن علي بن الحسن. انظر عنه في: تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ٢٨٠، ٢٨١ رقم ٣٠٤ وفيه مصادر ترجمته.

٤٨٠
ثم دخلت سنة ثمانين وأربعمائة

ذكر زفاف ابنة السلطان إلى الخليفة

في المحرّم نُقل جهاز ابنة السلطان ملكشاه إلى دار الخلافة على مائةٍ وثلاثين جملاً مجلّلةً بالدِّيباج الروميّ، وكان أكثر الأحمال الذَّهَب والفضّة وثلاث عماريّات؛ وعلى أربعة وسبعين بغلاً مجلّلة بأنواع الديباج الملكيّ، وأجراسها وقلائدها من الذَّهب والفضّة[1]؛ وكان على ستّة منها اثنا عشر صندوقاً من فضّة لا يقدَّر ما فيها من الجواهر والحُليّ، وبين يدَي البغال ثلاثة وثلاثون فرساً من الخيل الرائقة، عليها مراكب الذَّهب مرصّعة بأنواع الجوهر، ومهدٌ عظيم كثير الذَّهب.

وسار بين يدَي الجهاز سعد الدولة كوهرائين، والأمير برسق[2]، وغيرهما، ونثر أهل نهر مُعلّى عليهم الدنانير والثياب، وكان السلطان قد خرج عن بغداذ متصيّداً، ثم أرسل الخليفة الوزيرَ أبا شجاع إلى تركان خاتون، زوجة السلطان، وبين يدَيْه نحو ثلاثمائة موكبيّة، ومثلها مشاعل، ولم يبق في الحريم دكّان إلاّ وقد أُشعل فيها الشمعة والاثنتان وأكثر من ذلك.

وأرسل الخليفة مع ظفَر خادمه مِحَفّة لم يُر مثلها حُسناً، وقال الوزير لتركان خاتون: سيّدنا ومولانا أمير المؤمنين يقول: إن الله يأمركم أن تؤدوّا الأمانات إلى أهلها، وقد أذِن في نقل الوديعة إلى داره. فأجابت بالسَّمع والطاعة، وحضر نظام المُلْك فمَنْ دونه من أعيان دولة السلطان، وكلّ منهم معه من الشمع والمشاعل

---

(١) من (أ).

(٢) في (أ): «برشق».

الكثير، وجاء نساء الأمراء الكبار ومَنْ دونهم كلّ واحدة منهنّ منفردة في جماعتها وتجمّلها[1]، وبين أيديهنّ الشمع الموكبيّات والمشاعل يحمل ذلك جميعه[2] الفرسان.

ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان، بعد الجميع، في محَفّة مجلّلة، عليها من الذَّهب والجواهر أكثر شيء، وقد أحاط بالمحَفّة مائتا جارية من الأتراك بالمراكب العجيبة، وسارت إلى دار الخلافة، وكانت ليلة مشهودة لم يُر ببغداذ مثلُها.

فلمّا كان الغد أحضر الخليفة أمراء السلطان لسماط أمر بعمله حُكي أنّ فيه أربعين ألف منا من السُّكَّر، وخلع عليهم كلّهم، وعلى كلّ من له ذِكْر في العسكر، وأرسل الخِلَع إلى الخاتون زوجة السلطان، وإلى جميع الخواتين، وعاد السلطان من الصيد بعد ذلك[3].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة وُلد للسلطان ابن من تركان خاتون، وسمّاه محموداً، وهو الذي خُطب له بالمملكة بعدُ[4].

وفيها سلّم السلطان ملكشاه مدينة حلب والقلعة إلى مملوكه آقسَنْقَر، فوليها، وأظهر فيها العدل وحُسن السيرة، وكان زوج داية[5] السلطان ملكشاه، وهي التي تحضنه وتربّيه، وماتت بحلب سنة أربعٍ وثمانين [وأربعمائة][6].

وفيها استبق ساعيان أحدهما للسلطان، فضليّ، والآخر للأمير قماج، مرعوشيّ، فسبق ساعي السلطان، وقد تقدّم ذكر الفضليّ والمرعوشيّ أيّام معزّ الدولة بن بُوَيْه.

---

(١) في (أ): «ومحملها».

(٢) في الأوربية: «جميعها».

(٣) المنتظم ٩/٣٦، ٣٧ (١٦/٢٦٨، ٢٦٩)، تاريخ الزمان ١٢٠، وفيات الأعيان ٥/٢٨٨، نهاية الأرب ٢٣/٢٥٠، العبر ٣/٢٩٦، تاريخ الإسلام ٣٥، دول الإسلام ٢/١٠، مرآة الجنان ٣/١٣٢، البداية والنهاية ١٢/١٣٢، ١٣٣.

(٤) في (أ): «بعده». والخبر في: المنتظم ٩/٣٧ (١٦/٢٦٩).

(٥) في طبعة صادر ١٠/١٦٢ «دادوا»، وفي (أ): «دادة». والمثبت عن زبدة الحلب ٢/١٠٥.

(٦) زبدة الحلب ٢/١٠٢ ـ ١٠٥، بغية الطلب (مخطوط) ٤/٢٦٧ ب.

وفيها جعل السلطان وليّ عهده ولدَهُ أبا شُجاع أحمد، ولقّبه ملك الملوك، عضُد الدولة، وتاج الملّة، عُدّة أمير المؤمنين، وأرسل إلى الخليفة بعد مسيره من بغداذ، ليخطب له ببغداذ بذلك، فخُطب له في شعبان، ونثر الذهب على الخطباء.

وفيها، في شعبان، انحدر سعد الدولة كوهرائين إلى واسط لمحاربة مهذّب الدولة بن أبي الجبر[1]، صاحب البطائح، ولمّا فارق بغداذ كثُرت فيها الفِتَن.

وفيها، في ذي القعدة، وُلد للخليفة من ابنة السلطان ولد سمّاه جعفراً[2]، وكناه أبا الفضل، وزيّن البلد لأجل ذلك[3].

وفيها استولى العميد (كمال الملك)[4] أبو الفتح الدِّهِسْتَانيُّ، عميد العراق، على مدينة هَيت، أخذها صُلحاً ومضى إليها، وعاد عنها في ذي القعدة.

وفيها وقعت فتنة بين أهل الكرْخ وغيرها من المحالّ، قُتل فيها كثير من الناس[5].

وفيها كُسِفت الشمس كسوفاً كلّيّاً.

[الوَفَيَات]

وفيها تُوفّي الأمير أبو منصور قتلغ أمير الحاجّ، وحجّ أميراً اثنتي عشرة[6] سنة، وكانت له في العرب عدّة وقعات، وكانوا يخافونه، ولمّا مات قال نظام المُلك: مات اليوم ألف رجل؛ ووليَ إمارة الحاجّ نجم الدولة خُمارتِكِين.

وفيها، في جمادى الأولى، توفّي إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن سعد أبو

---

(١) في (أ): «الجهير».
(٢) في الأوربية: «جعفر».
(٣) المنتظم ٩/٣٨ (١٦/ ٢٧٠).
(٤) من الباريسية. وفي (أ): «كمال الدين».
(٥) المنتظم ٩/٣٨ (١٦/ ٢٧٠).
(٦) في الأوربية: «عشر».

القاسم الساويُّ[1]، سمع الحديث[2] من أبي سعيد الصيرفيّ وغيره، وروى عنه الناس، وكان ثقةً.

وطاهر بن الحسين[3] أبو الوفا البَنْدَنِيجيُّ، الهَمَذانيُّ، كان شاعراً، أديباً، وكان يمدح لا لعَرَض الدنيا، ومدح نظام المُلك بقصيدتَيْن كلّ واحدة منهما تزيد على أربعين بيتاً، إحداهما ليس فيها نقطة، والأخرى جميع حروفها منقوطة.

وفيها توفّيت فاطمة بنت عليّ[4] المؤدّب، المعروفة ببنت الأقرع، الكاتبة، كانت من أحسن الناس خطّاً على[5] طريقة ابن البوّاب، وسمعت الحديث وأسمعتْهُ.

وفيها، في ذي القعدة، توفّي غرس النعمة أبو الحسن محمّد بن الصابئ[6]، صاحب التاريخ، وظهر له مال كثير، وكان له معروف وصدقة.

---

(1) انظر عن (الساوي) في: تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ٢٨٩ رقم ٣١٩ وفيه مصادر ترجمته.

(2) من (أ).

(3) انظر عن (طاهر بن الحسين) في: المنتظم ٩/ ٣٩ رقم ٥٤ (١٦/ ٢٧١، ٢٧٢ رقم ٣٥٧٦)، والبداية والنهاية ١٢/ ١٣٣.

(4) هي فاطمة بنت الحسن بن علي. انظر عنها في: تاريخ الإسلام (٢٧١ ـ ٢٨٠ هـ.) ص ٢٩٥، ٢٩٦ رقم ٣٣٠ وفيه مصادر ترجمتها.

(5) في (أ): «تؤدي».

(6) انظر عن (ابن الصابىء) في: تاريخ الإسلام (٤٧١ ـ ٤٨٠ هـ.) ص ٢٩٨ ـ ٣٠٠ رقم ٣٣٦ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

٤٨١
ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وأربعمائة

ذكر الفتنة ببغداذ

في هذه السنة، في صفر، شرع أهل باب البصرة في بناء القنطرة الجديدة، ونقلوا الآجُرَّ في أطباق الذَّهب والفضّة وبين أيديهم الدَّبادب، واجتمع إليهم أهل المحالّ؛ وكثُر عندهم أهل باب الأزَج في خَلق لا يُحصى.

واتّفق أنّ كوهرائين سار في سُميريّة[١]، وأصحابه يسيرون على شاطىء دجلة بسَيره، فوقف أهل باب الأَزَج على امرأة كانت تَسقي[٢] الناس من مُزمّلة لها على دجلة، فحملوا[٣] عليها، على عادة لهم، وجعلوا يكسرون الجِرار، ويقولون: الماء للسبيل! فلمّا رأت سعدَ الدولة كوهرائين استغاثت به، فأمر بإبعادهم عنها، فضربهم الأتراك بالمقارع، فسلّ العامّة سيوفهم وضربوا وجه فرس حاجبه سليمان، وهو أخصّ أصحابه، فسقط عن الفرس، فحمل كوهرائين الحنق على أن خرج من السُّميريّة[٤] إليهم راجلاً، فحمل أحدهم عليه، فطعنه بأسفل رمحه، فألقاه في الماء والطّين، فحمل أصحابه على العامّة، فقاتلوهم، وحرصوا (على الظفر بالذي)[٥] طعنه، فلم يصلوا إليه، (وأخذ ثمانية نفر)[٦]، فقتل أحدهم، وقَطع أعصاب ثلاثة نفر، وأرسل

---

(١) في (أ): «سيرفة».
(٢) في الباريسية: «الستسقي».
(٣) في (أ): «فجهلوا».
(٤) في (أ): «السيرمه».
(٥) في الأوربية: «بالظفر على الذي».
(٦) من الباريسية.

قباءه إلى الديوان وفيه أثر الطعنة والطّين يستنفر على أهل باب الأَزَج. ثم إن أهل الكرْخ عقدوا لأنفسهم طاقاً آخر على باب طاق الحرّانيّ، وفعلوا كفِعل أهل باب البصرة[1].

ذكر إخراج الأتراك من حريم الخلافة

في هذه السنة، في ربيع الآخر، أمر الخليفة بإخراج الأتراك الذين مع الخاتون زوجته ابنة السلطان من حريم دار الخلافة.

وسبب ذلك أنّ تركيّاً منهم اشترى من طوّاف فاكهة، فتماكسا، فشتم الطّوافُ التركيَّ، فأخذ التركيُّ صَنْجة من الميزان وضرب بها رأس الطوّاف فشجّه، فاجتمعت العامّة، وكاد يكون بينهم وبين الأتراك شرٌّ[2]، واستغاثوا[3]، وشنّعوا، فأمر الخليفة بإخراج الأتراك، فأُخرجوا عن آخرهم، في ساعة واحدة، على أقبح صورة، وقت العشاء الآخرة[4].

ذكر ملك الروم مدينة زَوِيلَة وعَودهم عنها

في هذه السنة فتح الروم مدينة زَوِيلَةَ من إفريقية، وهي بقرب المهديّة.

وسبب ذلك أنّ الأمير تميم بن المعزّبن باديس صاحبها، أكثر غزوَ بلادهم في البحر، فخرّبها، وشتّت أهلها، فاجتمعوا من كلّ جهة، واتّفقوا على إنشاء الشواني لغزو المهديّة، ودخل معهم البيشانيّون[5]، والجَنَويّون وهما من الفرنج، فأقاموا يعمرون الأسطول أربع سنين، واجتمعوا بجزيرة قَوْصَرة في أربع مائة قطعة، فكتب أهل قَوْصَرة كتاباً على جناح طائر يذكرون وصولهم وعددهم وحكمهم على الجزيرة، فأراد تميم أن يسيّر عثمانَ بن سعيد المعروف بالمهر، مقدّم الأسطول الذي له،

(١) المنتظم ٩/٤٣، ٤٤ (١٦/٢٧٧).

(٢) في الأوربية: «شراً».

(٣) من (أ).

(٤) المنتظم ٩/٤٤ (١٦/٢٧٧، ٢٧٨).

(٥) في الباريسية: «البلساسون». وهم: البيزيّون، نسبة إلى ميناء بيزا بإيطالية.

ليمنعهم من النزول، فمنعه من ذلك بعض قوّاده، واسمه عبدالله بن منكوت، لعداوة بينه وبين المهر، فجاءت الروم، وأرسلوا، وطلعوا إلى البرّ، ونهبوا، وخرّبوا، وأحرقوا، ودخلوا زَوِيلة ونهبوها، وكانت عساكر تميم غائبة في قتال الخارجين عن طاعته.

ثم صالح تميم الروم على ثلاثين ألف دينار، وردّ جميع ما حووه من السبي، وكان تميم يبذل المال الكثير في الغرض الحقير، فكيف في الغرض الكبير؛ حُكي عنه أنّه بذل للعرب، لمّا استولوا على حصن له يسمّى قناطة[١] ليس بالعظيم، اثني عشر ألف دينار حتّى هدمه، فقيل له: هذا سرفٌ في المال؛ فقال: هو شرف في الحال[٢].

ذكر وفاة الناصر بن علناس وولاية ولده المنصور

في هذه السنة مات الناصر بن عَلناس بن حمّاد، ووليَ بعده ابنه المنصور، فاقتفى آثار أبيه في الحزم والعزم والرئاسة، ووصله كتب الملوك ورُسلهم بالتعزية بأبيه والتهنئة بالملك، منهم: يوسف بن تاشفين، وتميم بن المعزّ، وغيرهما[٣].

ذكر وفاة إبراهيم ملك غَزنة وملك ابنه مسعود

في هذه السنة توفيّ الملك المؤيّد إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سُبُكتِكين، صاحب غَزْنة، وكان عادلاً، كريماً، مجاهداً، وقد ذكرنا من فتوحه ما وصل إلينا، وكان عاقلاً، ذا رأي متين، فمن آرائه أنّ السلطان ملشكاه بن ألب أرسلان السلجوقّي جمع عساكره وسار يريد غَزنَة، ونزل باسفرار، فكتب إبراهيم بن مسعود كتاباً إلى جماعة من أعيان أمراء ملكشاه يشكرهم، ويعتدّ[٤] لهم بما فعلوا من تحسين قصد ملكشاه بلاده[٥] ليتمّ لنا ما استقرّ بيننا من الظفر به، وتخليصهم من يده، ويعدهم الإحسان على ذلك، وأمر القاصد بالكتب أن يتعرّض لملكشاه في الصيد، ففعل ذلك، فأُخذ، وأُحضر عند السلطان، فسأله عن حاله، فأنكره، فأمر السلطان بجلده، فجُلد،

---

(١) في (أ): «فاطة».

(٢) تاريخ الاسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٥.

(٣) البيان المغرب ١/٣٠١، تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٥.

(٤) في الباريسية: «ويعتذر».

(٥) من (أ).

فدفع الكتب إليه بعد جهد ومشقّة، فلمّا وقف ملكشاه عليها تحيّل[1] من أمرائه وعاد، ولم يقُل لأحد من أمرائه في هذا الأمر شيئاً خوفاً أن يستوحشوا منه.

وكان يكتب بخطّه، كلّ سنة، مصحفاً، ويبعثه مع الصدقات إلى مكّة، وكان يقول: لو كنتُ موضع أبي مسعود، بعد وفاة جدّي محمود، لما انفصمتْ[2] عُرى مملكتنا، ولكنّي الآن عاجز عن [أن] أستردّ ما أخذوه، واستولى عليه ملوك قد اتّسعت مملكتهم، وعظمت عساكرهم.

ولمّا توفّي ملك بعده ابنه مسعود، ولقبه جلال الدين، وكان قد زوّجه أبوه بابنة السلطان ملكشاه، وأخرج نظام المُلْك في هذا الإملاك والزّفاف مائة ألف دينار[3].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة حجّ الوزير أبو شجاع، وزير الخليفة، واستناب ابنه ربيب الدولة أبا منصور، ونقيب النقباء طِراد بن محمّد الزينبيّ[4].

وفيها أسقط السلطان ما كان يؤخذ من الحجّاج من الخفارة.

وفيها جمع آقسنقر، صاحب حلب، عسكره وسار إلى قلعة شَيْزَر فحصرها[5]، وصاحبها ابن مُنْقذ، وضيّق عليها، ونهب رَبَضَها، ثم صالحه صاحبها وعاد إلى حلب[6].

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي أبو بكر أحمد بن أبي حاتم عبد الصّمد بن أبي الفضل الغُورَجيُّ[7]،

---

(١) في الأوربية: «تخيل».

(٢) في الأوربية: «انقصمت».

(٣) المختصر في أخبار البشر ٢/١٩٩، دول الإسلام ٢/١٠، تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٥، ٦، تاريخ ابن الوردي ٢/٣، سير أعلام النبلاء ١٨/٣٢١، مآثر الإنافة ٢/٨.

(٤) المنتظم ٩/٤٤ (١٦/٢٧٨).

(٥) من (أ).

(٦) تاريخ حلب للعظيمي ٣٥٤ (٢١)، الروضتين ١/٦١، مفرّج الكروب ١/١٩، ٢٠، زبدة الحلب ٢/١٠٥، المختصر في أخبار البشر ٢/١٩٩، الدرّة المضية ٤٣١، تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص٦، تاريخ ابن الوردي ٢/٣.

(٧) انظر عن (الغورجي) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٤٩ رقم ١ وفيه مصادر ترجمته.

الهَرَويُّ؛ والقاضي محمود بن القاسم بن محمّد[1] أبو[2] عامر الأزديُّ، المهلبيُّ، راويا «جامع» التِّرمِذيّ، عن أبي محمّد الجراحيّ، رواه عنهما أبو الفتح الكَرُوخيُّ.

وتوفّي عبدالله بن محمّد[3] بن عليّ بن محمّد (أبو إسماعيل)[4]، الأنصاريُّ، الهَرَويُّ، شيخ الإسلام، ومولده سنة خمسٍ وتسعين وثلاثمائة، وكان شديد التعصّب في المذاهب.

ومحمّد بن إسحاق بن إبراهيم بن مَخْلَد الباقَرْحِيُّ[5]، ومولده في شعبان، وهو من أهل الحديث والرواية.

وفي المحرّم توفّيت ابنة الغالب بالله بن القادر ودُفنت عند قبر أحمد، وكانت ترجع إلى دِين، ومعروفٍ كثير، لم يبلغ أحد في فعل الخير ما بلغت.

وفي شعبان توفّي عبد العزيز الصّحراويُّ[6] الزّاهد.

وفيها توفّي الملك أحمد ابن السلطان ملكشاه بمرو، وكان (وليّ عهد أبيه في السلطنة، وكان)[7] عمره إحدى عشرة سنة، وجلس الناس ببغداذ للعزاء سبعة أيّام في دار الخلافة، ولم يركب أحد فرساً ، وخرج النساء ينحْن[8] في الأسواق، واجتمع الخلْق الكثير في الكرْخ للتفرّج والمناحات، وسوّد أهل الكرْخ أبواب عقودهم إظهاراً للحزن عليه[9].

---

(١) في طبعة صادر ١٠/١٦٨ «محمود بن محمد بن القاسم»، والتصويب من مصادر ترجمته التي حشدتها في تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٢٢٦، ٢٢٧ رقم ٢٤٥) وهو توفي سنة ٤٨٧ هـ.

(٢) في الباريسية: «بن».

(٣) انظر عن (عبدالله بن محمد) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٥٣ ـ ٦٣ رقم ١٢ وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

(٤) في (أ): «الاسمايلي».

(٥) انظر عن (الباقرحي) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٦٨ رقم ٢٥ وفيه مصادر ترجمته.

(٦) انظر عن (الصحراوي في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٦٣ رقم ١٣، والمنتظم ٩/٤٥ رقم ٦٨ (١٦/٢٧٩ رقم ٣٥٩٠).

(٧) من (أ).

(٨) في (أ): «ونحن».

(٩) في الأوربية: «به».

٤٨٢
ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة

ذكر الفتنة ببغداذ بين العامّة

في هذه السنة، في صفر، كبس أهل باب البصرة الكرْخَ، فقتلوا رجلاً، وجرحوا آخر، فأغلق أهل الكرخ الأسواق، ورفعوا المصاحف، (وحملوا ثياب[١] الرجلَيْن وهي بالدم)[٢]. ومضوا إلى دار العميد كمال المُلْك أبي الفتح الدِّهِسْتانيّ مستغيثين، فأرسل إلى النقيب طِراد بن محمّد يطلب منه إحضار القاتلين، فقصد طِراد دارْ الأمير بوزان[٣] بقصر ابن المأمون، فطالبه بوزان بهم، (ووكّل به)[٤]، فأرسل الخليفة إلى بوزان يعرّفه حال النقيب طِراد، ومحلّه، ومنزلته، فخلّى سبيله واعتذر إليه، فسكّن العميد كمال الملك الفتنة، وكفّ الناس بعضهم عن بعض، ثم سار إلى السلطان، فعاد الناس إلى ما كانوا فيه من الفتنة، ولم ينقض يوم إلاّ عن قَتْلَى وجَرْحَى[٥].

ذكر ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر

في هذه السنة ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر.

وسبب ذلك أنّ سَمَرْقَند كان قد ملكها أحمد خان بن خضر خان، أخو[٦] شمس

---

(١) في الأوربية: «أثياب».
(٢) من الباريسية.
(٣) في (أ): «بوران».
(٤) من (أ).
(٥) المنتظم ٩/٤٧ ـ ٤٩ (١٦/٢٨١ ـ ٢٨٣)، تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ٨، البداية والنهاية ١٢/١٣٤ (حوادث ٤٨١ هـ).
(٦) في (أ): «أخي».

الملك، الذي كان قبله، وهو ابن أخي تركان خاتون، زوجة السلطان ملكشاه، وكان صبيّاً ظالماً، قبيح السيرة، يُكثر مصادرة الرعيّة، فنفروا منه، وكتبوا إلى السلطان سرّاً يستغيثون[1] به، ويسألونه القدوم عليهم ليملك بلادهم، وحضر الفقيه أبو طاهر بن علّك الشافعيُّ عند السلطان شاكياً، وكان يخاف من أحمد خان لكثرة ماله، فأظهر السفر للتجارة والحجّ، فاجتمع بالسلطان، وشكا إليه، وأطمعه في البلاد، فتحرّكت دواعي السلطان إلى ملكها، فسار من أصبهان.

وكان قد وصل إليه، وهو فيها، رسول ملك الروم، ومعه الخراج المقرّر عليه، فأخذه نظام الملك معهم إلى ما وراء النهر، وحضر فتح البلاد، فلمّا وصل إلى كاشْغَر أذِن له نظام المُلك في العَود إلى بلاده، وقال: أُحبّ أن يُذْكر عنّا في التواريخِ (أنّ ملك الروم)[2] حمل الجِزية وأوصلها إلى باب كاشْغَر ليُنْهي إلى صاحبه سَعَةَ ملك السلطان ليعظم خوفه منه، ولا يحدّث نفسه بخلاف الطاعة. وهذا يدّل على همةٍ عالية تعلو[3] على العَيّوق.

ولمّا سار السلطان من أصبهان إلى خُراسان جمع العساكر من البلاد جميعها، فعبر النهر بجيوش لا يحصرها ديوان، ولا تدخل[4] تحت الإحصاء، فلمّا قطع النهر قصد بُخَارى، وأخذ ما على طريقه، ثم سار إليها وملكها وما جاورها من البلاد، وقصد سَمَرْقَند ونازلها، وكانت الملطّفات قد قدّمها إلى أهل البلد يعِدُهم النصر، والخلاص ممّا هم فيه من الظُّلْم، وحصر البلد، وضيّق عليه، وأعانه أهل البلد بالإقامات، وفرّق أحمد خان، صاحب سَمَرْقَند، أبراج السور على الأمراء ومن يثق به[5] من أهل البلد، وسلّم برجاً يقال له برج العَيّار إلى رجل علويّ كان مختصّاً به، فنصح في القتال.

فاتّفق أنّ ولداً لهذا العلويّ أُخذ أسيراً ببخارى، فهُدّدَ الأبُ بقتله، فتراخى عن

---

(1) في الأوربية: «مستغيثون».
(2) من الباريسية.
(3) في الأوربية: «تعلوا».
(4) في الباريسية: «يقع».
(5) في الأوربية: «إليه».

القتال، فسهل الأمر على السلطان ملكشاه، ورمى[1] من السور عدّة ثُلَم بالمِنجنيقات، وأخذ ذلك البرج، فلمّا صعِد عسكر السلطان إلى السور هرب أحمد خان، واختفى في بيوت بعض العامّة فغُمِزَ عليه وأُخذ وحُمل إلى السلطان وفي رقبته حبل، فأكرمه السلطان، وأطلقه وأرسله[2] إلى أصبهان، ومعه من يحفظه، ورتّب بسَمَرْقَند الأمير العميد أبا طاهر عميد خُوارزم.

وسار السلطان قاصداً إلى كاشَغر، فبلغ إلى يُوزْكَند، وهو بلد يجري على بابه نهر، وأرسل منها رسلاً إلى ملك كاشغر يأمره بإقامة الخطبة، وضَرْب السكّة باسمه، ويتوعّده إن خالف بالمسير إليه. ففعل ذلك وأطاع، وحضر عند السلطان، فأكرمه وعظّمه، وتابع الإنعام عليه، وأعاده إلى بلده.

ورجع السلطان إلى خُراسان، فلمّا أبعد عن سَمَرْقَند لم يتّفق أهلها وعسكرها المعروفون[3] بالجكليّة مع العميد أبي طاهر، نائب السلطان عندهم، حتّى كادوا يثبون عليه، فاحتال حتّى خرج من عندهم، ومضى إلى خُوارِزم[4].

ذكر عصيان سَمَرْقَنْد

كان مقدّم العسكر المعروف بالجكليّة، واسمه عين الدولة، قد خاف السلطان لهذا الحادث، فكاتب يعقوب تكين أخا ملك كاشْغَر، ومملكته تُعرف بآب نباشي[5]، وبيده قلعتها، واستحضره، فحضر عنده بسَمَرْقَند، واتّفقا، ثم إنّ يعقوب علم أنّ أمره لا يستقيم معه، فوضع عليه الرعيّة الذين كان أساء إليهم، حتّى ادّعوا عليه دماء قوم كان قتلهم، وأخذ الفتاوى عليه فقتلهِ، واتّصلت الأخبار بالسلطان ملكشاه بذلك، فعاد إلى سمرقند[6].

---

(١) في الأوربية: «ورما».
(٢) في الباريسية: «وسار».
(٣) في الأوربية: «المعروفين».
(٤) نهاية الأرب ٢٦/٣٢٧، ٣٢٨، المختصر في البشر ٢/١٩٩، دول الإسلام ٢/١٠، تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ٨، ٩، تاريخ ابن الوردي ٢/٣، ٤.
(٥) في (أ) «باشي».
(٦) نهاية الأرب ٢٦/٣٢٨، العبر ٣/٢٩٩، تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ٩، مرآة الجنان=

ذكر فتح سمرقند الفتح الثاني

لمّا اتّصلت الأخبار بعصيان سَمَرْقَند بالسلطان ملكشاه، وقَتْل عين الدولة، مقدّم الجكليّة، عاد إلى سَمَرْقَند، فلمّا وصل إلى بخارى هرب يعقوب المستولي على سمرقند، ومضى إلى فَرغَانَة، ولحِق بولايته.

ووصل جماعة من عسكره إلى السلطان مستأمنين، فلقوه بقرية تُعرف بالطواويس، ولمّا وصل السلطان إلى سمرقند ملكها، ورتّب بها الأمير أبر[1]، وسار في أثر يعقوب حتّى نزل بيُوزْكَند، وأرسل العساكر إلى سائر الأكناف في طلبه.

وأرسل السلطان إلى ملك كاشْغَر، وهو أخو يعقوب، ليجدّ في أمره، ويرسله إليه، فاتّفق أنّ عسكر يعقوب شغبوا عليه، ونهبوا خزائنه، واضطروّه إلى أن هرب على فرسه، ودخل إلى أخيه بكاشْغَر مستجيراً به. فسمع السلطان بذلك، فأرسل إلى ملك كاشْغَر يتوعّده، إن لم يرسله إليه، أن يقصد بلاده ويصير هو العدوّ، فخاف أن يمنع السلطان، وأنِف أن يسلّم أخاه بعد أن استجار به وإن كانت بينهما عداوة قديمة، ومنافسة في الملك عظيمة، لما يلزمه فيه العار، فأدّاه اجتهاده إلى أن قبض على أخيه يعقوب، وأظهر أنّه كان في طلبه، فظفر به، وسيّره مع ولده، وجماعة من أصحابه، وكّلَهم بيعقوب، وأرسل معهم هدايا كثيرة للسلطان، وأمر ولده أنّه إذا وصل إلى قلعة بقرب السلطان أن يَسمَل يعقوب ويتركه، فإن رضي السلطان بذلك، وإلاّ سلّمه إليه.

فلمّا وصلوا إلى القلعة عزم ابن ملك كاشْغَر أن يسمل عمّه، وينفذ فيه ما أمره به أبوه، فتقدّم بكَتْفه وإلقائه على الأرض، ففعلوا به ذلك، فبينما هم على تلك الحال، وقد أحْمَوا الميل ليسملوه، إذ سمعوا ضجّة عظيمة، فتركوه، وتشاوروا بينهم، وظهر عليهم انكسارٌ، ثم أرادوا (بعد ذلك)[2] سمله، ومنع منه بعض، فقال لهم يعقوب: أخبروني عن حالكم، وما يفوتكم الذي تريدونه منّي، وإذا فعلتم بي شيئاً ربّما ندمتم عليه.

= ٣/١٣٣، البداية والنهاية ١٢/١٣٥، مآثر الإنافة ٢/٤.

(١) في الباريسية: «أقسز».

(٢) من الباريسية.

فقيل له: إنّ طغرل بن ينّال أسرى من ثمانين فرسخاً في عشرات ألوف من العساكر، وكبس أخاك[1] بكاشْغَر، فأخذه أسيراً، ونهب عسكره، وعاد إلى بلاده، فقال لهم: هذا الذي تريدون تفعلونه بي ليس ممّا تتقرّبون به إلى الله تعالى، وإنّما تفعلونه اتّباعاً لأمر أخي، وقد زال أمره؛ ووعدهم الإحسان فأطلقوه.

فلمّا رأى السلطان ذلك ورأى طمع طغرل بن ينّال، ومسيره إلى كاشْغَر، وقَبْض صاحبها، وملكه لها مع قربه منه، خاف أن ينحلّ بعض أمره وتزول هيبته، وعلم أنّه متى قصد طغرل سار من بين يدَيْه، فإن عاد عنه رجع إلى بلاده، وكذلك يعقوب (أخو صاحب كاشْغَر)[2]، وأنّه لا يمكنه المقام لسعة البلاد وراءه وخوف الموت بها، فوضع تاج الملك على أن يسعى في إصلاح أمر يعقوب معه، ففعل ما أمره به[3] السلطان، فاتّفق هو ويعقوب، وعاد إلى خُراسان، وجعل يعقوب مقابل طُغْرُل يمنعه من القوّة، ومُلك البلاد، وكلّ منهما يقوم في وجه الآخر.

ذكر عَود ابنة السلطان زوجة الخليفة إلى أبيها

وفي هذه السنة أرسل السلطان[4] إلى الخليفة يطلب ابنته طلباً لا بدّ منه.

وسبب ذلك أنّها أرسلت تشكو من الخليفة، وتذكر أنّه كثير الاطّراح لها، والإعراض عنها، فأذن لها في المسير، فسارت في ربيع الأوّل، وسار معها ابنها (من الخليفة)[5] أبو الفضل جعفر بن المقتدي بأمر الله، ومعهما سائر أرباب الدولة، ومشى، مع محفّتها، سعد الدولة كوهرائين، وخدم دار الخلافة الأكابر، وخرج الوزير وشيّعهم إلى النّهروان وعاد.

وسارت الخاتون إلى أصبهان، فأقامت بها إلى ذي القعدة، وتوفّيت، وجلس

(١) في الأوربية: «أخال».
(٢) من الباريسية.
(٣) في (أ): «فشفعه».
(٤) من (أ).
(٥) من (أ).

الوزير ببغداذ للعزاء سبعة أيّام، وأكثر الشعراء مراثيها ببغداذ، وبعسكر السلطان[1].

ذكر فتح عسكر مصر عكّا وغيرها من الشام

في هذه السنة خرجت عساكر مصر إلى الشام في جماعة من المقدّمين، فحصروا مدينة صور، وكان قد تغلّب عليها القاضي عين الدولة بن أبي عَقِيل[2]، وامتنع عليهم، ثم تُوفّي، ووليها أولاده، فحصرهم العسكر المصريُّ، فلم يكن لهم من القوّة ما يمتنعون بها، فسلّموها إليهم[3].

ثم سار العسكر عنها إلى مدينة صيد، ففعلوا بها كذلك[4].

ثمّ ساروا إلى مدينة عكّا، فحصروها، وضيّقوا على أهلها، فافتتحوها[5].

---

(١) نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥٠، دول الإسلام ٢/ ١١، تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ٩، ١٠، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٢١، ٣٢٢.

(٢) انظر عن أسرة بني أبي عقيل دراستنا في: دراسات في تاريخ الساحل الشامي ـ لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ١٠٥ ـ ١٣٧ ـ طبعة دار الإيمان ١٩٩٤.

(٣) انظر عن (صور) في: تاريخ حلب للعظيمي ٣٥٥ (٢٢)، وذيل تاريخ دمشق ١٢٠، وأخبار مصر ٢/ ٢٨، والأعلاق الخطيرة ٢/ ١٦٥، ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٣٨، وتاريخ سلاطين المماليك ٣ و ٢٣٩، ودول الإسلام ٢/ ١١، وتاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ١١، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٢٢، واتعاظ الحنفا ٢/ ٣٢٦، والمقفى الكبير ٢/ ٣٩٩ و ٣/ ٧٦٤، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٢٨.
وجاء في رفع الإصر عن قضاة مصر ق ١/ ١٣١ أن بدراً الجمالي لم يزل ينتقل في الإمرة من دمشق إلى صور حتى ملكها وأخرج صاحبها عين الدولة أبا الحسن محمد بن عبد الله بن عياض بن أبي عياض وكان قاضيها.
ويقول خادم العلم محقّق هذا الكتاب «عمر عبد السلام تدمري» أنّ بدراً الجمالي لم يُخرِج من صور أبا الحسن محمد بن عبد الله، لأنه كان قد مات سنة ٤٦٥ هـ. ولم يتنبّه محقق الكتاب إلى هذا الوهْم. (انظر كتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية. . ص ١٢٩ و ١٣٧).

(٤) انظر عن (صيدا) في: ذيل تاريخ دمشق ١٢٠، وأخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٢٨، ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٣٨، والدرّة المضية ٤٣٥، وتاريخ سلاطين المماليك ٣، ودول الإسلام ٢/ ١١، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٢٢، وتاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ). ص ١١، وإتعاظ الحنفا ٢/ ٣٢٦، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٢٨.
وكانت صيدا بيد «ثقة الملك ابن الطهماني» وقد هرب منها إلى طرابلس في البحر مستجيراً بجلال الملك ابن عمار. (ديوان ابن الخياط ٥٢).

(٥) انظر عن (عكا) في: ذيل تاريخ دمشق ١٢٠، وأخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٢٨، ونهاية الأرب =

وقصدوا مدينة جُبَيْل، فملكوها أيضاً. وأصلحوا أحوال هذه البلاد، وقرّروا قواعدها، وساروا عنها إلى مصر عائدين، واستعمل أمير الجيوش على هذه البلاد الأمراء والعُمّال[(١)].

ذكر الفتنة بين أهل بغداذ ثانية

وفي هذه السنة، في جمادى الأولى، كثُرت الفِتَن ببغداذ بين أهل الكرْخ وغيرها من المحالّ، وقُتل بينهم عدد كثير، واستولى أهل المحالّ على قطعة كبيرة من نهر الدَّجاج، فنهبوها، وأحرقوها، فنزل شِحنة بغداذ، وهو خُمارتِكِين النائب عن كوهرائين، على دجلة في خيله ورَجله، ليكفّ الناس عن الفتنة، فلم ينتهوا، وكان أهل الكرْخ يُجْرُون عليه وعلى أصحابه الجرايات والإقامات.

وفي بعض الأيّام وصل أهل باب البصرة إلى سُويقة غالبٍ، فخرج من أهل الكرْخ من لم تجرِ عادته بالقتال، فقاتلوهم حتّى كشفوهم. فركب خدم الخليفة، والحُجّاب، والنقباء، وغيرهم من أعيان الحنابلة، كابن عقيل، والكَلْوَذانيّ، وغيرهما، إلى الشِّحنة، وساروا معه إلى أهل الكرْخ، فقرأ عليهم مثالاً من الخليفة يأمرهم بالكفّ، ومعاودة السكون، وحضور الجماعة والجمعة، والتديّن بمذهب أهل السُّنَّة، فأجابوا إلى الطاعة.

فبينما هم كذلك أتاهم الصّارخ من نهر الدجاج بأنّ السُّنّة قد قصدوهم، والقتال عندهم، فمضوا مع الشِحنة، ومنعوا من الفتنة، وسكن الناس وكتب أهل الكرْخ على أبواب مساجدهم: خير الناس بعد رسول الله، ﷺ، أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ، ومِن عند هذا اليوم ثار أهل الكرخ، وقصدوا شارع ابن أبي عوف ونهبوه، وفي جملة ما نهبوا دار أبي الفضل بن خَيرون المعدّل، فقصد الديوان مستنفراً، ومعه

= ٢٣٨/٢٨، ودول الإسلام ١١/٢، وسير أعلام النبلاء ٣٢٢/١٨، وتاريخ الإسلام ١١، وتاريخ سلاطين المماليك ٣، واتعاظ الحنفا ٣٢٦/٢، والنجوم الزاهرة ١٢٨/٥.

(١) انظر عن (جبيل) في: ذيل تاريخ دمشق ١٢٠، وأخبار مصر لابن ميسّر ٢٨/٢، ونهاية الأرب ٢٣٨/٢٨، وتاريخ سلاطين المماليك ٣، ودول الإسلام ١١/٢، وتاريخ الإسلام ١١، ١٢، واتعاظ الحنفا ٣٢٦/٢.

الناس، ورفع العامّة الصلبان وهجموا على الوزير في حجرته، وأكثروا من الكلام الشنيع. وقُتل ذلك اليوم رجل هاشميّ من أهل باب الأزج بسهم أصابه، فثار العامّة هناك بعلويّ كان مقيماً بينهم، فقتلوه وحرقوه، وجرى من النهب، والقتل، والفساد أمور عظيمة، فأرسل الخليفة إلى سيف الدولة صدقة بن مَزْيد، فأرسل عسكراً إلى بغداذ، فطلبوا المفسدين والعيّارين، فهربوا منهم، فهُدمت دورهم، وقُتل منهم ونُفي وسكنت الفتنة، وأمِن الناس[1].

ذكر حيلة[2] لأمير المسلمين ظهرت ظهوراً غريباً

كان بالمغرب إنسان اسمه محمّد بن إبراهيم الكزوليّ[3]، سيّد قبيلة كزولة[4] ومالك جبلها، وهو جبل شامخ، وهي قبيلة كثيرة، وبينه وبين أمير المسلمين يوسف بن تاشَفِين مودّة واجتماع، فلمّا كان هذه السنة أرسل يوسف إلى محمّد بن إبراهيم يطلب الاجتماع به، فركب إليه محمّد، فلمّا قاربه خافه على نفسه، فعاد إلى جبله، واحتاط لنفسه، فكتب إليه يوسف، وحلف له أنّه ما أراد به إلاّ الخير، ولم يحدّث نفسه بغدر. فلم يركن محمّد إليه.

فدعا يوسف حجّاماً، وأعطاه مائة دينار، وضمِن له مائة دينار أخرى، إن هو سار إلى محمّد بن إبراهيم واحتال على قتله. فسار الحجّام، ومعه مشاريط مسمومة، فصعِد الجبل، فلمّا كان الغد خرج ينادي لصناعته بالقرب من مساكن[5] محمّد، فسمع محمّد الصوت، فقال: هذا الحجّام من بلدنا؟ فقيل: إنّه غريب؛ فقال: أراه يُكثر الصياح، وقد ارتبت[6] بذلك، ائتوني به. فأُحضر عنده، فاستدعى حجّاماً آخر وأمره

---

(١) المنتظم ٩/٤٧، ٤٨ (١٦/٢٨٢ ـ ٢٨٤)، العبر في خبر من غبر ٣/٣٠١، ٣٠٢، دول الإسلام ٢/١١، تاريخ الإسلام ١٢، سير أعلام النبلاء ١٨/٣٢٢، مرآة الجنان ٣/١٣٤، البداية والنهاية ١٢/١٣٥، شذرات الذهب ٣/٣٦٧.

(٢) في الأوربية: «الحلية».

(٣) في (أ): «القزولي».

(٤) في (أ): «قزولة».

(٥) في (أ): «منازل».

(٦) في الأوربية: «ارتب».

أن يحجمه بمشاريطه التي معه، فامتنع الحجّام الغريب، فأُمسك وحُجم فمات، وتعجّب الناس من فطنته.

فلمّا بلغ ذلك يوسف ازداد غيظه، ولجّ في السعي في أذًى يوصله إليه، فاستمال قوماً من أصحاب محمّد، فمالوا إليه، فأرسل إليهم جراراً من عسل مسموم، فحضروا عند محمّد وقالوا: قد وصل[١] إلينا قوم معهم جرارٌ من عسل أحسن ما يكون، وأردنا إتحافك به؛ وأحضروها بين يدَيْه، فلمّا رآه أمر بإحضار خبز، وأمر أولئك الذين أهدوا إليه العسل أن يأكلوا منه، فامتنعوا، واستعفوه من أكله، فلم يقبل منهم، وقال: من لم يأكل قُتل بالسيف؛ فأكلوا، فماتوا عن آخرهم.

فكتب إلى يوسف بن تاشَفِين: إنّك قد أردتَ قتلي بكلّ وجه، فلم يظفّرك الله بذلك، فكفّ عن شرّك[٢]، فقد أعطاك الله المغرب بأسره، ولم يعطني غير هذا الجبل، وهو في بلادك كالشامة البيضاء في الثور الأسود، فلم تقنع بما أعطاك الله، عزّ وجلّ. فلمّا رأى يوسف أنّ سرّه قد انكشف وأنّه لا يمكنه في أمره شيء لحصانة جبله أعرض عنه وتركه.

ذكر ملك العرب مدينة سوسة وأخذها منهم

في هذه السنة نقض ابن علويّ ما بينه وبين تميم بن المعزّ بن باديس أمير إفريقية من العهد، وسار في جمع من عشيرته العرب، فوصل إلى مدينة سُوسَة من بلاد إفريقية، وأهلها غارّون لم يعلموا به، فدخلها عنوةً، وجرى بينه وبين من بها من العسكر والعامّة قتال، فقُتل من الطائفتَيْن جماعة وكثر القتل في أصحابه والأسر، وعلم أنّه لا يتمّ له مع تميم حال، ففارقها، وخرج منها إلى حلّته من الصحراء.

وكان بإفريقية هذه السنة غلاء شديد، وبقي كذلك إلى سنة أربع وثمانين [وأربعمائة]، وصلحت أحوال أهلها، وأخصبت البلاد، ورخصت الأسعار، وأكثر أهلها الزرع[٣].

---

(١) في الأوربية: «وصلوا».
(٢) في (أ): «سريرتك».
(٣) البيان المغرب ١/٣٠٢، تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ١٢.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قطعت الحراميّة الطريق على قَفْلٍ كبير بولاية حلب، فركب آقسَنْقَر في جماعة من عسكره وتبِعهم، ولم يزل حتّى أخذهم وقتلهم، فأمِنت الطرق بولايته[1].

وفيها ورد العميد الأغرّ أبو المحاسن عبد الجليل بن عليّ الدِّهِسْتانيُّ إلى بغداذ عميداً، وعُزل أخوه كمال الملك على ما ذكرناه.

وفيها درّس الإمام أبو بكر الشاشيُّ في المدرسة التي بناها تاج الملك مُستوفي السلطان بباب إبرز من بغداذ، وهي المدرسة التاجيّة المشهورة[2].

وفيها عُمِّرت منارة جامع حلب[3].

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي الخطيب أبو عبدالله الحسين[4] بن أحمد بن عبد الواحد بن أبي الحديد السُّلَميُّ، خطيب دمشق، في ذي الحجّة.

وفيها توفّي أحمد بن محمّد بن صاعد[5] بن محمّد (أبو نصر)[6] النَّيسابوريُّ رئيسها، ومولده سنة عشر وأربعمائة، وكان من العلماء.

---

(١) زبدة الحلب ٢/١٠٣، ١٠٤.

(٢) الإنباء في تاريخ الخلفاء ٢٠٤، تاريخ دولة آل سلجوق ٧٨، تاريخ الإسلام ١٢، البداية والنهاية ١٢/١٣٥، تاريخ الخلفاء ٤٢٥.

(٣) تاريخ حلب ٣٥٤ (٢١)، ذيل تاريخ دمشق ١٢٠، زبدة الحلب ٢/١٠٥، مفرّج الكروب ١/٢١، المختصر في أخبار البشر ٢/١٩٩، تاريخ الإسلام ١٣، الدرة المضية ٤٣١، تاريخ ابن الوردي ٢/٤، البداية والنهاية ١٢/١٣٥، الأعلاق الخطيرة ج ١ ق ١/٣٢، الدر المنتخب لابن الشحنة ٦٣.

(٤) في طبعة صادر ١٠/١٨٠ «الحسين» وكذا في: تاريخ دمشق (مخطوط التيمورية) ١١/١٥٦، والتصحيح من: الإكمال لابن ماكولا ١/٤٠١، وتكملة إكمال الإكمال للصابوني ٣٥ ـ ٣٧ رقم ٢٢، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٧/٤٩ رقم ٥، والمشتبه في الرجال ١/٦٤، وتاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) من ٨٤ رقم ٤٦، وتوضيح المشتبه ١/١٤٤.

(٥) انظر عن (أحمد بن محمد بن صاعد) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ٧٤ ـ ٧٦ رقم ٣٩ وفيه مصادر ترجمته.

(٦) من (أ).

وعاصم بن الحسن[1] بن محمّد بن علي بن عاصم العاصميُّ البغداذيُّ من أهل الكرْخ، كان ظريفاً كيّساً، له شِعر حَسَن، فمنه:

مـاذا علـى مُتَلـوّنِ الأخـلاقِ ... لـو زارنـي، فـأبثّـهُ أشـواقـي
وأبـوح بـالشكـوَى إليـه تـذلُّـلاً، ... وأفُـضّ خَتـمَ الـدَّمْـعِ مـن آمـاقـي
فعسـاه يَسمـحُ بـالـوصـالِ لمُـدنَـفٍ ... ذي لَـوعـةٍ، وصَبـابَـةٍ، مُشتـاقِ
أسَـرَ الفـؤادَ، ولـم يـرقَّ لمُـوثَـقٍ ... مـا ضـرّه لـو جـاَد بـالإطـلاقِ
إن كـان قـد لَسَبَـتْ[2] عقـاربُ صُـدْغِـهِ ... قلبـي، فـإنّ رُضَـابَـهُ دريـاقـي[3]

وقال أيضاً:

فـدَيـتُ مَـن ذُبْـتُ شـوقـاً مـن محبّتِـهِ، ... وصِـرتُ مـن هَجـرِه فـوقَ الفِـراش لَقـا
سمعتُـه يتَغنّـى، وهْـو مُصطبِـحٌ، ... أفـديـهِ مُصطبِحـاً منـه، ومُغْتبِقـا
وأخْلَفَتْـكَ ابنـةُ البكـريّ مـا وعـدَتْ، ... وأصْبـحَ الحَبـلُ منهـا واهيـاً خَلَقـا

والصحيح أنّه تُوفّي سنة ثلاثٍ وثمانين [وأربعمائة].

وفيها، في جمادى الآخرة، توفّي الشريف أبو القاسم العلويُّ[4]، الدَّبُّوسيُّ، المدرّس بالنظاميّة ببغداذ، وكان فاضلاً فصيحاً[5].

---

(1) انظر عن (عاصم بن الحسن) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ١٠٧ ـ ١١٠ رقم ٨٩ في وفيات ٤٨٣ هـ. وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(2) في الأوربية: «لبست».

(3) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد للدمياطي ١٣٤.

(4) هو علي بن أبي يعلى بن زيد بن حمزة. انظر عنه في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ٩١ ـ ٩٣ رقم ٦٣ وفيه مصادر ترجمته.

(5) زاد في (أ): «وتمت السنة».

٤٨٣
ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة

ذكر وفاة فخر الدولة أبي نصر بن جَهِير

في هذه السنة، في المحرّم، توفّي فخر الدولة أبو نصر محمّد بن محمّد بن جَهِير الذي كان وزير الخليفة بمدينة الموصل، ومولده بها سنة ثمانٍ وتسعين وثلاثمائة، وتزوّج إلى أبي العقارب شيخها، ونظر في أملاك جارية قِرواشٍ، المعروفة بسرهنك، ثم خدم بَرَكَة بن المقلّد[١]، حتّى قبض على أخيه قرواش وحبسه، ومضى بهدايا إلى ملك الروم، فاجتمع هو ورسول نصر[٢] الدولة بن مروان، فتقدّم فخر الدولة عليه، فنازعه رسول ابن مروان، فقال فخر الدولة لملك الروم: أنا أستحقّ التقدّم عليه لأنّ[٣] صاحبه يؤدّي الخراج إلى صاحبي.

فلمّا عاد إلى قريش بن بدران أراد القبض عليه، فاستجار بأبي الشداد، وكانت عُقَيل تُجير على أمرائها، وسار إلى حلب، فوزر لمعزّ الدولة أبي ثُمَال بن صالح. ثم مضى إلى مَلَطْيَةَ، ومنها إلى ابن مروان، فقال له: كيف أمنتَني وقد فعلتَ برسولي ما فعلتَ (عند ملك الروم)[٤]؟ فقال: حملني على ذلك نُصح صاحبي. فاستوزره، فعمر بلاده.

ووَزَر بعد نصر الدولة لولده، ثم سار إلى بغداذ، ووليَ وزارة الخليفة، على ما ذكرناه، وتولّى أخذ ديار بكر من بني مروان، على ما ذكرناه أيضاً، ثم أخذها منه السلطان، فسار إلى الموصل فتوفّي بها[٥].

---

(١) في (أ): «مقلد».

(٢) في (أ): «نصير».

(٣) في الأوربية: «لأنّه».

(٤) من الباريسية.

(٥) انظر عن (ابن جهير) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ١١٨ ـ ١٢١ رقم ١٠٥ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

ذكر نهب العرب البصرة

وفي هذه السنة، في جمادى الأولى، نهب العرب البصرة نهباً قبيحاً.

وسبب ذلك أنّه ورد إلى بغداذ، في بعض السنين، رجل أشقر من سواد النِّيل يدّعي الأدب، والنجوم، ويستجري الناس، فلقّبه أهل بغداذ تِلْيَا[1]، وكان نازلاً في بعض الخانات، فسرق ثياباً من الديباج وغيره، وأخفاها (في خلفاً)[2]، وسار بها، فرآها الذين يحفظون الطريق، فمنعوه من السفر (اتّهاماً له)[3]، وحملوه إلى المقدّم عليهم، فأطلقه لُحرمة العِلم.

فسار إلى أمير من أمراء العرب من[4] بني عامر، وبلاده متاخمة الأحساء، وقال له: أنت تملك الأرض، وقد فعل أجدادك بالحاجّ كذا وكذا، وأفعالهم مشهورة، مذكورة في التواريخ؛ وحسّن له نهب البصرة وأخذها، فجمع من العرب ما يزيد على عشرة آلاف مقاتل، وقصد البصرة، وبها العميد عِصمة، وليس معه من الجند إلاّ اليسير، لكون الدنيا آمِنةً من ذاعر، ولأنّ الناس في جنّةٍ من هيبة السلطان، فخرج إليهم في أصحابه، وحاربهم، ولم يمكّنهم من دخول البلد، فأتاه من أخبره أنّ أهل البلد يريدون أن يسلّموه إلى العرب، فخاف، ففارقهم، وقصد الجزيرة التي هي مكان القلعة بنهر معقل.

فلمّا علم أهل البلد بذلك فارقوا ديارهم وانصرفوا، ودخل العرب حينئذٍ البصرة، وقد قويت نفوسهم، وملكوها، ونهبوا ما فيها نهباً شنيعاً، فكانوا ينهبون نهاراً، وأصحاب العميد عِصْمة ينهبون ليلاً، وأحرقوا مواضع عدّة، وفي جملة ما أحرقوا داران[5] للكتب إحداهما وُقِفت قبل أيّام عضُد الدولة بن بُوَيْه، فقال عُضد الدولة: هذه مَكْرُمة سُبِقنا إليها؛ وهي أوّل دار وُقفتْ في الإسلام. والأخرى وقفها

---

(١) في الباريسية: تليا (بفتح التاء).

(٢) من (أ).

(٣) من الباريسية.

(٤) في (أ): «من بلاد».

(٥) في الأوربية: «دارين».

الوزير أبو منصور بن شاه مَرِدان، وكان بها نفائس الكتب وأعيانها، وأحرقوا أيضاً النخّاسين وغيرَها من الأماكن.

وخرّبت وقوف البصرة التي لم يكن لها نظير، من جملتها: وقوف على الحمّال[1] الدائرة على شاطىء دجلة، وعلى الدواليب التي تحمل الماء وتُرقّيه إلى قِنَى[2] الرصاص الجارية إلى المصانع، وهي على فراسخ من البلد، وهي من عمل محمّد بن سليمان[3] الهاشميّ وغيره.

وكان فعل العرب بالبصرة أوّل خرق جرى في أيّام السلطان ملكشاه. فلمّا فعلوا ذلك، وبلغ الخبر إلى بغداذ، انحدر سعد الدولة كوهرائين، وسيف الدولة صدقة بن مَزْيد إلى البصرة لإصلاح أمورها، فوجدوا العرب قد فارقوها.

ثم إنّ تلْيَا أُخذ بالبحرين، وأُرسل إلى السلطان، فشهّره ببغداذ سنة أربعٍ وثمانين [وأربعمائة] على جَمَل، وعلى رأسه طُرطُورٌ، وهو يُصْفَع بالدِّرَّة، والناس يشتمونه، ويسبّهم[4]، ثم أمر به فصُلب[5].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قدِم الإمام أبو عبدالله الطبريُّ بغداذ، في المحرّم، بمنشور من نظام المُلك بتوليته تدريس المدرسة النظاميّة، ثم ورد بعده، في شهر ربيع الآخر من السنة، أبو محمّد عبد الوهاب الشيرازيُّ، وهو أيضاً معه منشور بالتدريس، فاستقرّ أن يدرّس يوماً، والطبريّ يوماً[6].

---

(١) في (أ): «الجمال».

(٢) في (أ): «قناة».

(٣) في (أ): «سليمان بن محمد».

(٤) في الباريسية: «ويشتمهم».

(٥) تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ١٣، دول الإسلام ٢/ ١١، البداية والنهاية ١٢/ ١٣٦.

(٦) الإنباء في تاريخ الخلفاء ٢٠٤، المنتظم ٩/ ٥٣ (١٦/ ٢٨٩)، تاريخ دولة آل سلجوق ٧٨، تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ١٣، البداية والنهاية ١٢/ ١٣٦، تاريخ ابن خلدون ٥/ ١٣.

٤٨٤
ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة

ذكر عزل الوزير أبي شجاع ووزارة عميد الدولة بن جَهِير

في هذه السنة، في ربيع الأوّل، عُزل الوزير أبو شجاع من وزارة الخليفة.

وكان سبب عزله أنّ إنساناً يهوديّاً ببغداذ يقال له أبو سعد بن سَمْحا كان وكيل السلطان ونظام المُلك، فلقيه إنسان يبيع الحُصر[١]، فصفعه صفعةً أزالت عمامته (عن رأسه)[٢]، فأُخذ الرجل، وحُمل إلى الديوان، وسُئل عن السبب في فِعله، فقال: هو وضعني على نفسه؛ فسار كوهرائين ومعه ابن سَمحا اليهودي إلى العسكر يشكوان، وكانا متّفقَيْن على الشكاية من الوزير أبي شجاع.

فلمّا سارا خرج توقيع الخليفة بإلزام أهل الذمّة بالغيار، ولُبْس ما شرط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب، رضي الله عنه، فهربوا كلّ مهربٍ؛ أسلم بعضهم، فممّن أسلم أبو سعد العلاء بن الحسن بن وهب بن موصلايا[٣] الكاتب، وابن أخيه[٤] أبو نصر هبة الله بن الحسن بن عليّ صاحب الخبر، أسلما على يدَي الخليفة.

ونُقل أيضاً عنه إلى السلطان ونظام المُلك أنّه يكسر أغراضهم ويقبّح أفعالهم، حتى إنّه لمّا ورد الخبر بفتح السلطان سمرقند قال: وما هذا ممّا يُبشّر به، كأنّه قد فتح

---

(١) في الأوربية: «الخصر».
(٢) من (أ).
(٣) في الباريسية: «الموصلايا».
(٤) في (أ): «ابن اخته».

بلاد الروم، هل أتى إلاّ إلى قوم مسلمين موحّدين، فاستباح منهم ما لا يستباح من المشركين!

فلمّا وصل كوهرائين وابن سمحا إلى العسكر وشَكَوَا من الوزير إلى السلطان ونظام المُلْك، وأخبراهما بجميع ما يقول عنهما، ويكسر من أغراضهما، أرسلا إلى الخليفة في عزله، فعزله، وأمره بلزوم بيته، وكان عزله يوم الخميس، فلمّا أُمر بذلك أنشد:

تــولاَّهــا وليــسَ لــه عــدوٌ، وفــارقهــا وليــسَ لــهُ صَــدِيــقُ

فلمّا كان الغد، يوم الجمعة، خرج من داره إلى الجامع راجلاً، واجتمع الخلق العظيم عليه، فأُمر أن لا يخرج من بيته، ولمّا عُزل استنيب في الوزارة أبو سعد بن موصلايا، كاتب الإنشاء، وأرسل الخليفة إلى السلطان ونظام المُلك يستدعي عميد الدولة بن جَهِير ليستوزره، فسُيِّر إليه، فاستوزره في ذي الحجّة من هذه السنة، وركب إليه نظام المُلك، فهنأه بالوزارة في داره، وأكثر الشعراء تهنئته بالعود إلى الوزارة[1].

ذكر ملك أمير المسلمين بلاد الأندلس التي للمسلمين

في هذه السنة، في رجب، ملك أمير المسلمين يوسف بن تاشَفين، صاحب بلاد المغرب، من بلاد الأندلس ما هو بيد المسلمين: قُرطُبة وإشبيلية، وقَبَض على المعتمد بن عبّاد صاحبها، وملك غيرها من الأندلس.

ولقد جرى للرشيد بن المعتمد حادثة شبيهة بحادثة الأمين محمّد بن هارون الرشيد.

قال أبو بكر عيسى بن اللُّبانة الدانيُّ، من مدينة دَانِية: كنتُ يوماً عند الرشيد بن المعتمد في مجلس أُنسِهِ سنة ثلاثٍ وثمانين وأربعمائة، فجرى ذِكر غَرناطة، وملك أمير المسلمين لها، وقد ذكرنا أخذها في وقعة الزلاّقة، فلمّا ذكرناها تفجّع، وتلهّف،

---

(١) المنتظم ٩/٥٦ (١٦/٢٩٠، ٢٩١)، تاريخ دولة آل سلجوق ٧٧، ٧٨، الفخري ٢٩٨، نهاية الأرب ٢٣/٢٥١، المختصر في أخبار البشر ٢/٢٠٠، النجوم الزاهرة ٥/١٣٢.

واسترجع، وذكر قصرها[1]، فدعونا لقصره[2] بالدوام، ولملكه (بتراخي الأيّام)[3].
فأمر عند ذلك أبا بكر الإشبيليّ بالغناء فغنّى:

يــا دارَ مَيّــةَ بــالعَليــاء فــالسَّنَــدِ أقْـوَتْ، وطـالَ عليهـا سـالـفُ الأبـدِ

فاستحالت مسرّتُهُ، وتَجهّمَت أسِرّته. ثم أمر بالغناء من سِتارته فغُنّي:

إن شئـتَ أن لا تـرى صَبـراً لمُصْطَبـرٍ، فـانظـر إلـى أيّ حـالٍ أصبـحَ الطَّلَـلُ

فتأكّد[4] تطيّرُهُ، واشتدّ اربدادُ وجهه وتغيّرُه، وأمر مُغَنّيةً أخرى بالغناء، فغنّتْ:

يـا لَهْـفَ نفسـي علـى مـالٍ أُفـرّقُـهُ[5] علـى المُقِلّيـنَ مـن أهـلِ المُـرُوءاتِ
إنّ اعتـذاري إلـى مَـن جـاء يسـألُنـي مـا ليسَ عنـديَ مـن إحـدى المُصيبـاتِ

قال ابن اللّبانة: فتلافيتُ الحال بأن قمتُ فقلتُ:

محــلُّ مَكــرُمــةٍ لا هُــدَّ مَبنــاهُ، وشَمْـــلُ مَـــأثُـــرةٍ لاَ شَتّـــهُ اللهُ
البَيـتُ كـالبَيـتِ لكِـنْ زادَ ذا شَـرفـاً، إنَّ الـرشيـدَ مـع المُعتَـدّ رُكنـاهُ
ثـاوٍ علـى أنْجُـمِ الجَـوزاء مَقعَـدُهُ، وراحـــلٌ فـــي سبيـــل اللهِ مَثـــواهُ
حتمٌ على المَلْك أن يقوَى وقد وُصِلَتْ بـالشَّـرقِ والغَـربِ يُمنـاه ويُسْـراهُ
بـأسٌ تـوقّـد، فـاحمـرّتْ لَـواحظُـهُ[6] ونـائِـلٌ شَـبَّ، فـاخضـرَّتْ عِـذاراهُ

فلَعمري قد بسطتُ من نفسه، وأعدتُ عليه بعض أُنسه. على أني وقعت فيما وقع فيه الكلّ بقولي البيت كالبيت. وأمر إثر ذلك بالغناء فغُنّي:

ولمّـا قضَيْنـا مـن مِنـى كـلَّ حـاجـةٍ، ولـم يبـقَ إلاّ أن تُـزَمَّ الـركـائـبُ

فأيقنّا أن هذه الطِّيَر، تُعقب الغِيرَ. فلمّا أراد أمير المسلمين ملْك الأندلس سار من مَرّاكُش إلى سَبَتة، وأقام بها، وسيّر العساكر مع سِير بن أبي بكر وغيره إلى

(١) في (أ): «قصريها».
(٢) في (أ): «العصره».
(٣) من الباريسية.
(٤) في الباريسية: «فأكد».
(٥) في (أ): «أجود به».
(٦) في (أ): «ملاحظة».

الأندلس، فعبروا الخليجَ فأتوا مدينة مُرسِية، فملكوها وأعمالها، وأخرجوا صاحبها أبا عبدالرحمن بن طاهر منها، وساروا إلى مدينة شاطِبة ومدينة دَانِية فملكوهما.

وكانت بَلَنْسِيَةُ قد ملكها الفرنج قديماً، بعد أن حصروها سبع سنين، فلمّا سمعوا بوقعة الزَّلاّقة، فارقوها، فملكها المسلمون أيضاً. وعمروها وسكنوها، فصارت الآن للمرابطين.

وكانوا قد ملكوا غَرناطة نوبةَ الزَّلاّقة، فقصدوا[1] مدينة إشبِيلِية، وبها صاحبها المعتمد بن عَبّاد، فحصروه بها، وضيّقوا عليه، فقاتل أهلها قتالاً شديداً، (وظهر من شجاعة)[2] المعتمد، وشدّة بأسه، وحُسن دِفاعه عن بلده ما لم يُشاهَدْ من غيره ما يقاربه، فكان يُلقي نفسه في المواقف التي لا يُرجَى خلاصه منها، فيسلم بشجاعته، وشدّة نفسه، ولكن إذا نفدت المدّة، لم تُغْنِ العُدّة.

وكانت الفرنج قد سمعوا بقصد عساكر المرابطين بلاد الأندلس، فخافوا أن يملكوها ثم يقصدوا بلادهم، فجمعوا فأكثروا، وساروا ليساعدوا المعتمدَ، ويُعينوه على المرابطين، فسمع سِير بن أبي بكر، مقدّم المرابطين، بمسيرهم، ففارق إشبيلِية وتوجّه إلى لقاء الفرنج، فلقيهم، وقاتلهم، وهزمهم، وعاد إلى إشبيلِية فحصرها، ولم يزل الحصار دائماً، والقتال مستمرّاً إلى العشرين من رجب من هذه السنة، فعظُم الحرب ذلك اليوم، واشتدّ الأمر على أهل البلد، ودخله المرابطون من واديه، ونُهب جميع ما فيه، ولم يبقوا على سَبَدٍ ولا لَبَدٍ، وسلبوا الناس ثيابهم، فخرجوا من مساكنهم يسترون عوراتهم بأيديهم، وسُبيت المخدرات، وانتُهكت الحُرُمات، فأُخذ المعتمد أسيراً، ومعه أولاده الذكور والإناث، بعد أن استأصلوا جميع مالهم، فلم يصحبهم من ملكهم بُلغة زادٍ.

وقيل: إنّ المعتمد سلّم البلد بأمانٍ، وكتب نسخة الأمان والعهد، واستحلفهم به لنفسه، وأهله، وماله، وعبيده، وجميع ما يتعلّق بأسبابه. فلمّا سلّم إليهم إشبيلية لم يفوا له، وأخذوهم أُسراء، ومالهم غنيمةً، وسُيّر المعتمد وأهله إلى مدينة أَغْمات،

---

(١) في الباريسية: «فملكوا».

(٢) في (أ): «وأظهر من شجاعته».

فحُبسوا فيها، وفعل أمير المسلمين بهم أفعالاً لم يسلكها أحد ممّن قبله، ولا يفعلها أحد ممّن يأتي بعده، إلاّ من رضي لنفسه بهذه الرذيلة، وذلك أنّه سجنهم فلم يُجْرِ عليهم ما يقوم بهم، حتّى كانت بنات المعتمد يغزلن للناس بأُجرةٍ ينفقونها على أنفسهم، وذكر ذلك المعتمد في أبيات تَرِدُ عند ذكر وفاته، فأبان أمير المسلمين بهذا الفعل عن صِغَر نفْسٍ ولؤم قُدرة[1].

وأغْمَات هذه مدينة في سفح جبل بالقرب من مَرَّاكُش، وسَيَرِدُ من ذكر المعتمد عند موته، سنة ثمانٍ وثمانين [وأربعمائة]، ما يُعْرَف به محلّه.

قال أبو بكر بن اللُّبانة: زُرْتُ المعتمِدَ بعد أسره بأغمات، وقلتُ أبياتاً[2] عند دخولي إليه، منها:

لم أقُلْ في الثِّقافِ كان ثِقافاً، كنتَ[3] قلباً به، وكان شغافا
يَمكثُ الزَّهرُ في الكِمام، ولكنْ بعدَ مكث الكِمام يدنو قِطافَا
وإذا ما الهِلالُ غابَ بِغَيْمٍ لَمْ يَكُنْ ذلكَ المَغِيبُ انكِسافَا
إنّما أنتَ دُرّة للمعالي[4]، ركّبَ الدهرُ فوقها أصْدَافَا
حَجَبَ البيتُ منك شخصاً كريماً، مثلما تَحْجُبُ الدِّنان[5] السُّلافا[6]
أنتَ للفضل كعبةٌ، ولو انّي كنتُ أستطيعُ لالتزمتُ الطّوافا

قال: وجرت بيني وبينه مخاطبات ألذّ من غفلات الرقيب، وأشهى من رشفات الحبيب، وأدلّ على السماح، من فجر على صباح.

ولمّا أُخِذ المعتمد وأهله قُتِلَ ولداه الفتح ويزيد بين يدَيْه صبراً. فقال في ذلك:

---

(١) المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٠٠، العبر ٣/ ٣٠٤، دول الإسلام ٢/ ١٢، تاريخ الإسلام ١٥، مرآة الجنان ٣/ ١٣٤، البداية والنهاية ١٢/ ١٣٧، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٤، مآثر الإنافة ٢/ ٩، النجوم الزاهرة ٥/ ١٣٣.
(٢) في الأوربية: «أبيات».
(٣) في (أ): «كان».
(٤) في (أ): «المعاني».
(٥) في (أ): «الزجاج».
(٦) في الباريسية: «سلافا».

يقـولـونَ صبـراً! لاَ سَبيـلَ إلـى الصَّبـرِ، سأبكي، وأُبكي ما تطاولَ مِن عُمري
أفَتْـحُ لقَـد فتّحـتَ لـي بـابَ رَحمـةٍ، كمَـا بِيَـزيـدَ، الله قـد زاد فـي أجْـري[1]
هـوًى بكمـا المِقـدارُ عنّي، ولـم أمُـتْ، فأُدعَى وفيّاً، قد نكَصْتُ[2] إلى الغَدرِ
ولو عُدتُما لاخترتُما العودَ في الثّرى إذا أنتمـا أبصَـرْتُمـانـيَ فـي الأسْـرِ
أبـا خـالـدٍ أورثتَنـي البَـثَّ خـالـداً، أبـا نَصَـر مُـذ وَدّعـتَ ودَّعنـي نصـري

وكان المعتمد يكاتبه فضلاء البلاد، وهو محبوس، بالنثر والنظْم، يتوجّعون له، ويذمّون الزمان وأهلَه، حيثُ مثله منكوب؛ فمن ذلك ما قاله عبد الجبّار بن أبي بكر بن حَمدِيس، (وكتبه إليه)[3] يذكر مسيرَهم عن إشبيلية إلى أغمات:

جَـرَى لـكَ جَـدٌّ بـالكـرامِ عَثُـورُ، وجــارَ زمــانٌ كنـتَ منـه تُجيـرُ
لقد أصبحَتْ بِيضُ الظُّبى في غُمودها إنـاثـاً لتَـرْك الضّـربِ[4]، وَهْـيَ ذُكـورُ
ولمّـا رحَلْتـم بـالنّـدَى فـي أكُفّكُـم، وقُلقِـلَ رَضْـوَى منكـمُ وثَبِيـرُ
رفَعْـتُ لسـانـي بـالقيـامـة قـد أتَـتْ، ألا (فـانظُـروا كيـفَ الجبـالُ تَسِيـرُ)[5]

وقال شاعره ابن اللُّبّانة في حادثته أيضاً:

تبكـي السمـاءُ بـدمـعٍ[6] رائـح غـادي علـى البَهـاليـلِ مـن أبنـاء عَبّـادِ
علـى الجِبـالِ التـي هُـدّتْ قَـواعِـدُهـا وكـانـتِ الأرضُ مِنهـا تَحـتَ أوتـادِ[7]
عِـرّيسـةٍ دَخَلَتْهَـا النـائبـاتُ علـى أسـاودٍ منهـمُ فيهـا وآسـادِ
وكَعبـةٍ كـانـتِ الآمـالُ تَعمـرُهـا، فـاليـومَ لا عـاكـفٌ فيهـا، ولا بـادِ

ولمّا استقصى عسكر أمير المسلمين ملوك الأندلس، وأخذ بلادهم، جمع

---

(١) في (أ): «ذخري».
(٢) في (أ): «نسبت».
(٣) من (أ).
(٤) في الباريسية: «الظبي».
(٥) في (أ): «فهذي الجبال الراسيات تسير».
(٦) في (أ): «بمزن».
(٧) من الباريسية.

ملوكهم وسيّرهم إلى بلاد بالغرب[١]، وفرّقهم فيها؛ ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾[٢].

ولمّا فرغ سِير من إشبيلية سار إلى المَرِيّة فنازلها، وكان صاحبها محمّد بن (معن بن صُمادح)[٣]، فقال لولده: ما دام المعتمد بإشبيلِية فلا نبالي بالمرابطين. فلمّا سمع بملكهم لها، وما جرى للمعتمد، مات في تلك الأيّام غمّاً وكمداً، فلمّا مات سار ولده الحاجب وأهله في مراكب، ومعهم كلُّ مالهم[٤]، وقصدوا بلاد بني حمّاد، فأحسنوا إليهم.

وكان عُمر بن الأفطس، صاحب بَطَلْيُوسَ، ممّن أعَان سِير على المعتمد، فلمّا فُتحت إشبيلية رجع ابن الأفطس إلى بلده، فسار إليه سِير، وحاربه، فغلبه[٥]، وأخذ بلده منه، وأخذه أسيراً هو وولده الفضل، فقتلهما، فقال عمر حين أرادوا قتله: قدمّوا ولدي قبلي للقتل ليكون في صحيفتي! فقُتل ولده قبله، وقُتل هو[٦] بعده، واحتوى سير[٧] على ذخائرهم وأموالهم.

ولم يترك من ملوك الأندلس سوى بني هود، فإنّه لم يقصد بلادهم، وهي شرق الأندلس، وكان صاحبها حينئذٍ المستعين بالله بن هود، وهو من الشجعان الذين يُضرب المثل بهم، وكان قد أعدّ كلَّ ما[٨] يحتاج إليه في الحصار، وترك عنده ما يكفيه عدّة سنين بمدينة روطَةَ، وكانت قلعة حصينة، وكانت رعيّته[٩] تخافه، ولم يزل يهادي أمير المسلمين، قبل أن يقصد بلاد الأندلس ويَملِكها، ويواصله، ويُكثر مراسلته، فرعى له ذلك، حتّى إنّه أوصى ابنه عليَّ بن يوسف عند موته بترك التعرّض

---

(١) في (أ): «بالمغرب».
(٢) سورة النمل، الآية ٣٤.
(٣) في (أ): «صمادح بن معن».
(٤) في الأوربية: «كلما لهم».
(٥) من (أ).
(٦) في الباريسية: «أبوه».
(٧) من الباريسية.
(٨) في الأوربية «كلما».
(٩) في الباريسية: «رعية».

لبلاد بني هود، وقال: اتركُهم بينك وبين العدوّ، فإنّهم شجعان[1].

ذكر ملك الفرنج جزيرة صَقَلّية

في هذه السنة استولى الفرنج، لعنهم الله، على جميع جزيرة صَقَلِّية، أعادها الله تعالى إلى الإسلام والمسلمين.

وسبب ذلك أنّ صَقَلّية كان الأمير عليها سنة ثمانٍ وثمانين وثلاثمائة أبا الفتوح يوسف بن عبدالله بن محمّد بن أبي الحسين، ولاّه عليها العزيز العلويُّ، صاحب مصر وإفريقية، فأصابه هذه السنة فالج، فتعطّل جانبه الأيسر، وضعُف الجانب الأيمن، فاستناب ابنه جعفراً، فبقي كذلك ضابطاً للبلاد، حسن السيرة في أهلها إلى سنة خمسٍ وأربعمائة، فخالف عليه أخوه عليّ، وأعانه جمع من البربر والعبيد، فأخرج إليه أخوه جعفر جُنداً من المدينة، فاقتتلوا سابع شعبان، وقُتل من البربر والعبيد خلْق كثير، وهرب من بقي منهم وأُخذ عليّ أسيراً، فقتله أخوه جعفر، وعظُم قتله على أبيه، فكان بين خروجه وقتله ثمانية أيّام.

وأمر جعفر حينئذٍ أن يُنفى كلّ بربريّ بالجزيرة، فنُفُوا إلى إفريقية، وأمر بقتل العبيد، فقُتلوا عن آخرهم وجعل جُنده كلّهم من أهل صِقلّية. فقلَّ[2] العسكر بالجزيرة، وطمع أهل الجزيرة في الأمراء، فلم يمض إلاّ يسير حتّى ثار به أهل صِقِليّة، وأخرجوه، وخلعوه، وأرادوا قتله.

وسبب ذلك أنّه ولّى عليهم إنساناً صادرهم، وأخذ الأعشار من غلاّتهم، واستخفّ بقوادهم وشيوخ البلد؛ وقهر جعفر إخوته، واستطال عليهم، فلم يشعر إلاّ وقد زحف إليه أهل البلد كبيرهم وصغيرهم، فحصروه في قصره (في المحرّم)[3] سنة عشر وأربعمائة، وأشرفوا على أخذه، فخرج إليهم أبوه يوسف في محفّة، وكانوا له محبّين، فلطف بهم ورفق، فبكوا رحمةً له من مرضه، وذكروا له ما أحدث ابنه عليهم، وطلبوا أن يستعمل ابنه أحمد المعروف بالأكحل، ففعل ذلك.

---

(١) المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٠٠، تاريخ الإسلام ١٦، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٤.
(٢) في (أ): «فضعف فقتل».
(٣) من الباريسية.

وخاف يوسف على ابنه جعفر منهم، فسيّره في مركب إلى مصر، وسار أبوه يوسف بعده، ومعهما من الأموال ستّمائة ألف دينار وسبعون ألفاً، وكان ليوسف من الدوابّ ثلاثة عشر ألف حِجْرة، سوى البغال وغيرها، ومات بمصر وليس له إلاّ دابّة واحدة.

ولمّا وليَ الأكحل أخذ أمره بالحَزم والاجتهاد، وجمع المقاتلة، وبثّ سراياه في بلاد الكَفَرة، فكانوا يحرقون، ويغنمون، ويسبون، ويخرّبون البلاد، وأطاعه جميع قلاع صِقِلّية التي للمسلمين.

وكان للأكحل ابنٌ اسمه جعفر كان يستنيبه[1] إذا سافر، فخالف سيرة أبيه، ثم (إنّ الأكحل)[2] جمع أهل صِقلّية وقال: أُحبّ أن أُشلِيكم على[3] الإفريقيّين الذين قد شاركوكم في بلادكم، والرأي إخراجهم؛ فقالوا: قد صاهرناهم وصرنا شيئاً واحداً؛ فصرفهم. ثم أرسل إلى الإفريقيّين، فقال لهم مثل ذلك، فأجابوه إلى ما أراد، فجمعهم حوله، فكان يحمي أملاكهم، ويأخذ الخراج من أملاك أهل صقلّية، فسار من أهل صقلّية جماعة إلى المعزّ بن باديس، وشكوا إليه ما حلّ بهم، وقالوا: نحب أن نكون في طاعتك، وإلاّ سلّمنا البلاد إلى الروم، وذلك سنة سبْعٍ وعشرين وأربعمائة، فسيّر معهم ولدَهُ عبدالله في عسكر، فدخل المدينة، وحصر الأكحل في الخلاصة، ثم اختلف أهل صَقَلّيّة، وأراد بعضهم نُصرة الأكحل، فقتله الذين أحضروا عبدالله بن المعزّ.

ثم إنّ الصقلّيّين رجع بعضهم على بعض، وقالوا: أدخلتم غيركم عليكم، والله لا كانت عاقبة أمركم فيه[4] إلى خير! فعزموا على حرب عسكر المعزّ، فاجتمعوا وزحفوا إليهم، فاقتتلوا، فانهزم عسكر المعزّ، وقُتل منهم ثمانمائة رجل، ورجعوا في المراكب إلى إفريقية، وولّى أهل الجزيرة عليهم حسناً الصمصام، أخا الأكحل، فاضطربت أحوالهم، واستولى الأراذل، وانفرد كلّ إنسان ببلد، وأخرجوا الصمصام،

---

(١) في (أ): «يستخلفه».
(٢) في الباريسية: «إنه».
(٣) في (أ): «أحب أن أفرغكم من».
(٤) من الباريسية.

فانفرد القائد عبدالله بن منكوت بمَازَرَ وطَرَابُنُش[١] وغيرهما، وانفرد القائد عليُّ بن نِعمة، المعروف بابن الحوّاس[٢]، بقَصْريَانةَ[٣] وجُرجنت وغيرهما، وانفرد ابن الثمنة[٤] بمدينة سَرَقُوسَةَ، وقَطَانية[٥]، وتزوّج بأخت ابن الحوّاس[٦].

ثم إنّه[٧] جرى (بينها وبين زوجها)[٨] كلام فأغلظ كلٌّ منهما لصاحبه، وهو سكران، فأمر ابن الثمنة بفصدها في عضُدَيْها،وتركها لتموت، فسمع ولده إبراهيم، فحضر، وأحضر الأطبّاء، وعالجها إلى أن عادت قوّتها، ولمّا أصبح أبوه ندم، واعتذر إليها بالسكر، فأظهرت قبول عُذره.

ثم إنّها طلبت منه بعد مدّة أن تزور أخاها، فأذِن لها، وسيّر معها التُّحَف والهدايا، فلمّا وصلتْ ذكرت لأخيها ما فعل بها، فحلف أنّه لا يُعيدها إليه، فأرسل ابن الثمنة[٩] يطلبها، فلم يردّها إليه، فجمع ابن الثمنة عسكره، وكان قد استولى على أكثر الجزيرة، وخُطب له بالمدينة، وسار، وحصر ابن الحوّاس بقَصْريَانة، فخرج إليه فقاتله، فانهزم ابن الثمنة، وتبعه إلى قرب مدينته قَطَانية[١٠]، وعاد عنه بعد أن قتل من أصحابه فأكثر.

فلمّا رأى ابن الثمنة أنّ عساكره قد تمزّقت، سوّلت له نفسه الانتصار بالكفّار لما يريده الله تعالى، فسار إلى مدينة مالطة[١١]، وهي بيد الفرنج قد ملكوها لمّا خرج بردويل الفرنجيُّ الذي تقدّم ذكره سنة اثنتين وسبعين وثلاث مائة، واستوطنها الفرنج

---

(١) في (أ): «طرابلس».
(٢) في الباريسية: «الجواس».
(٣) في الباريسية: «بقصرنانه»، وفي (أ): «القصربانه».
(٤) في الباريسية: «الشمة» و«الثمسة».
(٥) في الباريسية: «قسطانية».
(٦) في الباريسية: «الجواس».
(٧) من (أ).
(٨) في الباريسية: «جرى بينهما».
(٩) في الباريسية: «الثمسه».
(١٠) في الباريسية: «قسطانية».
(١١) في (أ): «مايطة».

إلى الآن؛ وكان ملكها حينئذ رُجّار[1] الفرنجيُّ في جمع من الفرنج، فوصل إليهم ابن الثمنة وقال: أنا أملّككم الجزيرة! فقالوا: إنّ فيها جُنداً كثيراً، ولا طاقة لنا بهم؛ فقال: إنّهم مختلفون، وأكثرهم يسمع قولي، ولا يخالفون أمري. فساروا معه في رجب سنة أربعٍ وأربعين وأربعمائة، فلم يلقوا من يدافعهم، فاستولوا على ما مرّوا به في طريقهم، وقصد بهم إلى قَصْريانة فحصروها، فخرج إليهم ابن الحوّاس، فقاتلهم، فهزمه الفرنج، فرجع إلى الحصن، فرحلوا عنه، وساروا في الجزيرة، واستولوا على مواضع كثيرة، وفارقها كثير من أهلها من العلماء والصالحين، وسار جماعة من أهل صقليّة إلى المعزّ بن باديس، وذكروا له ما الناس فيه بالجزيرة من الخلف، وغَلبة الفرنج على كثير منها، فعمّر أسطولاً كبيراً[2]، وشحّنه بالرجال والعُدد، وكان الزمان شتاء، فساروا إلى قَوْصَرةَ، فهاج عليهم البحر، فغرق أكثرهم، ولم ينجُ إلاّ القليل.

وكان ذهاب هذا الأسطول ممّا أضعف المعزّ، وقوّى عليه العرب، حتّى أخذوا البلاد منه. فملك حينئذ الفرنج أكثر البلاد على مهلٍ وتؤدةٍ، لا يمنعهم أحد، واشتغل صاحب إفريقية بما دهمه من العرب، ومات المعزّ سنة ثلاثٍ وخمسين وأربعمائة، ووليَ ابنه تميم، فبعث أيضاً أسطولاً وعسكراً إلى الجزيرة، وقدّم عليه ولدَيْه أيّوب وعليّاً، فوصلوا إلى صقلّية، فنزل أيّوب والعسكر المدينة[3]، ونزل عليٌّ جُرجنت، ثمّ انتقل أيّوب إلى جُرجنت، فأمر عليّ بن الحوّاس أن ينزل في قصره، وأرسل هديّة كثيرة.

فلما أقام أيّوب فيها أحبّه أهلها، فحسده ابن الحوّاس، فكتب إليهم ليُخرجوه، فلم يفعلوا، فسار إليه في عسكره، وقاتله، فشدّ أهل جُرجنت من أيّوب، وقاتلوا معه، فبينما ابن الحوّاس يقاتل أتاه سهم غربٍ فقتله، فملّك العسكر عليهم أيّوبَ.

ثمّ وقع بعد ذلك بين أهل المدينة وبين عبيد تميم فتنة أدّت إلى القتال، ثمّ زاد الشرّ بينهم، فاجتمع أيّوب وعليّ أخوه، ورجعا في الأسطول إلى إفريقية سنة إحدى وستّين [وأربعمائة]، وصحِبهم جماعة من أعيان صقلّية والأسطوليّة، ولم يبق للفرنج

---

(١) في الباريسية: «زحار»، وفي (أ): «راحار».
(٢) في (أ): «كثيراً».
(٣) من الباريسية.

ممانع، فاستولوا على الجزيرة، ولم يثبت بين أيديهم غير قَصْريانة وجُرجنت، فحصرهما الفرنج، وضيّقوا على المسلمين بهما، فضاق الأمر على أهلهما[1] حتّى أكلوا الميتة، ولم يبق عندهم ما يأكلونه. فأمّا أهل جُرجنت فسلّموها إلى الفرنج، وبقيت قَصْريانة بعدها ثلاث سنين، فلمّا اشتدّ الأمر عليهم أذعنوا إلى التسليم، فتسلّمها الفرنج، لعنهم الله، سنة أربعٍ وثمانين وأربعمائة، وملك رُجّار جميع الجزيرة وأسكنها الروم والفرنج مع المسلمين، ولم يترك لأحد من أهلها حمّاماً، ولا دكّاناً، ولا طاحوناً.

ومات رُجّار، بعد ذلك، قبل التسعين والأربعمائة، وملك بعده[2] ولده رُجّار، فسلك طريق ملوك المسلمين من الجنائب والحجّاب، والسلاحيّة، والجانْداريّة، وغير ذلك، وخالف عادة الفرنج، فإنّهم لا يعرفون شيئاً منه، وجعل له ديوان المظالم تُرفع[3] إليه شكوى المظلومين، فينصفهم ولو من ولده، وأكرم المسلمين، وقرّبهم ومنع عنهم الفرنج، فأحبّوه، وعمّر أسطولاً كبيراً، وملك الجزائر التي بين المهديّة وصقلّية، مثل مَالِطة، وقَوْصَرَة، وجَرْبَةَ، وقَرْقَنَة[4]، وتطاول إلى سواحل إفريقية، فكان منه ما نذكره إن شاء الله[5].

ذكر وصول السلطان إلى بغداذ

في هذه السنة، في شهر رمضان، وصل السلطان إلى بغداذ، وهي المرّة الثانية، ونزل بدار المملكة، ونزل أصحابه متفرّقين، ووصل إليه أخوه تاج الدولة تُتُش، وقسيم الدولة آقسَنْقَر، صاحب حلب، وغيرهما من زعماء الأطراف، وعُمل الميلاد ببغداذ، وتأنّقوا في عمله، فذكر الناس أنّهم لم يروا ببغداذ مثله أبداً، وأكثر[6] الشعراء وصف تلك الليلة، فممّن قال المطرّز:

---

(١) في الأوربية: «أهلها».
(٢) في الأوربية: «بعد».
(٣) في (أ): «يرفع».
(٤) في الباريسية: «مرقنه»، وفي (أ): «قرقية».
(٥) المختصر في أخبار البشر ٢/٢٠١، نهاية الأرب ٢٣/٢٥١ و٢٨/٢٤٨، سير أعلام النبلاء ١٨/٣٢٢، تاريخ الإسلام ١٦ ـ ١٨، العبر ٣/٣٠٤، دول الإسلام ٢/١٢، تاريخ ابن الوردي ٢/٤، مرآة الجنان ٣/١٣٤، البداية والنهاية ١٢/١٣٨، مآثر الإنافة ٢/٤، تاريخ الخلفاء ٤٢٥.
(٦) في الأوربية: «وأكثروا».

وكلُّ نارٍ على العُشّاقِ مُضرَمَةٍ | من نارِ قلبي، أو من لَيلةِ الصَّدَقِ[1]
نارٌ تجلّتْ بها الظّلماء، واشتبَهَتْ | بسُدفةِ الليلِ فيه غُرّةُ الفَلَقِ
وزَارت الشمسُ فيها البدرَ واصطلحا | على الكواكب بعدَ الغَيظِ والحنَقِ
مدّتْ على الأرض بُسطاً من جواهرها | ما بينَ مجتمعٍ وارٍ ومُفْتَرِقِ[2]
مثلَ المصابيحِ إلاّ أنّها نَزَلَتْ | من السماء بلا رَجْمٍ ولا حَرَقِ
أعجِبْ بنارٍ ورِضوانٌ يُسعّرُها | ومالكٌ قائمٌ منها على فَرَقِ
في مجلسٍ ضحكَتْ روضُ الجِنان لهُ | لمّا جلا ثَغره عن واضحٍ يَقَقِ
وللشُّموع عُيونٌ كلمّا نَظَرَت | تظلّمتْ من يدَيها أنجُمُ الغَسَقِ[3]
من كلّ مُرهَفةِ الأعطافِ كالغُصُنِ | الميّادِ، لكنّه عارٍ من الوَرَقِ
إنّي لأعْجَبُ[4] منها، وهْيَ وادعةٌ | تبكي، وعيشتُها من ضَربةِ العُنُقِ

وفي هذه المرّة أمر بعمارة جامع السلطان، فابتدىء في عمارته في المحرّم سنة خمسٍ وثمانين وأربعمائة، وعمل قبلته بهرام منجّمه، وجماعة من أصحاب الرصد، وابتدأ بعده نظام المُلك، وتاج الملوك، والأمراء الكبار بعمل دُورٍ لهم يسكنونها إذا قدموا بغداذ، فلم تطُلْ مدّتهم بعدها، وتفرّق شملهم بالموت، والقتل، وغير ذلك في باقي سنتهم، ولم تُغن عنهم عساكرهم وما جمعوا شيئاً، فسبحان الدائم الذي لا يزول أمره[5].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة وصل ابن أبي هاشم من مكّة مستغيثاً من التركمان.

---

(١) في طبعة صادر ١٠/ ١٩٩ «السذق». والمثبت من (أ) والمصادر.
(٢) في (أ): «ومتفرق».
(٣) في (أ): «الغثق».
(٤) في الأوبية: «لاعجبت».
(٥) في (أ): «ملكه». والشعر والخبر في: المنتظم ٩/ ٥٧، ٥٨ (١٦/ ٢٩٤، ٢٩٥) و٩/ ٧٠ (١٦/ ٢٩٨)، ونهاية الأرب ٢٦/ ٣٢٩، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٠١، ٢٠٢، والروضتين ١/ ٦٥، وتاريخ الإسلام ١٩، ٢٠، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٥، والبداية والنهاية ١٢/ ١٣٧، ومآثر الإنافة ٢/ ٣، وتاريخ الخلفاء ٤٢٥.

وفي آخرها مرض نظام الملك ببغداذ، فعالج نفسه بالصدقة، فكان يجتمع بمدرسته من الفقراء والمساكين من لا يُحصى، وتصدّق عنه الأعيان، والأمراء من عسكر السلطان، فعوفي، وأرسل [له] الخليفة خِلعاً نفيسه.

وفيها، في تاسع شعبان، كان بالشام، وكثير من البلاد، زلازل كثيرة، وكان أكثرها بالشام، ففارق الناس مساكنهم، وانهدم بأنطاكية كثير من المساكن، وهلك تحتها عالم كثير، وخرب من سورها تسعون برجاً، فأمر السلطان ملكشاه بعمارتها[١].

[الوَفَيات]

وفيها، في شوّال، توفّي أبو طاهر عبد الرحمن بن محمّد بن علك[٢] الفقيه الشافعيُّ، وهو من رؤساء الفقهاء الشافعيّة، وهو الذي تقدّم ذِكره في فتح سَمَرقَند، ومشى أرباب الدولة السلطانيّة كلّهم في جنازته، إلاّ نظام المُلك، فإنّه اعتذر بعُلوّ السّنّ، وأكثر البكاء عليه، ودُفن عند الشيخ أبي إسحاق (بباب أبرز)[٣]، وزار السلطان قبره.

وتوفّي محمّد بن عبدالله بن الحسن أبو بكر الناصح الحنفيُّ[٤]، قاضي الريّ، وكان من أعيان الفقهاء الحنفيّة يميل إلى الاعتزال، وكان موته في رجب.

وفيها (في شعبان)[٥] توفّي أبو الحسن عليُّ بن الحسين[٦] بن طاووس المقري بمدينة صور.

---

(١) تاريخ حلب ٣٥٥ (٢٢)، ذيل تاريخ دمشق ١٢٠، ١٢١، نهاية الأرب ٢٥١/٢٣، دول الإسلام ١٢/٢، تاريخ الإسلام ٢٠، البداية والنهاية ١٣٨/١٢، النجوم الزاهرة ١٣٢/٥، كشف الصلصلة ١٨١، ١٨٢.

(٢) في (أ): «علمك». وانظر ترجمته ومصادرها في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ١٢٧ رقم ١١٨.

(٣) من (أ).

(٤) انظر عن (الناصح الحنفي) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ١٣٦، ١٣٧ رقم ١٣١ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) من (أ).

(٦) في طبعة صادر ٢٠١/١٠ «الحسين»، والتصحيح من مصادر ترجمته التي ذكرتها في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ١٣٠، ١٣١ رقم ١٢٣.

٤٨٥
ثم دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمائة

ذكر الحرب بين المسلمين والفرنج بجيّان

في هذه السنة جمع أذفونش عساكره، وجموعه، وغزا بلاد جَيّان من الأندلس، فلقيه المسلمون وقاتلوه، واشتدّت الحرب، فكانت الهزيمة أوّلاً على المسلمين، ثم إنّ الله تعالى ردّ لهم الكرّة على الفرنج، فهزموهم، وأكثروا القتل فيهم، ولم ينجُ إلاّ الأذفونش في نفرٍ يسير؛ وكانت هذه الوقعة من أشهر الوقائع، بعد الزلاّقة، وأكثَرَ الشعراءُ ذِكرها في أشعارهم[١].

ذكر استيلاء تُتُش على حمص وغيرها من ساحل الشام

لمّا كان السلطان ببغداذ قدِم إليه أخوه تاج الدولة تُتُش من دمشق، وقسيم الدولة آقسنقَر من حلب، وبُوزان من الرُّها، فلمّا أذِن لهم السلطان في العَود إلى بلادهم أمر قسيم الدولة وبوزان أن يسيرا مع عساكرهما في خدمة أخيه تاج الدولة، حتّى يستولي على ما للخليفة المستنصر[٢] العلويّ، بساحل الشام، من البلاد، ويسير، وهم معه، إلى مصر ليملكها.

فساروا أجمعون[٣] إلى الشام، ونزل على حمص، وبها ابن مُلاعب صاحبها،

(١) العبر في خبر من غبر ٣/٣٠٧، تاريخ الإسلام ٢١، دول الإسلام ٢/١٢، سير أعلام النبلاء ١٨/٣٢٢.
(٢) من (أ).
(٣) من (أ).

وكان الضرر به وبأولاده عظيماً على المسلمين، فحصروا البلد، وضيّقوا على من به، فملكه تاج الدولة، وأخذ ابن ملاعب وولدَيْه، وسار إلى قلعة عِرْقَة فملكها عَنوةً، وسار إلى قلعة أفامِيَةَ فملكها أيضاً، وكان بها خادم للمصريّ، فنزل بالأمان فأمنّه، ثم سار إلى طرابُلُس فنازلها، فرأى صاحبها جلال الملك بن عمّار جيشاً لا يُدفع إلاّ بحيلة، فأرسل إلى الأمراء الذين مع تاج الدولة، وأطمعهم ليُصْلِحوا حاله، فلم يَرَ فيهم مطمعاً.

وكان مع قسيم الدولة آقسنقَر وزير له اسمه زرّين كمر[1]، فراسله ابن عمّار فرأى عنده لِيناً، فأتحفه وأعطاه، فسعى مع صاحبه قسيم الدولة في إصلاح حاله ليدفع عنه، وحمل له ثلاثين ألف دينار، وتُحفاً بمثلها، وعرض عليه المناشير التي بيده من السلطان بالبلد، والتقدّم إلى النوّاب بتلك البلاد بمساعدته، والشدّ معه[2]، والتحذير من محاربته، (فقال آقسنقَر لتاج الدولة تُتُش: لا أقاتل مَنْ هذه المناشير بيده)[3]؛ فأغلظ له تاج الدولة، وقال: هل أنت إلاّ تابع لي؟ فقال آقسنقَر: أنا أتابعك إلاّ في معصية السلطان؛ ورحل من الغد عن موضعه، فاضطرّ تاج الدولة إلى الرحيل، فرحل غضبان، وعاد بُوزان أيضاً إلى بلاده، فانتقض هذا الأمر[4].

ذكر ملك السلطان اليمن

وكان ممّن[5] حضر أيضاً عند السلطان ببغداذ جبق أمير التركمان، وهو صاحب قَرمِيسِين وغيرها، فأمره السلطان أن يسير هو ومعه جماعة من أمراء السلطان[6]

---

(١) في (أ): «زريكمر».
(٢) في (أ): «منه».
(٣) من (أ).
(٤) تاريخ الفارقي ٢٣٣، تاريخ دولة آل سلجوق ٦٥، نهاية الأرب ٢٧/ ٦٥، ٦٦، مفرّج الكروب ١/ ٢١، ٢٢، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٠٢، الدرّة المضيّة ٤٣١، ٤٣٢، تاريخ الإسلام ٢٢، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٥، البداية والنهاية ١٢/ ١٤٠، تاريخ ابن خلدون ٥/ ١١، النجوم الزاهرة ٥/ ١٣٢، وانظر كتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري ١/ ٣٧١، ٣٧٢، وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ١٧٤، ١٧٥.
(٥) في (أ): «فيمن».
(٦) في (أ): «التركمان».

ذكرهم، إلى الحجاز واليمن، ويكون أمرهم إلى سعد الدولة كوهرائين، ليفتحوا البلاد هناك، فاستعمل عليهم سعدُ الدولة أميراً اسمه ترشك، فساروا حتّى وردوا اليمن، فاستولوا عليها، وأساءوا السيرة في أهلها، ولم يتركوا فاحشةً ولا سيئةً إلاّ ارتكبوها، وملكوا عَدن، وظهر على ترشك الجدريُّ، فتوفّي في سابع يوم من وصوله إليها، وكان عمره سبعين سنة، فعاد أصحابه إلى بغداذ، وحملوه، فدفنوه عند قبر أبي حنيفة، رحمة الله عليه[1].

ذكر مقتل نظام الملك

في هذه السنة، عاشر رمضان، قُتل نظام المُلك أبو عليّ الحسن بن عليّ بن إسحاق الوزير بالقرب من نَهَاوَنْد، وكان هو والسلطان في أصبهان، وقد عاد إلى بغداذ، فلمّا كان بهذا المكان، بعد أن فرغ من إفطاره، وخرج في محَفتّه إلى خيمة حُرمه، أتاه[2] صبيٌّ ديلميٌّ من الباطنيّة، في صورة مستميح، أو مستغيث، فضربه بسكّين (كانت معه)[3]، فقضى عليه وهرب، فعثر بطنب خيمة، فأدركوه فقتلوه، وركب السلطان إلى خِيمه[4]، فسكن عسكره وأصحابه.

وبقي وزير السلطان ثلاثين سنة سوى ما وزر للسلطان ألب أرسلان، صاحب خُراسان، أيّام عمّه طُغْرُلْبك، قبل أن يتولّى السلطنة، وكان عَلَت سِنّه، فإنّه كان مولده سنة ثمانٍ وأربعمائة.

وكان سبب قتله أنّ عثمان بن جمال المُلك بن نظام المُلك كان قد ولاّه جدّه نظام المُلك رئاسة مرو، وأرسل السلطان إليها شِحنة يقال له قودَن، وهو من أكبر مماليكه، ومن أعظم الأمراء في دولته، فجرى بينه وبين عثمان منازعة في شيء، فحملتْ عثمانَ حداثة سنّه، وتمكّنه، وطمعه بجدّه، على أن قبض عليه، وأخرق به، ثم أطلقه، فقصد السلطانَ مستغيثاً شاكياً، فأرسل السلطان إلى نظام المُلك رسالة (مع

(١) نهاية الأرب ٢٦/ ٣٣٠ وفيه: «كوهراتين»، تاريخ الإسلام ٢٢، ٢٣.
(٢) في الأوربية: «فأتاه».
(٣) من الباريسية.
(٤) في (أ): «خيمته».

تاج الدولة)[1] ومجد المُلك البلاسانيّ وغيرهما من أرباب دولته يقول له: إن كنتَ شريكي في الملك، ويدك مع يدي في السلطنة، فلذلك[2] حكم، وإن كنت نائبي، وبحكمي، فيجب أن تلزم حدّ التبعيّة والنيابة، وهؤلاء أولادك قد استولى كلّ واحد منهم على كورة عظيمة، ووليَ ولاية كبيرة، ولم يقنعهم ذلك، حتّى تجاوزوا أمر السياسة وطمعوا إلى[3] أن فعلوا كذا وكذا؛ وأطال القول، وأرسل معهم الأمير يلبرد، وكان من خواصّه وثقاته، وقال له: تعرّفني ما يقول: فربّما كتم هؤلاء شيئاً.

فحضروا عند نظام المُلك وأوردوا عليه الرسالة، فقال لهم: قولوا للسلطان إن كنتَ ما علمتَ أني شريكك في المُلك فاعلم، فإنّك ما نلتَ هذا الأمر إلاّ بتدبيري ورأيي، أما يذكر حينَ قُتل أبوه فقمتُ بتدبير أمره، وقمعتُ الخوارج عليه من أهله، وغيرهم، منهم: فلان وفلان، وذكر جماعة مَنْ خرج عليه، وهو ذلك الوقت يتمسّك بي ويلزمني، ولا يخالفني، فلمّا قُدتُ الأمور إليه، وجمعتُ الكلمة عليه، وفتحتُ له الأمصار القريبة والبعيدة، وأطاعه القاصي والداني، أقبل يتجنّى لي الذنوب، ويسمع فيّ السعايات؟ قولوا له عنّي: إنّ ثبات تلك القَلَنْسُوَة معذوق بهذه الدواة، وإنّ اتّفاقهما رباط كلّ رغيبة[4] وسبب كلّ غنيمة، ومتى أطبقتُ هذه زالت تلك، فإنْ عزم على تغيير فليتزوّد للاحتياط[5] قبل وقوعه، وليأخذ الحذر من الحادث أمام طروقه؛ وأطال فيما هذا سبيله، ثم قال لهم: قولوا للسلطان عنّي مهما أردتم، فقد أهمّني[6] ما لحِقني من توبيخه وفتّ[7] في عَضُدي.

فلمّا خرجوا من عنده اتّفقوا على كتمان ما جرى عن السلطان، وأن يقولوا له ما مضمونه العبوديّة والتنصّل، ومضوا إلى منازلهم، وكان الليل قد انتصف، ومضى يلبرد إلى السلطان فأعلمه ما جرى، وبكّر الجماعة إلى السلطان، وهو ينتظرهم، فقالوا له

---

(١) من (أ).
(٢) في (أ): «فذلك».
(٣) في (أ): «في».
(٤) في الباريسية: «رعمته».
(٥) في الباريسية: «للاختلاط».
(٦) في (أ): «دهمني».
(٧) في الأوربية: «مافت».

من الاعتذار والعبوديّة ما كانوا اتّفقوا عليه، فقال لهم السلطان: إنّه لم يقلْ هذا، وإنّما قال كيت وكيت؛ فأشاروا حينئذٍ بكتمان ذلك رعاية لحقّ نظام المُلك، وسابقته، فوقع التدبير عليه، حتّى تمّ عليه من القتل ما تمّ.

ومات السلطان بعده بخمسة وثلاثين يوماً، وانحلّت الدولة، ووقع السيف، وكان قول نظام المُلك شبه الكرامة له، وأكثر الشعراء مراثيه، فمِن جيّد ما قيل فيه قول شبل الدولة مقاتل بن عطية:

كان الوزيرُ نظامُ الملكِ لؤلؤةً يتيمةً صاغَها الرحمن من شَرفِ
عزَّتْ[1]، فلم تَعرفِ الأيامُ قيمتَها فردَّها، غَيرةً منه، إلى الصَّدَفِ

ورأى بعضهم نظام المُلك بعد قتله في المنام، فسأله عن حاله، فقال: كان يعرض عليّ جميع عملي لولا الحديدة التي أُصِبتُ بها؛ يعني القتل[2].

ذكر ابتداء حاله[3] وشيء من أخباره

أمّا ابتداء حاله، فكان من أبناء الدهاقين بطوس[4]، فزال ما كان لأبيه من مال، ومِلْك، وتوفّيت أمّه وهو رضيع، فكان أبوه يطوف به على المرضِعات فيرضِعْنَه حِسبةً، حتّى شبّ، وتعلّم العربيّة، وسِرُّ الله فيه يدعوه إلى علو الهمّة. والاشتغال بالعلم، فتفقّه، وصار فاضلاً، وسمع الحديث الكثير، ثم اشتغل بالأعمال السلطانيّة، ولم يزل الدهر يعلو به ويخفض[5] حَضَراً وسَفَراً.

وكان يطوف بلاد خُراسان، ووصل إلى غَزنة في صُحبة بعض المتصرّفين، ثمّ لزِم أبا عليّ بن شاذان متولّي الأمور ببَلخ لداود والد السلطان ألب أرسلان، فحُسنت حاله معه، وظهرت كفايته وأمانته، وصار معروفاً عندهم بذلك، فلمّا حضرتْ أبا عليّ بن شاذان الوفاة أوصى الملك ألب أرسلان به، وعرّفه حاله، فولاّه شغْله، ثم

(١) في (أ): «بدت».
(٢) انظر عن مقتل نظام الملك في تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ٢٣، ٢٤ وفيه مصادر هذا الخبر.
(٣) في (أ): «أمره».
(٤) في المنتظم: بناحية بيهق.
(٥) في (أ): «ينخفض».

صار وزيراً له إلى أن وليَ السلطنة بعد عمّه طُغْرُلبك، واستمرّ على الوزارة لأنّه ظهرت منه كفاية عظيمة، وآراء سديدة قادت[1] السلطنة إلى ألب أرسلان، فلمّا توفّي ألب أرسلان قام بأمر ابنه ملكشاه، وقد تقدّم ذِكر هذه الجُمَل مستوفًى مشروحاً.

وقيل إنّ ابتداء أمره (أنّه كان يكتب للأمير تاجر، صاحب بلْخ، وكان الأمير)[2] يصادره في رأس كلّ سنة، ويأخذ ما معه، ويقول له: قد سمنتَ يا حسن! ويدفع إليه فرساً ومقرعة ويقول: هذا يكفيك؛ فلمّا طال ذلك عليه أخفى ولديه فخر المُلك (ومؤيّد المُلك)[3]، وهرب إلى جغري بك داود، والد ألب أرسلان، فوقف فرسه في الطريق، فقال: اللّهم إني أسألك فرساً تخلّصني عليه! فسار غير بعيد، فلقيه تركمانيٌّ وتحته فرس جواد، فقال لنظام المُلك: انزل عن فرسك؛ فنزل عنه، فأخذه التركمانيُّ وأعطاه فرسه، فركبه وقال له: لا تنسني[4] يا حسن. قال نظام المُلك: فقَوِيَت نفسي بذلك، وعلمتُ أنّه ابتداء سعادة. فسار نظام المُلك إلى مرو، ودخل على داود، فلمّا رآه أخذ بيده، وسلّمه إلى ولده ألب أرسلان، وقال له: هذا حسن الطوسيُّ، فتسلّمْه، واتّخذْه والداً لا تخالفهُ.

وكان الأمير تاجر[5] لمّا سمع بهرب نظام المُلك سار في أثره إلى مرو، فقال لداود: هذا كاتبي ونائبي قد أخذ أموالي؛ فقال له داود: حديثك مع محمّد؛ يعني ألب أرسلان، (فكان اسمه محمّداً)[6]، فلم يتجاسر تاجر على خطابه، فتركه وعاد.

وأمّا أخباره، فإنّه كان عالماً، ديّناً، جواداً، عادلاً، حليماً، كثير الصفح عن المذنبين، طويل الصمت، كان مجلسه عامراً بالقرّاء، والفقهاء، وأئمّة المسلمين، وأهل الخير والصلاح، أمر ببناء المدارس في سائر الأمصار والبلاد، وأجرى لها الجرايات العظيمة، وأملى الحديث بالبلاد: ببغداذ وخُراسان وغيرهما، وكان يقول:

---

(١) في (أ): «فادت».
(٢) في (أ): «ابن شاذان كان».
(٣) من الباريسية.
(٤) في الأوربية: «تنساني».
(٥) في (أ): «ابن شاذان».
(٦) في الأوربية: «محمد»، وما بين القوسين من الباريسية.

إنّي لستُ من أهل هذا الشأن، لمَا تولاّه، ولكنّي أُحبّ أن أجعل نفسي على قِطار نَقَلَة حديث رسول الله، ﷺ.

وكان إذا سمع المؤذّن أمسك عن كلّ ما هو فيه وتجنّبه[1]، فإذا فرغ لا يبدأ بشيء قبل الصلاة، وكان، إذا غفل[2] المؤذّن ودخل الوقت يأمره بالأذان، وهذا غاية حال المنقطعين إلى العبادة في حفظ الأوقات، ولزوم الصلوات.

وأسقط المكوس والضرائب، وأزال لعن الأشعريّة من المنابر، وكان الوزير عميد الملك الكُندُريُّ قد حسّن للسلطان طُغْرُلبك التقدّم[3] بلعن الرافضة، فأمره بذلك، فأضاف إليهم الأشعريّة، ولعن الجميع، فلهذا فارق كثير من الأئمّة بلادهم، مثل إمام الحرمَيْن، وأبي القاسم القُشَيريّ، وغيرهما، فلمّا وليَ ألب أرسلان السلطنة أسقط نظام المُلك ذلك جميعه، وأعاد العلماء إلى أوطانهم.

وكان نظام المُلك إذا دخل عليه الإمام أبو القاسم القشيريُّ، والإمام أبو المعالي الجُوينيُّ، يقوم لهما، ويجلس في مسنده، كما هو، وإذا دخل أبو عليّ الفارمذيُّ يقوم (إليه، ويُجْلسه في مكانه)[4]، ويجلس هو بين يدَيْه، فقيل له في ذلك، فقال: إنّ هذَيْن وأمثالهما[5] إذا دخلوا عليّ[6] يقولون لي: أنت كذا وكذا، يُثنون عليّ بما (ليس فيّ)[7]، فيزيدني كلامهم عُجباً وتيهاً، وهذا الشيخ يذكر لي عيوب نفسي، وما أنا فيه من الظلم، فتنكسر نفسي لذلك، وأرجع عن كثير ممّا أنا فيه.

وقال نظام المُلك: كنتُ اتمنّى أن يكون لي قرية خالصة، ومسجد أتفرّد[8] فيه لعبادة ربّي، ثم بعد ذلك تمنّيتُ أن يكون لي قطعة أرض أتقوّت بريعها، (ومسجد

---

(١) المنتظم ١٦/ ٣٠٣.
(٢) في الأوروبية: «أغفل».
(٣) في (أ): «التقرير».
(٤) في (أ): «عن مجلسه».
(٥) في (أ): «ويقول».
(٦) زاد في (أ): «أولئك».
(٧) في (أ): «يسرني».
(٨) في (أ): «انفرد».

أعبد الله فيه)[1]، وأمّا الآن فأنا أتمنّى أن يكون لي رغيف كلّ يوم، ومسجد أعبد الله فيه.

وقيل: كان ليلة يأكل الطعام، وبجانبه أخوه أبوالقاسم، وبالجانب الآخر عميد خُراسان، وإلى جانب العميد إنسان فقير، مقطوع اليد، فنظر نظام المُلك، فرأى العميد يتجنّب الأكل مع المقطوع، فأمره بالانتقال إلى الجانب الآخر، وقرّب المقطوع إليه[2] فأكل معه.

وكانت عادته أن يحضر الفقراء طعامه، ويقرّبهم إليه، ويُدنيهم. وأخباره مشهورة كثيرة، قد جُمعتْ لها المجاميع السائرة في البلاد[3].

ذكر وفاة السلطان وذكر بعض سيرته

سار السلطان ملكشاه، بعد قتل نظام المُلك، إلى بغداذ، ودخلها في الرابع والعشرين من شهر رمضان، ولقيه وزير الخليفة عميد الدولة بن جَهِير، وظهرت من تاج المُلك كفاية عظيمة، وكان السلطان قد أمر أن تفصّل خِلَعُ الوزارة لتاج المُلك، وكان هو الذي سعى بنظام المُلك، فلمّا فرغ من الخِلع، ولم يبق غير لبسها والجلوس في الدَّسْت، اتفّق أنّ السلطان خرج إلى الصيد، وعاد ثالث شوّال مريضاً، وأنشب الموت أظفاره فيه، ولم يمنع عنه سَعَة ملكه، وكثرة عساكره.

وكان سبب مرضه أنّه أكل لحم صيد فحُمّ وافتصد، ولم يستوف إخراج الدم، فثقُل مرضه، وكانت حُمّى محرقة، فتوفّي ليلة الجمعة، النصف من شوّال[4].

ولمّا ثَقُل نقل أرباب دولته أموالهم إلى حريم دار الخلافة، ولمّا توفّي سترت زوجته تركان خاتون المعروفة بخاتون الجلالية موته وكتمتْهُ، وأعادتْ جعفراً[5] ابن

---

(١) من الباريسية.

(٢) في الأوربية: «اليد».

(٣) انظر أخبار نظام الملك في المصادر الكثيرة التي حشدتها في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ١٤٢ ـ ١٤٨ رقم ١٤١.

(٤) انظر خبر وفاة السلطان في تاريخ الإسلام ٢٣ وفيه مصادره.

(٥) في الأوربية: «جعفر».

الخليفة من ابنة السلطان إلى أبيه المقتدي بأمر الله، وسارت من بغداذ والسلطان معها محمولاً، وبذلت الأموال للأمراء سِرّاً، واستحلفتهم لابنها محمود، وكان تاج المُلك يتولّى ذلك لها، وأرسلت قِوام الدولة كربُوقا الذي صار صاحب الموصل إلى أصبهان بخاتم السلطان، فاستنزل مستحفظ القلعة، وتسلّمها، وأظهر أنّ السلطان أمره بذلك، ولم يُسمع بسلطان مثله لم يُصَلّ عليه أحدٌ، ولم يُلْطَمْ عليه وجهٌ.

وكان مولده سنة سبعٍ وأربعين وأربعمائة، وكان من أحسن الناس صورةً ومعنى، وخُطب له من حدود الصين إلى آخر الشام، ومن أقاصي بلاد الإسلام في الشمال إلى آخر بلاد اليمن، وحمل إليه ملوك الروم الجزية، ولم يَفُتْه مطلبٌ، وانقضت أيّامه على أمن عامٍ، وسكون شامل، وعدل مُطّردٍ.

ومن أفعاله أنّه لمّا خرج عليه أخوه تكش بخُراسان اجتاز بمشهد عليّ بن موسى الرِّضا بطُوس، فزاره، فلمّا خرج قال لنظام المُلك: بأيّ شيء دعوتَ؟ قال: دعوتُ الله أن ينصرك[1]؛ فقال: أمّا أنا فلم أدعُ بهذا بل قلتُ: اللّهم انصر أصلحَنا للمسلمين، وأنفعنا للرعيّة.

وحُكي عنه أنّ سواديّاً لقيه وهو يبكي، فاستغاث به، وقال: كنتُ ابتعتُ بِطّيخاً بدُريهمات لا أملك سواها، فغلبني عليه ثلاثة نفر من الأتراك، فأخذوه منّي. فقال السلطان له: اقعد! ثم أحضر فرّاشاً وقال: قد اشتهيتُ بِطّيخاً؛ وكان ذلك عند أوّل استوائه، وأمره بطلبه من العسكر، فغاب ثم عاد ومعه البِطّيخ، فأمره بإحضار من وجده عنده، فأحضره، فسأله السلطان من أين له ذَلك البِطّيخ؟ فقال: غلماني جاؤوني به؛ فأمر أن يجيء بهم إليهم، فمضى، وأمرهم بالهرب، وعاد فقال: لم أجدهم؛ فقال للسواديّ: خذ[2] مملوكي هذا قد وهبتُه لك عِوضاً عن بِطّيخك، ويُحضر الذين أخذوه، والله لئن أطلقتَه لأضربنّ عنقك. فأخذه السواديُّ، فاشترى الغلام نفسه منه بثلاثمائة دينار، فعاد السواديُّ إلى السلطان، وقال: قد بعتُه نفسَه بثلاثمائة دينار[3]؛ فقال: أرضِيتَ بذلك ؟ قال: نعم! قال: امض مصاحَباً.

---

(١) في (أ): «ينصرنا».
(٢) من (أ).
(٣) من (أ).

وقال عبد السميع بن داود العبّاسيُّ: شاهدتُ ملكشاه وقد أتاه رجلان من أرض العراق السُّفلى، من قرية الحدّاديّة، يُعرفان بابنَيْ غزّال، فلقياه، فوقف لهما، فقالا: إنّ مُقطِعنا الأمير خُمارتِكِين قد صادرَنا بألف وستّمائة دينار، وقد كسر ثنيّتَيْ أحدنا[١]، وأراهما السلطان، وقد قصدناك[٢] لتقتصّ لنا منه، فإن أخذتَ بحقّنا كما أوجب الله عليك، وإلاّ فالله يحكم بيننا.

قال فرأيتُ السلطان وقد نزل عن دابّته وقال: ليمسك كلّ واحد منكما بطرف كُميّ، واسحباني إلى خواجه حسن، يعني نظام المُلك؛ فامتنعا من ذلك، واعتذرا، فأقسم عليهما إلاّ فعلا، فأخذ كلٌّ واحد منهما بكمّ من كُمَّيه[٣] ومشى معهما إلى نظام المُلك، فبلغه الخبر، فخرج مسرعاً، فلقيه وقبّل الأرض، وقال: يا سلطان العالم! ما حملك على هذا؟ فقال: كيف يكون حالي غداً عند الله إذا طولبتُ بحقوق المسلمين، وقد قلّدتُك هذا الأمر لتكفيني مثل هذا الموقف، فإن نال الرعيّة أذًى فأنت المطالب، فانظر لي ولنفسك.

فقبّل الأرض، ومشى في خدمته، وعاد من وقته، وكتب بعزل الأمير خُمارتكين عن إقطاعه، وردّ المال عليهما، وأعطاهما مائة دينار من عنده، وأمرهما بإثبات البيّنة أنّه قلع ثنّيتيه ليقلع ثنّيتيه[٤] عِوضهما، فرضيا وانصرفا.

وقيل إنّه ورد بغداذ ثلاث دفعات، فخافه الناس من غلاء الأسعار، وتعدّي الجُند، فكانت الأسعار أرخص منها قبل قدومه، وكان الناس يخترقون عساكره ليلاً ونهاراً، فلا يخافون[٥] أحداً، ولم يتعدّ عليهم أحدٌ، وأسقط المكوس والمُؤن من جميع البلاد، وعمر الطرق، والقناطر، والرُّبُط التي في المفاوز، وحفر الأنهار الخراب، وعمر الجامع ببغداذ، وعمل المصانع بطريق مكّة، وبنى[٦] البلد بأصبهان،

---

(١) في (أ): «أميرنا».
(٢) في (أ): «أتيناك».
(٣) في (أ): «أكمامه».
(٤) في الأوربية: «ثنيتاه».
(٥) في (أ): «يخالفون».
(٦) في الأوربية: «وبنا».

وبنى منارة القرون بالسُّبيعي[١] بطريق مكّة، وبنى مثلها بما وراء النهر.

واصطاد مرّة صيداً كثيراً، فأمر بعدّه، فكان عشرة آلاف رأس، فأمر بصدقة عشرة آلاف دينار، وقال: إنّني خائف من الله تعالى كيف أزهقتُ أرواح هذه الحيوانات بغير ضرورة ولا مأكلة؛ وفرّق من الثياب والأموال بين أصحابه ما لا يُحصى، وصار بعد ذلك كلّما صاد شيئاً تصدّق بعدده دنانير، وهذا فِعْل من يحاسب نفسه على حركاته وسكناته، وقد أكثر الشعراء مراثيه أيضاً.

وقيل إنّ بعض أمراء السلطان كان نازلاً بهَراة مع بعض العلماء اسمه عبد الرحمن في داره، فقال يوماً ذلك الأمير للسلطان، وهو سكران: إنّ عبد الرحمن يشرب الخمر، ويعبد الأصنام من دون الله تعالى، ويحلّل الحرام؛ فلم يُجِبه ملكشاه، فلمّا كان الغد صحا ذلك الأمير، فأخذ السلطان السيفَ، وقال له: اصدِقْني عن فلان، وإلاّ قتلتُك! فطلب منه الأمان، فأمّنه، فقال: إنّ عبد الرحمن له دار حسناء، وزوجة جميلة، فأردتُ أن تقتله فأفوز بداره وزوجته؛ فأبعده السلطان، وشكر الله تعالى على التوقّف عن قبول سعايته، وتصدّق بأموال جليلة المقدار[٢].

ذكر ملك ابنه الملك محمود وما كان من حال ابنه الأكبر بركيارُق إلى أن ملك

لمّا مات السلطان ملكشاه كتمتْ زوجته تركان خاتون موته، كما ذكرناه، وأرسلتْ إلى الأمراء سِرّاً فأرضتْهم، واستحلفتْهم لولدها محمود، وعمره أربع سنين وشهور، وأرسلتْ إلى الخليفة المقتدي في الخطبة لولدها أيضاً، فأجابها، وشرط أن يكون اسم السلطنة لولدها، والخطبة له، ويكون (المدبّر لزعامة)[٣] الجيوش، ورعاية[٤] البلد، هو الأمير أُنَر[٥]، ويصدر عن رأي تاج الملك، ويكون ترتيب

---

(١) من الباريسية.

(٢) انظر ترجمة السلطان ملكشاه في تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ١٦٢ ـ ١٦٥ رقم ١٦٦ وفيه حشدت مصادر كثيرة عنه.

(٣) في (أ): «لرعاية».

(٤) في (أ): «ورعايا».

(٥) في (أ): «أنز»، ويرد هكذا في بعض المصادر، بالزاي.

العمّال، وجباية الأموال إلى تاج الملك أيضاً، وكان تاج الملك هو الذي يدبّر الأمر بين يدَيْ خاتون.

فلمّا جاءت رسالة الخليفة إلى خاتون بذلك امتنعت من قبوله، فقيل لها: إنّ ولدك صغير، ولا يجيز الشرع ولايته؛ وكان المخاطب لها في ذلك الغزاليّ، فأذعنتْ له، وأجابت إليه، فخُطب لولدها، ولُقّب ناصر الدنيا والدين، وكانت الخطبة يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوّال من السنة، وخُطب له بالحرمَيْن الشريفَيْن.

ولمّا مات السلطان ملكشاه أرسلتْ تركان خاتون إلى أصبهان في القبض على بَرْكْيارُق ابن السلطان، وهو أكبر أولاده، خافته أن ينازع ولدها في السلطنة، فقُبض عليه، فلمّا ظهر موت ملكشاه وثب المماليك النظاميّة على سلاح كان لنظام المُلك بأصبهان، فأخذوه وثاروا في البلد، وأخرجوا بركيارُق من الحبس، وخطبوا له بأصبهان وملّكوه، وكانت والدة بركيارُق زُبَيدة ابنة ياقوتي بن داود، وهي ابنة عمّ ملكشاه، خائفة على ولدها من خاتون أمّ محمود، فأتاها الفرج بالمماليك النظاميّة.

وسارت تركان خاتون من بغداذ إلى أصبهان، فطالب العسكر تاج الملك بالأموال، فوعدهم، فلمّا وصلوا إلى قلعة برجين[1] صعد إليها ليُنزل الأموال منها، فلمّا استقرّ فيها عصى على خاتون، ولم ينزل خوفاً من العسكر، فساروا عنه، ونهبوا خزائنه، فَلم يجدوا بها شيئاً، فإنّه[2] كان قد علم ما جرى، فاستظهر وأخفاه.

ولمّا وصلتْ تركان خاتون إلى أصبهان لحِقها تاج المُلك، واعتذر بأن مستحفظ القلعة حبسه، وأنّه هرب منه إليها، فقبِلت عُذره.

وأمّا بَرْكْيارُق فإنّه لمّا قاربت خاتون وابنها محمود أصبهان خرج منها هو ومن معه من النظامية، وساروا نحو الرَّيّ، فلقيهم أرغش النظاميُّ في عساكره، ومعه جماعة من الأمراء، وصاروا يداً واحدةً، وإنّما حمل النظاميّة على الميل إلى بَرْكْيارُق كراهتهم لتاج المُلك لأنّه كان عدوّ نظام المُلك، والمتّهَم بقتله، فلمّا اجتمعوا حصروا قلعة طَبَرَك وأخذوها عَنوةً، فسيّرت خاتون العساكر إلى قتال بَرْكْيارُق، فالتقى العسكران

---

(١) في الأصل: «برحين».

(٢) في (أ): «لأنه».

بالقرب من بَرُوجِرد، فانحاز جماعة من الأمراء الذين في عسكر خاتون إلى بَرْكْيارُق، منهم: الأمير يلبرد، وكمشتِكِين الجاندار، وغيرهما، فقوي بهم، وجرت الحرب بينهم أواخر ذي الحجّة، واشتدّ القتال، فانهزم عسكر خاتون وعادوا إلى أصبهان، وسار بركيارق في أثرهم فحصرهم بأصبهان[١].

ذكر قتل تاج المُلك

كان تاج المُلك مع عسكر خاتون، وشهد الوقعة، فهرب إلى نواحي بَرُوجِرد، فأُخذ وحُمل إلى عسكر بَرْكْيارُق، وهو يحاصر أصبهان، وكان يعرف كفايته، فأراد أن يستوزره، فشرع تاج المُلك في إصلاح كبار النظاميّة، وفرّق فيهم مائتَيْ ألف دينار سوى العروض، فزال ما في قلوبهم.

فلمّا بلغ عثمانَ نائب نظام المُلك الخبرُ ساءه، فوضع الغلمانَ الأصاغر على الاستغاثة، وأن لا يقنعوا إلاّ بقتل قاتل صاحبهم، ففعلوا، فانفسخ ما دبّره تاج المُلك، وهجم النظاميّة عليه فقتلوه، وفصّلوه أجزاء. وكان قتله في المحرّم سنة ستٍّ وثمانين [وأربعمائة]، وحُملت إلى بغداذ إحدى أصابعه.

وكان كثير الفضائل، جمّ المناقب، وإنّما غطّى[٢] جميعَ محاسنه مُمالأتُهُ على قتل نظام المُلك، وهو الذي بنى[٣] تربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازيّ[٤]، وعمل المدرسة التي إلى جانبها، ورتّب بها الشيخ أبا بكر الشاشيَّ، وكان عمره حين قُتل سبعاً[٥] وأربعين سنة[٦].

---

(١) من (أ). والخبر في زبدة التواريخ ١٥٧، وتاريخ حلب ٣٥٦ (٢٢)، وتاريخ دولة آل سلجوق ٨١، ونهاية الأرب ٣٣٦/٢٦، وتاريخ الإسلام ٢٥، ٢٦، وتاريخ ابن خلدون ٤٧٩/٣.

(٢) في الأوربية: «غطّا».

(٣) في الأوربية: «بنا».

(٤) من الباريسية.

(٥) في الأوربية: «سبع».

(٦) انظر خبر مقتل تاج الملك في: المنتظم (٦٣/٩ /٣٠١/١٦)، ونهاية الأرب ٣٣٧/٢٦، والمختصر في أخبار البشر ٢٠٣/٢، وتاريخ الإسلام ٢٦، ٢٧، وتاريخ ابن الوردي ٦/٢، وتاريخ ابن خلدون ٤٧٩/٣ و ١٤/٥.

ذكر ما فعله العرب بالحُجّاج والكوفة

سار الحُجّاج هذه السنة من بغداذ، فقدِموا الكوفة، ورحلوا منها، فخرجت عليهم خَفَاجة، وقد طمعوا بموت السلطان، وبُعْدِ العسكر، فأوقعوا بهم، وقتلوا أكثر الجند الذين معهم، وانهزم باقيهم، ونهبوا الحجّاج، وقصدوا الكوفة فدخلوها، وأغاروا عليها، وقتلوا في أهلها، فرماهم الناس بالنُّشّاب، فخرجوا بعد أن نهبوا، وأخذوا ثياب من لقوه من الرجال والنساء، فوصل الخبر إلى بغداذ، فسُيّرت العساكر منها، فلمّا سمع بهم بنو خَفَاجة انهزموا، فأدركهم العسكر، فقُتل منهم خلق كثير، ونُهبت أموالهم، وضعُفت خَفَاجة بعد هذه الوقعة[١].

ذكر عدّة حوادث

فيها، في ربيع الأوّل، عاد السلطان من بغداذ إلى أصبهان، وأخذ معه الأمير أبا الفضل جعفر ابن الخليفة المقتدي بأمر الله من ابنة السلطان، وتفرق الأمراء إلى بلادهم، (ثم عاد إلى بغداذ، فتوفّي كما ذكرناه)[٢].

وفيها، في جمادى الأولى، احترق نهر المعلّى، فاحترق عقد الحديد إلى خربة الهرّاس[٣]، إلى باب[٤] دار الضرب، واحترق سوق الصاغة والصيارف، والمخلّطين، والريحانيّين، وكان الخريف من الظُّهر إلى العصر، فاحترق منها الأمر العظيم في الزمان القليل، واحترق من الناس خلق كثير، ثم ركب عميد الدولة بن جَهيرٍ، وزير الخليفة، وجمع السقّائين، ولم يزل راكباً حتّى طفئت النار[٥].

---

(١) تاريخ حلب ٣٥٦ (٢٣)، المنتظم ٩/ ٦٣ (١٦/ ٣٠١)، العبر في خبر من غبر ٣/ ٣٠٧، تاريخ الإسلام ٢٧، دول الإسلام ٢/ ١٤، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٢٢، مرآة الجنان ٣/ ١٣٥، البداية والنهاية ١٢/ ١٣٩.

(٢) من الباريسية.

(٣) في (أ): «خزانة المتراس».

(٤) من (أ).

(٥) المنتظم ٩/ ٦١ (١٦/ ٢٩٩)، تاريخ الإسلام ٢٧، البداية والنهاية ١٢/ ١٣٩.

[الوَفَيات]

وفي هذه السنة توفّي عبد الباقي بن محمّد بن الحسين بن ناقيا[1] الشاعر البغداذيُّ، سمع الحديث، وكان يُتّهم بأنّه يطعن على الشرائع، فلمّا مات كانت يده مقبوضة، فلم يُطِق الغاسل فتحها، فبعد جهدٍ فُتحتْ فإذا فيها مكتوب:

نـزلـتُ بجـارٍ لا يخيـبُ ضَيْفَـهُ، أُرَجّـي نجـاتـي مـن عَـذَابِ جَهَنّـم

وإنّـي علـى خـوفـي مـن الله واثـقٌ بـإنعـامـه، واللهُ أكـرمُ مُنْعِـمِ[2]

وفيها توفّي هبة الله بن عبد الوارث[3] بن عليّ بن أحمد أبو القاسم الشيرازيُّ الحافظ، أحد الرحّالين في طلب الحديث شرقاً وغرباً، وقدِم الموصل من العراق، وهو الذي أظهر سماع «الجعديّات» لأبي محمّد الصّريفِينيّ، ولم يكن يُعرف ذلك[4].

---

(١) في (أ): «باقيا»، والمثبت هو الصحيح كما في مصادر ترجمته التي ذكرتها في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ١٥٠ رقم.١٤٦.

(٢) البيتان في: المنتظم والبداية والنهاية.

(٣) انظر عن (هبة الله بن عبد الوارث) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ١٦٥ ـ ١٦٧ رقم ١٦٨ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٤) من (أ).

٤٨٦
ثم دخلت سنة ست وثمانين وأربعمائة

ذكر وزارة عزّ المُلك بن نظام المُلك لبَرْكيارُق

كان عزّ المُلك أبو عبدالله الحسين بن نظام المُلك مقيماً بخُوارزم، حاكماً فيها وفي كلّ ما يتعلّق بها؛ إليه المرجع في كلّ أمورها السلطانية، فلمّا كان قبل أن يُقْتَل أبوه حضر عنده خدمةً له وللسلطان، فقُتل أبوه، ومات السلطان، فأقام بأصبهان إلى الآن.

فلمّا حصرها بَرْكيارُق، وكان أكثر[1] عسكره النظاميّة، خرج من أصبهان هو وغيره من إخوته، فلمّا اتّصل ببركيارُق احترمه، وأكرمه، وفوّض أمور دولته إليه، وجعله وزيراً له[2].

ذكر حال تُتُش بن ألب أرسلان

كان تُتُش بن ألب أرسلان صاحب دمشق وما جاورها من بلاد الشام، فلمّا كان قبل موت أخيه السلطان ملكشاه، سار من دمشق إليه ببغداذ، فلمّا كان بِهَيْتَ بلغه موته، فأخذ هيتَ، واستولى عليها، وعاد إلى دمشق يتجهّز لطلب السلطنة، فجمع العساكر، وأخرج الأموال وسار نحو حلب، وبها قسيم الدولة آقسنقَرَ، فرأى قسيم الدولة اختلاف أولاد صاحبه ملكشاه، وصِغَرهم، فعلم أنّه لا يطيق دفع تُتُش،

(١) في (أ): «عظم».

(٢) نهاية الأرب ٢٦/٣٣٧، المختصر في أخبار البشر ٢/٢٠٣، تاريخ الإسلام ٢٩، تاريخ ابن الوردي ٢/٦، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٧٩.

فصالحه، وصار معه، وأرسل إلى باغي سيان[1]، صاحب أنطاكية، وإلى بوزان، صاحب الرُّها وحرّان، يشير عليهما بطاعة تاج الدولة تُتُش حتّى يروَا ما يكون من أولاد ملكشاه، ففعلوا، وصاروا معه، وخطبوا له في بلادهم، وقصدوا الرحبة، فحصروها، وملكوها في المحرّم من هذه السنة، وخطب لنفسه بالسلطنة.

ثم ساروا إلى نَصِيبين، فحصروها، فسبّ أهلُها تاج الدولة، ففتحها عَنوةً وقهراً، وقتل من أهلها خلقاً كثيراً، ونُهبت الأموال، وفعل فيها الأفعال القبيحة، ثم سلّمها إلى الأمير محمّد بن شرف الدولة العُقَيليّ، وسار يريد الموصل، وأتاه الكافي بن فخر الدولة بن جَهِير، وكان في جزيرة ابن عمر، فأكرمه، واستوزره[2].

ذكر وقعة المُضَيَّع وأخذ الموصل من العرب

كان إبراهيم بن قُريش بن بدران، أمير بني عُقَيل، قد استدعاه السلطان ملكشاه سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة ليحاسبه، فلمّا حضر عنده اعتقله، وأنفذ فخر الدولة بن جَهِير إلى البلاد، فملك الموصل وغيرها، وبقي إبراهيم مع مِلكشاه، وسار معه إلى سَمَرْقَنْد، وعاد إلى بغداذ، فلمّا مات ملكشاه أطلقتْه تركان خاتون من الاعتقال، فسار إلى الموصل.

وكان ملكشاه قد أقطع عمّته صفيّةَ مدينة بَلَد، وكانت زوجة شرف الدولة، ولها منه ابنها عليّ، وكانت قد تزوّجت بعد شرف الدولة بأخيه إبراهيم، فلمّا مات ملكشاه قصدت الموصل، ومعها ابنها عليّ، فقصدها محمّد بن شرف الدولة، وأراد أخذ الموصل، فافترقت العرب فرقتَين: فرقة معه، وأخرى مع صفيّة وابنها عليّ، واقتتلوا بالموصل عند الكُناسة، فظفر عليٌّ، وانهزم محمّد، وملك عليٌّ الموصل.

فلمّا وصل إبراهيم إلى جُهَيْنَة، وبينه وبين الموصل أربعة فراسخ، سمع أنّ

---

(١) في هامش الباريسية: «يا غبسان».

(٢) تاريخ الزمان ١٢١، المنتظم ٩/٧٧ (١٧/٥)، التاريخ الباهر ١٢، الفخري ٢٩٦، ٢٩٧، تاريخ الفارقي ٢٣٦، مفرّج الكروب ١/٢٣، الدرّة المضية ٤٣٢، ٤٣٣، نهاية الأرب ٢٧/٦٨، تاريخ الإسلام ٢٩، ٣٠، العبر ٣/٣١٠، دول الإسلام ٢/١٤، البداية والنهاية ١٢/١٤٤، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٨٠ و ٥/١٤.

الأمير عليّاً[1] ابن أخيه شرف الدولة قد ملكها، ومعه أمّه صفيّة، عمّة ملكشاه، فأقام مكانه، وراسل صفيّة خاتون، وتردّدت الرسل، فسلّمت البلد إليه، فأقام به.

فلمّا ملك تُتُش نَصِيبين أرسل إليه يأمره أن يخطب له بالسلطنة، ويُعطيه طريقاً إلى بغداذ لينحدر، ويطلب الخطبة بالسلطنة، فامتنع إبراهيم من ذلك، فسار تُتُش إليه، وتقدّم إبراهيم أيضاً نحوه، فالتقوا بالمُضَيَّع، من أعمال الموصل، في ربيع الأوّل، وكان إبراهيم في ثلاثين ألفاً، وكان تُتُش في عشرة آلاف، وكان آقسَنْقَر على ميمنته، وبوزان على ميسرته، فحمل العرب على بوزان، فانهزم[2]، وحمل آقسنقَر على العرب فهزمهم، وتمّت الهزيمة على إبراهيم والعرب، وأُخذ إبراهيم أسيراً وجماعة من أمراء العرب، فقُتلوا صبراً، ونُهبت أموال العرب وما معهم من الإبل والغنم والخيل وغير ذلك، وقَتل كثيرٌ من نساء العرب أنفسهنّ خوفاً من السبي والفضيحة.

وملك تُتُش بلادهم الموصل وغيرها، واستناب بها عليّ بن شرف الدولة مسلم، وأمّه صفيّة عمّة تُتُش، وأرسل إلى بغداذ يطلب الخطبة، وساعده كوهرائين على ذلك، فقيل لرسوله: إنّا ننتظر[3] وصول الرسل من العسكر؛ فعاد إلى تُتُش بالجواب[4].

ذكر ملك تُتُش ديار بكر وأذربيجان وعوده إلى الشام

فلمّا فرغ تاج الدولة تُتُش من أمر العرب، ومُلْك الموصل وغيرها من بلادهم، سار إلى ديار بكر في ربيع الآخر، فملك ميّافارقين وسائر ديار بكر من ابن مروان، وسار منها إلى أذربيجان. فانتهى خبره إلى ابن أخيه ركن الدين بَرْكْيارُق، وكان قد استولى على كثير من البلاد، منها: الرَّيّ، وهَمَذان، وما بينهما، فلمّا تحقّق الحال سار في عساكره ليمنع عمّهُ عن البلاد، فلمّا تقارب العسكران قال قسيم الدولة آقسنقَر

---

(١) في الأوربية: عليّ.

(٢) من (أ).

(٣) في الأوربية: «انتظر».

(٤) تاريخ الإسلام ٣٠، تاريخ ابن الوردي ٢/٦، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٠، ٤٨١، تاريخ الفارقي ٢٣٣، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٠٤، العبر ٣/ ٣١٠، دول الإسلام ٢/ ١٤، مرآة الجنان ٣/ ١٤٢.

لبوزان[1]: إنّما أطعنا هذا الرجل لننظر ما يكون من أولاد صاحبنا، والآن فقد ظهر ابنه، ونريد أن تكون معه. فاتّفقا على ذلك وفارقا تُتُش، وصارا مع بَرْكْيارُق.

فلمّا رأى تاج الدولة تُتُش ذلك علم أنّه لا قوّة له بهم، فعاد إلى الشام، واستقامت البلاد لَبركْيارَق، فلمّا قوي أمره سار كوهرائين (إلى العسكر)[2] يعتذر من مساعدته لتاج الدولة (تُتُش، وأعانه برسق)[3]، وتعصّب عليه كمشتِكِين الجاندار، فأُخذ إقطاعه، وأُعطي الأمير يلبرد زيادةً، ووليَ شِحنكيّة بغداذ عِوض كوهرائين، وتفرّق عن كوهرائين أصحابه[4]، فكان ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر حصر عسكر مصر صور وملكهم لها

في هذه السنة، في جُمادى الآخرة، ملك عسكر المستنصر بالله العلويّ، صاحب مصر، مدينة صور.

وسبب ذلك ما ذكرناه سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة: إنّ أمير الجيوش بدراً، وزير المستنصر، سيّر العساكر إلى مدينة صور، وغيرها، من ساحل الشام، وكان مَن بها قد امتنع من طاعتهم، فملكها، وقرّر[5] أمورها، وجعل فيها الأمراء.

وكان قد ولّى[6] مدينة صور[7] الأمير الذي يُعرف بمُنير الدولة الجيوشيّ، فعصى على المستنصر وأمير الجيوش، وامتنع بصور، فسُيّرت العساكر من مصر إليه، وكان أهل صور قد أنكروا على منير الدولة عصيانه على سلطانه، فلمّا وصل العسكر

---

(١) من (أ).

(٢) من (أ).

(٣) من (أ).

(٤) تاريخ حلب ٣٥٦ (٢٣)، ذيل تاريخ دمشق ١٢٤، أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٢٩، نهاية الأرب ٢٨/ ٢٣٩، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٠٤، دول الإسلام ٢/ ١٤، تاريخ الإسلام ٣١، الدرّة المضيّة ٤٣٨، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٦، البداية والنهاية ١٢/ ١٤٥، إتعاظ الحنفا ٢/ ٣٢٨، النجوم الزاهرة ٥/ ١٣٨.

(٥) في (أ): «ودبر».

(٦) في (أ): «سلم».

(٧) في (أ) زيادة: «إلى».

المصريُّ إلى صور وحصروها وقاتلوها ثار أهلها، ونادوا بشعار المستنصر وأمير الجيوش، وسلّموا البلد، وهجم العسكر المصري بغير مانع ولا مدافع، ونُهب من البلد شيء كثير، وأُسر منير الدولة ومَن معه من أصحابه، وحُملوا إلى مصر، وقُطع على أهل البلد ستّون ألف دينار، فأجحفت بهم.

ولمّا وصل منير الدولة إلى مصر ومعه الأسرى قُتلوا جميعهم ولم يُعفَ عن واحد منهم[1].

ذكر قتل إسماعيل[2] بن ياقوتي خال بركيارُق

في هذه السنة، في شعبان، قُتل إسماعيل بن ياقوتي بن داود، وهو خال بَرْكيارُق، وابن عمّ ملكشاه.

وسبب قتله أنّه كان بأَذَرْبَيْجان أميراً عليها، فأرسلت إليه تركان خاتون، زوجة ملكشاه، تُطمعه أن تتزوّج به، وتدعوه إلى محاربة بَرْكيارق، فأجابها إلى ذلك، وجمع خلقاً كثيراً من التركمان وغيرهم، وصار أصحاب سرهنك ساوتِكين في خيله، وأرسلت إليه تركان خاتون كربوقا، وغيره من الأمراء، في عسكر كثير مدداً له، فجمع برْكيارق عساكره، وسار إلى حرب خاله إسماعيل، فالتقوا عند الكَرَج[3]، فانحاز الأمير يلبرد إلى برْكيارق، وصار معه، فانهزم إسماعيل وعسكره، وتوجّه إلى أصبهان، فأكرمتْه تركان خاتون، وخطبت له، وضربت اسمه على الدينار بعد ابنها محمود بن ملكشاه.

وكاد الأمر في الوصلة يتمّ بينهما، فامتنع الأمراء من ذلك لا سيّما الأمير أُنَر[4]،

---

(١) تاريخ حلب ٣٥٦ (٢٣)، ذيل تاريخ دمشق ١٢٤، ١٢٥، الأعلاق الخطيرة ٢/١٦٦، أخبار مصر لابن ميسّر ٢/٢٩، الدرّة المضية ٤٣٨، تاريخ الإسلام ٣١، نهاية الأرب ٢٨/٢٣٩، المختصر في أخبار البشر ٢/٢٠٤، دول الاسلام ٢/١٤، البداية والنهاية ١٢/١٤٥، إتعاظ الحنفا ٢/٣٢٨، النجوم الزاهرة ٥/١٣٨، وانظر كتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ١٣٩ _ ١٤١.

(٢) في الأوربية: «إسمايل».

(٣) في (أ): «كرج».

(٤) في (أ): «أنز».

وهو مدبّر الأمر، وصاحب الجيش، وآثروا[1] خروج إسماعيل عنهم، وخافوه، وخاف هو أيضاً منهم، ففارقهم، وراسل أخته زُبيدة والدة بركْيارُق في اللحاق بهم، فأذنتْ له في ذلك، فوصل إليهم، وأقام عندهم أيّاماً يسيرة، فخلا به كمشتِكِين الجاندار، وآقسنقَر، وبوزان، وبسطوه في القول، فأطلعهم على سرّه، وأنّه يريد السلطنة، وقتْلَ بركْيارُق، فوثبوا عليه فقتلوه، وأعلموا أخته خبره[2] فسكتت عنه.

ذكر أخذ الحُجّاج

في هذه السنة انقطع الحجّ من العراق لأسباب أوجبت ذلك، وسار الحاجّ من دمشق مع أميرٍ أقامه تاج الدولة تُتُش صاحبها، فلمّا قضوا حجّهم وعادوا سائرين[3] سيّر أمير مكّة، وهو محمّد بن أبي هاشم، عسكراً فلحقوهم بالقرب من مكّة، ونهبوا كثيراً من أموالهم وجِمالهم، فعادوا إليها، ولقوه، وسألوه أن يُعيد عليهم ما أخذ منهم، وشكوا إليه بُعْدَ ديارهم، فأعاد بعض ما أخذ منهم، فلمّا أيِسوا منه ساروا من مكّة عائدين على أقبح صورة، فلمّا أبعدوا عنها ظهر عليهم جموع من العرب في عدّة جهات، فصانعوهم على مالٍ أخذوه من الحاجّ، بعد أن قُتل منهم جماعة وافرة، وهلك فيه [كثيرون] بالضعف والانقطاع، وعاد السالم على أقبح صورة[4].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في جُمادى الأولى، قدِم إلى بغداذ أردشيرين بن منصور أبو الحسين الواعظ، العبّاديُّ، وأكثر الوعظ بالمدرسة النظاميّة، وهو مَرْوَزيّ، وقدِم بغداذ قاصداً للحجّ، وكان له قبول عظيم، بحيث أنّ الغزاليّ وغيره من الأئمّة ومشايخ الصوفيّة الكبار يحضرون مجلسه، وذُرع في بعض المجالس الأرض التي فيها الرجال،

---

(١) في (أ): «وابدا».

(٢) في الأوربية: «أخبره».

(٣) من (أ).

(٤) تاريخ حلب ٣٥٦ (٢٣)، ذيل تاريخ دمشق ١٢٥، العبر ٣/٣١١، تاريخ الإسلام ٣١، مرآة الجنان ٣/١٤٢، مآثر الإنافة ٢/٦، شفاء الغرام (بتحقيقنا) ٢/٣٦٤، النجوم الزاهرة ٥/١٣٨.

فكان طولها مائة وخمسة وسبعين[1] ذراعاً، وعرضها مائة وعشرين[2] ذراعاً، وكانوا يزدحمون ازدحاماً كثيراً، وكان النساء أكثر من ذلك، وكان له كرامات ظاهرة، وعبادات كثيرة.

وكان سبب منعه من الوعظ أنّه نهى أن يتعامل الناس ببيع القراضة بالصحيح، وقال هو ربا، فمُنع من الوعظ، وأُخرج من البلد.

وفيها وقعت الفتنة ببغداذ بين العامّة، وقصد كلّ فريق الفريق الآخر، وقطعوا الطرقات بالجانب الغربيّ، وقتل أهل النصرية مُصلحيّاً، فأرسل كوهرائين فأحرقها، واتّصلت الفتنة بين أهل الكرخ وباب البصرة، وكان للعميد الأغرّ أبي المحاسن الدِّهِستانيّ في إطفاء هذه الفتنة أثر حسن[3].

وفيها، في شعبان، سار سيف الدولة صدقة بن مَزْيد إلى السلطان بركْيارُق، فلقيه بنَصِيبين، وسار معه إلى بغداذ، فوصلها في ذي القعدة ومعه وزيره عزّ الملك بن نظام المُلك، وخرج عميد الدولة والناس إلى لقائه من عَقَرْقُوف[4].

وفيها وُلد للمستظهر بالله ولد سُمّي الفضل، وكُني أبا منصور، ولُقّب عُمدة الدين، وهو المسترشد بالله.

وفيها، في رمضان، قُتل الأمير يلبرد، قتله بركْيارُق، وكان من الأمراء الكبار مع أبيه، فزاده بركْيارق إقطاع كوهرائين، وشِحنكيّة بغداذ، فلمّا وصل إلى دَقُوقَا أُعيد منها لأنّه تكلم، فيما يتعلّق بوالدة السلطان بركْيارُق، بكلام شنيع، فلمّا وصل إليه أصبح مقتولاً.

[الوفيات]

وفيها، (في المحرّم)[5]، توفّي عليُّ بن أحمد بن يوسف أبو الحسن القُرَشيُّ،

---

(١) في الأوربية: «وسبعون».
(٢) في الأوربية: «وعشرون».
(٣) تاريخ الإسلام ٣٢.
(٤) تاريخ الإسلام ٣٢.
(٥) من (أ).

الهَكّاريُّ[1]، المعروف بشيخ الإسلام، وكان فاضلاً، عابداً، كثير السماع، إلاّ أنّ الغرائب في حديثه كثيرة لا يُدرى ما سببها.

(والأمير أبو نصر عليّ بن هبة الله بن عليّ بن جعفر العِجليُّ، المعروف بابن ماكولا، مصنّف كتاب «الإكمال»، قتله غلمانه الأتراك بكَرمَان، ومولده سنة اثنتين وأربعمائة، وكان حافظاً)[2].

وفيها، في صفر، توفّي أبو محمّد عامر الضرير[3]، وكان فقيهاً شافعيّاً، مقرئاً، نحويّاً، وكان يصلّي في رمضان بالإمام المقتدي بأمر الله.

وفي جمادى الأولى توفّي الأمير أبو الفضل جعفر بن المقتدي، وأمّه ابنة السلطان ملكشاه، وإليه تُنسب «الجعفريّات»[4].

وفي رجب توفّي الشيخ أبو سعد عبد الواحد بن أحمد بن المحسِّن الوكيل بالمخزن، وكان فقيهاً شافعيّاً، كثير الإحسان إلى أهل العلم، وكان محموداً في ولايته.

وفيها توفّي كمال المُلك الدِّهستانيُّ الذي كان عميد بغداذ.

وفي رمضان توفّي المشطّب[5] بن محمّد الحنفيّ بالكُحَيْل من أرض الموصِل، وكان الخليفة قد أرسله إلى بَرْكْيارُق، وكان بالموصل، ومعه تاج الرؤساء أبو نصر بن الموصلايا، وكان شيخاً كبيراً، عالماً، مكرماً عند الملوك، وحُمل إلى العراق، ودُفن عند أبي حنيفة.

---

(١) انظر عن (الهكاري) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ١٨٢ ـ ١٨٤ رقم ١٩٤ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) ما بين القوسين من (أ). وقد تقدّمت ترجمته في وفيات ٤٧٥ هـ.

(٣) انظر عن (عامر الضرير) في: الوافي بالوفيات ١٦/ ٥٩٣ رقم ٦٣٨، ونكت الهميان ١٧٥، وغاية النهاية ١/ ٣٥١، وبغية الوعاة ٢/ ٢٥ رقم ١٣٣٩ وهو: «عامر بن موسى بن طاهر».

(٤) في الباريسية: «الجعفريتان».

(٥) في (أ): «المتطبب».

وفيه توفّي القاضي أبو عليّ يعقوب بن إبراهيم البَرْزَبينيّ[1]، قاضي باب الأَزْج، ووُلّيَ مكانه القاضي أبو المعالي عزيزي، وكان أبو المعالي شافعيّاً، أشعريّاً، مُغالياً، وله مع أهل باب الأزج أقاصيص وحكايات عجيبة.

وفيها توفّي نصر بن الحسن بن القاسم بن الفضل أبو الليث، وأبو الفتح التُّنْكُتيُّ[2]، له كنيتان، سافر [في] البلاد شرقاً وغرباً، روى «صحيح مسلم» وغيره، وكان ثقة، ومولده سنة ستّ وأربعمائة.

وفي ذي الحجّة منها توفّي أبو الفَرَج عبد الواحد بن محمّد[3] بن عليّ الحنبليُّ، الفقيه، وكان وافر العلم، غزير الدّين، حسن الوعظ والسَّمتْ.

---

(١) في طبعة صادر ١٠/٢٢٧ «المرزباني»، وفي طبعة حيدر أباد من المنتظم ٩/ ٨٠ «البرذباني»، وفي طبقات الحنابلة: «البرزيني»، والمثبت هو الصحيح كما في مصادر الترجمة التي أوردتها في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ١٩٦ رقم ٢٠٩.
و«بَرْزَبَين»: قرية بين بغداد وأوانا.

(٢) التُّنكتي: بضم التاء وسكون النون وفتح الكاف وفي آخرها تاء أخرى. (الأنساب) وقال ياقوت: بضم الكاف.
وانظر ترجمته في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ١٩٢ ـ ١٩٥ رقم ٢٠٧ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٣) انظر عن (عبد الواحد بن محمد) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ١٧٩ ـ ١٨١ رقم ١٨٩ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

٤٨٧
ثم دخلت سنة سبع وثمانين وأربعمائة

ذكر الخطبة للسلطان بَرْكْيارُق

في هذه السنة، يوم الجمعة رابع عشر المحرّم، خُطب ببغداذ للسلطان بركْيارُق بن ملكشاه، وكان قَدِمها أواخر سنة ستّ وثمانين [وأربعمائة]، وأرسل إلى الخليفة المقتدي بأمر الله يطلب الخطبة، فأُجيب إلى ذلك، وخُطب له، ولُقّب ركن الدين.

وحمل الوزير عميد الدولة بن جَهِير الخِلع إلى بركْيارُق، فلبسها، وعُرض التقليد على الخليفة ليعلّم عليه، فعلّم فيه، وتوفّي فجأةً على ما نذكره، إن شاء الله تعالى، ووليَ ابنه الإمام المستظهر بالله الخلافة، فأرسل الخِلع والتقليد إلى السلطان بركْيارُق، فأقام ببغداذ إلى ربيع الأوّل من السنة، وسار عنها إلى الموصل(١).

ذكر وفاة المقتدي بأمر الله(٢)

في هذه السنة، يوم السبت خامس عشر المحرّم، توفّي الإمام المقتدي بأمر الله أبو القاسم عبدالله بن الذّخيرة بن القائم بأمر الله أمير المؤمنين فجأةً، وكان قد أُحضر عنده تقليد السلطان بركْيارُق ليعلّم فيه، فقرأه، وتدبّرَه، وعلّم فيه، ثم قُدم إليه طعام،

---

(١) المنتظم ٩/ ٨٠ (١٧/ ١٠)، تاريخ الزمان ١٢١، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥١، المختصر ٢/ ٢٠٤، العبر ٣/ ٣١٤، دول الإسلام ٢/ ١٥، تاريخ الإسلام ٣٣، تاريخ ابن الرودي ٢/ ٦، مرآة الجنان ٣/ ١٤٣، مآثر الإنافة ٢/ ٤ و١٢، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٧٩، ٤٨٠.

(٢) انظر خبر وفاة المقتدي في تاريخ الإسلام ٣٣ وفيه حشدت مصادر الخبر الكثيرة.

فأكل منه، وغسل يديَهْ، وعنده قهرمانته شمس النهار، فقال لها: ما هذه الأشخاص التي دخلتْ عليّ بغير إذن؟ قالت: فالتفتُّ فلم أر شيئاً، ورأيتُه قد تغيّرت حالته، واسترختْ يداه ورِجلاه، وانحلّت قوّته، وسقط إلى الأرض، فظننتها غشيةً قد لَحِقتْه، فحللتُ أزرار ثوبه، فوجدتُه وقد ظهرت عليه أمارات الموت، ومات لوقته.

قالت: فتماسكتُ، وقلتُ لجارية عندي: ليس هذا وقتَ إظهار الجزع والبكاء[1]، فإن صِحْتِ قتلتُكِ؛ وأحضرتُ الوزير فأعلمتُه الحال، فشرعوا في البَيعة لوليّ العهد، وجهّزوا المقتدي، وصلّى عليه ابنه المستظهر بالله[2]، ودفنوه.

وكان عمره ثمانياً[3] وثلاثين سنة وثمانية أشهر وسبعة أيّام، وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر غيرَ يومَيْن، وأمّه أمّ ولد أرمنيّة تُسمّى أُرجُوان[4]، وتُدعى قرّة العين، أدركتْ خلافته، وخلافة ابنه المستظهر بالله، وخلافة ابن ابنه المسترشد بالله[5].

ووَزَرَ له فخر الدولة أبو نصر بن جَهِير، ثم أبو شجاع، ثم عميد الدولة[6] أبو منصور بن جُهير.

وقُضاته: أبو عبدالله الدامغانيُّ، ثم أبو بكر الشاميُّ.

وكانت أيّامه كثيرة الخير، واسعة الرزق، وعظُمت الخلافة أكثر ممّا كان من قبله، وانعمرت ببغداذ عدّة محالّ في خلافته منها: البصَليّة، والقطيعة، والحلبة، والمقتديّة، والأجمة، ودرب القيار[7]، وخربة[8] ابن جَردة، وخربة[9] الهرّاس، والخاتونيّتَيْن.

---

(١) من (أ).
(٢) تاريخ الزمان ١٢١، تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ٢١، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٢٣.
(٣) في الأوربية: «ثمان».
(٤) وقال ابن النجار إسمها: «علم». (سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٢٣).
(٥) المنتظم ٨/ ٢٩١، ٢٩٢، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٠٤، وانظر: الإنباء في تاريخ الخلفاء ٢٠٥، والخريدة (قسم العراق) ١/ ٢٥.
(٦) من هنا تبدأ النسخة (ب) من جديد.
(٧) في (ب): «الغبار».
(٨) في (ب): «وخراب».
(٩) في (ب): «وخزانة».

وأمر بنفي المغنيّات والمفسدات من بغداذ، وبيع دُورهنّ، فنُفينَ، ومنع الناس أن يدخل أحد الحمّام إلا بمئزر، وقلع الهراديّ، والأبراج التي للطيور، ومنع من اللعب بها لأجل الاطّلاع على حُرَم الناس، ومنع من إجراء ماء الحمّامات إلى دجلة وألزم أربابها بحفر آبار للمياه، وأمر أنّ من يغسل السمك المالح يعبر إلى النَّجمي فيغسله هناك، ومنع الملاّحين أن يحملوا الرجال والنساء مجتمعين؛ وكان قويّ النفس، عظيم الهمّة من رجال بني العبّاس[١].

ذكر خلافة المستظهر بالله[٢]

لمّا توفّي المقتدي بأمر الله، أُحضر ولده أبو العبّاس أحمد المستظهر بالله، وأُعلم بموته، وحضر الوزير فبايعه، وركب إلى السلطان بركيارُق، فأعلمه الحال، وأخذ بيعته للمستظهر بالله.

فلمّا كان اليوم الثالث من موت المقتدي أظهر ذلك، وحضر عزّ المُلك بن نظام المُلك وزير بركْيارُق، وأخوه بهاء الملك، وأمراء[٣] السلطان، وجميع[٤] أرباب المناصب[٥]: النقيبان طِراد العبّاسيُّ، والمعمّر العلويُّ في[٦] أصحابهما، وقاضي القضاة، والغزاليُّ، والشاشيُّ، وغيرهما من العلماء، فجلسوا في العزاء، وبايعوا، وكان للمستظهر بالله لمّا بويع ستّ عشرة سنة وشهران.

ذكر قتل قسيم الدولة آقسنقر وملك تُتُش حلب والجزيرة وديار بكر وأذربيجان وهمذان والخطبة له ببغداذ

في هذه السنة، في جمادى الأولى، قُتل قسيم الدولة آقسنقر، جدّ ملوكنا بالموصل الآن، أولاد الشهيد زنكي بن آقسنقَر.

---

(١) انظر ترجمة المقتدي بأمر الله في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٢١٠ ـ ٢١٢ رقم ٢٢٦ وقد حشدت فيه عشرات المصادر.

(٢) انظر خلافة المستظهر بالله ومصادر الخبر في: تاريخ الإسلام ٣٣، ٣٤.

(٣) في (ب): «وأمر».

(٤) في (ب): «وجمع».

(٥) زاد في (ب): «وجمع».

(٦) من (ب).

وسبب قتله أنّ تاج الدولة تُتُش لمّا عاد من أذربيجان منهزماً لم يزل يجمع العساكر، فكثُرت جموعه، وعظُم حشده، فسار في هذا التاريخ عن دمشق نحو حلب ليطلب[1] السلطنة، فاجتمع قسيم الدولة آقسنقر، وبوزان، وأمدّهما ركن الدين بركْيارُق بالأمير كربوقا الذي صار بعد صاحب الموصل، فلمّا اجتمعوا ساروا إلى طريقه، فلقوه عند نهر سَبعِين[2] قريباً من تلّ السلطان، بينه وبين حلب ستّة فراسخ، واقتتلوا، واشتدّ القتال، فخامر بعض العسكر الذين مع آقسنقَر، فانهزموا، وتبِعهم الباقون، فتمّت الهزيمة، وثبت آقسنقَر، فأُخذ أسيراً، وأُحضر عند تُتُش، فقال له: لو ظفرتَ بي ما كنتَ صنعتَ؟ قال: كنتُ أقتلك! فقال له: أنا أحكم عليك بما كنتَ تحكم عليّ؛ فقتله صبراً.

وسار نحو حلب، وكان قد دخل إليها كربوقا، وبوزان، فحفِظاها منه، وحصرها تُتُش ولجّ في قتالها حتّى ملكها، (سلّمها إليه المقيم بقلعة الشريف، ومنها دخل البلد)[3]، وأخذهما أسيرَيْن، وأرسل إلى حرّان والرُّها ليسلّموه[4] من بهما (وكانتا لبوزان، فامتنعوا من التسليم إليه، فقُتل بوزان، وأُرسل رأسه إليهم)[5] وتسلّم البلدَيْن.

وأمّا كربوقا فإنّه أرسله إلى حمص، فسجنه بها إلى أن أخرجه الملك رضوان بعد قتل أبيه تُتُش.

وكان قسيم الدولة أحسن الأمراء سياسةً لرعيّته، وحفظاً لهم، وكانت بلاده بين رخص عامّ، وعدل شامل، وأمن واسع، وكان قد شرط على أهل كلّ قرية من بلاده، متى أُخذ عندهم[6] قفل، (أو أحد)[7] من الناس، غَرِم أهلها جميع ما يؤخذ من

---

(١) في الباريسية: «ليخطب».
(٢) من الباريسية.
(٣) من (ب).
(٤) في الأوربية: «ليسلمهما».
(٥) من الباريسية.
(٦) في الباريسية: «أحدهم».
(٧) في الباريسية: «واحد».

الأموال من قليل وكثير، فكانت السيّارة، إذا بلغوا قرية من بلاده، ألقوا رحالهم وناموا، وحرسهم أهل القرية إلى أن يرحلوا، فأمنت الطرق.

وأمّا وفاؤه، وحُسنُ عهده، فيكفيه فخراً أنّه قُتل في حفظ بيت صاحبه ووليّ نعمته.

فلمّا ملك تُتُش حرّان والرُّها سار إلى الديار الجزَريّة فملكها جميعها، ثم ملك ديار بكر وخِلاط، وسار إلى أذربيجان فملك بلادها كلّها، ثم سار منها إلى هَمذان فملكها، ورأى بها فخر المُلك بن نظام المُلك، وكان بخُراسان، فسار منها إلى السلطان بركْيارُق ليخدمه، فوقع عليه الأمير قماج، وهو من عسكر محمود ابن السلطان ملكشاه بأصبهان، فنهب فخر المُلك، فهرب منه ونجا بنفسه، فجاء إلى هَمذان فصادفه تُتُش بها، فأراد قتله، فشفع فيه باغي سيان[1]، وأشار عليه أن يستوزره لميل الناس إلى بيته، فاستوزره، وأرسل إلى بغداذ يطلب الخطبة من الخليفة المستظهر بالله، وكان شِحنته ببغداذ أيتكين جب، فلازم الخدمة بالديوان، وألحّ في طلبها، فأُجيب إلى ذلك، بعد أن سمعوا أنّ بركيارق قد انهزم من عسكر عمّه تُتُش، على ما نذكره[2].

ذكر انهزام بركْيارُق من عمّه تُتُش وملكه أصبهان بعد ذلك

في هذه السنة، في شوّال، انهزم بركْيارُق من عسكر عمّه تُتُش. وكان بركْيارُق بنَصِيبين، فلمّا سمع بمسير)[3] عمّه إلى أذربيجان، سار هو من نَصِيبين، وعبرَ دجلة من بلد فوق الموصل، وسار إلى إربل، ومنها إلى بلد سُرخاب بن بدر إلى أن بقي

---

(١) في الباريسية: «بسان».

(٢) تاريخ الفارقي ٢٤٣، ذيل تاريخ دمشق ١٢٦، بغية الطلب (تراجم السلاجقة) ١٠٠، زبدة الحلب ٢/ ١١٠ ـ ١١٢، الروضتين ١/ ٦٦، نهاية الأرب ٢٧/ ٦٨، المختصر ٢/ ٢٠٤، ٢٠٥، العبر ٣/ ٣١٤، دول الإسلام ٢/ ١٥، تاريخ الإسلام ٣٤، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٦، البداية والنهاية ١٢/ ١٤٥.

(٣) في (ب): «بلغه مسير».

بينه وبين عمّه تسعة فراسخ، ولم يكن معه غير ألف رجل، وكان عمّه في خمسين ألف رجل، فسار الأمير يعقوب بن آبق من عسكر عمّه، فكبسه وهزمه، ونهب سواده، ولم يبق معه إلاّ برسق[1]، وكمشتِكِين الجاندار، واليارق، وهم من الأمراء الكبار، فسار إلى أصبهان.

وكانت خاتون أمّ أخيه محمود قد ماتت، على ما نذكره، فمنعه من بها من الدخول إليها، ثم أذنوا له خديعة منهم ليقبضوا عليه، فلمّا قاربها خرج أخوه الملك محمود فلقيه، ودخل البلد، واحتاطوا عليه، فاتّفق أنّ أخاه محموداً حُمّ وجُدر، فأراد الأمراء أن يكحلوا بركيارق، فقال لهم أمين الدولة ابن التلميذ الطبيب: إنّ الملك محموداً قد جُدر، وما كأنّه يسلم منه، وأراكم تكرهون أن يليكم، ويملك البلاد تاج الدولة، فلا تعجلوا على برکْيارُق، فإنْ مات محمود أقيموه ملكاً، وإنْ سلِم محمود فأنتم تقدرون على كحْله. فمات محمود سلْخ شوّال، فكان هذا من الفَرَج بعد الشدّة، وجلس برکْيارُق للعزاء بأخيه.

وكان مولد محمود في صفر سنة ثمانين وأربعمائة. وقصده مؤيّد المُلك بن نظام المُلك، فاستوزره في ذي الحجّة، وكان أخوه عزّ المُلك بن نظام المُلك قد مات لمّا كان مع بركيارق بالموصل، وحُمل إلى بغداذ، فدُفن بالنظاميّة.

وكان أصبحَ الناس وجهاً، وأحسنهم خُلقاً وسيرةً، وكان قد أجرى الناس على ما بأيديهم من توقيعات أبيه في الإطلاقات من خاصّته[2]، منها ببغداذ مائتا كرّ غلّة، وثمانية عشر ألف دينار أميريّ.

ثم إنّ برکْيارُق جُدر، بعد أخيه، وعوفي وسلِم، فلمّا عوفي كاتب مؤيّد المُلك وزيرُه الأمراء العراقيّين، والخُراسانيّين، واستمالهم، فعادوا كلّهم إلى برکْيارُق، فعظُم شأنه وكثُر عسكره[3].

---

(١) في (ب): «برشق».

(٢) في الأوربية: «خاصه».

(٣) في (ب): «جمعه». والخبر في: تاريخ الفارقي ٢٦٤، تاريخ مختصر الدول ١٩٥، زبدة التواريخ ٦٥٩، تاريخ دولة آل سلجوق ٨١، نهاية الأرب ٣٣٨/٢٦، المختصر في أخبار البشر ٢٠٥/٢، دول الإسلام ١٥/٢، تاريخ الإسلام ٣٥، تاريخ ابن الوردي ٦/٢، ٧.

ذكر وفاة أمير الجيوش بمصر

في هذه السنة، في (ذي القعدة)[1]، توفّي أميرُ الجيوش بدر الجماليُّ، صاحب الجيش بمصر، وقد جاوز ثمانين سنة، وكان هو الحاكم في دولة المستنصر، والمرجوع إليه.

وكان قد استعمله على الشام سنة خمسٍ وخمسين وأربعمائة، وجرى بينه وبين الرعيّة والجُند بدمشق ما خاف [منه] على نفسه، فخرج عنها هارباً، وجمع وحشد، وقدِم إلى الشام فاستولى عليه بأسره سنة ستّ وخمسين [وأربعمائة]، ثمّ خالفه أهل دمشق مرّة أخرى، فهرب منهم سنة ستّين، وخرب العامّة والجُند قصر الإمارة، ثم مضى أمير الجيوش إلى مصر، وتقدّم بها، وصار صاحب الأمر[2].

قال علقمة بن (عبد الرزّاق)[3] العليميُّ: قصدتُ بدراً الجماليَّ بمصر، فرأيتُ أشراف الناس وكبراءهم على بابه، قد طال مُقامهم ولم يصلوا إليه، قال: فبينا أنا كذلك إذ خرج بدر يريد الصيد، فخرج علقمة في أثره، وأقام إلى أن رجع من صيده، فلمّا قاربه وقف على نشز من الأرض، وأومأ برُقعة في يده، وأنشأ يقول:

نحنُ التّجارُ، وهذه أعلاقُنا، ... دُرٌّ، وَجَودُ يمينِك المُبتاعُ
قَلّبْ، وفتّشْها بسَمعك إنّما ... هيَ جَوهرٌ تختاره الأسماعُ
كَسَدَتْ علَينا بالشآم، وكلّما ... قَلَّ النَّفاقُ تَعطّلَ الصُّنّاعُ
فأتاكَ يحملُها إليكَ تِجارُها ... ومَطيُّها الآمالُ والأطمَاعُ
حتّى أناخُوها ببَابِك، والرّجَا ... مِن دونِك السِّمْسارُ والبَيّاعُ
فوهبْتَ ما لم يُعطِه[4] في دهره ... هَرِمٌ، ولا كعْبٌ، ولا القَعْقاعُ
وسبَقْتَ هذا الناسَ في طلب العُلى ... فالناس، بعدَك، كلّهم أتباعُ
يا بدرُ أُقسِمُ لو بِكَ اعتصَم الورَى، ... ولَجُوا إليكَ جميعُهم، ما ضاعوا[5]

---

(١) في (ب): «ربيع الأول».
(٢) انظر خبر وفاة أمير الجيوش في: تاريخ الإسلام ٣٦ وفيه مصادره الكثيرة.
(٣) في (ب): «الوراق».
(٤) في (ب): «تعطه».
(٥) الأبيات في: وفيات الأعيان ٢/٤٤٩، ٤٥٠، واتعاظ الحنفا ٢/٣٣.

وكان على يد بدر بازيّ فألقاه وانفرد عن الجيش، وجعل يستردّ الأبيات وهو ينشدُها إلى أن استقرّ في مجلسه، ثم قال لجماعة غلمانه وخاصّته: من أحبّني فلْيَخْلعْ على هذا الشاعر؛ فخرج من عنده ومعه سبعون بغلاً، يحمل الخِلع والتحف، وأمر له بعشرة آلاف درهم، فخرج من عنده وفرّق كثيراً من ذلك على الشعراء؛ ولمّا مات بدر قام بما كان إليه ابنه الأفضل.

ذكر وفاة المستنصر وولاية ابنه المستَعْلي[1]

في هذه السنة، ثامن عشر ذي الحجّة، توفّي المستنصر بالله أبو تميم مَعَدّ بن أبي الحسن عليّ الظاهر لإعزاز دين الله العلويُّ، صاحب مصر والشام، وكانت خلافته ستّين سنة وأربعة أشهر، وكان عمره سبعاً[2] وستّين سنة، وهو الذي خطب له البساسيريُّ ببغداذ، وقد ذكرنا ذلك.

وكان الحَسن بن الصَّبّاح، رئيس هذه[3] الطائفة الإسماعيليّة، قد قصده في زيّ تاجر، واجتمع به، وخاطبه في إقامة الدعوة له ببلاد العجم، فعاد ودعا الناس إليه سرّاً، ثم أظهرها، وملك القلاع، كما ذكرناه، وقال للمستنصر: مَن إمامي بعدَك؟ فقال: ابني نِزار، وهو أكبر أولاده، والإسماعيليّةُ إلى يومنا هذا يقولون بإمامة نزار.

ولقي المستنصر شدائد وأهوالاً، وانفتقت عليه الفتوق بديار مصر، أخرج فيها أمواله وذخائره إلى أن بقي لا يملك غير سَجّادته التي يجلس عليها، وهو مع هذا صابرٌ غيرُ خاشع، وقد أتينا على ذكر هذا سنة سبعٍ وستّين وأربعمائة وغيرها.

ولمّا مات وليَ بعده ابنه أبو القاسم أحمد المستعلي بالله، ومولده في المحرّم سنة سبعٍ وستّين وأربعمائة، وكان قد عهد في حياته بالخلافة لابنه نزار، فخلعه الأفضل وبايع المستعلي بالله.

وسبب خلعه أنّ الأفضل ركب مرّة، أيّام المستنصر، ودخل دهليزَ القصر من

---

(١) انظر خبر وفاة المستنصر بالله في: تاريخ الإسلام ٣٥ وفيه مصادر كثيرة.

(٢) في الأوربية: «سبع».

(٣) من (ب).

باب الذهب راكباً، ونزار خارج، والمجاز مظلم، فلم يره الأفضل، فصاح به نزار: أنزل، يا أرمنيّ، كلب[1]، عن الفَرَس، ما أقلّ أدبك! فحقدها عليه، فلمّا مات المستنصر خلعه خوفاً منه على نفسه، وبايع المستعلي، فهرب نزار إلى الإسكندريّة، وبها ناصر الدولة أفتكين، فبايعه أهل الإسكندريّة، وسمّوه المصطفى لدين الله، فخطب الناس، ولعن الأفضلَ، وأعانه أيضاً القاضي جلال الدولة بن عمّار، قاضي الإسكندريّة، فسار إليه الأفضل، وحاصره بالإسكندريّة، فعاد عنه مقهوراً؛ ثم ازداد عسكراً، وسار إليه فحصره وأخذه، وأخذ أفتكين فقتله، وتسلّم المستعلي نزاراً فبنى[2] عليه حائطاً فمات، وقتل القاضي جلال الدولة بن عمّار ومن أعانه[3].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في ربيع الآخر، رأى بعض اليهود بالغَرب رؤيا أنّهم سيطيرون، فأخبر اليهود بذلك، فوهبوا أموالهم وذخائرهم، وجعلوا ينتظرون الطيران، فلم يطيروا، وصاروا ضحكةً بين الأمم[4].

وفي هذا الشهر كانت بالشام زلازل كثيرة متتابعة يطول مكثها، إلاّ أنّه[5] لم يكن الهدم كثيراً[6].

---

(١) في الباريسية: «جلب».

(٢) في الأوربية: «نزار فبنا».

(٣) في (ب): «أطاعه». والخبر في: أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٣٥ ـ ٣٧، وتاريخ حلب ٣٧٥ (٢٣)، وتاريخ الفارقي ٢٦٧، وذيل تاريخ دمشق ١٢٨، وتاريخ مختصر الدول ١٩٥، وأخبار الدول المنقطعة ٨١ ـ ٨٤، والمغرب في حُلي المغرب ٨١، ومرآة الزمان ٨ ق١/ ٢، ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٤٥، ٢٤٦، والدرّة المضية ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٧، وتاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٢٢٧ ـ ٢٢٩ رقم ٢٤٧، ومرآة الجنان ٣/ ١٥٨، واتعاظ الحنفا ٣/ ١٢ ـ ١٤، والذيل على رفع الإصر للسخاوي ١٥٣ ـ ١٥٥، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٤٤، وحسن المحاضرة ١/ ١٠٣، ومعجم الأنساب ١/ ١٦٠، وكتابنا: موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ج ٣/ ٣٠٢ ـ ٣٠٥ رقم ١٠٣٩ وفيه مصادر أخرى.

(٤) المنتظم ٩/ ٨٣ (١٧/ ١٤).

(٥) في الأوربية: «أنها»، والمثبت من الباريسية.

(٦) في الباريسية: «كثيراً»، وفي الأوربية: «كثيرة». والخبر في: المنتظم ٩/ ٨١ (١٧/ ١١).

وفيها كانت الفتنة بين أهل نهر طابق وأهل باب الأرجا، فاحترقت نهر طابق، وصارت تلولاً، فلمّا احترقت عبر يُمن، صاحب الشرطة، فقتل رجلاً مستوراً، فنفر الناس منه، وعُزل في اليوم الثالث(1).

وفيها توفّي محمّد بن أبي هاشم الحسينيُّ(2)، أمير مكّة، وقد جاوز سبعين سنة، ولم يكن له ما يُمْدَح به، وكان قد نهب بعض الحجّاج سنة ستّ وثمانين [وأربعمائة] وقتل منهم خلقاً كثيراً.

وفيها، في ربيع الأوّل، قتل السلطان برکْيارُق عمّه تكش وغرّقه، وقتل ولده معه، وكان ملكشاه (قد أخذه)(3)، لمّا خرج عليه، وكحله(4)، وحبسه بقلعة تكريت، فلمّا ملك برکْيارُق أحضره إليه ببغداذ، وسار بمسيره، فظفر بملطّفات إليه من أخيه تُتُش يحثّه على اللحاق به، وقيل إنّه أراد المسير إلى بلْخ لأنّ أهلها كانوا يريدونه، فقتله، فلمّا غرق بَقيَ(5) بسرّ من رأى، فحُمل إلى بغداذ، فدُفن عند قبر أبي حنيفة(6).

وفيها، في جمادى الآخرة، كانت وقعة بين الأمير أُنَر وتورانشاه، ابن قاورت بك، وكانت تركان خاتون الجلاليّة، والدة محمود بن ملكشاه، قد أرسلته في عسكر ليأخذ بلاد فارس من تورانشاه، ولم يُحسن الأمير أُنَر تدبير بلاد فارس، فاستوحش منه الأجناد، واجتمع مع تورانشاه وهزموا أُنَر، ومات تورانشاه، بعد الكسرة (بشهر، من سهم)(7) أصابه فيها.

وفيها استولى أَصْبَهْبذ بن ساوتكين على مكّة، حرسها الله، عَنوةً، وهرب منها الأمير قاسم بن أبي هاشم العلويُّ صاحبها، وأقام بها إلى شوّال، وجمع الأمير قاسم

---

(1) المنتظم ٩/ ٨٣ (١٧/ ١٤).

(2) انظر عن (محمد بن أبي هاشم) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ - ٤٩٠ هـ.) ص ٢٢٥ رقم ٢٤٤ وفيه مصادر ترجمته.

(3) من (ب).

(4) في (ب) من غير «و».

(5) في الأوربية: «فغا».

(6) المختصر ٢/ ٢٠٥، تاريخ الإسلام ٣٦، دول الإسلام ٢/ ١٥، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٦، ٧، مآثر الإنافة ٢/ ٢١، النجوم الزاهرة ٥/ ١٤٠.

(7) في (ب): «بشهرين لسهم».

وكبسه بعُسفان، وجرى بينهما حرب في شوّال من هذه السنة، فانهزم أصْبَهْبذ، ودخل قاسم إلى مكّة، ومضى أصبَهْبذ إلى الشام وقدِم إلى بغداذ[1].

وفيها، في رجب، أحرق شحنة بغداذ، وهو أيتكين، جَب[2] باب البصرة[3]؛ وسبب ذلك أنّ النقيب طِراداً[4] الزينبيّ كان له كاتب يُعرف بابن سِنان، فقُتل، فأنفذ النقيب إلى الشِحنة يستدعي منه من يقيم السياسة، فأنفذ حاجبه محمّداً، فرجمه أهل باب البصرة، وأدمَوه، فرجع إلى صاحبه فشكا إليه منهم، فأمر أخاه بقصدهم ومعاقبتهم على فعلهم، فسار إليهم في جماعة كثيرة، وتبِعهم أهل الكرْخ، فأحرقوا ونهبوا، فأرسل الخليفة إلى الشِحنة يأمره بالكفّ عنهم فكفّ.

[الوفيات]

وفيها، في رمضان، توفّيت تركان خاتون[5] الجلاليّة بأصبهان، وهي ابنة طفغاج[6] خان، وهو من نسل افراسياب التركيّ، وكانت قد برزت من أصبهان لتسير إلى تاج الدولة تُتُش لتتّصل به، فمرضت وعادت وماتت، وأوصت إلى الأمير أُنَر وإلى الأمير سرمز[7] شِحنة أصبهان بحفظ المملكة على ابنها محمود، ولم يكن بقي بيدها سِوى قصبة أصبهان، ومعها عشرة آلاف فارس أتراك.

وفيها، في ذي القعدة، توفّي أبو الحسين بن الموصلايا، كاتب ديوان الزمام ببغداذ[8].

---

(١) شفاء الغرام (بتحقيقنا) ٢/ ٣١٢.
(٢) في (ب): «حب».
(٣) في (ب): «النصر».
(٤) في الأوربية: «طراد».
(٥) انظر عن (تركان خاتون) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٣٦، ٣٧ وفيه مصادر ترجمتها.
(٦) في (ب)؛ «طنغاج».
(٧) في (ب)؛ «سرمن».
(٨) زاد في (ب): «وانقضت السنة».

٤٨٨
ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وأربعمائة

ذكر دخول جمع من الترك إفريقية وما كان منهم

في هذه السنة غدر شاهملك التركيُّ بيحيى بن تميم بن المعزّ بن باديس، وقبض عليه.

وكان شاهملك هذا من أولاد بعض الأمراء الأتراك ببلاد الشرق، فناله في بلده أمر اقتضى خروجه منه، فسار إلى مصر في مائة فارس، فأكرمه الأفضل أمير الجيوش، وأعطاه إقطاعاً ومالاً، ثم بلغه عنه أسباب أوجبت إخراجه من مصر، فخرج هو وأصحابه هاربين، فاحتالوا حتّى أخذوا سلاحاً وخيلاً وتوجّهوا إلى المغرب، فوصلوا إلى طَرابُلس الغرب، وأهل البلد كارهون لواليها، فأدخلوهم البلد، وأخرجوا الوالي، وصار شاهملك أمير البلد.

فسمع تميم الخبر، فأرسل العساكر إليها، فحصروها، وضيّقوا على الترك ففتحوها، ووصل شاهملك معهم إلى المهديّة، فسُرّ به تميم وبمن معه، وقال: وُلد لي مائة ولد أنتفع بهم؛ وكانوا لا يخطىء لهم سهم.

فلم تطل الأيّام حتّى جرى منهم أمر غيّر تميماً عليهم، فعلم شاهملك ذلك، وكان داهياً، خبيثاً، فخرج يحيى بن تميم إلى الصيد في جماعة من أعيان أصحابه نحو مائة فارس، ومعه شاهملك، وكان أبوه تميم قد تقدّم إليه أن لا يقرّب شاهملك، فلم يقبلْ. فلمّا أبعدوا في طْلب الصيد غدر به شاهملك فقبض عليه، وسار به وبمن أخذ معه من أصحابه إلى مدينة سَفَاقُس.

وبلغ الخبر تميماً، فركب، وسيّر العساكر في أثرهم، فلم يدركوهم، ووصل

شاهملك بيحيى بن تميم إلى سفاقُس، فركب صاحبها، واسمه حمّو[1]، وكان قد خالف على تميم، ولقي يحيى، ومشى في ركابه راجلاً، وقبّل يده وعظّمه، واعترف له بالعبوديّة، فأقام عنده أيّاماً، ولم يذكره أبوه بكلمة، وكان قد جعله وليَّ عهده، فلمّا أُخذ أقام أبوه مقامه ابناً له آخر اسمه المثنّى.

ثم إنّ صاحب سفاقُس خاف يحيى على نفسه أن يثور معه الجُند وأهل البلد ويملّكوه عليهم، فأرسل إلى تميم كتاباً يسأله في إنفاذ الأتراك وأولادهم إليه ليرسل ابنه يحيى، ففعل ذلك بعد امتناع، وقدم يحيى، فحجبه أبوه عنه[2] مدّةً، ثم أعاده إلى حاله، ورضي عنه، ثم جهّز تميم عسكراً إلى سفاقُس، ويحيى معهم[3]، فساروا إليها وحصروها برّاً وبحراً، وضيّقوا على الأتراك بها، وأقاموا عليها شهرَيْن، واستولوا عليها، (وفارقها الأتراك إلى قَابِس)[4].

وكان تميم لمّا رضي عن ابنه يحيى عظُم ذلك على ابنه الآخر المثنّى، وداخَلَه الحسد، فلم يملك نفسه، فنُقل عنه إلى أبيه ما غيّر قلبه عليه، فأمر بإخراجه من المهديّة بأهله وأصحابه، فركب في البحر ومضى إلى سفاقُس، فلم يمكّنه عامله من الدخول إليها، وقصد مدينة قابِس، وبها أمير يقال له مكين[5] بن كامل الدهسمانيُّ، فأنزله وأكرمه، فحسّن له المثنّى الخروج معه إلى سفاقُس والمهديّة، وأطمعه فيهما، وضمن الإنفاق على الجُند من ماله، فجمع مكين من يمكنه جمعه، وسار إلى سفاقُس، ومعهما شاهملك التركيُّ وأصحابه، فنزلوا على سَفاقُس وقاتلوها.

وسمع تميم، فجرّد إليها جُنداً، فلمّا علم المثنّى ومن معه أنّهم لا طاقة لهم بها ساروا عنها إلى المهديّة، فنزلوا عليها وقاتلوها، وكان الذي يتولّى القتال في المهديّة يحيى بن تميم، وظهرت منه شهامة، وشجاعة، وحزم، وحُسن تدبير، فلم يبلغ أولئك منها غرضاً، فعادوا خائبين، وقد تلف ما كان مع المثنّى من مال وغيره، وعظُم أمر يحيى، وصار وهو المشار إليه.

---

(١) في الأوربية: «حموا».
(٢) في (ب): «عنده».
(٣) في (ب): «صحبتهم».
(٤) من الباريسية.
(٥) في (ب): «مكن».

ذكر قتل أحمد خان صاحب سَمَرْقَنْد[1]

في هذه السنة، في المحرّم، قُتل أحمد خان، صاحب سَمَرْقَنْدَ، وكان قد كرهه عسكره واتّهموه بفساد الاعتقاد، وقالوا: هو زنديق[2].

وكان سبب ذلك أنّ السلطان ملكشاه، لمّا فتح سمرقَند وأسر أحمد خان هذا، قد وكّل به جماعة من الديلم، فحسنّوا له معتقدهم، وأخرجوه إلى الإباحة، فلمّا عاد إلى سمرقند كان يظهر منه أشياء تدلّ على انحلاله من الدّين، فلمّا كرهه أصحابه، وعزموا على قتله، قالوا لمستحفظ قلعة كاسان، وهو طُغْرل ينّال بك، ليظهر العصيان ليسير أحمد خان معهم من سمرقند إلى قتاله، فيتمكّنوا من قتله، فعصى طُغْرُل ينّال بك، فسار أحمد خان والعسكر إلى قتاله، فلمّا نازل القلعة تمكّن العسكر منه، وقبضوا عليه، وعادوا إلى سمرقند، وأحضروا القضاة والفقهاء، وأقاموا خصوماً ادعوا عليه الزندقة، فجحد، فشهد عليه جماعة بذلك، فأفتى الفقهاء بقتله، فخنقوه، وأجلسوا ابنَ عمّه مسعوداً[3] مكانه وأطاعوه[4].

ذكر ما فعله يوسف بن آبق ببغداذ

في هذه السنة، في صفر، سيّر الملك تُتُش يوسفَ بن آبق التركمانيَّ شِحنة لبغداذ، ومعه جمْعٌ من التركمان، فمُنع من دخول بغداذ، وورد إليه صدقة بن مَزْيد صاحب الحِلّة (وكان يكره تُتُش، ولم)[5] يخطب له في بلاده، فلمّا سمع ابن آبق بوصوله عاد إلى طريق خُراسان ونهب بَاجِسْرا، وقاتله العسكر بَبعقُوبا، فهزمهم ونهبهم[6] أفحش نهب وأكثر معه من التركمان وعاد إلى بغداذ.

---

(١) العنوان من (ب).

(٢) في الأوربية: «زندق».

(٣) في الأوربية: «مسعود».

(٤) المختصر في أخبار البشر ٢/٢٠٦، العبر ٣/٣١٨، دول الإسلام ٢/١٧، تاريخ الإسلام ٣٨، تاريخ ابن الوردي ٢/٧، مرآة الجنان ٣/١٤٥، تاريخ الخلفاء ٤٢٦.

(٥) من الباريسية.

(٦) في (ب): «ونهبها».

وكان صدقة قد رجع إلى الحِلّة، فدخل يوسف بن آبق إلى بغداذ، وأراد نهبها والإيقاع بأهلها، فمنعه أمير كان معه من ذلك، ثم وصل إليه الخبر بقتل تُتُش، فرحل عن بغداذ إلى الموصل، وسار من هناك إلى حلب[1].

ذكر الحرب بين بركيارُق وتُتُش وقتل تُتُش

في هذه السنة، في صفر، قُتِل تُتُش بن ألب أرسلان.

وكان سبب ذلك أنّه لمّا هُزم السلطان برکْيارُق، كما ذكرناه، سار من موضع الوقعة إلى همذان، وقد تحصّن بها أمير آخر، فرحل تُتُش عنها، فتبعه أمير آخَر لأجل أثقاله، فعاد عليه تُتُش فكسره، فعاد إلى همَذان، واستأمن إليه، وصار معه.

وبلغ تُتُش مرض بَرْكْيارُق، فسار إلى أصبهان، فاستأذنه أمير آخرُ في قصد جرباذقان لإقامة الضيافة وما يحتاج إليه، فأذِن له، فسار إليها، ومنها إلى أصبهان، وعرّفهم خبر تُتُش.

وعلم تُتُش خبره، فنهب جرباذقان، وسار إلى الرَّيّ، وراسل الأمراء الذين بأصبهان يدعوهم إلى طاعته، ويبذل لهم البذول الكثيرة، وكان بركيارق مريضاً بالجُدَري، فأجابوه يَعِدُونه بالانحياز إليه، وهم ينتظرون ما يكون من برکْيارُق. فلمّا عوفي أرسلوا إلى تُتُش: ليس بيننا غير السيف؛ وساروا مع برکْيارُق من أصبهان، وهم في نفرٍ يسير، فلمّا بلغوا جرباذقان أقبلت إليهم العساكر من كلّ مكان، حتّى صاروا في ثلاثين ألفاً، فالتقوا بموضع قريب من الرَّيّ، فانهزم عسكر تُتُش وثبت هو، فقُتل؛ قيل قتله بعض أصحاب آقسنقَر، صاحب حلب، أخذاً بثأر صاحبه.

وكان قد قُبض على فخر المُلك بن نظام المُلك، وهو معه، فأُطلق، واستقام الأمر والسلطنة لبرکْيارُق، وإذا أراد الله أمراً هيّأ أسبابه، بالأمس ينهزم من عمّه تُتُش، ويصل إلى أصبهان في نفر يسير، فلا يتبعه أحد، ولو تبِعه عشرون فارساً لأخذوه لأنّه بقي على باب أصبهان عدّة أيّام، ثم لمّا دخلها أراد الأمراء كحله، فاتّفق أنّ أخاه حُمّ ثاني يوم وصوله، وجُدر، فمات، فقام في الملك مُقامه، ثم جُدر هو وأصابه معه

(١) المنتظم ٩/ ٨٤ (١٧/ ١٥)، دول الإسلام ٢/ ١٧، تاريخ الإسلام ٣٨، ٣٩.

سِرسام، فعوفي، وبقي مذ كسره عمّه إلى أن عوفي وسار عن أصبهان أربعة أشهر لم يتحرّك عمّه، ولا عمل شيئاً، ولو قصده وهو مريض أو وقت مرض أخيه لملك البلاد:

وللهِ سِــــرٌّ فـــي عُـــلاك، وإنّمـــا كـلامُ العِـدى ضَـربٌ مـن الهَـذَيـانِ[1]

ذكر حال الملك رُضوان وأخيه دُقاق بعد قتل أبيهما

كان تاج الدولة تُتُش قد أوصى أصحابه بطاعة ابنه الملك رُضوان، وكتب إليه من بلد الجبل، قبل المصافّ الذي قُتل فيه، يأمره أن يسير إلى العراق، ويقيم بدار المملكة، فسار في عدد كثير منهم: إيلغازي بن أُرْتُق، وكان قد سار إلى تُتُش، فتركه عند ابنه رضوان، ومنهم: الأمير وثّاب بن محمود[2] بن صالح بن مرداس، وغيرهما، فلمّا قارب هَيْتَ بلغه قتل أبيه، فعاد إلى حلب، ومعه والدته، فملكها، وكان بها أبو القاسم الحسن بن عليّ الخُوارزميُّ، قد سلّمها إليه تُتُشُ وحكّمه في البلد والقلعة.

ولحِق برضوان زوج أمّه جناح الدولة الحسين بن أيتكين، وكان مع تُتُش، فسلم من المعركة، وكان مع رضوان أيضاً أخواه الصغيران: أبو طالب وبَهرام، وكانوا كلّهم مع أبي القاسم كالأضياف لتحكّمه في البلد؛ واستمال جناح الدولة المغاربة، وكانوا أكثر جُند القلعة، فلمّا انتصف الليل نادوا بشعار الملك رضوان، واحتاطوا على أبي القاسم، وأرسل إليه رضوان يطيّب قلبه، فاعتذر، فقبِل عذره، وخطب لرضوان على منابر حلب وأعمالها، ولم يكن يخطب له بل كانت الخطبة لأبيه، بعد قتله، نحو شهرَيْن.

وسار جناح الدولة في تدبير المملكة سيرة حسنة، وخالف عليهم الأمير ياغي

---

(1) تاريخ حلب ٣٥٧ (٢٣)، المنتظم ٩/ ٨٥ (١٧/ ١٥)، ذيل تاريخ دمشق ١٣٠، تاريخ الفارقي ٢٤٤، زبدة التواريخ ١٦٠، ١٦١ زبدة الحلب ٢/ ١١٩، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٣٩ و٢٧/ ٦٩، المختصر ٢/ ٢٠٦، العبر ٣/ ٣١٩، دول الإسلام ٢/ ١٧، تاريخ الإسلام ٣٩، الدرّة المضية ٤٤٤، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٧، البداية والنهاية ١٢/ ١٤٨، مرآة الجنان ٣/ ١٤٥، مآثر الإنافة ٢/ ١٩، ٢٠، تاريخ ابن خلدون ٣/ ١٦، ١٧، النجوم الزاهرة ٥/ ١٥٥.

(2) في (ب): «محمد».

سيان[1] بن محمّد بن ألب التركمانيُّ، صاحب أنطاكية، ثم صالحهم، وأشار على الملك رضوان بقصد ديار بكر، لخلوّها من والٍ يحفظها، فساروا جميعاً، وقدِم عليهم أمراء الأطراف الذين كان تُتش رتّبهم فيها، وقصدوا سَرُوج فسبقهم إليها الأمير سُقمان بن أُرتُق جَدّ[2] أصحاب الحصن اليوم، وأخذها، ومنعهم عنها، وأمر أهل البلد فخرجوا إلى رضوان وتظلّموا إليه من عساكره وما يفسدون من غلاّتهم، ويسألونه الرحيل، فرحل عنهم إلى الرُّها.

وكان بها رجل من الروم يقال له الفارقليط، وكان يضمن البلد من بوزان، فقاتل المسلمين بمن معه، واحتمى بالقلعة، وشاهدوا من شجاعته ما لم يكونوا[3] يظنّونه، (ثم ملكها رضوان)[4]، وطلب ياغي سيان[5] القلعة من رضوان، فوهبها له، فتسلّمها وحصّنها، ورتّب رجالها، وأرسل إليهم أهلُ حرّان (يطلبونهم ليسلّموا إليهم حرّان)[6]، فسمع ذلك قراجة أميرها، فاتّهم ابن المفتي، وكان ابن المفتي هذا قد اعتمد عليه تُتُش في حفظ البلد، فأخذه، وأخذ معه بني أخيه، فصلبهم.

ووصل الخبر إلى رضوان، وقد اختلف جناح الدولة وياغي سيان، وأضمر كلّ واحد منهما الغدر بصاحبه، فهرب جناح الدولة إلى حلب، فدخلها، واجتمع بزوجته أمّ الملك رضوان، وسار رضوان وياغي سيان، فعبرا الفرات إلى حلب، فسمعا بدخول جناح الدولة إليها، ففارق ياغي سيان الملك رضوان، وسار إلى أنطاكية، ومعه أبو القاسم الخُوارزميّ، وسار رضوان إلى حلب.

وأمّا دقاق بن تُتُش فإنّه كان قد سيّره أبوه إلى عمّه السلطان ملكشاه ببغداذ، وخطب له ابنة السلطان، وسار بعد وفاة السلطان مع خاتون الجلاليّة وابنها محمود إلى أصبهان، وخرج إلى السلطان بركيارق سرّاً، وصار معه، ثم لحق بأبيه، وحضر معه الوقعة التي قُتل فيها.

---

(١) في الباريسية: «باغي سان»، وفي هامشها: «سنان»، وفي طبعة صادر ١٠/٢٤٦ باغي.

(٢) وزاد في (ب): «هولا».

(٣) في الأوربية: «لا كانوا».

(٤) من الباريسية.

(٥) في الأصل: «باغي سان»، وفي طبعة صادر ١٠/٢٤٧ «باغي».

(٦) من الباريسية.

فلمّا قُتل أبوه أخذه غلام لأبيه اسمه أيتكين الحلبيّ، وسار به إلى حلب، وأقام عند أخيه الملك رضوان، فراسله الأمير ساوتكين الخادم الوالي بقلعة دمشق سِرّاً، يدعوه ليملّكه دمشق، فهرب من حلب سِرّاً، وجدّ في السير، فأرسل أخوه رضوان عِدّة من الخيّالة، فلم يدركوه، فلمّا وصل إلى دمشق فرح به الخادم، وأظهر الاستبشار، ولقيه، فلمّا دخلها أرسل إليه ياغي سيان يشير عليه بالتفرّد بملك دمشق عن أخيه رضوان.

واتّفق وصول معتمد الدولة طغدكين إلى دمشق، ومعه جماعة من خواص تُتُش وعسكره، وقد سلموا، فإنّه كان قد شهد الحرب مع صاحبه، وأُسِر، فبقي إلى الآن، وخلص من الأسر، فلمّا وصل إلى دمشق لقيه الملك دقاق (وأرباب دولته، وبالغوا في إكرامه، وكان زوج والدة دقاق)[1] فمال إليه لذلك، وحكّمه في بلاده، وعملوا على قتل الخادم ساوتكين، فقتلوه، وسار إليهم ياغي سيان[2] من أنطاكية، ومعه أبو القاسم الخُوارزميُّ، فجعله وزيراً لدُقاق، وحكّمه في دولته[3].

ذكر وفاة المعتمد بن عبّاد

في هذه السنة توفّي المعتمد بن عبّاد، الذي كان صاحب الأندلس، مسجوناً بأغْمَاتَ، من بلد المغرب، وقد ذكرنا كيف أُخذت بلاده منه سنة أربع وثمانين وأربعمائة، فبقي مسجوناً إلى الآن، وتوفّي، وكان من محاسن الدنيا كرماً، وعلماً، وشجاعة، ورئاسة تامّة، وأخباره مشهورة، وآثاره مدوّنة.

وله أشعار حسنة، فمنها ما قاله لمّا أُخذ ملكه وحُبس:

سلّتْ عليَّ يدُ الخُطوبِ سُيوفَها ... فجذَذْن[4] من جسدي الحصِيف[5] الأمتَنا[6]

---

(١) من (ب).

(٢) في الباريسية: «ياغي سان»، وفي طبعة صادر ٢٤٨/١٠ «باغي».

(٣) تاريخ حلب ٣٥٧ (٢٣، ٢٤، ذيل تاريخ دمشق ١٣٠، تاريخ الفارقي ٢٤٥، زبدة الحلب ١٢٠/٢، ١٢١، بغية الطلب (مخطوط) ١٧٦/٨، نهاية الأرب ٧١/٢٧، المختصر في أخبار البشر ٢٠٧/٢، العبر ٣١٩/٣، تاريخ الإسلام ٣٩، ٤٠، الدرّة المضية ٤٤٤، البداية والنهاية ١٤٨/١٢، تاريخ ابن الوردي ٧/٢، ٨.

(٤) في (ب): «فجددت».

(٥) في الأوربية: «الخصيف»، وفي تاريخ الإسلام: «الخصيب».

(٦) في تاريخ الإسلام: «الأفتنا».

ضـربَـتْ بهـا أيـدي الخُطـوبِ، وإنمـا ضـربَـتْ رقـابَ الآملِيـنَ بِهـا المُنَـى[1]
يـا آملـي العـاداتِ مـن نَفَحَـاتِنـا، كُفّـوا، فـإنّ الـدَّهـرَ كَـفَّ أكُفَّنـا[2]

وله من قصيدة يصف القَيد في رِجله:

تعطّـفَ فـي سـاقـي تَعَطُّـفَ أرْقـمٍ، يُسـاورُهـا عَضّـاً بـأنيـابِ ضَيغَـمَ
وإنّـي مَـن كـانَ الـرجـالُ بسَيْبِـهِ، ومـن سَيْفِـه[3] فـي جَنّـةٍ وجَهَنّـمِ

وقال في يوم عيد:

فيمـا مضَـى كنـتَ بـالأعيـادِ مسـروراً، فساءك العِيدُ[4]، في أغماتَ، مأسورَا
قـد كـانَ دَهـرُك إن تـأمُـرْهُ مُمتَثِـلاً، فـردَّكَ الـدهـرُ مَنهِيّـاً، ومـأمـورَا
مـن بـاتَ بَعـدَكَ فـي مُلـكٍ يُسَـرُّ بِـه، فـإنّمـا بـاتَ بـالأحـلامِ مسـرورَا[5]

وكان شاعره أبو بكر بن اللُّبانة يأتيه وهو مسجون، فيمدحه لا لجدوًى ينالها منه، بل رِعايةً لحقّه وإحسانه القديم إليه. فلمّا توفّي أتاه، فوقف على قبره، يومَ عيدٍ، والناس عند قبور أهليهم، وأنشد (بصوت عال)[6]:

مَلِـكَ المُلـوكِ أسـامِـعٌ فـأُنـادي[7]، أم قـد عَـدَاكَ عَـنِ الجـوابِ عَـوادي
لمّـا خلَـتْ منـكَ القصـورُ، ولـم تكُـن فيهـا، كمـا قـد كنـتَ فـي الأعيـادِ
فَمَثَلتُ[8] في هذا الثّرى لكَ خاضِعاً[9] وتَخِـذتُ قَبْـرَكَ مَـوضِـعَ الإنشـادِ

---

(١) في الأوربية: «المنا».
(٢) تاريخ الإسلام (٤٨١-٤٩١ هـ.) ص ٤١.
(٣) في (ب): «سبقه».
(٤) في الأوربية: «فصرت كالعبد».
(٥) ديوان ابن عبّاد ١٠٠، الذخيرة لابن بسّام ق ٢ مجلّد ٧٣/١، وفيات الأعيان ٣٥/٥، ٣٦، قلائد العقيان ٢٥، المختصر ٢٠٧/٢، ٢٠٨، سير أعلام النبلاء ٦٤/١٩، تاريخ الإسلام (٤٨١ - ٤٩٠ هـ.) ص ٢٧١، تاريخ ابن الوردي ١٦/٢، الوافي بالوفيات ١٨٦/٣، مرآة الجنان ١٤٨/٣.
(٦) من (ب).
(٧) في (ب): «ما أنادي».
(٨) في (ب): «ملب».
(٩) في (ب): «خاشعاً».

وأخذ في إتمام القصيدة، فاجتمع الناس كلّهم عليه يبكون. ولو أخذنا في تفصيل مناقبه ومحاسنه لطال الأمر، فلنقف عند هذا[1].

ذكر وفاة الوزير أبي شجاع

في هذه السنة توفّي الوزير أبو شجاع محمّد بن الحسين بن عبدالله، وزير الخليفة، في جمادى الآخرة، وأصْله من رُوذراور، ووُلد بالأهواز، وقرأ الفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازيّ، وكان عالماً بالعربية، وله تصانيف منها: «ذيل تجارب الأمم»، وكان عفيفاً، عادلاً، حَسَن السيرة، كثير الخير والمعروف، وكان موته بمدينة رسول الله، ﷺ، كان مجاوراً فيها.

ولمّا حضره الموت أمر فحُمل إلى مسجد النبيّ، ﷺ، فوقف بالحضرة وبكى، وقال: يا رسول الله! قال الله، عزّ وجلّ: **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيماً﴾**[2]؛ وقد جئت معترفاً بذنوبي وجرائمي أرجو شفاعتك.

وبكى فأكثر، وتوفّي من يومه، ودُفن عند قبر إبراهيم ابن النبيّ، ﷺ[3].

ذكر الفتنة بنَيسابور

في هذه السنة، في ذي الحجّة، جمع أمير كبير من أمراء خُراسان جمعاً كثيراً، وسار بهم إلى نَيسابور، فحصرها، فاجتمع أهلُها وقاتلوه أشدّ قتالٍ، ولازم حصارهم نحو أربعين يوماً، فلمّا لم يجد له مطمعاً فيها سار عنها في المحرّم سنة تسعٍ وثمانين [وأربعمائة]، فلمّا فارقها وقعت الفتنة بها بين الكرّاميّة وسار الطوائف من أهلها، فقُتل بينهم قتلى كثيرة.

---

(١) انظر عن (المعتمد بن عبّاد) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٢٦٤ ـ ٢٧٤ رقم ٢٨٤ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) سورة النساء، الآية ٦٣.

(٣) انظر عن (وفاة أبي شجاع) في: الفخري ٢٩٩ وفيه وفاته سنة ٥١٣ هـ. وهو غلط، وتاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٤١.

وكان مقدَّم الشافعيّة أبا القاسم ابن إمام الحرمَيْن أبي المعالي الجُوينيّ، ومقدَّم الحنفيّة القاضي محمّد بن أحمد بن صاعد، وهما متفّقان على الكرّاميّة، ومقدّم الكرّاميّة محمشاد، فكان الظَّفَر للشافعيَّة والحنفيّة على الكرّاميّة، فخربت مدارسهم، وقُتل كثير منهم ومن غيرهم، وكانت فتنة عظيمة.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في ربيع الآخر، شرع الخليفة في عمل سور على الحريم، وأذِن الوزير عميد الدولة بن جَهير للعامّة في التفرّج والعمل، فزيّنوا البلد، وعَمِلوا[1] القِباب، وجدّوا في عمارته[2].

وفيها، في شهر رمضان، جُرح السلطان بركْيارُق، جرحه إنسان ستريّ[3] له، من أهل سجِستان، في عضُده، ثم أُخذ الرجل، وأعانه رجلان أيضاً من أهل سِجِسْتان، فلمّا ضُرب الرجل الجارح اعترف أنّ هذَيْن الرجلَيْن وضعاه، واعترفا بذلك، فضُربا الضرب الشديد، ليقرّا على من أمرهما بذلك، فلم يقرّا، فقُرّبا إلى الفيل ليُجعلا تحت قوائمه، وقُدّم أحدهما، فقال: اتركوني وأنا أعرّفكم؛ فتركوه، فقال لصاحبه: يا أخي لا بدّ من هذه القتلة، فلا تفضح أهل سِجِستان بإفشاء الأسرار؛ فقُتلا[4].

وفيها توجّه الإمام أبو حامد الغزاليُّ إلى الشام، وزار القدس، وترك التدريس في النظاميّة، واستناب أخاه، وتزهّد، ولبس الخشن، وأكل الدون، وفي هذه السفرة صنّف «إحياء علوم الدِّين»، وسمعه منه الخلْق الكثير بدمشق، وعاد إلى بغداذ بعدما حجّ في السنة التالية، وسار إلى خُراسان[5].

---

(١) في الأوربية: «وعمل».
(٢) نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥٤، تاريخ الإسلام ٤٢، البداية والنهاية ٢/ ١٤٩.
(٣) في (ب): «سفري».
(٤) المنتظم ٩/ ٨٦ (١٧/ ١٧، ١٨)، تاريخ الإسلام ٤٢، البداية والنهاية ١٢/ ١٤٩.
(٥) المنتظم ٩/ ٨٧ (١٧/ ١٨)، المختصر ٢/ ٢٠٨، العبر ٣/ ٣١٩، تاريخ الإسلام ٤٢، مرآة الجنان ٣/ ١٤٥، ١٤٦، البداية والنهاية ١٢/ ١٤٩، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٨، تاريخ الخميس ٢/ ٤٠٢، =

(وفيها، في ربيع الأوّل، خُطب لوليّ العهد أبي الفضل منصور بن المستظهر بالله)[1].

وفيها عزل بركيارق وزيرَه مؤيّد المُلك بن نظام المُلك، واستوزر أخاه فخر الملك؛ وسبب ذلك أنّ بركْيارُق لمّا هزم عمّه تُتُش، وقتله، أرسل خادماً ليُحضر والدته زبيدة خاتون من أصبهان، فاتّفق مؤيّد المُلك مع جماعة من الأمراء، وأشاروا عليه بتركها، فقال: لا أريد المُلك إلاّ لها، وبوجودها عندي؛ فلمّا وصلتْ إليه وعلمت الحال تنكّرت على مؤيّد المُلك، وكان مجد المُلك أبو الفضل البلاسانيُّ قد صحِبَها في طريقها، وعلم أنّه لا يتمّ له أمر مع مؤيّد المُلك، وكان بين مؤيَّد المُلك وأخيه فخر المُلك (تَبَاعدٌ)[2] بسبب جواهر خلّفها أبوهم نظام المُلك، فلمّا علم فخر المُلك تنكُّرَ أمّ[3] السلطان على أخيه مؤيّد المُلك أرسل وبذل أموالاً جزيلة في الوزارة، فأُجيب إلى ذلك، وعُزل أخوه ووليَ هو[4].

[الوَفَيَات]

وفي هذه السنة، في جمادى الأولى، توفّي أبو محمّد رزق الله[5] بن عبد الوهّاب التميميُّ، الفقيه الحنبليُّ، وكان عارفاً بعدّة علوم، وكان قريباً من السلاطين.

= شذرات الذهب ٣/ ٣٨٣.

وعلّق اليافعي على تصنيف الغزالي للإحياء وإسماعه بدمشق فقال إن هذا مخالف لما ذكر الإمام أبو حامد في كتابه «المنقذ من الضلال» أنه أقام في الشام قريباً من سنتين مختلياً بنفسه، ولم يذكر إسماعه «الإحياء» ولا تصنيفه إياه، ولو كان لذكره كما ذكر علوماً أخرى صنف فيها قبل السفر أيضاً. فتصنيف «الإحياء» مع ما اشتمل عليه من العلوم الواسعة المحاكية للبحر الذي أمواجه متعاقبة لا يمكن وضعه في سنتين ولا ثالثة ولا رابعة. (مرآة الجنان ٣/ ١٤٥، ١٤٦).

(١) من (ب).

(٢) من (ب).

(٣) في (ب): «الكرم».

(٤) نهاية الأرب ٢٦/ ٣٣٩، تاريخ الإسلام ٤٢.

(٥) انظر عن (رزق الله) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٢٤٢ ـ ٢٤٦ رقم ٢٦٥ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

وفيها، في رجب، توفّي أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خَيرون، المعروف بابن الباقلانيّ[1]، وهو مشهور، ومولده سنة ستّ[2] وأربعمائة.

وفيها، في شعبان، توفّي قاضي القضاة أبو بكر محمّد بن المظفّر[3] الشاميُّ، وكان من أصحاب أبي الطَّيِّب الطَّبَريّ، ولم يأخذ على القضاء أجراً، وأقرّ[4] الحقّ مقرّه، ولم يحابِ[5] أحداً من خلق الله، ادّعى عنده بعض الأتراك على رجل شيئاً، فقال: أَلَكَ بيّنة؟ قال: نعم! فلان، والمشطّب الفقيه الفرغانيُّ؛ فقال: لا أقبل شهادة المشطّب لأنّه يلبس الحرير؛ فقال (التركيُّ: فالسلطان ونظام المُلك يلبسان الحرير؛ فقال)[6]: لو شهدا عندي على باقة بَقَل لم أقبل شهادتهما؛ ووليَ القضاء بعده أبو الحسن عليّ ابن قاضي القضاة أبي عبدالله محمّد الدامغانيّ.

وفيها مات القاضي أبو يوسف عبد السلام بن محمّد القزوينيُّ[7]، ومولده سنة إحدى عشرة وأربعمائة، وكان مغالياً في الاعتزال، وقيل كان زيديّ المذهب.

وفيها توفّي القاضي أبو بكر بن الرطبيّ[8]، قاضي دُجَيْل، وكان شافعيّ المذهب، ووليَ بعده أخوه حمْد بن[9] أحمد بن الحسن بن أحمد أبو الفضل الحدّاد

---

(١) انظر عن (ابن الباقلاني) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٢٣١ ـ ٢٣٣ رقم ٢٥١ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) من الباريسية.

(٣) انظر عن (محمد بن المظفّر) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٢٧٦ ـ ٢٨٠ رقم ٢٩١ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٤) في الأوربية: «وأقرا».

(٥) في الأوربية: «يخاب».

(٦) من (ب).

(٧) انظر عن (عبد السلام القزويني) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٢٥٠ ـ ٢٥٥ رقم ٢٧٢ وفيه حشدت مصادر ترجمته، يضاف إليها كتاب «التذكرة» لابن العديم، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٢٠٤٢ أدب ـ ص ١٢٨ ـ ١٤٥.

(٨) في طبعة صادر ١٠/ ٢٥٣ «أبو بكر» والمثبت عن مصادرترجمته.

(٩) في طبعة صادر ١٠/ ٢٥٤ «أبو العباس» والتصحيح من مصادر الترجمة.

الأصبهانيُّ[1]، صاحب أبي نُعيم الحافظ، وروى عنه «حِلْيَة الأولياء»، وهو أكبر من أخيه أبي عليّ[2]؛ وأبو عبدالله محمّد بن أبي نصر فتُّوح بن عبدالله بن حُميد الحُمَيديُّ[3] الأندلسيُّ، وُلد قبل العشرين وأربعمائة، وسمع الحديث ببلده، ومصر، والحجاز، والعراق، وهو مصنّف «الجمع بين الصحيحَيْن»،[4] وكان ثقةً فاضلاً، وتوفّي في ذي الحجّة، ووقف كُتُبه فانتفع بها الناس.

---

(1) انظر عن أبي الفضل الحداد في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ١٧١، ١٧٢ رقم ١٧٩ وفيه مصادر ترجمته. (في وفيات ٤٨٦ هـ.) وانظر ص ٢٤٠ رقم ٢٦٠ (في وفيات ٤٨٨ هـ.).

(2) في طبعة صادر ١٠/ ٢٥٤ «أبي المعالي»، والمثبت من (ب)، ومصادر ترجمته في تاريخ الإسلام ١٧٢.

(3) انظر عن (الحميدي) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٢٨٠ ـ ٢٨٥ رقم ٢٩٢ وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

(4) مطبوع في مجلّدين.

٤٨٩
ثم دخلت سنة تسع وثمانين وأربعمائة

ذكر قتل يوسف بن آبق والمجنّ الحلبيّ

في هذه السنة، في المحرّم، قُتل يوسف بن آبق الذي ذكرنا أنّه سيّره تاج الدولة تُتُش إلى بغداذ ونهب سوادها.

وكان سبب قتله أنّه كان بحلب، بعد قتل تاج الدولة، وكان بحلب إنسان يقال له المِجنّ، وهو رئيس الأحداث بها، وله أتباع كثيرون، فحضر عند جناح الدولة حسين، وقال له: إنّ يوسف بن آبق يكاتب ياغي سيان[١]، وهو على عزم الفساد؛ واستأذنه في قتله، فأذِن له، وطلب أن يعينه بجماعة من الأجناد، ففعل ذلك، فقصد المِجنّ الدار التي بها يوسف، فكبسها من الباب والسطح، وأخذ يوسف فقتله، ونهب كلّ ما[٢] [كان] في داره، وبقي بحلب حاكماً، فحدّثته نفسه بالتفرّد بالحكم عن الملك رضوان، فقال لجناح الدولة: إنّ الملك رضوان أمرني بقتلك، فخذ لنفسك؛ فهرب جناح الدولة إلى حِمص، وكانت له، فلمّا انفرد المِجنّ بالحكم تغيّر عليه رضوان، وأراد منه أن يفارق البلد، فلم يفعل، وركب في أصحابه، (فلو همّ)[٣] بالمحاربة لفعل، ثمّ أمر أصحابه أن ينهبوا ماله، وأثاثه، ودوابّه، ففعلوا ذلك، واختفى، فطُلب فوُجد بعد ثلاثة أيّام، فأُخذ وعُوقب وعُذّب، ثم قُتل هو وأولاده، وكان من السواد يشقّ الخشب، ثم بلغ هذه الحالة[٤].

---

(١) في الباريسية: «باغي سان».

(٢) في الأوربية: «كلما».

(٣) في (ب): «فأمرهم».

(٤) زبدة الحلب ٢/١٢٣ ـ ١٢٥، ذيل تاريخ دمشق ١٣٥، تاريخ حلب للعظيمي ٣٥٨ (٢٤).

ذكر وفاة منصور بن مروان

في هذه السنة، في المحرّم، توفّي منصور بن نظام الدين بن نصر الدولة بن مروان، صاحب ديار بكر[١]، وهو الذي انقرض أمر بني مروان على يده، حين حاربه فخر الدولة بن جَهِير، وكان جكرمش قد قبض عليه بالجزيرة، وتركه عند رجل يهوديّ، فمات في داره، وحملتْه زوجته إلى تُربة (آبائه، فدفنته ثم حَجّت[٢]، وعادت إلى بلد البشنويّة، فابتاعت ديراً من بلد فَنَك بقرب)[٣] جزيرة ابن عمر، وأقامت فيه تعبد الله.

وكان منصور شجاعاً، شديد البخل، له في البخل حكايات عجيبة. فتعساً لطالب الدنيا، المعرِض عن الآخرة، ألا ينظر[٤] إلى فعلها بأبنائها؛ بينما منصور هذا مِلكٌ من بيت ملك آل أمره إلى أن مات في بيت يهوديّ، نسأل الله تعالى أن يحسّن أعمالنا، ويصلح عاقبة أمرنا في الدنيا والآخرة، بمنّه وكرمه[٥].

ذكر ملك تميم مدينة قابس أيضاً

في هذه السنة ملك تميم بن المعزّ مدينة قابِس، وأخرج منها أخاه عَمْراً[٦].

وسبب ذلك أنّها كان بها إنسان يقال له(قاضي بن)[٧] إبراهيم بن بلمونه فمات[٨]، فولّى أهلُها عليهم عمرو بن المعزّ، فأساء السيرة، وكان قاضي بن إبراهيم عاصياً على تميم، وتميم يُعرض عنه، فسلك عمرو طريقه في ذلك[٩]، فأخرج تميم

---

(١) زاد في (ب): «بالجزيرة».

(٢) في الأوربية: «حجب».

(٣) ما بين القوسين من (ب).

(٤) في الأوربية: «تنظر».

(٥) انظر عن وفاة منصور بن مروان في: تاريخ الفارقي ٢٤٧ وفيه وفاته ٤٨٦ هـ.، والنجوم الزاهرة ١٥٧/٥.

(٦) في الأوربية: «عمرواً».

(٧) من الباريسية.

(٨) زاد في الباريسية: «قاضي بن».

(٩) في (ب): «العصيان».

العساكر إلى أخيه (عمرو ليأخذ المدينة منه، فقال له بعض أصحابه: يا مولانا لمّا كان فيها قاضي توانَيت)[1] عنه وتركتَه، فلمّا وليها أخوك جرّدت إليه العساكر؛ فقال: لمّا كان فيها غلام من عبيدنا كان زواله سهلاً علينا، وأمّا اليوم، وابن المعزّ (بالمهديّة، وابن المعزّ)[2] بقابِس، فهذا[3] ما لا يمكن السكوت عليه.

وفي فتحها يقول ابن خطيب سُوسَة القصيدة المشهورة التي أوّلها:

ضَحِكَ الزَّمانُ، وكان يُلْقَى عابِسَا ... لمّا فتَحْتَ بحدّ سيفِك قابِسَا
اللهُ يعلمُ ما حَوَيتَ ثِمارَها ... إلاّ وكان أبوك، قبلُ، الغارِسا
من كانَ في زُرقِ الأسنّةِ خاطباً، ... كانت لَهُ قلَلُ البلادِ عرائسَا
فابشِرْ تميم بن المعزّ بفَتكةٍ ... تركَتْك مِن أكنافِ قابِسَ قابسَا
ولّوا، فكَمْ تَركوا هُناك مَصانِعاً ... ومَقاصِرا، ومَخالداً، ومَجالسَا
فكأنّها قَلْبٌ، وهُنَّ وساوِسٌ، ... جاء اليقينُ، فذاد[4] عنه وسَاوِسَا

ذكر ملك كربوقا الموصل

في هذه السنة، في ذي القعدة، ملك قِوام الدولة أبو سعيد كربوقا مدينة الموصل، وقد ذكرنا أنّ تاج الدولة تُتُش أسره لمّا قتل آقسنقَر وبوزان، فلمّا أسره أبقى عليه، طمعاً في استصلاح حميّه[5] الأمير أُنَر، ولم يكن له بلد يملكه إذا قتله، كما فعل بالأمير بوزان، فإنّه قتله واستولى[6] على بلاده الرُّها وحَرّان.

ولم يزل قِوام الدولة محبوساً بحلب إلى أن قُتل تُتُش، وملك ابنه الملك رضوان حلبَ[7]، فأرسل السلطان بركيارُق رسولاً يأمره بإطلاقه وإطلاق أخيه[8] آلْتُونتاش،

(١) من الباريسية.
(٢) من (ب).
(٣) في الأوربية: «هذا».
(٤) في الأوربية: «فزاد».
(٥) في (ب): «جهه».
(٦) في (ب): «حتى استولى».
(٧) في الأوربية: «حلباً».
(٨) في الأوربية: «أخاه».

فلمّا أُطلقا سارا واجتمع عليهما كثير من العساكر البطّالين، فأتيا حَرّان فتسلّماها، وكاتبهما محمّد بن شرف الدولة مسلم بن قُريش، وهو بنَصِيبين، ومعه ثروان بن وهيب، وأبو الهيجاء الكرديُّ، يستنصرون بهما على الأمير عليّ بن شرف الدولة، وكان بالموصل قد جعله بها تاج الدولة تُتُش بعد وقعة المُضَيَّع.

فسار كَربوقا إليهم، فلقيه محمّد بن شرف الدولة على مرحلتَيْن من نَصِيبين، واستحلفهما لنفسه، فقبض عليه كربوقا بعد اليمين، وحمله معه، وأتى[1] نَصِيبين، فامتنعت عليه، فحصرها أربعين يوماً، وتسلّمها، وسار إلى الموصل فحصرها، فلم يظفر منها بشيء، فسار عنها إلى بَلَد، وقتل بها محمّدَ بن شرف الدولة، وغرّقه، وعاد إلى حصار الموصل، ونزل على فرسخ منها بقرية باحلافة، وترك ألْتُونتاشَ شرقيّ الموصل، فاستنجد عليّ بن مُسلّم صاحبُها بالأمير جكرمِش، صاحب جزيرة ابن عمر، فسار إليه نجدةً له، فلمّا علم ألْتُونتاش بذلك سار إلى طريقه، فقاتله، فانهزم جكرمش، وعاد إلى الجزيرة منهزماً، وصار في طاعة كربوقا، وأعانه على حصر الموصل، وعُدِمت الأقوات بها وكلّ شيء، حتّى ما يوقدونه، فأوقدوا القِيرَ، وحَبّ القطن.

فلمّا ضاق بصاحبها عليّ الأمر فارقها وسار إلى الأمير صدقة بن مَزْيد بالحِلّة، وتسلّم كربوقا البلد بعد أن حصره تسعة أشهر، وخافه أهله لأنّه بلغهم أنّ ألْتُونتاش يريد نهبهم، وأنّ كربوقا يمنعه من ذلك، فاشتغل ألْتُونتاش بالقبض على أعيان البلد، ومطالبتهم بودائع البلد[2]، واستطال على كربوقا، فأمر بقتله، فقُتل في اليوم الثالث، وأمِن الناس شرّه، وأحسن كربوقا السيرة فيهم، وسار نحو الرَّحبة، فمُنع عنها. فملكها ونهبها واستناب بها وعاد[3].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة اجتمع ستّة كواكب في بُرج الحوت، وهي الشمسُ، والقمرُ،

---

(١) في (ب): «إلى».

(٢) في (ب): «العرب».

(٣) الروضتين ١/ ٦٧، المختصر ٢/ ٢٠٨، العبر ٣/ ٣٢٤، دول الإسلام ٢/ ١٨، تاريخ الإسلام ٤٣، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٩، البداية والنهاية ١٢/ ١٥٢.

والمشتري، والزُّهَرَةُ، والمرّيخُ، وعُطاردُ، فحكم المنجّمون بطُوفان يكون في الناس يقارب طُوفان نوح، فأحضر الخليفة المستظهر بالله ابن عَيْسون المنجّم، فسأله، فقال: إنّ طُوفان نوح اجتمعت الكواكب السبعة في برج الحوت، والآن فقد اجتمع ستّة منها، وليس منها زُحَل، فلو كان معها لكان مثل طُوفان نوح، ولكن أقول إنّ مدينة، أو بقعة من الأرض يجتمع فيها عالم كثير من بلاد كثيرة، فيغرقون؛ فخافوا على بغداذ، لكثرة من يجتمع فيها من البلاد، فأُحكمت المسنيّات، والمواضع التي يُخشى منها الانفجار والغرق.

فاتّفق أن الحجّاج نزلوا بوادي المياقت[1]، بعد نَخلَة، فأتاهم سيل عظيم فأغرق أكثرهم، ونجا من تعلّق بالجبال، وذهب المال، والدوابّ، والأزواد، وغير ذلك، فخلع الخليفة على المنجّم[2].

وفيها، في صفر، درّس الشيخ أبو عبدالله الطبريُّ الفقيه الشافعيُّ بالمدرسة النِّظاميّة ببغداذ، رتّبه فيها فخر المُلك بن نظام المُلك، وزير بركيارُق[3].

وفيها أغارت خفاجة على بلد سيف الدولة صدقة بن مَزْيد، فأرسل في أثرهم عسكراً، مقدّمه ابن عمّه قُريش بن بدران بن دُبَيْس بن مَزْيد، فأسرته خفاجة، وأطلقوه، وقصدوا مشهد الحسين بن عليّ، عليه السّلام، فتظاهروا فيه بالفساد والمنكر، فوجّه إليهم صدقة جيشاً، فكبسوهم، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً في المشهد، حتّى عند الضريح، وألقى رجل منهم نفسه وهو على فرسه من على السور، فسلم هو والفرس[4].

[الوفيات]

وفي هذه السنة، في صفر، توفّي القاضي أبو مسلم وادع بن

(١) في (ب): «المناقت»، وفي المصادر: «المناقب».

(٢) المنتظم ٩/٩٧ (١٧/٣١، ٣٢)، ذيل تاريخ دمشق ١٣٣، تاريخ الزمان ١٢٢، ١٢٣، تاريخ مختصر الدول ١٩٦، نهاية الأرب ٢٣/٢٥٤، ٢٥٥، سير أعلام النبلاء ١٩/١٠٠، تاريخ الإسلام ٤٣، البداية والنهاية ١٢/١٥٢، شفاء الغرام (بتحقيقنا) ٢/٣٦٤، تاريخ الخميس ٢/٤٠٢، النجوم الزاهرة ٥/١٥٨، تاريخ الخلفاء ٤٢٦، أخبار الدول للقرماني (الطبعة الجديدة) ٢/١٦٦، ١٦٧.

(٣) تاريخ الإسلام ٤٤، والبداية والنهاية ١٢/١٥٢.

(٤) المنتظم ٩/٩٧ (١٧/٣١).

سليمان[1] قاضي معرّة النعمان والمستولي على أمورها، وكان (رجل زمانه همّةً وعلماً)[2].

(وفيها، في ربيع الأوّل، توفّي أبو بكر محمّد بن عبد الباقي[3] المعروف بابن الخاضبة[4]، المحدّث، وكان عالماً.

وفيها، في رمضان، توفّي أبو بكر [أحمد بن][5] عمر بن السَّمرقنديّ، ومولده سنة ثمانٍ وثمانين وثلاثمائة.

وفيها، في رمضان، توفّي أبو الفضل عبد الملك بن إبراهيم[6] المقدسيُّ المعروف بالهَمَذانيّ، وكان عالماً في عدّة علوم، وقد قارب ثمانين سنة)[7].

---

(١) في تاريخ حلب للعظيمي ٣٥٨ (٢٤): «وادع بن عبدالله».

(٢) في (ب): «عالماً في عدة علوم قد قارب ثمانين سنة».

(٣) هو محمد بن أحمد بن عبد الباقي.

(٤) انظر عن (ابن الخاضبة) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٣١٠ ـ ٣١٣ رقم ٣٢١ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من طبعة صادر ٢٦١/١٠ والمستدرك من مصادر ترجمته في تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٢٩٢، ٢٩٣ رقم ٣٠٢.

(٦) انظر عن (عبد الملك بن إبراهيم) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٣٠٣ ـ ٣٠٥ رقم ٣١٨ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٧) ما بين القوسين من (ب).

٤٩٠

ثم دخلت سنة تسعين وأربعمائة

ذكر قتل أرسلان أرغون

في هذه السنة، في المحرّم، قُتل أرسلان (أرغون بن ألب أرسلان، أخو السلطان ملكشاه، بمرو، وكان قد ملك خُراسان)[١].

وسبب قتله أنّه كان شديداً على غلمانه، كثير الإهانة لهم والعقوبة، وكانوا يخافونه [خوفاً] عظيماً، فاتّفق أنّه الآن طلب غلاماً له، فدخل عليه وليس معه أحد، فأنكر عليه تأخّرَهُ عن الخدمة، فاعتذر، فلم يقبل عذره، وضربه، فأخرج الغلام سكّيناً معه وقتله، وأُخذ الغلام، فقيل له: لِمَ فعلتَ هذا؟ فقال: لأريح الناس من ظلمه.

وكان سبب ملكه خُراسان أنّه كان له، أيّام أخيه ملكشاه، من الإقطاع ما مقداره سبعة آلاف دينار، وكان معه ببغداذ لمّا مات، فسار إلى هَمَذان في سبعة غلمان، واتّصل به جماعة، فسار إلى نَيسابور، فلم يجد فيها مطمعاً، فتمّم[٢] إلى مرو، وكان شِحنة مرو أمير اسمه قودن[٣] من مماليك ملكشاه، وهو الذي كان سبب تنكّر السلطان ملكشاه على نظام المُلك، وقد تقدّم ذلك في قتل نظام المُلك، فمال إلى أرسلان أرغون، وسلّم البلد إليه، فأقبلت العساكر إليه، وقصد بَلخ، وبها فخر المُلك بن نظام المُلك، فسار عنها، ووزر لتاج الدولة تُتُش، على ما ذكرناه.

وملك أرسلان أرغون بَلخ، وتِرمِذ، ونَيسابور، وعامّة خُراسان، وأرسل إلى

---

(١) من (ب).

(٢) في (ب): «فمر».

(٣) في الباريسية: «قوذر».

السلطان برْكيارُق وإلى وزيره مؤيّد المُلك بن نظام المُلك يطلب أن يقرّ عليه خُراسان، كما كانت لجدّه داود، ما عدا نَيسابور، ويبذل[1] الأموال ولا ينازع في السلطنة. فسكت عنه بركيارق لاشتغاله بأخيه محمود وعمّه تُتُش، فلمّا عزل السلطان برْكيارُقُ مؤيّدَ المُلك عن وزارته، ووليها أخوه فخر المُلك، واستولى على الأمور مجدُ المُلك البلاسانيُّ، قطع أرسلان أرغون مراسلة برْكيارُق، وقال: لا أرضى لنفسي مخاطبة البلاسانيّ؛ فندب برْكيارُق حينئذٍ عمّه بوربرس[2] بن ألب أرسلان، وسيّره في العساكر لقتاله.

وكان قد اتّصل بأرسلان عمادُ الملك أبو القاسم بن نظام المُلك، ووزر له، فلمّا وصلت العساكر إلى خُراسان لقيهم أرسلان أرغون، وقاتلهم، وانهزم منهم، وسار منهزماً إلى بَلْخ، وأقام بوربرس والعساكر التي معه بهراة.

ثم جمع أرغون عساكر جمّة وسار إلى مرو، فحصرها أيّاماً، وفتحها عَنوةً، وقتل فيها وأكثر، وقلع أبواب سورها وهدمه، فسار إليه بوربرس من هَرَاة، فالتقيا وتصافّا، فانهزم بوربرس سنة ثمانٍ وثمانين [وأربعمائة].

وسبب هزيمته أنّه كان معه من جملة العساكر التي سيّرها[3] معه بركيارق أمير آخرُ[4] ملكشاه، وهو من أكابر الأمراء، والأمير مسعود بن تاجر، وكان أبوه مقدّم عسكر داود، جدّ ملكشاه، ولمسعود منزلة كبيرة، ومحلّ عظيم، عند النّاس كافّة[5]، وكان بين أمير آخرُ وبين أرسلان مودّة قديمة، فأرسل إليه أرسلان أرغون يستميله، ويدعوه إلى طاعته، فأجابه إلى ذلك.

ثم إنّ مسعود بن تاجر قصد أمير آخُر زائراً له، ومعه ولده، فأخذهما وقتلهما، فضعف أمر بوربرس، وانهزم من أرسلان أرغون، وتفرّق عسكره، وأُسر، وحُمل إلى أرسلان أرغون، وهو أخوه، فحبسه بترمِذ، ثم أمر به فخُنق بعد سنة من حبسه، وقتل

---

(١) في الباريسية: «وبذل».
(٢) في (ب): «بوديرس».
(٣) في الأوربية: «الذي سير».
(٤) زاد في (ب): «اسمه».
(٥) في الأوربية: «كافة الناس».

أكابر عسكر خُراسان ممّن كان يخافه ويخشى تحكّمه عليه، وصادر وزيره عماد المُلك بثلاثمائة ألف دينار، وقتله، وخرب[1] أسوار مدن خُراسان، منها: سور سبزوار، وسور مرو الشاهجان، وقلعة سَرْخَس، وقهندز نَيسابور، وسور شَهْرَسْتَان، وغير ذلك، خربه جميعه سنة تسعٍ وثمانين [وأربعمائة]، ثم إنّه قُتل هذه السنة كما ذكرنا[2].

ذكر استيلاء عسكر مصر على مدينة صور

في هذه السنة، في ربيع الأوّل، وصل عسكر كثير من مصر إلى ثغر صور، بساحل الشام، فحصرها وملكها.

وسبب ذلك أنّ الوالي بها، ويُعرف بكُتَيْلة، أظهر العصيان على المستعلي، صاحب مصر، والخروج عن طاعته، فسيّر إليه جيشاً، فحصروه بها، وضيّقوا عليه وعلى من معه من جنديّ وعاميّ، ثم افتتحها عَنوةً بالسيف، وقُتل بها خلق كثير، ونُهب منها المال الجزيل، وأُخذ الوالي أسيراً بغير أمان، وحُمل إلى مصر فَقُتل بها[3].

ذكر ملك بركيارُق خراسان وتسليمها إلى أخيه سنجر

كان بركيارُق قد جهّز العساكر مع أخيه الملك سَنْجَر، وسيّرها إلى خُراسان لقتال عمّه أرسلان أرغون، وجعل الأمير قماج أتابك سَنجَر، ورتّب في وزارته أبا الفتح عليَّ بن الحسين الطُّغْرائيَّ، فلمّا وصلوا إلى الدامغان بلغهم خبر قتله، فأقاموا، حتّى لحِقهم السلطان بركْيارُق، وساروا إلى نَيسابور، فوصل إليها خامس جمادى الأولى من السنة وملكها بغير قتال، وكذلك سائر البلاد الخُراسانيّة، وساروا إلى بَلْخ.

---

(١) في (ب): «وحرق».

(٢) تاريخ مختصر الدول ١٩٦، المختصر ٢/ ٢٠٩، تاريخ الإسلام ٤٥، مرآة الجنان ٣/ ١٥٢، النجوم الزاهرة ٥/ ١٦١، تاريخ الخلفاء ٤٢٧، شذرات الذهب ٣/ ٣٩٤.

(٣) ذيل تاريخ دمشق ١٣٣، ١٣٤، أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٣٩، الدرّة المضية ٤٥٠، وفيه أنه فتح دمشق، وهو وهم.، تاريخ الإسلام ٤٥، اتعاظ الحنفا ٣/ ٢٠، النجوم الزاهرة ٥/ ١٥٩، وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ١٤١، الأعلاق الخطيرة ٢/ ١٦٦.

وكان عسكر أرسلان أرغون قد ملّكوا بعد قتله ابناً له صغيراً، عمره سبع سنين، فلمّا سمعوا بوصول السلطان أبعدوا إلى جبال طخَارستان، وأرسلوا يطلبون الأمان، فأجابهم إلى ذلك، فعادوا ومعهم ابن أرسلان أرغون، فأحسن السلطان لقاءه، وأعطاه ما كان لأبيه من الإقطاع أيّام ملكشاه، وكان وصوله إلى السلطان في خمسة عشر ألف فارس، فما انقضى يومهم حتّى فارقوه، واتّصلت كلّ طائفة منهم بأمير تخدمه، وبقي وحده مع خادم لأبيه، فأخذته والدة السلطان بركْيارُق إليها، وأقامت له من يتولّى خدمته وتربيته.

وسار بركْيارُق إلى تِرمِذ فسُلّمت إليه، وأقام عند بَلخ سبعة أشهر، وأرسل إلى ما وراء النهر، فأُقيمت له الخطبة بسَمَرقند وغيرها، ودانت له البلاد[١].

ذكر خروج أمير أميران بخُراسان مخالفاً

في هذه السنة لمّا كان السلطان بركيارُق بخُراسان خالف عليه أمير اسمه محمّد بن سليمان، ويُعرف بأمير أميران، وهو ابن عمّ ملكشاه، (وتوجّه إلى بلْخ)[٢]، واستمدّ من صاحب غَزْنة، فأمدّه بجيش كثير، وفِيَلَة، وشرط عليه أن يخطب له في جميع ما يفتحه من خُراسان، فقويت شوكته، ومدّ يده في البلاد، فسار إليه الملك سَنجَر بن ملكشاه جريدة، ولا يعلم به أمير أميران، فكبسه، فجرى بينهما قتال ساعة، ثم أُسر، وحُمل إلى بين يدي سَنجَر، فأمر به فكُحل.

ذكر عصيان الأمير قودن ويارقطاش على السطان واستعمال حبشي على خُراسان

في هذه السنة عصى يارقطاش وقودن على السلطان بركيارُق.

وسبب ذلك أنّ الأمير قودن (كان قد صار في جملة الأمير قماج، فتوفّي،

(١) تاريخ مختصر الدولة ١٩٦، نهاية الأرب ٣٤٠/٢٦، المختصر في أخبار البشر ٢٠٩/٢، تاريخ الإسلام ٤٥، ٤٦، العبر ٣٢٧/٣.

(٢) من الباريسية.

والسلطان بمرو، فاستوحش قودن[1]، وأظهر المرض، وتأخّر بمرو بعد مسير السلطان إلى العراق، وكان من جملة أمراء السلطان أمير اسمه اكنجي، وقد ولاّه السلطان خُوارِزم، ولقّبه خُوارِزمشَاه، فجمع عساكره وسار في عشرة آلاف فارس ليلحق السلطان، فسبق العسكر إلى مرو في ثلاثمائة فارس، وتشاغل بالشرب، فاتّفق قودن وأمير آخر اسمه يارقطاش على قتله، فجمعا خمسمائة فارس وكبسوه وقتلوه، وساروا إلى خُوارزم، وأظهروا أنّ السلطان قد استعملهما عليها فتسلّماها.

وبلغ الخبر إلى السلطان، فتمّ المسير إلى العراق، لمّا بلغه من خروج الأمير أُنَر ومؤيّد الملك عن طاعته، وأعاد (أمير داذ حبشي)[2] بن أَلْتُونتاق[3] في جيش إلى خُراسان لقتالهما، فسار إلى هَراة، وأقام ينتظر اجتماع العساكر معه، فعاجلاه في خمسة عشر ألفاً، فعلم أمير داذ[4] أنّه لا طاقة له بهما، فعبر جَيحون، فسارا إليه، وتقدّم يارقطاش ليلحقه قودن، فعاجله يارقطاش وحده وقاتله، فانهزم يارقطاش وأُخذ أسيراً.

وبلغ الخبر إلى قودن، فثار به عسكره، ونهبوا خزائنه وما معه، فبقي في سبعة نفر، فهرب إلى بخارى، فقبض عليه صاحبها، ثم أحسن إليه، وبقي عنده، وسار من هناك إلى الملك سَنجَر ببلخ، فقبله أحسن قبول، وبذل له قودن أن يكفيه أموره، ويقوم بجمع العساكر على طاعته، فقُدّر أنّه مات عن قريب، وأمّا يارقطاش فبقي أسيراً إلى أن قُتل أمير داذ، وكان من أمره ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر ابتداء دولة محمّد بن خوارزمشاه

في هذه السنة أمّر بركْيارُق الأمير حبشي بن أَلْتُونتاق على خُراسان، كما ذكرناه، فلمّا صفتْ له، وقُتل قودن، كما ذكرنا قبلُ، وليَ خُوارزم الأمير محمّد بن أنوشتكين، وكان أبوه أنوشتكين مملوك أمير من السلجوقيّة، اسمه بلكباك[5]، قد اشتراه من رجل

---

(١) من (ب).
(٢) في (ب): «الأمير داود الحبشي».
(٣) في (ب): «الومات».
(٤) في (ب): «داود».
(٥) في (ب): «بلكانك»، وفي العبر ٣/٣٢٧ «ملكايل»، وفي تاريخ الإسلام ٤٦ «بلكابك».

من غَرْشِسْتَانَ فقيل له أنوشتكين غرشحه، فكبر، وعلا أمره، وكان حسن الطريقة، كامل الأوصاف، وكان مقدّماً، مرجوعاً إليه، ووُلد له ولد سمّاه محمّداً، وهو هذا، وعلّمه، وخرّجه، وأحسن تأديبه، وتقدّم بنفسه، وبالعناية الأزليّة.

فلمّا وليَ أمير داذ حبشي خُراسان كان خُوارِزمشاه اكنجي قد قُتل، وقد تقدّم ذكره، ونظر الأمير حبشي فيمن يولّية خُوارِزم، فوقع اختياره على محمّد بن أنوشتكين، فولاّه خُوارِزم، ولقّبه خوارِزمشاه، فقصر أوقاته على مَعْدَلةٍ ينشرها، ومكرُمة يفعلها، وقرّب أهل العلم والدين، فازداد ذكره حُسناً، ومحلّه عُلُوّاً.

ولمّا ملك السلطان سَنجَر خُراسان أقرّ محمّداً خوارزمشاه على خُوارزم وأعمالها، فظهرت كفايته وشهامته، فعظّم سَنجَر محلّه وقدره.

ثم إنّ بعض ملوك الأتراك جمع جموعاً، وقصد خُوارزم، ومحمّد غائب عنها، وكان طُغْرلتكين[1] بن اكنجي، الذي كان أبوه خُوارزمشاه، قبلُ، عند السلطان سَنجرَ، فهرب منه، والتحق بالأتراك على خُوارزم، فلمّا سمع خُوارزمشاه محمّد الخبر بادر إلى خُوارزم، وأرسل إلى سَنجَر يستمدّه، وكان بنَيسابور، فسار في العساكر إليه، فلم ينتظره محمّد، فلمّا قارب خُوارزم هرب الأتراك إلى مَنْقَشْلاغَ، وطُغرلتكين أيضاً رحل إلى حندخان، وكُفي خوارزمشاه شرّهم.

ولمّا توفّي خُوارزمشاه وليَ بعده ابنه إتسزِ، فمدّ ظلال الأمن، وأفاض العدل، وكان قد قاد الجيوش أيّام أبيه، وقصد بلاد الأعداء، وباشر الحروب، فملك مدينة مَنْقَشْلاغ.

ولمّا وليَ بعد أبيه قربّه السلطان سَنجَر، وعظّمه، واعتضد به، واستصحبه معه في أسفاره وحروبه، فظهرت منه الكفاية والشهامة، فزاده تقدّماً وعُلوّاً؛ (وهو ابتداء مُلك بيت خُوارزمشاه تكَش، وابنه محمّد الذي ظهرت التّتر عليه، على ما نذكره إن شاء الله تعالى)[2].

---

(١) في (ب) زيادة: «محمد».

(٢) من الباريسية. والخبر في: نهاية الأرب ٢٣/٢٥٥، والمختصر ٢/٢٠٩، ودول الإسلام ٢/١٨، وتاريخ ابن الوردي ٢/٩، والبداية والنهاية ١٢/١٥٤، وتاريخ الإسلام ٤٦.

ذكر الحرب بين رُضْوان وأخيه دُقَاق

في هذه السنة سار الملك رضوان إلى دمشق، وبها أخوه دُقَاق، عازماً على أخذها منه، فلمّا قاربها، ورأى حصانتها وامتناعها، علم عجزه عنها، فرحل إلى نابُلُس، وسار إلى القُدْس ليأخذه، فلم يمكنه، وانقطعت العساكر عنه، فعاد ومعه ياغي[1] سيان، صاحب أنطاكية، وجناح الدولة.

ثم إنّ ياغي سيان فارق رضوان، وقصد دُقَاق، وحسّن له محاصرة أخيه بحلب، جزاء لما فعله، فجمع عساكر كثيرة وسار ومعه ياغي سيان، فأرسل رضوان رسولاً إلى سُقمان بن أُرتُق، وهو بسَرُوجَ، يستنجده، فأتاه في خلق كثير من التركمان، فسار نحو أخيه، فالتقيا بِقِنَّسْرِين، فاقتتلا، فانهزم دُقاق وعسكره، ونُهبت خيامهم وجميع مالهم، وعاد رضوان إلى حلب، ثم اتّفقا على أن يخطب لرضوان بدمشق قبل دُقاق، وبأنطاكية، وقيل كانت هذه الحادثة سنة تسع وثمانين [وأربعمائة][2].

ذكر الخطبة للعلويّ المصريّ بولاية رُضوان

في هذه السنة خطب الملك رضوان في كثير من ولايته للمستعلي بأمر الله العلويّ، صاحب مصر.

وسبب ذلك أنّه كان عنده الأمير جناح الدولة، وهو زوج أمّه، فرأى من رضوان تغيّراً، فسار إلى حمص، وهي له، فلمّا رأي ياغي[3] سيان بُعْده عن رضوان صالحه، وقدِم إليه بحلب، ونزل بظاهرها.

وكان لرضوان منجّم يقال له الحكيم أسعد، وكان يميل إليه، فقدّمه بعد مسير جناح الدولة، فحسّن له مذاهب العلويّين المصريّين، وأتته رسل المصريّين يدعونه إلى طاعتهم، ويبذلون له المال، وإنفاذ[4] العساكر إليه ليملك دمشق، فخطب لهم بشَيْزَرَ،

---

(١) في طبعة صادر ١٠/ ٢٦٩ «باغي» والمثبت من الباريسية، والمصادر.

(٢) زبدة الحلب ٢/ ١٢٥، ١٢٦، نهاية الأرب ٢٧/ ٧٢، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٠٩، ٢١٠، العبر ٣/ ٣٢٧، دول الإسلام ٢/ ١٩، تاريخ الإسلام ٤٦، ٤٧، مرآة الجنان ٣/ ١٥٢.

(٣) في طبعة صادر ١٠/ ٢٦٩ «باغي»، والمثبت من الباريسية والمصادر.

(٤) في (ب): «وأنفذت».

وجميع الأعمال سوى أنطاكية، وحلَب[1]، والمَعّرة، أربع جُمع، ثم حضر عنده سُقمان بن أُرتُق، وياغي[2] سيان، صاحب أنطاكية، فأنكرا ذلك واستعظماه، فأعاد الخطبة العبّاسيّة في هذه السنة، وأرسل إلى بغداذ يعتذر ممّا كان منه.

وسار ياغي سيان إلى أنطاكية، فلم يُقم بها غير ثلاثة أيّام حتّى وصل الفرنج إليها وحصروها[3]، وكان ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة كانت فتنة عظيمة بخُراسان بين أهل سَبزوار وأهل خُسْرُوجِرْد، وقتال عظيم، فقُتل بينهم جماعة كثيرة، وانهزم أهل خُسْرُوجِرْدَ.

وفيها قُتل عثمان، وكيل دار نظام الملك، وكان سبب قتله أنّه كان كاتَبَ صاحب غَزنَة بالأخبار من قِبَلِ[4] السلطان، فأُخذ وحُبس بترمِذَ مدّةً، ثم اطُّلع عليه، وهو في الحبس، أنّه كان يكاتبه أيضاً فقُتل.

وفي صفر منها قُتل عبد الرحمن السميرميُّ، وزير أمّ السلطان بركْيارُق، قتله باطنيٌّ غِيلةً، وقُتل الباطنيُّ بعده.

وفيها، في شعبان، ظهر كوكب كبير له ذُؤآبة، وأقام يطلع عشرين يوماً، ثم غاب ولم يظهر.

[الوَفيَات]

وفيها توفّي النقيب الطّاهر أبو الغنائم[5] [المعمَّر بن محمد][6]، وكان ديّناً،

---

(١) في (ب): «وقلعة حلب».

(٢) في طبعة صادر ١٠/ ٢٧٠ «باغي».

(٣) ذيل تاريخ دمشق ١٣٤، تاريخ الزمان ١٢٢، أخبار الدول المنقطعة ٨٢، زبدة الحلب ٢/ ١٣٠، ١٣١، المختصر ٢/ ٢١٠، دول الإسلام ٢/ ١٩، تاريخ الإسلام ٤٧، ٤٨.

(٤) في (ب): «جهة».

(٥) في طبعة حيدر أباد من المنتظم ٩/ ١٠٤ «أبو القائم».

(٦) في طبعة صادر ١٠/ ٢٧١ «محمد بن عبدالله»، والمثبت من: المنتظم ٩/ ١٠٤ رقم ١٥٢ (١٧/ ٤١ رقم ٣٦٧٤)، والبداية والنهاية ١٢/ ١٥٥، وتاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٣٤٤ رقم ٣٧١.

سخيّاً، كريماً، متعصبّاً، حنفيّ المذهب، ووليَ النقابة بعده ولده أبو الفتوح حيدرة.

وفيها توفّي أبو القاسم يحيى بن أحمد [بن أحمد][1] السيبيُّ[2] وهو ابن مائة سنة وسنتَيْن[3]، وهو صحيح الحواسّ، وكان مقرئاً، محدّثاً، حاضر[4] القلب.

وفيها قُتل أرغش النظاميُّ[5]، مملوك نظام الملك، بالريّ وكان قد بلغ مبلغاً عظيماً بحيث أنّه تزوّج ابنة ياقوتي عمّ السلطان بركيارق، قتله باطنيّ، (وقُتل قاتله.

وقُتل بُرسُق[6] في شهر رمضان، وهو من أكابر الأمراء، قتله باطنيّ)[7]، وكان بُرسق من أصحاب السلطان طُغْرلبك، وهو أوّل شِحنة كان ببغداذ.

---

(١) زيادة من (ب) ومن مصادر ترجمته التي حشدتها في تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٣٤٩ رقم ٣٧٦.

(٢) السيبي: نسبة إلى سيب، قرية بنواحي قصر ابن هبيرة. (الأنساب ٧/ ٢١٥) وفي (ب): «السبتي»، وفي البداية والنهاية ١٢/ ١٥٥ «البستي» وهو تصحيف.

(٣) في (ب): وستين سنة.

(٤) في الأوربية: «حاصر».

(٥) تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٣٣٢ رقم ٣٣٨.

(٦) انظر عن (برسق) في: بغية الطلب (تراجم السلاجقة) ١٤٨، ٢٠٤، ٣٣٥، ٣٦٢، وزبدة التواريخ ١٤٨، ١٩٢، وتاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٣٣٢ رقم ٣٤٠.

(٧) ما بين القوسين من (ب).

٤٩١
ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وأربعمائة

ذِكر ملْك الفِرَنج مدينة أنطاكية

كان ابتداء ظهور دولة الفرنج، واشتداد أمرهم، وخروجهم إلى بلاد الإسلام واستيلائهم على بعضها، سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، فملكوا مدينة طُلَيطُلة وغيرها من بلاد الأندلس، وقد تقدّم ذِكر ذلك.

ثم قصدوا سنة أربع وثمانين وأربعمائة جزيرة صَقَلّية وملكوها، وقد ذكرته أيضاً، وتطرّقوا إلى أطراف إفريقيّة، فملكوا منها شيئاً وأُخِذ منهم، ثم ملكوا غيره على ما نراه.

فلما كان سنة تسعين وأربعمائة خرجوا إلى بلاد الشام، وكان سبب خروجهم أنّ ملكهم بردويل جمع جمعاً كثيراً من الفرنج، وكان نسيب رُجار الفرنجي الذي ملك صَقَلّية، فأرسل إلى رُجار يقول له: قد جمعتُ جمعاً كثيراً، وأنا واصلٌ إليك، وسائر من عندك إلى إفريقية أفتحها، وأكون مجاوراً لك.

فجمع رُجار أصحابه، واستشارهم في ذلك، وقالوا: وحقّ الإنجيل هذا جيّد لنا ولهم، وتصبح البلاد بلاد النصرانيّة. فرفع رِجله وحَبَق حبقة عظيمة[1] وقال: وحقّ ديني، هذا خيرٌ من كلامكم! قالوا: وكيف ذلك؟ قال: إذا وصلوا إليّ أحتاج إلى كلفة كثيرة، ومراكب تحملهم إلى إفريقية، وعساكر مِنْ عندي أيضاً، فإن فتحوا البلاد كانت لهم، وصارت المؤونة لهم من صَقَلّية، وينقطع عنّي ما يصل من المال من ثَمَن الغلاّت كلّ سنة، وإن لم يُفلحوا رجعوا إلى بلادي، وتأذّيْتُ بهم، ويقول تميم غدرتَ بي، ونقضتَ عهدي، وتنقطع الوصلة والأسفار بيننا؛ وبلاد إفريقية باقية لنا، متى وجدنا قوّةً أخذناها.

---

(١) في(ب): «قوة». وفي تاريخ الإسلام(٤٩١ ـ ٥٠٠ هـ) ص ٧ «فضرط ضرطة»، والمثبت يتفق مع: نهاية الأرب ٢٨/ ٢٤٩.

وأحضر رسوله، وقال له: إذا عزمتم على جهاد المسلمين، فأفضل ذلك[1] فتح بيت المقدِس، تخلّصونه من أيديهم ويكون لكم الفخر، وأمّا إفريقية فبيني وبين أهلها أيمان وعهود. فتجهّزوا، وخرجوا إلى الشام[2].

وقيل: إنّ أصحاب مصر من العلويّين، لمّا رأوا قوّة الدولة السلجوقيّة، وتمكّنها واستيلاءها على بلاد الشام إلى غزّة، ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم، ودخول أقسيس[3] إلى مصر وحصرها، خافوا[4]، وأرسلوا إلى الفرنج يدعونهم إلى الخروج إلى الشام ليملكوه، ويكونوا بينهم وبين المسلمين، (والله أعلم)[5].

فلمّا عزم الفرنج على قصد الشام، ساروا إلى القُسطنطينيّة ليعبروا المَجاز إلى بلاد المسلمين، ويسيروا في البرّ، فيكون أسهل عليهم، فلمّا وصلوا إليها منعهم ملك الروم من الاجتياز ببلاده، وقال: لا أمكّنكم من العبور إلى بلاد الإسلام حتّى تحلفوا[6] لي أنّكم تسلّمون إليّ أنطاكية؛ وكان قصده [أن] يحثّهم على الخروج إلى بلاد الإسلام، ظنّاً منه أنّهم[7] أتراك لا يُبقون منهم أحداً، لما رأى من صرامتهم وملكهم البلاد.

فأجابوه إلى ذلك، وعبروا الخليج عند القُسطنطينيّة سنة تسعين [وأربعمائة]، ووصلوا إلى بلاد قِلِيج[8] أرسلان بن سليمان بن قُتُلْمِش، وهي قُونِيَةُ وغيرها، فلمّا وصلوا إليها لقِيهم قِلِيج[8] أرسلان في جموعه، ومنعهم، فقاتلوه فهزموه في رجب سنة تسعين [وأربعمائة]، واجتازوا في بلاده إلى بلاد ابن الأرمنيّ. فسلكوها، وخرجوا إلى أنطاكية فحصروها[9].

ولمّا سمع صاحبها ياغي[10] سيان بتوجّههم إليها، خاف من النصارى الذين بها، فأخرج المسلمين من أهلها، ليس معهم غيرهم، وأمرهم بحفر الخندق، ثم أخرج من الغد النصارى لعمل الخندق أيضاً، ليس معهم مسلم، فعملوا فيه إلى العصر، فلمّا

---

(١) في (ب): «فاقصد بذلك».
(٢) نهاية الأرب ٢٨/٢٥٠، تاريخ الإسلام(٤٩١ ـ ٥٠٠ هـ.) ص ٧، ٨.
(٣) في تاريخ الإسلام «أتسِز».
(٤) في الأوربية: «فخافوا».
(٥) من (ب)، وانظر: نهاية الأرب ٢٨/٢٤٩، ٢٥٠، وتاريخ الإسلام (٤٩١ ـ ٥٠٠ هـ.) ص ٨.
(٦) في الأوربية: «تحلفون».
(٧) في الأوربية: «أن».
(٨) في طبعة صادر ١٠/٢٧٤ «قَلَج».
(٩) ذيل تاريخ دمشق ١٣٤، نهاية الأرب ٢٨/٢٥١، تاريخ الإسلام (٤٩١ ـ ٥٠٠ هـ) ص ٨.
(١٠) في طبعة صادر ١٠/٢٧٤ «باغي»، والمثبت عن الباريسية، والمصادر.

أرادوا دخول البلد منعهم، وقال لهم: أنطاكية لكم تهبونها[1] لي حتّى أنظر ما يكون منّا ومن الفرنج؛ فقالوا له: من يحفظ أبناءنا ونساءنا؟ فقال: أنا أخلفكم فيهم؛ فأمسكوا، وأقاموا في عسكر الفرنج، فحصروها تسعة أشهر، وظهر من شجاعة ياغي سيان، وجودة رأيه، وحزمه، واحتياطه ما لم يشاهَد من غيره، فهلك أكثر الفرنج (موتاً، ولو بقوا على كثرتهم التي خرجوا فيها لطبّقوا بلاد الإسلام)[2]، وحفظ ياغي سيان أهل نصارى أنطاكية الذين أخرجهم، وكفّ الأيدي المتطرّقة إليهم.

فلمّا طال مُقام الفرنج على أنطاكية راسلوا أحد المستحفظين للأبراج، وهو زرّادٌ يُعرف برُوزَبه، وبذلوا له مالاً وأقطاعاً، وكان يتولّى حفظ برج يلي الوادي، وهو مبنيّ على شبّاك في الوادي، فلمّا تقرّر الأمر بينهم وبين هذا الملعون الزرّاد، جاؤوا إلى الشبّاك ففتحوه ودخلوا منه، وصعِد جماعة كثيرة بالحبال، فلمّا زادت عدّتهم على خمسمائة ضربوا البوق، وذلك عند السحَر، وقد تعب الناس من كثرة السهر والحراسة، فاستيقظ ياغي سيان، فسأل عن الحال، فقيل: إنّ هذا البوق من القلعة، ولا شكّ أنّها قد مُلكت؛ ولم يكن من القلعة، وإنّما كان من ذلك البرج، فدخله الرعب، وفتح باب البلد، وخرج هارباً في ثلاثين غلاماً (على وجهه)[3]، فجاء نائبه في حفظ البلد، فسأل عنه، فقيل إنّه هرب، فخرج من باب آخر هارباً، وكان ذلك معونة للفرنج، ولو ثبت ساعةً لهلكوا[4].

ثمّ إنّ الفرنج دخلوا البلد من الباب، ونهبوه، وقتلوا من فيه من المسلمين، وذلك في جُمادى الأولى.

وأمّا ياغي سيان فإنّه لمّا طلع عليه النهار رجع إليه عقله، وكان كالوَلهان[5]، فرأى نفسه وقد قطع عدّة فراسخ، فقال لمن معه: أين أنا؟ فقيل: على أربعة فراسخ من أنطاكية؛ فندم كيف خلص سالماً، ولم يقاتل حتّى يزيلهم عن البلد أو يُقتل، وجعل يتلهّف، ويسترجع على ترك أهله وأولاده والمسلمين، فلشدّة ما لحِقه سقَط عن فرسه مَغْشيّاً عليه، فلمّا سقط إلى الأرض أراد أصحابه أن يُركبوه، فلم يكن فيه مُسْكة [فإنّه

(١) في الأوربية: «تهبوها»
(٢) من (ب).
(٣) من (ب).
(٤) في (ب): «لم يملكوه».
(٥) في (ب): «كالدهان».

كان] قد قارب الموت فتركوه وساروا عنه، واجتاز به إنسان أرمنيٌّ كان يقطع الحطب، وهو بآخر رمَق، فقتله وأخذ رأسه وحمله إلى الفرنج بأنطاكية.

وكان الفرنج قد كاتبوا صاحب حلب، ودمشق، بأنّنا لا[1] نقصد غير البلاد التي كانت بيد الروم، لا نطلب سواها؛ مكراً منهم وخديعةً، حتّى لا يساعدوا صاحب أنطاكية[2].

ذكر مسير المسلمين إلى الفرنج وما كان منهم

لمّا سمع قوام الدولة كربوقا[3] بحال الفرنج، وملكهم أنطاكية، جمع العساكر وسار إلى الشام، وأقام بمَرْج دابِق، واجتمعت معه عساكر الشام، تُركها وعربها سوى من كان بحلب، فاجتمع معه دُقاق بن تُتُش وطُغتِكين[4] أتابِك، وجناح الدولة، صاحب حمص، وأرسلان تاش، صاحب سِنجَار، وسليمان بن أُرتُق، وغيرهم من الأمراء ممّن ليس مثلهم. فلمّا سمعت الفرنج عظُمت المصيبة عليهم، وخافوا لِما هم فيه من الوَهْن، وقلّة الأقوات عندهم، وسار المسلمون، فنازلوهم على أنطاكية، وأساء كربوقا السيرة، فيمن معه من المسلمين، وأغضب الأمراء[5] وتكبّر عليهم ظنّاً منه أنّهم يقيمون معه على هذه الحال، فأغضبهم ذلك، وأضمروا له في أنفسهم الغدر، إذا كان قتال، وعزموا على إسلامه عند المصدوقة[6].

وأقام الفرنج بأنطاكية، بعد أن ملكوها، اثني[7] عشر يوماً ليس لهم ما يأكلونه، وتقوّت الأقوياء بدوابّهم، والضعفاء بالمَيتة وورق الشجر، فلمّا رأوا ذلك أرسلوا إلى

---

(١) في (ب): زيادة: «نأخذ ولا».

(٢) انظر الخبر في تاريخ الزمان لابن العبري ١٢٤، ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٥٢، ٢٥٣، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٢١٠، وأعمال الفرنجة(لمؤرخ مجهول) ٧٠، والحروب الصليبية لوليم الصوري، ترجمة د. حسن حبشي ١/ ٣٥٩، ٣٦٠، والعبر ١/ ٣٣٠، ودول الإسلام ٢/ ١٩، ٢٠، وتاريخ الإسلام (٤٩١ - ٥٠٠ هـ) ص ٨، ٩، والإعلام والتبيين ٩، ومرآة الجنان ٣/ ١٥٤، وتاريخ ابن ألوردي ٢/ ١٠، والبداية والنهاية ١٢/ ١٥٥، وتاريخ ابن خلدون ٥/ ٢٠، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٤٦، ١٤٧، وتاريخ الأزمنة ٨٥.

(٣) في المختصر لأبي الفداء ٢/ ٢١٠«كربوغا» وفي تاريخ الإسلام ١٠ «كبربوقا». والمثبت يتفق مع: نهاية الأرب ٢٨/ ٢٥٣.

(٤) ويرِد في الأصل «طغدكين».

(٥) في الأوربية: «الآراء».

(٦) في (ب) «المصدر».

(٧) في (ب) : «ثلاثة».

كربوقا يطلبون منه الأمان ليخرجوا من البلد، فلم يُعطِهم ما طلبوا، وقال: لا تخرجون[1] إلاّ بالسيف.

وكان معهم من الملوك بردويل، وصَنجيل، وكُندفري، والقُمّص، صاحب الرُّها، وبَيمنُت[2]، صاحب أنطاكية، وهو المقدّم عليهم[3]. وكان معهم راهب مُطاع فيهم، وكان داهية من الرجال، فقال لهم: إنّ المسيح، عليه السّلام، كان له حَرْبة مدفونة بالقسيانِ الذي بأنطاكية، وهو بناء عظيم، فإنْ وجدتموها فإنّكم تظفرون، وإن لم تجدوها فالهلاك متحقّق.

وكان قد دفن قبل ذلك حربةً في مكانٍ فيه، وعفّى[4] أثرها، وأمرهم بالصوم والتوبة، ففعلوا ذلك ثلاثة أيّام، فلمّا كان اليوم الرابع أدخلهم الموضع جميعهم، ومعهم عامّتهم، والصُّنّاع منهم، وحفروا في جميع الأماكن[5] فوجدوها كما ذكر، فقال لهم: أبشِروا بالظَّفَر؛ فخرجوا في اليوم الخامس من الباب متفرّقين من خمسة، وستّة، ونحو ذلك، فقال المسلمون لكربوقا: ينبغي أن تقف على الباب، فتقتل كلّ من يخرج، فإنّ أمرهم الآن، وهم متفرّقون، سهل. فقال: لا تفعلوا! أمهلوهم حتّى يتكامل خروجهم فنقتلهم. ولم يمكّن من معاجلتهم[6]، فقتل قوم من المسلمين جماعة من الخارجين، فجاء إليهم هو بنفسه، ومنعهم، ونهاهم.

فلمّا تكامل خروج الفرنج، ولم يبق بأنطاكية أحد منهم، ضربوا مصافّاً عظيماً، فولّى المسلمون منهزمين، لِما عاملهم به كربوقا أوّلاً من الاستهانة بهم، والإعراض عنهم، وثانياً من منعهم عن قتل الفرنج، وتمّت الهزيمة عليهم، ولم يضرِب أحد منهم بسيف، ولا طعن برمحٍ، ولا رمى بسهم، وآخر من انهزم سُقمان بن أُرتُق، وجناح الدولة، لأنّهما كانا في الكمين، وانهزم كربوقا معهم. فلمّا رأى الفرنج ذلك ظنّوه مكيدة، إذ لم يجْرِ قتال يُنهزم من مثله، وخافوا أن يتبعوهم، وثبت جماعةٌ من المجاهدين، وقاتلوا حِسبةً، وطلباً للشهادة، فقتل الفرنج منهم ألوفاً، وغنموا ما في

---

(١) في الأوربية: «تخرجوا».
(٢) في الأصل: «سمنت». وهو «بوهموند».
(٣) في (ب) : «وهو مقدّم العسكر».
(٤) في الأوربية: «وعفّا».
(٥) في الأوربية: «الامكان».
(٦) في (ب): «مقاتلتهم».

العسكر من الأقوات والأموال والأثاث والدّوابّ والأسلحة، فصلحتْ حالهم، وعادت إليهم قوّتهم[1].

ذكر ملك الفرنج معرّة النُّعمان

لـمّا فعل الفرنج بالمسلمين ما فعلوا ساروا إلى مَعَرّة النّعمان، فنازلوها، وحصروها، وقاتلهم أهلُها قتالاً شديداً، ورأى الفرنج منهم شدّةً ونكاية، ولقوا منهم الجدّ في حربهم، والاجتهاد في قتالهم، فعملوا عند ذلك برجاً من خشب يوازي سور المدينة، ووقع القتال عليه، فلم يضرّ المسلمين ذلك، فلمّا كان الليل خاف قوْم من المسلمين، وتداخلهم الفشل والهلع، وظنّوا أنّهم إذا تحصّنوا ببعض الدُّور الكبار امتنعوا بها، فنزلوا من السور وأخلوا الموضع الذي كانوا يحفظونه، فرآهم طائفة أخرى، ففعلوا كفِعلهم، فخلا مكانهم أيضاً من السور.

(ولم تزل تتبع طائفة منهم التي تليها في النزول، حتّى خلا السور، فصعِد الفرنج إليه على السلاليم، فلمّا علَوه تحيّر المسلمون)[2]، ودخلوا دُورهم، فوضع الفرنج فيهم السيف ثلاثة أيّام، فقتلوا ما يزيد على مائة ألف، وسبوا السبي الكثير، وملكوه، وأقاموا أربعين يوماً. وساروا إلى عِرْقَةَ فحصروها أربعة أشهر، ونقبوا سورها عدّة نقوب، فلم يقدروا عليها، وراسلهم مُنقِذ، صاحب شَيْزَر، فصالحهم عليها، وساروا إلى حِمص وحصروها، فصالحهم صاحبها جناح الدولة، وخرجوا على طريق النواقير إلى عكّا، فلم يقدورا عليها[3].

ذكر الحرب بين الملك سَنجَر ودولتشاه

كان دَوْلَتْشاه من أبناء الملوك السلجوقية، فاجتمع عليهم جمع من عساكر بَيْغُوا

---

(1) تاريخ الزمان ١٢٤، تاريخ مختصر الدول ١٩٦، نهاية الأرب ٢٨/ ٢٥٤، دول الإسلام ٢/ ٢٠، تاريخ الإسلام ١١، ١٢، الإعلام والتبيين ١٠، الحروب الصليبية ١/ ٣٩٦، أعمال الفرنجة ٨٢، ٨٣، تاريخ الرهاوي ٢/ ٤٥٧، النجوم الزاهرة ٥/ ١٤٧، ١٤٨، البداية والنهاية ١٢/ ١٥٥، تاريخ ابن خلدون ٥/ ١٤٨، المختصر لأبي الفداء ٢/ ٢١١.

(2) ما بين القوسين من (ب).

(3) تاريخ حلب ٣٦٠ (٢٦)، تاريخ الزمان ١٢٤، تاريخ مختصر الدول ١٩٧، أخبار الدول المنقطعة ٨٢، زبدة الحلب ٢/ ١٤١، ١٤٢، نهاية الأرب ٢٨/ ٢٥٥، ٢٥٦، المختصر ٢/ ٢١١، العبر ٣/ ٣٣٠، دول الإسلام ٢/ ٢٠، تاريخ الإسلام ١٢، الدُرّة المضيّة ٤٥٢، مرآة الجنان ٣/ ١٥٤، البداية والنهاية ١٢/ ١٥٥، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٢٠، مآثر الإنافة ٢/ ١٥، إتعاظ الحنفا ٣/ ٢٣، الإعلام والتبيين ٩، النجوم الزاهرة ٥/ ١٤٦و١٦١، شذرات الذهب ٣/ ٣٩٦، تاريخ الأزمنة ٨٧ وفيه: قتلوا منهم نحو عشرة الآف .

أخي طُغْرُلْبك، وكانوا بطخارستان، فأخذوا وَلْوالِجَ وكمنج، فسار إليهم السلطان سَنجَر وعساكره، فوصل إلى بَلْخ، فدخلها في رجب من هذه السنة، وخرج منها لقتال دَوْلَتْشاه، فلم يكن له من الجموع ما ثبت مقابل عسكر سَنجَر، فقاتلوا شيئاً من قتال، وانهزموا، وأخذوا دَوْلتشاه أسيراً، وأُحضر عند سَنجَر، فعفا عنه من القتل، وحبسه، ثم بعد ذلك كحله، وسيّر سَنجَر جيشاً إلى مدينة تِرمِذ، فملكوها، وسلّمها إلى طُغْرَلتكين[1].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة فتح تميم بن المعزّ بن باديس، صاحب إفريقية، جزيرة جَرْبَةَ وجزيرة قَرْقَنَةَ[2]، ومدينة تُونُس، وكان بإفريقية غلاء شديد هلك فيه كثير من الناس[3].

وفيها أرسلَ الخليفة رسولاً إلى السلطان بركيارق مستنفراً على الفرنج، ومبالغاً في تعظيم الأمر وتداركه قبل أن يزداد قوّة.

[الوفيات]

وفي هذه السنة، في شعبان، توفيّ أبو الحسين[4] أحمد بن عبد القادر بن محمّد بن يوسف، ومولده سنة اثنتي عشرة وأربعمائة، وكان فاضلاً في الحديث.

وفيها توفّي أبو الفضل عبد الوهّاب بن أبي محمّد[5] التميميُّ الحنبليُّ، وكان فاضلاً، فصيحاً.

وفيها، في شوّال، توفّي طِراد بن محمّد الزينبيُّ[6]، وهو عالي الإسناد في الحديث، ووليَ نقابة العباسيّين من بعده ابنه شرف الدين عليّ بن طِراد.

---

(١) انظر نهاية الأرب ٢٦/ ٣٤٠.

(٢) قرقنّة: في مقابل سفاقس، بينهما عشرة أميال. (البكري ٢٠).

(٣) نهاية الأرب: ٢٤/ ٢٣٤.

(٤) في طبعة صادر ١٠/ ٢٧٩ «أبو الحسن» والتصحيح من (ب) ومصادر ترجمته التي ذكرتها في تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٢ هـ) ص ١١٥ رقم ٥٦.

(٥) هو عبد الوهاب بن رزق الله بن عبد الوهاب . انظر عنه في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩١ هـ) ص ١٠٢ رقم ٣٧، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٨٥ رقم ٨٢.

(٦) انظر عن (طِراد الزينبي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩١ هـ) ص ٩٥ ـ ٩٧ رقم ٢٤ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

وفيها، في ذي القعدة، توفّي أبو الفتح المظفّر[1] بن رئيس الرؤساء أبي القاسم بن المُسلمة، وكان بيته مجمع الفُضلاء وأهل الدّين، ومن جملة من كان عنده إلى أن توفّي الشيخ أبو إسحاق الشيرازيُّ.

وفيها توفّي أبو الفرج سهل بن بِشْر[2] بن أحمد الإسْفَرايينيُّ، وهو من أعيان المحدّثين.

---

(١) انظر عن (المظفر) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩١ هـ) ص ١٠٧، ١٠٨ رقم ٤٨ وفيه مصادر ترجمته.

(٢) في (ب) «شير». والمثبت هو الصحيح. انظر عنه في تاريخ الإسلام(وفيات ٤٩١ هـ) ص ٩٣، ٩٤ رقم ٢٣ وفيه مصادر ترجمَته.

٤٩٢
ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة

ذكر عصيان الأمير أُنَر[١] وقتله

لمّا سار السلطان بركيارُق إلى خُراسان ولّى الأميرَ أُنَر[١] بلاد فارس جميعها، وكانت قد تغلّب عليها الشوانكارة[٢] على اختلاف بطونهم وقبائلهم، واستعانوا بصاحب كَرمَان إيران شاه[٣] بن قاورت[٤]، فاجتمعوا، وصافّوا الأمير أُنَر، وكسروه، وعاد مفلولاً إلى أصبهان، وأرسل إلى السلطان يستأذنه في اللّحاق به إلى خُراسان، فأمره بالمُقام ببلد الجبال، وولاّه إمارة العراق، وكاتب العساكر المجاورة له بطاعته. فأقام بأصبهان، (وسار منها إلى أقطاعه بأَذَرْبَيْجان، وعاد وقد انتشر أمر الباطنيّة بأصبهان، فندب نفسه لقتالهم)[٥]، وحصر قلعة على جبل أصبهان.

واتّصل به مؤيّد المُلْك بن نظام المُلْك، وكان ببغداذ، فسار منها إلى الحلّة، فأكرمه صَدَقَة، وسار من عنده إلى الأمير أُنَر، فلمّا اجتمع بالأمير أُنَر خوّفه هو وغيره من السلطان بركيارق، وعظّموا عليه الاجتماع به، وحسّنوا له البُعد عنه، وأشاروا عليه بمكاتبة غِياث الدين محمّد بن ملكشاه، وهو إذ ذاك بكَنْجَةَ، فعزم على المخالفة للسلطان، وتحدّث فيه، فظهر ذلك، فزاد خوفه من السلطان، فجمع من العساكر المعروفين بالشجاعة نحو عشرة آلاف فارس، وسار من أصبهان إلى الريّ، وأرسل إلى السلطان يقول: إنّه مملوك، ومطيع، إن سلّم إليه مجد المُلْك البلاسانيّ، وإن لم يسلّمه إليه فهو عاصٍ خارج عن الطاعة.

---

(١) في (ب) «أنز»، وكذا في أصل المخطوط من تاريخ الإسلام . وفي نهاية الأرب ٢٦/ ٣٤١ «أتسز».

(٢) في (ب) «الشوانكار»، وفي الباريسية: «شوانكارة».

(٣) في (ب) «انران شاه»، والباريسية: «انر بن شاه».

(٤) في تاريخ الإسلام: «قاروت».

(٥) في (ب): «فهرب الى قتالهم».

فبينما هو يُفْطِر، وكانت عادته [أن] يصوم أيّاماً من الأسبوع، فلمّا قارب الفراغ من الإفطار هجم عليه ثلاثة نفر من الأتراك المولّدين بخُوارزم، وهم من جُملة خيله، فصدم أحدهم المِشْعَل فألقاه، وصدم الآخر الشمعة فأطفأها، وضربه الثالث بالسكّين فقتله، وقتل معه جانْداره، واختلط الناس في الظُّلْمة، ونهبوا خزائنه، وتفرّق عسكره، وبقي مُلقىً فلم يوجد ما يُحمل عليه، ثم حُمل إلى داره بأصبهان، ودُفن بها.

ووصل خبر قتله إلى السلطان بركيارق، وهو بخُوارِ الرَّيّ، قد خرج من خُراسان عازماً على قتاله، وهو على غاية الحذر من قتاله وعاقبة أمره، وفرح مجد المُلك البلاسانيُّ بقتله، وكان له مثل يومه عن قريب، وكان عمر أُنَر سبعاً[1] وثلاثين سنة، وكان كثير الصوم والصلاة والخير[2] والمحبّة للصالحين[3].

ذكر ملك الفرنج، لعنهم الله، البيت المقدّس

كان البيت المقدّس لتاج الدولة تُتُش، وأقطعه للأمير سُقمان[4] بن أُرتُق التركمانيّ، فلمّا ظفر الفرنج بالأتراك على أنطاكية، وقتلوا فيهم، ضعُفوا، وتفرّقوا، فلمّا رأى المصريّون ضعف الأتراك ساروا إليه، ومقدّمهم الأفضل بن بدر الجماليُّ، وحصروه، وبه الأمير سُقمان، وإيلغازي ابنا أُرتُق، وابن عمّهما سونج، وابن أخيهما ياقوتي، ونصبوا[5] عليه نيّفاً وأربعين منجنيقاً، فهدموا مواضع من سوره، وقاتلهم أهل البلد، فدام القتال[6] والحصار نيّفاً وأربعين يوماً، وملكوه بالأمان في شعبان سنة تسعٍ وثمانين وأربعمائة.

وأحسن الأفضل إلى سُقمان وإيلغازي ومَن معهما، وأجزل لهم العطاء، وسيّرهم فساروا إلى دمشق، ثم عبروا[7] الفرات، فأقام سُقمان ببلد الرُّها وسار إيلغازي إلى العراق، واستناب المصريّون فيه رجلاً يُعرف بافتخار الدولة، وبقي فيه إلى الآن. فقصده

---

(١) في الأوربية: «سبع».
(٢) من الباريسية.
(٣) تاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٢ هـ) ص ١٥، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٢٠، ٢١، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٤١، ٣٤٢.
(٤) في الباريسية: «سكمان».
(٥) في الأوربية: «ونصب».
(٦) في الباريسية: «المنجنيق».
(٧) في الأصل: «عبر».

الفرنج، بعد أن حصروا عكّا، فلم يقدروا عليها، فلمّا وصلوا إليه حصروه نيّفاً وأربعين يوماً، ونصبوا عليه برجَيْن أحدهما من ناحية صِهيَوْن، وأحرقه المسلمون، وقتلوا كلّ من به.

فلمّا فرغوا من إحراقه أتاهم المستغيث بأنّ المدينة قد مُلكتْ من الجانب الآخر، وملكوها من جهة الشمال[1] منه ضَحوة نهار يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان، وركب الناسَ السيفُ، ولبث الفرنج في البلدة أُسبوعاً يقتلون فيه المسلمين، واحتمى جماعة من المسلمين بمحراب داود، فاعتصموا به، وقاتلوا فيه ثلاثة أيّام، فبذل لهم الفرنج الأمان، فسلّموه إليهم، ووفى[2] لهم الفرنج، وخرجوا ليلاً إلى عَسْقَلان فأقاموا بها.

وقتل الفرنج، بالمسجد الأقصى، ما يزيد على سبعين ألفاً، منهم جماعة كثيرة من أئمّة المسلمين، وعلمائهم، وعُبّادهم، وزُهّادهم، ممّن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف، وأخذوا من عند الصخرة نيّفاً وأربعين قِنديلاً من الفضّة، وزن كلّ قِنديل ثلاثة آلاف وستّمائة درهم، وأخذوا تَنّوراً من فضّة وزنه أربعون[3] رِطلاً بالشامي، وأخذوا من القناديل الصغار[4] مائة وخمسين قنديلاً (نُقْرة، ومن الذهب نيّفاً وعشرين قنديلاً)[5]، وغنموا منه ما لا يقع عليها الإحصاء.

وورد المستَنفرون من الشام، في رمضان، إلى بغداذ صُحبة القاضي أبي سعد الهَرَويّ، فأوردوا في الديوان كلاماً أبكى العيون، وأوجع القلوب، وقاموا بالجامع يوم الجمعة، فاستغاثوا، وبكوا وأبكوا[6]، وذُكر ما دهم المسلمين بذلك البلد الشريف المعظَّم مِن قتْل الرجال، وسبْي الحريم والأولاد، ونهب الأموال، فلشدّة ما أصابهم أفطروا، فأمر الخليفة أن يُسَيّر القاضي أبو محمّد الدّامغانيُّ، وأبو بكر الشاشيُّ، وأبو القاسم الزَّنْجانيُّ، وأبو الوفا بن عُقيل، وأبو سعد الحُلوانيُّ، وأبو الحسين بن سماك[7]، فساروا إلى حُلوان، (فبلغهم قتل)[8] مجد المُلك البلاسانيّ، على ما نذكره، فعادوا من

---

(١) في الأوربية: «الشماليّ».

(٢) في الأوربية: «ووفا».

(٣) في الأوربية: «أربعين».

(٤) في الأوربية: «الصفار».

(٥) من (ب).

(٦) من (ب).

(٧) في (ب): «السماك».

(٨) في الباريسية: «فمنعهم».

غير بلوغ أرَب، ولا قضاء حاجة[1].

واختلف السلاطين على ما نذكره، فتمكّن الفرنج من البلاد، فقال أبو المظفّر الآبِيوردِيُّ، في هذا المعنى، أبياتاً منها:

مَزَجْنَا دِماءً بالدُّموعِ السّواجمِ، ... فلم يَبقَ منّا عُرضةٌ[2] للمَراحمِ
وشرُّ سلاح المَرْءِ دَمعٌ يُفيضُهُ[3]، ... إذا الحربُ شُبّتْ نارُها بالصَّوارمِ
فإيهاً، بني الإسلامِ، إنّ وراءكم ... وقائعَ يُلحِقْنَ الذُّرى بالمناسِمِ
أتَهْويمةٌ في ظلّ أمْنٍ وغِبطةٍ، ... وعيشٍ كنُوّارِ الخَميلةِ ناعمِ
وكيفَ تنامُ العَينُ ملءَ جُفونها، ... على هفَواتٍ[4] أيقظتْ كلَّ نائمِ
وإخوانُكم بالشام يُضحي[5] مَقيلُهم ... ظهورَ المَذاكي، أو بُطونَ القَشاعمِ
تَسُومُهُمُ الرُّومُ الهوانَ، وأنتُمُ ... تَجُرُّونَ ذَيلَ الخَفْضِ فعلَ المُسالمِ
وكَم من دماء قد أُبيحَت، ومن دُمىً[6] ... تَوارَى حياءً حُسْنُها بالمَعاصِمِ
بحيثُ السيوفُ البيضُ مُحْمَرَّةُ الظُّبى ... وسُمْرُ العَوالي داميَاتُ اللّهاذِمِ
وبينَ اختلاسِ الطَّعْنِ والضَّربِ وقفةٌ[7] ... تَظَلُّ لها الوِلْدانُ شيبَ القَوادِمِ
وتلكَ حروبٌ مَن يَغِبْ عن غمارِها ... ليسلَمَ، يَقرَعْ بَعدَها سنَّ نادِمِ
سَلَلْنَ بأيدي المُشركينَ قَواضباً، ... ستُغْمَد منهم في الطُّلى والجَماجِمِ
يَكادُ[8] لَهُنَّ المُستَجِنُّ[9] بطيبةٍ ... يُنادي بأعلَى الصَّوتِ يا آلَ هاشِمِ

---

(١) انظر عن سقوط بيت المقدس في: ذيل تاريخ دمشق ١٣٧، والمنتظم ٩/ ١٠٥(١٧/ ٤٧)، وتاريخ مختصر الدول ١٩٧، ووفيات الأعيان ١/ ١٧٩، والمختصر لأبي الفداء ٢/ ٢١١، وأعمال الفرنجة ١١٨، ١١٩، والألكسيا لأنا كومينا ١٦٦، وتاريخ الرهاوي ٢/ ٤٥٩، والعبر ٣/ ٣٣٢، ودول الإسلام ٢/ ٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٢ هـ.) ص ١٥ـ ١٧، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١١، ومرآة الجنان ٣/ ١٥٤ و ١٥٨، والإعلام والتبيين ١١، ومآثر الإنافة٢/ ١٥، واتعاظ الحنفا ٣/ ٢٣، وتاريخ الخلفاء ٤٢٧، والجوهر الثمين ١٩٩، وتاريخ ابن خلدون ٥/ ٢١، وشذرات الذهب ٣/ ٣٩٧، وأخبار الدول ٢/ ١٦٧، وتاريخ الأزمنة ٨٩، ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٥٦ـ ٢٥٨.

(٢) في الأوربية: «عرصة».

(٣) في البداية والنهاية: «يريقه».

(٤) في (ب) وتاريخ ابن الوردي: «هبوات». وفي الباريسية: «هعوات» وفي المنتظم «هنوات».

(٥) في الباريسية: «نضحي».

(٦) في المختصر «ومن دم».

(٧) في (ب) «وقعة».

(٨) في المنتظم، والنجوم الزاهرة «وكاد».

(٩) في البداية والنهاية: «المستجير».

أرَى أُمّتي لا يَشرَعُونَ إلى العِدَى	رماحَهم، والدّينُ واهي الدَّعائمِ
ويَجتَنِبُونَ النارَ خَوفاً من الرَّدَى،	ولا يَحسَبُون العارَ ضَربةَ لازِمِ
أترضى صَناديدُ الأعاريب بالأذَى،	ويُغضي[1] على ذُلٍّ كُماةُ الأعاجمِ

ومنها:

فَليتهُمُ، إذ لم يَذُودوا[2] حَمِيّةً	عن الدِّين، ضنّوا غيرةً بالمَحارمِ
وإنْ زهدوا في الأجر، إذ حَمس الوَغى،	فهَلاً أتَوْه رَغبةً في الغَنائمِ
لَئن أذعنَتْ تلك الخَياشيمُ للبُرَى،	فلا عَطَسُوا[3] إلاّ بأجْدعَ راغِمِ
دَعَوْناكُمُ، والحربُ ترنُو مُلِحّةً	إلينا، بألحاظ النّسورِ القَشاعِمِ
تُراقبُ فينا غارةً عَربيّةً،	تُطِيلُ عليها الرُّومُ عَضَّ الأباهمِ
فإنْ أنتُمُ لم تَغضَبُوا بعدَ هذِهِ،	رمَيْنَا إلى أعدائِنا بالجَرائمِ[4]

ذكر الحرب بين المصريّين والفرنج

في هذه السنة، (في رمضان)[5]، كانت وقعة بين العساكر المصريّة والفرنج، وسببها أنّ المصريّين لمّا بلغهم ما تمّ على أهل القُدس، جمع الأفضل أميرُ الجيوش العساكر، وحشد، وسار إلى عَسْقَلان، وأرسل إلى الفرنج ينكر عليهم ما فعلوا، ويتهدّدهم، فأعادوا الرسول بالجواب ورحلوا على[6] أثره، وطلعوا على المصريّين، عُقَيْب وصول الرسول، ولم يكن عند المصريّين خبرٌ من وصولهم، ولا من حركتهم، ولم يكونوا على أُهبَةِ القتال، فنادوا إلى ركوب خيولهم، ولبسوا أسلحتهم، وأعجلهم الفرنج، فهزموهم، وقتلوا منهم من قُتل، وغنموا ما في المعسكر من مال وسلاح وغير ذلك.

وانهزم الأفضل، فدخل عَسقَلان[7]، ومضى جماعة من المنهزمين فاستتروا بشجر

---

(١) في (ب): «ويقضي» وفي تاريخ ابن الوردي «تقضي».
(٢) في تاريخ الإسلام «يردّوا».
(٣) في (ب): «عطشوا».
(٤) انظر الأبيات أو بعضها في: المنتظم ١٠٨/٩(٤٧/١٧، ٤٨)، والمختصر ١١/٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٢ هـ.) ص ١٨، ١٩، وتاريخ ابن الوردي ١١/٢، والنجوم الزاهرة ١٥١/٥، وتاريخ الخلفاء ٤٢٧، ٤٢٨، والبداية والنهاية ١٥٦/١٢، ١٥٧.
(٥) من (ب).
(٦) في (ب): «في».
(٧) من الباريسية.

الجُمّيز، وكان هناك كثيراً، فأحرق الفرَنج بعضَ الشّجَر، حتّى هلَك مَن فيه، وقتلوا مَن خرج منه، وعاد الأفضل في خواصّه إلى مصر، ونازل الفرَنجُ عَسْقَلان، وضايقوها، فبذل لهم أهلها قطيعة اثني عشر ألف دينار، وقيل عشرين ألف دينار، ثم عادوا إلى القُدس(١).

ذكر ابتداء ظهور السلطان محمّد بن ملكشاه

كان السلطان محمّد وسَنجَر أخوين(٢) لأمّ وأبٍ، أمّهما أمّ ولد، ولمّا مات أبوه ملكشاه كان محمّد معه ببغداذ، فسار مع أخيه محمود، وتركان خاتون زوجة والده إلى أصبهان، ولمّا حصر بركيارُق أصبهان خرج محمّد متخفّياً، ومضى إلى والدته، وهي في عسكر أخيه بركيارُق، وقصد أخاه السلطان بركيارق، وسار معه إلى بغداذ سنة ستّ وثمانين وأربعمائة، وأقطعه بركيارق كَنْجَةَ وأعمالها، وجعل معه أتابكاً له الأمير قتلغ(٣) تكين، فلمّا قوي محمّد قتله، واستولى على جميع أعمال أرَّان الذي من جملته كَنْجَة، فعرف ذلك الوقت شهامة محمّد.

وكان السلطان(٤) ملكشاه قد أخذ تلك البلاد من فضلون بن أبي الأسوار الروادِيّ، وسلّمها إلى سرهنك ساوتكين الخادم، وأقطع فضلون أسْتَراباذ، وعاد فضلون ضمن بلاده، ثم عصى فيها لمّا قوي، فأرسل السلطان إليه الأمير بُوزان، فحاربه وأسره، وأقطع بلاده لجماعة منهم: ياغي(٥) سيان، صاحب أنطاكية، ولمّا مات ياغي(٥) سيان عاد ولده إلى ولاية أبيه في هذه البلاد، وتوفّي فضلون ببغداذ سنة أربعٍ وثمانين [وأربعمائة] وهو على غايةٍ من الإضاقة في مسجد على دجلة.

وقد ذكرنا فيما تقدّم تنقل الأحوال بمؤيّد المُلك عُبيد الله بن نظام المُلك، وأنّه كان عند الأمير أُنَر، فحسّن له عصيان السلطان بركْيارُق، فلمّا قُتل أُنَر سار إلى الملك محمّد، فأشار عليه بمخالفة أخيه، والسعي في طلب السلطنة، ففعل ذلك، وقطع خطبة بركيارق(من بلاده)(٦)، وخطب لنفسه بالسلطنة واستوزر مؤيّد الملك.

---

(١) تاريخ الزمان ١٢٥، ذيل تاريخ دمشق ١٣٧، أعمال الفرنجة ١٢٤، دول الإسلام ٢/ ٢١، تاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٢ هـ.) ص ١٩، ٢٠، الإعلام والتبيين ١١، الجوهر الثمين ١٩٩، النجوم الزاهرة ٥/ ١٤٩.

(٢) في الأوربية: «أخوان».

(٣) في (ب): «صالح».

(٤) في الباريسية زيادة: «محمد بن».

(٥) في طبعة صادر ١٠/ ٢٨٧«باغي».

(٦) من الباريسية.

واتّفق قتل مجد الملك البلاسانيّ[١]، واستيحاش العسكر من السلطان بركْيارُق، وفارقوه وساروا نحو السلطان محمّد، فلقوه بخُرَّقان، فصاروا معه، وساروا نحو الرَّيّ.

وكان السلطان بركْيارُق لمّا فارقه عسكره سار مُجِدّاً إلى الرَّيّ، فأتاه بها الأمير ينّال بن أنوشتكين الحسامي، وهو من أكابر الأمراء، ووصل إليه أيضاً عزّ المُلك منصور بن نظام المُلك، وأمّه ابنة ملكَ الأبخاز، ومعه عساكر جمّة، فبلغه مسير أخيه محمّد إليه في العساكر، فسار من الريّ إلى أصفهان، فلم يفتح أهلها له الأبواب، فسار إلى خُوزِسْتان، على ما نذكره.

وورد السلطان محمّد إلى الريّ ثاني ذي القعدة، فوجد زُبيدة خاتون والدة أخيه السلطان بركْيارُق قد تخلّفت بعد ابنها، فأخذها مؤيّد المُلك وسجنها في القلعة، وأخذ خطّها بخمسة آلاف دينار، وأراد قتلها، وأشار عليه ثقاته أن لايفعل ذلك، فلم يقبل منهم، وقالوا له: العسكر محبّون لولدها، وإنّما استوحشوا منه لأجلها، ومتى قُتلت عدلوا عليه[٢]، فلا تغترّ بهؤلاء الجُند، فإنهم غدروا بمن أحسن إليهم أوثق ما كان بهم، فلم يُصْغِ إلى قولهم، ورفعها إلى القلعة، وخُنقت، وكان عمرها اثنتين وأربعين سنة. فلمّا أسرَ السلطان بركْيارُق مؤيّد المُلك رأى خطّه في تذكرته بخمسة آلاف دينار، فكان أعظم الأسباب في قتله[٣].

ذكر الخطبة ببغداذ للملك محمّد

لمّا قوي أمر السلطان محمّد سار إليه سعد الدولة كوهرائين من بغداذ، وكان قد استوحش من السلطان بركْيارُق، فاجتمع هو وكربوقا، صاحب الموصل، وجكرمش، صاحب الجزيرة[٤]، وسُرخاب بن بدر، صاحب كِنْكَوَر، وغيرها، فساروا إلى السلطان محمّد، فلقوه بقُمّ، فردّ سعد الدولة إلى بغداذ، وخلع عليه، وسار كربوقا وجكرمش في خدمته إلى أصبهان، ولمّا وصل كوهرائين إلى بغداذ خاطب الخليفة في الخطبة للسلطان محمّد، فأجاب إلى ذلك، وخُطب له يوم الجمعة سابع عشر ذي الحجّة،

---

(١) في نهاية الأرب، وتاريخ الإسلام «الباسلاني» وفي تاريخ ابن خلدون: «البارسلاني» و «الباسلاني». (٣/ ٤٨٢) و (٥/ ٢٢).

(٢) في (ب): «اليه».

(٣) نهاية الأرب ٢٦/ ٣٤٢، المختصر ٢/ ٢١٢، دول الإسلام ٢/ ٢٢، تاريخ الإسلام ٢٠، ٢١، مرآة الجنان ٣/ ١٥٤، البداية والنهاية ١٢/ ١٥٧، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٢.

(٤) في (ب): «جزيرة ابن عمر».

ولُقّب «غياب الدنيا والدين»[١].

ذكر قتل مجد الملك البلاسانيّ

قد ذكرنا تحكّم مجد المُلك أبي الفضل أسعد بن محمّد في دولة السّلطان بركْيارُق، وتمكّنه منها. فلمّا بلغ الغاية التي لامزيدَ عليها جاءته نكبات الدنيا ومصائبها من حيث لايحتسب.

وأمّا سبب قتله، فإنّ الباطنيّة لمّا توالى منهم قتلُ الأمراء الأكابر من الدولة السلطانيّة، نسبوا ذلك إليه، وأنه هو الذي وضعهم على قتل من قتلوه، وعظّم ذلك قتلُ الأمير بُرْسُق، فاتّهم أولادُه زنكي واقبوري وغيرهما، مجدَ المُلك بقتله، وفارقوا السلطان.

(وسار السلطان إلى زَنجَان لأنه بلغه خروج السلطان محمّد)[٢] عليه، على ما ذكرناه، فطمع حينئذٍ الأمراء، فأرسل أمير آخر، وبلكابك، وطغايرك بن اليزن[٣]، وغيرهم، إلى الأمراء بني بُرسُق يستحضرونهم إليهم ليتّفقوا معهم على مطالبة السلطان بتسليم مجد المُلك إليهم ليقتلوه، فحضروا عندهم، فأرسلوا إلى السلطان بركْيارُق، وهم بِسِجَاس، مدينة قريبة من هَمذان، يلتمسون تسليمه إليهم، ووافقهم على ذلك العسكر جميعه، وقالوا: إن سُلّم إلينا فنحن العبيد الملازمون للخدمة، وإنْ منعنا فارقنا، وأخذناه قهراً. فمنع السلطان منه، فأرسل مجد المُلك إلى السلطان يقول له: المصلحة أن تحفظ أمراء دولتك، وتقتلني أنت لئلاّ يقتلني القوم فيكون فيه وهنٌ على دولتك. فلم تَطِبْ نفس السلطان بقتله، وأرسل إليهم يستحلفهم على حِفْظِ نفسه، وحبسه في بعض القلاع، فلمّا حلفوا سلّمه إليهم، فقتله الغلمان قبل أن يصل إليهم، فسكنت الفتنة.

ومن العجب أنه كان لايفارقه كَفنُه سَفَراً وحَضَراً، ففي بعض الأيّام فتح خازنه صندوقاً، فرأى الكفَن، فقال: وما أصنع بهذا؟ إنّ أمري لايؤول إلى كفن، والله ما أبقى إلاّ طريحاً على الأرض. فكان كذلك، ورُبّ كلمةٍ تقول لقائلها دَعْني.

ولمّ قُتل حُمل رأسه إلى مؤيّد[٤] المُلك بن نظام المُلك. وكان مجد المُلك خيّراً،

---

(١) تاريخ الزمان ١٢٥، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٤٣، المختصر ٢/ ٢١٢، العبر ٣/ ٣٣٣، دول الإسلام ٢/ ٢٢، تاريخ الإسلام ٢١، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١١، تاريخ الخلفاء ٤٢٨.

(٢) في (ب) « محمود ومؤيد الملك».

(٣) في الباريسية: «النزن»، وفي (ب): «النون».

(٤) في الأوربية: «يؤيد».

كثير الصلاة بالليل، كثير الصدقة، لاسيّما على العلويّين وأرباب البيوتات[1]، وكان يكره سفك الدماء، وكان يتشيَّع إلاّ أنّه كان يذكر الصحابة ذِكراً حسناً، ويعلن من يسبّهم. ولمّا قُتل أرسل الأمراء يقولون للسلطان: المصلحة أن تعود إلى الريّ، ونحن نمضي إلى أخيك فنقاتله ونقضي هذا المهمّ. فسار بعد امتناع، وتبعه مائتا فارس لا غير، ونهب العسكر سُرادق السلطان ووالدته وجميع أصحابه، وعاد إلى الريّ، وسار العسكر إلى السلطان محمّد[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في شعبان، وصل إلْكِيا أبو الحسن عليُّ بن محمّد الطبريُّ المعروف بالهرّاس، الفقيه الشافعيُّ، ولقبُه عماد الدين شمس الإسلام، برسالة من السلطان بركْيارُق إلى الخليفة، وهو من أصحاب إمام الحرمَيْن أبي المعالي الجوَينيّ، ومولده سنة خمسين وأربعمائة، واعتنى بأمره مجد المُلك البلاسانيُّ، وقام له الوزير عميد الدولة بن جَهِير لمّا دخل عليه.

وفيها قُتل أبو القاسم ابن إمام الحرمَيْن(أبي المعالي الجُوَيْنيّ)[3] بنَيسابور، وكان خطيبها، واتّهم العامّة أبا البركات الثعلبيّ بأنّه هو الذي سعى في قتله،فوثبوا به فقتلوه وأكلوا لحمه.

وفيها كان بخُراسان غلاء شديد، تعذّرت فيه الأقوات، ودام سنتَيْن، وكان سببه أنّ البرد أهلك الزروع جميعها، ولحق الناس بعده وباء جارف، فمات منهم(خلق كثير)[4] عجزوا عن دفنهم لكثرتهم[5].

[الوفيات]

وفيها، في شعبان، توفّي أبو الغنائم الفارقيُّ[6]، الفقيه الشافعيُّ، بجزيرة ابن عُمَر، وكان إماماً فاضلاً زاهداً.

---

(١) في (ب): «البيوت».

(٢) انظر عن (البلاساني) في: المناقب المزيدية ٤٢٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٨٠ رقم ١٠٠، وتاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٢ هـ.) ص ١٣٤، ١٣٥ رقم ٩٢.

(٣) من الباريسية.

(٤) من الباريسية وفيها زيادة «من».

(٥) المنتظم ٩/ ١٠٩، تاريخ الإسلام ٢١، البداية والنهاية ١٢/ ١٥٧.

(٦) تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٢ هـ.) ص ١٣٥ رقم ٩٣.

وفيها، في صفر، توفّي أبو عبد الله الحسين بن طلحة النعاليُّ، وعمره نحو تسعين سنة، وكان عالي الإسناد في الحديث، وقيل توفّي سنة ثلاثٍ وتسعين [وأربعمائة][1].

وفيها، في شعبان، توفّي أبو غالب محمّد بن عليّ بن عبد الواحد بن الصبّاغ[2] الفقيه الشافعيُّ، تفقه على ابن عمّه أبي نصر، وكان حسن الخُلق، متواضعاً.

---

(١) وبها ورّخه الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام ص ١٤٨ ـ ١٥٠ رقم ١١٨ وغيره من المؤرخين الذين ذكرت مصادرهم بالحاشية رقم (٤).

(٢) انظر عن (ابن الصّبّاغ) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٢ هـ.) ص ١٣٤ رقم ٩١.

٤٩٣
ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة

ذكر إعادة خطبة السلطان بركْيارُق ببغداذ

في هذه السنة أُعيدت الخطبة للسلطان بركْيارُق ببغداذ.

وسبب ذلك أنّ بركْيارُق سار في العام الماضي(من الريّ)[١] إلى خُوزستان، فدخلها وجميع من معه على حالٍ سيّئة؛ وكان أمير عسكره حينئذ ينّال بن أنوشتكين الحُساميُّ، وأتاه غيره من الأمراء، وسار إلى واسط، فظلم عسكره الناس، ونهبوا البلاد، واتّصل به الأمير صدقة بن مَزْيد، صاحب الحِلّة، ووثب على السلطان قوم ليقتلوه، فأُخذوا وأُحضروا بين يديه، فاعترفوا أنّ الأمير سرمز، شِحنة أصبهان، وضعهم على قتله، فقُتل أحدهم، وحُبس الباقون، وسار إلى بغداذ، فدخلها سابع عشر صفر، وخُطب له ببغداذ يوم الجمعة منتصف صفر قبل وصوله بيومَيْن.

وكان سعد الدولة كوهرائين بالشفيعي، وهوفي طاعة السلطان محمّد، فسار إلى داي[٢] مَرْج، ومعه إيلغازي بن أُرتُق وغيره من الأمراء، فأرسل إلى مؤيد المُلك والسلطان محمّد يستحثهما على الوصول إليه، فأرسلا إليه كربوقا، صاحب الموصل، وجكرمش، صاحب جزيرة ابن عُمر، فأمّا جكرمش فاستأذن كوهرائين في العود إلى بلده، وقال إنّه قد اختلّت الأحوال[٣]، فأذن له، وبقي مع كوهرائين جماعة من الأمراء، فاتّفقوا على أن يصدروا عن رأيٍ واحدٍ لايختلفون، ثم اتّفقت آراؤهم على أن كتبوا إلى السلطان بركْيارُق يقولون له: اخرج إلينا، فما فينا مَن يقاتلك[٤].

---

(١) من الباريسية.

(٢) من الباريسية.

(٣) في الباريسية: «أحواله».

(٤) في (ب): «يقابلك».

وكان الذي أشار بذا[1] كربوقا، وقال لكوهرائين: إننا لم نظفر من محمّد ومؤيّد المُلك بطائل؛ وكان منحرفاً عن مؤيّد المُلك. فسار بركْيارُق إليهم؛ فترجّلوا، وقبّلوا الأرض، وعادوا معه إلى بغداذ، وأعاد إلى[2] كوهرائين جميع ما كان أخذ له من سلاح ودوابّ وغير ذلك، واستوزر بركْيارُق ببغداذ الأعزّ أبا المحاسن عبد الجليل بن عليّ بن محمّد الدِّهِستانيّ، وقبض على عميد الدولة ابن جَهِير، وزير الخليفة، وطالبه بالحاصل من ديار بكر والموصل لمّا تولاّها هو وأبوه أيام ملكشاه، فاستقرّ الأمر على مائة ألف دينار وستّين ألف دينار يحملها إليه، وخلع الخليفة على السلطان بركْيارُق[3].

ذكر الوقعة بين السلطانين بركيارُق ومحمّد وإعادة خطبة محمّد ببغداذ

في هذه السنة سار بركْيارُق من بغداذ على شَهرزور، فأقام بها ثلاثة أيام، والتحق [بِهِ] عالَم كثير من التركمان وغيرهم، فسار نحو أخيه السلطان محمّد ليحاربه، فكاتبه رئيس هَمَذان ليسير إليها ويأخذ أقطاع الأمراء الذين مع أخيه، فلم يفعل، وسار نحو أخيه، فوقعت الحرب بينهم رابع رجب، وهو المصافّ الأوّل بين بركيارُق وأخيه السلطان محمّد بإسْبِيذْرُوذَ، ومعناه النهر الأبيض، وهو على عدّة فراسخ من هَمَذان.

وكان مع محمّد نحو عشرين ألف مقاتل، وكان محمّد في القلب، ومعه الأمير سرمز، وعلى ميمنته أمير آخُر، وابنه إياز، وعلى ميسرته مؤيّد المُلك، والنظاميّة، وكان السلطان بركْيارُق في القلب، ووزيره الأعزّ أبو المحاسن، وعلى ميمنته كوهرائين وعزّ الدولة بن صدقة بن مَزْيَد، وسُرخاب بن بدر، وعلى ميسرته كربوقا وغيره، فحمل كوهرائين من ميمنة بركْيارُق على ميسرة محمّد، وبها مؤيّد المُلك، والنظاميّة، فانهزموا، ودخل عسكر بركْيارُق في خيامهم، فنهبوهم، وحملت ميمنة محمّد على ميسرة بركْيارُق، فانهزمت الميسرة، وانضافت ميمنة محمّد إليه في القلب على بركْيارُق ومَنْ معه، فانهزم بركْيارُق، ووقف محمّد مكانه، وعاد كوهرائين من طلب المنهزمين الذين انهزموا بين يديْه، وكبا به فرسه، فأتاه خُراسانيّ فقتله، وأخذ رأسه، وتفرقت عساكر بركْيارُق، وبقي في خمسين فارساً.

---

(١) في (ب): «بهذا».
(٢) من (ب).
(٣) المنتظم ٩/١١٣(١٧/ ٥٢، ٥٣)، تاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٣ هـ.) ص ٢٢.

وأمّا وزيره الأعزّ أبو المحاسن فإنه أُخذ أسيراً، فأكرمه مؤيّد المُلك بن نظام المُلك، ونصب له خِيَماً وخرْكاة، وحمل إليه الفُرش والكسوة، وضمّنه عمادة بغداذ، وأعاده إليها، وأمره بالمخاطبة في إعادة الخطبة للسلطان محمّد ببغداذ، فلمّا وصل إليها خاطب في ذلك، فأُجيب إليه، وخُطب له يوم الجمعة رابع عشر رجب[1].

ذكر قتل سعد الدولة كوهرائين

في هذه السنة، في رجب، قُتل سعد الدولة كوهرائين في الحرب المذكورة قبلُ، وكان ابتداء أمره أنّه كان خادماً للملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة بن بُوَيْه، انتقل إليه(من امرأة)[2] من قُرقُوب بخُوزِستان، وكان إذا توجّه إلى الأهواز حضر عندها، واستعرض حوائجها، وأصاب أهلُها منه خيراً كثيراً، فأرسله أبو كاليجار مع ابنه أبي نصر إلى بغداذ، فلمّا قبض عليه السلطان طُغْرُلْبَك مضى معه إلى قلعة طَبَرَك، فلمّا مات أبو نصر انتقل إلى خدمة السلطان ألب أرسلان، ووقاه بنفسه لمّا جرحه يوسف الخُوارزميُّ.

وكان ألب أرسلان قد أقطعه واسط، وجعله شِحنة لبغداذ، فلمّا قُتل ألب أرسلان أرسله ابنه ملكشاه إلى بغداذ، فأحضر له الخِلَع والتقليد، ورأى ما لم يره خادم قبله من نفوذ الأمر، وتمام القدرة، وطاعة أعيان الأمراء، وخدمتهم إيّاه، وكان حليماً، كريماً، حسن السيرة، لم يصادر أحداً من أهل ولايته، ومناقبه كثيرة[3].

ذكر حال السلطان بركْيارُق بعد الهزيمة وانهزامه من أخيه سنجر أيضاً وقتل أمير داذَ حبشي

لمّا انهزم السلطان بركْيارُق من أخيه السلطان محمّد سار قليلاً وهو في خمسين فارساً، ونزل عُتُمَةَ، واستراح، وقصد الرَّيّ، وأرسل إلى من كان يعلم أنه يريده، ويؤثر دولته، فاستدعاه، فاجتمع معه جمع صالح، فسار إلى إسْفَرَايين، وكاتب أمير داذَ حبشي بن ألْتُونتاق، وهو بدامَغان، يستدعيه، فأجابه يشير عليه بالمُقام بنَيسابور حتّى يأتيه، وكان بيده حينئذٍ أكثر خُراسان وطَبَرستان وجُرجان، فلمّا وصل بركْيارُق إلى

---

(١) المنتظم ٩/١١٣(١٧/٥٣)، تاريخ مختصر الدول ١٩٧، نهاية الأرب ٢٦/٣٤٥، العبر ٣/٣٣٥، دول الإسلام ٢/٢٢، تاريخ الإسلام ٢٢/٢٣.

(٢) من (ب).

(٣) المنتظم ٩/١١٥، ١١٦ رقم ١٧٣ (١٧/٥٦، ٥٧ رقم ٣١٩٤)، دول الإسلام ٢/٢٢، تاريخ الإسلام ٢٣، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٨٣ و٥/٢٤ وفيه: «كوهراس».

نَيسابور قبض على رؤسائها، وخرج بهم، وأطلقهم بعد ذلك. وتمسّك بعميد خُرسان أبي محمّد، وأبي القاسم بن أبي المعالي الجوينيّ. فأمّا أبو القاسم فمات مسموماً في قبضه. وقد تقدّم أنه قُتل سنة اثنتين وتسعين[وأربعمائة].

وعاد بركْيارُق فاستدعى[١] أمير داذَ، فاعتذر بقصد السلطان سَنجَر بلاده في عساكر بَلْخ، ويسأل السلطان بركْيارُق أن يصل إليه ليعينه على الملك سَنجَر، ولم يُعْلموا الأصاغرَ لئلاّ ينهزموا.

وكان مع أمير[٢] داذَ عشرون ألف فارس، فيهم من رجّالة الباطنيّة خمسة آلاف، ووقع المصافّ بين بركْيارُق وأخيه سَنجَر خارج النُّوشَجَان؛ وكان الأمير بزغش في ميمنة سنجَر، والأمير كندكز في ميسرته، والأمير رُستم في القلب، فحمل بركْيارُق على رستم فطعنه فقتله، وانهزم أصحابه وأصحاب سَنجَر، واشتغل العسكر بالنهب، فحمل عليهم بزغش وكندكز، فقتلا المنهزمين، وانهزم الرجّالة إلى مضيق بين جبلَيْن، فأرسل عليهم الماء فأهلكهم، ووقعت الهزيمة على أصحاب بركْيارُق، وكان قد أخذ والدة أخيه سنجر لمَّا انهزم أصحابه أوّلاً، فخافت أن يقتلها بأمّه، فأحضرها وطيّب قلبها، وقال: إنّما أخذتُك حتى يطلق أخي سنجَر مَنْ عنده من الأسرى، ولستِ كفؤاً لوالدتي حتّى أقتلَك. فلمّا أطلق سَنجَر الأسرى أطلقها بركْيارُق.

وهرب أمير داذَ إلى بعض القُرى، وأخذه بعض التركمان، فأعطاه في نفسه مائة ألف دينار، فلم يطلقه، وحمله إلى بزغش فقتله.

وسار بركيارق[٣] إلى جُرجَان ثم إلى دَامغَان، وسار في البرّيّة، ورؤي[٤] في بعض المواضع ومعه سبعة عشر فارساً، وجمّازة واحدة[٥]، ثم كَثُر جَمْعه، وصار معه ثلاثة آلاف فارس، منهم: جاولي سقاووا، وغيره، وساروا إلى أصبهان بمكاتبة من أهلها، فسمع السلطان محمّد، فسبقه إليها، فعاد إلى سُمَيْرَمَ[٦].

---

(١) في الأوربية: «استدعى».
(٢) في الأوربية: «الأمير».
(٣) من الباريسية.
(٤) في الأوربية: «ورأى».
(٥) الى هنا ينتهي النقص في نسخة (أ).
(٦) نهاية الأرب ٢٦/ ٣٤٥، ٣٤٦، المختصر ٢/ ٢١٢، العبر ٣/ ٣٣٥، دول الإسلام ٢/ ٢٢، تاريخ الإسلام ٢٣، ٢٤، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٣، ٤٨٤ و ٥/ ٢٤.

ذكر فتح تميم بن المعزّ مدينة سفاقُس

في هذه السنة فتح تميم بن المعزّ مدينة سفاقُس، وكان صاحبها حَمّو[1] قد عاد فتغلّب[2] عليها، واشتدّ أمره بوزيرٍ كان عنده قد قصده، وهو من كُتّاب المعزّ، كان حسن الرأي والتدبير، فاستقامت به دولته، وعظُم شأنه، فأرسل إليه تميم يطلبه ليستخدمه، ووعده، وبالغ في استمالته، فلم يقبل، فسيّر تميم جيشاً إلى حصار سفاقُس، وأمر الأمير الذي جعله مقدّم الجيش أن يهدم ما حول المدينة ويحرقه، ويقطع الأشجار سوى ما يتعلّق بذلك الوزير فإنّه لا يتعرّض له، ويبالغ في صيانته، ففعل ذلك، فلمّا رأى حمّو[3] ما فعل بأملاك الناس، ما عدا الوزير، اتّهمه، فقتله، فانحلّ نظام دولته، وتسلّم عسكر تميم المدينة، وخرج حمّو منها، وقصد مكن بن كامل الدّهمانيّ، فأقام عنده، فأحسن إليه، ولم يزل عنده حتّى مات[4].

ذكر عزل عميد الدولة من وزارة الخليفة ووفاته

لمّا أطلق مؤيّدُ الدولة، وزيرُ السلطان محمّد، الأعزَّ أبا المحاسن، وزيرَ بركْيارُق، وضمّنه عمادة بغداذ، أمره أن يخاطب الخليفة بعزل وزيره عميد الدولة بن جَهِير، فسار من العسكر، وسمع عميد الدولة الخبر، فأمر أَصْبَهْبذ صباوة بن خُمَارِتكين بالخروج إلى طريق الأعزّ وقتله.

وكان أصْبَهْبذُ قد حضر الحرب مع بركْيارُق، ولمّا انهزم العسكر قصد بغداذ، فخرج إلى الطريق الأعزّ أبي المحاسن، فلقيه قريباً من بَعْقوبَا، فأوقع بمن معه، والتجأ الأعزّ إلى القرية واحتمى، فلمّا رأى أصبهبذ صباوة ذلك أرسل إليه يقول له: إنّك وزير السلطان بركْيارُق، وأنا مملوكه، فإن كنتَ على خدْمته فاخرُج إلينا حتى نسير إلى بغداذ ونُقيم الخطبة للسلطان، وأنت الصاحب الذي لا يُخَالَفُ[5]، وإن لم تُجِبْ إلى هذا، فما بيننا غير السيف. فأجابه الأعزّ إلى ذلك، واجتمعا، فعرّفه صباوة الذي أمره به عميد الدولة من قتله، وباتا تلك الليلة، وأرسل الأعزّ إلى الأمير إيلغازي بن أرتُق، وكان قد

---

(١) في الباريسية: «جمق»، وفي (أ) و(ب): «حمر».
(٢) في الأوربية: «تغلّب».
(٣) في (أ): «حمر»، وفي (ب): «حموماً».
(٤) البيان المغرب ١/ ٣٠٢، تاريخ الإسلام ٢٤.
(٥) في (أ): «تخالف».

وردَ في صُحبته، وفارقه نحو الراذان، فحضر في الليل، فانقطع حينئذٍ أمل صباوة منه، وفارقه.

وسارالأعزّ إلى بغداذ وخاطب في عزل عميد الدولة، فعُزل في رمضان، وأُخذ من ماله خمسة وعشرون ألف دينار، وقُبض عليه وعلى إخوته، وبقي معزولاً إلى سادس عشر شوّال، فتوفّي محبوساً في دار الخلافة؛ ومولده في المحرّم سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، وكان عاقلاً، كريماً، حليماً، إلاّ أنه كان عظيم الكِبَر، يكاد يُعَدّ كلامه عدّاً، وكان إذا كلّم إنساناً كلمات يسيرة هُنّيء ذلك الرجل بكلامه[1].

ذكر ظفر المسلمين بالفرنج

في ذي القعدة من هذه السنة لقي كُمُشْتِكين بن الدّانِشْمَنْد[2] طايلو، وإنّما قيل له ابن الدانشمند لأنّ أباه كان معلّماً للتركمان وتقلّبت به الأحوال،(حتّى ملك)[3]، وهو صاحب مَلَطْيَة وسِيواس وغيرهما، بيمُنْد[4] الفرنجيَّ، وهو من مقدّمي الفرنج، قريب مَلَطْيَةَ،وكان صاحبها قد كاتبه، واستقدمه إليه، فورد عليه في خمسة آلاف، فلقيهم ابن الدّانِشْمَنْد، فانهزم بيمُنْد[4] وأُسر.

ثم وصل من البحر سبعة قمامصةٍ من الفرنج، وأرادوا تخليص بيمُنْد، فأتوا إلى قلعة تسمّى[5] أنكوريّةَ، فأخذوها وقتلوا من بها من المسلمين، وساروا إلى قلعة أخرى فيها إسماعيل بن الدّانِشْمَنْد، وحصروها، فجمع ابن الدّانِشْمَنْد جَمْعاً كثيراً، ولقي الفرنج، وجعل له كميناً، وقاتلهم، وخرج الكمين عليهم، فلم يُفْلِتْ أحدٌ من الفرنج، وكانوا ثلاثمائة ألف، غير ثلاثة آلاف هربوا ليلاً وأفلتوا مجروحين.

وسار ابن الدّانِشْمَنْد إلى مَلَطْيَة، فملكها وأسر صاحبها، ثم خرج إليه عسكر الفرنج من أنطاكية، فلقِيهم وكسرهم، وكانت هذه الوقائع في شهور قريبة[6].

---

(١) انظر عن (عميد الدولة الوزير) في تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٣ هـ.) ص ١٦٥ ـ ١٧٠ رقم ١٤٧ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) جاء في المختصر لأبي الفداء ٢/ ٢١٢: وقيل له ابن الدانشمند لأن أباه كان معلّم التركمان، والمعلّم عندهم اسمه الدانشمند.

(٣) من(ب).

(٤) هو «بوهيموند».

(٥) من الباريسية.

(٦) تاريخ حلب (تحقيق زعرور) ٣٦٠ (تحقيق سويم) ٢٦، المنتظم ١٧/ ٥٥، نهاية الأرب ٢٨/ ٢٥٩،

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة زاد أمر العيّارين بالجانب الغربيّ من بغداذ، في شعبان، وعظُم ضررهم، فأمر الخليفة كمالَ الدولة يُمن بتهذيب البلد، فأخذ جماعة من أعيانهم، وطلب الباقين فهربوا[١].

وفيها أيضاً انحلّت الأسعار بالعراق، وكان كُرّ الحنطة قد بلغ سبعين[٢] ديناراً[٣]، وربّما زاد كثيراً في بعض الأوقات، وانقطعت الأمطار، ويبست الأنهار، وكثُر الموت. حتى عجزوا عن دفن الموتى، فحُمل في بعض الأوقات ستة أموات على نعش واحد، وعدمت الأدوية والعقاقير[٤].

وفيها، في رجب، سار بيمُنْد الفرنجيُّ، صاحب أنطاكية، إلى قلعة أفَامِيَة، فحصرها، وقاتل أهلَها أيّاماً، وأفسد زروعها(ثم رحل عنها)[٥].

وفيها، في آخر رمضان، قُتل الأمير بلكابك سرمز[٦] بأصبهان، بدار السلطان محمّد، وكان كثير الاحتياط من الباطنيّة لا يفارقه لُبسُ الدِّرع ومَن يمنع عنه، ففي ذلك اليوم لم يلبسْ درعاً، ودخل دار السلطان في قلّة، فقتله الباطنيّة، فقُتل واحد ونجا آخر[٧].

[الوفيات]

وفيها توفّي أبو الحسن البِسطاميُّ[٨] الصوفيُّ، ورباطه مشهور على دجلة غربيّ بغداذ، بناه أبو الغنائم بن المحلبان.

وفيها مات أبو نصر بن أبي عبد الله بن جَرْدة، وأصْله من عُكْبَرا، وإليه يُنسب مسجد ابن جَرْدة، وخَرابة ابن جردة ببغداذ.

= المختصر ٢/ ٢١٢، العبر ٣/ ٣٣٥، تاريخ الإسلام ٢٤، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١١، مرآة الجنان ٣/ ١٥٥، و«أنكورية» هي مدينة أنقرة عاصمة الجمهورية التركية الآن.

(١) المنتظم ١٧/ ٥٤.

(٢) في الباريسية: «تسعين».

(٣) في الأوربية: «دينار».

(٤) المنتظم ١٧/ ٥٤.

(٥) من (ب). والخبر في: ذيل تاريخ دمشق ١٣٨.

(٦) في المنتظم: «شحنة إصبهان».

(٧) المنتظم ١٧/ ٥٤، ٥٥.

(٨) انظر عن (البسطامي) في: المنتظم ١٧/ ٥٧ رقم ٣٦٩٦.

وفيها توفّي أبو عليّ يحيى بن جَزْلَة[1] الطبيب، وكان نصرانياً فأسلم، وهو مصنّف كتاب المنهاج.

وفيها، في شوّال، توفّي عبد الرزّاق الصوفيُّ، الغزنويُّ[2]، المقيم برباط عَتّاب، وحجّ عدّة حجّات على التجريد، ولم يخلّف ما تكفّن فيه، فقالت زوجتُه: إذا متَّ افتضحنا، قال: لِمَ نفتضح؟ قالت: لأنّك ليس لك ما تُكفّن فيه. فقال: إنّما أفتضح إذا خلّفتُ ما أُكفّن فيه.

وفيها، في رمضان، توفّي عزّ الدولة أبو المكارم محمّد بن سيف الدّولة صدقة بن مَزْيد[3].

---

(١) انظر عن (ابن جزلة) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٣ هـ.) ص ١٧٤، ١٧٥ رقم ١٥٦ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) انظر عن (الغزنوي) في: المنتظم ١٧/٥٧ رقم ٣٦٩٥، والبداية والنهاية ١٢/١٥٨.

(٣) انظر عنه في: المنتظم ١٧/ ٦٠، ٦١ رقم ٣٧٠٥.

٤٩٤
ثم دخلت سنة أربع وتسعين وأربعمائة

ذكر الحرب بيْن السلطانين بركيارُق ومحمّد وقتل مؤيّد الملك

في هذه السنة، ثالث جمادى الآخرة، كان المصافّ الثاني بين السلطان بركْيارُق والسلطان محمّد، وقد ذكرنا سنة ثلاثٍ وتسعين [وأربعمائة] انهزم السلطان بركْيارُق من أخيه السلطان محمّد، وتنقّلَهُ في البلاد، إلى أصبهان، وإنّه لم يدخلها، وسار منها إلى خُوزِستان، وأتى عسكرَ مُكرَم، فأتاه الأميران زنكي وألْبكي ابنا بُرْسُق[١]، وصارا معه، وأقام بها شهرَيْن، وسار منها إلى همذان، فاتّصل به الأمير إياز.

وكان سبب ذلك أنّ أمير آخُر قد مات مُذْ قريب، فاتّهم إياز مؤيّد المُلك بأنّه سقاه السمّ، وقوّى ذلك عنده أنّ وزير أمير آخُر هرب عُقَيْب موته، فازداد ظنّ إياز باتّهامه، فظفر بالوزير، فقتله.

وكان إياز قد اتّخذه أمير آخُر ولداً، واتّصل به العسكر[٢]، ووصّى له بجميع ماله، فحين استوحش لهذا السبب كاتب السلطان بركْيارُق، واتّصل به، ومعه خمسة آلاف فارس،(وصار من جملة)[٣] عسكره.

وسار السلطان محمّد إلى لقاء أخيه، فلمّا تقارب العسكران استأمن الأمير سُرخاب بن كَيْخسرو، صاحب آوة، إلى السلطان بركْيارُق، فأكرمه، ووقع المصاف ثالث جمادى الآخرة، وكان مع السلطان بركْيارُق، خمسون ألفاً، ومع أخيه السلطان

---

(١) في (أ): «برشق».

(٢) من الباريسية.

(٣) (٣)في (أ) و(ب): «من».

محمّد خمسة عشر ألفاً، فالتقوا، فاقتتلوا يومَهم أجمع، وكان النفر بعد النفر يستأمنون من عسكر محمّد إلى بركْيارُق، فيُحسن إليهم.

ومن العجب الدّالّ على الظفر أنّ رجّالة بركْيارُق احتاجوا إلى تراس، فوصل إليه يوم المصافّ بكرةً اثنا عشر حملاً سلاحاً من همَذان منها ثمانية أحمال تراس، ففُرّقت فيهم، فلمّا وصلت نزل السلطان بركْيارُق، وصلّى ركعتَيْن شكراً لله تعالى.

ولم يزل القتال بينهم إلى آخر النهار، فانهزم السلطان محمّد وعسكره، وأُسر مؤيّد المُلك، أسره غلام لمجد المُلك البلاسانيّ وأُحضر عند السلطان بركْيارُق، فسبّه، وأوقفه[1] على ما اعتمده معه(من سبّ والدته مرّةً، ونسبته إلى مذهب الباطنيّة أخرى، ومن حمْل أخيه محمّد)[2] على عصيانه، والخروج عن طاعته إلى غير ذلك، ومؤيّد المُلك ساكت لا يُعيد كلمة، فقتله بركْيارُق بيده، وأُلقي على الأرض عدّة أيّام، حتّى سأل الأمير إياز في دفنه، فأذِن فيه، فحُمل إلى أبيه بأصبهان فدُفن معه.

وكان بخيلاً، سيّيء السيرة مع الأمراء، ألاّ أنّه كان كثير المكر والحِيَل في إصلاح أمر المُلك، وكان عمره لمّا قُتل نحو خمسين سنة.

وكان السلطان بركْيارُق قد استوزر في صفر الأعزّ أبا المحاسن عبد الجليل بن عليّ الدِّهِستانيّ، فلمّا قُتل مؤيّد المُلك أرسل الوزير أبو المحاسن رسولاً إلى بغداد، وهو أبو إبراهيم الأَسداباذي[3]، لأخذ أموال مؤيّد المُلك، فنزل ببغداذ بدار مؤيّد المُلك، وسُلّم إليه محمّد الشرابيُّ، وهو ابن خالة مؤيّد المُنك، فأُخذت منه الأموال والجواهر بعد مكروه[4] أصابه، وعذاب ناله، وأُخذ له ذخائر من مواضع أُخَر ببلاد العجم منها: قطعة بَلَخش، وزنها واحد وأربعون[5] مثقالاً.

ولمّا فرغ السلطان بركْيارُق من هذه الوقعة سار إلى الرَّيّ، فوصل إليه قِوام الدولة كربوقا، صاحب الموصل، ونور الدولة دُبَيْس بن صدقة بن مَزْيَد[6].

---

(١) من (ب).

(٢) من (ب).

(٣) في (أ): «الاستراباذي»، وفي (ب): «الإسابادي».

(٤) في (ب): «نكد».

(٥) في الأوربية: «أحد وأربعين».

(٦) ذيل تاريخ دمشق ١٣٩، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٤٧، المختصر ٢/ ٢١٣، العبر ٣/ ٣٣٧، دول الإسلام ٢/ ٢٣، تاريخ الإسلام ٢٦، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٤ و ٥/ ٢٤، ٢٥، النجوم الزاهرة ٥/ ١٦٧.

ذكر حال السلطان محمّد بعد الهزيمة
واجتماعه بأخيه الملك سَنجَر

لمّا انهزم السلطان محمّد، سار طالباً خُراسان إلى أخيه سَنجَر، وهما لأمّ واحدة، فأقام بجُرجان، وراسل أخاه يطلب منه مالاً وكسوة، وغير ذلك، فسيّر إليه ما طلب، وتردّدت الرسل بينهما، حتّى تحالفا واتّفقا.

ولم يكن بقي مع السلطان محمّد غير أميرَيْن في نحو[1] ثلاثمائة فارس، فلمّا استقرّت القواعد بينهما سار الملك سَنجَر من خُراسان في عساكره نحو أخيه السلطان محمّد، فاجتمعا بجُرجان، وسارا منها إلى دَامغان، فخرّبها العسكر الخُراسانيُّ، ومضى أهلها هاربين إلى قلعة كردكوه، وخرّب العسكر ما قدروا عليه من البلاد، وعمّ الغلاء تلك الأصقاع، حتّى أكل الناس الميتة والكلاب، وأكل الناس بعضهم بعضاً، وسارا إلى الريّ، فلمّا وصلا إليها انضمّ إليهما النِّظاميّة وغيرهم، فكثر جمعهما، وعظُمت شوكتهما، وتمكّنت من القلوب هيبتهما[2].

ذكر ما فعله السلطان بركْيارُق ودخوله بغداذ

لمّا كان السلطان بركْيارُق بالريّ، بعد انهزام أخيه محمّد، اجتمعت عليه العساكر الكثيرة، فصار معه نَحو مائة ألف فارس، ثم إنّهم ضاقت عليهم الميرة، فتفرّقت العساكر، فعاد دُبيس بن صَدَقة إلى أبيه، وخرج الملك مودود بن إسماعيل بن ياقوتي بأَذَرْبِيجان، فسيّر إليه قوام الدولة كربوقا في عشرة آلاف فارس، واستأذن الأمير إياز في أن يقصد داره بهَمَذان يصوم بها شهر رمضان، ويعود بعد الفِطْر، فأذِن له، وتفرّقت العساكر لمثل ذلك، وبقي في العدد القليل.

فلمّا بلغه أنّ أخوَيْه قد جمعا الجموع وحشدا الجنود[3]، وأنّهما لمّا بلغهما قلّة من معه جدّا في المسير إليه، وطويا المنازل ليعاجلاه، قبل أن يجمع جموعه وعساكره، فلمّا قارباه سار من مكانه، وقد طمع فيه من كان يهابه، وأيِس منه من كان يرجوه، فقصد نحو همَذان ليجتمع هو وإياز، فبلغه أنّ إياز[4] قد راسل السلطان محمّداً ليكون

---

(١) في (أ) و(ب): «ونحو».

(٢) تاريخ مختصر الدول ١٩٧، نهاية الأرب ٢٦/٣٤٧، العبر ٣/٣٣٧، تاريخ الإسلام ٢٦، تاريخ ابن خلدون ٥/٢٥.

(٣) في (ب) «الحشود».

(٤) في (أ): «إيازاً».

معه ومن جملة أعوانه، خوفاً على ولايته، وهي همذان وغيرها، فلمّا سمع ذلك عاد عنها، وقصد خُوزِستان، فلمّا قرب من تُستَر كاتب الأمراء بني برسق[١] يستدعيهم إليه، فلم يحضروا لمّا علموا أنّ إياز[٢] لم يحضر، وللخوف من السلطان محمّد، فسار نحو العراق، فلمّا بلغ حُلوان أتاه رسول الأمير إياز يسأل التوقّف ليصل إليه.

وسبب ذلك أنّ إياز[٢] راسل السلطان محمّداً في الانضمام إليه[٣]، والمصير في جملة عسكره، فلم يقبله، وسيّر العساكر إلى همَذان، ففارقها منهزماً. ولحِق بالسلطان بركْيارُق، (فأقام السلطان بركْيارُق)[٤] بحُلوان، ووصل إليه إياز، وساروا جميعهم إلى بغداذ.

وأخذ عسكر محمّد ما تخلّف للأمير إياز بهَمذان من مال، ودوابّ، وبَرْك، وغير ذلك، فإنّه أُعجل عنه، وكان من جملته خمسمائة حِصان عربيّة، قيل: كان يُساوي كلّ حصان منها ما بين ثلاثمائة دينار إلى خمسمائة دينار، ونهبوا داره، وصادروا جماعة من أصحابه، وصودر رئيس همَذان بمائة ألف دينار.

ولمّا وصل إياز إلى بركْيارُق تكاملت عدّتهم خمسة آلاف فارس، وقد ذهبت خيامهم وثَقَلهم، ووصل بركْيارُق إلى بغداذ سابع عشر ذي القعدة، وأرسل الخليفة إلى طريقه يلتقيه أمين[٥] الدولة بن موصلايا في الموكب[٦].

ولمّا كان عيد الأضحى نفّذ الخليفة منبراً إلى دار السلطان، وخطب عليه الشريف أبو الكرم، وصلّى صلاة العيد، ولم يحضر بركْيارُق لأنّه كان مريضاً.

وضاقت الأموال على بركْيارُق، فلم يكن عنده ما يُخرجه على نفسه وعلى عساكره، فأرسل إلى الخليفة يشكو الضائقة وقلّة المال، ويطلب أن يُعان بما يخرجه، فتقرّر الأمر بعد المراجعات على خمسين ألف دينار، حملها الخليفة إليه، ومدّ بركْيارُق وأصحابه أيديهم إلى أموال الناس، فعمّ ضررهم، وتمنّى أهل البلاد زوالهم عنهم، ودعتهم الضرورة إلى أن ارتكبوا خطّة شنعاء، وذلك أنّه قدم عليهم أبو محمّد عُبيد الله بن

---

(١) في (أ): «برشق».
(٢) في (أ): «إيازاً».
(٣) من (ب).
(٤) من (أ).
(٥) في (أ) و(ب): «أمير».
(٦) في (أ) و(ب): «المراكب».

منصور، المعروف بابن صُلَيحة[1]، قاضي جَبَلَة من بلاد الشام وصاحبها، منهزماً من الفرنج، على ما نذكره، ومعه أموال جليلة المقدار، فأخذوها منه[2].

ذكر خلاف صدقة بن مَزْيَد على برکْيارُق

في هذه السنة خرج الأمير صَدَقَة بن منصور بن دُبَيْس بن مَزْيَد، صَاحِب الحِلّة، عن طاعة السلطان برکْيارُق، وقطع خطبته من بلاده، وخطب فيها للسلطان محمّد.

وسبب ذلك أنّ الوزير الأعزّ أبا المحاسن الدِّهِستانيّ، وزير السلطان برکْيارُق، أرسل إلى صَدَقة يقول له: قد تخلّف عندك لخزانة السلطان ألف ألف دينار، وكذا وكذا ديناراً لسنين كثير، فإنْ أرسلتَها، وإلاّ سيّرنا العساكر إلى بلادك وأخذناها منك، فلمّا سمع هذه الرسالة قطع الخطبة، وخطب لمحمّد.

فلمّا وصل السلطان برکْيارُق إلى بغداذ على هذه الحال أرسل إليه مرّة بعد مرّة يدعوه إلى الحُضور عنده، فلم يُجِبْ إلى ذلك، فأرسل إليه الأمير إياز يشير عليه بقصد خدمة السلطان، ويضمن له كلّ ما[3] يريده، فقال: لا أحضر، ولا أطيع السلطان، إلاّ إذا سلّم وزيره أبا المحاسن إليّ، وإن لم يفعلْ فلا يتصوّر منّي الحضور عنده أبداً، ويكون في ذلك ما يكون، فإن سلّمه إليّ، فأنا العبد المخلص في العبوديّة بالحُسن والطاعة. فلم يُجبْ إلى ذلك، فتمّ على مقاطَعته، وأرسل إلى الكوفة، وطرد عنها النائب بها عن السلطان واستضافها إليه[4].

ذكر وصول السلطان محمّد إلى بغداذ ورحيل السلطان برکيارُق عنها

في هذه السنة، في السابع والعشرين [من] ذي الحجّة، وصل السلطان محمّد وسَنْجَر إلى بغداذ، وكان السلطان محمّد لمّا استولى على همَذان وغيرها سار إلى بغداذ، فلمّا وصل إلى حُلوان سار إليه إيلغازي بن أُرتق في عساكره، وخدمه، وأحسن في الخدمة، وكان عسكر محمّد يزيد على عشرة آلاف فارس سوى الأتباع.

---

(١) في الباريسية: «صلبجة».

(٢) نهاية الأرب ٢٦/٣٤٨، المختصر ٢/٢١٣، العبر ٣/٣٣٧، ٣٣٨، دول الإسلام ٢/٢٣، تاريخ الإسلام ٢٧، تاريخ ابن خلدون ٥/٢٥.

(٣) في الأوربية: «كلّما».

(٤) نهاية الأرب: ٢٦/٣٤٨، تاريخ الإسلام ٢٧، البداية والنهاية ١٢/١٦٠.

فلمّا وصلت الأخبار بذلك كان بركْيارُق على شدّة من المرض، يُرجف عليه خواصّه بُكرة وعشيّاً، فماج أصحابه، وخافوا، واضطّربوا، وحاروا، وعبروا به في محفّة إلى الجانب الغربيّ، فنزلوا بالرَّملة، ولم يبقَ في بركْيارُق غير روح يتردّد، وتيقّن أصحابه موته، وتشاوروا في كفنه، وموضع دفنه.

فبينما هم كذلك إذ قال لهم: إني أجد نفسي قد قويت، وحركتي قد تزايدت؛ فطابت نفوسهم، وساروا، وقد وصل العسكر الآخر، فتراءى الجَمعان بينهما دجلة، وجرى بينهما مراماة[1] وسباب، وكان أكثر ما يسبّهم عسكر محمّد يا باطنيّة، يُعَيّرونهم بذلك، ونهبوا البلاد في طريقهم إلى أن وصلوا إلى واسط.

ووصل السلطان محمّد إلى بغداذ، فنزل بدار المملكة، فبرز إليه توقيع الخليفة المستظهر بالله يتضمّن الامتعاض من سوء سيرة بركْيارُق ومن معه، والاستبشار بقدومه، وخُطب له بالديوان، ونزل الملك سَنجَر بدار كوهرائين، وكان محمّد قد استوزر بعد مؤيّد المُلك خطير[2] الملك أبا منصور محمّد بن الحسين، وقدِم إليه في المحرّم سنة خمس وتسعين [وأربعمائة] الأمير سيف الدولة صَدَقة، وخرج الخلْق كلّهم إلى لقائه[3].

ذكر حال قاضي جبلة

هو أبو محمّد عبيد[4] الله بن منصور المعروف بابن صُلَيْحة، وكان والده رئيسها أيّام كان الروم مالكين لها على المسلمين، يقضي بينهم، فلمّا ضعُف أمر الروم، وملكها المسلمون، وصارت تحت حكم جلال[5] الملك أبي الحسن عليّ بن عمّار، صاحب طرابُلُس، كان منصور على عادته في الحكم فيها. فلمّا توفّي منصور قام ابنه أبو محمّد مقامه، وأحبّ الجنديّة، واختار الجُند، فظهرت شهامته، فأراد ابن عمّار أن يقبض عليه، فاستشعر منه، وعصى عليه، وأقام الخطبة العبّاسيّة، فبذل ابن عمّار لدُقاق بن تُتُش مالاً ليقصده ويحصره، ففعل، وحصره، فلم يظفر منه بشيء، وأصيب صاحبه أتابَك طُغْتِكين بنُشّابة في ركبته وبقي أثرها.

---

(١) في (أ): «مراسلة»، وفي(ب): «مراسلات».
(٢) في (أ) و(ب): «خطيب».
(٣) ذيل تاريخ دمشق ١٤٠، نهاية الأرب ٢٦/٣٤٧، ٣٤٨، المختصر ٢/٢١٣، دول الإسلام ٢/ ٢٣، تاريخ الإسلام ٢٧، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٢، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٥.
(٤) في الباريسية، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٣٨٥ «عبد».
(٥) في (أ) و(ب): «جمال».

وبقي أبو محمّد بها مطاعاً إلى أن جاء الفرنج، لعنهم الله، فحصروها، فأظهر[١] أنَّ السلطان بركيارُق قد توجّه إلى الشام، وشاع هذا، فرحل الفرنج، فلمّا تحقّقوا اشتغال السلطان عنهم عاودوا[٢] حصاره، فأظهر أنّ المصريّين قد توجّهوا لحربهم، فرحلوا ثانياً، ثم عادوا، فقرّر مع النصارى الذين بها أن يراسلوا الفرنجَ، ويواعدوهم إلى برج من أبراج البلد ليسلّموه إليهم ويملكوا البلد، فلمّا أتتهم الرسالة جهّزوا نحو[٣] ثلاثمائة رجل من أعيانهم وشجعانهم، فتقدّموا إلى ذلك البرج، فلم يزالوا يرقون في الحبال، واحداً بعد واحد[٤]، وكلّما صار عند ابن صُلَيْحة، وهو على السور، رجل منهم قتله إلى أن قتلهم أجمعين، فلمّا أصبحوا رمى[٥] الرؤوس إليهم فرحلوا عنه.

وحصروه مرّة أخرى، ونصبوا على البلد برج خشب، وهدموا برجاً من أبراجه، وأصبحوا وقد بناه أبو محمّد، ثم نقب في السور نقوباً، وخرج من الباب وقاتلهم، فانهزم منهم، وتبعوه، فخرج أصحابه من تلك النقوب، فأتوا الفرنجَ من ظهورهم، فولّوا منهزمين وأُسر مقدّمهم[٦] المعروف بكُنْد اصطبل[٧]، فافتدى نفسه بمال جزيل.

ثمّ علم أنّهم لا يقعدون عن طلبه، وليس له من يمنعهم عنه، فأرسل إلى طُغْتِكين أتابَك يلتمس منه إنفاذ من يثق به ليسلّم إليه ثغر جَبلَة، ويحميه ليصل هو إلى دمشق بماله وأهله، فأجابه إلى ما التمس، وسيّر إليه ولده تاج الملوك بوري، فسلّم إليه البلد، ورحل إلى دمشق، وسأله أن يسيّره إلى بغداذ، ففعل، وسيّره ومعه من يحميه إلى أن وصل إلى الأنبار.

ولمّا صار بدمشق أرسل ابن عمّار صاحب طرابلس إلى الملك دُقاق، وقال: سَلّم إليّ ابن صُلَيْحة عُرياناً، وخُذْ ماله أجمع، وأنا أعطيك ثلاثمائة ألف دينار؛ فلم يفعل. فلمّا وصل إلى الأنبار أقام بها أيّاماً، ثم سار إلى بغداذ، وبها السلطان بركيارُق، فلمّا وصل أحضره الوزير الأعزّ أبو المحاسن عنده، وقال له: السلطان محتاجٌ، والعساكر

---

(١) في (أ): «فأظهروا».
(٢) في (أ) و (ب): «عادوا إلى».
(٣) من (ب).
(٤) في الباريسية: «آخر».
(٥) في الأوربية: «رما».
(٦) في (ب): «فارسهم».
(٧) في الباريسية: «أصطبل». وكند اصطبل أو اسطبل، معرّب اللفظ اللاتيني المركّب Comes Stabuli ومعناه في مصطلح العصور الوسطى الأوربية: حاكم القلعة وحارسها. (السلوك ج ١ ق ٩٦/٣ حاشية ٣).

يطالبونه بما ليس عنده، ونريد منك ثلاثين ألف دينار، وتكون له[1] مِنَّةٌ عظيمة، تستحقّ بها المكافأة والشكرَ. فقال: السمع والطاعة؛ ولم يطلب أن يَحُطَّ[2] شيئاً، وقال: إنَّ رَحلي ومالي في الأنبار بالدّار التي نزلتها؛ فأرسل الوزير إليها جماعة، فوجدوا فيها مالاً كثيراً، وأعلاقاً نفيسة، فمن جملة ذلك ألف ومائة قطعة مصاغٍ عجيب الصنعة، ومن الملابس والعمائم التي لا يوجد مثلها شيء كثير.

كان ينبغي أن نذكر هذه الحوادث التي بعد انهزام السلطان محمّد إلى ها هنا، بعد قتل الباطنيّة، فإنّها كانت أواخر السنة، وكان قتلهم في شعبان، وإنّما قدّمناها لنتبع بعضُ الحادثة بعضاً لا يفصل بينها شيء.

وأمّا تاج الملوك بوري، فإنّه لمّا ملك جَبَلَة، وتمكّن منها، أساء السيرة هو وأصحابه مع أهلها، وفعلوا بهم أفعالاً أنكروها، فراسلوا القاضي فخر المُلك[3] أبا عليّ عمّار[4] بن محمّد بن عمّار صاحب طرابلس، وشكوا إليه ما يفعل بهم، وطلبوا منه أن يرسل إليهم بعض أصحابه ليسلّموا إليه البلد، ففعل ذلك، وسيّر إليهم عسكراً[5]، فدخلوا جَبَلَة، واجتمعوا بأهلها، وقاتلوا تاج الملوك ومَن معه، فانهزم الأتراك، وملك عسكر ابن عمّار جَبلَة، وأخذوا تاج الملوك أسيراً، وحملوه إلى طرابلس، فأكرمه ابن عمّار، وأحسن إليه، وسيّره إلى أبيه بدمشق، واعتذر إليه، وعرّفه صورة الحال، وأنّه خاف أن يملك الفرنج جَبلَة[6].

ذكر قتل الباطنيّة

في هذه السنة، في شعبان، أمر السلطان بركْيارُق بقتل الباطنيّة، وهم الإسماعيليّة وهم الذين كانوا قديماً يسمّون قرامطة[7]، ونحن نبتدىء بأوّل أمرهم الآن ثم بسبب قتلهم.

---

(١) في (ب): «منك».

(٢) في الباريسية: (يحفظ).

(٣) هو أخو جلال الملك الذي توفي سنة ٤٩٢ هـ.

(٤) من الباريسية.

(٥) في (ب) زيادة: «وافراً».

(٦) ذيل تاريخ دمشق ١٣٩، معجم البلدان ٢/ ١٠٥، المختصر ٢/ ٢١٣، تاريخ الإسلام ٣٧، ٣٨، مرآة الزمان ج ١٢ ق ٣/ ٢٣٤ أ، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٢، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٥، وانظر كتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري ـ ج ١/ ٣٨٠ ـ ٣٨٢، وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيّين ٢٠٠ ـ ٢٠٤.

(٧) من (أ).

فأوّل ما عُرف من أحوالهم، أعني هذه الدعوة الأخيرة التي اشتهرت بالباطنية، والإسماعيليّة، في أيّام السلطان ملكشاه، فإنّه[1] اجتمع منهم ثمانية عشر رجلاً، فصلّوا صلاة العيد في ساوة، ففطن بهم الشُّحنة، فأخذهم وحبسهم، ثم سئل فيهم فأطلقهم، فهذا أوّل اجتماع كان لهم.

ثم إنّهم دعوا مؤذّناً من أهل ساوة كان مقيماً بأصبهان، فلم يجبهم إلى دعوتهم، فخافوه أن[2] ينمّ عليهم، فقتلوه، فهو أوّل قتيل لهم، وأوّل دم أراقوه[3]، فبلغ[4] خبره إلى نظام المُلك، فأمر بأخذ من يُتّهم بقتله، فوقعت التهمة على نجّار اسمه طاهرٌ، فقُتل، ومُثّل به، وجرّوا برِجله في الأسواق، فهو أوّل قتيل منهم، وكان والده واعظاً، وقدِم إلى بغداذ مع السلطان بركْيارُق سنة ستّ وثمانين [وأربعمائة] فحظي[5] منه، ثم قصد البصرة فوليَ القضاء بها، ثم توجّه في رسالة إلى كَرْمان، فقتله العامّة في الفتنة التي جرت، وذكروا أنّه باطنيّ.

ثم إنّ الباطنيّة قتلوا نظام المُلك، وهي أوّل فتكة[6] مشهورة كانت لهم، وقالوا: قتل نجّاراً فقتلناه به.

وأوّل موضع غلبوا عليه وتحصّنوا به بلدٌ عند قَايِنَ، كان متقدّمهُ على مذهبهم، فاجتمعوا عنده، وقَووا به، فاجتازت بهم قافلة عظيمة من كَرمان إلى قاين، فخرج عليهم ومعه أصحابه والباطنيّة، فقتل أهلَ القفل أجمعين، ولم ينجُ منهم غير رجل تركمانيّ، فوصل إلى قاينَ[7] فأخبر بالقصّة، فتسارع أهلها مع القاضي[8] الكرماني[9] إلى جهادهم، فلم يقدروا عليهم.

ثم قُتل نظام المُلك، ومات السلطان ملكشاه، فعظُم أمرهم، واشتدّت شوكتهم، وقويت أطماعهم.

---

(١) في(ب): «فإنهم».
(٢) في الأوربية: «لا».
(٣) من الباريسية.
(٤) في (ب): «فبلح».
(٥) في (أ) و (ب): «فحضي».
(٦) في (أ) و (ب): «قتلة».
(٧) في (أ): «كرمان».
(٨) زاد في (أ): «علي».
(٩) في (أ) و (ب): «التركماني».

وكان سبب قوّتهم بأصبهان أنّ السلطان بركيارُق لمّا حصر أصبهان، وبها أخوه محمود[١]، وأُمّه خاتون الجلاليّة، وعاد عنهم ظهرت مقالة الباطنيّة بها، وانتشرت، وكانوا متفرّقين في المحالّ، فاجتمعوا، وصاروا يسرقون مَن قدروا عليه من مخالفيهم ويقتلونهم؛ فعلوا هذا بخلق كثير، وزاد الأمر، حتى إنّ الإنسان كان إذا تأخّر عن بيته عن الوقت المعتاد تيقّنوا قتله، وقعدوا للعزاء به، فحذر الناس، وصاروا لا ينفرد أحد، وأخذوا في بعض الأيّام مؤذناً، أخذه جارٌ له باطنيّ، فقام أهله للنياحة عليه، فأصعده الباطنيّة إلى سطح داره وأروه أهله كيف يلطمون ويبكون، وهو لا يقدر [أن] يتكلّم خوفاً منهم.

ذكر ما فعل بهم العامّة بأصبهان

لمّا عمّت هذه المصيبة الناس بأصبهان، أذن الله تعالىٰ في هتك أستارهم، والانتقام منهم، فاتّفق أن رجلاً دخل دار صديق له، فرأى فيها ثياباً، ومداسات، وملابس لم يعهدها، فخرج من عنده، وتحدّث بما كان، فكشف الناسُ عنها، فعلموا أنّها[٢] من المقتولين.

وثار[٣] الناس كافّة يبحثون عمّن قُتل منهم، ويستكشفون، فظهروا على الدورب التي هم فيها، وإنّهم كانو إذا اجتاز بهم إنسان أخذوه إلى دار منهم وقتلوه وألقوه في بئر في الدار قد صُنعت لذلك.

وكان على باب دربٍ منها رجلٌ ضرير، فإذا اجتاز به إنسان يسأله أن يقوده[٤] خطوات إلى باب الدرب، فيفعل ذلك، فإذا دخل الدرب أُخذ وقُتل، فتجرّد للانتقام منهم أبو القاسم مسعود بن محمّد الخُجَنْدِيُّ، الفقيه الشافعيُّ، وجمع الجمّ الغفير[٥] بالأسلحة، وأمر بحفر أخاديد، وأوقد فيها النيران، وجعل العامّة يأتون بالباطنيّة أفواجاً ومنفردين، فيلقون في النار، وجعلوا إنساناً على أخاديد النيران، وسمّوه مالكاً، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً[٦].

---

(١) في (أ) و (ب): «محمد».
(٢) في الأوربية: «أنه».
(٣) في الباريسية: (وسار».
(٤) في (أ) و (ب): «يقود به».
(٥) في الباريسية: «جماعة».
(٦) في المنتظم ٩/ ١٢٠ (١٧/ ٦٣)، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٥٢، دول الإسلام ٢/ ٢٣، تاريخ الإسلام ٢٨، ٢٩.

ذكر قلاعهم التي استولوا عليها ببلاد العجم

واستولوا على عدّة حصون منها قلعة أصبهان، وهذه القلعة لم تكن قديماً، وإنّما بناها السلطان ملكشاه.

وسبب بنائها أنّه كان قد أتاه رجل من مقدّمي الروم، فأسلم وصار معه، فاتّفق أنه سار[1] يوماً إلى الصيد، فهرب منه كلبٌ حسن الصيد، وصعد هذا الجبل، فتبعه السلطان والروميُّ معه، فوجده موضعَ القلعة، فقال له (الروميُّ) لو أنّ عندنا مثل هذا الجبل لجعلنا عليه حصناً ننتفع به؛ فأمر ببناء القلعة، ومنع منها نظام المُلك، فلم يُقبل قوله، فلمّا فرغتْ جعل فيها دزْداراً.

فلمّا انقضت أيّام السلطان ملكشاه، وصارت أصبهان بيد خاتون أزالت الدزْدار، وجعلت غيره فيها، وهو إنسان ديلميٌّ اسمه زيار، فمات، وصار بالقلعة إنسان خُوزيٌّ، فاتّصل به أحمد بن عطّاش، وكان الباطنيّة قد ألبسوه تاجاً[2]، وجمعوا له أموالاً، وقدّموه عليهم مع جهله، وإنّما كان أبوه مقدّماً فيهم، فلمّا اتّصل بالدزْدار بقي معه، ووثق به، وقلّده الأمور، فلمّا توفّي الدزْدار، استولى أحمد بن عطّاش عليها، ونال المسلمين منه ضرر عظيم من أخْذ الأموال، وقتْل النفوس، وقطع الطريق، والخوف الدائم، فكانوا يقولون: إنّ قلعةً يدلّ عليها كلبٌ، ويشير بها كافر لا بدّ وأن يكون خاتمة أمرها الشرّ.

ومنها أَلَمُوت، وهي من نواحي قَزوين، قيل إنّ ملكاً من ملوك الديلم كان كثير التصيّد، فأرسل يوماً عُقاباً، وتبعه، فرآه قد سقط على موضع هذه القلعة، فوجده موضعاً حصيناً، فأمر ببناء قلعة عليه، فسمّاها أَلُهْ مُوت، ومعناه بلسان الديلم: تعليم العُقاب، ويقال لذلك الموضع وما يجاوره طالقان.

وفيها قلاع حصينة أشهرها أَلَمُوت، وكانت هذه النواحي في ضمان شرفشاه الجَعْفريّ، وقد استناب فيها رجلاً علويّاً، فيه بلهٌ وسلامة صَدْرٍ.

وكان الحسن بن الصبّاح رجلاً شهماً، كافياً، عالماً بالهندسة، والحساب، والنجوم، والسحر، وغير ذلك؛ وكان رئيس الريّ إنسان يقال له أبو مُسلم، وهو صهر نظام المُلك، فاتّهم الحسن بن الصبّاح بدخول جماعة من دُعاة المصريّين عليه، فخافه

---

(١) في (ب) زيادة: «معه».

(٢) في (ب) زيادة: «واجتمعوا».

ابن الصبّاح، وكان نظام المُلك يكرمه، وقال له يوماً من طريق الفراسة: عن قريب يُضلّ[1] هذا الرجل ضعفاء العوامّ؛ فلمّا هرب الحسن من أبي مسلم طلبه فلم يدركه.

وكان الحسن من جملة تلامذة ابن عطّاش، الطبيب الذي ملك قلعة أصبهان، ومضى ابن الصبّاح فطاف البلاد، ووصل إلى مصر، ودخل على المستنصر صاحبها، فأكرمه، وأعطاه مالاً، وأمره أن يدعو الناس إلى إمامته، فقال له الحسن: فمَنِ الإمامُ بعدك؟ فأشار إلى ابنه نِزار؛ وعاد من مصر إلى الشام، والجزيرة، وديار بكر، والروم، ورجع إلى خُراسان، ودخل كاشغَر، وما وراء النهر، يطوف على قوم يُضلّهم، فلمّا رأى قلعة أَلَمُوت، واختبر أهل تلك النواحي، أقام عندهم، وطمع في إغوائهم، ودعاهم في السرّ، وأظهر الزهد، ولبس المِسْحَ[2] فتبِعه أكثرهم، والعلويُّ صاحب القلعة حسن الظنّ فيه، يجلس إليه يتبرّك به، فلمّا أحكم الحسن أمره، دخل يوماً على العلويّ بالقلعة، فقال له ابن الصبّاح: اخرج من هذه القلعة؛ فتبسّم العلويُّ، وظنّه يمزح، فأمر ابن الصبّاح بعض أصحابه[3] بإخراج العلويّ، فأخرجوه[4] إلى دامغان، وأعطاه ماله وملك القلعة.

ولمّا بلغ الخبر إلى نظام المُلك بعث عسكراً إلى قلعة أَلَمُوت، فحصروه فيها، وأخذوا عليه الطرق، فضاق ذَرْعه بالحصر، فأرسل مَن قتل نظام المُلك، فلمّا قُتل رجع العسكر عنها.

ثمّ إنّ السلطان محمّد بن ملكشاه جهّز نحوها العساكر، فحصرها، وسيرِد ذكر ذلك إن شاء الله تعالىٰ.

ومنها طَبَسُ، وبعض قُهِسْتانَ، وكان سبب ملكهم لها أن قُهِسْتانَ كان قد بقي فيها بقايا من بني سيمجور، أمراء خُراسان، أيّام السامانيّة، وكان قد بقي من نسلهم رجل يقال له المُنَوّر، وكان رئيساً مُطاعاً عند الخاصّة والعامّة، فلمّا وليَ كلسارغ قُهِسْتَانَ ظلم الناس وعسفهم، وأراد أُختاً للمنوّر بغير حلّ، فحمل ذلك المنوّر على أن التجأ إلى الإسماعيليّة، وصار معهم، فعظُم حالهم في قُهِسْتان، واستولوا عليها ومن جملتها (خُورُ، وخُوسف)[5]، وزوزن، وقاين، وتُون، وتلك الأطراف المجاورة لها.

---

(١) في (أ) و (ب): «يصل».
(٢) في (أ) و (ب): «المسوح».
(٣) من الباريسية.
(٤) في الباريسية: «فأخرج».
(٥) من (أ) و (ب).

ومنها قلعة وَسْنَمكُوه[1]، ملكوها، وهي بقرب أبهَر، سنة أربع وثمانين [وأربعمائة]، وتأذى بهم الناس، لا سيّما أهل أبهَر، فاستغاثوا بالسلطان بركْيارُق، فجعل عليها من يحاصرها، فحوصرت ثمانية أشهر، وأُخذت منهم سنة تسعٍ وثمانين [وأربعمائة]، وقُتل كلّ من بها عن آخرهم.

ومنها قلعة خالنجان على خمسة فراسخ من أصبهان، كانت لمؤيّد المُلك بن نظام المُلك، وانتقلت إلى جاولي سقاووا، فجعل بها إنساناً تركيّاً، فصادقه نجّارٌ باطني، وأهدى له هديّة جميلة، ولزِمه حتّى وثق به، وسلّم إليه مفاتيح القلعة، فعمل دعوةً للتركيّ وأصحابه، فسقاهم الخمر، فأسكرهم، واستدعى ابن عطّاش، فجاء في جماعة من أصحابه، فسلّم إليهم القلعة، فقتلوا من بها سوى التركيّ فإنّه هرب؛ وقوي ابن عطّاش بها، وصار له على أهل أصبهان القطائع الكثيرة.

ومن قلاعهم المذكورة أُستُونَاوَنْدُ، وهي بين الرَّيّ وآمل، ملكوها بعد ملكشاه، نزل منها صاحبها، فقُتل وأُخذت منه.

ومنها أَرْدَهْنُ، وملكها أبو الفتوح ابن أخت الحسن بن الصبّاح.

ومنها كُردكوه وهي مشهورة.

ومنها قلعة الناظر بخُوزستان؛ وقلعة الطُّنبُور وبينها[2] وبين أرّجان فرسخان أخذها[3] أبو حمزة الإسكاف، وهو من أهل أرّجان، سافر إلى مصر، وعاد داعيةً لهم.

وقلعة[4] خلادخان[5]، وهي بين فارس وخُوزستان، وأقام بها المفسدون نحو مائتَيْ سنة يقطعون الطريق حتّى فتحها عضُد الدولة بن بُوَيْه، وقتل من بها[6].

فلمّا صارت الدولة لملكشاه أقطعها الأمير أُنَر[7]، فجع بها دزداراً، فأنفذ إليه الباطنية الذين بأرَّجان يطلبون منه بَيْعها فأبى[8]، فقالوا له: نحن نرسل إليك من يناظرك

---

(١) في (أ): «وسمكوه». وفي (ب): «وسيمكوه».
(٢) في (أ) و (ب): «بينهما».
(٣) في (ب): «أخذهما».
(٤) في (أ) و (ب): «بقلعة».
(٥) في الباريسية: «حلادحان»، وفي (ب): «خلاوخان».
(٦) في (أ) و (ب) زيادة: «قال».
(٧) في (أ) و (ب): «أنز».
(٨) في الأوربية: «فأبا».

حتّى يظهر لك الحقّ؛ فأجابهم إلى ذلك، فأرسلوا إليه إنساناً ديلمياً يناظره، وكان للدزدار مملوك قد ربّاه، وسلّم إليه مفاتيح القلعة، فاستماله الباطنيُّ، فأجابه إلى القبض على صاحبه، وتسليم القلعة إليهم. فقبض عليه، وسلّم القلعة[1] إليهم، ثم أطلقه، واستولوا بعد ذلك على عدّة قلاع هذه أشهرها[2].

ذكر ما فعله جاولي سقاووا بالباطنيّة

في هذه السنة قتل جاولي سقاووا خلقاً كثيراً منهم.

وسبب ذلك أنّ هذا الأمير كانت ولايته للبلاد التي بين رامَهُرْمُز وأَرَّجان.

فلمّا ملك الباطنيّة القلاع المذكورة بخُوزِستان وفارِسَ، وعظُم شرّهم، وقطعوا الطريق بتلك البلاد، واقف جماعة من أصحابه، حتّى أظهروا الشغب عليه، وفارقوه، وقصدوا الباطنيّة، وأظهروا أنّهم معهم. وعلى رأيهم، فأقاموا عندهم حتّى وثقوا بهم.

ثم أظهر جاولي أنّ الأمراء بني بُرْسُق يريدون قصده وأخذ بلاده، وأنّه عازم على مفارقتها لعجزه عنهم، والمسير إلى هَمَذان، فلمّا ظهر ذلك وسار قال مَن عند الباطنيّة من أصحابه [مِمّن] لهم الرأي: إنّنا نخرج إلى طريقه ونأخذه وما[3] معه من الأموال؛ فساروا إليه في ثلاثمائة من أعيانهم وصناديدهم، فلمّا التقوا صار من معهم من أصحاب جاولي عليهم، ووضعوا السيف فيهم فلم يفلت منهم سوى ثلاثة نفر، صعدوا إلى الجبل وهربوا، وغنم جاولي ما معهم من دوابّ، وسلاح، وغير ذلك.

ذكر قتل صاحب كرمان الباطنيّ (وملك غيره)[4]

كان تيرانشاه[5] بن تورانشاه[6] بن قاوَرت[7] بك هو الذي قتل الأتراك الإسماعيليّة، وليسوا منسوبين[8] إلى هذه الطائفة الباطنيّة، إنما نُسبوا إلى أمير اسمه

(١) حتى هنا في نسخة (أ).
(٢) نهاية الأرب ٢٦/٣٥٣، المختصر ٢/ ٢١٤، تاريخ الإسلام ٣٣، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٣.
(٣) في الباريسية: «ونأخذ ما».
(٤) من الباريسية.
(٥) ورد الاسم بعدّة صيَغ: «ديرانساه»، و «سيرانشاه»، و «بيرانشاه»، و «تيرانشي».
(٦) في (أ) و (ب): «مورانشاه».
(٧) في تاريخ الإسلام ٣٤: «قاروت».
(٨) في الأوربية: «منسوبون».

إسماعيل، وكانوا من أهل السُّنّة قتلَ منهم أَلفَيْ رجل صبراً، وقطع أيدي أَلفَيْن، ووفد[١] عليه إنسان يقال له: أبو زُرْعَةَ، كان كاتباً بخُوزستان، فحسّن له مذهب الباطنيّة، فأجاب إليه.

وكان عنده فقيه حنفيّ يقال له: أحمد بن الحسين البَلْخيُّ، كان مطاعاً في الناس، فأحضره عندَه ليلاً، وأطال الجلوس معه، فلمّا خرج من عنده أتبعه بمن قتله، فلمّا أصبح الناس دخلوا عليه، وفيهم صاحب جيشه، فقال لتيرانشاه: أيّها الملك من قتل هذا الفقيه؟ فقال: أنت شِحنة البلد، تسألني مَن قتله؟ فقال: أنا أعرف قاتله! ونهض من عنده، ففارقه في ثلاثمائة فارس، وسار إلى أصبهان (فأرسل في أثره أَلفَيْ فارس ليردّوه، فقاتلهم، وهزمهم، وسار إلى أصبهان)[٢]، وبها السلطان محمّد ومؤيّد الملك، فأكرمه السلطان، وقال: أنت والد الملوك.

وامتعض عسكر كَرمان بعد مسيره، واجتمعوا، وقاتلوه تيرانشاه، وأخرجوه عن مدينة بَرْدَسيرَ (التي هي مدينة كَرمان)[٢]، فلمّا فارقها اتّفق القاضي والجُند، وأقاموا أرسلانشاه بن كرمانشاه بن قاورت بك، وسار تيرانشاه إلى مدينة بُمّ من كَرمان، فحاربه أهلها ومنعوه منها، وفيها أمير يُعرف بمحمّد بهستون، فأرسل أرسلانشاه جَيْشاً حصروا القَلعة، فقال محمّد بهستون لتيرانشاه: انصرف عنّي، فلستُ أرى الغدر بك، وأنا رجل مسلم، ومقامك عندي يؤذيني، وأُتّهم بك في ديني. فلمّا عزم على الخروج أرسل محمّد بهستون إلى مقدّم الجيش الذين يحاصرونهم يُعلمه بمسير تيرانشاه، فجرّد عسكراً إلى طريقه، فخرجوا عليه، وأخذوه وما معه، وأخذوا أيضاً أبا زُرعة، فأرسل أرسلانشاه فقتلهما، وتسلّم جميع بلاد كَرمان[٣].

ذكر السبب في قتل بركيارُق الباطنيّة

لمّا اشتدّ أمر الباطنيّة وقويت شوكتهم، وكثُر عددهم، صار بينهم وبين أعدائهم ذحولٌ وإحنٌ، فلمّا قتلوا جماعة من الأمراء الأكابر، وكان أكثر من قتلوا مَنْ هو في طاعة محمّد، مخالفٌ للسلطان بركْيارُق، مثل شِحنة أصبهان سرمز، وأرغش، وكمش[٤] النظاميّين، وصهره، وغيرهم، نسب أعداء بركْيارُق ذلك إليه، واتّهموه بالميل إليهم.

---

(١) في الأوربية: «ونفق».
(٢) من الباريسية.
(٣) تاريخ الإسلام ٣٤.
(٤) في (أ) و (ب): «وكجمح».

فلمّا ظفر السلطان بركْيارُق، وهزم أخاه السلطان محمّداً، وقتل مؤيّدَ المُلك وزيره، انبسط جماعة منهم في العسكر، واستغووا كثيراً منهم، وأدخلوهم في مذهبهم، وكادوا يظهرون بالكثرة والقوّة، وحصل بالعسكر منهم طائفة من وجوههم، وزاد أمرهم، فصاروا يتهدّدون من لا يوافقهم بالقتل، فصار يخافهم من يخالفهم، حتى إنّهم لم يتجاسر أحدٌ منهم، لا أمير ولا متقدّمٌ، على الخروج من منزله حاسراً بل يلبس تحت ثيابه دِرعاً. حتّى إنّ الوزير الأعزّ أبا المحاسن كان يلبس زرَديّة تحت ثيابه، واستأذن السلطانَ بركْيارُق خواصُّه في الدُّخول[1] عليه بسلاحهم، وعرّفوه خوفهم ممّن يقاتلهم، فأَذِن لهم في ذلك.

وأشاروا على السلطان أن يفتك بهم قبل أن يعجز عن تلافي أمرهم، وأعلموه ما يتّهمه الناس به من الميل إلى مذهبهم، حتّى إنّ عسكر أخيه السلطان محمّد يشنّعون بذلك، وكانوا في المصافّ يكبّرون عليهم، ويقولون: يا باطنيّة، فاجتمعت هذه البواعث كلّها، فأذِن السلطان في قتلهم، والفتك بهم، وركب هو والعسكر معه، وطلبوهم، وأخذوا جماعةً من خيامهم ولم يفلت منهم إلاّ من لم يُعرف.

وكان ممّن اتُّهم بأنّه مقدّمهم الأمير محمّد بن دشمنزيار بن علاء الدولة أبي جعفر بن كاكوَيْه، صاحب يَزْد، فهرب، وسار يومه وليلته، فلمّا كان اليوم الثاني وُجد في العسكر قد ضلّ الطريق ولا يشعر، فقُتل، وهذا موضع المثل: أتتك بحائن رِجلاه، ونُهبت خيامُه، فوُجد عنده السلاح المعدّ، وأُخرج الجماعة المتّهمون إلى الميدان فقتلوا، وقتل منهم جماعة براء لم يكونوا منهم سعى بهم أعداؤهم، وفيمن قُتل ولد كيقباذ، مستحفظ تكريت، فلم يغيّر والده خطبة بركْيارُق، ولكن شرع في تحصين القلعة وعمارتها، ونقض جامع البلد، وكان يقاربها، لئلاّ يؤتى منه، وجعل بيعةً في البلد جامعاً، وصلّى الناس فيه.

وكتب إلى بغداذ بالقبض على أبي إبراهيم الأسَدَاباذيّ الذي كان قد وصل إليها رسولاً من بركْيارُق ليأخذ مال مؤيّد المُلك، وكان من أعيانهم ورؤوسهم، فأُخذ وحُبس، فلمّا أرادوا قتله قال: هبوا أنّكم قتلتموني، أتقدرون على قتل مَن بالقلاع والمدن؟ فقُتل، ولم يصلّ عليه أحدٌ، وأُلقي خارج السور، وكان له ولد كبير قُتل بالعسكر معهم.

وقد كان أهل عانَةَ نُسبوا إلى هذا المذهب قديماً، فأُنهي حالهم إلى الوزير أبي

---

(١) في الأوربية: «الوخدل».

شجاع أيّام المقتدي بأمر الله، فأحضرهم إلى بغداذ، فسأل مشايخهم على الذي يقال فيهم، فأنكروا وجحدوا، فأطلقهم.

واتُّهم أيضاً إِلْكَيَّا الهرّاس، المدرّس بالنظاميّة، بأنّه باطنيّ، ونُقل ذلك عنه إلى السلطان محمّد، فأمر بالقبض عليه، فأرسل المستظهر بالله من استخلصه، وشهد له بصحّة الاعتقاد، وعُلُوّ الدرجة في العلم، فأُطلق[1].

ذكر حصر الأمير بزغش[2] قُهِستان وطَبَس

في هذه السنة جمع الأمير بزغش، وهو أكبر أمير مع السلطان سَنجَر، جموعاً كثيرة، وقوّاهم بالمال والسلاح، وسار إلى بلد الإسماعيليّة، فنهبه، وخرّبه، وقتل فيهم فأكثر، وحصر طَبَس، وضيّق عليها، ورماها بالمنجنيق، فخرّب كثيراً من سورها، وضعُف من بها، ولم يبقَ إلاّ أخذها، (فأرسلوا إليه الرِّشا الكثيرة، واستنزلوه عمّا كان يريده منهم)[3]، فرحل عنهم وتركهم، فعاودوا عمارة ما انهدم من سورها، وملأوها ذخائر من سلاح وأقوات وغير ذلك، ثم عاودهم بزغش سنة سبعَ وتسعين [وأربعمائة]، فكان ما نذكره إن شاء الله تعالىٰ[4].

ذكر ما ملك الفرنج من الشام

فيها سار كُنْدُفْري[5]، (ملك الفرنج)[6] بالشام، وهو صاحب البيت المقدّس، إلى مدينة عكّة، بساحل الشام، فحصرها، فأصابه سهم فقتله، وكان قد عمّر مدينة يافا وسلّمها إلى قُمّص من الفرنج اسمه طَنْكري، فلمّا قُتل كُنْدُفري سار أخوه بَغْدَوين إلى البيت المقدّس في خمسمائة فارس وراجل، فبلغ الملك دُقاق، صاحب دمشق خبره، فنهض إليه في عسكره، ومعه الأمير جناح الدولة في جموعه، فقاتله، فنُصِر على الفرنج.

---

(١) نهاية الأرب ٢٦/ ٣٥٤، ٣٥٥، المختصر ٢/ ٢١٤، تاريخ الإسلام ٣٤، ٣٥، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٣، النجوم الزاهرة ٥/ ١٦٦.

(٢) في (ب): «برغش».

(٣) من (أ).

(٤) تاريخ الإسلام ٣٥.

(٥) هو الدوق غودفري godfirey من مقاطعة بويّون Bouillon في بلجيكا. (قصة الحضارة لول ديورنت ٤/ ٢٠، ٢١).

(٦) من (أ) و (ب).

وفيها ملك الفرنج مدينة سَرُوج من بلاد الجزيرة، وسبب ذلك أنّ الفرنج كانوا قد ملكوا مدينة الرُّها بمكاتبة من أهلها لأنّ أكثرهم أرمن، وليس بها من المسلمين إلاّ القليل، فلمّا كان الآن جمع سُقمان بسَروج جمعاً كثيراً من التركمان، وزحف إليهم، فلقوه وقاتلوه، فهزموه في ربيع الأوّل. فلمّا تمّت الهزيمة على المسلمين سار الفرنج إلى سَروج، فحصروها وتسلّموها، وقتلوا كثيراً من أهلها، وسَبَوْا حريمَهم، ونهبوا أموالهم، ولم يسلم إلاّ من مضى منهزماً[1].

وفيها ملك الفرنج مدينة حَيْفا[2]، وهي بالقرب من عكّة على ساحل البحر، ملكوها عَنوةً، وملكوا أَرْسُوفَ بالأمان، وأخرجوا أهلها منها.

وفيها، في رجب، ملكوا مدينة قَيْساريّة بالسيف، وقتلوا أهلها، ونهبوا ما فيها[3].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في شهر رمضان، تقدّم الخليفة المستظهر بالله بفتح جامع القصر، وأن يُصلّى فيه صلاة التراويح، ولم تكن جرت بذلك عادة، وأمر بالجهر ببسم الله الرحمٰن الرحيم، وهذا أيضاً لم تجْرِ به عادة، وإنّما تُرك الجهر بالبَسْملة في جوامع بغداذ لأنّ العلويّين أصحاب مصر كانوا يجهرون بها، فتُرِكَ ذلك مخالفة لهم لا اتّباعاً لمذهب (أحمد الإمام)[4]، وأمر أيضاً بالقنوت على مذهب الشافعيِّ، فلمّا كانت اللّيلة التاسعة والعشرون ختم في جامع القصر، وازدحم الناس عنده، وكان زعيم الرؤساء أبو القاسم عليُّ بن فخر الدولة بن جَهِير أخو عميد الدولة قد أُطلق من الاعتقال، فاختلط بالناس، وخرج إلى ظاهر بغداذ من ثلمةٍ في السور، وسار إلى سيف الدولة صدقة بن مَزْيَد، فاستقبله وأنزله وأكرمه[5].

---

(١) تاريخ حلب (زعرور) ٣٦٠ (سويم) ٢٦، ذيل تاريخ دمشق ٣٨، نهاية الأرب ٢٨/ ٢٦٠، تاريخ سلاطين المماليك ٢٣١، العبر ٣/٣٣٨، دول الإسلام ٢/ ٢٤، تاريخ الإسلام ٣٦، الإعلام والتبيين ١٢، ١٣، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٠، شذرات الذهب ٣/ ٤٠٠.

(٢) تاريخ حلب ٣٦١ (٢٦)، ذيل تاريخ دمشق ١٣٩، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥٥ و ٢٨/ ٢٦٠، العبر ٣/ ٣٣٨، دول الإسلام ٢/ ٢٤، تاريخ الإسلام ٣٦، إتعاظ الحنفا ٣/ ٢٦، تاريخ الخلفاء ٤٢٨.

(٣) ذيل تاريخ دمشق ١٣٩، نهاية الأرب ٢٣/٢٥٦ و ٢٨/ ٢٦٠، المختصر ٢/ ٢١٤، العبر ٣/ ٣٨٨، دول الإسلام ٢/ ٢٤، تاريخ الإسلام ٣٧، الدرّة المضية ٤٥٣، تاريخ سلاطين المماليك ٢٣٨، مرآة الجنان ٣/ ١٥٦، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٠، إتعاظ الحنفا ٣/ ٢٦ و ٢٧، النجوم الزاهرة ٥/ ١٦٧.

(٤) في الباريسية: «أحد».

(٥) تاريخ حلب ٣٦١ (٢٦)، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥٦، تاريخ الإسلام ٣٧، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٠.

[الوفَيات]

وفيها، في المحرّم، توفّي جمال الدولة أبو نصر[1] بن رئيس الرؤوساء بن المُسلمة، وهو أُستاذ دار الخليفة.

وفيه توفّي القاضي أحمد بن محمّد بن عبد الواحد أبو منصور بن الصبّاغ[2] الفقيه الشافعيّ، وأخذ الفقه عن ابن عمّه الشيخ أبي نصر بن الصبّاغ، وكان يصوم الدهر، وروى الحديث عن القاضي أبي الطيّب الطبريّ وغيره.

وفيه توفّي شرف الملك أبو سعد محمّد بن منصور المستوفي[3]، الخُوارزميُّ، بأصبهان، وكان مستوفياً في ديوان السلطان ملكشاه، فبذل مائة ألف دينار، حتّى ترك الاستيفاء، وبنى[4] مشهداً على قبر[5] أبي حنيفة، رحمة الله عليه، ومدرسةً بباب الطاق، ومدرسةً بمرو جميعها للحنفيين.

وفيها، في صفر، توفّي القاضي أبو المعالي عزيزي[6]، وكان شافعيّاً، أشعريّاً، وهو من جِيلان، وله مصنَّفات كثيرة حسنة، وكان ورعاً، وله مع أهل باب الأَزَج أخبار ظريفة، وكان قاضياً عليهم، وكان يُبغضونه (ويبغضهم).

وتوفّي أسعد[7] بن مسعود بن عليّ بن محمّد أبو إبراهيم العُتبيُّ من ولد عُتبة بن غَزْوَان. نَيسابوري[8]، وُلِد سنة أربعٍ وأربعمائة، وروى عن أبي بكر الحِيريّ[9] وغيره.

وتوفّي في صفر محمّد بن أحمد بن عبد الباقي بن الحسن بن محمّد بن طوق أبو الفضائل الرَّبَعيُّ[10] الموصليُّ الفقيه الشافعيُّ؛ تفقّه على أبي إسحاقِ الشيرازيّ؛ وسمع الحديث من أبي الطيّب الطبريّ وغيره، وكان ثقةً صالحاً.

---

(١) هو محمد بن علي بن الحسن بن المسلمة. (تاريخ الإسلام ـ وفيات ٤٩٤ هـ. ص ١٩٩ رقم ١٩٠).

(٢) انظر عن (ابن الصباغ) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٤ هـ) ص ١٧٨، ١٧٩ رقم ١٦٠، وفيه مصادر ترجمته.

(٣) انظر عن (المستوفي) في: المنتظم ١٧/٧٢ رقم ٣٧١٩، والبداية والنهاية ١٢/١٦١.

(٤) في الأوربية: «وبنا».

(٥) في (أ) و (ب): «قبة».

(٦) انظر عن (عزيزي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٤ هـ) ص ١٩٠، ١٩١ رقم ١٧٩ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٧) انظر عن (أسعد) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٤ هـ) ص ١٨٠ رقم ١٦٢ وفيه مصادر ترجمته.

(٨) في (ب): «بنيسابور».

(٩) في (أ): «الخيري».

(١٠) انظر عن (الربعي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٤ هـ) ص ١٩٦، ١٩٧ رقم ١٨٦ وفيه مصادر ترجمته.

وتوفّي في ربيع الأوّل منها محمّد بن عليّ بن عُبيد الله بن أحمد بن صالح بن سليمان بن وَدْعان[1] أبو نصر القاضي الموصليُّ، وهو صاحب «الأربعين الودعانيّة» وقد تكلّموا فيها، فقيل إنّه سرقها، وكانت تصنيف زيد بن رفاعة الهاشميّ، والغالب على حديثه المناكير.

وتوفّي فيها، في ربيع الأوّل، نصر بن أحمد بن عبد الله بن البَطِر[2] القاري أبو الخطّاب، ومولده سنة ثمانٍ وتسعين وثلاثمائة، سمع ابن رزقوَيهِ وغيره، وصارت إليه الرحلة لعُلُوّ إسناده، وكان سماعه صحيحاً.

---

(١) أنظر عن (ابن ودعان) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٤ هـ) ص ١٩٩ ـ ٢٠١ رقم ١٩١ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) انظر عن (ابن البطر) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٤ هـ) ص ٢٠٤ ـ ٢٠٧ رقم ١٩٩ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

٤٩٥
ثم دخلت سنة خمس وتسعين وأربعمائة

ذكر وفاة المستعلي بالله وولاية الآمر بأحكام الله

في هذه السنة توفّي المستعلي بالله أبو القاسم أحمد بن مَعَدّ المستنصر بالله العلويُّ، الخليفة المصريُّ، لسبع عشرة خلتْ من صفر، وكان مولده في العشرين من شعبان سنة سبع وستّين وأربعمائة، وكانت خلافته سبع سنين وقريب شهريْن، وكان المدبّر لدولته الأفضل[1].

ولمّا توفّي وليَ بعده ابنه أبو عليّ المنصور، ومولده ثالث عشر المحرّم سنة تسعين وأربعمائة، وبويع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبوه، وله خمس سنين وأربعة أيّام، ولُقّب الآمر بأحكام الله، ولم يكن [بين] من تسمّى بالخلافة قطّ أصغر منه ومن المستنصر، وكان المستنصر أكبر من هذا، ولم يقدر [أن] يركب وحده على الفرس لصِغر سنّه، وقام بتدبير دولته الأفضل ابن أمير الجيوش أحسن قيام، ولم يزل كذلك يدبّر الأمر إلى أن قُتل سنة خمس عشرة وخمسمائة[2].

ذكر الحرب بين السلطان بركْيارُق والسلطان محمّد والصُّلح بينهما

في هذه السنة، في صفر، كان المصافّ الثالث بين السلطانين بركْيارُق ومحمّد.

قد ذكرنا سنة أربع وتسعين [وأربعمائة] قدوم السلطان محمّد إلى بغداذ، ورحيل

---

(١) انظر عن (المستعلي بالله) في: تاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٥ هـ) ص ٤١، وفي (وفيات ٤٩٥ هـ) ص ٢٠٩، ٢١٠ رقم ٢٠٤ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) ذيل تاريخ دمشق ١٤١، تاريخ مختصر الدول ٢٩٧، أخبار الدول المنقطعة ٨٧، المختصر ٢/ ٢١٥، الدرّة المضيّة ٤٦١، الإشارة إلى من نال الوزارة ٦٠، دول الإسلام ٢/ ٢٤، تاريخ الإسلام ٤١، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٣.

السلطان بركْيارُق عنها إلى واسط مريضاً، فأقام السلطان محمّد ببغداذ إلى سابع عشر المحرّم من هذه السنة، وسار عنها هو وأخوه السلطان[1] سَنجَر عائدين إلى بلادهما[2]، وسَنجَر يقصد خُراسان[3]، والسلطان محمّد يقصد همَذان. فلمّا سار محمّد عن بغداذ وصلت الأخبار أنّ بركْيارُق قد اعترض خاصّ الخليفة بواسط[4] وسُمع منه في حقّ الخليفة ما يقبح نقلُه، فأرسل الخليفة وأعاد السلطانَ محمّداً إلى بغداذ، وذكر له ما نُقل إليه، وعزم على الحركة مع محمّد إلى قتال بركيارُق، فقال السلطان محمّد: لا حاجة إلى حركة أمير المؤمنين، فإنّي أقوم في هذا القيام المرضي. وسار عائداً، ورتّب ببغداذ أبا المعالي (المفضّل بن عبد الرزّاق في جباية الأموال وإيلغازي)[5] شِحنةً.

وكان لمّا دخل بغداذ قد خلّف عسكره بطريق خُراسان، فنهبوا البلاد وخرّبوها، فأخذهم السلطان محمّد معه، وجدّ السير إلى رُوذراور.

وأمّا السلطان بركْيارُق فقد تقدّم سنة أربع وتسعين [وأربعمائة] أنّه سار من بغداذ عند وصول محمّد إليها قاصداً إلى واسط، فلمّا سمع عسكر واسط بقربه منهم، خافوا منه، وأخذوا نساءَهم، وأولادهم، وأموالهم، وجمعوا السفن جميعها، وانحدروا إلى الزُّبَيدِيّة، فأقاموا هناك.

ووصل السلطان، وهو شديد المرض، يُحمل في محفّة، وقد هلك من دوابّ عسكره ومتاعهم الكثير، فإنّهم كانوا يجدّون السير خوفاً أن يتبعهم السلطان محمّد، أو الأمير صدقة، صاحب الحِلّة، فكانوا كلّما جازوا قنطرة هدموها، ليمتنع من يجتاز بها من اتّباعهم.

ولمّا وصلوا إلى واسط عُوفي بركْيارُق، ولم يكن له ولأصحابه همّة غير العبور من الجانب الغربيّ إلى الجانب الشرقيّ، فلم يجد[6] هناك سفينة، وكان الزمان شاتياً، شديد البرد، والماء زائداً[7]، وكان أهل البلد قد خافوهم، فلزِموا الجامع وبيوتهم، فخلت الطرق والأسواق من مجتازٍ فيها، فخرج القاضي أبو عليّ الفارقيّ إلى العسكر

---

(١) من الباريسية.

(٢) في الأوربية: «بلادهم».

(٣) في (أ) و (ب): «بلاده بخراسان».

(٤) من (أ) و (ب).

(٥) من (ب).

(٦) في (أ): «يجدوا».

(٧) في الأوربية: «زائد».

واجتمع بالأمير إياز، والوزير، واستعطفهما للخلق، وطلب إنفاذ[1] شِحنةٍ لتطمئنّ القلوب، فأجابوه إلى ملتمسه، وقالوا له: نريد أن تجمع لنا من يعبّر دوابنا في الماء، ونسبح[2] معها، فجمع لهم من شباب واسط، وأعطاهم الأجرة الوافرة، فعبّروا دوابّهم من الخيل والبغال والجمال، وكان الأمير إياز بنفسه يسوق الدوابّ، ويفعل ما يفعله الغلمان، ولم يكن معهم غير سفينة واحدة انحدرت مع السلطان من بغداذ، فعبّروا أموالهم ورحالهم[3] فيها. فلمّا صاروا في الجانب الشرقيّ اطمأنّوا ونهب العسكر البلد، فرجع القاضي وجدّد الخطاب في الكفّ عنهم، فأُجيب إلى ذلك، فأرسل معه مَنْ يمنع من النهب.

ثم إنّ عسكر واسط أرسلوا إلى السلطان بركْيارُق يطلبون الأمان ليحضروا الخدمة فأمّنهم، فحضر أكثرهم عنده، وساروا معه إلى بلاد بني بُرسُق، فحضروا أيضاً عنده وخدموه، واجتمعت العساكر عليه.

وبلغه مسير أخيه محمّد عن بغداذ، فسار يتبعه على نَهاوند، فأدركه بروذراوَر، وكان العسكران متقاربَيْن في العدّة، كلّ واحد منهما أربعة آلاف فارس من الأتراك، فتصافّوا، أوّلَ يوم، جميع النهار، ولم يجْر بينهم قتال لشدّة البرد، وعادوا في اليوم الثاني، ثم تواقفوا كذلك، ثم كان الرجل يخرج من أحد الصفّيْن فيخرج إليه من يقاتله، فإذا تقاربا اعتنق كلّ واحد منهما صاحبه، وسلّم عليه، ويعود عنه[4].

ثمّ خرج الأمير بلدجي[5] وغيره من عسكر محمّد إلى الأمير إياز والوزير الأعزّ، فاجتمعوا، واتّفقوا على الصلح، لما قد عمّ الناس من الضّرر، والملل، والوهن، فاستقرّت القاعدة أن يكون بركْيارُق السلطان، ومحمّد الملك، ويُضرب له ثلاث نُوَب، ويكون له من البلاد جَنْزَةُ وأعمالها، وأَذَرْبيجان، وديار بَكر، والجزيرة، والموصل، وأن يمدّه السلطان بركْيارُق بالعساكر، حتّى يفتح ما يمتنع عليه منها، وحلف كلّ واحد منهما لصاحبه، وانصرف الفريقان من المصافّ رابع ربيع الأوّل، وسار بركْيارُق إلى مرج

---

(١) من الباريسية.

(٢) في (أ) و (ب): «ويسبح».

(٣) في الباريسية: «ورجالهم».

(٤) زبدة التواريخ ١٦٤، المختصر ٢/ ٢١٥، العبر ٣/ ٣٤٠، دول الإسلام ٢/ ٢٤، تاريخ الإسلام ٤٢، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٦ و ٥/ ٢٧.

(٥) في (أ) و (أ): «بلداجي».

قُراتكين قاصداً ساوة، والسلطان محمّد إلى أسداباذ، وتفرّق هذا المصافّ وقصد كلّ أمير أقطاعه[١].

ذكر الحرب بين السلطان بركيارُق ومحمّد وانفساخ الصلح بينهما

في هذه السنة، في جمادى الأولى[٢]، كان المصافّ الرابع بين السلطان بركْيارُق وأخيه محمّد.

وكان سببه أنّ السلطان محمّداً سار من روذراوَر[٣]، من الوقعة المذكورة، إلى أَسَدَاباذ، ومنها إلى قَزوين، ونسب الأمراء الذين سعوا في ذلك الصلح إلى المخامرة عليه، والتقاعد به، فوضع رئيس قَزوين أن يتوسّل إليه بأولئك الأمراء ليحضر[٤] دعوته، فاستشفع الرئيس بهم إلى السلطان، فحضر دعوته، بعد أن امتنع، ووصّى خواصّه بحمل السلاح تحت أقبيتهم، وحضر الدعوة ومعه الأمير أيتكين، وبسمل[٥]، فقتل الأميرَ بسمل[٥]، (وهو من أكابر الأمراء)[٦]، وكحل الأميرَ أيتكين.

وكان الأمير ينّال بن أنوشتكين الحُساميّ قد فارق بركْيارُقَ، وأقام مجاهداً للباطنيّة الذين في القلاع والجبال، فقصد الآن السلطان محمّداً، وسار معه إلى الرَّيّ يضرب النُّوَب الخمس، واجتمعت إليه العساكر، وأقام ثمانية أيّام، ووافاه أخوه السلطان بركْيارُق في اليوم التاسع، ووقع بينهما المصافّ عند الرَّيّ، وكانت عدّة العسكرَيْن متقاربة كلّ عسكر منهما عشرة آلاف فارس، فلمّا اصطفّوا حمل الأمير سُرخاب بن كَيخَسْرو الديلميُّ، صاحب أبَة[٧]، على الأمير يَنّال، فهزمه، وتبَعه في الهزيمة جميع عسكر محمّد، وتفرّقوا، ومضى معظمهم نحو طَبَرِستان، ولم يُقْتَلْ في هذا المصافّ غير رجل واحد قُتل صبراً.

---

(١) نهاية الأرب ٢٦/٣٤٩، المختصر ٢/٢١٥، العبر ٣/٣٤٠، تاريخ الإسلام ٤٢، دول الإسلام ٢/٢٤، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٨٦ و ٥/٢٧.

(٢) في (أ) و (ب) زيادة: «أيضاً».

(٣) في (أ) و (ب): «روذوار».

(٤) في (أ) و (ب): «ليحضروا».

(٥) في (أ): «بسمك»، وفي تاريخ ابن خلدون ٥/٢٨ «يشمك»، وفي تاريخ الإسلام ٤٢ «سمل»، وانظر دول الإسلام ٢/٢٤.

(٦) من (أ) و (ب).

(٧) في (أ) و (ب): «أوة».

ومضَى قطعة من المنهزمين نحو قَزوين، ونُهبت خزائن محمّد، ومضى في نفر يسير إلى أصبهان، وحمل هو عَلمه بيده ليتبعه أصحابه، وسار في طلبه الأمير ألْبكي بن برسق[١]، والأمير إياز إلى قُمّ، وتتبّع السلطان بركْيارُق أصحاب أخيه محمّد، وأخذ أموالهم[٢].

ذكر حصار السلطان محمّد بأصبهان

لمّا انهزم السلطان محمّد من الوقعة التي ذكرناها بالريّ، مضى إلى أصبهان في سبعين فارساً، والبلد في حكمه، وفيه نائبه، ومعه من الأمراء الأمير ينّال، (وغيره من الأمراء)[٣]، ودخل المدينة في ربيع الأوّل، وأمر بتجديد ما تشعّث من السور، وهذا السور هو الذي بناه علاء الدولة بن كاكَوَيْه سنة تسع وعشرين وأربعمائة، عند خوفه من طُغْرُلْبك، وأمر محمّد بتعميق الخندق حتى صعِدَ الماء فيه، وسلّم إلى كلّ أمير باباً، وكان معه في البلد ألف ومائة فارس وخمس مائة راجل، ونصب المجانيق.

ولمّا علم السلطان بركْيارُق بمسير أخيه محمّد إلى أصبهان سار يتبعه، فوصلها[٤] في جمادى الأولى، وعساكره كثيرة، تزيد على خمسة عشر ألف فارس، ومعها مائة ألف من الحواشي، وأقام يحاصر البلد، وضيّق عليه.

وكان السلطان محمّد يدور كلّ ليلة على سور البلد ثلاث دفعات، فلمّا زاد الأمر في الحصار، أخرج الضعفاء والفقراء من البلد، حتّى خلت المحالّ، وعُدمت الأقوات، وأكل الناس الخيل، والجِمال، وغير ذلك، وقلّت الأموال، فاضطرّ السلطان محمّد إلى أن يستقرض من أعيان البلد فأخذ مالاً عظيماً، ثم عاود الجُندُ الطلب، فقسّط على أهل البلد شيئاً آخر، وأخذه منهم بالشدّة والعنف، ولم تزل الأسعار تغلو، حتّى بلغ عشرة أمنان[٥] من الحنطة بدينار، وأربعة أرطال لحماً بدينار، وكلّ مائة رطل تبناً بأربعة دنانير، ورخصت الأمتعة وهانت لعدم الطالب.

وكانت الأسعار، في عسكر بركْيارُق، رخيصةً، فبقي الحصار على البلد إلى عاشر

---

(١) في (أ): «برشق».

(٢) زبدة التواريخ ١٦٤، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٤٩، المختصر ٢/ ٢١٥، العبر ٣/ ٣٤٠، دول الإسلام ٢/ ٢٤، ٢٥، تاريخ الإسلام ٤٢، ٤٣.

(٣) من (ب).

(٤) في (أ) و (ب): «فوصل إليها».

(٥) في الأوربية: «أمنا».

ذي الحجّة، فلمّا رأى السلطان محمّد أنّه لا قدرة له على الدفع عن البلد، وكلّما جاء أمره يضعف، قوّى عزمه[1] على مفارقته وقصْد جهةٍ أخرى، يجمع فيها العساكر، ويعود يدفع الخصم عن الحصار، فسار عن البلد في مائة وخمسين فارساً، ومعه الأمير ينّال، واستخلف بالبلد جماعة من الأمراء الكبار في باقي العسكر، فلمّا فارق العسكرَ والبلد لم يكن في دوابّهم ما (يدوم على السير)[2]، لقلّة[3] العلف في الحصار، فنزل على ستّة فراسخ.

فلمّا سمع بركْيارُق بمسيره سيّر وراءه الأمير إياز في عسكر كثير، وأمره بالجدّ في السّير في طلبه، فقيل: إنّ محمّداً سبقهم، فلم يدركوه، فرجعوا، وقيل: بل أدركوه، فأرسل إلى الأمير إياز يقول: أنت تعلم أنّني[4] لي في رقبتك عهود وأيمان ما نُقِضَتْ، ولم يكن منّي إليك ما تبالغ في أذاي. فعاد عنه، وأرسل له خَيْلاً، وأخذ علَمَه، والجَتَر، وثلاثة أحمال دنانير، وعاد إلى بركْيارُق، فدخل إليه، وأعلام أخيه السلطان محمّد منكوسة، فأنكر بركْيارُق ذلك، وقال: إن كان قد أساء، فلا ينبغي أن يعتمد معه هذا. (فأخبره الخبر)[5]، فاستحسن ذلك منه.

فلمّا فارق محمّد أصبهان اجتمع من المفسدين، والسواديّة، ومن يريد النهب، ما يزيد على مائة ألف فارس، وزحفوا إلى البلد بالسلاليم، والدّبّابات، وطمّوا الخندق بالتبن، والتصقوا بالسور، وصعِد الناس في السلاليم فقاتلهم أهل البلد قتال من يريد [أن] يحمي حريمه وماله، فعادوا خائبين، فحينئذٍ أشار الأمراء على بركْيارُق بالرحيل، فرحل ثامن عشر ذي الحجّة من السنة، واستخلف على البلد القديم، الذي يقال له شَهْرِسْتان، ترشك الصوابيَّ في ألف فارس مع ابنه ملكشاه، وسار إلى همَذان؛ وكان هذا من أعجب ما سُطر أنّ سلطاناً محصوراً قد تقطّعت موادّه، وهو يُخْطَب له في أكثر البلاد، ثم يخلص من الحصر الشديد، وينجو من العساكر الكثيرة التي كلّها قد شرع إليه رُمحه، وفوّق إليه سهمه[6].

---

(١) في الباريسية: «أمر».

(٢) في الباريسية: «يدفع».

(٣) في الأوربية: «العلة».

(٤) في الباريسية و ب: «أن».

(٥) من (أ).

(٦) نهاية الأرب ٢٦/ ٣٤٩، ٣٥٠، المختصر ٢/ ٢١٥، العبر ٣/ ٣٤٠، دول الإسلام ٢/ ٢٥، تاريخ الإسلام ٤٢، ٤٣، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٣، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٢، ١٦٣، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٧ و ٥/ ٢٨.

ذكر قتل الوزير الأعزّ ووزارة الخطير أبي منصور

في هذه السنة، ثاني عشر صفر، قُتل الوزير الأعزّ أبو المحاسن عبد الجليل بن محمّد الدِّهِسْتانيُّ، وزير السلطان بركْيارُق على أصبهان، وكان مع بركْيارُق محاصراً لها، فركب هذا اليوم من خيمته إلى خدمة السلطان، فجاء شابٌّ أشقر، قيل: إنّه كان من غلمان أبي سعيد الحدّاد، وكان الوزير قتله في العام الماضي، فانتهز الفرصة فيه، وقيل: كان باطنيّاً، فجرحه عدّة جراحات، (فتفرّق أصحابه عنه، ثم عادوا إليه، فجرح أقربهم منه جراحات)[1]، أثخنته، وعاد إلى الوزير فتركه بآخر رمق[2].

وكان كريماً، واسع الصدر، حسن الخُلُق، كثير العمارة، ونفر الناس منه لأنّه دخل في الوزارة، وقد تغيّرت القوانين، ولم يبقَ دخلٌ ولا مال، ففعل للضرورة ما خافه الناس بسببه.

وكان حسن المعاملة مع التجّار، فاستغنى به خَلق كثير، فكانوا يسألونه ليعاملهم، فلمّا قُتل ضاع منهم مال كثير.

حُكي أنّ بعض التجّار باعه متاعاً بألف دينار، فقال له: خذ بها حنطة من الراذان خمسين كرّاً، كلّ كرّ بعشرين ديناراً؛ فامتنع التاجر من أخذها، وقال: لا أريد غير الدنانير. فلمّا كان من الغد دخل إليه التاجر، فقال له: يُهنئك، يا فلان! فقال: وما هو؟ قال: خبر حنطتك؛ فقال: ما لي حنطة، ولا أريدها؛ قال: بلى، وقد بيعت كلّ كرّ بخمسين ديناراً؛ فقال: أنا لم أتقبّل بها! فقال الوزير: ما كنتُ أفسخ عقداً عقدتُهُ. قال: فخرجتُ، وأخذتُ ثمن الحنطة ألفَيْن وخمسمائة دينار، وأضفتُ إليها مثلها وعاملته، فقُتل فضاع الجميع.

وكان قد نفق عليه عمل الكيمياء، واختصّ به إنسان كيميائيّ، فكان يَعِده الشهرَ بعد الشهر، والحَوْلَ بعد الحَوْل، وقال له بعض أصحابه، وقد أحاله عليك بكرّ حنطة، فاستزاده: لو كان صادقاً في عمله، لما كان يستزيد من القدر القليل؛ وقُتل ولم يصحّ له منه[3] شيء.

ولمّا قتل الأعزّ أبو المحاسن وَزَر بعده الوزير الخطير أبو منصور المَيْبُذيُّ الذي كانَ وزير السلطان محمّد.

---

(١) من (أ) و (ب).

(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٥ هـ) ص ٤٥، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٨٧ و ٥/٢٨.

(٣) من (أ) و (ب).

وكان سبب فراقه لوزارة محمّد أنّه كان معه بأصبهان، وبركْيارُق يحاصره، وقد سلّم إليه محمّدٌ باباً من أبوابها ليحفظها، فقال له الأمير يَنّال بن أنوشتكين: كنتَ قد كلّفتَنا[1]، ونحن بالريّ، لنقصد همذان، وقلتَ: أنا أقيم بالعسكر من مالي، وأحصل لهم ما يقوم بهم، ولا بدّ من ذلك. فقال له الخطير: أنا أفعل ذلك. فلمّا كان اللّيل فارق البلد، وخرج من الباب الذي كان مُسَلَّماً إليه، وقصد بلده مَيْبُذ، وأقام بقلعتها متحصّناً، فأرسل إليه السلطان بركْيارُق وحصره، فنزل منها مستأمناً، فحُمل على بغلٍ بإكافٍ إلى العسكر، فوصله في طريقه قَتْل الوزير الأعزّ، وكتاب السلطان له بالأمان، وطُيّب قلبه، فلمّا وصل إلى العسكر خلع عليه واستوزره[2].

حادثة يُعْتَبَر بها

في سنة ثلاثٍ وتسعين [وأربعمائة] بيع رحلُ بني جَهِير ودُورهم بباب العامّة، ووصل ثمن ذلك إلى مؤيّد المُلك، ثمَّ قُتِل في سنة أربع وتسعين مؤيّد المُلك، وبِيع ماله وبَركه، وأُخذ الجميع إلى الوزير الأعزّ، وقُتل الوَزير الأعزّ، هذه السنّة، وبِيع رَحْله، واقتُسمت أمواله، وأخذ السلطان ومن وليَ بعده أكثرها، وتفرّقت أيدي سبا، وهذا عاقبة خدمة الملوك.

ذكر الفتنة بين إيلغازي وعامّة بغداذ

في هذه السنة، في رجب، كانت فتنة شديدة بين عسكر الأمير إيلغازي بن أُرتُق، شِحنة بغداذ، وبين عامّتها.

وسببها أنّ إيلغازي كان بطريق خُراسان، فعاد إلى بغداذ. لمّا وصل أتى جماعة من أصحابه إلى دجلة، فنادوا ملاّحاً ليعبر بهم، فتأخّر، فرماه أحدهم بنشّابة، فوقعت في مَشْعره فمات، فأخذ العامّة القاتل، وقصدوا باب النُّوبي، فلقيهم ولد إيلغازي مع جماعة، فاستنقذوه، ورجمهم العامّة بسوق الثلاثاء، فمضى إلى أبيه مستغيثاً، فأخذ حاجبُ الباب من له في هذه الحادثة عملٌ فلم يُقنع إيلغازيْ ذلك، فعبر بأصحابه إلى محلّة الملاّحين، المعروفة بمربّعة القطّانين، ويتبعهم خلق كثير، فنهبوا ما وجدوا وقدروا عليه، فعطف عليهم العيّارون فقتلوا أكثرهم.

ونزل من سَلِم في السفن ليعبروا دجلة، فلمّا توسّطوها ألقَى الملاّحون أنفسهم في

---

(١) في (أ) و (ب): «كاتبتنا».

(٢) زبدة التواريخ ١٦٦، تاريخ دولة آل سلجوق ٩٦ ـ ١١٤، تاريخ الإسلام ٤٥، تاريخ ابن خلدون ٥/٢٨.

الماء وتركوهم فغرقوا، فكان الغريق أكثر من القتيل، وجمع إيلغازي التركمان، وأراد نهب الجانب الغربيّ، فأرسل إليه الخليفة قاضي القضاة، والكيا الهرّاس، المدرّس بالنظاميّة، فمنعاه من ذلك، فامتنع[1].

ذكر قصد صاحب البصرة مدينة واسط وعوده عنها

في هذه السنة، في العشرين من شوّال، قصد الأمير إسماعيل، صاحب البصرة، مدينة واسط للاستيلاء عليها.

ونحن نبتدىء بذِكر إسماعيل، وتنقّل الأحوال به إلى أن ملك البصرة، وهو إسماعيل بن سلانجق، وكان إليه في إيّام ملكشاه شِحنكيّة الريّ، ولمّا وليها كان أهل الريّ والرُّستاقيّة قد أعيَوا مَنْ وليهم، وعجز الوُلاة عنهم، فسلك معهم طريقاً أصلحهم بها، وقتل منهم مقتلة عظيمة فتهذّبوا بها، وأرسل مِن شعورهم إلى السلطان ما عمل منه مقاودَ وشُكُلاً للدوابّ، ثم عُزل عنها.

ثمّ إنّ السلطان بركْيارُق أقطع البصرة للأمير قماج، فأرسل إليها هذا الأمير إسماعيل نائباً عنه، فلمّا فارق قماج بركْيارُق، وانتقل إلى خُراسان، حدّثته نفسه بالتغلّب على البصرة، والاستبداد، فانحدر مهذّب الدولة بن أبي الجبر[2] من البطيحة إليه ليحاربه، ومعه معقل بن صدقة بن منصور بن الحسين الأسَديّ، صاحب الجزيرة الدُّبيسيّة، فأقبلا في جَمْعٍ كثير من السفن والخيل، ووصلوا إلى مَطَارَا.

فبينما معقل يقاتل قريباً من القلعة التي بناها ينّال بمَطَارَا، وجدّدها إسماعيل وأحكمها، أتاه سهم غَربٍ فقتله، فعاد ابن أبي الجبر إلى البطيحة، وأخذ إسماعيل سفنه، وذلك سنة إحدى وتسعين [وأربعمائة]، فاستمدّ ابن أبي الجبر كوهرائين، فأمدّه بأبي الحسن الهَرَويّ، وعبّاس بن أبي الجبر، فلقياه، فكسرهما، وأسرهما، وأطلق عبّاساً على مال أرسله أبوه، واصطلحا.

وأمّا الهرويّ فبقي في حبسه مدّةً، ثم أطلقه على خمسة آلاف دينار، فلم يصحّ له منها شيء.

وقوي حال إسماعيل، فبنى[3] قلعة بالأُبُلّة، وقلعة بالشاطىء مقابل مَطَارَا، وصار

---

(١) تاريخ الإسلام ٤٥، ٤٦، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٧، ٤٨٨.

(٢) في (أ): «الخير».

(٣) في الأوربية: «فبنا».

مخوفَ الجانب وأمن البصريّون به، وأسقط شيئاً من المكوس، واتّسعتْ إمارته باشتغال السلاطين، وملك المَشَان، واستضافها إلى ما بيده.

فلمّا كان هذه السنة كاتبه بعض عسكر واسط بالتسليم إليه، فقوي طمعه في واسط، فأصعد في السفن إلى نَهْرَابان[1]، وراسلهم في التسليم، فامتنعوا من ذلك، وقالوا: راسلناك، وقد رأينا غير ذلك الرأي. فأصعد إلى الجانب الشرقيّ، فخيّم تحت النخيل، وسفنه بين يديْه، وخيّم جُند واسط حِذاءه، وراسلهم، ووعدهم، وهم لا يجيبونه[2].

واتّفقت العامّة مع الجُند، وشتموه أقبح شتم، فلمّا أيس منهم عاد إلى البصرة، وساروا بإزائه من الجانب الآخر، فوصل إلى العَمَر، وعبّر طائفة من أصحابه فوق البلد، وهو يظنّ أنّ البلد خالٍ[3]، وأنّ الناس قد خرجوا منه، لمّا رأى كثرة مَن بإزائه، فيوقع الحريق في البلد، فإذا رجع الأتراك عاد هو من ورائهم، فكان ظنّه خائباً لأنّ العامّة كانوا على دجلة، أوّلهم في البلد، وآخرهم مع الأتراك بإزائه[4].

فلمّا عبر أصحابه عاد الأتراك عليهم، ومعهم العامّة، فقتلوا منهم ثلاثين رجلاً، وأسروا خلقاً كثيراً، وألقى الباقون أنفسهم في الماء، فأتاه من ذلك مصيبة لم يظنّها، وصار[5] أعيان أصحابه مأسورين، وعاد إلى البصرة، وكان عوده من سعادته، فإنّه كان قد قصد الأمير أبو سعد محمّد بن مُضَر بن محمود[6] (البصرة ذلك الوقت)[7]، وله أعمال واسعة، منها: نصف عُمان، وجَنّابَة، وسِيراف، وجزيرة بني نَفِيس.

وكان سبب قصده إيّاها أنّه كان قد صار مع إسماعيل إنسان يُعرف بجعفرك، وآخر اسمه زنجوَيْه، والثالث بأبي الفضل الأُبُلّيّ، فأطمعوه في أن يعمل مراكب يرسل فيها مقاتلةً في البحر إلى أبي سعد هذا وغيره، فعمل نيّفاً وعشرين قطعةً، فلمّا علم أبو سعد الحال، أرسل جماعة كثيرة من أصحابه في نحو خمسين قطعة، فأتوا إلى دجلة البصرة، وذلك في السنة الخالية، فأقاموا بها محاربين[8]، وظفروا بطائفة من أصحاب إسماعيل،

---

(١) في (أ) و (ب): «نهراجان».
(٢) في (أ) و (ب): «يحسرونه»، وفي (أ): «العلّه يخشونه».
(٣) في الأوربية: «خالياً».
(٤) في (أ) و (ب) زيادة: «فتوقع الحريق في البلد».
(٥) في (أ) و (ب): «وعاد».
(٦) في الباريسية: «محمويه».
(٧) من الباريسية.
(٨) في (أ): «غارتين»، و (ب): «غاريين».

وقتلوا صاحب قلعة الأُبُلّة، وكاتبوا بني بُرسُق[1] بخُوزستان يطلبون أن يرسلوا عسكراً ليساعدوهم على أخذ البصرة، فتمادى الجواب، وركن الطائفتان إلى الصلح، على أن يسلّم إليهم إسماعيل جعفرك ورفيقه، ويُقطعهم مواضع ذكروها من أعمال البصرة.

فلمّا رجعوا لم يفعل شيئاً من ذلك، وأخذ مركبَيْن لقوم من أصحاب أبي سعد، فحمله ذلك على أن سار بنفسه في قطعٍ كثيرة تزيد على مائة قِطعة بين كبيرة وصغيرة، ووصل إلى فوهة نهر الأُبُلّة.

وخرج عسكر إسماعيل في عدّة مراكب، ووقع القتال بينهم، وكان البحريّون في نحو عشرة آلاف، وإسماعيل في سبعمائة، وأصعد البحريّون في دجلة، فأحرقوا عدّة مواضع، وتفرّق عسكر إسماعيل، فبعضه بالأُبُلّة، وبعضه بنهر الديْر، وبعضه في مواضع أُخر.

فلمّا ضعُف إسماعيل عن مقاومة أبي سعد طلب من وكيل[2] الخليفة، على ما يتعلّق بديوانه من البلاد، أن يسعى في الصلح، فأرسل إليه في ذلك، فأعاد الجواب يذكر قُبح ما عامله به إسماعيل مرّة بعد أخرى، وتكرّرت الرسائل بينهم، فأجاب إلى الصُّلح، فاصطلحا، واجتمعا، وعاد أبو سعد إلى بلاده، وحمل كلّ واحد منهما لصاحبه هديّة جميلة.

ذكر وفاة كربوقا وملك موسى التركمانيّ الموصل وجكرمش بعده وملك سُقمان الحصن

في هذه السنة، في ذي القعدة، تُوفّي قوام الدولة كربوقا[3]، عند مدينة خُوَيّ، وكان السلطان بركْيارُق قد أرسله في العام الماضي إلى أَذَرْبيجان، كما ذكرناه، فاستولى على أكثرها، وأتى إلى خُوَيّ، فمرض بها ثلاثة عشر يوماً، وكان معه أَصْبَهْبَذْ صباوة بن خُمارتكِين، وسُنْقُرْجَهْ، فوصّى إلى سُنْقُرْجَهْ، وأمر الأتراك بطاعته، وأخذ له على عسكره العهد، ومات على أربعة فراسخ من خُوَيّ، ولُفّ في زليّة لعدم ما يكفّن فيه ودُفن بخُوَيّ.

وسار سُنْقُرْجَهْ وأكثر العسكر إلى الموصل فتسلّمها، فأقام بها ثلاثة أيام، وكان

(١) في (أ): «برشق».
(٢) في (أ) و (ب): «ديوان».
(٣) يرد بعدّة صِيَغ: «كبربوقا»، و «كربوغا» و «كربوقا».

أعيان الموصل قد كاتبوا موسى التركمانيّ، وهو بحصن كِيفا ينوب عن كربوقا فيها، وسألوه أن يبادر إليهم ليسلّموا إليه البلد، فسار مجدّاً، فسمع سُنقرجَهْ بوصوله، فظنّ أنّه جاء إليه خدمةً له، فخرج ليستقبله في أهل البلد، فلمّا تقاربا نزل كلّ واحد منهما لصاحبه عن فرسه، واعتنقه، وبكيا على قوام الدولة، فتسايرا[١].

فقال سُنقُرْجَهْ لموسى في جملة حديثه: أنا مقصودي من جميع ما كان لصاحبنا المخَدّة؛ والمنصبُ، والأموال، والولايات لكم وبحكمكم.

فقال موسى: مَنْ نحن حتّى يكون لنا مناصب ودسوتٌ؟ الأمرُ في هذا إلى السلطان يرتّب فيه من يريد، ويولّي من يختار.

وجرى بينهما محاوراتٌ، فجذب سُنقُرْجَهْ سيفه وضربه صفحاً على رأسه فجرحه، فألقى موسى نفسه إلى الأرض، وجذب سُنقُرْجَهْ فألقاه إلى الأرض، وكان مع موسى ولد منصور بن مروان الذي كان أبوه صاحب ديار بكر، فجذب سكّيناً وضرب بها رأس سُنقُرْجَهْ فأبانه، ودخل موسى البلد، وخلع على أصحاب سُنقُرْجَهْ، وطيّب نفوسهم فصارت الولاية له.

ولمّا سمع شمس الدولة جكرمِش، صاحب جزيرة ابن عُمَر، الخبر قصد نَصِيبين وتسلّمها، وسار موسى قاصداً إلى الجزيرة، فلمّا قارب جكرمِشَ غدر بموسى عسكره، وصاروا مع جكرمِش، فعاد موسى إلى الموصل، وقصده جكرمِش، وحصره مدّةً طويلة، فاستعان موسى بالأمير سقمان بن أُرتُق، وهو يومئذٍ بديار بكر، وأعطاه حصن كِيفا وعشرة آلاف دينار، فسار سُقْمان إليه، فرحل جكرمِش عنه.

وخرج موسى لاستقبال سُقمان، فلمّا كان موسى عند قرية تسمّى كَرَاثا، وثب[٢] عليه عدّة من الغلمان القواميّة، فقتلوه: رماه أحدهم بنشّابة فقتله، فعاد أصحابه منهزمين، ودُفن على تلّ هناك يُعرف الآن بتلّ موسى، ورجع الأمير سُقمان إلى الحصن، فملكها وهي بيد أولاده إلى يومنا هذا، سنة[٣] عشرين وستّمائة، وصاحبها حينئذٍ غازي[٤] بن قُرا أرسلان بن داود بن سُقمان بن أُرتُق.

---

(١) من الباريسية.

(٢) في الأوربية: «فوثب».

(٣) في (أ) و (ب) زيادة: «خمس و».

(٤) في (أ): «محمود بن محمد»، وفي (ب) زيادة: «ابن».

وقصد جكرمِش الموصل وحصرها أياماً، ثم تسلّمها صُلحاً، وأحسن السّيرة فيها، وأخذ القواميّة الذين قتلوا موسى، فقتلهم واستولى بعد ذلك على الخابور، وملك العرب والأكراد، فأطاعوه(١).

ذكر حال صَنْجيل الفرنجيّ وما كان منه في حصار طرابلس

كان صَنْجيل الفرنجيّ، لعنه الله، قد لقي قِلج أرسلان بن سليمان بن قُتُلْمِش، صاحب قونية، وكان صَنجيل في مائة ألف مقاتل، وكان قِلج أرسلان في عددٍ قليل(٢)، فاقتتلوا، فانهزم الفرنج وقُتل منهم كثير، وأُسر كثير، وعاد قِلج أرسلان بالغنائم، والظَّفَر الذي لم يحسبه.

ومضى صَنْجيل مهزوماً في ثلاثمائة، فوصل إلى الشام، فأرسل فخر المُلك(٣) بن عمّار صاحب طرابلس، إلى الأمير ياخز(٤)، خليفة جناح الدولة على حمص، فإلى الملك دُقاق بن تُتُش، يقول: من الصواب أن يعاجل صَنْجيل إذا(٥) هو في هذه العدّة القريبة؛ فخرج الأمير ياخز(٤) بنفسه، وسيّر دُقاق أَلفَيْ مقاتل، وأتتهم الأمداد(٦) من طرابلس، فاجتمعوا على باب طرابلس، وصافّوا صَنْجيل هناك، فأخرج مائة من عسكره إلى أهل طرابلس، ومائة إلى عسكر دمشق، وخمسين إلى عسكر حمص، وبقي هو في خمسين.

فأمّا عسكر حمص فإنّهم انكسروا عند المشاهدة، وولّوا منهزمين، وتبعهم عسكر دمشق.

وأمّا أهل طرابلس فإنّهم قاتلوا المائة الذين قاتلوهم، فلمّا شاهد ذلك صَنْجيل حمل في المائتَيْن الباقيتين، فكسروا أهل طرابلس، وقتلوا منهم سبعة آلاف رجل، ونازل صَنْجيل طرابلس وحصرها.

---

(١) التاريخ الباهر ١٦، الروضتين ١/ ٦٧، المختصر ٢/ ٢١٥، تاريخ الإسلام ٤٦، ٤٧، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٤، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٣٠.

(٢) في (أ) و (ب): «يسير»، وفي الباريسية: «قسريب».

(٣) في (أ) و (ب): «الدولة».

(٤) في الباريسية: «ناجر».

(٥) في (أ) و (ب): «أن».

(٦) في (أ) و (ب): «الأمراء».

وأتاه أهل الجبل فأعانوه على حصارها، وكذلك أهل السواد، وأكثرهم نصارى، فقاتل من بها أشدّ قتال، فقُتل من الفرنج ثلاثمائة، ثم إنّه هادنهم على مال وخيل، فرحل عنهم إلى مدينة أنطَرسُوسَ، وهي منٍ أعمال طرابلس، فحصرها، وفتحها، وقتل من بها من المسلمين، ورحل إلى حصن الطُّوبان[1]، وهو يقارب رَفَنِيَّةَ، ومقدّمه يقال له ابن العريض، فقاتلهم، فنُصر عليه أهل الحصن، وأسر ابن العريض منه فارساً من أكابر فرسانه، فبذل صَنْجيل في فدائه عشرة آلاف دينار وألف أسير، فلم يُجِبْه ابن العريض إلى ذلك[2].

---

(١) في الباريسية: «المصوبان».

(٢) هذا الخبر يستدعي التوقف لأمرين، الأول: أن الموقعة ربّما جرت عند أنطرطوس وليس طرابلس. والثاني: تغلّب خمسين من الإفرنج على ألفين من العسكر الحمصي، وتغلّب مائة آخرين على عسكر دمشق، ثم تغلّب مائتين من الافرنج على عسكر طرابلس وقتل سبعة آلاف رجل؟

يقول ابن العبري: «وكان سان جيل في طرسوس، وبلغ العرب أن جنوده قليلون، فأجمعوا على مبارزته وأقبلوا من طرابلس ودمشق وحمص، ولم يكن مع سان جيل إلا ثلاثمائة فارس لا غير، وجّه المائة منهم نحو الدماشقة، والمائة نحو الطرابلسيين، والخمسين نحو الحمصيّين، وأبقى الخمسين لمؤآزرته. ولمّا التقى الصفّان لاذ الحمصيون والدمشقيّون بالفرار نحو الجبال، وكانوا أكثر من خمسة آلاف، وظلّ الطرابلسيّون وهم ثلاثة آلاف، فشدّ عليهم سان جيل في من معه وهم خمسون، وطحطحهم، وتتبّع المنهزمين، وقتل من العرب نحو سبعة آلاف، وغادر قيليقية إلى طرابلس وشدّ عليها واحتلّ أنطرطس وفتك بكلٍ من بها من العرب. ودوّخ عدّة قلاع». (تاريخ الزمان ١٢٧).

ويذكر كلٌ من «ابن القلانسي» و «سبط ابن الجوزي» أن القتال مع الإفرنج كان عند أنطرطوس وليس عند طرابلس. وقد جاء عند ابن القلانسي:

«ووردت مكاتبات فخر الملك بن عمّار صاحب طرابلس يلتمس فيها المعونة على دفع ابن صنجيل النازل في عسكره من الإفرنج على طرابلس ويستصرخ بالعسكر الدمشقي، ويستغيث بهم، فأجيب إلى ما التمس، ونهض العسكر نحوه، وقد استدعى الأمير جناح الدولة صاحب حمص، فوصل أيضاً في عسكره، فاجتمعوا في عدد وافر وقصدوا ناحية أنطرطوس، ونهد الفرنج إليهم في جمعهم وحشدهم، وتقارب الجيشان والتقيا هناك، فانفلّ عسكر المسلمين من عسكر المشركين وقُتل منهم الخلق الكثير، وقفل من سلم إلى دمشق وحمص بعد فقْد من فُقِد منهم ووصلوا في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة». (ذيل تاريخ دمشق ١٤٠، ١٤١، مرآة الزمان ج ١٢/ ق ٣/ ورقة ٢٤٦أ).

وجاء في (تاريخ ابن الراهب ٧٢) إنه كان مع جند المسلمين «جُند حلب».

وجاء في (الإعلام والتبيّين ١٤) أن صنجيل وصل إلى بلاد الشام في ثلاثمائة ألف وحاصر طرابلس! وأقول: هذا وهْم.

وانظر نهاية الأرب ٢٨/ ٢٦١، ٢٦٢، والمختصر ٢/ ٢١٦، وتاريخ الإسلام ٤٨، ٤٩، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٤، وكتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري (ط ٢) ج ١/ ٤٠٢ ـ ٤٠٤، وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ٢٠٥ ـ ٢٠٨ وفيه مناقشة للموضوع.

ذكر ما فعله الفرنج

في هذه السنة أطلق الدَّانشِمَنْدُ بيمندَ الفرنجيَّ، صاحب أنطاكية، وكان قد أسره، وقد تقدّم ذكر ذلك، وأخذ منه مائة ألف دينار، وشرط عليه إطلاق ابنة ياغي[1] سيان الذي كان صاحب أنطاكية، وكانت في أسره.

ولمّا خلص بيمُنْد من أسره عاد إلى أنطاكية، فقويت نفوس أهلها به، ولم يستقرّ حتى أرسل إلى أهل العواصم وقِنَّسْرِينَ وما جاورها يطالبهم بالإتاوة، فورد على المسلمين من ذلك ما طمس المعالم التي بناها الدانشِمَنْد.

وفيها سار صَنْجيل إلى حصن الأكراد فحصره، فجمع جناح الدولة عسكره ليسير إليه ويكبسه فقتله باطنيٌّ بالمسجد الجامع، فقيل: إنّ الملك رضوان ربيبه وضع عليه مَن قتله، فلمّا قُتل صبّح صَنْجيل حمص من الغد، ونازلها، وحصر أهلها، وملك أعمالها.

ونزل القُمّص على عكّة في جمادى الآخرة، وضيّق عليها، وكاد يأخذها، ونصب عليها المنجنيقات والأبراج، وكان له في البحر ستّ عشرة قطعة، فاجتمع المسلمون من سائر السواحل، وأتوا إلى منجنيقاتهم، وأبراجهم[2]، فأحرقوها، وأحرقوا سفنهم أيضاً، وكان ذلك نصراً عجيباً أذلّ الله به الكفّار[3].

وفيها صار القُمّص الفرنجيُّ، صاحب الرُّها، إلى بيروت من ساحل الشام، وحصرها وضايقها، وأطال المقام عليها، فلم يرَ فيها طمعاً فرحل عنها[4].

وفيها، في رجب، خرجت عساكر مصر إلى عَسْقَلان ليمنعوا الفرنج عمّا بقي في أيديهم من البلاد الشاميّة، فسمع بهم بردويل، صاحب القدس، فسار إليهم في سبعمائة فارس، وقاتلهم، فنصر الله المسلمين، وانهزم الفرنج، وكثُر القتل فيهم، وانهزم بردويل، فاختفى في أَجَمَة قصب، فأُحرقت تلك الأَجَمَة، ولحقت النار بعض جسده[5]، ونجا منها إلى الرَّملة، فتبِعه المسلمون، وأحاطوا به فتنكّر[6]، وخرج منها إلى يافا، وكثُر القتل والأسر في أصحابه.

---

(١) في طبعة صادر ١٠/ ٣٤٥: «باغي»، وفي الباريسية: «ناغي».

(٢) من (ب)، وفي (أ): «وأبراجتهم».

(٣) نهاية الأرب ٢٨/ ٣٤٥، لمختصر ٢/ ٢١٦، تاريخ الإسلام ٤٩، ٥٠، دول الإسلام ٢/ ٢٥، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٤، الإعلام والتبيين ١٤.

(٤) ذيل تاريخ دمشق ١٤٠، دول الإسلام ٢/ ٢٥، تاريخ الإسلام ٥٠، الإعلام والتبيين ١٤.

(٥) في (ب): «جنده».

(٦) في (أ) و (ب): «فسار».

ذكر عَود قلعة خُفْتِيذْ كان[1] إلى سُرخاب بن بدر

في هذه السنة عادت قلعة خُفْتِيذْ كانَ[1] إلى الأمير سُرخاب بن بدر بن مهلهِل.

وكان سبب أخذها منه أنّ القرابلي، وهو من (قبيل من)[2] التركمان يقال لهم سَلغُر، كان قد أتى إلى بلد سُرخاب، فمنعه من المراعي، وقتل جماعة من أصحابه، فمضى قرابلي إلى التركمان، واستجاش بهم، وجاء في عسكر كثير، فلقِيه سُرخاب وقاتله، فقتل قرابلي من أصحابه الأكراد قريباً من أَلفَيْ رجل، وانهزم سُرخاب إلى بعض جباله في عشرين رجلاً.

فلمّا سمع المستحفظان بقلعة خُفْتِيذْ كانَ ذلك، وكانا رجلَيْن حدّثتهما أنفسهما بالاستيلاء عليها، وكان بها ذخائره، وأمواله، وقدرها يزيد على أَلفَيْ ألف دينار، فتملّكاها، واجتاز بها السلطان بركْيارُق، فأنفذا إليه مائتَيْ ألف دينار، واستولى التركمان على جميع بلاد سُرخاب بن بدر، سوى دَقُوقا وشَهْرَزور، فلمّا كان هذا الوقت قتل أحد المستحفظَيْن الآخَر، وأرسل إلى سُرخاب يطلب منه الأمان ليسلّم إليه القلعة، فأمّنه على نفسه، وعلى ما حصل بيده من أموالها، فسلّمها إليه ووفى[3] له.

ذكر قتل قدرخان صاحب سَمَرْقَنْد

قد ذكرنا قبل قُدوم الملك سَنجَر مع أخيه السلطان محمّد إلى بغداذ وعوده[4] إلى خُراسان، فلمّا وصل إلى نَيسابور خطب لأخيه محمّد بخُراسان جميعها، ولمّا كان ببغداذ طمع قدرخان جبريل بن عمر، صاحب سَمَرْقَنْد، في خُراسان لبعده عنها، وجمع عساكر تملأ الأرض، قيل: كانوا مائة ألف مقاتل فيهم مسلمون وكفّار، وقصد بلاد سَنجَر.

وكان أمير من أمراء سَنجَر، اسمه كُنْدُغدي، قد كاتب قَدرخانَ بالأخبار، وأعلمه مرض سَنجَر، بعد عوده إلى بلاده، وأنّه قد أشفى على الهلاك، وقوّى طمعه بالاختلاف الواقع بين السلطانَيْن بركْيارُق ومحمّد، وبشدّة[5] عداوة بركْيارُق لسَنجَر، وأشار عليه

---

(١) في (أ): «حقيدكان»، وفي (ب): «حقيبدكان».
(٢) من (أ) و (ب).
(٣) في الأوربية: «ووفا».
(٤) في (أ) و (ب): «وعود سنجر».
(٥) في الأوربية: «ولشدة».

بالسرعة مهما[1] الاختلاف واقع، وأنّه متى أسرع مَلَكَ خُراسان والعراق. فبادر قدرخان وأقدم، وقصد البلاد، فبلغ السلطان[2] سنجر الخبر، وكان قد عوفي، فبادر وسار نحوه قاصداً قتاله ومنعه عن البلاد، وكان من جملة من معه كُنْدُغْدي[3] المذكور، وهو لا يتّهمه بشيء ممّا فعل، فوصل إلى بلْخ في ستّة آلاف فارس، فبقي بينه وبين قدرخان نحو خمسة أيّام، فهرب كُنْدُغدي إلى قدرخان، وحلف كلّ واحد منهما لصاحبه عى الاتّفاق والمناصحة، وسار من عنده إلى ترمِذ، فملكها. وكان الباعث للكُنْدُغدي على ما فعل (حسده للأمير)[4] بزغش على منزلته.

ثم تقدّم قدرخان، لمّا تدانَى[5] العسكران أرسل سنجَر يذكّر قدرخان العهود والمواثيق القديمة، فلم يصْغِ إلى قوله، وأذكى سنجَر العيون والجواسيس على قدرخان، فكان لا يخفى عنه شيء منَ خبره، فأتاه من أخبره أنّه نزل بالقرب من بَلْخ، وأنّه خرج متصيّداً في ثلاثمائة فارس، فندب سنجَر، عند ذلك، الأمير بزغش لقصده، فسار إليه، فلحقه وهو على تلك الحال، فقاتله، فلم يصبر من مع قدرخان، فانهزموا، وأسر كُنْدُغدي وقدرخانَ، وأحضرهما عند سنجَر، فأمّا قدرخان فإنّه قبّل الأرض واعتذر، فقال له سنجَر: إن خدمتَنا، أو لم تخدمنا، فما جزاؤك إلاّ السيف؛ ثم أمر به فقُتل.

فلمّا سمع كُنْدُغْدي الخبر نجا بنفسه، ونزْل في قناة، ومشى فيها فرسخَيْن تحت الأرض، على ما به من النِّقْرِس، وقتل فيها حيّتَيْن عظيمتَيْن، وسبق أصحابه إلى مخرجها، وسار منها في ثلاثمائة فارس إلى غزنة.

وقيل: بل جمع سنجَر عساكر كثيرة، والتقى هو وقدرخان، (وجرى بينهما مصافّ، وقتال عظيم، أكثر فيه القتل فيهم، فانهزم قدرخان)[6] وعسكره، وحُمل أسيراً إلى سنجَر، فقتله، وحصر ترِمذ، وبها كُنْدُغْدي، فطلب الأمان، فأمّنه سنجر، ونزل إليه، وسلّم ترمذ، فأمره سنجَر بمفارقة بلاده، فسار إلى غَزْنَة، فلمّا وصل إليها أكرمه صاحبها علاء الدولة، وحلّ عنده المحلّ الكبير.

(١) في (ب): «فأدام».
(٢) من الباريسية.
(٣) في (أ): «كون طوغدي».
(٤) في (أ) و (ب): «الأمير».
(٥) في (أ) و (ب): «ترامى»، وفي الأوربية: «تدانا».
(٦) من (ب).

واتّفق أنّ صاحب غَزْنَة عزم على قصد أوتان[١]، وهي جبال منيعة، على أربعين فرسخاً من غَزْنَة، وقد عصى عليه فيها قوم، وتحصّنوا بمعاقلها، ووعورة مسالكها، فقاتلهم عسكر[٢] علاء الدولة، فلم يظفروا منهم بطائل، فتقدّم كُنْدُغْدي منفرداً عنهم، فأبلى بلاءً حسناً، ونُصر عليهم، وأخذ غنائمهم، وحملها إلى علاء الدولة، فلم يقبل منها شيئاً، ووفّرها عليه، فغضب العسكر، وحسدوه على ذلك، وعلى قربه من صاحبهم، ونفاقه عليه، فأشاروا بقبضه، وقالوا: إنّا لا نأمن أن يقصد بعض الأماكن فيفعل في أمر الدولة ما لا يمكن تلافيه، فقال: قد تحقّقتُ قصدكم، ولكن بمن أقبض عليه؟ فإنّي أخاف أن آمركم بالقبض عليه، فينالكم منه ما تفتضحون به. فقالوا: الصواب أن تولّيه ولاية ويُقبض[٣] عليه إذا سار إليها، فولاّه حصنَيْن جرت عادته أن يسجن فيهما من يخاف جانبه، فسار إليهما.

فلمّا قاربهما عرف ما يراد منه، فأحرق جميع ماله، ونحر جماله، وسار جريدة، وكان في مدّة مقامه بغَزْنَة يسأل عن الطرق وتشعّبها[٤]، فإنّه ندم على قصد تلك الجهة، فلمّا سار سأل راعياً عن الطريق التي يريدها، فدلّه، فأخذه معه خوفاً أن يكون قد غرّه، ولم يزل سائراً إلى أن وصل إلى قريب هَراة، فمات هناك، وهو (من مماليك تُتُش)[٥] بن ألب أرسلان الذي كحله أخوه ملكشاه، وسجنه بتكْريت، وقد تقدّم ذكر حادثته[٦].

ذكر ملك محمّد خان سمرقند

في هذه السنة أحضر السلطان[٧] سَنجَر محمّداً أرسلان خان بن سليمان بن داود بُغْراخان، من مَرْوَ، وملّكه سَمَرْقَنْد، بعد قتل قدرخان، وكان محمّد خان هذا من أولاد الخانيّة بما وراء النهر، وأُمّه ابنة السلطان ملكشاه، فدفع[٨] عن ملك آبائه، فقصد مَرْوَ، وأقام بها إلى الآن.

---

(١) في (أ) والباريسية: «أويان».
(٢) من الباريسية.
(٣) في (أ): «وتقبض».
(٤) في (أ): «وشعبها».
(٥) في (أ) و(ب): «تكش».
(٦) في (أ) و(ب): «حديثه»، والخبر في: دول الإسلام ٢/ ٢٥، وتاريخ الإسلام ٥٠، ٥١.
(٧) من الباريسية.
(٨) في (أ) و(ب): «فرقع».

فلمّا قُتل قدرخان ولاّه سنجَر أعماله، وسيّر معه العساكر الكثيرة، فعبروا النهر، فأطاعه العساكر بتلك البلاد جميعها، وعظُم شأنه، وكثُرت جموعه، إلاّ أنه انتصب له أمير اسمه هاغُوبك، وزاحمه في المُلك، فطمع فيه، فجرى له معه حروب احتاج في بعضها إلى الاستنجاد بعساكر سَنْجَر، على ما نذكره بعدُ إن شاء الله تعالىٰ.

ولمّا ملك محمّد خان البلاد أحسن إلى الرعايا بوصيّة من سَنجَر، وحقن الدماء، وصار بابه مقصداً، وجنابه ملجأ[1].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في ربيع الأوّل، خرج تاج الرؤساء ابن أخت أمين الدولة أبي سعد بن الموصلايا إلى الحلّة السّيفيّة، مستجيراً بسيف الدولة صدقة.

وسبب ذلك أنّ الوزير الأعزّ وزير السلطان بركْيارُق كان يُنسب إليه أنّه هو الذي يميل جانب الخليفة إلى السلطان محمّد، فسار خائفاً، واعتزل خاله أمين الدولة الديوان، وجلس في داره، فلمّا قُتل الوزير الأعزّ، على ما ذكرناه، عاد تاج الرؤساء من الحلّة إلى بغداذ، وعاد خاله إلى منصبه.

وفي ربيع الأوّل أيضاً ورد العميد المهذّب أبو المجد، أخو الوزير الأعزّ، إلى بغداذ، نائباً عن أخيه، ظنّاً منه أنّ إيلغازي لا يخالفهم، حيث كان بركْيارُق ومحمّد قد اتّفقا، كما ذكرناه، فقبض عليه إيلغازي، ولم يتغيّر عن طاعة محمّد.

وفيها، في جمادىٰ الأولى، ورد إلى بغداذ ابن تُكش بن ألب أرسلان، وكان قد استولى على الموصل، فخدعه من كان بها، حتّى سار عنها إلى بغداذ، فلمّا وصل إليها زوّجه إيلغازي بن أرتُق ابنته.

وفيها، في شهر رمضان، استوزر الخليفة سديد الملك أبا المعالي بن عبد الرزّاق، ولقّب عَضُد الدّين[2].

وفيها، في صفر، قتل الرّبَعيّون[3] بهيت قاضي البلد أبا عليّ بن المثنّى، وكان ورعاً، فقيهاً، حنفيّاً، من أصحاب القاضي أبي عبد الله الدامغانيّ، وكان هذا القاضي

---

(١) تاريخ الإسلام ٥١.
(٢) المنتظم ١٧/ ٧٦.
(٣) في الأروبية: «الريعيون».

على ما جرت به عادة القضاة هناك من الدخول[١] بين القبائل، فنسبوه في ذلك إلى التحامل عليهم، فقتله أحدهم، فندِم الباقون على قتله وقد فات الأمرُ.

وفيها بنى[٢] سيف الدولة صدقة بن مَزْيَد الحِلّة بالجامعيْن، وسكنها، وإنّما كان يسكن هو وآباؤه قبله في البيوت العربيّة[٣].

وفي جمادى الأولى قُتل المؤيّد بن شرف الدولة مُسلم بن قُريش أمير بني عُقَيْل، قتله بنو نُمير عند هَيت قِصاصاً.

[الوفيات]

وفيها توفّي القاضي البَنْدَنِيجيُّ الضرير[٤]، الفقيه الشافعيُّ، انتقل إلى مكّة، فجاور بها أربعين سنة يدرّس الفقه، ويسمع الحديث، ويشتغل بالعبادة.

وفيها توفّي أبو عبد الله الحسين بن محمّد الطبري[٥] بأصبهان، وكان يدرّس (فقه الشافعيّ)[٦] بالمدرسة النظاميّة، وقد جاوز تسعين سنة، وهو من أصحاب أبي إسحاق.

وفيها توفّي الأمير منظور بن عُمارة الحسينيُّ، أمير المدينة، على ساكنها السلام، وقام ولده مقامَهُ، وهو من ولد المهنّا، وقد كان قَتَلَ المعمار الذي أنفذه مجد الملك البلاسانيّ لعمارة القبّة التي على قبر الحسن بن عليّ والعبّاس، رضي الله عنهما، وكان من أهل قُمّ، فلمّا قُتل البلاسانيّ قتله منظور بعد أن أمّنه، وكان قد هرب منه إلى مكّة، فأرسل إليه بأمانه.

---

(١) في (أ) و(ب): «القبول».

(٢) في الأوربية: «بنا».

(٣) المنتظم ١٧/٧٦.

(٤) هو محمد بن هبة الله بن ثابت. انظر عنه في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٥ هـ) ص ٢٢٤، ٢٢٥ رقم ٢٢٩، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٥) انظر عن (الطبري) في: تاريخ الإسلام ٢١٢، ٢١٣ رقم ٣٠٨، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢١٠ رقم ١٢٨.

(٦) من الباريسية.

٤٩٦
ثم دخلت سنة ستّ وتسعين وأربعمائة

ذكر استيلاء يَنّال على الرَّيّ وأخذها منه ووصوله إلى بغداذ

كانت الخطبة بالرَّيّ للسلطان بركْيارُق، فلمّا خرج السلطان محمّد من أصبهان، على ما ذكرناه، ومعه ينّال بن أنوشتكين الحُساميُّ، استأذنه في قصد الرَّيّ وإقامة الخطبة له بها، فأذِن له، فسار هو وأخوه عليُّ بن أنوشتكين، (فوصلا إليها في صفر، فأطاع من بها من نوّاب بركْيارُق، وخطب لمحمّد بالرَّيّ، واستولى)[١] ينّال على البلد، وعسف أهله، وصادرهم بمائتَيْ ألف دينار، وأقام بها إلى النصف من ربيع الأوّل، فورد إليه الأمير بُرْسُق[٢] بن بُرْسُق[٢] من عند السلطان بركْيارُق، فوقع القتال بينهم على باب الريّ، فانهزم ينّال وأخوه عليّ.

فأمّا عليّ فعاد إلى ولايته قَزوِين، وسلك ينّال الجبال، فقُتل من أصحابه كثير، وتشتّتوا، فأتى[٣] إلى بغداذ في سبعمائة رجل، فأكرمه الخليفة، واجتمع هو وإيلغازي وسُقْمان ابنا أُرتُق بمشهد أبي حنيفة، وتحالفوا على مناصحة السلطان محمّد، وساروا إلى سيف الدولة صدقة، فحلف لهم أيضاً على ذلك، وعادوا[٤].

ذكر ما فعله يَنّال بالعراق

قد ذكرنا وصول ينّال بن أنوشتكين إلى بغداذ قبلُ. فلمّا استقرّ ببغداذ ظلم الناس

---

(١) من (ب).
(٢) في (ب): «برشق»، وكذا في (أ).
(٣) في الأصل: «فأتوا».
(٤) تاريخ الإسلام ٥٣، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٨ و ٥/ ٣١.

بالبلاد جميعاً، وصادرهم، واستطال أصحابه على العامّة بالضرب والقتل والتقسيط، وصادر العُمّال.

فأرسل إليه الخليفة قاضي القضاة أبا الحسن الدامغانيّ ينهاه عن ذلك، ويقبّح عنده ما يرتكبه من الظلم والعدوان، وتردّد أيضاً إلى إيلغازي، وكان ينّال قد تزوّج هذه الأيام بأخته، وهي التي كانت زوجة تاج الدولة تُتُش، حتّى توسّط الأمر معه فمضوا إليه[1]، وحلّفوه على الطاعة، وترْك ظلم الرعيّة، وكفّ أصحابه، ومنْعهم، فحلف، ولم يقف على اليمين، ونكث ودام على الظلم وسوء السيرة.

فأرسل الخليفة إلى سيف الدولة صدقة، وعرّفه ما يفعله ينّال من نهب الأموال، وسفْك الدماء، وطلب منه أن يحضر بنفسه ليكفّ ينّال، فسار من حِلّته في رمضان، ووصل بغداذ رابع شوّال، وضرب خيامه بالنجميّ، واجتمع هو وينّال، وإيلغازي، ونوّاب ديوان الخليفة، وتقرّرت القواعد على مالٍ يأخذه ويرحل عن العراق، فطلب ينّال المهلة، فعاد صَدَقَة عاشر شوّال إلى حِلّته، وترك ولده دُبيساً ببغداذ ليمنعه من الظلم والتعدّي عمّا استقرّ الأمر عليه، فبقي ينّال إلى مستهلّ ذي القعدة، وسار إلى أوَانَا، فنهب، وقطع الطريق، وعسف الناس، وبالغ في الفعل القبيح، وأقطع القُرى لأصحابه، فأرسل الخليفة إلى صَدَقَة في ذلك، فأرسل ألف فارس، وساروا إليه ومعهم جماعة من أصحاب الخليفة، وإيلغازي، شِحنة بغداذ، فلمّا سمع ينّال بقربهم منه عبر دجلة، وسار إلى باجِسْرَى[2] وشعثها، وقصد شَهرَابَانَ، فمنعه أهلها، فقاتلهم، فقُتل بينهم قتلى، ورحل عنهم، وسار إلى أَذْربيجان قاصداً إلى السلطان محمّد، وعاد دُبَيْس بن صَدَقَة، وإيلغازي (شِحنة بغداذ)[3]، إلى مواضعهم[4].

ذكر وصول كُمُشْتِكِين القَيْصريّ شِحنة إلى بغداذ والفتنة بينه وبين إيلغازي وسُقمان وصَدَقَة

في هذه السنة، منتصف ربيع الأوّل، ورد كُمُشْتِكِين القيصريّ إلى بغداذ، شِحنةً، أرسله إليها السلطان بركْيارُق، وقد ذكرنا في السنة المتقدمة رحيل بركْيارُق من[5]

---

(١) من (ب).
(٢) في (أ): «تاخسرئي»، وفي (ب): «باحسروا».
(٣) من الباريسية.
(٤) تاريخ الإسلام ٥٣، المنتظم ٩/ ١٣٥ (١٧/ ٨٠، ٨١)، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٩.
(٥) في (أ) زيادة: «على».

أصبهان إلى همذان، فلمّا وصلها أرسل إلى بغداذ كُمُشْتِكِين شحنةً، فلمّا سمع إيلغازي، وهو شِحنة ببغداذ، للسلطان محمّد، أرسل إلى أخيه سُقمان بن أُرتُق، صاحب حصن كِيفا، يستدعيه إليه ليعتضد به على منعه، وسار إلى سيف الدولة صَدَقة بالحِلّة، واجتمع به، وسأله تجديد عهد في دفع من يقصده من جهة برْكيارُق، فأجابه إلى ذلك وحلف له، فعاد إيلغازي.

وورد سُقمان في عساكر، ونهب في طريقه تَكْريت، وسبب تمكّنه منها أنّه أرسل جماعة من التركمان إلى تكريت، معهم أحمال جبن، وسمن، وعسل، فباعوا ما معهم، وأظهروا أن سُقمان قد عاد عن الانحدار، فاطمأنّ أهل البلد، ووثب التركمان، تلك الليلة، على الحرّاس فقتلوهم، وفتحوا الأبواب، وورد إليها سُقمان، ودخلها ونهبها، ولمّا وصل إلى بغداذ نزل بالرَّمْلَة.

وأمّا كُمُشْتِكِين فوصل، أوّل ربيع الأوّل، إلى قرميسين، وأرسل إلى من له هوًى مع برْكيارُق، وأعلمهم بقُربه منهم، فخرج إليه جماعة منهم، فلقوه بالبَنْدَنِيجَيْنِ، وأعلموه الأحوال، وأشاروا عليه بالمعاجلة، فأسرع السير، فوصل إلى بغداذ منتصف ربيع الأوّل، ففارق إيلغازي داره، واجتمع بأخيه سُقمان، وأصعدا من الرحلة، ونهبا بعض قرى دُجَيْل، فسار طائفة من عسكر كُمُشْتِكِين وراءهما، ثم عادوا عنهما، وخُطب للسلطان برْكيارُق ببغداذ، فأرسل كُمُشْتِكِين القيصريَّ إلى سيف الدولة صَدَقة، ومعه حاجب من ديوان الخليفة، في طاعة برْكيارُق، فلم يجِب إلى ذلك، وكشف القناع ببغداذ[1] في مخالفته، وسار من الحِلّة إلى جسر صَرْصَر، فقُطعتْ خطبة برْكيارُق ببغداذ، ولم يُذْكَر على منابرها أحدٌ من السلاطين، واقتصر الخطباء على الدعاء للخليفة لا غير.

ولمّا وصل سيف الدولة إلى صَرْصَر أرسل إلى إيلغازي وسُقمان، وكانا بحَرْبى، يعرّفهما أنّه قد أتى لنصرتهما، فعادا ونهبا دُجَيْلاً، ولم يبقيا على قرية كبيرة ولاصغيرة، وأُخذت الأموال، وافتضّت الأبكار، ونهب العرب والأكراد الذين مع سيف الدولة بنهر ملك، إلاّ أنهم لم يُنقل عنهم مثل التركمان من أخذ النساء والفساد معهنّ، لكنّهم استقصوا في أخذ الأموال بالضرب، والإحراق[2]، وبطلت معايش الناس، وغلت الأسعار، فكان الخبز يساوي عشرة أرطال بقيراط فصار ثلاثة أرطال بقيراط، وجميع الاشياء كذلك.

---

(١) من الباريسية.

(٢) في (أ) و (ب): «والأخراق».

فأرسل الخليفة إلى سيف الدولة في الإصلاح، فلم تستقرّ قاعدة، وعاد إيلغازي وسُقمان ومعهما دُبَيْس بن سيف الدولة صَدَقَة من دُجَيْل، فخيمّوا بالرملة، فقصدهم جماعة كثيرة من العامة، فقاتلوهم، فقُتل من العامّة أربعة نفر، وأُخذ منهم جماعة، فأُطلقوا بعد أن أُخذت أسلحتهم، وازداد الأمر شدّةً على الناس، فأرسل الخليفة قاضي القضاة أبا الحسن بن الدامغانيّ، وتاج الرؤساء بن الموصلايا إلى سيف الدولة يأمره[1] الكفّ عن الأمر الذي هو ملابسه، ويعرّفه ما الناس فيه، ويعظّم الأمر عليه، فأظهر طاعة الخليفة، إنْ أخرج القيصريَّ من بغداذ، وإلاّ فليس غير السيف، وأرعد وأبرق.

لمّا عاد الرسول استقرّ الأمر على إخراج القيصريّ من بغداذ، ففارقها ثاني عشر ربيع الآخر، وسار إلى النَّهروان، وعاد سيف الدولة إلى بلده، وأُعيدت خطبة السلطان محمّد ببغداذ، وسار القيصريُّ إلى واسط، فخاف الناس منه، وأرادوا الانحدار منها[2] ليأمنوا، فمنعهم القيصريُّ، وخطب لبركْيارُق بواسط، ونهبوا كثيراً من سوادها.

فلمّا سمع صَدَقَة ذلك سار إلى واسط، فدخلها، وعدل في أهلها، وكفّ عسكره عن أذاهم، ووصل إليه إيلغازي بواسط، وفارقها القيصريُّ، ونزل متحصّناً بدِجلة فقيل لسيف الدولة: أنّ هناك مخاضة، فسار إليها بعسكره وقد لبسوا السلاح، فلمّا رآهم عسكر القيصريّ تفرّقوا عنه، وبقي في خواصّ أصحابه، فطلب الأمان من سيف الدولة، فأمّنه، فحضر عنده، فأكرمه، وقال له: قد سمنتَ؛ قال: وتركتنا نسمن؟ أخرجتَنا من بغداذ، ثم من واسط، ونحن لا نعقل.

ثم بذل صَدَقَة الأمان لجميع عسكر واسط، ومن كان مع القيصريّ، سوى رجلَيْن، فعادا إليه فأمّنهما[3]، وعاد القيصريُّ إلى بركْيارُق، وأُعيدت خطبة السلطان محمّد بواسط؛ وخُطب بعده لسيف الدولة وإيلغازي، واستناب كلّ واحد منهما فيها ولدَهُ، وعادا عنها في العشرين من جُمادى الأولى، وأمِن أهل واسط ممّا كانوا يخافونه.

فأمّا إيلغازي فإنّه أصعد إلى بغداذ، وأمّا سيف الدولة صَدَقَة فإنّه عاد إلى الحِلّة، وأرسل ولده الأصغر منصوراً مع إيلغازي إلى المستظهر بالله يسأله الرضا عنه، فإنّه كان قد سخط بسبب هذه الحادثة، فوصل إلى بغداذ، وخاطب في ذلك، فأُجيب إليه[4].

---

(١) في (أ) و (ب): «يأمرونه».

(٢) في الباريسية: «منه».

(٣) في الأوربية: «فعادوا إليه فأمنهم».

(٤) تاريخ الإسلام ٥٤، البداية والنهاية ١٢/١٦٣.

ذكر استيلاء صدقة على هَيت

كانت مدينة هَيت لشرف الدولة مسلم بن قريش[١]، أقطعه إيّاها السلطان ألب أرسلان، ولم تزل معه حتّى قُتل، فنظر فيها عمداء بغداذ إلى أن مات السلطان ملكشاه، ثم أخذها أخوه تُتُش بن ألب أرسلان. فلمّا استولى السلطان بركْيارُق أقطعها لبهاء الدولة ثروان(بن وهب)[٢] بن وُهَيْبة، وأقام هو وجماعة من بني عُقَيْل عند سيف الدّولة صَدَقَة، وكانا متصافيَيْن[٣]، وكان صَدَقَة يزوره كثيراً ثم تنافرا.

وكان سبب ذلك أنّ صَدَقَة زوّج بنتاً له من ابن عمّه، وكان ثروان قد خطبها فلم يُجِبْه إلى ذلك، فتحالفت عُقَيْل، وهم في حِلّة سيف الدولة، أن يكونوا يداً واحدة عليه، فأنكر صَدَقَة ذلك، وحجّ ثروان عُقَيْبَ ذلك وعاد مريضاً، فوكّل به صدقة، وقال: (لابدّ من هَيْت؛ فأرسل ثروان حاجبه، وكتب خطّه بتسليم البلد إليه.

وكان بهَيت حينئذٍ)[٤] محمّد بن رافع بن رفاع[٥] بن ضُبيعة بن مالك بن مقلّد بن جعفر، وأرسل صدقة ابنه دُبَيْساً مع الحاجب ليتسلمها فلم يسلّم إليه محمّد، فعاد دُبَيْس إلى أبيه، فلمّا أخذ صَدَقَة واسطاً، هذه النوبة،أصعد في عسكره إلى هَيت، فخرج إليه منصور بن كثير ابن أخي ثروان، ومعه جماعة من أصحابه، فلقوا سيف الدولة، وحاربوه ساعة من النهار.

ثمّ إنّ جماعة من الرَّبَعيّين[٦] فتحوا لسيف الدولة البلد، فدخله أصحابه، فلمّا رأى ذلك منصور ومن معه سلّموا البلد إليه، فملكه يوم نزوله، وخلع على منصور وجماعة من وجوه[٧] أصحابه، وعاد إلى حِلّته، واستخلف عليه ابن عمّه ثابت بن كامل.

ذكر الحرب بين بركْيارُق ومحمّد

في هذه السنة، ثامن جمادى الآخرة، كان المصافّ الخامس بين السلطان بركْيارُق والسلطان محمّد.

---

(١) في (أ): «فراس».
(٢) من (أ) و (ب).
(٣) في (ب): «متضامنين».
(٤) من (ب).
(٥) في الباريسية: «دفاع»، والمثبت من (ب).
(٦) في (أ) و (ب): «الدبيسين».
(٧) من الباريسية.

وكانت كَنْجَةُ وبلاد أرَّان جميعها للسلطان محمّد، وبها عسكره، ومقدّمهم الأمير غزغلي، فلمّا طال مقام محمّد بأصبهان محصوراً توجّه غزغلي والأمير منصور بن نظام المُلك وابن أخيه محمّد بن مؤيّد المُلك بن نظام المُلك قاصدين لنصرته، ليراهم بعين الطاعة.

وكان آخر ما تُقام فيه الخطبة لمحمّد زَنْجَان ممّا يلي أذربِيجان، فوصلوا إلى الريّ في العشرين من ذي الحجّة سنة خمسٍ وتسعين [وأربعمائة]، ففارقه عسكر برْكيارُق، (ودخلوه وأقاموا)[1] به ثلاثة أيّام.

ووصلهم الخبر بخروج السلطان محمّد من أصبهان، وأنّه وصل إلى ساوة، فساروا إليه، ولحِقوه بهمَذان ومعه ينّال وعليّ ابنا أنوشتكين الحساميّ، فبلغ عددهم[2] ستّة آلاف فارس، فأقاموا بها إلى أواخر المحرّم، فأتاهم الخبر بأنّ السلطان برْكيارُق قد أتاهم، فتلوّنوا في رأيهم، فسار ينّال وعليّ ابنا أنوشتكين إلى الرَّيّ، على ما ذكرناه، وعزم السلطان محمّد على التوجّه إلى شَرْوان، فوصل إلى أرْدَبِيل، فأرسل إليه الملك[3] مودود بن إسماعيل بن ياقوتي، صاحب بعض أَذَرْبيجان، وكانت قبله لأبيه إسماعيل بن ياقوتي، وهو خال السلطان برْكيارُق، وكانت أخته زوجة السلطان محمّد، وهو مطالب السلطان برْكيارُق بثأر أبيه، وقد تقدّم مقتله أوّل دولة برْكيارُق، وقال له: ينبغي أن تقدم إلينا لتجتمع كلمتنا على طاعتك، وقتال خصمنا؛ فسار إليه مُجِدّاً، وتصيّد في طريقه بين أرْدَبِيل وبَيْلَقَانَ، وانفرد عن عسكره، فوثب عليه نَمِر، وهو غافل، فجرح السلطان محمّداً في عضده، فأخذ سكّيناً وشقّ بها جوف النَمِر فألقاه عن فرسه ونجا.

ثم أنّ مودود بن إسماعيل تُوفّي في النصف من ربيع الأوّل، وعمره اثنتان وعشرون[4] سنة، ولمّا بلغ برْكيارُق اجتماع السلطان محمّد والملك مودود سار غير متوقّف، فوصل بعد موت مودود، وكان عسكر مودود قد اجتمعوا على طاعة السلطان محمّد، وحلفوا له، وفيهم سكمان القُبْطيّ، ومحمّد بن ياغي[5] سيان[6]، الذي كان

---

(١) في (أ) و (ب): «ودخله عسكر محمد وأقام».
(٢) في الأوربية: «عنهم».
(٣) في الباريسية: «الأمير».
(٤) في الأوربية: «اثنتين وعشرين».
(٥) في طبعة صادر ١٠/ ٣٦٠: «باغي».
(٦) في (أ): «سبان».

أبوه صاحب أنطاكية، وقزل أرسلان بن السبع الأحمر، فلمّا وصل بركْيارُق وقعت الحرب بينهما على باب خُوَيّ من أَذَرْبِيجان عند غروب الشمس، ودامت إلى العشاء الآخرة.

فاتّفق أنّ الأمير إياز أخذ معه خمسمائة فارس مستريحين، وحمل بهم، وقد أعيا العسكر من الجهتَيْن، على عسكر السلطان محمّد، فكسرهم[١]، وولّوا الأدبار لا يلوي أحد على أحد.

فأمّا السلطان بركْيارُق، فإنه قصد جبلاً بين مَراغة وتِبريز، كثير العُشْب والماء[٢]، فأقام به أيّاماً، وسار إلى زَنْجان.

وأمّا السلطان محمّد فإنّه سار مع جماعة إلى أرجيش، من بلاد أرمينية، على أربعين فرسخاً من الوقعة، وهي من أعمال خِلاط، من جملة أقطاع الأمير سُكْمان القُبطيّ، وسار منها إلى خِلاط، واتّصل به الأمير عليّ صاحب أرْزَن الروم، وتوجّه إلى آنى، وصاحبها منوجهر أخو فضلون الروادي، ومنها سار إلى تِبرِيز(من أذربيجان)[٣]. وسنذكر باقي أخبارهم سنة سبعٍ وتسعين[وأربعمائة] عند صُلحهم إن شاء الله[٤].

وكان الأمير محمّد بن مؤيّد المُلك بن نظام المُلك مع السلطان محمّد في هذه الوقعة، فمرّ منهزماً، ودخل ديار بكر، وانحدر منها إلى جزيرة ابن عُمَر، وسار منها إلى بغداذ، وكان في حياة أبيه يقيم ببغداذ في سوق المدرسة، فاتّصلت الشكاوى منه إلى أبيه، فكتب إلى كوهرائين بالقبض[٥] عليه، فاستجار بدار الخلافة، وتوجّه سنة اثنتين وتسعين[وأربعمائة] إلى مجد المُلك البلاسانيّ، ووالده حينئذٍ بكَنْجَة عند السلطان محمّد، قبل أن يخطب لنفسه بالسلطنة، وتوجّه بعدِ قتل[٦] مجد المُلك إلى والده، وقد صار وزير السلطان محمّد، وخطب لمحمّد بالسلطنة، وبقي بعد قتل والده، واتّصل بالسلطان محمّد، وحضر معه هذه الحرب فانهزم.

---

(١) في (أ): «فهزمهم»، وفي (ب): «فهزموهم».
(٢) من الباريسية.
(٣) من الباريسية.
(٤) المختصر ٢/٢١٦، العبر ٣/٣٤٣، دول الإسلام ٢/٢٦، تاريخ الإسلام ٥٤، تاريخ ابن الوردي ٢/١٤، البداية والنهاية ١٢/١٦٣، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٨٩ و ٥/٣١.
(٥) في الباريسية: «ليقبض».
(٦) من الباريسية.

ذكر عزل سديد الملك وزير الخليفة ونظر أبي سعد بن الموصلايا في الوزارة

في هذه السنة، منتصف رجب، قُبض على الوزير سديد المُلك أبي المعالي، وزير الخليفة، وحُبس في دارٍ بدار الخلافة، وكان أهله قد وردوا عليه من أصبهان، فنُقلوا إليه، وكان محبسه جميلاً.

وسبب عزله جهله بقواعد ديوان الخلافة، فإنّه قضى[1] عمره في أعمال السلاطين، وليس لهم هذه القواعد، ولمّا قُبض عاد أمين الدولة بن الموصلايا إلى النظر في الديوان.

ومن عجيب ما جرى من الكلام الذي وقع بعد أيّام أنّ سديد المُلك كان يسكن في دار عميدِ الدولة بن جَهِير، وجلس فيها مجلساً عامّاً يحضره الناس لوعظ المؤيّد عيسى الغَزْنويّ، فأنشدوا أبياتاً ارتجلها:

سديد الملكِ سُدْتَ وخُضتَ بحراً ... عميقَ اللُّجّ فاحفَظْ فيه رُوحَكْ
وأحيِ مَعالِمَ الخَيراتِ واجعَلْ ... لِسانَ الصِّدقِ في الدُّنيا فُتُوحَكْ
وفي الماضين مُعْتَبَرٌ فأسرِجْ ... مَرُوحَك في السلامة أو جَموحَكْ

ثم قال سديد المُلك: مَن شرب من مرقة السلطان احترقت شفتاه، ولو بعد زمان؛ ثم أشار إلى الدار وقرأ: **﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾**[2]، فقبض على الوزير بعد أيّام[3].

ذكر ملك الملك دُقاق مدينة الرَّحبة

في هذه السنة، في شعبان، ملك الملك دُقاق بن تُتُش، صاحب دمشق، مدينة الرَّحْبة، وكانت بيد إنسان اسمه قايماز من مماليك السلطان ألبْ أرسلان، فلمّا قُتل كربوقا استولى عليها، فسار دُقاق وطُغتكين أتابكه إليه، وحصراه بها، ثم رحل عنه[4].

---

(١) في الأوربية: «قضا».

(٢) سورة إبراهيم، الآية ٤٥.

(٣) تاريخ الإسلام ٥٤، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٩٠ (باختصار شديد).

(٤) ذيل تاريخ دمشق ١٤٢، زبدة الحلب ٢/ ١٤٧، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٤، نهاية الأرب ٢٧/ ٧٣، المختصر ٢/ ٢١٦، الدرّة المضية ٤٦٢، تاريخ سلاطين المماليك ٣، العبر ٣/ ٣٤٣، دول الإسلام ٢/ ٢٦، تاريخ الإسلام ٥٥، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٤، مرآة الجنان ٣/ ١٥٩، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٣.

وتوفّي قايماز هذه السنة في صفر، وقام مقامه غلامٌ تركيّ اسمه حسن، فأبعد عنه كثيراً من جُنده، وخطب لنفسه، وخاف من دُقاق، فاستظهر، وأخذ جماعة من السالاريّة الذين يخافهم، فقبض عليهم، وقتل جماعة من أعيان البلد وحبس آخرين وصادرهم. فتوجّه دُقاق إليه وحصره، فسلّم العامة البلد إليه، واعتصم حسن بالقلعة، فأمّنه دُقاق، فسلّم القلعة إليه، فأقطعه إقطاعاً كثيراً بالشام، وقرّر أمر الرَّحْبة، وأحسن إلى أهلها، وجعل فيها من يحفظها، ورحل عنها إلى دمشق.

ذكر أخبار الفرنج بالشام

كان الأفضل أمير الجيوش بمصر قد أنفذ مملوكاً لأبيه، لَقَبُهُ سعد الدولة، ويُعرف بالطواشي[(١)]، إلى الشام لحرب الفرنج، فلقيهم بين الرَّمْلة ويافا، ومقدّم الفرنج يُعرف ببَغْدوين، لعنه الله تعالى، وتصافّوا واقتتلوا، فحملت الفرنج حملة صادقة، فانهزم المسلمون.

وكان المنجّمون يقولون لسعد الدولة: إنّك تموت مُتردّياً؛ فكان يحذر من ركوب الخيل، حتّى إنّه وليَ بيروت، وأرضها مفروشة بالبلاط، فقلعه خوفاً أن يزلق به فرسه، أو يعثُر، فلم ينفعه الحذر عند نزول[(٢)] القدر، فلمّا كانت هذه الوقعة انهزم، فتردّى به فرسه، فسقط ميّتاً، وملك الفرنج خِيَمَه وجميع ما للمسلمين.

فأرسل الأفضل بعده ابنه شرف المعالي في جمْع كثير، فالتقوا هم والفرنج بيَازُورَ، بقرب الرَّملة، فانهزم الفرنج، وقُتل منهم مقتلة عظيمة، وعاد من سلم منهم مغلولين، فلمّا رأى بَغْدوين شدّة الأمر، وخاف القتل والأسر، ألقى نفسه في الحشيش واختفى فيه، فلمّا أبعد المسلمون خرج منه إلى الرَّملة. وسار شرف المعالي بن الأفضل من المعركة، ونزل على قصر بالرَّملة، وبه سبعمائة من أعيان الفرنج، وفيهم بَغْدوين، فخرج متخفّياً إلى يافا، وقاتل ابن الأفضل من بقي خمسة عشر يوماً، (ثم أخذهم)[(٣)]، فقتل منهم أربعمائة صبراً، وأسر ثلاثمائة إلى مصر.

ثم اختلف أصحابه في مقصدهم، فقال قوم: نقصد البيت المقدّس ونتملّكه؛ وقال قوم: نقصد يافا ونملكها[(٤)].

---

(١) في (ب): «بالقواسي».
(٢) في (ب): «حلول».
(٣) من (أ) و (ب).
(٤) في الأوربية: «ونملكه».

فبينما هم في هذا الاختلاف، إذ وصل إلى الفرنج خلق كثير في البحر، قاصدين زيارة البيت المقدّس، فندبهم بغدوين للغزو معه، فساروا إلى عَسْقَلان، وبها شرف المعالي، فلم يكن يقوى بحربهم، فلطف الله تعالى بالمسلمين، فرأى الفرنج البحريّة حصانة عَسْقَلان، وخافوا البيات، فرحلوا إلى يافا، وعاد ولد الأفضل إلى أبيه، فسيّر رجلاً يقال له تاج العجم(في البرّ وهو)[1] من أكبر[1] مماليك أبيه، وجهّز معه أربعة آلاف فارس، وسيّر في البحر رجلاً يقال له القاضي ابن قادوس، في الأسطول، فنزل الأسطول على يافا، ونزل تاج العجم على عَسقلان، فاستدعاه ابن قادوس إليه ليتّفقا على حرب الفرنج، فقال تاج العجم: ما يمكنني أن أنزل إليك إلاّ بأمر الأفضل؛ ولم يحضر عنده، ولا أعانه، فأرسل القادوسيُّ إلى قاضي عسقلان، وشهودها، وأعيانها، وأخذ خطوطهم بأنّه أقام على يافا عشرين يوماً، واستدعى تاج العجم، فلم يأته، ولا أرسل رجلاً، فلمّا وقف الأفضل على الحال أرسل مَنْ قبض على تاج العجم، وأرسل رجلاً، لَقَبُه جمال المُلك، فأسكنه عَسقلان، وجعله متقدّم العساكر الشاميّة.

وخرجت هذه السنة وبيد الفرنج، لعنهم الله، البيت المقدّس، وفلسطين، ما عدا عَسقلان، ولهم أيضاً يافا، وأرسُوفُ، وقَيساريّةُ، وحَيفا، وطَبرِيّةُ، واللاّذِقِيّة[2]، وأنطاكيّةُ، ولهم بالجزيرة الرُّها، وسَروج[3].

وكان صَنْجيل يحاصر مدينة طرابلس الشام، والموادّ تأتيها، وبها فخر المُلك بن عمّار، وكان يرسل أصحابه في المراكب يغيرون على البلاد التي بيد الفرنج، ويقتلون من وجدوا، وقصد بذلك أن يخلو السواد ممّن يزرع لتقلّ المرادّ من الفرنج فيرحلوا عنه[4].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، سادس المحرّم، توفّيت بنت أمير المؤمنين القائم بأمر الله، التي كانت زوجة السلطان طُغْرُلْبك، وكانت موصوفة بالدّين، وكثْرة الصدقة، وكان الخليفة المستظهر بالله قد ألزمها بيتها، لأنّه أُبلغ عنها أنها تسعى في إزالة دولته[5].

---

(١) من (ب).

(٢) في الأوربية: «ولاذقية».

(٣) ذيل تاريخ دمشق ١٤٢، ١٤٣، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٥، العبر ٣/ ٣٤٣، دول الإسلام ٢/ ٢٦، تاريخ الإسلام ٥٥، الإعلام والتبيين ١٤/ ١٥، إتعاظ الحنفا ٣/ ٢٦ و ٣٢.

(٤) تاريخ الإسلام ٥٥.

(٥) المنتظم ١٧/ ٨٣ رقم ٣٧٣٦، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٣.

وفيها، في شعبان أيضاً، استوزر المستظهر بالله زعيم الرؤساء أبا القاسم بن جَهِير، واستقدمه من الحِلّة من عند سيف الدولة صَدَقَة، وقد ذكرنا(في السنة المتقدّمة)[١] سبب مسيره إليها، فلمّا قدم إلى بغداذ خرج كلّ أرباب الدولة فاستقبلوه، وخُلع عليه الخِلع التامّة، وأُجلس[٢] في الديوان ولُقّب قِوام الدين[٣].

وفيه[٤] أيضاً قُتل أبو المظفّر بن الخُجَنْدِيّ بالرَّيّ، وكان يعِظُ الناس، فقتله رجل علويّ حين نزل من كرسيّه، وقُتل العلويُّ ودُفن الخُجَنْدِيّ بالجامع، وأصل بيت الخُجَنْدِيّ من مدينة خُجَنْدَةَ، بما وراء النهر، ويُنسبون إلى المهلّب بن أبي صُفرة، وكان نظام المُلك قد سمع أبا بكر محمّد بن ثابت الخُجَنْديُّ يعظ بمَرْوَ، فأعجبه كلامه، وعرف محلّه من الفِقه والعلم، فحمله إلى أصبهان، وصار مدرِّساً بمدرسته بها، فنال جاهاً عريضاً، ودنيا واسعة، وكان نظام المُلك يتردّد إليه ويزوره[٥].

وفيها جمع ساغربك[٦]، بما وراء النهر، جموعاً كثيرة، وهو من أولاد الخانيّة، وقصد محمّد خان الذي ملّكه السلطان سَنجَر سَمَرْقَنْد، ونازعه في ملكها، فضعُف محمّد خان عنه، فأرسل إلى السلطان سَنجَر يستنجده، فسار إلى سَمَرقَنْد، فأبعد عنه ساغربك[٦]، وخافه، واحتمى منه، وأرسل يطلب الأمان من سنجَر، والعفو، فأجابه إلى ما طلب، وحضر ساغربك[٧] عنده، وقرّر الصُّلح بينه وبين محمّد خان، وحلف كلّ واحد منهما لصاحبه، وعاد إلى خُراسان، فوصل إلى مَرو في ربيع الأوّل سنة سبعٍ وتسعين وأربعمائة.

[الوفيات]

وفيها توفّي أبو المعالي [الرجل][٨] الصالح، ساكن باب الطاق، وكان مُقِلاً من الدنيا، له كرامات ظاهرة[٩].

---

(١) من الباريسية.
(٢) في (أ) و (ب): «وجلس».
(٣) المنتظم ١٧/ ٨٠، ٨١.
(٤) في (أ) و (ب): «وفيها».
(٥) المنتظم ١٧/ ٨٣ رقم ٣٧٣٥.
(٦) في (أ): «ساغوبك»، و (ب): «ساغونك».
(٧) في (أ) و (ب): «ساغوبك».
(٨) إضافة من (أ) و (ب).
(٩) انظر عن (أبي المعالي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٦ هـ.) ص ٢٤١ رقم ٢٥٥، وفيه مصادر ترجمته، وهو باسم «معالي العابد».

٤٩٧
ثم دخلت سنة سبع وتسعين وأربعمائة

ذكر ملك بَلْك بن بهرام بن أُرتق مدينة عانة

في هذه السنة، في المحرّم، استولى بَلْك بن بهرام بن أُرتُق، وهو ابن أخي إيلغازي بن أُرتُق، على مدينة عانة، والحديثة، وكان له مدينة سَروج، فأخذها الفرنج منه، فسار عنها إلى عانة وأخذها من بني يَعيش بن عيسى بن خِلاط، فقصد بنو يَعيش سيف الدولة صدقة بن مَزْيد، ومعهم مشايخهم، فسألوه الإصعاد إليها، وأن يتسلّمها منهم، ففعل وأصعد معهم.

فرحل التركمان وبهرام عنها، وأخذ صدقة رهائنهم، وعاد إلى حِلّته، فرجع بَلك إليها ومعه ألفا رجل من التركمان، فمانعه أصحابه قليلاً، واستدلّ على المخاضة إليها، فخاضها وعبر، وملكهم ونهبهم، وسبى[1] جميع حُرَمهم وانحدر طالباً هَيت من الجانب الشاميّ، فبلغ إلى قريب منها، ثم رجع من يومه، ولمّا سمع صدقة جهّز العساكر، ثم أعادهم عند عود بلك.

ذكر غارة الفرنج على الرَّقّة وقلعة جَعْبَر

في هذه السنة، في صفر، أغار الفرنج من الرُّها على مرج الرَّقّة وقلعة جَعْبَر، وكانوا لمّا خرجوا من الرُّها افترقوا فرقتَيْن، وأبعدوا يوماً واحداً تكون الغارة على البلدَيْن فيه، ففعلوا ما استقرّ بينهم، وأغاروا، واستاقوا المواشي، وأسروا مَن وقع بأيديهم من المسلمين، فكانت القلعة[2] والرَّقّة لسالم بن مالك بن بدران بن المقلّد بن المسيّب سلّمها إليه السلطان ملكشاه سنة تسعٍ[3] وسبعين [وأربعمائة]، وقد ذكرناه فيها.

---

(١) في الأوربية: «وسبا».
(٢) في (ب): «قلعة جعبر»، وفي الباريسية: : «الوقعة».
(٣) في (ب): «سبع».

ذكر الصلح بين السلطان بركْيارُق ومحمّد

في هذه السنة، في ربيع الآخر، وقع الصُّلح بين السلطانَيْن بركْيارُق ومحمّد ابنَيْ ملكشاه.

وكان سببه أنّ الحروب تطاولت بينهما، وعمّ الفساد، فصارت الأموال منهوبة، والدماء مسفوكة، والبلاد مخرّبةً، والقرى محرقةً، والسلطنة مطموعاً[1] فيها، محكوماً عليها، وأصبح الملوك مقهورين، بعد أن كانوا قاهرين، وكان الأمراء الأكابر يؤثرون ذلك ويختارونه[2] ليدوم تحكّمهم، وانبساطهم، وإدلالهم.

وكان السلطان بركْيارُق حينئذٍ بالريّ والخطبة له بها، وبالجبل، وطَبَرِستان، وخُوزستان، وفارس، وديار بكر، والجزيرة، وبالحَرَمَيْن الشريفَيْن.

وكان السلطان محمّد بأذَرْبيجان، والخطبة له فيها[3]، وببلاد أرانيّة، وأرمينية، وأصبهان، والعراق، كلّها ما عدا تكريت.

وأمّا أعمال البطائح فيُخطب ببعضها لبركْيارُق، وببعضها لمحمّد.

وأمّا خُراسان فإنّ السلطان سَنجَر كان يُخطب له في جميعها، وهي من حدود جُرجان إلى ما وراء النهر، ولأخيه السلطان محمّد.

فلمّا رأى السلطان بركْيارُق المال عنده معدوماً، والطمع من العسكر زائداً، أرسل القاضي أبا المظفّر الجُرجانيّ الحنفيّ، وأبا الفرج أحمد بن عبد الغفّار الهمَذانيّ، المعروف بصاحب قُراتِكين، إلى أخيه محمّد في تقرير قواعد الصلح، فساروا إليه، وهو بالقرب من مراغَة، فذكرا له ما أرسلا فيه، ورغّباه في الصلح وفضيلته، وما شمل البلاد من الخراب، وطمع عدوّ الإسلام في أطراف الأرض. فأجاب إلى ذلك، وأرسل فيه رُسلاً، واستقرّ الأمر، وحلف كلّ واحد منهما لصاحبه، وتقرّرت القاعدة: أنّ السلطان بركيارق لا يعترض[4] أخاه محمداً في الطبل، وأن لا يذكر معه على سائر البلاد التي صارت له، وأن لا يكاتب أحدهما الآخر بل تكون المكاتبة من الوزيرَيْن، ولا يعارض أحد من العسكر في قصد أيّهما شاء، وأن يكون للسلطان محمّد من النهر المعروف

---

(١) في الأوربية: «مطموعة»، وفي (أ) و (ب): «مطموعاً».
(٢) في الأوربية: ويخترونه».
(٣) في الأوربية: «فيه».
(٤) في الأوربية: «يتعرض».

بإسبِيذَرُوذَ، إلى باب الأبواب، وديار بكر، والجزيرة، والموصل، والشام، ويكون له من بلاد العراق بلاد سيف الدولة صدقة.

فأجاب بركْيارُق إلى هذا، وزال الخُلْف، والشغب، وأرسل السلطان محمّد إلى أصحابه بأصبهان يأمرهم بالانصراف عن البلد، وتسليمه إلى أصحاب أخيه، (وسار السلطان بركْيارُق إلى أصبهان، فلمّا سلّمها إليه[1] أصحاب أخيه)[2] دعاهم إلى أن يكونوا معه، وفي خدمته، فامتنعوا، ورأوا لزوم خدمة صاحبهم، فسمّاهم أهل العسكرَيْن جميعاً: أهل الوفاء، وتوجّهوا من أصبهان، ومعهم حريم السلْطان محمّد، إليه، وأكرمهم بركْيارُق، وحمل لأهل أخيه المال الكثير، ومن الدوابّ ثلاثمائة جَمَل، ومائة وعشرين بغلاً، تحمل الثَّقَل، وسيّر معهم العساكر يخدمونهم.

ولما وصلت رسل السلطان بركْيارُق إلى الخليفة المستظهر بالله بالصُّلح، وما استقرّت القواعد عليه، حضر إيلغازي بالديوان، وسأل في إقامة الخطبة لبركْيارُق، فأُجيب إلى ذلك، وخُطب له بالديوان يوم الخميس تاسع عشر جُمادى الأولى، وخُطب له، من الغد، بالجوامع، وخُطب له أيضاً بواسط.

ولمّا خطب إيلغازي ببغداذ لبركْيارُق، وصار في جملته، أرسل الأمير صَدَقَة إلى الخليفة يقول: كان أمير المؤمنين ينسب إليّ[3] كلّ ما[4] يتجدّد من إيلغازي من إخلال[5] بواجب الخدمة، وشرط الطاعة، ومن اطّراح المراقبة، والآن، فقد أبدى[6] صفحته للسلطان[7] الذي استنابه، وأنا غير صابرٍ على ذلك، بل أسير لإخراجه عن بغداذ.

فلمّا سمع إيلغازي ذلك شرع في جمع التركمان، وورد صَدَقَة بغداذ، فنزل مقابل التاج، وقبّل الأرض، ونزل في مخيّمه بالجانب الغربيّ، ففارق إيلغازي بغداذ إلى بَعقُوبا، وأرسل إلى صَدَقَة يعتذر من طاعته لبركْيارُق بالصُّلح الواقع، وأنّ إقطاعه حُلوان وغيرها في جملة بلاده، وأنّ بغداد التي هو شِحنةٌ فيها قد صارت له، فذلك الذي أدخله في طاعته. فرضي عنه صدقة، وعاد إلى الحِلّة.

---

(١) في الأوربية: «سلمه».
(٢) من (أ) و (ب).
(٣) من الباريسية.
(٤) في الأوربية: «كلّما».
(٥) في (أ) و (ب): «إخلاله».
(٦) في الأوربية: «أبداً».
(٧) في (أ) و (ب): «السلطانه».

وفي ذي القعدة سُيّرت الخِلع من الخليفة للسلطان بركْيارُق، وللأمير إياز، ولوزير بركْيارُق، وهو الخطير، والعهد بالسلطنة، وحلفوا جميعهم للخليفة وعادوا[1].

ذكر ملك الفرنج جُبَيْل وعكّا من الشام

في هذه السنة وصلت مراكب من بلاد الفرنج إلى مدينة اللاّذِقِيّة[2]، فيها التجّار، والأجناد، والحجّاج، وغير ذلك، واستعان[3] بهم صَنْجيل الفرنجيُّ على حصار طرابلس، فحصروها معه برّاً وبحراً، وضايقوها، وقاتلوها أيّاماً، فلم يروا فيها مطمعاً، فرحلوا عنها إلى مدينة جُبَيْل، فحصروها، وقاتلوا عليها[4] قتالاً شديداً. لمّا رأى أهلها عجزهم عن الفرنج أخذوا أماناً، وسلّموا البلد إليهم، فلم تفِ[5] الفرنج لهم بالأمان، وأخذوا أموالهم، واستنقذوها[6] بالعقوبات وأنواع العذاب[7].

فلمّا فرغوا من جُبيل ساروا إلى مدينة عكّا، استنجدهم الملك بغدوين، (ملك الفرنج)[8] صاحب القدس على حصارها، فنازلوها، وحصروها في البرّ والبحر.

وكان الوالي بها اسمه بنا، ويُعرف بزهر الدولة الجيوشيّ، نسبة إلى ملك الجيوش الأفضل، فقاتلهم أشدّ قتال، فزحفوا إليه غير مرّة، فعجز عن حفظ البلد، فخرج منه، وملك الفرنج البلد بالسيف قهراً، وفعلوا بأهله الأفعال الشنيعة، وسار الوالي به إلى دمشق، فأقام بها، ثم عاد إلى مصر، واعتذر إلى الأفضل فقبل عُذره[9].

---

(١) المنتظم ٩/ ١٣٨ (١٧/ ٨٠ ـ ٨٥)، تاريخ مختصر الدول ١٩٧، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٨، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٥٠، ٣٥١، المختصر ٢/ ٢١٦، ٢١٧، العبر ٣/ ٣٤٥، دول الإسلام ٢/ ٢٦، تاريخ الإسلام ٥٧، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٤، مآثر الإنافة ٢/ ١٣، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٩٠، ٤٩١ و ٥/ ٣٢، النجوم الزاهرة ٥/ ١٨٧، ١٨٨، تاريخ الخلفاء ٤٢٨، ٤٢٩.

(٢) في الأوربية: «لاذقية».

(٣) في (أ): «واستغاث».

(٤) في (ب): «أهلها».

(٥) في (أ) و (ب): «يف».

(٦) في الباريسية: «واستنفدوا أحوالهم».

(٧) تاريخ حلب ٣٦٢ (٢٨)، ذيل تاريخ دمشق ١٤٣، معجم البلدان ٤/ ٥٩، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٩، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥٦ و ٢٨/ ٢٦٣، المختصر ٢/ ٢١٧، العبر ٣/ ٣٤٥، دول الإسلام ٢/ ٢٧، تاريخ الإسلام ٥٨، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٤، ١٥، الإعلام والتبيين ١٥، مآثر الإنافة ٢/ ١٦، شذرات الذهب ٣/ ٤٠٤، وفيه: «جبل» بدل «جبيل». وانظر كتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري ١/ ٤٠٦، ٤٠٧.

(٨) من الباريسية.

(٩) تاريخ حلب ٣٦٢ (٢٨)، ذيل تاريخ دمشق ١٤٤، أخبار مصر لابن ميسر ٤١، أخبار الدول المنقطعة =

ذكر غزو سُقمان وجكرمِش الفرنج

لمّا استطال الفرنج، خذلهم الله تعالى، بما ملكوه من بلاد الإسلام، واتّفق لهم اشتغال عساكر الإسلام، وملوكه، بقتال بعضهم بعضاً، تفرّقت حينئذ بالمسلمين الآراء، واختلفت الأهواء، وتمزّقت الأموال.

وكانت حرّان لمملوك من مماليك ملكشاه اسمه قراجه[١]، فاستخلف عليها إنساناً يقال له محمد الأصبهانيُّ، وخرج في العام الماضي، فعصى الأصبهانيُّ على قراجه، وأعانه أهل البلد لظلم قراجه.

وكان الأصبهانيُّ جَلداً، شهماً، فلم يترك بحَرَّان من أصحاب قراجه سوى غلام تركيّ يُعرف بجاولي، وجعله أصْفَهْسَلار العسكر، وأنِس به، فجلس معه يوماً للشرب فاتّفق جاولي مع خادم له[٢] على قتله فقتلاه وهو سكران. فعند ذلك سار الفرنج إلى حرّان وحصروها.

فلمّا سمع معين الدولة سُقمان، وشمس الدولة جكرمِش ذلك، وكان بينهما حرب، وسُقمان يطالبه بقتل ابن أخيه، وكلّ منهما يستعد للقاء صاحبه، وأنا أذكر سبب قتل جكرمِش له، إن شاء الله تعالى، أرسل[٣] كلّ منهما إلى صاحبه يدعوه إلى الاجتماع معه لتلافي أمر حَرّان، ويعلمه أنّه قد بذل نفسه لله تعالى، وثوابه، فكلّ واحد منهما أجاب صاحبه إلى ما طلب منه، وساروا، فاجتمعا على الخابور، وتحالفا، وسارا إلى لقاء الفرنج.

وكان مع سُقمان سبعة آلاف فارس من التركمان، ومع جكرمِش ثلاثة آلاف فارس من الترك، والعرب، والأكراد، فالتقوا على نهر البَلِيخ، وكان المصافّ بينهم هناك، فاقتتلوا، فأظهر المسلمون الانهزام، فتبِعهم الفرنج نحو فرسَخَيْن، فعاد عليهم المسلمون فقتلوهم كيف شاؤوا، وامتلأت أيدي التركمان من الغنائم، ووصلوا إلى الأموال

= ٨٧، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٩، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥٦ و ٢٨/ ٢٦٣، المختصر ٢/ ٢١٧، تاريخ الرهاوي ٢/ ٤٦٧ - ٤٦٩، الدرّة المضية ٤٦٣، العبر ٣/ ٣٤٥، دول الإسلام ٢/ ٢٧، تاريخ سلاطين المماليك ٢٣، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٥، الإعلام والتبيين ١٥، مآثر الإنافة ٢/ ١٦، إتعاظ الحنفا ٣/ ٣٤ و ٣٦، النجوم الزاهرة ٥/ ١٨٨، شذرات الذهب ٣/ ٤٠٤، تاريخ الأزمنة ٩٥.

(١) في (أ) و (ب): «قراجا».

(٢) من (ب).

(٣) في الأوربية: «فأرسل».

العظيمة، لأنّ سواد الفرنج كان قريباً، وكان بيمُند، صاحب أنطاكية، وطَنْكِري[1]، صاحب الساحل، قد انفردا[2] وراء جبل ليأتيا المسلمين من وراء ظهورهم، إذا اشتدّت الحرب، فلمّا خرجا رأيا الفرنج منهزمين، وسوادهم منهوباً، فأقاما إلى الليل، وهربا، فتبعهما المسلمون، وقتلوا من أصحابهما كثيراً، وأسروا كذلك، وأفلتا في ستّة فرسان.

وكان القُمّص بردويل، صاحب الرُّها، قد انهزم مع جماعة من قمامصتهم، وخاضوا نهر البَلِيخ، فوَحِلَت خيولهم، فجاء تركمانيّ[3] من أصحاب سُقمان فأخذهم[4]، وحملَ بردويل إلى خيم صاحبه، وقد سار فيمن معه لاتّباع بيمُنْد، فرأى أصحاب جكرمِش أنّ أصحاب سُقمان قد استولوا على مال الفرنج، ويرجعون هم من الغنيمة بغير طائل، فقالوا لجكرمِش: أيّ منزلة تكون لنا عند الناس، وعند التركمان إذا انصرفوا[5] بالغنائم دوننا؟ وحسّنوا له أخذ القُمّص، فأنفذ فأخذ القُمّص من خيم سُقمان، فلمّا عاد سُقمان شقّ عليه الأمر، وركب أصحابه للقتال، فردّهم، وقال لهم: لايقوم فرح المسلمين في هذه الغزاة بغمّهم باختلافنا، ولا أؤثر شفاء غيظي بشماتة الأعداء بالمسلمين. ورحل لوقته، وأخذ سلاح الفرنج، وراياتهم، وألبس أصحابه لبسهم، وأركبهم خيلهم، وجعل يأتي حصون شَيْحَان[6]، وبها الفرنج، فيخرجون ظنّاً منهم أنّ أصحابهم نُصروا، فيقتلهم ويأخذ الحصن منهم، فعل ذلك بعدّة حصون.

وأما جكرمِش فإنّه سار إلى حرّان، فتسلمها، واستخلف بها صاحبه، وسار إلى الرُّها، فحصرها خمسة عشر يوماً، وعاد إلى الموصل ومعه القُمّص الذي أخذه من خيام سُقمان، ففاداه بخمسة وثلاثين ديناراً، ومائة وستّين أسيراً من المسلمين، وكان عدّة القتلى من الفرنج يقارب اثني عشر ألف قتيل[7].

---

(١) في (أ) و (ب): «تنكري».
(٢) في الأوربية: «انفرد».
(٣) في الأوربية: «تركمان».
(٤) في الأصل: «فأخذوهم».
(٥) في (ب): «أفردوا».
(٦) في الباريسية: «سحل»، وفي (ب): «سحمان».
(٧) تاريخ الفارقي ٢٧٤ (حوادث سنة ٤٧٩ هـ.)، مرآة الزمان ج ٨ ق ٩/١، ١٠، المختصر ٢١٧/٢، العبر ٣/ ٣٤٥، ٣٤٦ دول الإسلام ٢/ ٢٧، تاريخ الإسلام ٥٩، ٦٠، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٥، الإعلام والتبيين ١٥، مرآة الجنان ٣/ ١٦٠، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٣٣، شذرات الذهب ٣/ ٤٠٤، تاريخ الأزمنة ٩٧.

ذكر وفاة دُقاق وملك ولده

في هذه السنة، في شهر رمضان توفّي الملك دقاق بن تُتُش بن ألب أرسلان، صاحب دمشق، وخطب أتابكه طُغْتِكِين لولدٍ له صغير، له سنة واحدة، وجعل اسم المملكة فيه، ثم قطع خطبته لبكتاش[1] بن تُتُش، عمّ هذا الطفل، في ذي الحجّة، وله من العمر اثنتا عشرة[2] سنة.

ثم إنّ طُغْتِكِين أشار عليه بقصد الرَّحبة، فخرج إليها فملكها وعاد، فمنعه طُغْتكين من دخول البلد، فمضى إلى حصون له، وأعاد طُغْتِكين خطبة الطفل ولد دُقاق.

وقيل أنّ سبب استيحاش بكتاش من طُغْتِكِين أنّ والدته خوّفته منه، وقالت: إنّه زوج والدة دُقاق، وهي لا تتركه حتّى تقتلك ويستقيم المُلك لولدها؛ فخاف، ثم إنّه حسّن له من كان يحسد طُغْتكين مفارقة دمشق، وقصْد بعلبكّ، وجمع الرجال، والاستنجاد بالفرنج، والعَوْد إلى دمشق، وأخْذها من طُغْتكين، فخرج من دمشق سِرّاً في صفر سنة ثمانٍ وتسعين[وأربعمائة]، ولحِقه الأمير أيتكين الحلبيُّ، وهو من جملة من قرّر مع بكتاش ذلك، وهو صاحب بُصْرَى، فعاثا في نواحي[3] حَوران، ولحِق بهما[4] كلّ من يريد الفساد، وراسلا بغدوين ملك الفرنج يستنجدانه، فأجابهما إلى ذلك، وسار إليهما[5] فاجتمعا به، وقرّرا القواعد معه، وأقاما عنده مدّةً، فلم يريا منه[6] غير التحريض على الإفساد في أعمال دمشق، وتخريبها، فلمّا يئسا من نصره عادا من عنده، وتوجّها في البرّية إلى الرَّحْبة، فملكها بكتاش وعاد عنها.

واستقام أمر طُغْتِكِين بدمشق واستبدّ بالأمر، وأحسن إلى الناس، وبثّ فيهم العدل، فسُرّوا به سروراً كثيراً[7].

---

(١) في (أ) و (ب): «اليلناس»، و « نكاش»، و «بكاش»، و «يلياس».
(٢) في الأوربية: «عشر».
(٣) في الأوربية: «ناحية».
(٤) في الأوربية: «بها».
(٥) في الأوربية: «إليه».
(٦) في الباريسية: «عنده».
(٧) تاريخ حلب ٣٦٢ (٢٨)، ذيل تاريخ دمشق ١٤٤، تاريخ الفارقي ٢٧١ (حوادث سنة ٤٩٨ هـ.)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٩ و ١١، زبدة الحلب ٢/ ١٥٠، نهاية الأرب ٢٧/ ٧٤، المختصر ٢/ ٢١٧، الدرّة المضية ٤٦٣، العبر ٣/ ٣٤٧، دول الإسلام ٢/ ٢٧، تاريخ الإسلام ٦٠، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٥، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٣، ١٦٤، مرآة الجنان ٣/ ١٦٠، النجوم الزاهرة ٥/ ١٨٩، وانظر كتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيّين ٢٦٣، ٢٦٤.

ذكر استيلاء صدقة على واسِط

في هذه السنة، في شوّال، انحدر سيف الدولة صدقة بن مَزْيَد من الحِلّة إلى واسِط في عسكر كثير، وأمر فنودي بها في الأتراك: من أقام فقد بَرِئَتْ منه الذمّة؛ فسار جماعة منهم إلى بركيارق، وجماعة إلى بغداذ، وصار مع صدقة جماعة منهم، ثم إنّه أحضر مهذّب الدولة بن أبي الجبر[1]، صاحب البطيحة، فضمّنه البلد لمدّة، آخرها آخر السنة، بخمسين ألف دينار، وعاد إلى الحِلّة، وأقام مهذّب الدولة بواسِط إلى سادس ذي القعدة، وانحدر[2] إلى بلده.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في ربيع الأوّل، أُطلق سديد الملك أبو المعالي من الاعتقال، وهو الذي كان وزير الخليفة، ولمّا أُطلق هرب إلى الحِلّة السّيفيّة، ومنها إلى السلطان بركْيارق، فولاّه الإشراف على ممالكه.

وفيها توفّي أمين الدولة أبو سعد العلاء[3] بن الحسن بن الموصلايا، فجأةً، وكان قد أضرّ، وكان بليغاً فصيحاً، وكان ابتداء خدمته للقائم بأمر الله سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، خدم الخلفاء خمساً[4] وستّين سنة، كلّ يوم تزداد منزلته، حتّى تاب عن الوزارة، وكان نَصرانيّاً، فأسلم سنة أربع وثمانين[وأربعمائة]، وكان كثير الصدقة، جميل المحضر، صالح النيّة، ووقف أملاكه على أبواب البرّ؛ ومكاتباته مشهورة حسنة؛ ولمّا مات خُلع على ابن أخته أبي نصر، ولُقّب« نظام الحضرتَيْن»، وقُلّد ديوان الإنشاء[5].

وفيها كانت ببغداذ بين العامّة فتَن كثيرة، وانتشر العيّارون[6].

وفيها قُتل أبو نُعَيم بن ساوة[7] الطبيب الواسطيُّ، وكان من الحُذّاق في الطبّ، وله فيه إصابات[8] حسنة.

---

(١) في (أ): «الخير».
(٢) في (أ) و (ب): «وعاد منحدراً».
(٣) من الباريسية.
(٤) في الأوربية: «خمس».
(٥) انظر عن (ابن الموصلايا) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٧ هـ.) ص ٢٦٠ ـ ٢٦٣ وفيه مصادر ترجمته.
(٦) انظر: المنتظم ١٧/ ٨٤.
(٧) في (أ) و (ب): «رساده».
(٨) في (ب): «اختيارات».

وفيها عزل السلطان سَنجَر وزيرَهُ المجير أبا الفتح الطُّغرائيّ، وسبب ذلك أنّ الأمير بزغش، وهو أصْفَهْسَلار العسكر السَّنجريّ، أُلقي إليه ملطّف فيه: لا يتمّ لك أمرٌ مع هذا السلطان، ووقع إلى سنجَر، لا يتمّ لك أمر مع الأمير بزغش، مع كثرة جموعه، فجمع بزغش أصحاب العمائم، وعرض عليهم الملطَّفَيْن، فاتّفقوا على كاتب الطُّغرائيّ، وظهرت علَيه فقُتل[1]، وقبض سَنجَر على الطُّغرائيّ، وأراد قتله، فمنعه بزغش، وقال: له حقُّ خدمةٍ؛ فأبعده إلى غَزْنة. وفيها جمع بزغش كثيراً من عساكر خُراسان، وأتاه[2] كثير من المتطوّعة، وسار إلى قتال الإسماعيلية، فقصد طَبَس، وهي لهم، فخربها وما جاورها من القلاع والقُرى، وأكثر فيهم القتل، والنهب، والسبي، وفعل بهم الأفعال العظيمة، ثم أنّ أصحاب سنجَر أشاروا بأن يؤمَّنوا[3]، ويُشرط عليهم أنّهم لا يبنون حصناً، ولا يشترون سلاحاً، ولا يدْعون أحداً إلى عقائدهم، فسخط كثير من الناس هذا الأمان، وهذا الصلح، ونقموه على سَنجَر؛ ثم إنّ بزغش، بعد عوده من هذه الغزاة، توفّي، وكانت خاتمة أمره[4] الجهاد، وحمه الله.

[الوفيات]

وفي هذه السنة توفّي أبو بكر[أحمد بن علي بن الحسين][5] بن زكريّاء الطُّرَيْثيثيُّ، وكان صوفيّاً محدّثاً مشهوراً.

وفي رجب توفّي القاضي أبو الحسين[6] أحمد بن محمّد الثقفيُّ، قاضي الكوفة، ومولده في ربيع الأوّل سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، وهو من ولد عُرْوة بن مسعود، ومن تلاميذ القاضي الدامغانيّ، ووليَ القضاء بعده ابنه أبو البركات.

---

(١) في (أ): «فقبل وضمن».
(٢) من الباريسية.
(٣) في (أ): «يزينوا»، وفي (ب): «يرموا».
(٤) في (أ) و (ب): «أعماله».
(٥) في طبعة صادر ١٠/ ٣٧٩، «أبو بكر علي بن أحمد بن زكرياء»، وهو غلط، والتصويب من تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٧ هـ.) ص ٢٤٧، ٢٤٨ رقم ٢٦٤ وفيه مصادر ترجمته.
(٦) في تاريخ الإسلام ٢٤٦ رقم ٢٦٢ «أبو الحسن».

وفي ربيع الآخر توفّي أبو عبد الله الحسين بن عليّ بن البُسريّ[1] البندار[2]، المحدّث، ومولده سنة أربعٍ وأربعمائة[3].

---

(١) انظر عن (ابن البُسْري) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٧ هـ.)، ص ٢٥٥ رقم ٢٧٥ وفيه مصادر ترجمته. وقد وقع في الطباعة خطأً: «البسيري».

(٢) من (أ) و (ب).

(٣) في الأنساب ٢/٢١٢، وتاريخ الإسلام ٢٥٥، وُلد سنة تسع أو عشر.

٤٩٨
ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وأربعمائة

ذكر وفاة السلطان بركيارُق

في هذه السنة، ثاني ربيع الآخر، توفّي السلطان بركْيارُق بن ملكشاه[١]، وكان قد مرض بأصبهان بالسلّ، والبواسير، فسار منها في مَحفّة طالباً بغداذ، فلمّا وصل إلى بَرُوجرْدَ ضعُف عن الحركة، فأقام بها أربعين يوماً، فاشتدّ مرضه، فلمّا أيَس من نفسه خلع على ولده ملكشاه، وعُمره حينئذٍ أربع سنين وثمانية أشهر، وخلع على الأمير إياز، وأحضر جماعة الأمراء، وأعلمهم أنّه قد جعل ابنه وليَّ عهده في السلطنة، وجعل الأمير إياز أتابكه، وأمرهم بالطاعة لهما، ومساعدتهما على حفظ السلطنة لولده، والذَّبّ عنها، فأجابوا كلّهم بالسمع والطاعة، وبَذْل النفوس والأموال في حِفْظ ولده وسلطنته عليه، واستحلفهم على ذلك، فحلفوا، وأمرهم بالمسير إلى بغداذ، فساروا، فلمّا كانوا على اثني عشر فرسخاً من بَرُوجِرُدَ وصلهم خبر وفاته، وكان بركْيارُق قد تخلّف على عزم العَود إلى أصبهان فعاجلته منيّته.

فلمّا سمع الأمير إياز بموته أمر وزيرَه الخطير المبيذيَّ وغيره بأن يسيروا مع تابوته إلى أصبهان، فحُمل إليها، ودُفن في تربة جدّدتْها له سُرّيّته، ثم ماتت بعد أيام، فدُفنت بإزائه، وأحضر إياز السرادقات، والخيام، والجتر، والشمسة، وجميع ما يحتاج إليه السلطان، فجعله برسم ولده ملكشاه.

ذكر عمره وشيء من سيرته

لمّا توفّي بركيارُق كان عمره خمساً[٢] وعشرين سنة، ومدّة وقوع اسم السلطنة

---

(١) انظر عن (السلطان بركيارق) في: تاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٨ هـ.)، ص ٦٣ وفيه حشدت مصادره.
(٢) في الأوربية: «خمس».

عليه اثنتي عشرة[1] سنة وأربعة أشهر، وقاسى من الحروب واختلاف الأمور عليه ما لم يقاسيه أحد، واختلفت به الأحوال بين رخاء وشدّة، ومُلك وزواله، وأشرف، في عدّة نُوَب، بعد إسلام[2] النعمة، على ذهاب المهجة[3].

ولمّا قوي أمره، في ذلك الوقت، وأطاعه المخالفون، وانقادوا له، أدركته منيّته، ولم يُهْزَمْ في حروبه غير مرّة واحدة، وكان أُمراؤه قد طمعوا فيه للاختلاف الواقع، حتّى إنّهم كانوا يطلبون نوّابه ليقتلوهم،فلا يمكنه الدفع عنهم، وكان متى خُطب له ببغداذ وقع الغلاء، ووقفت المعايش والمكاسب، وكان أهلها مع ذلك يحبّونه، ويختارون سلطانه.

وقد ذكرنا من تغلّب الأحوال به ما وقفتُ عليه، ومن أعجبها دخوله أصبهان هارباً من عمّه تُتُش، فمكّنه عسكر أخيه محمود صاحبها من دخولها ليقبضوا عليه، فاتّفق أنّ أخاه محموداً مات، فاضطرّوا إلى أن يملّكوه، وهذا من أحسن الفرج بعد الشدّة.

وكان حليماً، صبوراً، عاقلاً، كثير المداراة[4]، حَسَن القدرة، لايبالغ في العقوبة، وكان عفوه أكثر من عقوبته[5].

ذكر الخطبة لملكشاه بن بركيارُق

في هذه السنة خُطب لملكشاه بن بركيارُق بالديوان يوم الخميس سلْخ ربيع الآخر، وخُطب له(بجوامع بغداذ)[6] من الغد، يوم الجمعة.

وكان سبب ذلك أنّ إيلغازي، شِحنة بغداذ، سار في المحرّم إلى السلطان بركْيارُق، وهو بأصبهان، يحثّه على الوصول إلى بغداذ، ورحل مع بركْيارُق، فلمّا مات بركْيارُق سار مع ولده ملكشاه والأمير إياز إلى بغداذ، فوصلوها سابع عشر ربيع الآخر، ولقوا في طريقهم برداً شديداً لم يشاهدوا مثله، بحيث أنّهم لم يقدروا على الماء لجموده.

---

(١) في الأوربية: «عشر».

(٢) في (أ) و (ب): «أسلاب».

(٣) في (أ) و (ب): «المنجه».

(٤) في الأوربية: «المدراة».

(٥) انظر ترجمة (بركيارق) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٨ هـ.) ص ٢٧٣، ٢٧٤، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٦) في الباريسية: «ببغداد».

وخرج الوزير أبو القاسم عليُّ بن جَهِير، فلقيهم من دَيَالى، وكانوا خمسة آلاف فارس، وحضر إيلغازي، والأمير طغايرك، بالديوان، وخاطبوا في إقامة الخطبة لملكشاه بن بركْيارُق، فأُجيب إليها، وخُطب له، ولُقب بألقاب جدّه ملكشاه، وهي جلال الدولة، وغيره من الألقاب، ونثرت الدنانير عند الخطبة له.

ذكر حصر السلطان محمّد جكرمش بالموصل

لمّا اصطلح السلطان بركْيارُق والسلطان محمّد، كما ذكرناه في السنة الخالية، وسلّم محمّد مدينة أصبهان إلى بركْيارُق، وسار إليها، أقام محمّد بتِبرِيزَ من أَذَربيجان إلى أن وصل أصحابه الذين بأصبهان، فلمّا وصلوا استوزر سعدَ المُلك أبا المحاسن لحسْن أثره[الذي] كان في حِفْظ أصبهان، وأقام إلى صفر من هذه السنة، وسار إلى مَراغة، ثم إلى إربِل يريد قصد جكرمِش، صاحب الموصل، ليأخذ بلاده.

فلمّا سمع جكرمِش بمسيره إليه جدّد سور الموصِل، ورمّ ما احتاج إلى إصلاح، وأمر أهل السواد بدخول البلد، وأذِن لأصحابه في نهب من لم يدخل.

وحصر محمّد المدينة، وأرسل إلى جكرمِش يذكر له الصُّلح بينه وبين أخيه، وأنّ في جملة ما استقرّ أن تكون الموصل[١] وبلاد الجزيرة له، وعرض عليه الكتب من بركْيارُق إليه بذلك، والأيمان على تسليمها إليه، وقال له: أنّ أطعتَ فأنا لا آخذها منك، بل أُقرّها بيدك، وتكون الخطبة لي بها. فقال جكرمِش: إنّ كُتُبَ السلطان وردت إليّ، بعد الصلح، تأمرني أن لا أُسلّم البلد إلى غيره.

فلمّا رأى محمّد امتناعه باكره القتال، وزحف إليه بالنقّابين، والدبابات، وقاتل أهل البلد أشدّ قتال، وقتلوا خلقاً كثيراً لمحبّتهم لجكرمِش لحسْن سيرته فيهم، فأمر جكرمِش ففُتح في السور أبواب لطاف يخرج منها الرجّالة يقاتلون، فكانوا يكثرون القتل في العسكر، ثم زحف محمّد مرّة، فنقب في السور أصحابه، وأدركهم الليل، فأصبحوا وقد عمره أهل البلد، وشحنوه بالمقاتلة، وكانت الأسعار عندهم رخيصة في الحصار: كانت الحنطة تساوي كلّ ثلاثين مكّوكاً بدينار، (والشعير [كلّ] خمسين مكوكاً بدينار)[٢].

وكان بعض عسكر جكرمِش قد اجتمعوا بتلّ يَعْفَر، فكانوا يغيرون[٣] على أطراف

---

(١) في (أ) زيادة: «وديار بكر».

(٢) من (أ) و (ب).

(٣) في الأوربية: «يغرون».

العسكر، ويمنعون الميرة عنهم، فدام القتال عليهم إلى عاشر جُمادى الأولى، فوصل الخبر إلى جكرمِش بوفاة بركْيارُق، فأحضر أهل البلد، واستشارهم فيما يفعله بعد موت السلطان، فقالوا: أموالنا وأرواحنا بين يدَيْك، وأنت أعرف بشأنك، فاستشِر الجُندَ، فهم أعرف بذلك. فاستشار أُمراءه، فقالوا: لمّا كان السلطان حيّاً قد كنّا على الامتناع، ولم يتمكّن أحد من طروق بلدنا، وحيث توفّي فليس للناس اليوم سلطان غير هذا، والدخول تحت طاعته أولى.

فأرسل إلى محمّد يبذل الطاعة، ويطلب وزيره سعد المُلك ليدخل إليه، فحضر الوزير عنده، وأخذ بيده، فقال: المصلحة أن تحضر الساعة عند السلطان، فإنّه لا يخالفك في جميع ما تلتمسه؛ وأخذ بيده وقام، فسار معه جكرمِش، فلمّا رآه أهل الموصِل قد توجّه إلى السلطان، جعلوا يبكون، ويضجّون، ويَحْثون التراب على رؤوسهم، فلمّا دخل على السلطان محمّد أقبل عليه، وأكرمه، وعانقه، ولم يمكّنه من الجلوس، وقال: ارجع إلى رعيّتك، فإنّ قلوبهم إليك، وهم متطلّعون إلى عَودك؛ فقبّل الأرض وعاد ومعه جماعة من خواصّ السلطان، وسأل السلطان من الغد أن يدخل البلد ليزيّن له، فامتنع من ذلك، فعمل سِماطاً، بظاهر الموصل، عظيماً، وحمل إلى السلطان من الهدايا والتُّحف ولوزيره أشياء جليلة المقدار[1].

ذكر وصول السلطان إلى بغداذ وصلحه مع ابن أخيه الأمير إياز

لمّا وصل خبر وفاة السلطان بركْيارُق إلى أخيه السلطان محمّد، وهو يحاصر الموصل، جلس للعزاء، وأصلح جكرمِش، صاحب الموصل، كما ذكرناه، وسار إلى بغداذ ومعه سُكْمان القُطبيُّ، وهو يُنسب إلى قُطْب الدولة إسماعيل بن ياقوتي بن داود، وإسماعيل ابن عمّ ملكشاه، وسار معه جكرمِش وغيرهما من الأمراء.

وكان سيف الدولة صَدَقَة، صاحب الحِلّة، قد جمع خلقاً كثيراً من العساكر، فبلغت عدّتهم خمسة عشر ألف فارس، وعشرة آلاف راجل، وأرسل ولدَيْه بدران ودُبَيْساً إلى السلطان محمّد يستحثّه على المجيء إلى بغداذ، فاستصحبهما معه إلى بغداذ.

---

(١) ذيل تاريخ دمشق ١٤٧، دول الإسلام ٢/ ٢٧، ٢٨، تاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٨ هـ.) ص ٦٣، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٣٤.

فلمّا سمع الأمير إياز بمسيره إليه خرج هو والعسكر الذي معه من الدُّور، ونصبوا الخيام بالزاهر، خارج بغداذ، وجمع الأمراء، واستشارهم فيما يفعله، فبذلوا له الطاعة واليمين على قتاله وحربه، ومنْعه عن السلطنة، والاتّفاق معه على طاعة ملكشاه بن بركْيارُق.

وكان أشدّهم في ذلك ينّال وصَباوة، فإنهما بالغا[1] في الإطماع في السلطان محمّد، والمنع له عن السلطنة[2]، فلمّا تفرّقوا قال له وزيره الصفيّ[3] أبو المحاسن: يامولانا إنّ حياتي مقرونة بثبات نعمتك ودولتك، وأنا أكثر التزاماً بك من هؤلاء، وليس الرأي ما أشاروا به، فإنّ كلامهم يقصد أن يسلك طريقاً، وأن يقيم سوقاً لنفسه بك، وأكثرهم يناوئك في المنزلة، وإنّما يقعد بهم عن منازعتك قلّة العدد والمال؛ والصواب مصالحة السلطان محمّد وطاعته، وهو يُقرّك على إقطاعك، ويزيدك عليه مهما أردتَ.

فتردّد رأي الأمير إياز بين الصُّلح والمباينة، إلاّ أنّ حركته في المباينة ظاهرةٌ، وجمع السفن التي ببغداذ عنده، وضبط المشارع من متطرّقٍ إلى عسكره وإلى البلد.

ووصل السلطان محمّد إلى بغداذ يوم الجمعة لثمانٍ بقين من جُمادى الأولى، ونزل عند الجانب الغربيّ[4] بأعلى بغداذ، وخطب له بالجانب الغربيّ، ولملكشاه بن بركْيارُق بالجانب الشرقيّ؛ وأمّا جامع المنصور فأنّ الخطيب قال فيه: اللّهمّ أصلح سلطان العالم! وسكت.

وخاف الناس من امتداد الشرّ والنهب، فركب إياز في عسكره، وهم عازمون على الحرب[5]، وسار إلى أن أشرف على عسكر السلطان محمّد، وعاد إلى مخيّمه، فدعا الأمراء إلى اليمين مرّة ثانية على المخالصة لملكشاه، فأجاب البعض، وتوقّف البعض، وقالوا: قد حلفنا مرّة، ولا فائدة في إعادة اليمين، لأنّنا إن وفينا بالأولى وفينا بالثانية، وإن لم نفِ بالأولى فلاَ نَفي[6] بالثانية.

فأمر إياز حينئذ وزيره الصفيّ أبا المحاسن بالعبور إلى السلطان محمّد في الصلح،

---

(١) في الأوربية: «فإنهم بالغوا».
(٢) من (ب).
(٣) في (أ) و (ب): «الصيفي».
(٤) في (أ) و (ب) زيادة: «عند بيعة وريا».
(٥) هنا ينتهي النص في نسخة (أ).
(٦) في الأوربية: «نَفِ».

وتسليم السلطنة إليه، وترْكَ منازعته فيها؛ فعبر يوم السبت لسبعٍ بقين من الشهر إلى عسكر محمّد، واجتمع بوزيره سعد المُلك أبي المحاسن سعد بن محمّد، فعرّفه ما جاء فيه، فحضرا عند السلطان محمّد، وأدّى الصفيّ رسالة صاحبه إياز، واعتذاره[1] عمّا كان منه أيّام بركْيارُق، فأجابه محمّد جواباً لطيفاً سكّن به قلبه وطيّب نفسه، وأجاب إلى ما التمس منه من اليمين.

فلمّا كان الغد حضر قاضي القضاة، والنقيبان، والصفيّ وزير إياز، عند السلطان محمّد، فقال له وزيره سعد المُلك: إنّ إياز يخاف لما تقدّم منه، وهو يطلب العهد لملكشاه ابن أخيك، ولنفسه، وللأمراء الذين معه. فقال السلطان: أمّا ملكشاه فأنّه ولدي، ولا فرق بيني وبين أخي، وأمّا إياز والأمراء فأحلف لهم، إلاّ ينّالَ الحُساميّ وصبَاوة؛ فاستحلفه إلْكِيَا الهرّاس، مدرّس النظاميّة، على ذلك، وحضر الجماعة اليمين. فلمّا كان من الغد حضر الأمير إياز عند السلطان محمّد، فلقيه وزير السلطان، والناس كافّةً[2]، ووصل سيف الدولة صَدَقَة، ذلك الوقت، ودخلا جميعاً إلى السلطان، فأكرمهما، وأحسن إليهما، وقيل بل ركب السلطان ولقيهما، ووقف أحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره[3]، وأقام السلطان ببغداذ إلى شعبان، وسار إلى أصبهان، وفعل فيها ما سنذكره، إن شاء الله تعالى[4].

ذكر قتل الأمير إياز

في هذه السنة، ثالث عشر جُمادى الآخرة، قُتل الأمير إياز، قتله السلطان محمّد.

وسبب ذلك أنّ إياز لمّا سلّم السلطنة إلى السلطان محمّد صار في جملته، واستحلفه لنفسه، فلمّا كان ثامن جُمادى الآخرة عمل دعوة عظيمة في داره، وهي دار كوهرائين، ودعا السلطان إليها، وقدّم له شيئاً كثيراً من جملته الحبل[5] البُلْخُش[6] الذي أُخذ من تركة مؤيّد الملك بن نظام الملك، وقد تقدّم ذكر ذلك، وحضر مع السلطان سيف الدولة صدقة بن مَزْيَد.

---

(١) في الأوربية: «واعتذار».

(٢) في الأوربية: «وكافّة الناس».

(٣) في الأوربية: «ايساره».

(٤) نهاية الأرب ٢٦/٣٥٨، المختصر ٢/٢١٨، دول الإسلام ٢/٢٨، تاريخ الإسلام ٦٤، البداية والنهاية ١٢/١٦٤، تاريخ ابن الوردي ٢/١٥، مآثر الإنافة ٢/١٤، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٩٢.

(٥) في الأوربية: «الجبل».

(٦) البُلْخُش: جوهر يُجلب من بُلخُشان. (معجم الألفاظ الفارسيّة المعرّبة، لأدي شير، ص ٢٦).

وكان من الاتّفاق الرديء أنّ إياز تقدّم إلى غلمانه ليلبسوا السلاح من خزانته، ليعرضهم على السلطان، فدخل عليهم رجل من أبهر يتطايب معهم، ويضحكون منه، مع كونه يتصوّف، فقالوا له: لابدّ(من أن)[1] نُلبسك درعاً ونعرضك(فألبسوه الدرع تحت قميصه، وتناولوه بأيديهم، وهو يسألهم أن يكفّوا عنه، فلم يفعلوا، فلشدّة ما فعلوا به هرب منهم، ودخل بين خواصّ السلطان معتصماً بهم، فرآه السلطان مذعوراً، وعليه لباس عظيم، فاستراب به، فقال لغلام له بالتركيّة ليلمسه من غير أن يعلم أحد، ففعل، فرأى الدرع تحت قميصه، فأعلم السلطان بذلك، فاستشعر، وقال: إذا كان أصحاب العمائم قد لبسوا السلاح، فكيف الأجناد! وقوي استشعاره لكونه في داره، وفي قبضته، فنهض وفارق الدار وعاد إلى داره.

فلمّا كان ثالث عشر الشهر استدعى السلطان الأمير صدقة، وإياز، وجكرمش، وغيرهم من الأمراء، فلمّا حضروا أرسل إليهم: أنّه بلغنا أنّ قلج أرسلان بن سليمان بن قُتلمِش قصد ديار بكر ليتملّكها، وسيّر منها إلى الجزيرة، وينبغي أن تجتمع آراؤهم على من يسير إله ليمنعه ويقاتله. فقال الجماعة: ليس لهذا غير الأمير إياز؛ فقال إياز: ينبغي أن نجتمع أنا وسيف الدولة صدقة بن مَزْيَد على هذا الأمر، والدَّفع(لهذا القاصد؛ فقيل ذلك للسلطان، فأعاد الجواب بستدعي إياز، وصدقة، والوزير سعد الملك)[2] ليُحرّر الأمر في حضرته، فنهضوا ليدخلوا إليه.

وكان قد أعدّ جماعة من خواصّه ليقتلوا إياز إذا دخل إليه، فلمّا دخلوا ضرب أحدهم رأسه فأبانه. فأمّا صدقة فغطّى وجهه بكمّه، وأمّا الوزير فإنّه غُشي عليه، ولُفّ إياز في مسح وأُلقي على الطريق عند دار المملكة، وركب عسكر إياز، فنهبوا ما قدروا عليه من داره، فأرسل السلطان مَن حماها من النهب، وتفرّق أصحابه من يومهم، وكان زوال تلك النعمة العظيمة، والدولة الكبيرة، في لحظة، بسبب هزل ومزاح، فلمّا كان من الغد كفّنه قوم من المتطوّعة، ودفنوه في المقابر المجاورة لقبر أبي حنيفة، رحمه الله.

وكان عمره قد جاوز أربعين سنة، وهو من جملة مماليك السلطان ملكشاه، ثم صار بعد موته في جملة أمير آخُر، فاتّخذه ولداً، وكان غزير المروّة، شجاعاً، حسن الرأي في الحرب.

---

(١) في الأوربية: «ممّا».

(٢) في (ب): «بهما».

وأمّا وزيره الصفيّ فإنّه اختفى، ثم أُخذ وحُمل إلى دار الوزير سعد المُلك، ثم قُتل في رمضان وعمره ستّ وثلاثون[١] سنة، وكان من بيت رئاسة بهمَذان[٢].

ذكر وفاة سُقمان بن أُرتق

كان فخر المُلك بن عمّار، صاحب طرابلس، قد كاتب سُقمان يستدعيه إلى نُصرته على الفرنج، وبذل له المعونة بالمال والرجال، فبينما هو يتجهّز للمسير أتاه كتاب طُغتِكين، صاحب دمشق، يخبره أنّه مريض قد أشفى على الموت، وإنّه يخاف إن مات، وليس بدمشق من يحميها، أن يملكها الفرنج، ويستدعيه ليوصّي إليه، وبما يعتمده في حفظ البلد. فلمّا رأى ذلك أسرع في السير عازماً على أخذ دمشق، وقَصْد الفرنج في طرابلس، وإبعادهم عنها، فوصل إلى القريتَيْن.

واتّصل خبره بطُغتِكين، فخاف عاقبة ما صنع، ولقوّة فِكره زاد مرضه. ولامه أصحابه على ما فرَّط في تدبيره وخوّفوه عاقبة(ما فعل)[٣]، وقالوا له: قد رأيتَ سيّدك تاج الدولة لمّا استدعاه إلى دمشق ليمنعه[٤] كيف قتله حين وقعت عينه عليه.

فبينما هم يديرون الرأي بأيّ حيلةٍ يردّونه أتاهم الخبر بأنّه وصل القريتَيْن، ومات، وحمله أصحابه وعادوا به، فأتاهم فرج لم يخسبوه[٥]،(وكان مرضه الذي مات به الخوانيق، يعتريه)[٦] دائماً، فأشار عليه أصحابه بالعود إلى حصن كِيفا، فامتنع، وقال: بل أسير، فإنْ عوفيتُ تممتُ ما عزمتُ عليه، ولا يراني الله تثاقلتُ عن قتال الكُفار خوفاً من الموت، وإنْ أدركني أجلي كنتُ شهيداً سائراً في الجهاد. فساروا، فاعتقل لسانه يومَيْن، ومات في صفر، وبقي ابنه إبراهيم في أصحابه، وجُعل في تابوت وحُمل إلى الحصن، وكان حازماً داهياً، ذا رأي، كثير الخير، وقد ذكرنا سبب أخذه لحصن كِيفا[٧].

---

(١) في الأوربية: «وثلاثين».
(٢) نهاية الأرب ٣٩٠/٢٦، المختصر ٢١٨/٢، تاريخ الإسلام ٦٥، تاريخ ابن خلدون ٣٥/٥.
(٣) في (ب): «أمره».
(٤) من (ب).
(٥) في الأوربية: «يحسبونه».
(٦) في الباريسية: «وكانت تعتريه».
(٧) ذيل تاريخ دمشق ١٤٦، ١٤٧، المختصر ٢١٩/٢، الأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ٥٣٣/٢، و ٥٥٥، تاريخ الإسلام ٦٦، ٦٧، تاريخ ابن الوردي ١٦/٢.

وأمّا ملْكه ماردِين، فإنْ كربوقا خرج من الموصل، فقصد آمِد، وحارب صاحبها، فاستنجد صاحبها، وهو تركمانيّ، بسُقمان، فحضر عنده، وصافّ كربوقا.

وكان عماد الدين زنكي بن آقسَنْقَر، حينئذ، صبياً قد حضر مع كربوقا، ومعه جماعة كثيرة من أصحاب أبيه، فلمّا اشتدّ القتال ظهر سُقمان، فألقى أصحاب آقسنقر زنكي ولد صاحبهم بين أرجل الخيل، وقالوا: قاتلوا عن ابن صاحبكم! فقاتلوا حينئذٍ قتالاً شديداً، فانهزم سُقمان، وأسروا ابن أخيه ياقوتي بن أُرتُق، فسجنه كربوقا بقلعة ماردين، وكان صاحبها إنساناً[١] مغنيّاً للسلطان بركْيارُق، فطلب منه ماردين وأعمالها، فأقطعه إيّاها، فبقي ياقوتي في حبسه مدّةً، فمضت زوجة أُرتُق إلى كربوقا وسألتْه[٢] إطلاقه، فأطلقه، فنزل عند ماردِين، وكانت قد أعجبته، فأقام ليعمل في تملّكها والاستيلاء عليها.

وكان مَن عندَ ماردِين من الأكراد قد طمعوا في صاحبها المغنّي، وأغاروا على أعمال ماردين عدّة دفعات، فراسله ياقوتي يقول: قد صار بيننا مودّة وصداقة، وأُريد أن أعمّر بلدك بأن أمنع عنه الأكراد، وأغير[٣] على الأماكن، وآخذ الأموال أُنفقها في بلدك وأُقيم في الرَبَض فأذِن له في ذلك، فجعل يغير[٤] من باب خِلاط إلى بغداذ، فصار ينزل معه بعض أجناد القلعة، طلباً للكسب، وهو يكرمهم، ولا يعترضهم، فأمِنوا إليه.

فاتفق أنّ في بعض الأوقات نزل معه[٥] أكثرهم، فلمّا عادوا من الغارة أمر بقبضهم وتقييدهم، وسبَقَهم إلى القلعة، ونادى من بها من أهليهم: إن فتحتم الباب، وإلاّ ضربتُ أعناقهم؛ فامتنعوا، فقتل إنساناً منهم، فسلّم القلعة مَن بها إليه وبقي بها.

ثم أنّه جمع جمعاً وسار إلى نَصِيبين، وأغار على بلد جزيرة ابن عُمَر، وهي لجكرمِش، فلمّا عاد أصحابه بالغَنيمة أتاهم جكرمِش، وكان ياقوتي قد أصابه مرض عجز معه عن لبس السلاح، وركوب الخيل، فحُمل إلى فرسه فركبه، وأصابه سهم فسقط منه، فأتاه جكرمِش، وهو يجود[٦] بنفسه، فبكى عليه، وقال له: ما حملك على

---

(١) من الباريسية.
(٢) في (ب) زيادة: «في».
(٣) في (ب): «وأعبر».
(٤) في (ب): «نعبر».
(٥) من (ب).
(٦) في الأوربية: «مجود».

ما صنعتَ يا ياقوتي؟ فلم يجبه، فمات، ومضت زوجة أُرتُق إلى ابنها سُقمان، وجمعت التركمان، وطلبت بثأر ابن ابنها، وحصر سُقمان نصِيبين، وهي لجكرمِش، فسيّر جكرمِش إلى سُقمان مالاً كثيراً سِرّاً، فأخذه ورضي، وقال: أنّه قُتل في الحرب، ولا يُعْرَف قاتله.

وملك ماردين بعد ياقوتي أخوه عليّ، وصار في طاعة جكرمِش، واستخلف بها أميراً اسمه عليّ أيضاً، فأرسل عليّ الوالي بماردين إلى سُقمان يقول له : ابن أخيك يريد أن يسلّم ماردين إلى جكرمِش؛ فسار سُقمان بنفسه وتسلّمها، فجاء إليه عليّ ابن أخيه وطلب إعادة القلعة إليه، فقال: إنّما أخذتُها لئلاّ يخرب البيت؛ فأقطعه جبل جُور، ونقله إليه.

وكان جكرمش يعطي عليّاً كلّ سنة عشرين ألف دينار، فلمّا أخذ عمّه سُقمان ماردين منه، أرسل عليّ إلى جكرمِش يطلب منه المال، فقال: إنّما كنتُ أعطيتُك احتراماً لماردين، وخوفاً من مجاورتك، والآن فاصنع ما أنت صانع، فلا قدرة لك عليّ.

ذكر حال الباطنيّة هذه السنة بخراسان

في هذه السنة سار جمع كثير من الإسماعيلية من طُرَيْثيث، عن بعض أعمال بَيْهَق، وشاعت[1] الغارة في تلك النواحي، وأكثروا القتل في أهلها، والنهب لأموالهم، والسبي لنسائهم، ولم يقفوا على الهدنة المتقدّمة.

وفي هذه السنة اشتدّ أمرهم، وقويت شوكتهم، ولم يكفّوا أيديهم عمّن يريدون قتله، لاشتغال السلاطين عنهم. فمن جملة فعلهم: أنّ قفل الحاجّ تجمّع، هذه السنة، ممّا وراء النهر، وخُراسان، والهند، وغيرها من البلاد، فوصلوا إلى خُوارِ الرَّيّ، فأتاهم الباطنيّة وقت السَّحَر، فوضعوا فيهم السيف، وقتلوهم كيف شاؤوا، وغنموا أموالهم ودوابّهم، ولم يتركوا شيئاً.

وقتلوا هذه السنة أبا جعفر بن المشاط، وهو من شيوخ الشافعيّة، أخذ الفقه عن الخُجَنْديّ، وكان يدرّس بالرَّيّ، ويعظ الناس، فلمّا نزل من كُرسيّه أتاه باطنيّ فقتله[2].

---

(١) في الأوربية: «وساعت».

(٢) تاريخ الإسلام ٦٧.

ذكر حال الفرنج هذه السنة مع المسلمين بالشام

في هذه السنة، في شعبان، كانت وقعة بين طَنْكري[1] الفرنجيّ، صاحب أنطاكية، وبين الملك رضوان، صاحب حلب، انهزم فيها رضوان.

وسببها أنّ طَنْكري حصر حصن أرتاحَ، وبه نائب الملك رضوان، فضيّق الفرنج على المسلمين، فأرسل النائب بالحصن إلى رضوان يعرّفه ما هو فيه من الحصر(الذي أضعف نفسه)[2] ويطلب النجدة، فسار رضوان في عسكر كثير من الخيالة، وسبعة آلاف من الرجّالة، منهم ثلاثة آلاف من المتطوّعة، فساروا حتّى وصلوا إلى قِنَّسْرِين، وبينهم وبين الفرنج قليل، فلمّا رأى طَنْكري كثرة المسلمين أرسل إلى رضوان يطلب الصلح، فأراد أن يجيب، فمنعه أَصْبَهبذ صباوة، وكان قد قصده، وصار معه بعد قتل إياز، فامتنع من الصلح، واصطفّوا للحرب، فانهزمت الفرنج من غير قتال، ثم قالوا: نعود ونحمل عليهم حملةً واحدةً، فإن كانت لنا، وإلاّ انهزمنا؛ فحملوا على المسلمين فلم يثبتوا، وانهزموا، وقُتل منهم وأُسر كثير.

وأمّا الرجّالة فإنّهم قد دخلوا معسكر الفرنج لمّا انهزموا، فاشتغلوا بالنهب، فقتلهم الفرنج، ولم ينج إلاّ الشريد فأُخذ أسيراً، وهرب مَن في أرتاح إلى حلب، وملكه الفرنج، لعنهم الله تعالى، وهرب أَصْبَهْبذ صباوة إلى طُغتِكين أتابك بدمشق، فصار معه(ومن أصحابه[3])[4].

ذكر حرب الفرنج والمصريّين

في ذي الحجّة من هذه السنة كانت وقعة بين الفرنج والمسلمين كانوا فيها على السواء.

وسببها أنّ الأفضل، وزير صاحب مصر، كان قد سيّر ولده شرف المعالي في

---

(١) في (ب): «نفكري».
(٢) من (ب).
(٣) ما بين القوسين من (ب).
(٤) الخبر في: تاريخ حلب للعظيمي ٣٦٢ (٢٨)، ذيل تاريخ دمشق ١٤٨، بغية الطالب (تراجم السلاجقة) ١٤٥، ١٤٦، زبدة الحلب ٢/ ١٥٠، المختصر ٢/ ٢٢٠، العبر ٣/ ٣٤٩، تاريخ الإسلام ٦٧، ٦٨، دول الإسلام ٢/ ٢٨، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٦، الإعلام والتبيين ١٦ وفيه: «قلعة أوتاج»، وهو تصحيف.

السنة الخالية إلى الفرنج، فقهرهم، وأخذ الرَّملة منهم، ثم اختلف المصريّون والعرب، وادّعى كلّ واحد منهما أنّ الفتح له، فأتاهم سَرِيّة الفرنج، فتقاعد كلّ فريق منهما بالآخر، حتّى كاد الفرنج يَظهَرون علَيهم، فرحل عند ذلك شرف المعالي إلى أبيه بمصر، فنفّذ ولدَهُ الآخر، وهو سناء الملك حسين، في جماعة من الأمراء منهم جمال الملك، النائب بعسقلان للمصريّين، وأرسلوا إلى طُغتِكين أتابَك بدمشق يطلبون منه عسكراً، فأرسل إليهم أصْبَهْبذ صَباوة ومعه ألف وثلاثمائة فارس.

وكان المصريّون في خمسة آلاف، وقصَدَهم بَغدوين الفرنجيُّ، صاحب القدس، وعكّة، ويافا، في ألف وثلاثمائة فارس، وثمانية آلاف راجل، فوقع المصافّ بينهم بين عَسقّلان ويافا، فلم تظهر إحدى الطائفتَيْن على الأخرى، فقُتل من المسلمين ألف ومائتان، ومن الفرنج مثلهم، وقُتل جمال المُلك، أمير عسقلان.

فلمّا رأى المسلمون أنّهم قد تكافأوا في النكاية قطعوا الحرب وعادوا إلى عَسْقلان، وعاد صباوة إلى دمشق، وكان مع الفرنج جماعة من المسلمين منهم بكتاش[1] بن تُتُش، وكان طُغتِكين قد عدل في الملك إلى ولد أخيه دُقاق، وهو طفل، وقد ذكرناه، فدعاه ذلك إلى قصد الفرنج، والكون معهم[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عظُم فساد التركمان بطريق خُراسان من أعمال العراق، وقد كانوا قبل ذلك ينهبون الأموال، ويقطعون الطريق، إلاّ أنّهم عندهم مراقبة. فلمّا كانت هذه السنة اطّرحوا المراقبة، وعملوا الأعمال الشنيعة، فاستعمل إيلغازي بن أرتُق، وهو شِحنة العراق، على ذلك البلد ابن أخيه بَلك بن بَهرام بن أُرتُق، وأمره بحفظه، ومَنْع الفساد عنه، فقام في ذلك القيام[3] المرضيّ، وحمى[4] البلاد، وكفّ الأيدي المتطاولة، وسار بَلك إلى حصن خَانيجارَ، وهو من أعمال سُرخاب بن بدر، فحصره وملكه.

وفيها، في شعبان، جعل السلطان محمّد قسيم الدولة سَنقَر البرسقيّ شِحنة

---

(١) في الباريسية و (ب): «بلتاش».
(٢) أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٤١، تاريخ دمشق ١٤٩، العبر ٣/ ٣٥٠، دول الإسلام ٢/ ٢٨، تاريخ الإسلام ٦٨، الإعلام والتبيين ١٦/ ١٧، إتعاظ الحنفا ٣/ ٣٥، تاريخ الأزمنة ٩٧.
(٣) في (ب): «المقام».
(٤) في الأوربية: «وحما».

بالعراق، وكان موصوفاً بالخير، والدين، وحسن العهد، لم يفارق محمّداً في حروبه كلّها[1].

وفيها أقطع السلطان محمّد الكوفة للأمير قايماز، وأوصى[2] صدقةَ أن يحمي أصحابه من خَفاجة، فأجاب إلى ذلك.

وفيها، في شهر رمضان، وصل السلطان محمّد إلى أصبهان، فأمّن أهلها، ووثقوا بزوال ما كان يشمَلهم من الخبط، والعسف، والمصادرة، وشتّان بين خروجه منها هارباً متخفياً، وعوده إليها سلطاناً متمكّناً، وعدل في أهلها، وأزال عنهم ما يكرهون، وكفّ الأيدي المتطرّقة إليهم من الجُند وغيرهم، فصارت[3] كلمة العاميّ أقوى من كلمة الجنديّ، ويد الجنديّ قاصرة عن العاميّ من هيبة السلطان وعدله[4].

وفيها كثر الجُدَري في كثير من البلدان، لاسيّما العراق، فإنّه كان به كلّه، ومات به من الصبيان ما لا يحصى، وتبِعه وباء كثير، وموت عظيم[5].

[الوفيات]

وتوفّي في هذه السنة، في شوّال، (أحمد بن)[6] محمّد بن أحمد أبو عليّ البَرَدانيُّ[7]، الحافظ، ومولده سنة ستّ وعشرين وأربعمائة، سمع ابن غَيْلان والبرمكيَّ، والعشاريَّ وغيرهم.

وتوفّي أبو المعالي ثابت بن بُنْدار[8] بن إبراهيم البقّال، ومولده سنة ستّ عشر وأربعمائة، سمع أبا بكر البرقانيَّ، وأبا عليّ بن شاذان، وكانت وفاته في جُمادى الآخرة من هذه السنة.

---

(١) المنتظم ٩/١٤٣ (١٧/٩٢)، تاريخ الإسلام ٦٨.

(٢) في (ب) زيادة: «السلطان محمّد».

(٣) في الأوربية: «فصار».

(٤) تاريخ الإسلام ٦٨، ٦٩.

(٥) تاريخ الإسلام ٦٩، تاريخ الخلفاء ٤٢٩.

(٦) من (س).

(٧) انظر عن (البرداني) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٨ هـ.) ص ٢٧١، ٢٧٢ رقم ٢٩٨ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٨) في (ب): «مدار». وانظر عن (ابن بندار) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٨ هـ.) ص ٢٧٤، ٢٧٥ رقم ٣٠١ وفيه مصادر ترجمته.

وفي رابع جُمادى الأولى توفي أبو الحسن محمّد بن عليّ بن أبي الصقر[1]، الفقيه الشافعيُّ، ومولده سنة تسعٍ وأربعمائة، وكان أديباً، شاعراً، فمن قوله:

من قالَ لي جاهٌ ولي حشمةٌ ... ولي قبولٌ عندَ مَولانا
ولم يَعُد ذاكَ[2] بنفعٍ على ... صَدِيقِهِ لا كانَ مَن كانا[3]

وفيها أيضاً توفي أبو نصر ابن أخت ابن الموصلايا[4]، وكان كاتباً للخليفة جيّد الكتابة، وكان عمره سبعين سنة، ولم يخلّف وارثاً لأنّه أسلم، وأهله نصارى، فلم يرثوه، وكان يبخَل، إلاّ أنّه كان كثير الصدقة؛ وأبو المؤيّد عيسى بن عبد الله بن القاسم الغَزْنَويُّ، كان واعظاً، شاعراً، كاتباً، قدِم بغداذَ، ووعظ بها، ونصر مذهب الأشعريّ، وكان له قبولٌ عظيم، وخرج منها، فمات بإِسْفَرَايين.

(١) انظر عن (ابن أبي الصقر) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٨ هـ) ص ٢٨٦، ٢٨٧ رقم ٣١٧ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) في الأوربية: «ذلك».

(٣) البيتان في: المنتظم ٩/ ١٤٥ (١٧/ ٩٤)، ومعجم الأدباء ١٨/ ٢٥٨.

(٤) انظر عن (ابن أخت ابن الموصلايا) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٨ هـ.) ص ٢٩١، ٢٩٢ رقم ٣٢٣ واسمه: «هبة الله بن الحسن»، وخريدة القصر (قسم شعراء العراق) ج ١/ ١٣٢ ـ ١٣٤، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٨٠ رقم ١٤٠.

٤٩٩
ثم دخلت سنة تسع وتسعين وأربعمائة

ذكر خروج منكبرس على السلطان محمّد

في هذه السنة، في المحرّم، أظهر منكُبرس ابن الملك بوربرس[١] بن ألب أرسلان، وهو ابن عمّ السلطان محمّد، العصيان للسلطان محمّد والخلاف عليه.

وسبب ذلك: أنّه كان مقيماً بأصبهان، فلحِقته ضائقة شديدة، وانقطعت الموادّ عنه، فخرج منها وسار إلى نَهاوَنْد، فاجتمع عليه بها جماعة من العسكر، وظاهَرَه على أمره جماعة من الأمراء، وتغلّب على نَهاود، وخطب لنفسه بها، وكاتب الأمراء بني بُرْسُق يدعوهم (إلى طاعته ونصرته.

وكان السلطان محمّد قد قبض على زنكي بن بُرسق)[٢]، فكاتب زنكي إخوته، وحذّرهم من طاعة منكبرس، وما فيها من الأذى والخطر، وأمرهم بتدبير الأمر في القبض عليه.

فلمّا أتاهم كتاب أخيهم بذلك أرسلوا إلى منكبرس يبذلون له الطاعة والموافقة فسار إليهم، وساروا إليه، فاجتمعوا به، وقبضوا عليه بالقرب من أعمالهم؛ وهي بلد خُوزستان، وتفرّق أصحابه، وأخذوا منكبرس إلى أصبهان، فاعتقله السلطان مع بني عمّه تُكش، وأخرج زنْكي بن بُرسُق، وأعاده إلى مرتبته، واستنزله وإخوته عن أقطاعهم، وهي ليشتر[٣]، وسابورُ خُواستِ وغيرهما، ما بين الأهواز وهمَذان، وأقطعهم عِوضها الدّينَور وغيرها[٤].

---

(١) في (ب): «بوري برس».

(٢) من (ب).

(٣) في (ب): «الأسر».

(٤) المنتظم ٩/٣٤٦ (١٧/١٩٥)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/١٦، العبر ٣/٣٥٣، تاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٩ هـ.) ص ٧٠، البداية والنهاية ١٢/١٦٥، النجوم الزاهرة ٥/١٩٢.

واتّفق أن ظهر بنَهاوند أيضاً، في هذه السنة، رجل من السواد ادّعى النبوّة، فأطاعه خلق كثير من السواديّة، واتّبعوه، وباعوا أملاكهم ودفعوا إليه أثمانها، فكان يُخرج ذلك جميعه، وسمّى أربعة من اصحابه: أبا بكر، وعُمَر، وعثمان، وعليّاً، وقُتل بنَهاوند، فكان أهلُها يقولون: ظهر عندنا، في مدّة شهرَيْن، اثنان ادّعى أحدهما النبوّة، والآخر المملكة، فلم يتمّ لواحد منهما أمره[1].

ذكر الحرب بين طُغتِكين والفرنج

في هذه السنة، في صفر، كانت وقعة بين طُغتِكين، صاحب دمشق، وبين قُمّص كبير[2] من قمامصة الفرنج.

وسبب ذلك: أنّه تكرّرت الحروب، والمغاورات، بين عسكر دمشق(وبَغدوين، فتارة لهؤلاء[وتارة له]، ففي آخر الأمر بنى[3] بَغدوين حصناً بينه وبين دمشق)[4] نحو يومَيْن، فخاف طُغتِكين من عاقبة ذلك، وما يحدث به من الضرر، فجمع عسكره وخرج إلى مقاتلتهم، فسار بغدوين ملك القُدس، وعكّا، وغيرهما، إلى هذا القُمّص ليعاضده، ويساعده على المسلمين، فعرّفه القُمّص غناه عنه، وأنّه قادر على مقارعة المسلمين إن قاتلوه، فعاد بغدَوين إلى عكاً.

وتقدّم طُغتكِين إلى الفرنج، واقتتلوا، واشتد القتال، فانهزم أميران من عسكر دمشق، فتبعهما طُغتكِين وقتلهما، وانهزم الفرنج إلى حصنهم، فاحتموا به، فقال طُغتكِين: مَن[5] أحسن قتالهم وطلب منيّ أمراً فعلته معه، ومن أتاني بحجر[6] من حجارة الحصن أعطيته خمسة دنانير. فبذل الرجّالة نفوسهم، وصعدوا إلى الحصن وخرّبوه، وحملوا حجارته إلى طُغتكِين، فوفى[7] لهم بما وعدهم، وأمر بإلقاء الحجارة

(١) المنتظم ٩/ ١٤٥، ١٤٦، (١٧/ ٩٥)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١٦/١، العبر ٣/ ٣٥٣، تاريخ الإسلام ٧٠، مرآة الجنان ٣/ ١٦١، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٥، النجوم الزاهرة ٥/ ١٩٢، تاريخ الخلفاء ٤٢٩، شذرات الذهب ٣/ ٤٠٩.

(٢) من الباريسية.

(٣) في الأوربية: «بنا».

(٤) من (ب).

(٥) في الأوربية: «١ ممن».

(٦) من الباريسية.

(٧) في الأوربية: «٢ فوفا».

في الوادي، وأسروا مَن بالحصن، فأمر بهم فقتلُوا كلهم، واستبقى الفرسان أسراء، وكانوا مائتَيْ فارس، ولم ينج ممّن كان في الحصن إلاّ القليل.

وعاد طُغتكِين إلى دمشق منصوراً، فزُيّن البلد أربعة أيّام. وخرج منها إلى رفَنِيَةَ، وهو من حصون الشام، وقد تغلّب عليه الفرنج، وصاحبه ابن أُخت صَنْجيل المقيم على حصار طرابلس، فحصره طُغتكِين، وملكه، وقتل به خمسمائة رجل من الفرنج[١].

ذكر الحرب بين عُبادة وخَفاجة

في هذه السنة كانت حرب شديدة بين عُبادة وخَفاجة.

وسببها: أنّ رجلاً من عُبادة أخذ منه جماعة خَفاجة جملَيْنْ، فجاء إليهم وطالبهم بهما[٢]، فلم يعطوه شيئاً، فأخذ منهم غارة[٣] أحد[٤] عشر بَعيراً، فلحِقته خَفاجة، وقتلوا من أصحابه رجلاً، وقطعوا يد آخر، وكان ذلك بالموقف من الحِلّة السيفية، ففرق[٥] بينهم أهلها.

فسمعت عُبادة الخبر، فتواعدت، وانحدرت إلى العراق للأخذ بثأرها، وساروا مع جماعة من أمرائهم، فبلغت عدّتهم سبعمائة فارس، وكانت خَفاجة دون هذه العدّة، فراسلتهم خَفاجة يبذلون الديّة ويصطلحون، فلم تُجبهم إلى ذلك عُبادة، وأشار به سيف الدولة صَدَقَة، فلم تقبل عُبادة، فالتقوا واقتتلوا بالقرب من الكُوفة، ومع عبادة الإبل والغنم بين البيوت، فكمّنت لهم خَفاجة ثلاثمائة فارس، وقاتلوهم مطاردةً من غير جدّ في القتال، فداموا كذلك ثلاثة أيّام، ثم إنّهم اشتدّ بينهم القتال، واختلطوا حتّى تركوا الرماح، وتضاربوا بالسيوف.

فبينما هم كذلك، وقد أعيا الفريقان من القتال، إذ طلع كمين خفاجة، وهم مستريحون[٦]، فانهزمت عُبادة، وانتصرت عليهم خَفاجة، وقُتل من وجوه عُبادة

---

(١) تاريخ حلب ٣٦٣ (٢٩)، ذيل تاريخ دمشق ١٤٩، العبر ٣/ ٣٥٣، تاريخ الإسلام ٧٠، ٧١، الإعلام والتبيين ١٧، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٥، إتعاظ الحنفا ٣/ ٣٧، النجوم الزاهرة ٥/ ١٩٢، شذرات الذهب ٣/ ٤٠٩.

(٢) في الأوربية: «بها».

(٣) في (ب): «عبادة».

(٤) في (ب): «أربعة».

(٥) في الباريسية: «ففارق».

(٦) في الأوربية: «مسترحون».

اثنا[١] عشر رجلاً، ومن خَفاجة جماعة، وغنمت خَفاجة الأموال من الخيل، والإبل، والغنم، والعبيد، والإماء.

وكان الأمير صَدَقَة بن مَزْيد قد أعان خفاجة سراً، فلمّا وصل المنهزمون إليه هنّأهم[٢] صَدَقَة بالسلامة، فقال له[٣] بعضهم: ما زلت أُقاتل، وأُضارب، وأنا طامع في الظفر بهم، حتّى رأيتُ فرسك الشقراء تحت أحدهم، فعلمتُ أنّهم أجلبوا علينا بخيلك ورَجلك، وأنّنا لاطاقة لنا بهم، فنُصروا علينا بمعونتك، وفلّونا بحدِّك، فلم(يُجِبه صَدَقَة)[٤].

ذكر ملك صَدقة البصرة

في هذه السنة، في جُمادى الأولى، انحدر سيف الدولة من الحِلّة إلى البصرة فملكها. وقد ذكرنا فيما تقدّم تمكُّن إسماعيل بن أرسلانجق من البصرة ونواحيها، وأقام بها عشر سنين نافذ الأمر، وازداد قوةً وتمكناً بالاختلاف الواقع بين السلاطين، وأخذ الأموال السلطانيّة؛ وكان قد راسل صدقةَ، وأظهر له أنّه في طاعته وموافقته. فلمّا استقرّ الأمر للسلطان محمّد أراد أن يرسل إلى البصرة مُقطعاً يأخذها من إسماعيل، فخاطب صدقة في معناه، حتّى أُقرّت البصرة عليه، فأنفذ السلطان عميداً إليها ليتولّى ما يتعلّق بالسلطان هناك،فمنعه إسماعيل، ولم يمكّنه[٥] من عمله، وفعل ما خرج به عن حدّ المجاملة، فأمر السلطان صدقةَ بقصده، وأخْذ البصرة منه، فتحرك لذلك.

فاتّفق ظهور منكبرس، وخلافه على السلطان، وأنّه على قصد واسط؛ فسُرّ إسماعيل بذلك، وزاد انبساطه، وأرسل صدقة حاجباً له، وكان قبله قد خدم أباه وجدّه، إلى إسماعيل يأمره بتسليم الشرطة وأعمالها إلى مهذب الدّولة بن أبي الجبر[٦] لأنّها كانت في ضمانه، فوصل إلى الشرطة، وأخذ منها أربعمائة دينار، فأحضره إسماعيل وحبسه، وأخذ الدنانير منه، فلمّا رأى صدقة مكاشفته سار من حِلّته، وأظهر أنّه يريد قصد الرَّحبة، ثم جدّ السير إلى البصرة، فلم يشعر إسماعيل إلاّ بقربه منه، ففرّق

---

(١) في الأوربية: «اثني».
(٢) في الأوربية: «فهنأهم».
(٣) في الأوربية: «لهم».
(٤) في (ب): «فلم يجبهم صدقة إلى ذلك».
(٥) في الأوربية: «تمكّنه».
(٦) في (ب): «الخير».

أصحابه في القلاع التي استجدّها بمَطَارا ونَهر مَعْقِل، وغيرهما، واعتقل وجوه العبّاسيّين، والعلويّين، وقاضي البصرة، ومدرّسها، وأعيان أهلها.

ونازلهم صدقة، فجرى قتال بين طائفة من عسكره، وطائفة من البصريّين، قُتل فيه أبو النجم بن أبي القاسم الورّاميُّ، وهو ابن خال سيف الدولة صدقة، فممّا مُدح به سيف الدولة، ورُثي به أبو النجم بن أبي القاسم، قول بعضهم:

تَهَنَّ يا خيرَ من يَحمي حريمَ حِمىً ... فتحاً أغَثْتَ به الدُّنيا معَ الدّينِ
رَكبتَ للبَصْرةِ[1] الغَرّاء في نُخَبٍ ... غُر كجَيشِ علي يومَ صِفّينِ
هَوى أبو النَّجمِ كالنَّجمِ المُنيرِ بها ... لكنّه كان رَجْماً للشَّياطينِ

وأقام صدقة محاصراً لإسماعيل بالبصرة، فأشار على سيف الدولة صدقة بعض أصحابه بالعود عنها، وأعلموه أنّهم لايظفرون بطائل، فأشار عليهم بالمقام، وقالوا: إن رحلنا كانت كسرةً؛ وكان رأي سيف الدولة المقام، وقال: إن تعذر عليّ فتح البصرة لم يطعني أحد، واستعجزني الناس.

ثم إن إسماعيل خرج من البلد، وقاتل صدقةَ، فسار بعض أصحاب صدقة إلى مكان آخر من البلد، ودخلوه، وقتلوا من السواديّة، الذين جمعهم إسماعيل، خلقاً كثيراً، وانهزم إسماعيل إلى قلعته بالجزيرة، فأدركه بعض أصحاب سيف الدولة وأراد قتله، ففداه[2] أحد غلمانه بنفسه، فوقعت الضربة فيه فأثخنته، فنُهبت البصرة، وغنم من معه من عرب البرّ، وغيرهم، ما فيها، ولم يسلم منهم إلاّ المحلة المجاورة لقبر طلحة والمِرْبَد، فإنّ العبّاسيّين دخلوا المدرسة النظاميّة وامتنعوا بها، وحموا المِرْبَد، وعمّت المصيبة لأهل البلد، سوى من ذكرنا، وامتنع إسماعيل بقلعته.

فاتّفق أنّ المهذّب بن أبي الجبر[3] انحدر في سفن كثيرة، وأخذ القلعة التي لإسماعيل بمَطَارا، وقتل بها خلقاً من أصحاب إسماعيل، وحمل إلى صدقة كثيراً فأطلقهم.

فلمّا علم إسماعيل بذلك أرسل إلى صدقة يطلب الأمان على نفسه، وأهله، وأمواله، فأجابه إلى ذلك، وأجّله سبعة أيّام، فأخذ كلّ ما[4] يمكنه حمله ممّا يعزّ عليه،

---

(١) في الأوربية: «البصرة».
(٢) في الأوربية: «فغداه».
(٣) في (ب): «الخير».
(٤) في الأوربية: «كلّما».

وما لم يقدر على حمله أهلكه بالماء وغيره، ونزل إلى سيف الدولة، وأمّن سيف الدولة أهل البصرة من كلّ أذىً، ورتّب عندهم شِحنةً، وعاد إلى الحلّة ثالث جمادى الآخرة، وكان مقامه بالبصرة ستّة عشر يوماً.

وأمّا إسماعيل فإنّه لمّا سار صدقة إلى الحلّة قصد هو الباسيان إلى أن وصله ماله في المراكب، وسار نحو فارس، وصار يتعنّت أصحابه، وزوجته، وقبض على جماعة من خواصّه وقال لهم: أنتم سقيتم ولدي أفراسياب السّم حتّى مات! وكان قد مات في صفر من هذه السنة، ففارقه كثير منهم، حتّى زوجته فارقته وسارت إلى بغداذ.

وأخذته الحُمّى، وقويت عليه، فلمّا بلغ رامَهُرْمُز انفرد في خيمته، ولم يظهر لأصحابه يوماً وليلة، فظهر لهم موته، فنهبوا ماله وتفرّقوا، فأرسل الأمير برامَهُرْمُزُ فردّهم وأخذ ما معهم من أمواله، ودُفن بالقرب من إيذَاجَ، وكان عمره قد جاوز خمسين سنة، وكانت سيرته قد حسنت في أهل البصرة أخيراً[1].

ذكر حصر رضوان نصيبين وعوده عنها

في هذه السنة، في شهر رمضان، حصر الملك رضوان بن تُتُش نَصِيبين.

وسبب ذلك: أنّه عزم على حرب الفرنج، واجتمع معه من الأمراء: إيلغازي بن أرتُق، الذي كان شِحنة بغداذ، وأصْبَهَبْذ صباوَة، وألبي بن أرسلان تاش، صاحب سِنجار، وهو صهر جَكَرْمِش، صاحب الموصل، فقال إيلغازي: الرأي أنّنا نقصد بلاد جكرمِش، وما والاها، فنملكها، ونتكثّر بعسكرها والأموال. ووافقه ألبي، فسار إلى نَصِيبين في عشرة الآف فارس، مستهلّ رمضان، وكان قد جعل فيها أميريْن من أصحابه في عسكر، فتحصّنوا بالبلد، وقاتلوا من وراء السور، فرُمي ألبي بن أرسلان تاش بنشّابة، فجُرح جرحاً شديداً، فعاد إلى سِنجار.

وأمّا جكرمِش، فإنّه بلغه الخبر بنزولهم على نَصِيبين، وهو بالحامّة[2]، التي بالقرب من طَنْزَة، يتداوى (بمائها من)[3] مرضه، فرحل[4] إلى الموصل، وقد أجفل إليها أهل السواد، فخيّم على باب البلد، عازماً على حرب رضوان، واستعمل المخادعة

(١) تاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٩ هـ.)، ص ٧٣.

(٢) في (ب): «بالجابية».

(٣) في الباريسية: «بجامتها».

(٤) في (ب): «فدخل».

فكاتب أعيانه عسكر رضوان، ورغّبهم، حتّى أفسد نيّاتهم، وتقدّم إلى أصحابه بنَصِيبين بخدمة الملك رضوان، وبإخراج الإقامات إليه مع الاحتراز[١] منه، وأرسل إلى رضوان يبذل له خدمته، والدخول في طاعته، ويقول له: أنّ السلطان محمّداً قد حصرني، ولم يبلغ منّي غرضاً، فترحّل عن صلح، وإن قبضتَ على إيلغازي الذي قد عرفتَ أنت وغيرك فساده وشرّه فأنا معك، ومُعينك بالرجال والأموال والسلاح.

فاتّفق هذا، ورضوان قد(تغيّرت نيّته)[٢] مع إيلغازي، فازداد تغيّراً، وعزم على قبضه، فاستدعاه يوماً، وقال له: هذه بلادٌ ممتنعة، وربّما استولى الفرنج على حلب، والمصلحة مصالحة جكرمِش، واستصحابه معنا، فإنّه يسير بعساكر كثيرة ظاهرة التجمّل، ونعود[٣] إلى قتال الفرنج، فإنّ ذلك ممّا يعود باجتماع شمل المسلمين. فقال له إيلغازي: إنّك جئت بحكمك، وأنت الآن بحكمي لا أمكّنك من المسير بدون أخذ هذه البلاد، فإن أقمتَ، وإلاّ بدأت بقتالك.

وكان إيلغازي قد قويتْ نفسه بكثرة من اجتمع عنده من التركمان، وكان الملك رضوان قد واعد قوماً من أصحابه ليقبضوا عليه، فلمّا جرى ما ذكرناه أمرهم رضوان فقبضوا عليه وقيّدوه، فلمّا سمع التركمان الحال أظهروا الخلاف والامتعاض، ففارقوا[٤] رضوان والتجأوا إلى سور المدينة، وأصعد إيلغازي إلى قلعتها، وخرج مَنْ بنَصِيبين من العسكر فأعانوه، فلمّا رأى التركمان ذلك تفرّقوا، ونهبوا ما قدروا عليه من المواشي وغيرها، ورحل رضوان من وقته وسار إلى حلب.

وكان جكرمِش قد رحل من الموصل قاصداً لحرب الفوم، لمّا بلغ تلّ يَعْفَر أتاه المبشّرون بانصراف رضوان على اختلاف وافتراق، فرحل عند ذلك إلى سِنجار، ووصلت إليه رسل رضوان[٥] تستدعي منه النجدة، ويعتدّ عليه ما فعل بإيلغازي، فأجابه مغالطة، ولم يفِ له بما وعده، ونازل سِنجار ليشفي غيظه من صهره ألبي بن أرسلان تاش بما اعتمده من معاداته، ومظاهرة أعدائه، وكان ألبي على شدّةٍ من المرض بالسهم الذي أصابه على نَصِيبين، فلمّا نزل جكرمِش عليها أمر ألبي أصحابه أنْ يحملوه إليه، فحملوه في محَفَّة، فحضر عنده، وأخذ يَعتذر ممّا كان منه، وقال: جئتُ

---

(١) في الباريسية: «الاحتراس».
(٢) في الباريسية: «تغير».
(٣) في الباريسية: «ويعود».
(٤) في (ب): «وقابلوا».
(٥) في الباريسية: «سنجار».

مذنباً، فافعل بي ما تراه. فرّق له وأعاده إلى بلده، فلمّا عاد قضى[1] نحبه فلمّا مات عصى على جكرمِش من كان بسِنجار، وتمسّكوا بالبلد، فقاتلهم[2] بقية رمضان، وشوّالاً، ولم يظفر منهم بشيء، فجاء تميرك أخو أرسلان تاش، عمّ ألبي، فأصلح حاله مع جكرمِش، وبذل له الخدمة، فعاد إلى الموصل.

ذكر ملك طغتكين بُصْرى

قد ذكرنا سنة سبع وتسعين[وأربعمائة] حال بكتاش[3] بن تُتُش، وخروجه من دمشق، واتّصاله بالفرنج، ومعه أيتكين الحلبيُّ، صاحب بُصْرى، وسيْرهما إلى الرَّحْبة، وعودهما عنها، فلمّا ضعُفت أحوالهم سار طُغتِكين إلى بُصرى فحصرها، وبها أصحاب أيتكين، فراسلوا طُغتِكينَ، وبذلوا له التسليم إليه، بعد أجلٍ قرّروه بينهم، فأجابهم إلى ذلك، فرحل عنهم إلى دمشق، فلمّا انقضى الأجل، هذه السنة، تسلّمها، وأحسن إلى من بها، ووفى[4] لهم بما وعدهم، وبالغ في إكرامهم، وكثُر الثناء عليه، والدعاء له، ومالت النفوس إليه، وأحبّوه[5].

ذكر ملك الفرنج حصن أفامِيَةَ

في هذه السنة ملك الفرنج أفامِيَةَ من بلد الشام.

وسبب ذلك: أنّ خَلَفَ بن مُلاعب الكلابيّ كان متغلباً على حِمص، وكان الضرر به عظيماً، ورجاله يقطعون الطريق، فكثُر الحراميّة عنده، فأخذها منه تُتُش بن ألب أرسلان وأبعده عنها، فتقلّبت به الأحوال إلى أن دخل إلى مصر، فلم يلتفت إليه من بها، فأقام بها.

واتّفق أنّ المتولّي لأفامِية من جهة الملك رضوان أرسل إلى صاحب مصر، وكان يميل إلى مذهبهم، يستدعي منهم من يسلّم إليه الحصن، وهو من أمنع الحصون، وطلب ابن ملاعب منهم أن يكون هو المقيم به، وقال: إنّني أرغب في قتال الفرنج، وأُوثر الجهاد. فسلّموه إليه، وأخذوا رهائنه، فلمّا ملكه خلع طاعتهم ولم يرعَ حقّهم،

---

(١) في الأوربية: «قضا».
(٢) في الأوربية: «فقاتله».
(٣) في الباريسية: «بلتاش»، والمثبت من (ب).
(٤) في الأوربية: «ووفا».
(٥) ذيل تاريخ دمشق ١٤٥، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٣.

فأرسلوا إليه يتهدّدونه بما يفعلونه بولده الذي عندهم. فأعاد الجواب: إنّني لا أنزل من مكاني، وابعثوا إليّ ببعض أعضاء ولدي حتّى آكله؛ فأيِسوا من رجوعه إلى الطاعة، وأقام بأفامية يخيف السبيل، ويقطع الطريق، واجتمع عنده كثير من المفسدين، فكثرت أمواله.

ثم إنّ الفرنج ملكوا سَرْمِينَ، وهي من أعمال حلب، وأهلها[1] غُلاة في التشيّع، فلمّا ملكها[2] الفرنج تفرّق أهلها[3]، فتوجّه القاضي الذي بها[4] إلى ابن ملاعب وأقام عنده، فأكرمه، وأحبّه، ووثق به، فأعمل القاضي الحيلة عليه، وكتب إلى أبي طاهر، المعروف بالصائغ، وهو من أعيان أصحاب الملك رضوان، ووجوه الباطنيّة ودُعاتهم، ووافقهم على الفتك بابن مُلاعب، وأن يسلّم أفامية إلى الملك رضوان، فظهر شيء من هذا، فأتى إلى ابن مُلاعب أولاده، وكانوا قد تسلّلوا إليه من مصر، وقالوا له: قد بلَغَنا عن هذا القاضي كذا وكذا، والرأي أن تعاجله، وتحتاط لنفسك، فإن الأمر قد اشتهر وظهر. فأحضره ابن مُلاعب، فأتاه في كُمّه مصحَف، لأنه رأى أمارات الشرّ، (فقال له ابن ملاعب ما بلغه عنه)[5]، فقال له: أيّها الأمير، قد علم كلّ أحد أنّي أتيتُك خائفاً جائعاً، فأمّنتَني، وأغنيتَني، وعزّزتَني، فصرتُ ذا مالٍ وجاهٍ، فإن كان بعض من حسدني على منزلتي منك، وما غمرني من نعمتك سعى بي إليك، فأسألك أن تأخذ جميع ما معي، وأخرج كما جئتُ. وحلف له على الوفاء والنصح، فقبل عذره وأمّنه.

وعاود القاضي مكاتبة أبي طاهر بن[6] الصائغ، وأشار عليه أن يوافق رضوان على إنفاذ ثلاثمائة رجل من أهل سرمين، وينفذ معهم خيلاً من خيول الفرنج، وسلاحاً من أسلحتهم، ورؤوساً من رؤوس الفرنج، ويأتوا[7] إلى ابن ملاعب ويظهروا[8] أنّهم غزاة ويشكوا[9] من سوء معاملة الملك رضوان وأصحابه لهم، وأنّهم فارقوه، فلقيهم طائفة

---

(١) في الأوربية: «وأهله».
(٢) في الأوربية: «ملكه».
(٣) في الأوربية: «أهله».
(٤) في الأوربية: «به».
(٥) من الباريسية.
(٦) من (ب).
(٧) في الأوربية: «ويأتون».
(٨) في الأوربية: «ويظهرون».
(٩) في الأوربية: «ويشكون».

من الفرنج، فظفروا بهم، ويحملوا[1] جميع ما معهم إليه، فإذا أذن لهم في المقام اتّفقت ارآؤهم على إعمال الحيلة عليه، ففعل ابن[2] الصائغ ذلك، ووصل القوم إلى أفامية، وقدِموا إلى ابن ملاعب بما معهم من الخيل وغيرها، فقبل ذلك منهم، وأمرهم بالمقام عنده، وأنزلهم في رَبَض أفامية.

فلمّا كان في بعض اللّيالي نام الحرّاس بالقلعة، فقام القاضي ومَن بالحصن من أهل سَرمِين، ودلّوا الحبال وأصعدوا أولئك القادمين جميعهم، وقصدوا أولاد ابن مُلاعب، وبني عمّه، وأصحابه، فقتلوهم، وأتى القاضي وجماعة معه إلى ابن ملاعب، وهو مع امرأته، فأحسّ بهم، فقال: مَن أنت؟ فقال: ملك الموت جئتُ لقبض روحك؟ فناشده الله، فلم يرجع عنه، وجرحه[3]، وقتله، وقتل أصحابه، وهرب ابناه، فقُتل أحدهما، والتحق الآخر بأبي الحسن بن مُنقِذ، صاحب شَيْزر، فحفظه لعهد كان بينهما.

ولمّا سمع ابن الصائغ خبر أفامية سار إليها، وهو لا يشك أنّها له، فقال له القاضي: أن وافقتَني، وأقمت معي، فبالرحب والسَّعَة، ونحن بحكمك، وإلاّ فارجع من حيث جئتَ. فأيِسَ ابن الصائغ منه، وكان أحد أولاد ابن ملاعب بدمشق عند طُغتكِين، غضبان على أبيه، فولاّه طُغتكِين حصناً، وضمِن على نفسه حفظ الطريق، فلم يفعل، وقطع الطريق، وأخذ القوافل، فاستغاثوا إلى طُغتكِين منه، فأرسل إليه مَنْ طلبه، فهرب إلى الفرنج، واستدعاهم إلى حصن أفامية، وقال: ليس فيه غير قوت شهرٍ؛ فأقاموا عليه يحاصرونه، فجاع أهله، وملكه الفرنج، وقتلوا القاضي المتغلّب عليه، وأخذوا الصائغ فقتلوه، وكان هو الذي أظهر مذهب الباطنيّة بالشام[4].

(هكذا ذكر بعضهم أنّ أبا طاهر الصائغ قتله الفرنج بأفامية، وقد قيل إنّ ابن بديع، رئيس حلب، قتله سنة سبع وخمسمائة، بعد وفاة رضوان، وقد ذكرناه هناك، والله أعلم)[5].

---

(١) في الأوربية: «ويحملون».

(٢) من (ب).

(٣) في (ب): «وضربه».

(٤) تاريخ حلب ٣٦٣ (٢٨/ ٢٩)، أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٤١، ذيل تاريخ دمشق ١٥٠، بغية الطلب (تراجم السلاجقة) ١٢٩، ١٣٠، زبدة الحلب ٢/ ١٥١، ١٥٢، المختصر ٢/ ٢٢٠، دول الإسلام ٢/ ٢٨، تاريخ الإسلام ٧١ ـ ٧٣، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٧، إتعاظ الحنفا ٣/ ٣٦، النجوم الزاهرة ٥/ ١٩٢، شذرات الذهب ٣/ ٤٠٩.

(٥) ما بين القوسين من الباريسية.

ذكر نهب العرب البصرة

قد ذكرنا استيلاء الأمير صدقة على البصرة، وأنّه استناب بها مملوكاً كان لجدّه دُبَيْس بن مَزْيد، اسمه أَلْتُونتاش، وجعل معه مائة وعشرين فارساً. فاجتمعت ربيعة والمنتفق ومن انضمّ إليها من العرب، وقصدوا البصرة في جمع كثير، فقاتلهم أَلْتُونتاش، فأسروه، وانهزم أصحابه، ولم يقدر مَن بها على حفظها، فدخلوها بالسيف أواخر ذي القعدة، وأحرقوا الأسواق، والدُّور الحسان، ونهبوا ما قدروا عليه، وأقاموا ينهبون ويحرقون اثنين وثلاثين يوماً، وتشرّد[1] أهلها[2] في السواد، ونُهبت خزانة كتب كانت موقوفة، وقفها القاضي أبو الفرج بن أبي البقاء.

وبلغ الخبر صدقة، فأرسل عسكراً، فوصلوا وقد فارقها العرب. ثم إنّ السلطان محمّداً أرسل شِحنةً وعميداً إلى البصرة، وأخذها من صدقة، وعاد أهلها إليها وشرعوا في عمارتها[3].

ذكر حال طرابلس الشام مع الفرنج

كان صنجيل الفرنجيّ، لعنه الله، قد ملك مدينة جَبَلَةَ، وأقام على طرابلس يحصرها، فحيث لم يقدر أن يملكها، بنى بالقرب منها حصناً، وبنى[4] تحته ربضاً، وأقام مُراصِداً لها، ومنتظراً وجود فرصة فيها، فخرج فخر المُلك أبو عليّ بن عمّار، صاحب طرابلس، فأحرق رَبَضَهَ، ووقف صَنْجيل على بعض سقوفه المحترقة، ومعه جماعة من القمامصة والفرسان، فانخسف بهم، فمرض صَنْجِيل من ذلك عشرة أيّام ومات، وحُمل إلى القدس فدُفن فيه[5].

ثم إنّ ملك الروم أمر أصحابه باللاذقيّة ليحملوا الميرة إلى هؤلاء الفرنج الذين على طرابلس، فحملوها في البحر، فأخرج إليها فخر المُلك بن عمّار أُسطولاً، فجرى

---

(١) في (ب): «وفسد».

(٢) في الأوربية: «أهله».

(٣) تاريخ الإسلام ٧٣.

(٤) في الأوربية: «بنا».

(٥) العبر ٣/٣٥٣، تاريخ الإسلام ٧٣، تاريخ ابن الوردي ٢/١٧ وفيه قال ابن الوردي:

نقلوا صنجيل من نارِ ... إلى نارٍ تضرّم

قبره إن كان في القدس ... ففي وادي جهنّم

وجاء في تاريخ الأزمنة للدويهي ٩٧ أن صنجيل دُفن عند جبل الغرب بشرق طرابلس.

بينهم وبين الروم قتال شديد، فظفر المسلمون بقطعة من الروم، فأخذوها، وأسروا من كان بها وعادوا.

ولم تزل الحرب بين أهل طرابلس والفرنج خمس سنين إلى هذا الوقت، فعدمت الأقوات به، وخاف أهله على نفوسهم وأولادهم وحُرَمهم، فجلا الفقراء، وافتقر الأغنياء، وظهر من ابن عمّار صبر عظيم، وشجاعة، ورأي سديد.

ومّما أضرّ بالمسلمين فيها أنّ صاحبها استنجد سُقمان بن أُرتُق، فجمع العساكر وسار إليه، فمات في الطريق، على ما ذكرناه، وإذا أراد الله أمراً هيّأ أسبابه.

وأجرى ابن عمّار الجرايات على الجُند والضَّعفى، فلمّا قلّت الأموال عنده شرع يقسّط على الناس ما يخرجه في باب الجهاد، فأخذ من رجليَنْ من الأغنياء مالاً مع غيرهما، فخرج الرجلان إلى الفرنج، وقالا: إنّ صاحبنا صادرنا، فخرجنا إليكم لنكون معكم؛ وذكرا لهم أنّه تأتيه الميرة من عرقَةَ والجبل، فجعل الفرنج جمعاً على ذلك الجانب يحفظه من دخول شيء إلى البلد، فأرسل ابن عمّار وبذل للفرنج مالاً كثيراً ليسلّموا الرجلَيْن إليه، فلم يفعلوا، فوضع عليهما من قتلهما غيلة[1].

وكانت طرابلس من أعظم بلاد الإسلام وأكثرها تجمّلاً وثروةً، فباع أهلها من الحُلى، والأواني الغريبة، ما لا حدّ عليه، حتّى بيع كلّ مائة درهم نُقرة بدينار. وشتّان بين هذه الحالة وبين حال الروم أيّام السلطان ألب أرسلان، وقد ذكرتُ ظفره بهم سنة ثلاث وستّين وأربعمائة، وقد كان بعض أصحابه، وهو كُمُشْتكِين دواتي، عميد المُلك، هرب منه خوفاً لمّا قُبض على صاحبه عميد المُلك، وسار إلى الرقّة فملكها، وصار معه كثير من التركمان، فيهم: الأفشين، وأحمد شاه، فقتلاه، وأرسلا أمواله إلى ألب أرسلان، ودخل الأفشين بلاد الروم، وقاتل الفردوس[2]، صاحب أنطاكية، فهزمه، وقتل من الروم خلقاً كثيراً.

وسار ملك الروم من القُسطنطينيّة إلى مَلَطْيَةَ، فدخل الأفشين بلاده، ووصل إلى عَمّوريَة، وقتل في غزاته مائة ألف آدمي، ولمّا عاد إلى بلاد الإسلام وتفرّق مَن معه خرج عليه عسكر الرُّها، وهي حينئذ للروم، ومعهم بنو نُمير من العرب، فقاتلهم، ومعه مائتا فارس، فهزمهم ونهبهم، ونهب بلاد الروم، فأرسل ملك الروم رسولاً إلى القائم

---

(١) في (ب) زيادة: «عندهم لعنهم الله».
(٢) في (ب): «الفروردس».

بأمر الله يسأله الصلح، فأرسل إلى ألب أرسلان في ذلك، فصالح الرومَ على مائة ألف دينار، وأربعة الآف ثوب أصنافاً[1]، وثلاثمائة رأس بغالا[2]. فشتّان بين الحالتَيْن.

وأقول شتّان بين حال المرْذولين الذين استعجزهم، وبين حال الناس في زماننا هذا، وهو سنة(ستّ عشرة)[3] وستمّائة مع الفرنج أيضاً والتتر، وسيرى ذلك مشروحاً، أن شاء الله تعالى، لتعلم الفرق، نسأل الله تعالى أن ييسّر للإسلام وأهله قائماً يقوم بنصرهم، وأن يدفع عنهم بمن أحبّ من خلقه، وما ذلك على الله بعزيز[4].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ورد إلى بغداذ إنسان من الملثّمين، ملوك الغرب، قاصداً إلى دار الخلافة، فأُكرم، وكان معه إنسان يقال له الفقيه، من الملثّمين أيضاً، فوعظ الفقيه في جامع القصر[5]، واجتمع له العالم العظيم، وكان يعِظ وهو متلثّم لا يظهر منه غير عينَيْه، وكان هذا الملثّم قد حضر مع ابن الأفضل، أمير الجيوش بمصر، وقعتَهُ مع الفرنج، وأبلى بلاء حسناً.

وكان سبب مجيئه إلى بغداذ: أنّ المغاربة كانوا يعتقدون في العلويّين، أصحاب مصر، الاعتقاد القبيح، إذا أرادوا الحجَّ، يعدلون عن مصر، وكان أمير الجيوش بدر والد الأفضل أراد إصلاحهم، فلم يميلوا إليه، ولا قاربوه. فأمر بقتل مَنْ ظفر به منهم، فلمّا ولىَ ابنه الأفضل أحسن إليهم، واستعان بمن قاربه منهم على حرب الفرنج، وكان هذا من جملة مَنْ قاتل معه، فلمّا خالط المصريّين خاف العودة إلى بلاده، فقدم بغداذ، ثم عاد إلى دمشق، ولم يكن للمصريّين حرب مع الفرنج إلاّ وشهدها، فقُتل في بعضها شهيداً، وكان شجاعاً فتّاكاً مقداماً.

وفيها، في ربيع الآخر، ظهر كوكب في السماء له ذُؤابة، كقوس قُزَح، آخذة من المغرب إلى وسط السماء، وكان يُرى قريباً من الشمس قبل ظهوره ليلاً، وبقي يظهر عدّة ليالٍ، ثم غاب.

---

(١) في الأوربية: «أصناف».

(٢) في الأوربية: «بغال».

(٣) في (ب): «خمس وعشرين» وهذا غلط لأن المؤلّف ابن الأثير ـ رحمه الله ـ توفي سنة ٦٢٠ هـ.

(٤) في الأوربية: «العزيز». وانظر خبر طرابلس في: ذيل تاريخ دمشق ١٤٧، ومرآة الزمان (مخطوط) ج ١٢ ق ٣/ورقة ٢٥١ ب، (مطبوع) ج ٨ ق ١/ ١٣، وتلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ٣/ ٢٦٥، وتاريخ الإسلام ٧٣، ٧٤، وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ٢١٣، ٢١٤.

(٥) في (ب): «الذي بناه المنصور».

وفيها وصل الملك قلج أرسلان بن سليمان بن قُتلمِش، صاحب بلاد الروم، إلى الرُّها ليحصرها، وبها الفرنج، فراسله أصحاب جَكَرمِش المقيمون بحرَّان ليسلّموها إليه، فسار إليهم وتسلّم البلد، وفرح به الناس لأجل جهاد الفرنج، فأقام بحرَّان أيّاماً، ومرض مرضاً شديداً، أوجب عوده إلى مَلَطْيَةَ، فعاد مريضاً، وبقي أصحابه بحرّان.

[الوفيات]

وفي هذه السنة توفيّ الشيخ أبو منصور المقري، إمام مسجد ابن جردة[1]، وكان خيراً صالحاً.

وفيها قُتل القاضي أبو العلاء صاعد بن محمّد[2] النَّيسابوريّ الحنفيُّ بجامع أصبهان، قتله باطنيّ.

وفيها توفيّ أبو الفوارس الحسين بن عليّ بن الخازن[3]، صاحب الخطّ الجيّد، وعمره سبعون[4] سنة؛ قيل إنّه كتب خمسمائة ختمة[5].

وفيها، في المحرّم، توفّي القاضي أبو الفرج عُبيد الله بن الحسن[6]، قاضي البصرة، وله ثلاث وثمانون سنة، وكان من الفقهاء الشافعيّة المشهورين، تفقّه على الماوَرْديّ، وأبي إسحاق، وأخذ النحو عن الرَّقيّ، والدّهان، وابن بُرهان، وكان عفيفاً، مُقدَّماً عند الخلفاء والسلاطين.

وفيها، في المحرّم، توفيّ سهل بن أحمد بن عليّ الأرْغِيانِيُّ[7]، أبو الفتح الحاكم، تفقّه على الجُوَينيّ، وبرّز، ثم ترك المناظرة، وبنى رباطاً، واشتغل بالعبادة وقراءة القرآن.

---

(١) في تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٩ هـ.) ص ٢٩٥ رقم ٣٣١ «ابن جرادة». وانظر: غاية النهاية ١/ ٢٠٧ رقم ٩٥٢ وهو: «الحسن بن أحمد بن علي بن فتحان».

(٢) في طبعة صادر ١٠/ ٤١٥ «صاعد بن أبي محمّد»، والصحيح ما أثبتناه. وهذا قتل في سنة ٥٠٢ هـ. وسيعيده المؤلف ـ رحمه الله ـ هناك في (عدة حوادث).

(٣) في (ب): «الحارث».

(٤) في الأوربية: «سبعين».

(٥) سيعاد في وفيات ٥٠٢ هـ.

(٦) لم أجد له ترجمة.

(٧) انظر عن (الأرغياني) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٩ هـ.) ص ٢٩٧، ٢٩٨ رقم ٣٣٦ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

وفيها، في صفر، توفّي الأمير مهارش بن مجلّي[1] وله نحو ثمانين سنة[2]، وهو الذي كان الخليفة القائم عنده بالحَدِيثَة، وكان كثير الصلاة والصوم، يحبّ الخير وأهله؛(ولمّا توفيّ ملكَ الحَدِيثَةَ بعده ابنه سليمان)[3].

---

(١) في (ب) زيادة: «عكيب».

(٢) انظر عن (مهارش) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٩ هـ.) ص ٣٠٩ رقم ٣٥٠ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) من (ب).

٥٠٠
ثم دخلت سنة خمسمائة

ذكر وفاة يوسف بن تاشفين وملك ابنه عليّ

في هذه السنة توفّي أمير المسلمين يوسف بن تاشفِين، ملك المغرب والأندلس، وكان حَسَن السيرة، خيّراً، عادلاً، يميل إلى أهل الدين والعلم، ويكرمهم، ويصدر عن رأيهم، ولمّا ملك الأندلس، على ما ذكرناه، جمع الفقهاء، وأحسن إليهم، فقالوا له: ينبغي أن تكون ولايتك من الخليفة لتجب طاعتك على الكافّة؛ فأرسل إلى الخليفة المستظهر بالله، أمير المؤمنين، رسولاً ومعه هدية كثيرة، وكتب معه كتاباً يذكر ما فتح الله من بلاد الفرنج، وما اعتمده من نصرة الإسلام، ويطلب تقليداً بولاية البلاد، فكتب له تقليد من ديوان الخلافة بما أراد، ولُقّب أمير المسلمين، وسُيّرت إليه الخِلع، فسُرّ بذلك سروراً كثيراً، وهو الذي بنى[1] مدينة مَرَّاكشُ للمرابطين، وبقي على ملكه إلى سنة خمسمائة، فتوفّي وملك بعده البلاد ولده عليُّ بن يوسف، وتلقّب أيضاً أمير المسلمين، فازداد في إكرام العلماء والوقوف عند إشارتهم، وكان إذا وعظه أحدهم خشع عند استماع الموعظة، ولانَ قلبه لها، وظهر ذلك عليه.

وكان يوسف بن تاشفين حليماً، كريماً، ديّناً، خيّراً، يحبّ أهل العلم والدين، ويحكّمهم في بلاده؛ وكان يحبّ العفو والصفح عن الذنوب العظام، فمن ذلك أنّ ثلاثة نفر اجتمعوا، فتمنّى أحدهم ألف دينار يتّجر بها، وتمنّى الآخر عملاً يعمل[2] فيه لأمير المسلمين، وتمنّى الآخر زوجته النفزاويّة[3]، وكانت من أحسن النساء، ولها الحكم في بلاده، فبلغه الخبر، فأحضرهم، وأعطى متمنّي المال ألف دينار، واستعمل الآخر،

(١) في الأوربية: «بنا».
(٢) في الأوربية: «يعمله».
(٣) في الباريسية: «النفراوتة»، والمثبت من (ب).

وقال للذي تمنّى زوجته: يا جاهل! ما حملك على هذا الذي لا تصل إليه؟ ثم أرسله إليها، فتركتْه في خيمة ثلاثة أيّام تحمل إليه كلّ يوم طعاماً واحداً، ثم أحضرته وقالت له: ما أكلتَ هذه الأيّام؟ قال: طعاماً واحداً؛ فقالت: كلّ النساء شيء واحد. وأمرتْ له بمال وكسوة وأطلقتْه[1].

ذكر قتل فخر الملك بن نظام الملك

في هذه السنة قُتل فخر المُلك أبو المظفّر عليُّ بن نظام المُلك، يوم عاشوراء، وكان أكبر أولاده، وقد ذكرنا سنة ثمانٍ وثمانين وأربعمائة وزارته للسلطان بركْيارُق، فلمّا فارق وزارته قصد نَيسابور، وأقام عند الملك سَنجَر بن ملكشاه، وَوَزَر له، وأصبح يوم عاشوراء صائماً، وقال لأصحابه: رأيتُ الليلة في المنام الحسين بن عليّ، عليه السّلام، وهو يقول: عجّل إلينا، وليكُنْ إفطارك عندنا؛ وقد اشتغل فكري به، ولا مَحِيد عن قضاء الله وقدره! وقالوا له: يحميك[2] الله، والصواب أن لا تخرج اليوم والليلة من دارك؛ فأقام يومه يصلّي، ويقرأ القرآن، وتصدّق بشيء كثير.

فلمّا كان وقت العصر خرج من الدار التي كان بها يريد دار النساء، فسمع صياح متظلّم، شديد الحُرْقة، وهو يقول: ذهب المسلمون، فلم يبقَ من يكشف مظلمة، ولا يأخذ بيد ملهوفٍ! فأحضره عنده، رحمةً له، فحضر فقال: ما حالك؟ فدفع إليه رقعة، فبينما فخر الملك يتأمّلها إذ ضربه بسكّين فقضى عليه، فمات، فحُمل الباطنيُّ إلى سَنجَر، فقرّره، فأقرّ على جماعة من أصحاب السلطان كذباً، وقال: إنّهم وضعوني على قتله؛ وأراد أن يقتل بيده وسعايته، فقتل مَن ذكر، وكان مكذوباً عليهم، ثم قتل الباطنيُّ بعدهم، وكان عمر فخر المُلك ستّاً[3] وستّين سنة[4].

ذكر ملك صدقة بن مَزْيد تكريت

في هذه السنة، في صفر، تسلّم الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور بن مَزْيد قلعة تَكْريت، وقد ذكرنا فيما تقدّم أنّها كانت لبني مقن العُقَيْليّين، وكانت إلى آخر سنة

---

(١) أنظر عن (ابن تاشفين) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٠ هـ.) ص ٣٢٩ ـ ٣٣٩ رقم ٣٦٩ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) في الأوربية: «يحثيك».

(٣) في الأوربية: «ست».

(٤) المنتظم ٩/١٤٨ (١٧/٩٩)، المختصر ٢/٢٢١، تاريخ الإسلام ٧٥، ٧٦، تاريخ ابن الوردي ٢/١٧، ١٨، البداية والنهاية ١٢/١٦٧، النجوم الزاهرة ٥/١٩٤.

سبعٍ وعشرين وأربعمائة بيد رافع بن الحسين بن مقن، فمات، ووليها ابن أخيه أبو منعة خمِيس بن تغلب بن حمّاد، ووجد بها خمسمائة ألف دينار سوى المصاغ، وتوفّي سنة خمسٍ وثلاثين وأربعمائة، ووليها ولده أبو غشّام.

فلمّا كان سنة أربعٍ وأربعين [وأربعمائة] وثب عليه عيسى فحبسه، وملك القلعة والأموال، فلمّا اجتاز بهِ طُغْرُلبك سنة ثمانٍ وأربعين [وأربعماية] صالحه على بعض المالَ فرحل عنه.

وخافت زوجته أميرة، بعد موته، أن يعود أبو غشّام (فيملك القلعة)[1]، فقتلته، وكان قد بقي في الحبس أربع سنين، واستنابت في القلعة أبا الغنائم بن المحلبان، فسلّمها إلى أصحاب السلطان طُغْرُلبك، فسارت إلى الموصل، فقتلها ابن أبي غشّام بأبيه، وأخذ شرف الدولة مسلّم بن قريش مالها، وردّ طُغْرُلبك أمر القلعة إلى إنسان يُعرف بأبي العبّاس الرازيّ، فمات بها بعد ستّة أشهر، فملكها المهرباط، وهو أبو جعفر محمّد بن أحمد بن خُشْنام من بلد الثغر، فأقام بها إحدى وعشرين سنة ومات، ووليها ابنه سنتَيْن، وأخذتها منه تُركان خاتون، ووليها لها كوهرائين.

ثم ملكها بعد وفاة ملكشاه قسيم الدولة آقسنقَر، صاحب حلب، فلمّا قُتل صارت للأمير كُمُشْتِكين الجاندار، فجعل فيها رجلاً يُعرف بأبي المصارع، ثم عادت إلى كوهرائين إقطاعاً، ثم أخذها منه مجد المُلك البلاسانيُّ، فولّى فيها كيقُباذ بن هزارسب الديلميّ، فأقام بها اثنتي عشرة سنة، فظلم أهلها، وأساء السيرة، فلمّا اجتاز به سُقمان بن ارتُق سنة ستّ وتسعين [وأربعمائة] ونهبها، كان كيقُباذ ينهبها ليلاً، وسُقمان ينهبها نهاراً.

فلمّا استقرّ السلطان محمّد بعد موت أخيه بركْيارُق أقطعها للأمير آقسنقَر البرسقيّ، شِحنة بغداذ، فسار إليها وحصرها مدّة تزيد على سبعة أشهر، حتّى ضاق على كيقباذ الأمر، فراسل صدقةَ بن مَزْيَد ليسلّمها إليه، فسار إليها في صفر هذه السنة وتسلّمها منه، وانحدر البرسقيُّ ولم يملكها.

ومات كيقباذ بعد نزوله من القلعة بثمانيّة أيّام، وكان عمره ستّين سنة، واستناب صدقة بها ورّامَ بن أبي فِراس بن ورّام؛ وكان كيقباذ يُنسب إلى الباطنيّة، وكان موته من سعادة صدقة، فإنّه لو أقام عنده لعرّض صدقة لظنون الناس في اعتقاده ومذهبه[2].

---

(١) من (ب).

(٢) من الباريسية.

ذكر الحرب بين عُبادة وخفَاجة

في هذه السنة، في ربيع الأوّل، كانت حرب بين عُبادة وخَفاجة، فظفرت عُبادة، وأخذت بثأرها من خَفاجة.

وكان سبب ذلك أنّ سيف الدولة صدقة أرسل ولدَه بدران في جيش إلى طرف[1] بلاده ممّا يلي البطيحة ليحميها من خفاجة لأنّهم يؤذون أهل تلك النواحي، فقربوا منه، وتهدّدوا أهل البلاد، فكتب إلى أبيه يشكو منهم، ويعرّفه حالهم، فأحضر عُبادة، وكانت خفَاجة قد فعلت بهم العام الماضي ما ذكرناه، فلمّا حضروا عنده قال لهم ليتجهّزوا مع عسكره (ليأخذوا بثأرهم من خفَاجة، فساروا في مقدّم عسكره)[2]، فأدركوا حلّة من خَفاجة من بني كليب ليلاً، وهم غارّون، لم يشعروا بهم، فقالوا: مَنْ أنتم؟ فقالت: (عُبادة: نحن)[3] أصحاب لديون، فعلموا أنّهم عُبادة، فقاتلوهم، وصبرت خَفاجة، فبينما هم في القتال إذ سُمع طبل الجيش، فانهزموا، وقتلت منهم عُبادة جماعة، وكان فيهم عشرة من وجوههم، وتركوا حُرَمهم[4]، فأمر صدقة بحراستهنّ وحمايتهنّ، وأمر العسكر أن يؤثروا عُبادة بما غنموه من أموال خَفاجة، خلفاً لهم عمّا أُخذ منهم في العام الماضي.

وأصاب خفَاجة من مفارقة بلادها، ونهْب أموالها، وقتْل رجالها، أمر عظيم، وانتزحت إلى نواحي البصرة، وأقامت عُبادة في بلاد خفَاجة.

ولمّا انهزمت خفَاجة وتفرّقت ونُهبت أموالها، جاءت امرأة منهم إلى الأمير صدقة، فقالت له: إنّك سبيتَنا، وسلبتنا قوّتنا، وغرَّبتنا[5]، وأضعْت حُرمتنا، قابلك الله في نفسك، وجعل صورة أهلك كصورتنا. فكظم الغيظ واحتمل لها ذلك، وأعطاها أربعين جملاً، ولم يمض غير قليل حتّى قابل الله صدقةَ في نفسه وأولاده، فإنّ دُعاء الملهوف عند الله بمكان.

---

(١) في (ب): «أطراف».
(٢) من (ب).
(٣) من الباريسية.
(٤) في الأوربية: «حرمتهم».
(٥) في الباريسية: «عذبتنا».

ذكر مسير جاولي سقاوو إلى الموصل وأسر صاحبها جَكَرمِش

في هذه السنة، في المحرّم، أقطع السلطان محمّد جاولي سَقاوو الموصل، والأعمال التي بيد جَكَرمِش، وكان جاولي قبل هذا قد استولى على البلاد التي بين خُوزستان وفارس، وأقام بها سنين، وعمَّر قلاعها وحصَّنها، وأساء السيرة في أهلها، وقطع أيديَهم وجدع أنوفَهم وسمل أعينَهم.

فلمّا تمكّن السلطان محمّد من السلطنة خافه جاولي، وأرسل السلطان إليه الأمير مودود بن التونتكين، فتحصّن منه جاولي، وحصره مودود ثمانية أشهر، فأرسل جاولي إلى السلطان: إنّني لا أنزل إلى مودود، فإن أرسلتَ غيره نزلتُ. فأرسل إليه خاتمه مع أمير آخُر، فنزل جاولي، وحضر الخدمة بأصبهان، فرأى من السلطان ما يحبّ، وأمره السلطان بالمسير إلى الفرنج ليأخذ البلاد منهم، وأقطعه الموصل وديار بكر[1] والجزيرة كلّها[2].

وكان جَكَرمِش لمّا عاد من عند السلطان إلى بلاده، كما ذكرناه، وعدّ من نفسه الخدمة وحمْل المال، فلمّا استقرّ ببلاده لم يَفِ بما قال، وتثاقل في الخدمة وحمْل المال، فأقطع بلاده لجاولي، فجاء[3] إلى بغداذ، وأقام بها إلى أوّل ربيع الأوّل، وسار إلى الموصل، وجعل طريقه على البوازيج، فملكها ونهبها أربعة أيّام، بعد أن أمّن أهلها، وحلف لهم أنّه يحميهم، فلمّا ملكها سار إلى[4] إربل.

وأمّا جَكَرمِش فإنّه لمّا بلغه مسيره إلى بلاده كتب (في جمع العساكر، فأتاه)[5] كتاب أبي الهيجاء بن موسك الكرديّ الهذبانيّ، صاحب إربل، يذكر استيلاء جاولي على البوازيج، ويقول له: إن لم تعجّل المجيء لنجتمع عليه ونمنعه، وإلاّ اضطرّرتُ إلى موافقته والمصير معه. فبادر جَكَرمِش وعبر إلى شرقيّ دِجلة، وسار في عسكر الموصل قبل اجتماع عساكره، وأرسل إليه أبو الهيجاء عسكره مع أولاده، فاجتمعوا بقرية باكَلْبَا[6] من أعمال إربل.

---

(١) من الباريسية.
(٢) من (ب).
(٣) في (ب): «فسار».
(٤) في (ب): «نحو».
(٥) من الباريسية.
(٦) من (ب).

ووافاهم جاولي وهو في ألف فارس، وكان جَكَرمِش في ألفَيْ فارس، ولا يشكّ أنّه يأخذ جاولي باليد، فلمّا اصطفّوا للحرب حمل جاولي من القلب على قلب جَكَرمِش فانهزم من فيه، وبقي جَكَرمِش وحده لا يقدر على الهزيمة لفالج كان به، (فهو لا يقدر [أن] يركب)[1]، وإنّما يُحمل في محفّة، فلمّا انهزم أصحابه[2] قاتل عنه ركابيّ أسود قتالاً عظيماً، فقُتل، وقاتل معه واحد من أولاد الملك قاورت بك بن داود، اسمه أحمد، فقاتل بين يدَيْه، فطُعن فجُرح وانهزم، فمات بالموصل، ولم يقدر أصحاب جاولي على (الوصول إلى)[3] جكرمش، حتّى قُتل الركابيُّ الأسود فحينئذ أخذوه أسيراً وأحضروه عند جاولي، فأمر بحفظه وحراسته.

وكانت عساكر جكرمش التي استدعاها قد وصلت إلى الموصل بعد مسيره بيومَيْن، فساروا جرائد ليدركوا الحرب، فلقيهم المنهزمون ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

ذكر حصر جاولي سقاوو الموصل وموت جكرمش

لمّا انهزم العسكر، وأُسر جَكَرمِش، وصل الخبر إلى الموصل، فأقعدوا في الأمر زنكي بن جَكَرمِش، وهو صبيّ عمره إحدى عشرة سنة، وخطبوا له، وأحضروا أعيان البلد، والتمسوا منهم المساعدة، فأجابوا إلى ذلك.

وكان مستحفظ القلعة مملوكاً لجكرمش اسمه غزغلي[4]، فقام في ذلك المقام المَرضي، وفرّق الأموال التي جمعها جَكَرمِش، والخيول، وغير ذلك على الجُند، وكاتب سيفَ الدولة صدقة، وقِلِج أرسلان، والبُرْسُقيّ، شِحنة بغداذ، بالمبادرة إليهم، ومنْع جاولي عنهم، ووعدوا كلاًّ منهم أن يسلّموا البلد إليه. فأمّا صدقة فلم يجبهم إلى ذلك، ورأى طاعة السلطان، وأمّا البرسقيّ وقلج أرسلان فنذكر حالهما.

ثم إنّ جاولي حصر الموصل، ومعه كرماوي[5] بن خُراسان التركمانيُّ، وغيره من الأمراء، وكثُر جمْعه، وأمر أن يُحمل جَكَرمِش كلّ يوم على بَغل وينادي[6] أصحابه بالموصِل ليسلّموا البلد ويخلّصوا صاحبهم مما هو فيه، ويأمرهم هو بذلك، فلا

---

(١) من (ب).
(٢) في الباريسية: «صاحبه».
(٣) من الباريسية.
(٤) في (ب): «قزعلي».
(٥) في (ب): «طرماوي».
(٦) في الأوربية: «وينادون».

يسمعون منه؛ وكان يسجنه في جُبّ، ويوكل به من يحفظه لئلاّ يُسرق، فأُخرج في بعض الأيّام ميّتاً، وعمره نحو ستّين سنة، وكان شأنه قد علا، ومنزلته قد عظمت، وكان قد شيّد سور الموصل وقوّاه، وبنى عليها فصيلاً، وحفر خندقها، وحصّنها غايةَ ما يقدر عليه.

وكان مع جَكَرمِش رجل من أعيان الموصل يقال له أبو طالب (بن كُسَيْرات)[1]، وبنو كُسَيرات إلى الآن بالموصل من أعيان أهلها، وكان أبو طالب قد تقدّم عند جَكَرمِش، وارتفعت منزلته، واستولى على أموره، وحضر معه الحرب، فلمّا أُسر جَكَرمِش هرب أبو طالب إلى إربل، وكان أولاد أبي الهيجاء، صاحب إربل، قد حضروا الحرب مع جَكَرمِش، وأسرهم جاولي، فأرسل إلى أبي الهيجاء يطلب ابن كُسَيْرات، فأطلقه وسيّره إليه، فأطلق جاولي بن أبي الهيجاء، فلمّا حضر ابن كُسَيْرات عند جاولي ضمن له فتح الموصل وبلاد جَكَرمِش، وتحصيل الأموال، فاعتقله اعتقالاً جميلاً.

وكان قاضي الموصل أبو القاسم بن ودعان[2] عدوّاً لأبي طالب، فأرسل إلى جاولي يقول له: إن قتلتَ أبا طالب سلّمتُ الموصل إليك، فقتله وأرسل رأسه إليه، فأظهر الشماتة به، وأخذ كثيراً من أمواله وودائعه، فثار به الأتراك غضباً لأبي طالب ولتفرده بما أخذ من أمواله، ، فقتلوه؛ وكان بينهما شهر واحد، وقد رأينا كثيراً، وسمعنا ما لا نحصيه [من] قُرب وفاة أحد المتعاديين بعد صاحبه[3].

ذكر الحرب بين ملك القُسطنطينيّة والفرنج

في هذه السنة كانت وحشة مستحكمة بين ملك الروم، صاحب القُسطنطينيّة، وبين بيمُند الفرنجيّ، فسار بيمنُد إلى بلد ملك الروم ونهبه، وعزم على قصده، فأرسل ملك الروم إلى الملك قِلِج أرسلان بن سليمان، صاحب قُونيَة وأقصرا وغيرهما من تلك البلاد، يستنجده، فأمدّه بجمع من عسكره، فقوي بهم، وتوجّه إلى بيمُند، فالتقوا وتصافّوا واقتتلوا، وصبر الفرنج بشجاعتهم، وصبر الروم ومن معهم لكثرتهم، ودامت الحرب، ثم أجّلت الوقعة عن هزيمة الفرنج، وأتى القتل على أكثرهم، وأُسر كثير منهم، والذين سلموا عادوا إلى بلادهم بالشام، وعاد عسكر قِلِج أرسلان إلى بلادهم

(١) من الباريسية.
(٢) في (ب): «ودعات».
(٣) انظر عن (جكرمش) في: لباب الآداب لأسامة بن منقذ ١٣٢، ١٣٣.

عازمين على المسير إلى صاحبهم بديار الجزيرة، فأتاهم خبر قتله[١]، على ما نذكره إن شاء الله تعالىٰ، فتركوا الحركة وأقاموا.

ذكر ملك قلج أرسلان الموصل

قد ذكرنا أنّ أصحاب جَكَرمِش كتبوا إلى الأمير صدقة، وقسيم الدولة البُرْسُقي، والملك قِلِج أرسلان بن سليمان بن قُتلمِش السلجوقيّ، صاحب بلاد الروم، يستدعون كلاً منهم إليهم ليسلّموا البلد إليه. فأمّا صدقة فامتنع، ورأى طاعة السلطان[٢]؛ وأمّا قِلِج أرسلان فإنّه سار في عساكره فلمّا سمع جاولي سقاوو بوصوله إلى نَصِيبين رحل عن الموصل؛ وأمّا البرسقيّ فإنّه كان شِحنة بغداذ، فسار منها إلى الموصل، فوصلها بعد رحيل جاولي عنها، فنزل بالجانب الشرقيّ فلم يلتفتْ أحد إليه، ولا أرسلوا إليه كلمة واحدة، فعاد في باقي[٣] يومه.

ثم إنّ قِلج أرسلان لمّا وصل إلى نَصِيبين أقام بها حتى كثُر جمعه، فلمّا سمع جاولي بقربه رحل من الموصل إلى سِنجار، وأودع رحله بها، واتّصل به الأمير إيلغازي بن أُرتُق وجماعة من عسكر جَكَرمِش، فصار معه أربعة آلاف فارس. فأتاه كتاب الملك رضوان يستدعيه إلى الشام، ويقول له: إنّ الفرنج قد عجز مَن بالشام عن منعهم؛ فسار إلى الرَّحبة.

وأرسل أهل الموصل وعسكر جكرمش إلى قلج أرسلان، وهو بنَصِيبين فاستحلفوه لهم، فحلف، واستحلفهم على الطاعة له والمناصحة، وسار معهم إلى الموصل، فملكها في الخامس والعشرين من رجب، ونزل بالمُعْرِقةِ، وخرج إليه ولد جَكَرمِش وأصحابه، فخلع عليهم، وجلس على التَّخْت، (وأسقط السلطان محمّداً، وخطب لنفسه بعد الخليفة، وأحسن إلى العسكر)[٤]، وأخذ القلعة من غزغلي[٥]، مملوك جَكَرمِش، وجعل له فيها دَزْداراً، ورفع الرسوم المحدثة في الظلم، وعدل في الناس وتألّفهم، وقال: من سعى إليّ[٦] بأحد قتلتُه؛ فلم يسعَ أحدٌ بأحد، وأقرّ القاضي

---

(١) ذيل تاريخ دمشق ١٥٦.
(٢) في (ب): «الخليفة».
(٣) من الباريسية.
(٤) من (ب).
(٥) في (أ): «فرعلي».
(٦) في الأوربية: «إليه».

أبا محمّد عبد الله بن القاسم بن الشهرزوريّ على القضاء بالموصل، وجعل الرئاسة لأبي البركات محمّد بن محمّد بن خميس، وهو والد شيخنا أبي الربيع سليمان.

وكان في جملة قِلِج أرسلان الأمير إبراهيم بن ينّال التركمانيّ، صاحب آمد، ومحمّد بن جبق التركمانيُّ، صاحب حصن زياد، وهو خَرْتَبِرْتُ.

فأمّا إبراهيم بن ينّال فكان سبب ملكه لمدينة آمد أنّ تاج الدولة تُتُش، حين ملك ديار بكر، سلّمها إليه، فبقيت بيده؛ وأمّا محمّد بن جبق فكان سبب ملكه لحصن زياد (أنّ هذا الحصن)[1] كان بيد الفلادروس[2] الروميّ، ترجمان ملك الروم، وكانت الرُّها وأنطاكية من أعماله، فلمّا ملك سليمان بن قُتلمش، (والد قِلِج أرسلان هذا)[3]، أنطاكية، وملك فخر الدولة بن جَهِير ديار بكر، ضعف الفلادروس عن إقامة ما يحتاج إليه حصن زياد من الميرة والإقامة، فأخذه جبق، وأسلم الفلادروس على يد السلطان ملكشاه، وأمّره على الرُّها، فلم يزل عليها حتّى مات وأخذها الأمير بُزان[4] بعده.

وكان بالقرب من حصن زياد حصن آخر بيد إنسان من الروم اسمه إفرنجي[5]، وكان يقطع الطريق، ويُكثر قتل المسلمين، فأرسل إليه جبق هدية، وخطب إليه مودّته، وأن يعين كلّ واحد منهما صاحبه، فأجابه إلى ذلك، فكان جبق يعين إفرنجيّ على قطع الطريق وغيره، وكذلك افرنجي يعين جبق، فلمّا وثِق كلّ واحدٍ بصاحبه أرسل إليه جبق: إني أريد قصد بعض الأماكن؛ وطلب أن يرسل إليه أصحابه، فأرسلهم إليه، فلمّا[6] ساروا معه في الطريق تقدّم بكتفهم، وحملهم إلى قلعة إفرنجيّ، وقال لأهليهم[7]: والله لئن لم تسلّموا إليّ إفرنجيّ لأضربنّ أعناقهم، ولآخذنّ الحصن عنوةً، ولأقتلنّكم على دم واحدٍ. ففتحوا له الحصن، وسلّموا إليه إفرنجيّ، فسلخه، وأخذ أمواله وسلاحه، وكان عظيماً، ومات جبق فوليَ بعده ابنه محمّد.

ذكر قتل قلج أرسلان وملك جاولي الموصل

قد ذكرنا أنّ قِلِج أرسلان لمّا وصل إلى نَصِيبين سار جاولي عن المَوصِل إلى

(١) من (ب).
(٢) تصحّف في الأصل.
(٣) من الباريسية.
(٤) في (ب): «نزان».
(٥) في (ب): «فرنجي».
(٦) من الباريسية.
(٧) في (ب): «لأعيانهم».

سِنجار، ثم إلى الرَّحبة، فوصلها في رجب، وحصرها إلى الرابع والعشرين من شهر رمضان، وكان صاحبها حينئذٍ يُعرف بمحمّد بن السبّاق، وهو من بني شيبان، رتّبه بها الملك دُقاق لمّا فتحها، وأخذ ولده رهينةً، وحمله معه إلى دمشق، فلما توفّي أرسل هذا الشيبانيُّ قوماً سرقوا ولده وحملوه إليه، فلمّا وصل إليه خلع الطاعة للدمشقيّين، وخطب في بعض الأوقات لقلج أرسلان. فلمّا وصل إليها جاولي وحصرها، أرسل إلى الملك رضوان يعرّفه أنّه على الاجتماع به ومساعدته على من يحاربه، ويشرط[1] عليه أنّه إذا تسلّم البلاد سار معه ليكشف الفرنج عن بلاده، فلمّا استقرّت القاعدة بينهما حضر عنده رضوان، فاشتدّ الحصار على أهل البلد، وضاقت عليهم الأمور.

واتّفق جماعة كانوا بأحد الأبراج، وأرسلوا إلى جاولي، واستحلفوه على حفظهم وحراستهم، وأمروه أن يقصد البرج الذي هم فيه عند انتصاف الليل، ففعل ذلك، فرفع مَنْ في البرج أصحابه إليهم في الحبال، فضربوا بوقاتهم وطبولهم، فخذل مَن في البلد، ودخله أصحاب جاولي في اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان، ونهبوه إلى الظهر، ثم أمر برفع النهب، ونزل إليه محمّد الشيبانيُّ صاحب البلد، وأطاعه، وصار معه.

ثم إنّ قِلج أرسلان لمّا فرغ من أمر الموصِل سار عنها إلى جاولي سقاوو ليحاربه، وجعل ابنه ملكشاه في دار الإمارة، وعمره إحدى عشرة سنة، ومعه أمير يدبّره وجماعة من العسكر، وكانت عدّة عسكره أربعة آلاف فارس بالعدّة الكاملة والخيل الجيّدة.

وسمع العسكر بقوّة جاولي، فاختلفوا، وكان أوّل مَن خالف عليه إبراهيم بن ينّال، صاحب آمد، فإنّه فارق خيامه وأثقاله وعاد من الخابور إلى بلده، وكذلك غيره، وعمل قِلج أرسلان على المطاولة لما بلغه من قوّة جاولي وكثرة جموعه، وأرسل إلى بلاده يطلب عساكره لأنّها كانت عند ملك الروم (نجدةً له على قتال الفرنج، كما ذكرناه، فلمّا وصل إلى الخابور بلغت عدّته خمسة آلاف)[2].

وكان مع جاولي أربعة آلاف، من جملتهم الملك رضوانُ، وجماعة من عسكره، إلاّ أنّ شجعانه أكثر، واغتنم جاولي قلّة عسكر قِلج أرسلان، فقاتله قبل وصول عساكره إليه، فالتقوا في العشرين من ذي القعدة، فحمل قلج أرسلان على القوم بنفسه، حتّى خالطهم، فضرب يد صاحب العَلَم فأبانها، ووصل إلى جاولي بنفسه، فضربه بالسيف،

---

(١) في (ب): «وشرط».
(٢) من (ب).

فقطع الكُزَاغَنْد ولم يصل إلى بدنه، وحمل أصحاب جاولي على أصحابه فهزموهم، واستباحوا ثَقَلهم وسوادهم، فلمّا رأى قِلج أرسلان انهزام عسكره علم أنّه إن أُسر فعل به فعْل مَنْ لم يترك للصلح موضعاً، لا سيّما وقد نازع السلطان في بلاده، واسم السلطنة، فألقى نفسه في الخابور، وحمى نفسه (من أصحاب جاولي)[١] بالنشّاب، فانحدر به الفرس إلى ماء عميق فغرق، وظهر بعد أيّام فدُفن بالشَمْسَانِيّة[٢] وهي من قُرى الخابور.

وسار جاولي إلى الموصل، ولمّا وصل إليها فتح أهلها له بابها، ولم يتمكّن من بها من أصحاب قِلج أرسلان مِنْ مَنعهم، ونزل بظاهر البلد، وأخذ كلّ واحد من أصحاب جَكَرمِش الذين (حضروا الوقعة)[٣] مع قلج أرسلان (إلى جهة)[٤]. فلمّا ملك جاولي الموصل أعاد خطبة السلطان محمّد، وصادر جماعة مَن بها من أصحاب جَكَرمِش، وسار إلى جزيرة ابن عُمَر، وبها حبشيّ بن جَكَرمِش، ومعه أمير من غلمان أبيه اسمه غزغلي[٥]، فحصره مدّة، ثم إنّهم صالحوه، وحملوا إليه ستّة آلاف دينار، وغيرها من الدوابّ والثياب، ورحل عنهم إلى الموصل، وأرسل ملكشاه بن قِلج أرسلان إلى السلطان محمّد[٦].

ذكر أحوال الباطنية بأصبهان وقتل ابن عطّاش[٧]

في هذه السنة ملك السلطان محمّد القلعة التي كان الباطنيّة ملكوها بالقرب من أصبهان، واسمها شاه دَز، وقتل صاحبها أحمد بن عبد الملك بن عطّاش، وولده، وكانت هذه القلعة قد بناها ملكشاه، واستولى عليها بعده أحمد بن عبد الملك بن عطّاش.

وسبب ذلك أنّه اتّصل بدزْدار كان لها، فلمّا مات استولى أحمد عليها، وكان الباطنيّة بأصبهان قد ألبسوه تاجاً، وجمعوا له أموالاً، وإنّما فعلوا ذلك به لتقدّم أبيه

---

(١) من (ب).
(٢) في الأصل: «بالسمسمانية».
(٣) في (ب): «حصروا القلعة».
(٤) في (ب): «أخيه يأمن فيها».
(٥) في (ب): «فرعلي».
(٦) انظر عن (جاولي سقاوو) في: لباب الآداب ١٣٣.
(٧) في (ب): «عطاس»، ويرد في تاريخ الإسلام ٧، «غطاس».

عبد الملك في مذهبهم، فإنّه كان أديباً بليغاً، حسن الخطّ، سريع البديهة، عفيفاً، وابتُلي بحب هذا المذهب، وكان ابنه أحمد هذا جاهلاً لا يعرف شيئاً.

وقيل لابن الصبّاح، صاحب قلعة ألَمُوتَ: لماذا تعظّم ابنَ عطّاش مع جهله؟ قال: لمكان أبيه، لأنّه كان أُستاذي.

وصار لابن عطّاش عدد كبير، (وبأس شديد)[1]، واستفحل أمره بالقلعة، فكان يرسل أصحابه لقطع الطريق، وأخْذ الأموال، وقتْل من قدروا (على قتله)[2]، فقتلوا خلقاً كثيراً لا يمكن إحصاؤهم، وجعلوا له على القُرى السلطانيّة وأملاك الناس ضرائب يأخذونها[3] ليكفّوا عنها الأذى، فتعذّر بذلك انتفاع السلطان بقُراه، والناس بأملاكهم، وتمشّى لهم الأمر بالخُلْف الواقع بين السلطانَيْن بركْيارُق ومحمّد.

فلمّا صفت السلطنة لمحمّد، ولم يبق له منازع، لم يكن عنده أمرٌ أهمّ من قصد الباطنيّة وحربهم، والانتصاف للمسلمين من جورهم وعسفهم، فرأى البداية بقلعة أصبهان التي بأيديهم، لأنّ الأذى بها أكثر، وهي متسلّطة على سرير ملكه، فخرج بنفسه فحاصرهم في سادس شعبان.

وكان قد عزم على الخروج أوّل رجب، فساء ذلك مَن يتعصّب لهم من العسكر، فأرجفوا أنّ قِلج أرسلان بن سليمان قد ورد بغداذ وملكها، وافتعلوا في ذلك مكاتبات، ثم أظهروا أنّ خللاً قد تجدّد بخُراسان، فتوقّف[4] السلطان لتحقيق الأمر، فلما ظهر بُطلانه عزم عزيمة مثله، وقصد حربهم، وصعد جبلاً[5] يقابل القلعة من غربيّها، ونصب له التخت في أعلاه، واجتمع له من أصبهان وسوادها لحربهم الأمم العظيمة للذحول التي يطالبونهم بها، وأحاطوا بجبل القلعة ودوره أربعة فراسخ، ورتّب الأمراء لقتالهم، فكان يقاتلهم كلّ يوم أمير، فضاق الأمر بهم، واشتدّ الحصار عليهم، وتعذّرت عندهم الأقوات.

فلمّا اشتدّ الأمر عليهم كتبوا فتوى فيها: ما يقول السادة الفقهاء أئمّة الدين[6] في

---

(١) من الباريسية.
(٢) في (ب): «عليه».
(٣) في (ب): «أخذوه منهم».
(٤) في (ب): «فتركه».
(٥) في الأوربية: «جبل».
(٦) في الأوربية: «الذين».

قوم يؤمنون بالله وكُتُبه ورُسُله واليوم الآخر، وإنّ ما جاء به محمّد ﷺ حقّ وصدق، وإنّما يخالفون في الإمام: هل يجوز للسلطان مهادنتهم وموادعتهم، وأن يقبل طاعتهم، ويحرسهم من كلّ أذى؟ فأجاب أكثر الفقهاء بجواز ذلك، وتوقّف بعضهم، فجُمعوا للمناظرة، ومعهم أبو الحسن عليُّ بن عبد الرحمٰن السمنجانيّ، وهو من شيوخ الشافعيّة، فقال، بمحضر من الناس، يجب قتالهم، ولا يجوز[1] إقرارهم بمكانهم، ولا ينفعهم التلفّظ بالشهادتَين، فإنّهم يقال لهم: أخبرونا عن إمامكم، إذا أباح لكم ما حظر الشرع، أو حظره عليكم ما أباحه الشرع أتقبلون أمره؟ فإنّهم يقولون نعم، وحينئذ تباح دماؤهم بالإجماع. وطالت المناظرة في ذلك.

ثمّ إنّ الباطنيّة سألوا السلطان أن يُرسل إليهم من يناظرهم، وعيّنوا على أشخاص من العلماء منهم القاضي أبو العلاء صاعد بن يحيى، شيخ الحنفيّة بأصبهان، وقاضيها، وغيره، فصعدوا إليهم وناظروهم، وعادوا كما صعدوا، وإنّما كان قصدهم التعلّل والمطاولة، فلجّ حينئذ السلطان في حصرهم، فلمّا رأوا عين المحاقة[2] أذعنوا إلى تسليم القلعة على أن يُعطوا عوضاً عنها قلعة خالنجان، وهي على سبعة فراسخ من أصبهان، وقالوا: إنّا نخاف على دمائنا وأموالنا من العامّة، فلا بدّ من مكان نحتمي به منهم؛ فأُشير على السلطان بإجابتهم (إلى ما طلبوا)[3]، فسألوا أن يؤخّرهم إلى[4] النوروز ليرحلوا إلى خالنجان ويسلّموا قلعتهم، وشرطوا أن لا يسمع قول متنصّح[5] فيهم، وإنْ قال أحدٌ عنهم شيئاً سلّمه إليهم، وأن ما أتاه منهم ردّه إليهم، فأجابهم إليه، وطلبوا أن يحمل إليهم من الإقامة ما يكفيهم يوماً يوم، فأُجيبوا إليه في كلّ هذا، وقصْدهم المطاولة انتظاراً لفتق أو حادث يتجدّد.

ورتّب لهم وزير السلطان سعد الملك ما يُحمل إليهم كلّ يوم من الطعام والفاكهة، وجميع ما يحتاجون إليه، فجعلوا هم يرسلون، ويبتاعون من الأطعمة ما يجمعونه ليمتنعوا في قلعتهم، ثم إنّهم وضعوا من أصحابهم من يقتل أميراً كان يبالغ في قتالهم، فوثبوا عليه وجرحوه، وسلم منهم، فحينئذ أمر السلطان بإخراب[6] قلعة

---

(١) في (ب): «يجب».
(٢) في الأوربية: «المحاققة».
(٣) في (ب): «لما سألوه».
(٤) في (ب) زيادة: «قرب».
(٥) في (ب): «مستنصح».
(٦) في (ب): «بتخريب».

خالنجان، وجدّد الحصار عليهم، فطلبوا أن ينزل بعضهم، ويرسل السلطان معهم من يحميهم إلى أن يصلوا إلى قلعة الناظر[1] بأرَّجان، وهي لهم، وينزل بعضهم، ويرسل معهم من يوصلهم إلى طَبَس[2]، وأن يقيم البقية منهم في ضِرس من القلعة، إلى أن يصل إليهم من يخبرهم بوصول أصحابهم، فينزلون حينئذ، ويرسل معهم من يوصلهم إلى ابن الصَّبّاح بقلعة ألَمُوت، فأُجيبوا إلى ذلك، فنزل منهم إلى الناظر[1]، وإلى طَبَس[2]، وساروا، وتسلّم السلطان القلعة وخرّبها.

ثم إنّ الذين ساروا إلى قلعة الناظر وطَبَس وصل منهم من أخبر ابن عطّاش بوصولهم، فلم يسلّم السنَّ الذي بقي بيده، ورأى السلطان منه الغدر، والعود عن الذي قرّره، فأمر بالزحف إليه، فزحف الناس عامّة ثاني ذي القعدة، وكان قد قلّ عنده من يمنع ويقاتل، فظهر منهم صبر عظيم، وشجاعة زائدة، وكان قد استأمن إلى السلطان إنسان من أعيانهم، فقال لهم: إنّي أدلّكم على عورة لهم؛ فأتى بهم إلى جانب لذلك السنّ لهم لا يُرام، فقال لهم: اصعدوا من ها هنا؛ فقيل إنّهم قد ضبطوا هذا المكان وشحنوه بالرجال، فقال: إنّ الذي ترون أسلحة[3] وكزاغندات قد جعلوها كهيئة الرجال لقلّتهم عندهم.

وكان جميع من بقي ثمانين رجلاً، فزحف الناس من هناك، فصعدوا منه، وملكوا الموضع، وقُتل أكثر الباطنيّة، واختلط جماعة منهم مع من دخل، فخرجوا معهم، وأمّا ابن عطّاش فإنّه أُخذ أسيراً، فتُرك أسبوعاً، ثم إنّه أُمر به فشُهر في جميع البلد، وسُلخ جلده، فتجلّد حتّى مات، وحُشي جلده تبناً، وقُتل ولده، وحُمل رأساهما إلى بغداذ، وألقت زوجته نفسها[4] من رأس القلعةَ فهلكت، (وكان معها جواهر نفيسة لم يوجد مثلها، فهلكت أيضاً وضاعت، وكانت مدّة البلوى بابن عطاش اثنتي عشرة سنة)[5].

ذكر الخُلْف بين سيف الدولة صدقة ومُهذّب الدولة صاحب البطيحة

في هذه السنة اختلف سيف الدولة صدقة بن مَزْيد، ومُهذّب الدولة السعيد بن أبي

---

(١) في (ب): «الناطنة».

(٢) في (ب): «نلس».

(٣) في الأوربية: «أسحلة».

(٤) في الأوربية: «نفسه».

(٥) من (ب). والخبر في: نهاية الأرب ٢٦/٣٦٢، ٣٦٣، والمختصر ٢/٢٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ٥٠٠ هـ.) ص ٧٧ ـ ٧٩، والبداية والنهاية ١٢/١٦٧، والنجوم الزاهرة ٥/١٩٥.

الجبر[1]، صاحب البطيحة، وانضاف حمّاد بن أبي الجبر إلى صدقة، وأظهر معاداة ابن عمّه مهذّب الدولة، ثم اتفقوا.

وكان سبب ذلك أنّ صدقة لمّا أقطعه السلطان محمّد مدينة واسط ضمنها منه مهذّب الدولة، واستناب في الأعمال أولاده وأصحابه، فمدّوا أيديهم في الأموال، وفرّطوا فيها، وفرّقوها، فلمّا انقضت السنة طالبه صدقة بالمال، وحبسه، ثم سعى في خلاصه بدران بن صدقة، وهو صهر مهذّب الدولة، فأخرجه من الحبس وأعاده إلى بلده البطيحة.

وضمن حمّاد بن أبي الجبر واسط، فانحلّ على مهذبّ الدولة كثير من أمره، فآل الأمر إلى الاختلاف بعد الاتّفاق، فإنّ المصطنع إسماعيل، جدّ حمّاد، والمختص محمّداً، والد مهذّب الدولة، أخوان، وهما ابنا أبي الجبر، وكانت إليهما رئاسة أهلهما وجماعتهما[2]، فهلك المصطنع، وقام ابنه أبو السيّد المظفّر، والد حمّاد، مقامه وهلك المختصّ محمّد، وقام ابنه مهذّب الدولة مقامه، وصارا يتنازعان ابنَ الهيثم، صاحب البطيحة، ويقاتلانه إلى أن أخذه مهذّب الدولة، أيّام كوهرائين، وسلّمه إلى كوهرائين، فحمله إلى أصبهان، فهلك في طريقها. فعظم أمر مهذّب الدولة، وصيّره كوهرائين أمير البطيحة، فصار ابن عمّه وجماعةٌ تحت حكمه.

وكان حمّاد شاباً، فأكرمه مهذّب الدولة، (وزوّجه بنتاً له، وزاد في إقطاعه، فكثر ماله، فصار يحسد مهذّبِ الدولة)[3]، ويُضمر بغضَهُ، وربّما ظهر في بعض الأوقات؛ وكان مهذّب الدولة يداريه بجهده، فلمّا هلك كوهرائين انتقل حمّاد عن مهذّب الدولة، وأظهر[4] ما في نفسه، فاجتهد مهذّب الدولة في إعادته إلى ما كان، فلم يفعل، فسكت عنه، فجمع النفيس بن مهذّب الدولة جمعاً وقصد حمّاداً، فهرب منه إلى سيف الدولة بالحِلّة، فأعاده صدقة ومعه جماعة من الجُند، فحشد مهذّب الدولة، فأرسل حمّاد إلى صدقة يعرّفه ذلك، فأرسل إليه كثيراً من الجُند، فقوي عزم مهذّب الدولة على المحاربة لئلاّ يظنّ به العجز، فأشار عليه أهله بترك الخروج من موضعه لحصانته، فلم يفعل، وسيّر سُفنه وأصحابه في الأنهر، فجعل حمّاد وأخوه له الكمناء، واندفعوا من بين أيديهم، فطمع أصحاب مهذّب الدولة وتبعوهم، فخرج عليهم الكمناء، فلم يسلم منهم

---

(١) في (ب): «الخير».
(٢) في الباريسية: «عنهما».
(٣) من (ب).
(٤) في (ب) زيادة: «بعض».

إلاّ من لم يحضر أجله، فقُتل منهم وأُسر خلق كثير، فقوي طمع حمّاد، وأرسل إلى صدقة يستنجده، فأرسل إليه مقدّم جيشه سعيد بن حُمَيد العمريّ، وغيره من المقدّمين، وجمعوا السفن ليقاتلوا مهذّب الدولة، فرأوا أمراً محكماً، فلم يمكنهم الدخول إليه.

وكان حمّاد بخيلاً، ومهذّب الدولة جواداً، فأرسل إلى سعيد بن حُمَيْد الإقامات الوافرة، والصلات الكثيرة، واستماله، فمال إليه، واجتمع به، وتقرّر الأمر على أن أرسل مهذّب الدولة ابنه النفيس إلى صدقة، فرضي عنه، وأصلح بينهم وبين حمّاد ابن عمّهم، وعادوا إلى حال حسنة من الاتّفاق، وكان صلْحهم في ذي الحجّة سنة خمسمائة.

ذكر قتل وزير السلطان ووزارة أحمد بن نظام المُلك

في شوّال من هذه السنة قبض السلطان محمّد على وزيره سعد المُلك أبي المحاسن، وأخذ ماله، وصلبه على باب أصبهان، وصلب معه أربعة نفر من أعيان أصحابه والمنتمين إليه؛ أمّا الوزير فنُسب إلى خيانة السلطان، وأمّا الأربعة فنُسبوا إلى اعتقاد الباطنية، وكانت مدّة وزارته سنَتَيْن وتسعة أشهر، وكان في ابتداء حاله يصحب تاج الملك أبا الغنائم، وتعطّل بعده، ثم استعمله مؤيّد المُلك بن نظام المُلك، فجعله على ديوان الإستيفاء، وخدم السلطان محمّد لمّا حصره أخوه السلطان بركْيارُق بأصبهان خدمة حسنة، ولمّا فارقها محمّد حفظها الحفْظَ التامّ، وقام المقام العظيم، فاستوزره محمّد، ووسّع له في الإقطاع، وحكّمه في دولته، ثم نكبه، وهذا آخر خدمة الملوك.

وما أحسن ما قال عبد الملك بن مروان: أنعم الناس عيشاً من له ما يكفيه، وزوجة تُرضيه، ولا يعرف أبوابَنا هذه الخبيثة فتؤذيه.

ولمّا قبض الوزير استشار السلطان في من يجعله وزيراً، فذُكر له جماعة، فقال السلطان: إنّ آبائي درُوا[١] على نظام المُلك البركة، ولهم عليه[٢] الحقّ الكثير، وأولاده أغذياء[٣] نعمتنا، ولا معدل عنهم. فأمر لأبي نصر أحمد هذا بالوزارة، ولُقّب ألقاب أبيه: قوام الدين، نظام المُلك، صدر الإسلام.

وكان سبب قدومه إلى باب السلطان أنه لمّا[٤] رأى انقراض دولة أهل بيته لزِم

---

(١) في الأوربية: «رأوا».

(٢) في الأوربية: «وله عليهم».

(٣) في الأوربية: «أغذيا».

(٤) في (ب): «كلما».

داره بهمذان، فاتّفق أنّ رئيس همذان، وهو الشريف أبو هاشم، آذاه، فسار إلى السلطان شاكياً منه ومتظلّماً، فقبض السلطان على الوزير، وأحمد هذا في الطريق، فلمّا وصل إليه ذكره، وخلع عليه خِلع الوزارة، وحكّمه، ومكّنه[1]، وقوي أمره، وهذا من الفرج بعد الشدّة، فإنّه حضر شاكياً، فصار حاكماً.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في صفر، عُزل الوزير أبو القاسم عليُّ بن جَهِير، وزير الخليفة، فقصد دار سيف الدولة (صدقة ببغداذ)[2] (ملتجئاً إليها، وكانت ملجأ لكلّ ملهوف)[3]، فأرسل إليه صدقة مَنْ أخذه إليه إلى الحِلّة، وكانت وزارته ثلاث سنين وخمسة أشهر وأيّاماً، وأمر الخليفة بنقض داره التي بباب العامّة، وفيها عِبْرةٌ، فإنّ أباه أبا نصر بن جَهِير بناها بأنقاض أملاك الناس، وأخذ، بسببها، أكثر ما[4] دخل فيها، فخرِبَت عن قريب[5].

ولمّا عُزل استنيب قاضي القضاة أبو الحسن بن الدامغانيّ، ثم تقرّرت الوزارة في المحرّم من سنة إحدى وخمسمائة لأبي المعالي هبة الله بن محمّد بن المطّلب، وخُلع عليه فيه[6].

[الوفيات]

وفيها، في شوّال، توفّي الأمير أبو الفوارس سُرخاب بن بدر بن مُهَلْهِل، المعروف بابن أبي الشوك الكرديّ، وكانت له أموال كثيرة، وخيول لا تحصى، وولِيَ الإمرة بعده أبو منصور بن بدر، وقام مقامه، وبقيت الإمارة في بيته مائة وثلاثين سنة، وقد تقدّم من أخباره ما فيه كفاية.

---

(١) من (ب).

(٢) من (ب).

(٣) من الباريسية.

(٤) في (ب): «مما».

(٥) المنتظم ٩/١٤٩ (١٧/١٠٠)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/١٨، نهاية الأرب ٢٣/٢٥٧، تاريخ الإسلام ٨٠، البداية والنهاية ١٢/١٦٧.

(٦) المنتظم ٩/١٥٠ (١٧/١٠٠)، نهاية الأرب ٢٣/٢٥٧، تاريخ الإسلام ٨٠.

وفي هذه السنة توفّي أبو الفتح[1] أحمد بن محمّد بن أحمد بن سعيد الحدّاد[2] الأصبهانيُّ ابن أخت عبد الرحمٰن بن أبي عبد الله بن مندة، ومولده سنة ثمان وأربعمائة، وكان مكثراً من الحديث، مشهوراً بالرواية.

وفيها توفّي أبو محمّد جعفر بن أحمد بن الحسين السرّاج[3] البغداذيُّ في صفر، وهو مكثر من الرواية، وله تصانيف حسنة، وأشعار لطيفة، وهو من أعيان الزمان.

وعبد الوهّاب بن محمّد بن عبد الوهّاب أبو محمّد الشيرازيّ[4]، الفقيه، وليَ التدريس بالنظاميّة ببغداذ سنة ثلاثٍ وثمانين وأربعمائة، وكان يروي الحديث أيضاً.

وأبو الحسين المبارك بن عبد الجبّار بن أحمد الصيرفيُّ المعروف بابن الطيوري[5] البغداذيّ، ومولده سنة إحدى عشرة وأربعمائة، وكان مكثراً من الحديث، ثقة، صالحاً، عابداً.

وأبو الكرم المبارك بن الفاخر[6] بن محمّد بن يعقوب النحويّ، سمع الحديث من أبي الطيّب الطبريّ، والجوهريّ، وغيرهما، وكان إماماً في النحو واللغة.

---

(١) في (ب): «الفتوح».

(٢) من (ب)، ومن مصادر ترجمته التي ذكرتها في تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٠ هـ.) ص ٣١١، رقم ٣٥٣.

(٣) انظر عن (السرّاج) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٠ هـ.)، ص ٣١٥ـ ٣١٨ رقم ٣٥٨، وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

(٤) انظر عن (الشيرازي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٠ هـ.) ص ٣٢٠ ـ ٣٢٣ رقم ٣٦٢ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٥) انظر عن (ابن الطيوري) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٠ هـ.) ص ٣٢٤ ـ ٣٢٧ رقم ٣٦٥، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٦) انظر عن (المبارك بن الفاخر) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٠ هـ.) ص ٣٢٧، ٣٢٨ رقم ٣٦٦، وفي (وفيات ٥٠٥ هـ.) ص ١١٠ رقم ١١٥ وفيهما حشدت مصادر ترجمته.

٥٠١
ثم دخلت سنة إحدى وخمسمائة

ذكر قتل صدقة بن مَزْيد

في هذه السنة، في رجب، قُتل الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور بن دُبَيْس بن مَزْيَد الأَسَديُّ، أمير العرب، وهو الذي بنى الحِلّة السيفية بالعراق، وكان قد عظُم شأنه، وعلا قدره، واتّسع جاهه، واستجار به صغار الناس وكبارهم، فأجارهم.

وكان كثير العناية بأمور السلطان محمّد، والتقوية ليده، والشدّ منه على أخيه بركْيارُق، حتّى إنّه جاهر بركْيارُق بالعداوة، ولم يبرح على مصافاة السلطان محمّد، وزاده محمّد إقطاعاً من جملته مدينة واسط، وأذِن له في أخذ البصرة. ثم أفسد ما بينهما العميد أبو جعفر محمّد بن الحسين البلْخيُّ، وقال[١] في جملة ما قال عنه: إنّ صدقة قد عظُم أمره، وزاد حاله، وكثُر إدلاله، ويبسط في الدولة حمايته على كلّ من يفرّ إليه من عند السلطان، وهذا لا تحتمله الملوك لأولادهم، ولو أرسلتَ بعض أصحابك لملك بلاده وأمواله.

ثم إنّه تعدّى ذلك حتّى طعن في اعتقاده، ونسبه وأهل بلده إلى مذهب الباطنيّة، وكذب[٢]، وإنّما كان مذهبه التشيّع لا غير، ووافق أرغونُ السعديُّ أبا جعفر العميد وانتهى ذلك إلى صدقة، وكانت زوجة أرغون بالحِلّة وأهله، فلم يؤآخذهم بشيء ممّا كان له أيضاً هناك [من] بقايا خراجٍ ببلده، فأمر صدقة أن يخلص ذلك إليه[٣] بأجمعه[٤] ويسلّم إلى زوجته.

---

(١) في (ب): «وكان».
(٢) من (ب).
(٣) من الباريسية.
(٤) في الأوربية: «بأجمع».

وأمّا سبب قتله فإنّ صدقة كان، كما ذكرنا، يستجير به كلّ خائف من خليفةٍ وسلطانٍ وغيرهما، وكان السلطان محمّد قد سخط على أبي دُلَف سُرخاب بن كَيخَسْرو، صاحب ساوة وآبة[1]، فهرب منه وقصد صدقة فاستجار به، فأجاره، فأرسل السلطان يطلب من صدقة أن يسلّمه إلى نوّابه، فلم يفعل، وأجاب: إنّني لاأمكّن منه بل أُحامي عنه، وأقول ما قاله أبو طالب لقُريش لمّا طلبوا منه رسول الله ﷺ:

ونُسلِمُه حتّى نُصرَّع حولَه ... ونَذهَلُ عن أبنائِنا والحلائل[2]

وظهر منه أمور أنكرها السلطان، فتوجّه إلى العراق ليتلافى هٰذا الأمر، فلمّا سمع صدقة استشار أصحابه في الذي يفعله، فأشار عليه ابن دُبَيْس بأن ينفذه إلى السلطان ومعه الأموال، والخيل، والتُّحف، ليستعطف له السلطان، وأشار سعيد بن حُمَيْد، صاحب جيش صدقة، بالمحاربة، وجمْع الجُند، وتفريق[3] المال فيهم، واستطال في القول، فمال صدقة إلى قوله، وجمع العساكر، واجتمع إليه عشرون ألف فارس، وثلاثون ألف راجل، فأرسل إليه المستظهر بالله يحذّره عاقبة أمره، وينهاه عن الخروج عن طاعة السلطان، ويعرض له توسّط الحال، فأجاب صدقة: إنّني على طاعة السلطان، لكن لا آمن على نفسي في الاجتماع به؛ وكان الرسول بذلك عن الخليفة نقيب النقباء عليّ بن طِراد الزينبيّ.

ثم أرسل السلطان أقضى القضاة أبا سعيد الهرويّ إلى صدقة يطيّب قلبه، ويزيل خوفه، ويأمره بالانبساط على عادته، ويعرّفه عزمه على قصد الفرنج، ويأمره بالتجهّز للغزاة معه. فأجاب: إنّ السلطان قد أفسد أصحابُه قلبَه عليّ، وغيّروا حالي معه، وزال ما كان عليه في حقّي من الإنعام؛ وذكَرَ سالف خدمته ومناصحته، وقال سعيد بن حُميد، صاحب جيشه: لم يبقَ لنا في صُلح السلطان مطمع، ولَتَروُنّ[4] خيولنا بحُلوان[5]؛ وامتنع صدقة من الاجتماع بالسلطان.

ووصل السلطان إلى بغداذ في العشرين من ربيع الآخر، ومعه وزيره نظام المُلك أحمد بن نظام المُلك، وسيّر البُرسُقيَّ، شِحنة بغداذ، في جماعة من الأمراء إلى صَرْصَر، فنزلوا عليها.

---

(١) في (ب): «وآوة».
(٢) من قصيدة طويلة في سيرة ابن هشام (بتحقيقنا) ١/٣٠٧.
(٣) من (ب).
(٤) في الأصل مصحّفة «ولىرنر».
(٥) في الأصل مصحّفة «محلون».

وكان وصول السلطان، جريدةً، لا يبلغ عسكره ألفَيْ فارس، فلمّا تيقّن ببغداذ مكاشفة صدقة، أرسل إلى الأمراء يأمرهم بالوصول إليه، والجدّ في السير، وتعجيل ذلك، فوردوا إليه من كلّ جانب.

ثم وصل كتاب صدقة إلى الخليفة، في جمادى الأولى، يذكر أنّه واقف عند ما يُرسم له ويقرَّر من حاله مع السلطان، ومهما أمرتَه[1] من ذلك امتثله؛ فأنفذ الخليفة الكتاب إلى السلطان، فقال السلطان: أنا ممتثل ما يأمر به الخليفة، ولا مخالفة عندي. فأرسل الخليفة إلى صدقة يعرّفه إجابة السلطان إلى ما طلب منه، ويأمره بإنفاذ ثقته ليستوثق له، ويحلف السلطان على ما يقع الاتّفاق عليه. فعاد (صدقة عن ذلك الرأي، وقال: إذا رحل السلطان عن بغداذ)[2] أمددتُه بالمال والرجال، وما يحتاج إليه في الجهاد، وأمّا الآن، وهو ببغداذ، وعسكره بنهر الملك، فما عندي مال ولا غيره، وإنّ جاولي سقاوو، وأيلغازي بن أرتُق، قد أرسلا إليّ بالطاعة لي والموافقة معي على محاربة السلطان وغيره، ومتى أردتُهما وصلا إليّ (في عساكرهما.

وورد إلى)[3] السلطان قِرواش بن شرف الدولة، وكرماوي بن خُراسان التركمانيُّ، وأبو عمران فضل بن ربيعة بن حازم بن الجرّاح الطائيّ، وآباؤه كانوا أصحاب البَلْقَاء والبيت المقدّس منهم: حسّان بن المفرّج الذي مدحه التّهاميّ[4]؛ وكان فضل تارة مع الفرنج، وتارة مع المصريّين، فلمّا رآه طُغتِكين أتابَك على هذه الحال طرده من الشام، فلمّا طرده التجأ إلى صدقة وعاقده، فأكرمه صدقة، وأهدى له هدايا كثيرة منها سبعة آلاف دينار عيناً[5].

فلمّا كانت هذه الحادثة بين صدقة والسلطان سار في الطلائع، ثم هرب إلى السلطان، فلمّا وصل خلع عليه وعلى أصحابه، وأنزله دار صدقة ببغداذ، فلمّا سار السلطان إلى قتال صدقة استأذنه فضل في إتيان البريّة ليمنع صدقة من الهرب إن أراد ذلك، فأذن له، فعبر بالأنبار وكان آخر العهد به.

وأنفذ السلطان في جمادى الأولى إلى واسط الأمير محمّد بن بوقا التركمانيَّ، فأخرج عنها نائب صدقة، وأمّن الناس كلّهم، إلاّ أصحاب صدقة، فتفرّقوا، ولم يُنهب

(١) في (ب): «أمر به».
(٢) في الباريسية: «الجواب بأن السلطان إذا صار بالموصل».
(٣) من (ب).
(٤) انظر ديوان أبي الحسن التهامي، في مدح حسّان ص ١٤٣ و ١٥٥ و ١٩٢ (الطبعة الثانية).
(٥) من الباريسية.

أحد؛ وأنفذ خيله إلى بلد قُوسان، وهو من أعمال صدقة، فنهبه أقبح نهب، وأقام عدّة أيام، فأرسل صدقة إليه ثابت بن سلطان، وهو ابن عمّ صدقة، ومعه عسكر، فلمّا وصلوا إليها خرج منها الأتراك، وأقام ثابت بها، وبينه وبينهم دجلة.

ثم إنّ ابن بوقا عبّر جماعةً من الجُند ارتضاهم، وعرف شجاعتهم، فوقفوا على موضع مرتفع على نهر سالم، يكون ارتفاعه نحو خمسين ذراعاً، فقصدهم ثابت وعسكره فلم يقدروا أن يقربوا الترك من النشّاب، والمدد يأتيهم من ابن بوقا، وجُرح ثابت في وجهه، وكثُر الجراح في أصحابه، فانهزم هو ومَن معه، وتبِعهم الأتراك، فقتلوا منهم وأسروا، ونهب طائفة من الترك مدينة واسِط، واختلط بهم رجّالة ثابت، فنهبت معهم، فسمع ابن بوقا الخبر، فركب إليهم ومنعهم، وقد نهبوا بعض البلد، ونادى في الناس بالأمان، وأقطع السلطان، أواخر جُمادى الأولى، مدينة واسط لقسيم الدولة البُرْسُقيُّ وأمر ابن بوقا قصد بلد صدقة ونهْبه، فنهبوا فيه ما لا يُحدّ.

وأمّا السلطان محمّد، فإنّه سار عن بغداذ إلى الزَّعْفَرانيّة، ثاني جمادى الآخرة[1]، فأرسل إليه الخليفة وزيره مجد الدين بن المطّلب يأمره بالتوقّف، وترْك العجلة خوفاً على الرعيّة من القتل والنهب؛ وأشار قاضي أصبهان بذلك، واتّباع أمر الخليفة، فأجاب السلطان إلى ذلك، فأرسل الخليفة إلى صدقة نقيب النقباء عليَّ بن طِراد، وجمال الدولة مختصّاً الخادم، فسارا إلى صدقة فأبلغاه رسالة الخليفة يأمره بطاعة السلطان، وينهاه عن المخالفة، فاعتذر صدقة، وقال: ما خالفتُ الطاعة، ولا قطعتُ الخطبة في بلدي. وجهّز ابنَهُ دُبَيْساً ليسير معهما إلى السلطان.

(فبينما الرسل)[2] وصدقة في هذا الحديث، إذ ورد الخبر أنّ طائفة من عسكر[3] السلطان قد عبروا من مَطيراباذ، وأنّ الحرب بينهم وبين أصحاب صدقة قائمة على ساق، فتجلّد صدقة لأجل الرسل، وهو يشتهي الركوب إلى أصحابه خوفاً عليهم، وكان الرسل إذا سمعوا ذلك ينكرونه لأنهم قد تقدّموا إلى العسكر، عند عبورهم عليهم، أنّه لا يتعرّض أحد منهم إلى حرب، حتّى نعود[4]، فإنّ الصلح قد قارب. فقال صدقة للرسول: كيف أثق أرسل ولدي الآن، وكيف آمن عليه، وقد جرى ما ترون؟ فإن

---

(١) في (ب): «الأولى».
(٢) من الباريسية.
(٣) في (ب): «أصحاب».
(٤) في (ب): «يعودوا».

تكفّلتم[١] بردّه إليّ أنفذتُه. فلم يتجاسروا على كفالته، فكتب[٢] إلى الخليفة يعتذر عن إنفاذ ولده بما جرى.

وكان سبب هذه الوقعة أنّ عسكر السلطان لمّا رأوا الرسل اعتقدوا وقوع الصلح، فقال بعضهم: الرأي أنّنا ننهب شيئاً قبل الصلح؛ فأجاب البعض وامتنع البعض، فعبر من أجاب النهر، ولم يتأخّر من لم يجب لئلاّ يُنسب إلى خَوَرٍ وجُبن، ولئلاّ يتم على من عبر وهنٌ، فيكون عاره وأذاه عليهم، فعبروا بعدهم أيضاً، فأتاهم أصحاب صدقة وقاتلوهم، فكانت الهزيمة على الأتراك، وقُتل منهم جماعة كثيرة، وأُسر جماعة من أعيانهم وكثير من غيرهم، وغرق جماعة منهم: الأمير محمّد بن ياغي[٣] سيان الذي كان أبوه صاحب أنطاكية؛ وكان عمره نيّفاً وعشرين سنة، وكان مُحِبّاً (للعلماء وأهل الدين)[٤]، وبنى[٥] بإقطاعه من أَذَرْبِيجان عدّة مدارس. ولم يَجسر[٦] الأتراك على أن يعرّفوا السلطان بما أُخذ منهم من الأموال والدوابّ خوفاً منه، حيث فعلوا ذلك بغير أمره.

وطمع العرب بهذه الهزيمة، وظهر منهم الفخر والتيه والطمع، وأظهروا أنّهم باعوا كلّ أسير بدينار، وأنّ ثلاثة باعوا أسيراً بخمسة قراريط وأكلوا بها خبزاً وهريسة، وجعلوا ينادون: من يتغدّى بأسير، ويتعشّى بآخر؟ وظهر من الأتراك اضطّراب عظيم.

وأعاد الخليفة مكاتبة صدقة بتحرير أمر الصلح، فأجاب أنّه لا يخالف ما يؤمر به، وكتب صدقة أيضاً إلى السلطان يعتذر ممّا نُقل عنه، ومن الحرب التي كانت بين أصحابه وبين الأتراك، وأنّ جُند السلطان (عبرت إلى)[٧] أصحابه، فمنعوا عن أنفسهم بغير علمه، وأنّه لم يحضر الحربَ، ولم ينزع يداً من طاعة، ولا قطع خطبته من بلده.

ولم يكن صدقة كاتبه قبل هذا الكتاب، فأرسل الخليفة نقيب النقباء، وأبا سعد الهرويَّ إلى صدقة، (فقصدا السلطان أوّلاً، وأخذا يده بالأمان لمن يقصده من أقارب صدقة، فلمّا وصلا إلى صدقة)[٨] وقالا له عن الخليفة: إنّ إصلاح قلب السلطان

---

(١) في الأوربية: «تكلّفتم».
(٢) في (ب): «فأرسل».
(٣) في الأصل: «باغي»، وفي طبعة صادر ١٠/ ٤٤٥ «ياغي».
(٤) في (ب): «للعلم والدين».
(٥) في الأوربية: «وبنا».
(٦) في (ب): «يتجاسر».
(٧) في (ب): «عزوا».
(٨) من الباريسية.

موقوف على إطلاق الأسرى، وردّ جميع ما أُخذ من العسكرالمنهزم، فأجاب أوّلاً بالخضوع والطاعة، ثم قال: لو قدرتُ على الرحيل من بين يدي السلطان فعلتُ، لكن ورائي مِن ظهري، وظهر أبي وجدّي، ثلاثمائة امرأة، ولا يحملهنّ مكان، ولو علمتُ أنني إذا جئتُ السلطانَ مستسلماً قبلني واستخدمني لفعلتُ، لكنّني أخاف أنّه لا يُقيل عثرتي[1]، ولا يعفو عن زلّتي.

وأمّا ما نُهب فإنّ الخلق كثير، وعندي من لا أعرفه، وقد نهبوا ودخلوا البرّ، فلا طاقة لي عليهم، ولكنْ إن كان السلطان لا يعارضني فيما في يدي، ولا فيمن أجرتُه، وأن يقرّ سُرخاب بن كَيْخسرو على إقطاعه بساوة، وأن يتقدّم إلى ابن بوقا بإعادة ما نهب من بلادي، وأن يخرج وزير الخليفة يحلّفه بما أثق به من الأيمان على المحافظة فيما بيني وبينه، فحينئذ أخدم بالمال، وأدوس بساطه بعد ذلك.

فعادوا بهذا، ومعهم أبو منصور بن معروف رسول صدقة، فردّهم الخليفة، وأرسل السلطان معهم قاضي أصبهان أبا إسماعيل، فأمّا أبو إسماعيل فلم يصل إليه، وعاد من الطريق، وأصرّ صدقة على القول الأوّل. فحينئذ سار السلطان، ثامن رجب، من الزعفرانيّة، وسار صدقة في عساكره إلى قرية مَطَر، وأمر جنده بلبس السلاح، واستأمن ثابت بن سلطان بن دُبَيْس بن عليّ بن مَزْيَد، وهو ابن عمّ صدقة، إلى السلطان محمّد، وكان يحسد صدقة، وهو الذي تقدّم ذكره أنّه كان بواسط، فأكرمه السلطان، وأحسن إليه، ووعده الإقطاع.

ووردت العساكر إلى السلطان منهم: بنو بُرْسُق، وعلاء الدولة أبو كاليجار كرشاسب بن عليّ بن فرامرز، (أبي جعفر بن كاكاوَيْه وآباؤه كانوا أصحاب أصبهان، وفرامرز)[2] هو الذي سلّمها إلى طُغرلبك، وقُتل أبوه مع تُتُش.

وعبر عسكر السلطان دجلة، ولم يعبر هو، فصاروا مع صدقة على أرض واحدة، بينهما نهر، والتقوا تاسع عشر رجب، وكانت الريح في وجوه أصحاب السلطان، فلمّا التقوا صارت في ظهورهم، وفي وجوه أصحاب صدقة، ثم إنّ الأتراك رموا بالنشاب، فكان يخرج في كلّ رشقة عشرة آلاف نشّابة، فلم يقع سهم إلاّ في فرس أو فارس، وكان أصحاب صدقة كلّما حملوا منعهم النهر من الوصول إلى الأتراك والنشّاب، ومن عبر منهم لم يرجع، وتقاعدت عُبادة وخَفاجة، وجعل صدقة ينادي: يا آل خزيمة، يا آل

(١) في (ب): «عذري».
(٢) من (ب).

ناشرة، يا آل عوف؛ ووعد الأكراد بكلّ جميل لما ظهر من شجاعتهم، وكان راكباً على فرسه المهلوب[1]، ولم يكن لأحدٍ مثله، فجُرح الفَرَس ثلاث[2] جِراحات، وأخذه الأمير أحمديل[3] بعد قتل صدقة، فسيّره إلى بغداذ في سفينة، فمات في الطريق.

وكان لصدقة فَرَس آخر قد ركبه حاجبه أبو نصر بن تُفّاحة، فلمّا رأى الناس وقد غشوا صدقة هرب عليه، فناداه صدقة، فلم يُجِبه، وحمل صدقة على الأتراك، وضربه غلام منهم على وجهه فشوّهه، وجعل يقول: أنا ملك العرب، أنا صدقة! فأصابه سهم في ظهره، وأدركه غلام اسمه بزغش، كان أشلّ، فتعلّق به، وهو لا يعرفه، وجذبه عن فرسه، فسقط إلى الأرض هو والغلام، فعرفه صدقة، فقال: يا بزغش ارفِقْ. فضربه بالسيف فقتله، وأخذ رأسه وحمله إلى البُرْسُقيّ، فحمله إلى السلطان، فلمّا رآه عانقه[4]، وأمر لبزغش بصلةٍ.

وبقي صدقة طريحاً إلى أن سار السلطان، فدفنه إنسان من المدائن. وكان عمره تسعاً[5] وخمسين سنة، وكانت إمارته إحدى وعشرين سنة، وحُمل رأسه إلى بغداذ، وقُتل من أصحابه ما يزيد على ثلاثة آلاف فارس، فيهم جماعة من أهل بيته، وقُتل من بني شيبان خمسة[6] وتسعون رجلاً، وأُسر ابنه دُبَيْس بن صدقة، وسُرخاب بن كَيخسرو الديلميُّ الذي كانت هذه الحرب بسببه، فأُحضر بين يدي السلطان، فطلب الأمان، فقال: قد عاهدتُ الله أنّني لا أقتل أسيراً، فإنْ ثبت عليك أنّك باطنيّ قتلتُك؛ وأُسر سعيد بن حُمَيد العمريُّ، صاحب جيش صدقة. وهرب بدران بن صدقة إلى[7] الحِلّة، فأخذ من المال وغيره ما أمكنه، وسيّر أمّه ونساءه إلى البطيحة إلى مهذّب الدولة أبي العبّاس أحمد بن أبي الجبر، وكان بدران صهر مهذب الدولة على ابنته، ونُهب من الأموال ما لا حدّ عليه.

وكان له من الكتب المنسوبة الخطّ شيء كثير، ألوف مجلّدات، وكان يحسن يقرأ، ولا يكتب، وكان جواداً، حليماً، صدوقاً، كثير البِرّ والإحسان، ما برح ملجأ

---

(١) في (ب): «المهلوف».
(٢) من (ب).
(٣) في (ب): «أحمد بك».
(٤) من الباريسية.
(٥) في الأوربية: «تسع».
(٦) في الأوربية: «خمس».
(٧) في (ب): «من».

لكلّ ملهوفٍ، يلقى من يقصده بالبرّ والتفضّل، ويبسط قاصديه، ويزورهم، وكان عادلاً، والرعايا معه في أمن ودعة، وكان عفيفاً لم يتزوج على امرأته، ولا تسرّى عليها، فما ظنك بغير هذا؟ ولم يصادر أحداً من نوّابه، ولا أخذهم بإساءةٍ قديمة، وكان أصحابه يودعون أموالهم[1] في خزانته، ويُدلّون عليه إدلال الولد على الوالد، ولم يُسمع برعيّة أحبّتْ أميرها (كحبّ رعيّته له)[2].

وكان متواضعاً، محتملاً، يحفظ الأشعار، ويبادر إلى النادرة، رحمه الله، لقد كان من محاسن الدنيا.

وعاد السلطان إلى بغداذ، ولم يصل إلى الحِلّة، وأرسل إلى البطيحة أماناً لزوجة صدقة، وأمرها بالظهور، فأصعدت إلى بغداذ، فأطلق السلطان ابنها دُبَيْساً، وأنفذ معه جماعة من الأمراء إلى لقائها، فلمّا لقيها ابنها بكيا بكاء شديداً، ولمّا وصلت إلى بغداذ أحضرها السلطان، واعتذر من قتْل زوجها، وقال: وددتُ أنّه حُمل إليّ حتّى كنتُ أفعل معه ما يعجَب الناس به من الجميل والإحسان، لكنّ الأقدار غلبتْني. واستحلف ابنها دُبَيْساً أنّه لا يسعى بفساد[3].

ذكر وفاة تميم بن المعزّ صاحب إفريقية وولاية ابنه يحيى

في هذه السنة، في رجب، توفّي تميم بن المعزّ بن باديس، صاحب إفريقية، وكان شهماً، شجاعاً، ذكيّاً، له معرفة حسنة، وكان حليماً، كثير العفو عن الجرائم العظيمة، وله شِعر حسن، فمنه أنّه وقعت حرب بين طائفتَيْن من العرب، وهم عَديّ، ورياح، فقُتل رجل من رياح، ثم اصطلحوا، وأهدروا دمه، وكان صُلحهم ممّا يضرّ به وببلاَده، فقال أبياتاً يحرّض على الطلب بدمه، وهي:

مـتَـى كـانَـتْ دِمَـاؤُكُـمْ تُـطَـلُّ   أَمَا فِـيـكُـمْ بـثـأرٍ مُـسْـتَـقِـلُّ
أغـانـمُ ثـمّ سـالـمُ إن فَـشِـلْـتُـمْ   فَـمـا كـانـت أوائـلـكـم تـذِلُّ

---

(١) في الأوربية: «أمواله».

(٢) في (ب): «مثله».

(٣) تاريخ حلب ٣٦٣ (٢٩)، المنتظم ٩/١٥٦، ١٥٧ (١٧/١٠٨، ١٠٩)، الإنباء في تاريخ الخلفاء ٢٠٧، ذيل تاريخ دمشق ١٥٩، تاريخ الفارقي ٢٧٤، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/٢٥، المختصر في أخبار البشر ٢/٢٢٢، ٢٢٣، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٦٤ ـ ٣٦٧، دول الإسلام ٢/٢٩، ٣٠، العبر ٤/١، تاريخ ابن الوردي ٢/١٨، ١٩، مرآة الجنان ٣/١٦٩، البداية والنهاية ١٢/١٦٩، تاريخ ابن خلدون ٥/٣٨، النجوم الزاهرة ٥/١٩٦، شذرات الذهب ٤/٢، وانظر ترجمة (صدقة) ومصادرها في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠١ هـ.) ص ٤٦، ٤٧ رقم ١١.

ونِمتُمْ عن طِلابِ الثأرِ حتّى كأنّ العِزَّ فيكم مُضمَحِلُّ
وما كسّرتُمُ فيه العَوالي ولا بِيضٌ تُفَلُّ ولا تُسَلُّ

فعمد إخوة المقتول فقتلوا أميراً من عديّ، واشتدّ بينهم القتال، وكثُرت القتلى، حتّى أخرجوا بني عديّ من إفريقية.

قيل: إنّه اشترى جارية بثمن كثيرٍ فبلغه أنْ مولاها الذي باعها ذهب عقله وأسف على فراقها، فأحضره تميم إلى بين يدَيْه، وأرسل الجارية إلى داره، ومعها من الكسوات، والأواني الفضّة، وغيرها، ومن الطيّب، وغيره، شيء كثير، ثم أمر مولاها بالانصراف، وهو لا يعلم بذلك، فلمّا وصل إلى داره ورآها على تلك الحال وقع مَغشِيّاً عليه لكثرة سروره، ثم أفاق. فلمّا كان الغد أخذ الثمن، وجميع ما كان معها، وحمله إلى دار تميم، فانتهره، وأمره بإعادة جميع ذلك إلى داره.

وكان له في البلاد أصحاب أخبار يُجري عليهم أرزاقاً سنيّة ليطالعوه بأحوال أصحابه لئلاّ يظلموا الناس، فكان بالقَيروان تاجر له مال وثروة، فذكر في بعض الأيّام التجّار تميماً، ودعوا له، وذلك التاجر حاضر، فترحّم على أبيه المعزّ، ولم يذكره، فرُفع ذلك إلى تميم، فأحضره إلى قصره وسأله: هل ظلمتُك؟ فقال: لا! قال: فهل ظلمك بعض أصحابي؟ قال: لا، قال: فَلِمَ أطلقت لسانك أمس بذمّي؟ فسكت، فقال: لولا أن يقال شَرِهَ في ماله لقتلتُك؛ ثم أمر به فصُفع في حضرته قليلاً[1]، ثم أطلقه فخرج، وأصحابه ينتظرونه، فسألوه عن خبره، فقال: أسرار الملوك لا تذاع؛ فصارت بإفريقية مثلاً.

ولمّا توفي كان عمره تسعاً[2] وسبعين سنة، وكانت ولايته ستّاً[3] وأربعين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً، وخلّف من الذكور ما يزيد على مائة، ومن البنات ستّين بنتاً، ولمّا توفّي ملك بعده ابنه يحيى بن تميم، وكانت ولادته بالمهديّة لأربع بقين من ذي الحجّة سنة سبْع وخمسين وأربعمائة، وكان عمره حين وليَ ثلاثاً[4] وأربعين سنة وستة أشهر وعشرين يوماً، ولمّا وليَ فرّق أموالاً جزيلة، وأحسن السيرة في الرعيّة[5].

---

(١) من (ب).
(٢) في الأوربية: «تسع».
(٣) في الأوربية: «ست».
(٤) في الأوربية: «ثلاث».
(٥) انظر عن (تميم بن المعزّ) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠١ هـ.) ص ٤٣ ـ ٤٥ رقم ٧، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

ذكر ملك يحيى قلعة قُلَيبية

لمّا ملك يحيى بن تميم بعد أبيه، جرّد عسكراً كثيفاً إلى قلعة قُلَيبية، وهي من أحصن قلاع إفريقية، فنزل عليها، وحصرها حصاراً شديداً، ولم يبرح حتّى فتحها وحصّنها، وكان أبوه تميم قد رام فتحها، فلم يقدر على ذلك، ولم يزل مظفّراً، منصوراً، لم يُهْزم له جيش.

ذكر قدوم ابن عمّار بغداذ مستنفراً

في هذه السنة، في شهر رمضان، وردّ القاضي فخر المُلك أبو عليّ بن عمّار، صاحب (طرابلس الشام، إلى بغداذ، قاصداً باب السلطان محمّد، مستنفراً)[1] على الفرنج، طالباً تسيير العساكر لإزاحتهم، والذي حثّه على ذلك أنّه لمّا طال حصر الفرنج لمدينة طرابلس، على ما ذكرناه، ضاقت عليه الأقوات وقلّت، واشتدّ الأمر عليه وعلى أهل البلد، فمنّ الله عليه، سنة خمسمائة، بميرة في البحر من جزيرة قبرس، وأنطاكية، وجزائر البنادقة، فاشتدّت قلوبهم وقووا على حفظ البلد، بعد أن كانوا استسلموا.

فلمّا بلغ فخر المُلك انتظام الأمور للسلطان محمّد وزوال كلّ مخالفٍ رأى لنفسه وللمسلمين قصده والانتصار[2] به، فاستناب بطرابلس ابن عمّه ذا المناقب[3]، وأمره بالمقام بها، ورتّب معه الأجناد برّاً وبحراً، وأعطاهم جامكيّة ستّة أشهر سلفاً، وجعل كلّ موضع إلى من يقوم بحفظه، بحيث أنّ ابن عمّه لا يحتاج إلى فعل شيء من ذلك، وسار إلى دمشق، فأظهر ابن عمّه الخلاف له، والعصيان عليه، (ونادى بشعار المصريّين؛ فلمّا عرف فخر المُلك ذلك كتب إلى أصحابه يأمرهم بالقبض عليه)[4]، وحَمْله إلى حِصن الخوابي، ففعلوا ما أمرهم.

وكان ابن عمّار قد استصحب معه من الهدايا ما لم يوجد عند ملك مثله من الأعلاق النفيسة، والأشياء الغريبة، والخيل الرائقة، فلمّا وصلها لقيه عسكرها، وطُغتِكين أتابَك، وخيّم على ظاهر البلد، وسأله طُغتِكين الدخول إليه، فدخل يوماً واحداً إلى الطعام، وأدخله حمّامَه، وسار عنها ومعه ولد طُغتِكين يشيّعه.

---

(١) من (ب).

(٢) في (ب): «والاستنصار».

(٣) وقيل: «أبو المناقب»، وقيل «عمّه». انظر حول ذلك في كتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ص ٢٢١، ٢٢٢.

(٤) من (ب).

فلمّا وصل إلى بغداذ أمر السلطان الأمراء كافّة[1] بتلقّيه وإكرامه، وأرسل إليه شبّارته[2] وفيها دَسْته الذي يجلس عليه ليركب فيها، فلمّا نزل إليها قعد بين يدي موضع السلطان، فقال له من بها من خواصّ السلطان: قد أُمرنا أن يكون جلوسك في دَسْت السلطان؛ فلمّا دخل على السلطان أجلسه، وأكرمه، وأقبل عليه بحديثه[3].

وسيّر الخليفة خواصّه، وجماعة أرباب المناصب، فلقوه، وأنزله الخليفة وأجرى عليه الجراية العظيمة، وكذلك أيضاً فعل السلطان، وفعل معه ما لم يفعل مع الملوك الذين معهم أمثاله، وهذا جميعه ثمرة الجهاد في الدنيا، ولأجْرُ الآخرة أكبر.

ولمّا اجتمع بالسلطان قدّم هديته، وسأله السلطان عن حاله، وما يعانيه في مجاهدة الكفّار، ويقاسيه من ركوب الخطوب في قتالهم، فذكر له حاله، وقوّة عدوّه، وطول حصره، (وطلب النجدة)[4]، وضمن أنّه إذا سُيّرت العساكر معه أوصل إليهم جميع ما يلتمسونه، فوعده السلطان بذلك، وحضر دار الخلافة، وذكر أيضاً نحواً ممّا ذكره عند السلطان، وحمل هدية جميلة نفيسة، وأقام إلى أن رحل السلطان عن بغداذ في شوّال، فأحضره عنده بالنهروان، وقد تقدّم إلى الأمير حسين بن أتابك قتلغ تكين ليسيّر معه العساكر التي سيّرها إلى الموصل مع الأمير مودود لقتال جاولي سقاوو، ليمضوا معه إلى الشام، وخلع عليه السلطان خِلعاً نفيسة، وأعطاه شيئاً كثيراً، وودّعه، وسار ومعه الأمير حسين فلم يُجْدِ ذلك نفعاً[5]، وكان ما نذكره بعدُ إن شاء الله تعالىٰ.

ثم إنّ فخر المُلك بن عمّار عاد إلى دمشق منتصف المحرّم سنة اثنتين وخمسمائة، فأقام بها أيّاماً، وتوجّه منها مع عسكرٍ من دمشق إلى جَبلَة، فدخلها وأطاعه أهلها[6].

---

(١) في الأوربية: «كافّة الأمراء».

(٢) الشبّارة: المركبة التي تُحمل على الأكتاف ويجلس فيها السلطان وخواصّه.

(٣) في (ب): «بخدمته».

(٤) من (ب).

(٥) تاريخ حلب ٣٦٣ (٢٩)، أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٤٣، نهاية الأرب ٢٨/ ٢٦٥، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٢٣، دول الإسلام ٢/ ٣٠، تاريخ الإسلام ٧، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٩، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٣٨، ٣٩، كتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري ١/ ٤٢٥ ـ ٤٢٩، وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ٢٢١ ـ ٢٢٥.

(٦) في الأوربية: «أهله». والخبر في: الإعتبار لابن منقذ ٩٦، ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٦٧، ومرآة الزمان (مخطوط) ج ١٢ ق ٣/ ورقة ٢٦٠ ب، والأعلاق الخطيرة ٢/ ١١١، وتاريخ ابن الفرات ٨/ ٧٨، وتاريخ طرابلس ١/ ٤٢٩، ولبنان من السيادة الفاطمية ٢٢٥.

وأمّا أهل طرابلس، فإنّهم راسلوا الأفضل أمير الجيوش بمصر يلتمسون منه والياً يكون عندهم، ومعه الميرة في البحر، فسيّر إليهم شرفَ الدولة بن أبي الطيّب[1] والياً، ومعه الغلّة ممّا تحتاج إليه البلاد في الحصار، فلمّا صار فيها قبض على جماعة من أهل ابن عمّار وأصحابه، وأخذ ما وجده من ذخائره وآلاته وغير ذلك، وحمل الجميع إلى مصر في البحر[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في شعبان، أطلق السلطان محمّد الضرائب والمكوس[3]، ودار البيع، والاجتيازات، وغير ذلك ممّا يناسبه بالعراق، وكتُبت به الألواح، وجُعلت في الأسواق[4].

وفيها، في شهر رمضان، وليَ القاضي أبو العباس بن الرّطبي الحسبة ببغداذ[5].

وفيه أيضاً عزل الخليفة وزيره مجد الدين بن المطّلب برسالة من السلطان بذلك، ثم أُعيد إلى الوزارة بإذن السلطان[6]، وشرطه عليه شروطاً منها: العدل، وحسن السيرة، وأن لا يستعمل أحداً من أهل الذمّة[7].

وفيها عاد أصبهبذ صباوة من دمشق، وكان هرب عند قتل إياز، فلمّا قدِم أكرمه السلطان، وأقطعه رَحْبة مالك بن طَوْق.

وفيها، سابع شوّال، خرج السلطان إلى ظاهر بغداذ، عازماً على العود[8] إلى أصبهان، وكان مُقامه هذه المرّة خمسة أشهر وسبعة عشر يوماً.

---

(١) انظر الروايات حول اسمه في كتابنا: تاريخ طرابلس ١/ ٤٣٠، ولبنان من السيادة الفاطمية ٢٢٦.

(٢) ذيل تاريخ دمشق ١٦١، نهاية الأرب ٢٨/ ٢٦٥، إتعاظ الحنفا ٣/ ٢٨، مرآة الزمان (مخطوط) ج ١٢ ق ٣/ ورقة ٢٦٠ ب، أخبار مصر ٢/ ٤٣، نثر الجمان للفيومي (مخطوط) ٢١/ ورقة ٣١٨ أ، تاريخ ابن الفرات ٨/ ٧٨، الأعلاق الخطيرة ج ٢ ق ٢/ ١١٠، مرآة الزمان (المطبوع) ج ٨ ق ١/ ٤٥ (حوادث ٥٠٧ هـ).

(٣) من الباريسية.

(٤) المنتظم ٩/ ١٥٥، ١٥٦ (١٧/ ١٠٧، ١٠٨، ذيل تاريخ دمشق ١٦٢، نهاية الأرب ٢٦/ ١٦٨)، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٠١ هـ.) ص ٨.

(٥) المنتظم ١٧/ ١٠٩.

(٦) في (ب) زيادة: «محمد».

(٧) المنتظم ١٧/ ١٠٩.

(٨) في (ب): «الغزو».

وفيها، في ذي الحجّة، احترقت خرابة ابن جردة، فهلك فيها كثير من الناس، وأمّا الأمتعة، والأموال، وأثاث البيوت، فهلك ما لا حدّ عليه، وخلص خلق بنقب نقبوه في سور المحلّة إلى مقبرة (باب أبرز)[١]، وكان بها جماعة من اليهود، فلم ينقلوا شيئاً لتمسّكهم بسبتهم؛ وكان بعض أهله قد عبّروا إلى الجانب الغربيّ للفرجة، على عادتهم في السبت الذي يلي العيد، فعادوا فوجدوا بيوتهم قد خربت، وأهلهم قد احترقوا، وأموالهم قد هلكت.

ثم تبِع ذلك حريق في عدّة أماكن منها: درب القيّار، وقراح ابن رَزِين[٢]، فارتاع الناس لذلك، وبطّلوا معايشهم، وأقاموا ليلاً ونهاراً يحرسون بيوتهم في الدروب، وعلى السطوح، وجعلوا عندهم الماء المُعَدّ لإطفاء النار، فظهر أنّ سبب هذا الحريق أنّ جارية أحبّتْ رجلاً، فوافقته على المبيت عندها في دار مولاها سِرّاً، وأعدّت له ما يسرقه إذا خرج، ويأخذها هي أيضاً معه، فلمّا أخذها طرحَا النار في الدار، فخرجا، فأظهر الله عليهما، وعجّل الفضيحة لهما، فأُخذا وحُبسا[٣].

وفيها جمع بغدوين ملك الفرنج عسكره وقصد مدينة صور وحصرها، وأمر ببناء حصن عندها، على تلّ المَعشوقة، وقام شهراً محاصراً لها، فصانعه واليها على سبعة آلاف دينار، فأخذها ورحل عن المدينة[٤].

وقصد مدينة صيدا، فحصرها برّاً وبحراً ونصب عليها البُرج الخشب، ووصل الأسطول المصريُّ في الدفع عنها، والحماية لمن فيها، فقاتلهم أُسطول الفرنج، فظهر المسلمون عليهم، (فاتّصل بالفرنج)[٥] مسير عسكر دمشق نجدةً لأهل صيدا، فرحلوا عنها بغير فائدة[٦].

---

(١) في (ب): «بإزائه».

(٢) في الأوربية: «زرين».

(٣) المنتظم ١٧/١٠٩.

(٤) انظر عن حصار صور في: تاريخ حلب ٣٦٣ (٢٩)، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١/٢٥، وفيه: (تل المعسوفة»، وأخبار مصر لابن ميسّر ٢/٤٢، ٤٣، ودول الإسلام ٢/٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ٥٠١ هـ.) ص ٨، ٩، والإعلام والتبيين ١٧، واتعاظ الحنفا ٣/٣٨، وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية ٢٧٧ و ٢٨٦.

(٥) في الباريسية: «مظهر للفرنج».

(٦) انظر عن حصار صيدا في: ذيل تاريخ دمشق ١٦٢، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١/٢٥، ودول الإسلام ٢/٣٠، وتاريخ الإسلام ٩، والإعلام والتبيين ١٧، واتعاظ الحنفا ٣/٤٣، وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية ٢٧٧، ٢٧٨.

وفيها ظهر كوكب عظيم له ذوائب، فبقي لياليَ[1] كثيرة ثم غاب.

[الوفيات]

توفّي في هذه السنة، في شعبان، إبراهيم بن ميّاس[2] بن مهدي أبو إسحاق القشيريُّ الدمشقيُّ، سمع الحديث الكثير من الخطيب البغداذيّ وغيره.

وتوفّي في ذي القعدة أبو سعيد[3] إسماعيل بن عمرو بن محمّد النّيسابوريُّ المحدّث، كان يقرأ الحديث للغرباء، قرأ «صحيح مسلم» على عبد الغافر الفارسيّ عشرين مرّة.

---

(١) في الأوربية: «ليال».
(٢) انظر عن (ابن ميّاس) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠١ هـ.) ص ٤١ رقم ٤، وفيه مصادر ترجمته.
(٣) في الباريسية: «أبو سعد». والمثبت هو الصحيح كما في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠١ هـ.) ص ٤٢ رقم ٥، وفيه مصادر ترجمته.

٥٠٢
ثم دخلت سنة اثنتين وخمسمائة

ذكر استيلاء مودود وعسكر السلطان على الموصل وولاية مودود[١]

في هذه السنة، في صفر، استولى مودود والعسكر الذي أرسله السلطان معه، على مدينة الموصِل، وأخذوها من أصحاب جاولي سقاوو، وقد ذكرنا سنة خمسمائة استيلاء جاولي عليها، وما جرى بينه وبين جَكَرمِش، والملك قِلج أرسلان، وهلاكهما على يده، وصار معه بعد ذلك العسكر الكثير، والعدّة التامّة، والأموال الكثيرة، وكان السلطان محمّد قد جعل إليه ولاية كلّ بلد يفتحه، فاستولى على كثير من البلاد والأموال.

وكان سبب أخذ البلاد منه: أنّه لمّا استولى عليها، وعلى الأموال الكثيرة منها، لم يحمل إلى السلطان منها شيئاً، فلمّا وصل السلطان (إلى بغداذ)[٢]، لقصْد بلاد سيف الدولة صدقة، أرسل إلى جاولي يستدعيه إليه بالعساكر، وكرّر الرسل إليه، فلم يحضر، وغالط في الانحدار إليه، وأظهر أنّه (يخاف أن يجتمع به، ولم يقنَعْ بذلك، حتّى كاتب صدقةَ، وأظهر له أنّه)[٣] معه، ومُساعده على حرب السلطان، وأطمعه في الخلاف والعصيان.

فلمّا فرغ السلطان من أمر صدقة، وقتله، كما ذكرناه، تقدّم إلى الأمراء بني بُرسُق، وسكمان القُطْبيّ، ومودود بن ألْتُونتِكين، وآقسنقَر البُرسُقيّ، ونصر بن مُهلهل بن

---

(١) من الباريسية.

(٢) من (ب).

(٣) من (ب).

أبي الشوك الكرديّ، وأبي الهيجاء، صاحب إربل، بالمسير إلى الموصِل، وبلاد جاولي، وأخذها منه، فتوجّهوا نحو الموصِل، فوجدوا جاولي عاصياً قد شيّد سور الموصل، وأحكم ما بناه جَكَرمِش، وأعدّ الميرة والأقوات والآلات، واستظهر على الأعيان بالموصل، فحبسهم، وأخرج من أحداثها ما يزيد على عشرين ألفاً، ونادى: متى اجتمع عاميّان على الحديث في هذا الأمر قتلتُهما؛ وخرج عن البلد، ونهب السواد.

وترك بالبلد زوجته ابنة بُرسُق، وأسكنها القلعة، ومعها ألف وخمسمائة فارس من الأتراك، سوى غيرهم، وسوى الرجّالة، ونزل العسكر عليها في شهر رمضان سنة إحدى وخمسمائة، وصادرت زوجته مَن بقي بالبلد، وعسفت نساء الخارجين عنه، وبالغت في الاحتراز عليهم، فأوحشهم ذلك، ودعاهم إلى الانحراف عنها، وقوتل أهل البلد قتالاً متتابعاً[١]، فتمادى الحصار بأهلها من خارج، والظلم منْ داخل إلى آخر المحرّم، والجُند بها يمنعون عاميّاً من القرب من السور.

فلمّا طال الأمر على الناس، اتّفق نفر من الجصّاصين، ومقدّمهم جصّاص يُعرف بالسعدي، على تسليم البلد، وتحالفوا على التساعد[٢]، وأتوا وقت صلاة الجمعة، والناس بالجامع، وصعدوا برجاً، وأغلقوا أبوابه، وقتلوا من به من الجُند، وكانوا نياماً، فلم يشعروا بشيء، حتّى قُتلوا، وأخذوا سلاحهم، وألقوهم إلى الأرض، وملكوا برجاً آخر.

ووقعت الصيحة، وقصدهم مائتا فارس من العسكر، ورموهم بالنشّاب، وهم يقاتلون، وينادون بشعار السلطان، فزحف عسكر السلطان إليهم، ودخلوا البلد من ناحيتهم، وملكوه، ودخله الأمير مودود، ونودي بالسكون والأمن، وأن يعود الناس إلى دورهم وأملاكهم، وأقامت زوجة جاولي بالقلعة ثمانية أيّام، وراسلت الأمير مودود في أن يفرج لها عن طريقها، وأن يحلف لها على الصيانة والحراسة، فحلف، وخرجت إلى أخيها (برسق بن)[٣] برسق، ومعها أموالها وما استولت عليه، (ووليَ مودود الموصل وما ينضاف إليها)[٤].

---

(١) في (ب): «شديداً».

(٢) في (ب): «المساعدة».

(٣) من الباريسية.

(٤) من الباريسية، والخبر في: التاريخ الباهر ١٦، ١٧، وتاريخ الفارقي ٢٧٥، وتاريخ الزمان لابن العبري ١٢٠، وتاريخ مختصر الدول، له ١٩٩، والروضتين ٦٨/١، والمختصر في أخبار البشر ٢٢٣/٢، =

ذكر حال جاولي مدّة الحصار

وأمّا جاولي فإنّه لمّا وصل[1] عسكر السلطان إلى الموصل، وحصرها، سار عنها، وأخذ معه القُمّص، صاحب الرُّها، الذي كان قد أسره سُقمان وأخذه منه جَكَرمِش، وقد ذكرنا ذلك، وسار إلى نَصِيبين، وهي حينئذ للأمير إيلغازي بن أُرتُق، وراسله، وسأله الاجتماع به، واستدعاه إلى مُعاضدته، وأن يكونا يداً واحدة، وأعلمه أنّ خوفهما من السلطان ينبغي أن يجمعهما على الاحتماء منه. فلم يجبه إيلغازي إلى ذلك، ورحل عن نَصِيبين، ورتّب بها ولده، وأمره بحفظها من جاولي، وأن يقاتله إن قصده، وسار إلى ماردين.

فلمّا سمع جاولي ذلك عدل عن نَصِيبين، وقصد دارا، وأرسل إلى إيلغازي ثانياً في المعاني، وسار بعد الرسول، فبينما رسوله عند إيلغازي بماردين، لم يشعر إلاّ وجاولي معه في القلعة وحده، وقصد أن يتألّفه ويستميله، فلمّا رآه إيلغازي قام إليه وخدمه؛ ولمّا رأى جاولي مُحْسناً للظن فيه، غير مستشعرٍ منه، لم يجد إلى دفعه سبيلاً، فنزل معه، وعسكرا بظاهر نَصِيبين، وسارا منها إلى سِنجار، وحاصراها مدّةً، فلم يجبهما صاحبها إلى صُلح، فتركاه وسارا نحو الرَّحبة، وإيلغازي يُظهر لجاولي المساعدة، ويبطن الخلاف، وينتظر فرصة لينصرف عنه، فلمّا وصلا إلى عرابان، من الخابور، هرب إيلغازي ليلاً وقصد نَصِيبين.

ذكر إطلاق جاولي للقُمّص الفرنجيّ

لمّا هرب إيلغازي من جاولي سار جاولي إلى الرَّحبة، فلمّا وصل إلى مَاكِسِينَ أطلق القُمّص الفرنجيّ، الذي كان أسيراً بالموصل، وأخذه معه، واسمه بردويل، وكان صاحب الرُّها وسَروج وغيرهما، وبقي في الحبس إلى الآن، وبذل الأموال الكثيرة، فلم يُطْلَقْ، فلمّا كان الآن أطلقه جاولي، وخلع عليه، وكان مُقامه في السجن ما يقارب خمس سنين، وقرّر عليه أن يفدي نفسه بمالٍ، وأن يطلق أسرى المسلمين الذين في سجنه، وأن ينصره متى أراد ذلك منه بنفسه وعسكره وماله.

فلمّا اتّفقا على ذلك سيّر القُمّص إلى قلعة جَعْبَرَ، وسلّمه إلى صاحبها سالم بن

= ونهاية الأرب ٢٦/٣٦٩، والعبر ٤/٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ٥٠٢ هـ.) ص ١٠، وتاريخ ابن الوردي ٢/١٩، والدرّة المضية ٤٧٢، وتاريخ ابن خلدون ٥/٣٩.

(١) في الباريسية: «قصد».

مالك، حتّى ورد عليه ابن خالته جُوسلين، وهو من فرسان الفرنج وشجعانها، وهو صاحب تَلّ باشِر وغيره، وكان أُسر مع القمّص في تلك الوقعة، ففدى نفسه بعشرين ألف دينار، فلمّا وصل جوسلين إلى قلعة جَعْبَر أقام رهينةً عوض القمّص، وأُطلق القمّص، وسار إلى أنطاكية، وأخذ جاولي جوسلين من قلعة جَعْبَر فأطلقه، وأخذ عوضه أخا زوجته، وأخا زوجة القمّص، وسيّره إلى القمّص ليقوى به، وليحثّه على إطلاق الأسرى، وإنفاذ المال وما ضمنه، فلمّا وصل جوسلين إلى مَنبِج أغار عليها ونهبها، وكان معه جماعة من أصحاب جاولي، فأنكروا عليه ذلك، ونسبوه إلى الغدر، فقال: إنّ هذه المدينة ليست لكم[١].

ذكر ما جرى بين هذا القُمّص وبين صاحب أنطاكية

لمّا أُطلق القمّص وسار إلى أنطاكية أعطاه طَنْكري[٢] صاحبها ثلاثين ألف دينار، وخيلاً، وسلاحاً، وثياباً، وغير لك؛ وكان طَنكري قد أخذ الرُّها من أصحاب القمّص حين أُسر، فخاطبه الآن في ردّها عليه، فلم يفعل، فخرج من عنده إلى تلّ باشر، فلمّا قدم عليه جوسلين، وقد أطلقه جاولي، سرّه ذلك، وفرح به.

وسار إليهما طَنْكري، صاحب أنطاكية، بعساكره ليحاربهما، قبل أن يقوى أمرهما، ويجمعا عسكراً، ويلتحق بهما جاولي وينجدهما، فكانوا يقتتلون، فإذا فرغوا من القتال اجتمعوا وأكل بعضهم مع بعض وتحادثوا.

وأطلق القمّص من الأسرى المسلمين مائة وستّين أسيراً كلّهم من سواد حلب، وكساهم وسيّرهم.

وعاد طَنْكري إلى أنطاكية من غير فصل حال في معنى الرُّها، فسار القمّص وجوسلين وأغارا على حصون طَنْكري، صاحب أنطاكية، والتجأا إلى ولاية كواسيل، وهو رجل أرمنيّ، ومعه خلق كثير من المرتدّين وغيرهم، وهو صاحب رَعْبَان[٣]، وكَيسُوم، وغيرهما[٤] من القلاع، شماليّ حلب، فأنجد القمّصَ بألف فارس من المرتدّين، وألفَيْ راجل، فقصدهم طَنكري، فتنازعوا في أمر الرُّها، فتوسّط بينهم

---

(١) انظر: لباب الآداب ١٣٣، ١٣٤.

(٢) في (ب): «تنكري».

(٣) من الباريسية.

(٤) في الباريسية: «وغيرها».

البَطْرك[١] الذي لهم، وهو عندهم كالإمام الذي للمسلمين، لا يخالف أمره، وشهد جماعة من المطارنة[٢] والقِسّيسين: أنّ بيمُند خال طَنكري قال له، لمّا أراد ركوب البحر، والعود إلى بلاده، ليعيد الرُّها إلى القمّص، إذا خلص من الأسر، فأعادها عليه طَنكري تاسع صفر، وعبر القمّص الفرات، ليسلّم إلى أصحاب جاولي المال، والأسرى، فأطلق في طريقه خلقاً كثيراً من الأسرى من حَرّان وغيرها[٣].

وكان بسَروج ثلاثمائة مسلم ضَعْفَى، فعمّر أصحاب جاولي مساجدهم، وكان رئيس سَروج مُسلماً قد ارتدّ، فسمعه أصحاب جاولي يقول في الإسلام قولاً شنيعاً، فضربوه، وجرى بينهم وبين الفرنج بسببه نزاع، فذكر ذلك للقُمّص، فقال: هذا لا يصلح لنا ولا للمسلمين؛ فقتله.

ذكر حال جاولي بعد إطلاق القُمّص

لما أَطلق جاولي القُمّصَ بماكِسِين سار إلى الرَّحْبة، فأتاه أبو النجم بدران، وأبو كامل منصور، ابنا سيف الدولة صدقة، وكانا[٤]، بعد قتل أبيهما بقلعة جَعْبَر، عند سالم بن مالك، فتعاهدوا على المساعدة والمعاضدة، ووعدهما أنّه يسير معهما إلى الحِلّة، وعزموا أن يقدّموا عليهم بكتاش[٥] بن تكش بن ألب أرسلان. فوصل إليهم، وهم على هذا العزم، أصبَهْبذ صباوة، وكان قد قصد السلطان فأقطعه الرَّحبة وقد ذكرناه، فاجتمع بجاولي، وأشار عليه أن يقصد الشام، فإنّ بلاده خالية من الأجناد، والفرنج قد استولوا على كثير منها، وعرّفه أنّه متى قصد العراق، والسلطان بها، أو قريباً منها، لم يأمن شرّاً يصل إليه. فقبل قوله، وأصعد عن الرَّحبة، فوصل إليه رسل سالم بن مالك، صاحب قلعة جَعْبَر، يستغيث به من بني نُمير، وكانت الرَّقّة بيد ولده عليّ بن سالم، فوثب جوشن النُّميريُّ، ومعه جماعة من بني نُمير، فقتل عليّاً وملك الرَّقّة.

فبلغ ذلك الملك رضوان، فسار من حلب إلى صِفّين، فصادف تسعين رجلاً من الفرنج معهم مال من فدية القُمّص، صاحب الرُّها، قد سيّره إلى جاولي، فأخذه،

---

(١) في (ب): «البترك».
(٢) في (ب): «البطارقة».
(٣) انظر: لباب الآداب ١٣٤.
(٤) في الأوربية: «وكان».
(٥) في الباريسية: «بلتاش».

وأسر[١] عدداً منهم، وأتى الرَّقة، فصالحه بنو نُمير على مال، فرحل عنهم[٢] إلى حلب، فاستنجد سالم بن مالك جاولي، وسأله أن يرحل إلى الرَّقة ويأخذها، ووعده بما يحتاج إليه. فقصد الرَّقة، وحصرها سبعين يوماً، فضمن له بنو نُمَير مالاً وخيلاً، فأرسل إلى سالم: إنّني في أمر أهمّ من هذا، وأنا بإزاء عدوّ، ويجب التشاغل[٣] به دون غيره، وأنا عازم على الانحدار إلى العراق، فإنْ تمّ أمري فالرَّقة وغيرها لك، ولا أشتغل عن هذا المهمّ بحصار خمسة نفر من بني نُمير.

ووصل إلى جاولي الأمير حسين بن أتابَك[٤] قتلغ تِكِين، وكان أبوه أتابَك السلطان محمّد، فقتله، وتقدّم ولده هذا عند السلطان، واختصّ به، فسيّره السلطان مع فخر المُلك بن عمّار ليصلح الحال مع جاولي، (ويأمر العساكر بالمسير مع ابن عمّار إلى جهاد الكفّار، فحضر عند جاولي، وأمر)[٥] بتسليم البلاد، وطيّب قلبه عن السلطان، وضمن الجميل، إذا سلّم البلاد، وأظهر الطاعة والعبوديّة، فقال جاولي: أنا مملوك السلطان، وفي طاعته؛ وحمل إليه مالاً وثياباً لها مقدار جليل، وقال له: سِرْ إلى الموصل ورحّل العسكر عنها، فإني أرسل معك من يسلّم ولدي إليك رهينة، وينفذ السلطان إليها من يتولّى أمرها وجباية أموالها؛ ففعل حسين ذلك، وسار ومعه صاحب جاولي، فلمّا وصلا إلى العسكر الذي على الموصل، وكانوا لم يفتحوها بعد، أمرهم حسين بالرحيل، فكلّهم أجاب، إلاّ الأمير مودود فإنّه قال: لا أرحل إلاّ بأمر السلطان؛ وقبض على صاحب جاولي، وأقام (على الموصل)[٦]، حتّى فتحها كما ذكرناه.

وعاد حسين بن قتلغ تِكين إلى السلطان، فأحسن النيابة عن جاولي عنده، وسار جاولي إلى مدينة بالِس، فوصلها ثالث عشر صفر، فاحتمى أهلُها منه، وهرب مَنْ بها من أصحاب الملك رضوان، صاحب حلب، فحصرها خمسة أيّام، وملكها بعد أن نقب برجاً من أبراجها، فوقع على النقّابين[٧]، فقتل منهم جماعة، وملك البلد، وصلب جماعة من أعيانه عند النقب، وأحضر القاضي محمّد بن عبد العزيز بن إلياس فقتله، وكان فقيهاً صالحاً، ونهب البلد، وأخذ منه مالاً كثيراً.

---

(١) في (ب): «وأسروا».
(٢) من (ب).
(٣) في الأوربية: «الشاغل».
(٤) من (ب).
(٥) من الباريسية، وفيها: «يأمره».
(٦) في الباريسية: «بالموصل».
(٧) في (ب): «من نقب».

ذكر الحرب بين جاولي والفرنج

وفي هذه السنة، في صفر، كان المصافّ بين جاولي سقاوو وبين طَنكري الفرنجيّ، صاحب أنطاكية.

وسبب ذلك أنّ الملك رضوان كتب إلى طَنكري، صاحب أنطاكية، يعرّفه ما هو جاولي عليه من الغدر، والمكر، والخداع، ويحذره منه، ويُعلمه أنّه على قصد حلب، وأنّه إن ملكها لا يبقى للفرنج معه بالشام مقام، وطلب منه النُّصرة، والاتّفاق على منعه. فأجابه طَنكري إلى منعه وبرز من أنطاكية، فأرسل إليه رضوان ستّمائة فارس، فلمّا سمع جاولي الخبر أرسل إلى القُمّص، صاحب الرُّها، يستدعيه إلى مساعدته، وأطلق له ما بقي عليه من مال المفاداة، فسار إلى جاولي فلحق به، وهو على مَنبِج، فوصل الخبر إليه، وهو على هذه الحال، بأنّ الموصل قد استولى عليها عسكر السلطان، وملكوا خزائنه وأمواله، فاشتدّ ذلك عليه، وفارقه كثير من أصحابه منهم أتابك زنكي بن آقسنقَر، وبكتاش النهاونديُّ، وبقي جاولي في ألف فارس، (وانضمّ إليه خلق من المطوّعة، فنزل بتلّ باشر.

وقاربهم طنكري، وهو في ألف وخمسمائة فارس)[1] من الفرنج، وستّمائة من أصحاب الملك رضوان، سوى الرَّجّالة، فجعل جاولي في ميمنته الأمير أقسيان، والأمير ألْتُونتاش الأبريَّ[2]، وغيرهما، وفي الميسرة الأمير بدران بن صدقة، وأصبهبذ صباوة، وسُنقر دراز، وفي القلب القُمّص بغدوين، وجوسلين الفرنجيّين، ووقعت الحرب، فحمل أصحاب أنطاكية على القمّص، صاحب الرُّها، واشتدّ القتال، فأزاح طَنكري القلب عن موضعه، وحملت ميسرة جاولي على رجّالة صاحب أنطاكية، فقتلت منهم خلقاً كثيراً، ولم يبق غير هزيمة صاحب أنطاكية، فحينئذٍ عمد أصحاب جاولي إلى جنائب القمّص، وجوسلين، وغيرهما من الفرنج، فركبوها وانهزموا، فمضى[3] جاولي[4] وراءهم ليردّهم، فلم يرجعوا، وكانت طاعته قد زالت عنهم حين أُخذت الموصل منه، فلمّا رأى أنّهم لا يعودون معه أهمّته نفسه، وخاف من المقام، فانهزم، وانهزم باقي عسكره.

---

(١) من (ب).

(٢) مصحّف في الأصل.

(٣) في الأوربية: «فمضا».

(٤) في (ب) زيادة: «إلى».

فأمّا أصبهبذ صباوة فسار نحو الشام، وأمّا بدران بن صدقة فسار إلى قلعة جَعْبَر، وأمّا ابن جَكَرمِش فقصد جزيرة ابن عُمَر، وأمّا جاولي فقصد الرَّحْبة؛ وقُتل من المسلمين خلق كثير، ونهَب صاحب أنطاكية أموالهم وأثقالهم، وعظُم البلاء عليهم من الفرنج، وهرب القمّص وجوسلين إلى تلّ باشر والتجأ إليهما خلق كثير من المسلمين، ففعلا معهم الجميل، وداويا الجرحى، وكسوَا العُراة، وسيّراهم إلى بلادهم[١].

ذكر عود جاولي إلى السلطان

لمّا انهزم جاولي سقاوو قصد الرَّحبة، لمّا قاربها بات دونها في عدّة فوارس، فاتّفق أنّ طائفة من عسكر الأمير مودود، الذين[٢] أخذوا الموصل مِنه، أغاروا على قوم من العرب يجاورون الرَّحبة، فقاربوا جاولي ولا يشعرون به، ولو علموا لأخذوه.

فلمّا رأى الحال كذلك، علم أنّه لا يقدر [أن] يقيم بالجزيرة، ولا بالشام، ولا يقدر على شيء يحفظ به نفسه ويرجع إليه، ويداوي به مرضه، غير قصد باب السلطان محمّد عن رغبة واختيار، وكان واثقاً بالأمير حسين بن قُتْلُغْتِكين، فرحل من مكانه وهو خائفٌ حَذِرٌ، قد أخفى شخصه وكتم أمره، وسار إلى عسكر السلطان، وكان بالقرب من أصبهان، فوصل إليه في سبعة عشر يوماً من مكانه لجدّه في السيْر، فلمّا وصل المعسكرَ قصد الأمير حسيناً[٣]، فحمله إلى السلطان، فدخل إليه وكفنُهُ تحت يده، فأمّنه، وأتاه الأمراء يهنّونه بذلك، وطلب منه السلطان الملك[٤] بكتاش[٥] بن تكش، فسلّمه إليه، فاعتقله بأصبهان[٦].

ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج والهُدنة بعدها

في هذه السنة كانت حرب شديدة بين طُغتِكين أتابك والفرنج، وسببها أنّ طُغتكِين سار إلى طَبَرِيّة، وقد وصل إليها ابن أخت بغدوين الفرنجيّ، ملك القدس، فتحاربا واقتتلا، وكان طُغتِكين في ألفَيْ فارس، وكثير من الرَّجّالة، وكان ابن أخت ملك الفرنج في أربعمائة فارس، وألفَيْ راجل.

---

(١) تاريخ الزمان ١٣١، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٠٢ هـ.) ص ١٢.
(٢) في الأوربية: «الذي».
(٣) في الأوربية: «حسين».
(٤) من (ب).
(٥) في الأصل: «المتاش».
(٦) تاريخ الإسلام (حوادث ٥٠٢ هـ.) ص ١٢، ١٣.

فلمّا اشتدّ القتال انهزم المسلمون، فترجّل طُغتِكين، ونادى بالمسلمين، وشجّعهم، (فعاودوا الحرب)[1]، وكسروا الفرنج، وأسروا ابن أخت الملك، وحُمل إلى طُغتِكين، فعرض طُغتكِين عليه الإسلام، فامتنع منه، وبذل في فداء نفسه ثلاثين ألف دينار، وإطلاق خمسمائة أسير، فلم يقنع طُغتِكين منه بغير الإسلام، فلمّا لم يُجِبْ قتله بيده، وأرسل إلى الخليفة والسلطان الأسرى، ثم اصطلح طُغتِكين وبغدوين ملك الفرنج على وضع الحرب أربع سنين، وكان ذلك من لُطف الله تعالىٰ بالمسلمين، ولولا هذه الهدنة لكان الفرنج بلغوا من المسلمين، بعد الهزيمة الآتي ذكرها، أمراً عظيماً[2].

ذكر انهزام طغتكين من الفرنج

في هذه السنة، في شعبان، انهزم أتابك طُغتِكين من الفرنج.

وسبب ذلك أنّ حصن عِرْقَة، وهو من أعمال طرابلس، كان بيد غلام للقاضي فخر المُلك أبي عليّ بن عمّار، صاحب طرابلس، وهو من الحصون المَنيعة، فعصى[3] على مولاه، فضاق به القُوت، وانقطعت عنه الميرة، لطول مُكث الفرنج في نواحيه، فأرسل إلى أتابك طُغتِكين، صاحب دمشق، وقال له: أرسلْ من يتسلّم هذا الحصن منّي، قد عجزتُ عن حفظه، ولأن يأخذَهُ المسلمون خير لي دنيا وآخرة من أنْ يأخذَهُ الفرنجُ. فبعث إليه طُغتِكين صاحباً له، اسمه إسرائيل، في ثلاثمائة رجل، فتسلم الحصن، فلما نزل غلام ابن عمار منه رماه إسرائيل في الأخلاط، بسهم فقتله، وكان قصده بذلك أن لا يطلع أتابك طُغتِكين على ما خلّفه بالقلعة من المال.

وأراد طُغتكِين قصْد الحصن للاطّلاع عليه، وتقويته بالعساكر، والأقوات، وآلات الحرب، فنزل الغيث والثلج مدّة شهرَيْن، ليلاً ونهاراً، فمنعه، فلمّا زال ذلك سار في أربعة آلاف فارس، ففتح حصوناً للفرنج، (منها حصن الأكمة)[4]. فلمّا سمع السردانيّ الفرنجيُّ، (بمجيء طُغتكِين)[5]، وهو على حصار طرابلس، توجّه في ثلاثمائة فارس،

---

(١) في (ب): «فعادوا للحرب».

(٢) ذيل تاريخ دمشق ١٦١، ١٦٢، دول الإسلام ٢٢/٣٢، العبر ٣/٤، تاريخ الإسلام ١٣، الإعلام والتبيين ١٨.

(٣) في الأوربية: «فعصا».

(٤) من الباريسية، والأكمة أو اللكمة: قرب رفنية في الطريق بينها وبين أنطرطوس. وهو عند الفرنج Lo Camel.

(٥) في الباريسية: «بطغدكين».

فلمّا أشرف أوائل أصحابه على عسكر طُغتِكين انهزموا، وخلّوا ثَقلَهم ورحالهم ودوابّهم للفرنج، فغنموا، وقووا به، وزاد في تجمّلهم[1].

ووصل المسلمين إلى حمص، على أقبح حال من التقطّع، ولم يُقْتَلْ منهم أحد لأنّه لم تجْرِ حرب، وقصد السرданيُّ إلى عِرْقة، فلمّا نازلها طلب مَنْ كان بها الأمان، فأمّنهم على نفوسهم، وتسلّم الحصن، فلمّا خرّج مَن فيه قبض على إسرائيل، وقال: لا أطلقه[2] إلاّ بإطلاق فلان، وهو أسير كان بدمشق من الفرنج، منذ سبع سنين، ففودي به وأُطلقا معاً.

ولّما وصل طُغتكِين إلى دمشق، بعد الهزيمة، أرسل إليه ملك القدس يقول له: لا تظنّ أنّني أنقض الهدنة للذي تمّ عليك من الهزيمة، فالملوك ينالهم أكثر ممّا نَالك، ثم تعود أُمورهم إلى الانتظام والاستقامة؛ وكان طُغتِكين خائفاً أن يقصده بعد هذه الكسرة فينال من بلده كل ما أراد[3].

ذكر صُلح السُّنّة والشيعة ببغداذ

في هذه السنة، (في شعبان)[4]، اصطلح عامّة بغداذ السُّنّة والشيعة، وكان الشرّ منهم على طول الزمان، وقد اجتهد الخلفاء، والسلاطين، والشُّحَن في إصلاح الحال، فتعذّر عليهم ذلك، إلى أن أذِن الله تعالىٰ فيه، وكان بغير واسطة.

وكان السبب في ذلك أنّ السلطان محمّداً لمّا قتل ملك العرب صدقة، كما ذكرناه، خاف الشيعة ببغداذ، أهل الكرْخ وغيرهم، لأنّ صدقة كان يتشيّع هو وأهل بيته، فشنّع أهل السُّنّة عليهم بأنّهم نالهم غمّ وهمّ لقتله، فخاف الشيعة، وأَغْضَوْا على سماع هذا، ولم يزالوا خائفين إلى شعبان، فلمّا دخل شعبان تجهّز السُّنّة لزيارة قبر مُصعب بن الزُّبَيْر، وكانوا قد تركوا ذلك سنين كثيرة، ومنعوا منه لتنقطع الفِتَن الحادثة بسببه.

فلمّا تجهّزوا للمسير، اتّفقوا على أن يجعلوا طريقهم في الكرْخ، فأظهروا ذلك،

---

(١) في (ب): «تحكمهم».
(٢) في الأوربية: «أطلق عنه».
(٣) نهاية الأرب ٢٨/ ٢٦٤، ذيل تاريخ دمشق ١٦٢، أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٧٣، الأعلاق الخطيرة ٢/ ٩٤، تاريخ الإسلام ١٣، لبنان من السيادة الفاطمية ٢٣١، ٢٣٢.
(٤) من (ب).

فاتّفق رأي[1] أهل الكرْخ على ترك معارضتهم، وأنّهم لا يمنعونهم، فصارت السُّنّة تسيّر أهل كلّ محلّة منفردين، ومعهم من الزينة والسلاح شيء كثير، وجاء أهل باب المراتب، ومعهم فيل قد عُمل من خشب، وعليه الرجال بالسلاح، وقصدوا جميعهم الكرْخ ليعبروا فيه، فاستقبلهم أهله بالبَخور والطِّيب، والماء المبرّد، والسلاح الكثير، وأظهروا بهم السرور، وشيّعوهم حتّى خرجوا من المحلّة.

وخرج الشيعة، ليلة النصف منه، إلى مشهد موسى بن جعفر وغيره، فلم يعترضهم أحد من السُّنّة، فعجِب الناس لذلك، ولمّا عادوا من زيارة مُصعب لقِيهم أهل الكرْخ بالفرح والسرور، فاتّفق أنّ أهل باب المراتب انكسر فيلهم عند قنطرة باب حرب؛ فقرأ لهم قوم: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ**﴾[2]، إلى آخر السورة.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عاد منصور بن صدقة بن مَزْيد إلى باب السلطان، فتقبّله وأكرمه، وكان قد هرب، بعد قتل والده، إلى الآن، والتحق أخوه بدران بن صدقة بالأمير مودود الذي أقطعه السلطان الموصل، فأكرمه وأحسن صُحبته.

وفيها، في نيسان، زادت دجلة زيادة عظيمة، وتقطّعت الطرق، وغرقت الغلاّت الشتويّة والصيفيّة، وحدث غلاء عظيم بالعراق، بلغت كارة الدقيق الخُشْكار عشرة دنانير إماميّة، وعُدِم الخبز رأساً، وأكل الناس التمر والباقِلاّء الخضراء[3]، وأمّا أهل السواد فإنّهم لم يأكلوا جميع شهر رمضان، ونصف شوّال، سوى الحشيش والتوت.

وفيها، في رجب، عُزل وزير الخليفة أبو المعالي هبة الله بن المطّلب، ووزر له أبو القاسم عليُّ بن أبي نصر بن جَهِير[4].

وفيها، في شعبان، تزوّج الخليفة المستظهر بالله ابنة السلطان ملكشاه، وهي أخت السلطان محمّد، وكان الذي خطب خطبة النكاح القاضي أبو العلاء صاعد بن محمّد النّيسابوريُّ، الحنفيُّ، وكان المتولّي لقبول العقد نظام المُلك أحمد بن نظام المُلك،

---

(١) من (ب).
(٢) أول سورة الفيل.
(٣) في الأوربية: «الأخضر».
(٤) المنتظم ٩/ ١٥٧ (١٧/ ١١٢).

وزير السلطان، بوكالة من الخليفة، وكان الصداق مائة ألف دينار، ونُثرت الجواهر والدنانير، وكان العقد بأصبهان[١].

وفيها تولّى مجاهد الدين بهروز شِحنكيّة بغداذ، وكان سبب ذلك أنّ السلطان محمّداً[٢] كان قبض على أبي القاسم الحسين بن عبد الواحد، صاحب المخزن، وعلى أبي الفرج بن رئيس الرؤساء، واعتقلهما عنده، ثم أطلقهما الآن، وقرّر عليهما مالاً يحملانه إليه، فأرسل مجاهدَ الدين بهروزَ لقبض المال، وأمره السلطان بعمارة دار المملكة، ففعل ذلك، وعمّر الدار، وأحسن إلى الناس، فلمّا قدِم السلطان إلى بغداذ ولاّه شِحنكيّة العراق جميعه، وخلع على سعيد بن حُميد العمريّ، صاحب جيش صدقة، وولاّه الحِلّة السيفيّة، وكان صارماً، حازماً، ذا رأي وجَلَد[٣].

وفيها، في شوّال، ملك الأمير سُكمان القُطبيُّ، صاحب خِلاط، مدينة ميّافارِقين بالأمان، بعد أن حصرها وضيّق على أهلها عدّة شهور، فعدمت الأقوات بها، واشتدّ الجوع بأهلها فسلّموها[٤].

وفي هذه السنة، في صفر، قُتل قاضي أصبهان عُبيد الله بن عليّ الخطيبيُّ بهَمذان، وكان قد تجرّد، في أمر الباطنيّة، تجرّداً عظيماً، وصار يلبس درعاً حذراً منهم، (ويحتاط، ويحترز)[٥]، فقصده إنسان عجميّ، يوم جمعة، ودخل بينه وبين أصحابه فقتله.

وقُتل صاعد بن محمّد[٦] بن عبد الرحمٰن أبو العلاء قاضي نَيسابور، يوم عيد الفِطْر، قتله باطنيٌّ، وقُتل الباطنيُّ، ومولده سنة ثمانٍ وأربعين وأربعمائة، وسمع الحديث، وكان حنفيَّ المذهب[٧].

وفي هذه السنة سار قَفَل عظيم من دمشق إلى مصر، فأتى الخبر إلى ملك

---

(١) المنتظم ٩/ ١٥٩، ١٦٠ (١٧/ ١١٢)، دول الإسلام ٢/ ٣١، العبر ٤/ ٤، تاريخ الإسلام ١٤، مرآة الجنان ٣/ ١٧١، البداية والنهاية ١٢/ ١٧٠.

(٢) في الأوربية: «محمد».

(٣) المنتظم ٩/ ١٦٠ (١٧/ ١١٢).

(٤) تاريخ الفارقي ٢٧٤، ٢٧٥.

(٥) من (ب).

(٦) العبر ٤/ ٤، تاريخ الإسلام ١٤، مرآة الجنان ٣/ ١٧١، شذرات الذهب ٤/ ٤.

(٧) يبدأ هنا النقل من النسخة الباريسية رقم ٥٠٧.

الفرنج، فسار إليه وعارضه في البرّ، وأخذ كلّ من فيه، ولم يسلم منهم إلاّ القليل، ومَن سلم أخذه العرب[١].

وفيها، في فِصح النصارى، ثار جماعة من الباطنيّة في حصن شَيْزَر على حين غفلة من أهله في مائة رجل، فملكوه، وأخرجوا مَن كان فيه، وأغلقوا بابه، وصعدوا إلى القلعة فملكوها، وكان أصحابها بنو مُنقِذ قد نزلوا منها لمشاهدة عيد النصارى، وكانوا قد أحسنوا، إلى هؤلاء الذين أفسدوا، كلّ الإحسان، فبادر أهل المدينة الباشورة، فأصعدهم النساء في الحبال من الطاقات، وصاروا معهم، وأدركهم الأمراء بنو مُنقِذ أصحاب الحصن، فصعدوا إليهم، فكبّروا عليهم وقاتلوهم[٢]، فانخذل الباطنيّة، وأخذهم السيف من كلّ جانب، فلم يفلت منهم أحد، وقُتل من كان على مثل رأيهم في البلد[٣].

وفيها وصل إلى المَهديّة[٤]، (ثلاثة نفر)[٥] غرباء، فكتبوا إلى أميرها[٦] يحيى بن تميم يقولون: إنّهم يعملون الكيمياء؛ فأحضرهم عنده، وأمرهم أن يعملوا شيئاً يراه من صناعتهم، فقالوا: نعمل النقرة؛ فأحضر لهم ما طلبوا من آلة وغيرها[٧]، وقعد معهم هو والشريف (أبو الحسن)[٨]، وقائد جيشه واسمه إبراهيم، وكانا يختصّان به[٩]، فلمّا (رأى الكيماوية)[١٠] المكان خالياً (من جمع)[١١] ثاروا بهم، فضرب أحدهم يحيى بن تميم على رأسه، فوقعت السكّين في عمامته فلم تصنع شيئاً، ورفسه يحيى فألقاه على ظهره، ودخل يحيى باباً وأغلقه على نفسه، فضرب الثاني الشريفَ فقتله، وأخذ القائد إبراهيم السيف فقاتل الكيماوية[١٢]، ووقع الصوت، فدخل أصحاب الأمير يحيى فقتلوا

---

(١) تاريخ الإسلام ١٤.

(٢) في الباريسية: «وقاتلوا».

(٣) المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٢٤، دول الإسلام ٢/ ٣١، العبر ٤/ ٤، تاريخ الإسلام ١٤/ ١٥، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٩، تاريخ الخلفاء ٤٢٩.

(٤) في الباريسية زيادة: «من إفريقية».

(٥) في الباريسية: «قوم».

(٦) من الباريسية.

(٧) من الباريسية.

(٨) في الباريسية: «ابن حسن».

(٩) في الباريسية زيادة: «وكان أصحاب الكيمياء أيضاً ثلاثة».

(١٠) في الباريسية: «رأوا».

(١١) من ب.

(١٢) في الباريسية: «الكيميانية».

الكيماوية، وكان زِيّهم زِيّ أهل الأندلس، فقُتل جماعة من أهل البلد على مثل زيّهم، وقيل للأمير يحيى: إنّ هؤلاء رآهم بعض الناس عند المقدّم بن خليفة، واتّفق أنّ الأمير أبا الفتوح بن تميم، (أخا يحيى)[1]، وصل تلك الساعة إلى القصر في أصحابه وقد لبسوا السلاح، فمُنع من الدخول، فثبت عند الأمير يحيى أنّ ذلك بوضْع منهما، فأحضر المقدّم بن خليفة، وأمر أولاد أخيه فقتلوه قصاصاً، لأنّه قتل أباهم، وأخرج الأمير أبا الفتوح وزوجته بلارة بنت القاسم بن تميم، وهي ابنة عمّه، ووكّل بهما في قصر زياد بين المهديّة وسَفَاقُس، فبقي هناك إلى أن مات يحيى، وملك بعده ابنه عليّ[2] سنة تسع وخمسمائة، فسيّر أبا الفتوح وزوجته بلارة إلى ديار مصر في البحر، فوصلا إلى إسكندريّة، على ما نذكره إن شاء الله.

وفيها، في المحرّم، قُتل عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمّد أبو المحاسن الرويانيُّ[3] الطبريُّ، الفقيه الشافعيُّ، مولده سنة خمس عشرة وأربعمائة، وكان حافظاً لمذهب، ويقول: لو احترقتْ كُتُب الشافعيّ لأمليتُها من قلبي.

[الوفيات]

وفيها، في جُمادى الآخرة، توفّي الخطيب أبو زكريّاء يحيى بن عليّ التِّبريزيُّ[4]، الشيبانيُّ، اللُّغويُّ، صاحب التصانيف المشهورة، وله شِعر ليس بالجيد.

وفيها، في رجب، توفّي السيّد أبو هاشم زيد الحسيني[5]، العلويُّ، رئيس هَمذان، وكان نافذ الحكم، ماضي الأمر، وكانت مدّة رئاسته لها سبعاً[6] وأربعين سنة، وجدّه لأمّه الصاحب (أبو القاسم)[7] بن عبّاد، وكان عظيم المال جدّاً، فمن ذلك أنّه أخذ منه السلطان محمّد في دفعة واحدة سبع مائة ألف دينار لم يبعْ لأجلها ملكاً ولا

---

(١) من الباريسية.

(٢) في الباريسية: «يحيى».

(٣) انظر عن قتل الروياني في: المنتظم ٩/ ١٦٠ رقم ٢٥٩ (١٧/ ١١٣ رقم ٣٧٨١)، والعبر ٤/ ٤، ٥، وتاريخ الإسلام ١٥، ومرآة الجنان ٣/ ١٧١، وتاريخ الخميس ٢/ ٤٠٣، وشذرات الذهب ٤/ ٤.

(٤) انظر عن (التبريزي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٢ هـ.) ص ٧٣ ـ ٧٦ رقم ٦١، وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

(٥) في طبعة صادر ١٠/ ٤٧٣ «الحسني»، والتصحيح من: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٢ هـ.) ص ٥٨، ٥٩ رقم ٣٣.

(٦) في الأوربية: «سبع».

(٧) من الباريسية.

استدان ديناراً[١]، وأقام بعد ذلك بالسلطان[٢] محمّد، عدّة شهور، في جميع ما يريده، وكان قليل المعروف.

وفيها، في ذي الحجّة، توفّي أبو الفوارس الحسين[٣] بن عليّ الخازن، الكاتب المشهور بجودة الخطّ، وله شعر منه:

عـنّـتِ الـدُّنـيـا لـطـالِـبـهـا   واسـتـراحَ الـزاهـدُ الـفَـطِـنُ
عَـرفَ الـدُّنـيـا فـلـم يـرَهـا   وسِـواه[٤] حـظّـه الـفِـتَـنُ
كُـلُّ مَـلْـكٍ نـال زُخـرُفَـهـا   حـظّـهُ[٥] مـمّـا حَـوى كَـفَـنُ
يَـقْـتـنـي مـالاً ويـتـرُكُـهُ   في كـلا[٦] الـحـالَـيْـن مفتتَنُ
أمَـلـي كَـوْنـي عـلـى ثِـقـةٍ   مـن لـقـاء الـلّـه مُـرتَـهَـنُ
أكـره الـدُّنْـيـا وكـيـفَ بـهـا   والـذي تـسـخـو بـه وسَـنُ
لـم تَـدُمْ قـبـلـي عَـلـى أحـدٍ   فَـلِـمـاذا الـهـمُّ والـحَـزَنُ؟

(وقيل توفّي سنة تسعٍ وتسعين وأربعمائة، وقد ذُكر هناك)[٧].

---

(١) في (ب): «دينا».

(٢) في (ب): «عند السلطان».

(٣) في طبعة صادر ١٠/ ٤٧٤ «الحسن»، وكذا في تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٠، والمثبت عن ترجمته التي سبقت في وفيات (٤٩٩ هـ.)، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٢٤، وتاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٢ هـ.) ص ٥٧ رقم ٣١.

(٤) في الأوربية: «سواه».

(٥) في تاريخ الإسلام: «حسبه».

(٦) في الأوربية: «كلى».

(٧) من الباريسية.

٥٠٣
ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة

ذكر ملك الفرنج طرابلس وبيروت من الشام

في هذه السنة، حادي عشر ذي الحجّة، ملك الفرنج طرابلس.

وسبب ذلك: أنّ طرابلس كانت قد صارت في حكم صاحب مصر ونائبه فيها، والمدد يأتي إليها منه، وقد ذكرنا ذلك سنة إحدى وخمسمائة. فلمّا كانت هذه السنة، أوّل شعبان، وصل أسطول كبير من بلد الفرنج في البحر، ومقدّمهم قمّص كبير اسمه ريمند بن صنجيل ومراكبه مشحونة بالرجال، والسلاح، والميرة، فنزل على طرابلس، وكان نازلاً عليها قبله السرداني ابن أُخت صَنجيل، وليس بابن أُخت ريمند هذا، بل هو قمّص آخر، فجرى بينهما فتنة أدّت إلى الشرّ والقتال، فوصل طَنكري صاحب أنطاكية إليها، معونةً للسرداني، ووصل الملك بغدوين، صاحب القدس، في عسكره، فأصلح بينهم، ونزل الفرنج جميعهم على طرابلس، وشرعوا في قتالها، ومضايقة أهلها، من أوّل شعبان، وألصقوا أبراجهم بسورها، فلمّا رأى الجُند وأهل البلد ذلك سُقِط في أيديهم، وذلّت نفوسهم، وزادهم ضعفاً تأخُّر الأسطول المصريّ عنهم بالميرة والنجدة.

وكان سبب تأخّره: أنّه فرغ منه، والحثّ[١] عليه، واختلفوا فيه أكثر من[٢] سنة، وسار، فردّته الريح، فتعذّر عليهم الوصول إلى طرابلس ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

ومدَّ الفرنج القتال عليها من الأبراج والزحف، فهجموا على البلد وملكوه عَنوةً وقهراً يوم الإثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجّة من السنة، ونهبوا ما فيها،

---

(١) في (ب): «وارتجت».
(٢) في (ب): «أكثر من كل سنة».

وأسروا الرجال، وسبوا النساء والأطفال، ونهبوا الأموال، وغنموا من أهلها من الأموال، والأمتعة، وكُتُب دُور العلم الموقوفة، ما لا يُحدّ ولا يُحصى، فإنّ أهلها كانوا من أكثر أهل البلاد أموالاً وتجارة، وسلم الوالي الذي كان بها، وجماعة من جُندها كانوا التمسوا الأمان قبل فتحها، فوصلوا إلى دمشق، وعاقب الفرنج أهلها بأنواع العقوبات، وأُخذت دفائنهم وذخائرهم في مكامنهم[١].

ذكر ملك الفرنج جَبَلَة[٢] وبانياس[٣]

لمّا فرغ الفرنج من طرابلس سار طَنكري، صاحب أنطاكية، إلى بانياس، وحصرها، وافتتحها، وأمّن أهلها، ونزل مدينة جبلة[٤]، وفيها فخر المُلك بن عمّار، الذي كان صاحب طرابلس، وكان القوت فيها قليلاً، فقاتلها إلى أن ملكها في الثاني والعشرين من ذي الحجّة من السنة بالأمان، وخرج فخر المُلك بن عمّار سالماً.

ووصل، عُقَيْب ملْك طرابلس، الأسطول المصريّ بالرجال[٥]، والمال، والغلال، وغيرها، ما يكفيهم سنة، فوصل إلى صور بعد أخذها بثمانية أيّام للقضاء النازل بأهلها، وفُرّقت الغلال التي فيها والذخائر في الجهات المنفذة إليها صور، وصيدا، وبيروت.

وأمّا فخر المُلك بن عمّار فإنّه قصد شَيْزَر، فأكرمه صاحبها الأمير سلطان بن عليّ بن مُنقِذ الكِنانيُّ، واحترمه، وسأله أن يقيم عنده، فلم يفعل، وسار إلى دمشق، فأنزله طُغتِكين صاحبها، وأجزل له في الحمل والعطيّة، وأقطعه أعمال الزبداني، (وهو

---

(١) انظر عن سقوط طرابلس في: تاريخ حلب للعظيمي ٣٦٤ (٣٠)، وذيل تاريخ دمشق ١٦٣، وتاريخ الزمان ١٣٢، والأعلاق الخطيرة ج ٢ ق ١/ ١١١، وتاريخ ابن الراهب ٧٢، ٧٣، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٢٧، ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٦٤ ـ ٢٦٧، والمختصر لأبي الفداء ٢/ ٢٢٤، والدرة المضية ٤٧٢، ودول الإسلام ٢/ ٣٢، والعبر ٤/ ٦، وتاريخ الإسلام ١٦، والإعلام والتبيين ١٦ (حوادث ٥٠٠ هـ.)، ومرآة الجنان ٣/ ١٧٢، ١٧٣، والبداية والنهاية ١٢/ ١٧١، ومآثر الإنافة ٢/ ١٦ و ٢٠، ومختصر التواريخ للسلامي (مخطوط) ٢٧٧، واتعاظ الحنفا ٣/ ٤٣، ٤٤، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٧٩، ١٨٠، وشذرات الذهب ٤/ ٦، وتاريخ طرابلس ١/ ٤٣٨ ـ ٤٤٢.

(٢) في طبعة صادر ١٠/ ٤٧٦ «جبيل»، والصواب ما أثبتناه لأن جبيل كانت سقطت قبل ذلك، وابن عمار نزل جبلة وليس جبيل.

(٣) من الباريسية.

(٤) في طبعة صادر ١٠/ ٤٧٦، «جبيل» وهو غلط.

(٥) من (ب).

عمل كبير)[1] من أعمال دمشق، وكان[2] ذلك في المحرّم سنة اثنتين وخمسمائة[3].

ذكر الحرب بين محمّد خان وساغربك[4]

في هذه السنة عاد ساغربك وجمع العساكر الكثيرة من الأتراك وغيرهم وقصد أعمال محمّد خان بسمرقند وغيرها، فأرسل محمّد خان إلى سَنجَر يستنجده، فسيّر إليه الجنود، واجتمع معه أيضاً كثير من العساكر، وسار إلى ساغربك فالتقوا بنواحي الخشب واقتتلوا فانهزم ساغربك وعساكره وأخذت السيوف منهم مأخذها وكثر الأسر فيهم والنهب، فلمّا فرغوا من حربهم وأمن محمّد خان من شرّ ساغربك عاد العسكر السنجريُّ إلى خُراسان فعبروا النهر إلى بلخ.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في المحرّم، سيّر السلطان وزيره نظام المُلك أحمد بن نظام المُلك إلى قلعة أَلَمُوت لقتال الحسن بن الصَّبّاح ومَن معه من الإسماعيليّة، فحصروهم، وهجم الشتاء عليهم فعادوا ولم يبلغوا منه غرضاً[5].

وفيها، في ربيع الآخر، قدِم السلطان إلى بغداذ، وعاد عنها في شوّال من السنة أيضاً[6].

وفيها، في شعبان، توجّه الوزير نظام المُلك إلى الجامع، فوثب به الباطنيّة، فضربوه بالسكاكين، وجُرح في رقبته، فبقي مريضاً مدّةً، ثم برأ، وأُخذ الباطنيُّ الذي جرحه فسُقي الخمر حتّى سكر، ثم سُئل عن أصحابه، فأقرّ على جماعة بمسجد المأمونيّة، فأُخذوا وقُتلوا[7].

---

(١) من (ب).

(٢) من الباريسية.

(٣) تاريخ حلب ٣٦٤ (٣٠)، ذيل تاريخ دمشق ١٦٤ وفيه «جبيل» وهو غلط، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٢٨، ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٦٧، ٢٦٨، والمختصر ٢/ ٢٢٣، ودول الإسلام ٢/ ٣٢ (جبيل)، والعبر ٤/ ٦ (جبيل)، والدرّة المضية ٤٧٢ وفيه: «حلبا»، وتاريخ الإسلام ١٧، والبداية والنهاية ١٢/ ١٧١، والإعلام والتبيين ١٨ (جبيل)، وبغية الطلب (مخطوط) ٨/ ١٤٠ (جبيل)، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٨٠، وتاريخ طرابلس ١/ ٤٥٦، ٤٥٧.

(٤) في (ب): «ساغوبك».

(٥) زبدة التواريخ للحسيني ١٧٠ وفي سنة ٥٠١ هـ.، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٦٩، تاريخ الإسلام ١٧.

(٦) المنتظم ٩/ ١٦٣ (١٧/ ١١٧)، تاريخ الإسلام ١٨.

(٧) المنتظم ٩/ ١٦٣ (١٧/ ١١٧)، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٦٩، تاريخ الإسلام ١٨، البداية والنهاية ١٢/ ١٧١.

(وفيها عُزل وزير الخليفة، وهو أبو المعالي بن المطّلب، ووَزَرَ بعده الزعيم أبو القاسم بن جَهِير، فخرج ابن المطّلب من دار الخليفة مستتراً هو وأولاده واستجار بدار السلطان)[1].

وفيها جهّز يحيى بن تميم، صاحب إفريقية، خمسة عشر شينيّاً وسيّرها إلى بلاد الروم، فلقيها أسطول الروم، وهو كبير، فقاتلوهم، وأخذوا ستّ قطع من شواني المسلمين، ولم ينهزم بعد ذلك ليحيى جيش في البحر والبرّ.

وسيّر ابنَهُ أبا الفتوح إلى مدينة سَفَاقُس والياً عليها، فثار به أهلها، فنهبوا قصره، وهمّوا بقتله، فلم يزل يحيى يعمل الحيلة عليهم، حتّى فرّق كلمتهم، وبدّد شملهم، وملك رقابهم فسجنهم، وعفا عن دمائهم وذنوبهم.

[الوفيات]

وفيها توفّي الأمير إبراهيم ينّال، صاحب آمِد، وكان قبيح السيرة، مشهوراً بالظلم، فجلا كثير من أهلها لجوره، وملك بعده ولده، وكان أصلح حالاً منه[2].

وفيها، في ثامن ذي القعدة، ظهر في السماء كوكب من الشرق له ذؤآبة ممتدّة إلى القبلة، وبقي يطلع إلى آخر ذي الحجّة، ثم غاب.

---

(١) من الباريسية.

(٢) ذيل تاريخ دمشق ١٦٧، الأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ٢/ ٥١١، تاريخ الإسلام ١٨، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ٢/ ٢١١.

٥٠٤
ثم دخلت سنة أربع وخمسمائة

ذكر ملك الفرنج مدينة صيدا

في هذه السنة، في ربيع الآخر، ملك الفرنج مدينة صيدا، من ساحل الشام.

وسبب ذلك: أنّه وصل في البحر إلى الشام ستّون مركباً للفرنج مشحونة بالرجال والذخائر مع بعض ملوكهم ليحجّ البيت المقدّس (وليغزو بزعمه المسلمين)[١]، فاجتمع بهم بَغدوين ملك القدس، وتقرّرت القاعدة بينهم أن يقصدوا بلاد الإسلام، فرحلوا[٢] من القدس، ونزلوا[٣] مدينة صيدا ثالث ربيع الآخر من هذه السنة، وضايقوها برّاً وبحراً.

وكان الأسطول المصريُّ مقيماً على صور، فلم يقدر على إنجاد صيدا، فعمل الفرنج برجاً من الخشب، وأحكموه، وجعلوا عليه ما يمنع النار عنه والحجارة، وزحفوا به، فلمّا عاين أهل صيدا ذلك ضعُفت نفوسهم، وأشفقوا أن يصيبهم مثل ما أصاب أهل بيروت، فأرسلوا قاضيها ومعه جماعة من شيوخها إلى الفرنج، وطلبوا من ملكهم الأمان فأمّنهم على أنفسهم، وأموالهم، والعسكر الذي عندهم، ومَنْ أراد المقام بها[٤] عندهم أمّنوه، ومَن أراد المسير عنهم لم يمنعوه، وحلف لهم على ذلك، فخرج الموالي، وجماعة كثيرة من أعيان أهل البلد، في العشرين من جُمادى الأولى إلى دمشق، وأقام بالبلد خلق كثير تحت الأمان، وكانت مدّة الحصار سبعة وأربعين يوماً.

ورحل بغدوين عنها إلى القدس، ثم عاد إلى صيدا، بعد مدّة يسيرة، فقرّر على

---

(١) من الپاريسية.
(٢) في الأوربية: «فرحلا».
(٣) في الأوربية: «ونزلا».
(٤) في الأوربية: «به».

المسلمين الذين أقاموا بها عشرين ألف دينار، فأفقرهم، (واستغرق أموالهم)[1].

ذكر استيلاء المصريّين على عَسقلان

كانت عَسقلان للعلويّين المصريّين، ثم إنّ الخليفة الآمر بأحكام الله استعمل عليها إنساناً يُعرف بشمس الخلافة، فراسل بغدوينَ ملك الفرنج بالشام، وهادنه، وأهدى إليه مالاً وعروضاً، فامتنع به من أحكام المصريّين عليه، إلاّ فيما يريد من غير مجاهرةٍ بذلك.

فوصلت الأخبار بذلك إلى الآمر بأحكام الله، صاحب مصر، وإلى وزيره الأفضل[2]، أمير الجيوش، فعظم الأمر عليهما، وجهّز عسكراً وسيّراه إلى عسقلان مع قائد كبير من قوّاده، وأظهرا أنّه يريد الغزاة، ونفّذا إلى القائد سِرّاً أن يقبض على شمس الخلافة إذا حضر عندهم، ويقيم هو عوضه بعسقلان أميراً. فسار العسكر، فعرف شمس الخلافة الحال، فامتنع من الحضور عند العسكر المصريّ، وجاهر بالعصيان، وأخرج من كان عنده من عسكر مصر خوفاً منهم.

فلمّا عرف الأفضل ذلك خاف أن يسلّم عسقلان إلى الفرنج، فأرسل إليه وطيّب قلبه، وسكّنه، وأقرّه على عمله، وأعاد عليه إقطاعه بمصر.

ثم إنّ شمس الخلافة خاف أهل عسقلان، فأحضر جماعة من الأرمن واتّخذهم جنداً، ولم يزل على هذه الحال إلى آخر سنة أربع وخمسمائة، فأنكر الأمرَ أهلُ البلد، فوثب به قوم من أعيانه، وهو راكب، فجرحوه، فانهزم منهم إلى داره، فتبعوه وقتلوه، ونهبوا داره وجميع ما فيها، ونهبوا بعض دور غيره من أرباب الأموال بهذه الحُجّة، وأرسلوا إلى مصر بجليّة الحال إلى الآمر والأفضل، فسُرّا بذلك، وأحسنا إلى الواصلين بالبشارة، وأرسلا إليه والياً يقيم بها، ويستعمل مع أهل البلد الإحسان وحُسن السيرة، فتمّ ذلك، وزال ما كانوا يخافونه[3].

---

(١) من (ب). وانظر عن سقوط صيدا في: تاريخ حلب ٣٦٥ (٣٠)، وذيل تاريخ دمشق ١٧١ (٥٠٣ هـ.)، ونهاية الأرب ٢٦٨/٢٨، ٢٦٩، والمختصر ٢/ ٢٢٤، والدرة المضية ٤٧٤، ودول الإسلام ٢/ ٣٢، وتاريخ الإسلام ١٩، والعبر ٧/٤، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٠، والإعلام والتبيين ١٩، والبداية والنهاية ١٧٢/١٢، ومآثر الإنافة ١٦/٢، وإتعاظ الحنفا ٤٥/٣، ٤٦، وشذرات الذهب ٧/٤، وأخبار الأعيان في جبل لبنان ٥٠٧/٢، وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية ٢٧٩ ـ ٢٨٢، وفيه مصادر أخرى.

(٢) في (ب) زيادة: «ابن».

(٣) ذيل تاريخ دمشق ١٧٢، دول الإسلام ٣٢/٢، تاريخ الإسلام ١٩، ٢٠، إتعاظ الحنفا ٥٠/٣، ٥١ (٥٠٦ هـ.).

ذكر ملك الفرنج حصن الأثارب وغيره

في هذه السنة جمع صاحب أنطاكية عساكره من الفرنج، وحشد الفارس والراجل، وسار نحو حصن الأثارب، وهو بالقرب من مدينة حلب بينهما ثلاثة فراسخ، وحصره، ومنع عنه الميرة، فضاق الأمر على مَن به من المسلمين، فنقبوا من القلعة نقباً، قصدوا أن يخرجوا منه إلى خيمة صاحب أنطاكية فيقتلوه، فلمّا فعلوا ذلك وقربوا من خيمته استأمن إليه صبيّ أرمنيّ، فعرّفه الحال، فاحتاط، واحترز منهم، وجدّ في قتالهم، حتّى ملك الحصن قهراً وعنوةً، وقتل من أهله ألفَيْ رجل، وسبى[1] وأسر الباقين.

ثم سار إلى حصن زَرْدَنا، فحصره، ففتحه، وفعل بأهله مثل الأثارب، فلمّا سمع أهل مَنبِج بذلك فارقوها خوفاً من الفرنج، وكذلك أهل بَالِس، وقصد الفرنج البلدَيْن فرأوهما وليس بهما أنيسٌ، فعادوا عنهما[2].

وسار عسكر من الفرنج إلى مدينة صيدا، فطلب أهلها منهم الأمان، فأمّنوهم وتسلّموا البلد، فعظُم خوف المسلمين منهم، وبلغت القلوب الحناجر، وأيقنوا باستيلاء الفرنج على سائر الشام لعدم الحامي له والمانع عنه، فشرع أصحاب البلاد الإسلامية بالشام في الهدنة معهم، فامتنع الفرنج من الإجابة إلاّ على قطيعةٍ يأخذونها إلى مدّة يسيرة، فصالحهم الملك رضوان، صاحب حلب، على اثنين وثلاثين ألف دينار، وغيرها من الخيول والثياب، وصالحهم صاحب صور على سبعة آلاف دينار، وصالحهم ابن مُنقذ، صاحب شَيْزر، على أربعة آلاف دينار، وصالحهم عليّ الكرديُّ، صاحب حماة، على ألفَيْ دينار[3]، وكانت مدّة الهدنة إلى وقت إدراك الغلّة وحصادها[4].

ثم إنّ مراكب أقلعت من ديار مصر، فيها التجّار ومعهم الأمتعة الكثيرة، فوقع عليها مراكب الفرنج، فأخذوها، وغنموا ما مع التجّار، وأسروهم، فسار جماعة من أهل حلب إلى بغداذ، مستنفرين على الفرنج. فلمّا وردوا بغداذ اجتمع معهم خلق كثير

---

(١) في الأوربية: «وسبا».

(٢) في الأوربية: «عنها»، والخبر في: نهاية الأرب ٢٨/٢٦٩، والمختصر في أخبار البشر ٢/٢٢٤، وتاريخ الإسلام ٢٠.

(٣) قال الذهبي ـ رحمه الله ـ وكانت حماه صغيرة جداً. ص ٢٠.

(٤) تاريخ الزمان ١٣٢، ونهاية الأرب ٢٨/٢٦٩، ٢٧٠ والمختصر ٢/٢٢٤، ٢٥٥، ودول الإسلام ٢/٣٣، وتاريخ الإسلام ٢٠، والإعلام والتبيين ١٩، ٢٠، وتاريخ ابن الوردي، ٢/٢٠، ومآثر الإنافة ٢/١٦، وإتعاظ الحنفا ٣/٤٦، وتاريخ الخلفاء ٤٢٩، ولبنان من السيادة الفاطمية ٢٨٧.

من الفقهاء وغيرهم فقصدوا جامع[1] السلطان، واستغاثوا، ومنعوا من الصلاة، وكسروا المنبر، فوعدهم السلطان بإنفاذ العساكر للجهاد، وسيّر من دار الخلافة مِنبراً إلى جامع السلطان. فلمّا كان الجمعة الثانية قصدوا جامع القصر بدار الخلافة، ومعهم أهل بغداذ، فمنعهم حاجب الباب من الدخول، فغلبوه على ذلك، ودخلوا الجامع، وكسروا شبّاك المقصورة، وهجموا[2] إلى المنبر فكسروه، وبَطَلت الجمعة أيضاً، فأرسل الخليفة إلى السلطان في المعنى يأمره بالاهتمام بهذا الفتق ورَتْقه[3]، فتقدّم حينئذ إلى من معه من الأمراء بالمسير إلى بلادهم، والتجهّز للجهاد، وسيّر ولدَهُ الملك مسعوداً[4] مع الأمير مودود، صاحب الموصل، وتقدّموا إلى الموصِل ليلحق بهم الأمراء ويسيروا[5] إلى قتال الفرنج، وانقضت السنة، وساروا في سنة خمسٍ وخمسمائة[6]، (وكان ما نذكره إن شاء الله تعالىٰ)[7].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عُزل نظام المُلك أحمد من وزارة السلطان، ووزر بعده الخطير محمّد بن الحسين المَيْبُذيُّ[8].

وفيها ورد رسول ملك الروم (إلى السلطان)[9] يستنفره على الفرنج، ويحثّه على قتالهم ودَفْعهم عن البلاد، وكان وصوله قبل وصول أهل حلب، وكان أهل حلب يقولون للسلطان: أما تتّقي الله تعالىٰ أن يكون ملك الروم أكثر حميّة منك للإسلام، حتّى قد أرسل إليك في جهادهم!

وفيها، في رمضان، زُفّت ابنة السلطان ملكشاه إلى الخليفة، وزُيّنت بغداذ

---

(١) من (ب).

(٢) في (ب): «ودخلوا».

(٣) في الأوربية: «ورفعه».

(٤) في الأوربية: «مسعود».

(٥) في الأوربية: «ويسيرون».

(٦) المنتظم ٩/ ١٦٥ (١٧/ ١٢٠)، تاريخ الزمان ١٣٣، زبدة الحلب ٢/ ١٥٨، بغية الطلب (تراجم السلاجقة) ١٤٦، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٣٤، دول الإسلام ٢/ ٣٣، تاريخ الإسلام ٢١، العبر ٤/ ٧، الإعلام والتبيين ٢٠، البداية والنهاية ١٢/ ١٧٢.

(٧) من (ب).

(٨) زبدة التواريخ ١٧٣، تاريخ دولة آل سلجوق ٩٩، تاريخ الإسلام ٢١.

(٩) من (ب).

وغُلّقتْ[1]، وكان بها فرحة عظيمة لم يشاهد الناس مثلها[2].

(وفيها هبّت بمصر ريح سوداء أظلمت بها الدنيا، وأخذت بأنفاس الناس، ولم يقدر أحد [أن] يفتح عينَيْه، ومَنْ فتحهما[3] لا يبصر يده، ونزل على الناس رمل، ويئس الناس من الحياة، وأيقنوا بالهلاك، ثم تجلّى[4] قليلاً، وعاد إلى الصفوة، وكان ذلك من أوّل وقت العصر إلى بعد المغرب)[5].

[الوفيات]

وفيها، (في المحرّم)[6]، توفّي إلكِيا الهرّاس[7] الطبريُّ واسمه (أبو الحسن)[8] عليُّ بن محمّد بن عليّ، وكان من أعيان الفقهاء الشافعيّة، أخذ الفقه عن إمام الحرمَيْن الجوينيّ، ودرّس بعده في النظاميّة ببغداذ، وتوفّي بها، ودُفن عند تربة الشيخ أبي إسحاق، ودرّس بعده في النظاميّة الإمام أبو بكر الشاشيُّ.

وفيها توفّي أبو الحسن إدريس بن حمزة[9] بن عليّ الرمليُّ الفقيه الشافعيُّ من أهل الرملة بفلسطين، تفقّه على أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسيّ، وعلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازيّ، ودخل خُراسان ووليَ التدريس بسمرقند، فتوفّي بها.

---

(١) في الأوربية: «وغُلّقت».

(٢) المنتظم ٩/ ١٦٥، ١٦٦ (١٧/ ١٢٠)، زبدة التواريخ ١٧١، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٣٤، دول الإسلام ٢/ ٣٣، تاريخ الإسلام ٢١، البداية والنهاية ١٢/ ١٧٢، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٠٠.

(٣) في الأوربية: «فتحها».

(٤) في الأوربية: «تجلاّ».

(٥) الخبر ما بين القوسين من الباريسية، وهو في: مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٣٥، وأخبار الدول المنقطعة ٩٠، وفيه: «وكانت مدة هذه الشدّة منذ صلاة العصر إلى صلاة المغرب في سنة أربع وخمسين»، وهذا وهم، والصحيح: «أربع وخمسمائة»، والدرّة المضية ٤٧٤، ٤٧٥، وتاريخ الإسلام ٢١، واتعاظ الحنفا ٣/ ٤٧، وتاريخ الخلفاء ٤٢٩، ٤٣٠.

(٦) من الباريسية.

(٧) انظر عن (إلكيا الهراس) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٤ هـ.) ص ٩٢ ـ ٩٥ رقم ٨٨، وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

(٨) من الباريسية.

(٩) انظر عن (إدريس بن حمزة) في: المنتظم ٩/ ١٢١ رقم ٣٧٩٣، والبداية والنهاية ١٢/ ١٧١، وفيه «أبو الحسن الشاشي». وفي طبعة صادر ١٠/ ٤٨٤، «أبو الحسين» والمثبت عن المصدرين.

٥٠٥
ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة

ذكر مسير العساكر إلى قتال الفرنج

في هذه السنة اجتمعت العساكر التي أمرها السلطان بالمسير إلى قتال الفرنج، فكانوا: الأمير مودود، صاحب الموصل، والأمير سُكمان القُطبيّ، صاحب تِبريز وبعض ديار بكر، والأميرين[١] إيلبكي وزنكي ابني[٢] بُرسق، ولهما هَمَذان وما جاورها، والأمير أحمديل، وله مَراغة، وكوتب الأمير أبو الهيجاء، صاحب إربل، والأمير إيلغازي، صاحب ماردين، والأمراء البكجيّة، باللّحاق بالملك مسعود، ومودود، فاجتمعوا، ما عدا الأمير إيلغازي فإنّه سيّر ولده إياز وأقام هو، فلما اجتمعوا ساروا إلى بلد سنجار[٣]، ففتحوا عدة حصون للفرنج، وقُتل من بها منهم، وحصروا مدينة الرُّها مدّةً، ثم رحلوا عنها من غير أن يملكوها.

(وكان سبب رحيلهم عنها أنّ الفرنج اجتمعت جميعها، فارسها وراجلها، وساروا إلى الفرات ليعبروه ليمنعوا الرُّها من المسلمين، فلمّا وصلوا إلى الفرات بلغهم كثرة المسلمين، فلم يقدموا عليه، وأقاموا على الفرات، فلمّا رأى المسلمون ذلك رحلوا عن الرُّها إلى حَرّانَ ليطمع الفرنج ويعبروا الفرات إليهم ويقاتلوهم. فلمّا رحلوا عنها جاء الفرنج، ومعهم المِيرة والذخائر، إلى الرُّها، فجعلوا فيها كلَّ ما[٤] يحتاجون إليه، بعد أن كانت قليلة المِيرة، وقد أشرفت على أن تُؤخَذ[٥]، وأخذوا كلّ من فيه عَجْز وضَعْف

(١) في الأوربية: «والأمير».
(٢) في الأوربية: «ابنا».
(٣) في الباريسية: «الساحل».
(٤) في الأوربية: «كلّما».
(٥) في الأوربية: «يؤخذوا».

وفقر، وعادوا إلى الفرات فعبروه إلى الجانب الشاميّ، وطرقوا أعمال حلب، فأفسدوا ما فيها، ونهبوها، وقتلوا فيها وأسروا، وسبوا خلقاً كثيراً.

وكان سبب ذلك أنّ الفرنج لمّا عبروا إلى الجزيرة خرج الملك رضوان، صاحب حلب، إلى ما أخذه الفرنج من أعمالها، فاستعاد بعضه، ونهب منهم وقتل، فلمّا عادوا وعبروا الفرات فعلوا بأعماله ما فعلوا.

وأمّا العسكر السلطانيّ فلمّا سمعوا بِعَوْد الفرنج وعبورهم الفرات، رحلوا إلى الرُّها وحصروها، فرأوا أمراً مُحْكَماً، قد قويت نفوس أهلها بالذخائر التي تُركت عندهم، وبكثرة المقاتلين عنهم، ولم يجدوا فيها مطمعاً، فرحلوا عنها[1] وعبروا الفرات، فحصروا قلعة تَلّ باشِر خمسة وأربعين يوماً، ورحلوا عنها ولم يبلغوا غرضاً.

ووصلوا إلى حلب، فأغلق الملك رضوان أبواب البلد، ولم يجتمع بهم، ثم مرض هناك الأمير سُكمان القُطبيُّ، فعاد مريضاً، فتوفّي في بالِسَ، فجعله أصحابه في تابوت، وحملوه عائدين إلى بلاده، فقصدهم إيلغازي ليأخذهم، ويغنم ما معهم، فجعلوا تابوته في القلب، وقاتلوا بين يدَيْه، فانهزم إيلغازي، وغنموا ما معه، وساروا إلى بلادهم[2].

ولمّا أغلق الملك رضوان أبواب حلب، ولم يجتمع بالعساكر السلطانيّة، رحلوا إلى مَعَرّة النعمان، واجتمع بهم طُغتِكين، صاحب دمشق، ونزل على الأمير مودود، فاطّلع من الأمراء على نيّاتٍ فاسدة في حقّه، فخاف أن تؤخذ منه دمشق، فشرع في مهادنة الفرنج سرّاً وكانوا قد نكلوا عن قتال المسلمين، فلم يتمّ ذلك، وتفرّقت العساكر.

وكان سبب تفرّقهم أنّ الأمير (بُرسق بن)[3] برسق الذي هو أكبر الأمراء كان به نِقرِس، فهو يُحمَل في محفّة، ومات سُكمان القطبيّ، كما ذكرنا، وأراد الأمير أحمديل، صاحب مرَاغة، العَود[4]، ليطلب من السلطان أن يُقطعه ما كان لسُكمان من

---

(١) من الباريسية، وفيها عبارة: «وكان سبب الخ».

(٢) تاريخ حلب ٣٦٥ (٣١)، زبدة الحلب ٢/١٥٨، ١٥٩، بغية الطلب (تراجم السلاجقة) ١٤٧، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/٣٥، ٣٦، دول الإسلام ٢/٣٣، العبر ٤/٩، تاريخ ابن الوردي ٢/٢١، مرآة الجنان ٣/١٧٧.

(٣) من الباريسية.

(٤) في (ب): «الغدر».

البلاد، وأتابك طُغتِكين، صاحب دمشق، خاف الأمراء على نفسه، فلم ينصحهم، إلاّ أنّه حصل بينه وبين مودود، صاحب الموصل، مودّة وصداقة، فتفرّقوا لهذه الأسباب، وبقي مودود وطُغتِكين بالمَعَرَّة، فساروا منها، ونزلوا على نهر العاصي.

ولمّا سمع الفرنج بتفرّق عساكر الإسلام طمعوا، وكانوا قد اجتمعوا كلّهم[١]، بعد الاختلاف والتباين، وساروا إلى أفامية[٢]، فسمع بهم سُلطان بن مُنقذ، صاحب شَيْزر، فسار إلى مودود وطُغتِكين، وهوّن عليهما أمر الفرنج، وحرّضهما على الجهاد، فرحلوا إلى شَيْزَر، ونزلوا عليها، ونزل الفرنج بالقرب منهم، فضيّق عليهم عسكر المسلمين الميرة، ولزّوهم[٣] بالقتال، والفرنج يحفظون نفوسهم، ولا يعطون مصافاً، فلمّا رأوا قوّة المسلمين عادوا إلى أفامية[٤] وتبعهم المسلمون، فتخطّفوا من أدركوه في ساقتهم وعادوا إلى شَيْزَر في ربيع الأوّل[٥].

ذكر حصر الفرنج مدينة صور

لمّا تفرّقت العساكر اجتمعت الفرنج على قصد مدينة صور وحصْرها، فساروا إليها مع الملك بَغدوين[٦]، صاحب القدس، وحشدوا، وجمعوا، ونازلوها وحصروها في الخامس والعشرين من جُمادى الأولى، وعملوا عليها ثلاثة أبراج خشب، عُلُوّ البرج سبعون ذراعاً، وفي كلّ برج ألف رجل، ونصبوا عليها المجانيق، وألصقوا (أحدها إلى)[٧] سور البلد، وأخلوه من الرجال.

وكانت صور للآمر بأحكام الله العلويّ ونائبه بها عزّ المُلك الأعزّ، فأحضر أهل البلد، واستشارهم في حيلةٍ يدفعون بها شرّ الأبراج عنهم، فقام شيخ من أهل طرابلس وضمن على نفسه إحراقها وأخذ معه ألف رجل بالسلاح التامّ، ومع كلّ رجل منهم حُزمة حطب، فقاتلوا الفرنج إلى أن وصلوا إلى البرج الملتصق بالمدينة، فألقى الحطب من جهاته، وألقى فيه النار، ثم خاف أن يشتغل الفرنج (الذين في البرج)[٨] بإطفاء

---

(١) من (ب).
(٢) في الأوربية: «فامية».
(٣) في الأوربية: «ولذوهم».
(٤) في الأوربية: «فامية».
(٥) المصادر السابقة.
(٦) في (ب): «بردويل»، وفي الباريسية: «بردوين».
(٧) من (ب).
(٨) من (ب).

النار، ويتخلّصوا، فرماهم بجُرب[1] كان قد أعدّها، مملوءةٍ من العُذرة، فلمّا سقطت عليهم اشتغلوا بها وبما نالهم من سوء الرائحة والتلويث، فتمكّنت النار منه، فهلك كلّ من به، إلاّ القليل، وأخذ منه المسلمون ما قدروا عليه بالكلاليب، ثم أخذ سلال العنب الكبار، وترك فيها الحطب الذي قد سقاه بالنفط، والزفت، والكتّان، والكبريت، ورماهم بسبعين[2] سلّة، وأحرق البرجَيْن الآخرين.

ثم إنّ أهل صور حفروا سراديب تحت الأرض ليسقط فيها الفرنج إذا زحفوا إليهم، ولينخسف برج إن عملوه وسيّروه إليهم، فاستأمن نفر من المسلمين إلى الفرنج، وأعلموهم بما عملوه، فحذروا منها[3].

وأرسل أهل البلد إلى أتابك طُغتِكين، صاحب دمشق، يستنجدونه، ويطلبونه ليسلّموا البلد إليه، فسار في عساكره إلى نواحي بانياس، وسيّر إليهم نجدة مائتَيْ فارس، فدخلوا البلد، فامتنع مَن فيه بهم، واشتدّ قتال الفرنج خوفاً من اتّصال النجدات، ففني نشّاب الأتراك، فقاتلوا بالخشب، وفني النِفط، فظفروا بسَرَب تحت الأرض فيه نفط لا يُعلم مَنْ خَزَنَهُ.

ثم إنّ عزّ الملك، صاحب صور، أرسل الأموال إلى طُغتِكين ليكثر من[4] الرجال، ويقصدهم ليملك البلد، فأرسل طُغتِكين طائراً فيه رقعة ليُعْلِمه وصولَ المال، ويأمره أن يقيم مركباً بمكان ذكره لتجيء الرجال إليه، فسقط الطائر على مركب الفرنج، فأخذه رجلان: مسلم وفرنجيّ، فقال الفرنجيّ: نطلقه[5] لعلّ فيه فَرَجاً لهم؛ لم يمكّنه المسلم، وحمله إلى الملك بغدوين، فلمّا وقف عليه سيّر مركباً إلى المكان الذي ذكره طُغتِكين، وفيه جماعة من المسلمين الذين استأمنوا إليه من صور، فوصل إليهم العسكر، فكلّموهم بالعربيّة، فلم يُنكروهم، وركبوا معهم، فأخذوهم أَسْرى، وحملوهم إلى الفرنج، فقتلوهم وطمعوا في أهل صور، فكان طغتكين يُغير على أعمال الفرنج من جميع جهاتها، وقصد حصن الحبيس في السواد، من أعمال دمشق، وهو للفرنج،

---

(١) في الأوربية: «بجراب».

(٢) في الأوربية: «سبعين».

(٣) ذيل تاريخ دمشق ١٧٩ ـ ١٨١، الأعلاق الخطيرة ٢/ ١٦٧، ١٦٨ مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٣٨، ٣٩، نهاية الأرب ٢٨/ ٢٧٠، ٢٧١، تاريخ الإسلام ٢٣، ٢٤، البداية والنهاية ١٢/ ١٧٣، عيون التواريخ ١٢/ ٢، النجوم الزاهرة ٥/ ١٨٠ ـ ١٨٢، لبنان من السيادة الفاطمية ٢٩٠ ـ ٢٩٦.

(٤) في (ب) زيادة: «تجنيد».

(٥) في (ب): «نرسله».

فحصره، وملكه بالسيف، وقتل كلَّ من فيه، وعاد إلى الفرنج الذين على صور.

وكان يقطع الميرة عنهم في البرّ، فأحضروها في البحر، وخندقوا عليهم، ولم يخرجوا إليه، فسار إلى صيدا، وأغار على ظاهرها، فقتل جماعة من البحريّة، وأحرق نحو عشرين مركباً على الساحل، وهو مع ذلك يواصل أهلَ صور بالكتب يأمرهم بالصَّبر والفرنج يلازمون قتالهم، وقتال أهلُ صور قتالَ مَنْ أيِس من الحياة، فدام القتالُ إلى أوان إدراك الغلاّت، فخاف الفرنج أنّ طُغتِكين يستولي على غلاّت[1] بلادهم، فساروا عن البلد، عاشر شوّال، إلى عكّة، وعاد عسكر طُغتِكين إليه، وأعطاهم أهل صور الأموال وغيرها، ثم أصلحوا ما تشعّث من سورها وخندقها، وكان الفرنج قد طمّوه[2].

ذكر انهزام الفرنج بالأندلس

في هذه السنة خرج أذفونش الفرنجيُّ، صاحب طُلَيْطُلة بالأندلس، إلى بلاد الإسلام بها، يطلب ملكها، والإستيلاء عليها، وجمع وحشد فأكثر، وكان قد قوي طمعه فيها بسبب موت أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، فسمع أمير المسلمين عليُّ بن يوسف بن تاشفين الخبر، فسار إليه في عساكره[3] وجموعه، فلقيه، فاقتتلوا، واشتدّ القتال، وكان الظفر للمسلمين، وانهزم الفرنج، وقُتلوا قتلاً ذريعاً، وأُسر منهم بشر كثير، وسبى منهم، وغنم من أموالهم ما يخرج من الإحصاء، فخافه الفرنج، بعد ذلك، وامتنعوا من قصد بلاده، وذلَّ أذفونش حينئذٍ وعلم أنّ في البلاد حامياً لها، وذابّاً عنها[4].

[الوفيات]

وفي هذه السنة، (في جمادى الآخرة)[5]، توفّي الإمام أبو حامد محمّد بن محمّد بن محمّد الغزاليُّ[6]، الإمام المشهور.

---

(١) في (ب): «غلال».

(٢) ذيل تاريخ دمشق ١٧٩، مرآة الزمان ج ٨ ق ٣٩/١، نهاية الأرب ٢٨/ ٢٧٠ ـ ٢٧١، البداية والنهاية ١٢/ ١٧٣، النجوم الزاهرة ١٨١/٥ ـ ١٨٣، تاريخ الإسلام ٢٤، ٢٥.

(٣) في الأوربية: «عساكرها».

(٤) تاريخ الإسلام ٢٥، دول الإسلام ٢/ ٣٣، ٣٤، العبر ٩/٤، مرآة الجنان ٣/ ١٧٧.

(٥) من (ب).

(٦) انظر عن (الإمام الغزالي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٥ هـ.) ص ١١٥ ـ ١٢٦ رقم ١٢٢، وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

٥٠٦
ثم دخلت سنة ست وخمسمائة

[ذكر عدّة حوادث]

في هذه السنة، (في المحرّم)[1]، سار مودود، صاحب الموصل، إلى الرُّها، فنزل عليها، ورعى[2] عسكره زروعها، ورحل عنها إلى سَروج، وفعل بها كذلك وأهمل الفرنج، ولم يحترز منهم، فلم يشعر إلاّ وجوسلين، صاحبُ تلّ باشر، قد كبسهم، وكانت دوابّ العسكر منتشرة في المرعى، فأخذ الفرنج كثيراً منها، وقتلوا كثيراً من العسكر، فلمّا تأهّب المسلمون للقائه، عاد عنهم إلى سَروج.

وفيها رحل السلطان محمّد من بغداذ، وكان مُقامه هذه المرّة خمسة أشهر، فلمّا وصل إلى أصبهان قبض على زين الملك أبي سعد القُمّيّ، وسلّمه إلى الأمير كاميار لعداوةٍ بينهما، فلمّا وصل إلى الرَّيّ أركبه كاميار على دابّة بمركب ذهب، وأظهر أنّ السلطان خلع عليه على مالٍ قرّره عليه، فحصّل بذلك مالاً كثيراً من أهل القُمّيّ، ثم صلبه؛ وكان سبب قبضه أنّه كان يُكثر الطعن على الخليفة والسلطان.

وفيها كان ببغداذ رجل مغربيٌّ يعمل الكيمياء، بزعمه، اسمه أبو عليّ، فحُمل إلى دار الخلافة، وكان آخر العهد به[3].

وفيها ورد إلى بغداذ يوسف بن أيّوب الهمذانيُّ، الواعظ، وكان من الزهّاد العابدين، فوعظ الناس بها، فقام إليه رجل متفقّه، يقال له ابن السقّاء، فآذاه في مسألةٍ، وعاوده، فقال له: اجلس، فإنّي أجد من كلامك رائحة الكفر، ولعلّك تموت على غير دين الإسلام؛ فاتّفق بعد مُدَيْدة أنّ ابن السقّاء خرج إلى بلاد الروم، وتنصّر[4].

---

(١) من (ب).
(٢) في الأوربية: «ورعا».
(٣) المنتظم ١٧/١٢٨.
(٤) المنتظم ١٧/١٢٨.

وفيها، في ذي القعدة، سُمع ببغداذ صوت هدّةٍ عظيمة، ولم يكن بالسماء غيم حتّى يُظنّ أنّه صوت رعد، ولم يعلم أحد أيّ صوت كان.

وفيها توفي بسيل[1] الأرمنيّ، صاحب (الدروب، ببلاد)[2] ابن لاون، فسار طَنكري، صاحب أنطاكية، أوّل جمادى الآخرة، إلى بلاده طمعاً في أن يملكها، فمرض في طريقه، فعاد إلى أنطاكية، فمات ثامن جُمادى [الآخرة]، وملكها بعده ابن أُخته سَرْخالة[3]، واستقام الأمر فيها، بعد أن جرى بين الفرنج خُلْف[4] بسببه، فأصلح بينهم القسوس والرُّهبان[5].

وفيها توفّي قراجة[6]، صاحب حمص، وكان ظالماً، وقام ولده قرجان[7] مكانه، وكان مثله[8] في قبح السيرة.

[الوفيات]

وفي هذه السنة توفّي المعمّر[9] بن عليّ أبو سعد بن أبي عمامة الواعظ البغداذيُّ، ومولده سنة تسع وعشرين وأربعمائة؛ (وكان له خاطر حادّ، ومجُون حَسَن، وكان الغالب على وعظه أخبار الصالحين)[10].

وتوفّي أحمد بن الفَرَج بن عمر الدّينَوريُّ[11]، والد شُهدة، وكان يروي عن أبي يَعْلَى بن الفرّاء، وابن المأمون، وابن المهتدي، وابن النُّقور، وغيرهم، وكان حَسَن السيرة متزهّداً.

---

(١) في (ب): «الأمير».
(٢) في الباريسية: «البلاد».
(٣) في (ب): «سرخال»، وكذا في دول الإسلام ٢/ ٣٤.
(٤) من الباريسية.
(٥) المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٢٦، دول الإسلام ٢/ ٣٤، تاريخ الإسلام ٢٦، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢١.
(٦) في طبعة صادر ١٠/ ٤٩٣: «قراجة»، والمثبت من: المختصر ٢/ ٢٢٦، وتاريخ الإسلام ٢٦، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢١، ونسختي: (ب) وبودليان.
(٧) تصحف في الباريسية إلى: «حبرخان»، و(ب): «حبرخان»، وبودليان: «حبرجانِ»، ورقة ٥٠٨ و ٥١٧.
(٨) في الأوربية: «قبله».
(٩) انظر عن (المعمّر) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٦ هـ.) ص ١٥٠ رقم ١٦٥، وفيه مصادر ترجمته.
(١٠) من (ب).
(١١) انظر عن (الدينَوَري) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٦ هـ.) ص ١٣٢ رقم ١٢٦، وفيه مصادر ترجمته

وتوفّي أبو العلاء صاعد بن منصور[1] بن إسماعيل بن صاعد، الخطيب النَّيسابوريُّ، وكان من أعيان الفقهاء، ووليَ قضاء خُوارزم، وكان يروي الحديث.

(١) انظر عن (صاعد بن منصور) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٦ هـ.) ص ١٤٠، ١٤١ رقم ١٤٨، وفيه مصادر ترجمته.

٥٠٧
ثم دخلت سنة سبع وخمسمائة

ذكر قتال الفرنج وانهزامهم وقتل مودود

في هذه السنة، في المحرّم، اجتمع المسلمون، وفيهم الأمير مودود بن ألْتُونتِكين، صاحب الموصل، وتَمِيرك، صاحب سِنجار، والأمير إياز بن إيلغازي، وطُغتِكين، صاحب دمشق[١].

وكان سبب (اجتماع المسلمين)[٢] أنّ ملك الفرنج بغدوين[٣] تابع الغارات على بلد دمشق، (ونهبه، وخرّبه)[٤]، أواخر سنة ستّ وخمسمائة، وانقطعت الموادّ عن دمشق[٥]، فغلت الأسعار (فيها، وقلّت الأقوات)[٦]، فأرسل طُغتِكين صاحبها إلى الأمير مودود يشرح له الحال، ويستنجده[٧]، ويحثّه على سرعة[٨] الوصول إليه، فجمع عسكراً، وسار فعبر الفرات آخر ذي القعدة سنة ستّ وخمسمائة، فخافه الفرنج.

وسمع طُغتِكين خبره، فسار إليه، ولقيه بسَلَميّة، واتّفق رأيهم على قصد بغدوين، ملك القدس، فساروا إلى الأردنّ، فنزل المسلمون عند الأقحوانة ونزل الفرنج مع

---

(١) زاد في (ب): ودخلوا بلاد الفرنج مع مودود وجمع الفرنج مع بغدوين ملك القدس وجوسلين صاحب جيشهم وغيرهما من المقدمين.
(٢) في الباريسية: «اجتماعهم».
(٣) في (ب): «ملك القدس».
(٤) من (ب).
(٥) في (ب): «بدمشق».
(٦) من الباريسية.
(٧) من الباريسية.
(٨) من (ب).

ملكهم بغدوين وجوسلين، صاحب جيشهم، وغيرهما من المقدّمين، والفرسان المشهورين؛ ودخلوا بلاد الفرنج مع مودود، وجمع الفرنج، فالتقوا عند طَبَرِيّة ثالث عشر المحرّم، واشتدّ القتال، وصبر الفريقان، ثم إنّ الفرنج انهزموا، وكثُر القتل فيهم والأسر، وممّن أُسر ملكهم بغدوين، فلم يُعْرَفْ، فأُخذ سلاحه وأُطلق فنجا، وغرق منهم في بحيرة طَبَرِيّة ونهر الأردنّ كثير، وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم، ووصل الفرنج إلى مضيق دون طَبَرِيّة، فلقيهم عسكر طرابلس وأنطاكية، فقويت نفوسهم بهم، وعاودوا الحرب، فأحاط بهم المسلمون من كلّ ناحية، وصعد الفرنج إلى جبل غرب طَبَرِيّة، فأقاموا به ستّة وعشرين يوماً، والمسلمون بإزائهم يرمونهم بالنشّاب فيصيبون من يقرب منهم، ومنعوا[١] المِيرة عنهم لعلّهم يخرجون إلى قتالهم، فلم يخرج منهم أحد، فسار المسلمون إلى بَيْسان، ونهبوا بلاد الفرنج بين عكّا إلى القدس، وخرّبوها، وقتلوا من ظفروا به من النصارى، وانقطعت المادّة عنهم لبعدهم عن بلادهم، فعادوا ونزلوا[٢] بمرج الصُّفّر[٣].

وأذِن الأمير مودود للعساكر في العَود والاستراحة، ثم الاجتماع في الربيع لمعاودة الغزاة، وبقي في خواصّه، ودخل دمشق في الحادي والعشرين من ربيع الأوّل ليقيم عند طُغتِكين إلى الربيع. فدخل الجامع يوم الجمعة في ربيع الأوّل، ليصلّي فيه وطُغتِكين، فلمّا فرغوا من الصّلاة، وخرج إلى صحن الجامع، ويده في يد طُغتِكين، وثب[٤] عليه باطنيّ فضربه فجرحه أربع جراحات وقُتل الباطنيُّ، وأُخذ رأسه، فلم يعرفه أحد، فأُحرق.

وكان صائماً، فَحُمل إلى دار طُغتِكين، واجتهد به ليفطر، فلم يفعل، وقال: لا لقيتُ الله إلاّ صائماً؛ فمات من يومه، رحمه الله، فقيل إنّ الباطنيّة بالشام خافوه وقتلوه، وقيل بل خافه طُغتكِين فوضع عليه من قتله.

وكان خيّراً، عادلاً، كثير الخير؛ حدّثني والدي قال: كتب ملك الفرنج إلى طُغتكِين، بعد قتل مودود، كتاباً من فصوله[٥]: أنّ أمّة قتلت عميدها، يوم عيدها، في بيت معبودها، لَحَقيقٌ على الله أن يبيدها.

---

(١) في الأصل: «منعوه».

(٢) في الأوربية: «ونزل».

(٣) التاريخ الباهر ١٩، العبر ٤/ ١٢، تاريخ الإسلام ٢٧، ٢٨، الإعلام والتبيين ٢٦.

(٤) في الأوربية: «فوثب».

(٥) في الأوربية: «فضوله».

ولمّا قُتل تسلّم تميرك، صاحب سنجار، ما معه من الخزائن والسلاح وحملها إلى السلطان، ودُفن مودود بدمشق في تربة دُقاق صاحبها، وحُمل بعد ذلك إلى بغداذ، فدُفن في جوار أبي حنيفة، ثم حُمل إلى أصبهان[١].

ذكر الخُلف بين السلطان سَنْجَر ومحمّد خان والصلح بينهما

في هذه السنة كثُر الحديث عند سَنجَر: أنّ محمّد خان بن سليمان بن داود قد مدّ يده إلى أموال الرعايا، وظلمهم ظلماً كثيراً، وأنّه خرّب البلاد بظلمه وشرّه، وأنّه قد صار يستخفّ[٢] بأوامر سنجَر، ولا يلتفت إلى شيء منها، فتجهّز سنجَر وجمع عساكره وسار يريد قصده بما وراء النهر، فخاف محمّد خان، فأرسل إلى الأمير قماج، وهو أكبر أمير مع سنجر، يسأله أن يصلح الحال بينه وبين سنجَر، وأرسل أيضاً إلى خُوارزمشاه بمثل ذلك، وسألهما في إرضاء السلطان عنه، واعترف بأنّه أخطأ، فأجاب سنجَر إلى صلحه على شرط أن يحضر عنده ويطأ بساطه، فأرسل محمّد خان يذكر خوفه لسوء صنيعه، ولكنّه يحضر الخدمة، ويخدم السلطان، وبينهما نهر جيحون، ثم يعاود بعد ذلك الحضور عنده، والدخول إليه، فحسّنوا الإجابة إلى ذلك، والاشتغال بغيره، فامتنع، ثم أجاب.

وكان سنجَر على شاطىء جيحون من الجانب الغربيّ، وجاء محمّد خان إلى الجانب الشرقيّ، فترجّل وقبّل الأرض وسنجَر راكب، وعاد كلّ واحد منهما إلى خيامه، ورجعوا إلى بلادهم، وسكنت الفتنة بينهما.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة سار قَفل عظيم من دمشق إلى مصر، فأتى الخبر إلى بغدوين ملك الفرنج، فسار إليه، وعارضه في البرّ، فأخذهم أجمعين، ولم ينجُ منهم إلاّ القليل، ومن سلم أخذه[٣] العرب[٤].

---

(١) انظر عن مقتل مودود ـ رحمه الله ـ في: تاريخ الإسلام (حوادث ٥٠٧ هـ.) ص ٢٨، ٢٩، وفيه حشدت المصادر. وانظر (وفيات ٥٠٧ هـ.) ص ١٩٤ رقم ٢٠٥.

(٢) في الأوربية: «استخف».

(٣) في الأوربية: «أخذ».

(٤) إلى هنا ينتهي النقل من نسخة (ب).

[الوفيات]

وفي هذه السنة توفّي الوزير أبو القاسم عليُّ بن محمّد بن جَهِير[1]، وزير الخليفة المستظهر بالله، ووَزَرَ بعده الربيب أبو منصور ابن الوزير أبي شجاع محمّد بن الحسين وزير السلطان.

وفيها توفّي الملك رضوان[2] بن تاج الدّولة تُتُش بن ألب أرسلان، صاحب حلب، وقام بعده بحلب ابنه ألب أرسلان الأخرس، وعمره ستّ عشرة سنة، وكانت أمور رضوان غير محمودة: قتل أخويه أبا طالب وبهرام، وكان يستعين بالباطنيّة في كثير من أموره لقلّة دينه، ولمّا ملك الأخرس استولى على الأمور لؤلؤ الخادم، ولم يكن للأخرس معه إلاّ اسم السلطنة، ومعناه للؤلؤ، ولم يكن ألب أرسلان أخرس، وإنّما في لسانه حُبْسَة وتَمْتَمةٌ، وأُمّه بنت ياغي[3] سيان الذي كان صاحب أنطاكية، وقتل الأخرس أخوين له أحدهما اسمه ملكشاه، وهو من أبيه وأمّه، واسم الآخر مباركشاه، وهو من أبيه، وكان أبوه فعل مثله، فلمّا تُوفّي قُتلَ ولَداه، مُكافأةً لما اعتمده مع أخويه.

وكان الباطنيّة قد كثروا بحلب في أيّامه، حتّى خافهم ابن بديع رئيسها، وأعيان أهلها، فلمّا توفّي قال ابن بديع لألب أرسلان في قتلهم والإيقاع بهم، فأمره بذلك، فقبض على مقدّمهم أبي طاهر الصائغ، وعلى جميع أصحابه، فقتل أبا طاهر وجماعة من أعيانهم، وأخذ أموال الباقين وأطلقهم، فمنهم من قصد الفرنج، وتفرّقوا في البلاد.

وفي هذه السنة توفّي ببغداذ أبو بكر أحمد بن عليّ بن بدران الحلوانيُّ[4] الزاهد، منتصف جمادى الأولى، روى الحديث عن القاضي أبي الطيّب الطبريّ، وأبي محمّد الجوهريّ، وأبي طالب العُشاريّ وغيرهم، وروى عنه خلق كثير، ومن آخرهم أبو الفضل عبد الله بن الطوسيّ، خطيب الموصل.

وإسماعيل بن أحمد بن الحسين بن عليّ أبو علي بن أبي بكر البيهقيُّ[5]، الإمام

---

(١) انظر عن وفاة ابن جهير في: تاريخ الإسلام (حوادث ٥٠٧ هـ.) ص ٢٩، وفيه مصادر ترجمته.

(٢) انظر عن (الملك رضوان) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٧ هـ.) ص ١٥٨ رقم ١٨٠، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٣) في طبعة صادر ١٠/ ٤٩٩ «باغي»، والتصحيح من الأصل والمصادر.

(٤) انظر عن (الحلواني) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٧ هـ.) ص ١٥٤ رقم ١٧٠ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٥) انظر عن (البيهقي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٧ هـ.) ص ١٥٦، ١٥٧ رقم ١٧٦، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

ابن الإمام، ومولده سنة ثمان وعشرين وأربعمائة، وتوفّي بمدينة بَيهَق، ولوالده تصانيف كثيرة مشهورة.

وشجاع[1] بن أبي شجاع فارس بن الحسين بن فارس أبو غالب الذهليُّ الحافظ، ومولده سنة ثلاثين وأربعمائة، وروى عن أبيه، وأبي القاسم، وابن المهتدي والجوهريّ وغيرهم.

والأديب أبو المظفّر محمّد بن أحمّد الأبيورديُّ[2] الشاعر المشهور، وله ديوان حَسَن، ومن شِعره:

تَنَكَّرَ لي دَهْرِي ولم يَدْرِ أنّني ... أعِزُّ وأحداثُ الزَّمانِ تَهونُ
وظَلَّ يُرِيني الخَطْبَ كيفَ اعتداؤهُ ... وبتُّ أُريهِ الصَّبْرَ كيفَ يكونُ[3]

وله أيضاً:

ركبتُ طَرْفي فأذرَى دمْعَه أسَفاً ... عندَ انصرافيَ مِنهم مُضْمِرَ الياسِ
وقال: حتّامَ تُؤذيني فإن سَنَحَتْ[4] ... حوائجٌ لك فاركَبْني إلى الناسِ[5]

وكانت وفاته بأصبهان، وهو من ولد عَنْبَسة بن أبي سفيان بن حرب الأمويّ.

وتوفّي أبو بكر محمّد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشيُّ[6]، الإمام الفقيه الشافعيُّ، في شوّال، مولده سنة سبع وعشرين وأربعمائة، سمع أبا بكر الخطيب، وأبا يَعْلَى بن الفرّاء، وغيرهما[7]، وتفقّه على أبي عبد الله محمّد بن الكازرونيّ بديار بكر، وعلى أبي إسحاق الشيرازيّ ببغداذ، وعلى أبي نصر بن الصباغ.

---

(١) انظر عن (شجاع) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٧هـ.) ص ١٦٠، ١٦١ رقم ١٨٢، وفيه مصادر ترجمته.

(٢) انظر عن (الأبيوردي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٧ هـ.) ص ١٨٢ ـ ١٨٧ رقم ١٩٦، وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

(٣) البيتان في ديوانه ٢/ ٥٥، والمنتظم ٩/ ١٧٦ (١٧/ ١٣٥)، ومعجم الأدباء ١٧/ ٢٤٦، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٣٠، ووفيات الأعيان ٤/ ٤٤٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٨٧، وتاريخ الإسلام ١٨٦، وطبقات الشافعية الكبرى ٦/ ٨٣، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٩، والوافي بالوفيات ٢/ ٩٢، والبداية والنهاية ١٢/ ١٧٦، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٠٧.

(٤) في الأوربية: «سبخت».

(٥) البيتان في المنتظم ٩/ ١٧٧ (١٧/ ١٣٦).

(٦) انظر عن (الشاشي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٧ هـ.) ص ١٦٥ ـ ١٦٧ رقم ١٩٢، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٧) في الأوربية: (وغيرهم».

وفيها توفّي أبو نصر المؤتمن[1] بن أحمد بن الحسن الساجيُّ، الحافظ المقدسيُّ، ومولده سنة خمس وأربعين وأربعمائة، وكان مكثراً من الحديث، وتفقّه على أبي إسحاق، وكان ثقة.

---

(1) انظر عن (المؤتمن) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٧ هـ.) ص ١٩١ ـ ١٩٤ رقم ٢٠٤، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

٥٠٨
ثم دخلت سنة ثمان وخمسمائة

ذكر مسير آقسنقر البُرسقيّ إلى الشام لحرب الفرنج

في هذه السنة سيّر السلطان محمّد الأمير آقسنقر البُرْسُقيَّ إلى الموصِل وأعمالها، والياً عليها، لمّا بلغه قتل مودود، وسيّر معه ولده الملك مسعوداً في جيش كثيف، أمره بقتال الفرنج، وكتب إلى سائر الأمراء بطاعته، فوصل إلى الموصل، واتّصلت به عساكرها، وفيهم عماد الدين زنكي بن آقسنقر، الذي ملك هو وأولاده الموصِل بعد ذلك، وكان له الشجاعة في الغاية.

واتّصل به أيضاً تميرك صاحب سِنجار وغيرهما، فسار البرسقيُّ إلى جزيرة ابن عُمَر، فسلّمها إليه نائب مودود بها، وسار معه إلى ماردِين، فنازلها البُرْسُقيُّ، حتّى أذعن له إيلغازي صاحبها، وسيّر معه عسكراً مع ولده إياز، فسار عنه البُرْسُقيُّ إلى الرُّها في خمسة عشر ألف فارس، فنازلها في ذي الحجّة، وقاتلها، وصبر له الفرنج، وأصابوا من بعض المسلمين غِرّة، فأخذوا منهم تسعة رجال وصلبوهم على سورها، فاشتدّ القتال حينئذٍ، وحَمِيَ المسلمون، وقاتلوا، فقتلوا من الفرنج خمسين فارساً من أعيانهم، وأقام عليها شهرَيْن وأيّاماً.

وضاقت الميرة على المسلمين، فرحلوا من الرُّها إلى سُمَيْساط، بعد أن خرّبوا بلد الرُّها وبلد سَروج وبلد سُمَيْساط، وأطاعه صاحب مَرْعَش على ما نذكره، ثم عاد إلى شحنان، فقبض على إياز بن إيلغازي، حيث لم يحضر أبوه، ونهب سواد ماردين[1].

(١) الأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ١/ ٥٣، دول الإسلام ٢/ ٣٦، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٠٨ هـ.) ص ٣١، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٢، الإعلام والتبيين ٢٣ وفيه: «البرشقي» بالشين المعجمة.

ولمّا بلغ طُغتِكين الخبر عاد إلى حمص، وأرسل في إطلاقه، فامتنع قرجان، وحلف: إن لم يعُدْ طُغتِكين لنقتلنّ إيلغازي؛ فأرسل إيلغازي إلى طُغتِكين: إنّ الملاجّة[1] تؤذيني، وتَسفك دمي، والمصلحة عودك إلى دمشق. فعاد.

وانتظر قرجان وصول العساكر السلطانيّة، فتأخّرت عنه، فخاف أن ينخدع أصحابه لطُغتِكين، ويسلّموا إليه حمص، فعدل إلى الصُّلح مع إيلغازي على أن يطلقه، ويأخذ ابنه إياز رهينة، ويصاهره، ويمنعه من طُغتِكين وغيره، فأجابه إلى ذلك، فأطلقه، وتحالفا، وسلّم إليه ابنه إياز، وسار عن حمص إلى حلب، وجمع التركمان، وعاد إلى حمص، وطالب بولده إياز، وحصر قرجان إلى أن وصلت العساكر السلطانيّة، فعاد إيلغازي على ما نذكره[2].

ذكر وفاة علاء الدولة بن سبكتكين وملك ابنه وما كان منه مع السلطان سنجر

في هذه السنة، في شوّال، توفّي الملك علاء الدولة أبو سعد مسعود بن أبي المظفّر إبراهيم بن أبي سعد مسعود بن محمود بن سُبُكتِكين، صاحب غزنة، بها، وملك بعده ابنه أرسلانشاه، وأمّه سلجوقيّة، وهي أُخت السلطان ألب أرسلان بن داود، فقبض على إخوته وسجنهم، وهرب أخ له اسمه بهرام إلى خُراسان، فوصل إلى السلطان سنجَر بن ملكشاه، فأرسل إلى أرسلانشاه في معناه، فلم يسمع منه، ولا أصغى إلى قوله، فتجهّز سنجَر للمسير إلى غَزنة، وإقامة بهرامشاه في الملك.

فأرسل أرسلانشاه إلى السلطان محمّد يشكو من أخيه سنجَر، فأرسل السلطان إلى أخيه سنجَر يأمره بمصالحة أرسلانشاه، وتَرْك التعرّض له، وقال للرسول: إن رأيتَ أخي وقد قصدهم، وسار نحوهم، أو قارب أن يسير، فلا تمنعه، ولا تبلّغه الرسالةَ، فإنّ ذلك يفتّ في عضده ويوهنه[3]، ولا يعود، ولأنْ يملك أخي الدنيا أحبّ إليّ. فوصل الرسول إلى سنجَر، وقد جهّز العساكر إلى غَزنة، وجعل على مقدّمته الأمير أُنر، متقدّم عسكره، ومعه الملك بهرامشاه، فساروا حتّى بلغوا بُسْت، واتّصل بهم فيها أبو الفضل نصر بن خَلَف، صاحب سِجِسْتان.

---

(١) في الأوربية: «الملاججة».

(٢) المختصر في أخبار البشر ٢/٢٢٧، دول الإسلام ٢/٣٦، تاريخ الإسلام ٣١، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٢.

(٣) في نسخة بودليان، والباريسية، و (أ): «ويورهنه».

ذكر طاعة صاحب مرعش وغيرها البُرسقيّ

في هذه السنة توفّي بعض كنود الفرنج، ويُعرف بكواسيل، وهو صاحب مَرْعَش، وكَيسوم، ورَعْبَانَ وغيرها، فاستولت زوجته على المملكة، وتحصّنتْ من الفرنج، وأحسنتْ إلى الأجناد، وراسلت آقسنقَر البرسُقيَّ، وهو على الرُّها، واستدعت منه بعض أصحابه لتطيعه[1]، فسيّر إليها الأمير سُنقر دزدار، صاحب الخابور، فلمّا وصل إليها أكرمتْه، وحملتْ إليه مالاً كثيراً.

وبينما هو عندها إذ جاء جمع من الفرنج، فواقعوا أصحابه، وهم نحو مائة فارس، واقتتلوا قتالاً شديداً ظفر فيه المسلمون بالفرنج، وقتلوا منهم أكثرهم، وعاد سُنقر دزدار، وقد أصحبتْه الهدايا للملك مسعود والبرسقيّ، وأذعنت بالطاعة، ولمّا عرف الفرنج ذلك عاد كثير ممّن عندها إلى أنطاكية.

ذكر الحرب بين البُرسقيّ وإيلغازي وأسْر إيلغازي

لمّا قبض البرسقيُّ على إياز بن إيلغازي سار إلى حصن كيفا، وصاحبها الأمير ركن الدولة داود ابن أخيه سُقمان، فاستنجده، فسار معه في عسكره وأحضر خلقاً كثيراً من التركمان، وسارا إلى البرسقيّ، فلقيه، أواخر السنة، واقتتلوا قتالاً شديداً صبروا فيه، فانهزم البرسقيُّ وعسكره، وخلص إياز بن إيلغازي من الأسر، فأرسل السلطان إليه يتهدّده، فخافه، وسار إلى الشام إلى حميّه[2] طُغتِكين، صاحب دمشق، فأقام عنده أيّاماً.

وكان طُغتِكين أيضاً قد استوحش من السلطان لأنّه نسب إليه قتل مودود، فاتفقا على الامتناع، والالتجاء إلى الفرنج، والاحتماء بهم، فراسلا صاحب أنطاكية، وحالفاه، فحضر عندهما على بُحَيْرة قَدَس، عندَ حِمص، وجدّدوا العهود، وعاد إلى أنطاكية، وعاد طُغتِكين إلى دمشق، وسار إيلغازي إلى الرسْتَن على عزم قصد ديار بكر، وجمْع التركمان والعود، فنزل بالرَّسْتَن ليستريح، فقصده الأمير قُرجان بن قراجة، صاحب حمص، وقد تفرّق عن إيلغازي أصحابه، فظفر به قرجان وأسره ومعه جماعة من خواصّه، وأرسل إلى السلطان يعرّفه ذلك، ويسأله تعجيل إنفاذ العساكر لئلاّ يغلبه طُغتِكين على إيلغازي.

---

(١) في الأوربية: «لتعطيه».

(٢) في الأوربية: «حمية».

وسمع أرسلانشاه الخبر، فسيّر جيشاً كثيفاً، فهزماه، ونهباه، وعاد من سلم إلى غَزنة على أسْوإ حال، فخضع حينئذٍ أرسلانشاه وأرسل إلى الأمير أُنَر يضمن له الأموال الكثيرة ليعود عنه، ويحسّن للملك سنجَر العود عنه، فلم يفعل.

وتجهّز السلطان سنجَر، بعد أُنَر، للمسير بنفسه، فأرسل إليه أرسلانشاه امرأة عمّه نصر تسأله الصفح والعود عن قصده، وهي أخت الملك سنجَر من السلطان بركْيارُق، وكان علاء الدولة أبو سعد قد قتل زوجها، ومنعها من الخروج عن غَزنة وتزوّجها، فسيّرها الآن أرسلانشاه، فلمّا وصلتْ (إلى أخيه أوصلتْ)[1] ما معها من الأموال والهدايا، وكان معها مائتا ألف دينار، وغير ذلك؛ وطلب من سنجَر أن يسلّم أخاه بهرام إليه.

وكانت موغرة الصدر من أرسلانشاه، فهوّنت أمره على سنجر، وأطمعته في البلاد، وسهّلت الأمر عليه، وذكرت له ما فعل بإخوته، وكان قتل بعضاً وكحل بعضاً من غير خروج منهم عن الطاعة. فسار الملك سنجَر، فلمّا وصل إلى بُست أرسل خادماً من خواصّه إلى أرسلانشاه في رسالة، فقبض عليه في بعض القلاع، فسار حينئذ سنجَر مجدّاً، فلمّا سمع بقربه منه أطلق الرسول، ووصل سنجَر إلى غَزنة، ووقع بينهما المصافّ على فرسخ من غزنة، بصحراء شهراباذ، وكان أرسلانشاه في ثلاثين ألف فارس، وخلق كثير من الرَّجّالة، ومعه مائة وعشرون فيلاً، على كلّ فيل أربعة نفر، فحملت الفيَلة على القلب، وفيه سنجَر، فكان من فيه ينهزمون، فقال سنجَر لغلمانه الأتراك ليرموها بالنشّاب، فتقدّم ثلاثة آلاف غلام، فرموا الفيَلة رشقاً واحداً جميعاً، فقتلوا منها عدّة، فعدلت الفيَلة عن القلب إلى الميسرة، وبها أبو الفضل صاحب سِجِستان، وجالت عليهم، فضعف من في الميسرة، فشجّعهم أبو الفضل، وخوّفهم من الهزيمة مع بُعد ديارهم، وترجّل عن فرسه بنفسه، وقصد كبيرَ الفيَلة ومتقدّمها، ودخل تحتها فشقّ بطنها، وقتل فيلَيْن آخرين.

ورأى الأمير أُنَر، وهو في الميمنة، ما في الميسرة من الحرب، فخاف عليها، فحمل من وراء عسكر غزنة، وقصد الميسرة، واختلط بهم، وأعانهم، فكانت الهزيمة على الغزنويّة، وكان ركّاب الفيَلة قد شدّوا أنفسهم عليها بالسلاسل، فلمّا عضّتهم الحرب، وعمل فيهم السيف، ألقوا أنفسهم، فبقوا معلّقين عليها.

---

(١) في الباريسية و (أ): «اليه»، والمثبت من نسخة بودليان.

ودخل السلطان سنجَر غزنة في العشرين من شوّال سنة عشرٍ وخمسمائة، ومعه بهرامشاه. فأمّا القلعة الكبيرة المشتملة على الأموال، وبينها وبين البلد تسعة فراسخ، وهي عظيمة، فلا[1] مطمع فيها، ولا طريق عليها.

وكان أرسلانشاه قد سجن فيها أخاه طاهراً[2] الخازن، وهو صاحب بهرامشاه، واعتقل بها أيضاً زوجة بهرامشاه، فلمّا انهزم أرسلانشاه استمال أخوه طاهر المستحفظَ بها، فبذل له وللأجناد الزيادات، فسلّموا القلعة إلى الملك سنجَر.

وأمّا قلعة البلد فإنّ أرسلانشاه كان اعتقل بها رسول سنجَر، فلمّا أطلقه بقي غلمانه بها، فسلّموا القلعة أيضاً بغير قتال.

وكان قد تقرّر بين بهرامشاه وبين سنجَر أن يجلس بهرام على سرير جدّه محمود بن سبكتكين وحده، وأن تكون[3] الخطبة بغزنة للخليفة، وللسلطان محمّد، وللملك سنجَر، وبعدهم لبهرامشاه. فلمّا دخلوا غَزنة كان سنجَر راكباً، وبهرامشاه بين يدَيه راجلاً، حتّى جاء السرير، فصعد بهرامشاه فجلس عليه، ورجع سنجَر، وكان يخطب له بالملك، ولبهرامشاه بالسلطان، على عادة آبائه، فكان هذا من أعجب ما يُسمع به.

وحصل لأصحاب سنجَر من الأموال ما لا يُحدّ ولا يُحصى من السلطان والرعايا، وكان في دور لملوكها عدّة دور على حيطانها ألواح الفضّة، وسواقي المياه إلى البساتين من الفضّة أيضاً، فقُلع من ذلك أكثره، ونُهب، فلمّا سمع سنجَر ما يفعل منع عنده بجهده، وصلب جماعة حتّى كفّ الناس.

وفي جملة ما حصل للملك سنجَر خمسة تِيجان قِيمة أحدها تزيد[4] على ألفَيْ ألف دينار، وألف وثلاثمائة قطعة مصاغة مرصّعة، وسبعة عشر سريراً من الذهب والفضّة، وأقام بغزنة أربعين يوماً، حتى استقرّ بهرامشاه، وعاد نحو خراسان، ولم يُخطب بغَزْنة لسلجوقيّ قبل هذا الوقت، حتّى إنّ السلطان ملكشاه مع تمكّنه وكثرة ملكه لم يطمع فيه، وكان كلّما رام ذلك منع منه نظام الملك.

وأمّا أرسلانشاه فإنّه لـمّا انهزم قصد هِندوستان واجتمع عليه أصحابه، فقويت

---

(١) في الأوربية: «لا».
(٢) في الأوربية: «طاهر».
(٣) في الأوربية: «يكون».
(٤) في الأوربية: «يزيد».

شوكته، فلمّا عاد سنجَر إلى خُراسان توجّه إلى غَزنة، فلمّا عرف بهرامشاه قَصْدَهُ إيّاه توجّه إلى بامِيان، وأرسل إلى الملك سنجَر يعلمه الحال، فأرسل إليه عسكراً.

وأقام أرسلانشاه بغَزنة شهراً واحداً، وسار يطلب أخاه بهرامشاه، فبلغه وصول عسكر سنجَر، فانهزم بغير قتال للخوف الذي قد باشر قلوب أصحابه، ولحق بجبال أوغنان، فسار أخوه بهرامشاه وعسكر سنجَر في أثره، وخربوا البلاد التي هو فيها، وأرسلوا إلى أهلها يتهدّدونهم، فسلّموه بعد المضايقة، فأخذه متقدّم جيش الملك سنجر، وأراد حمله إلى صاحبه، فخاف بهرامشاه من ذلك، فبذل له مالاً، فسلّمه إليه، فخنقه ودفنه بتربة أبيه بغَزنة، وكان عمره سبعاً[١] وعشرين سنة، وكان أحسن إخوته صورةً، وكان قتْله في جُمادى الآخرة سنة اثنتي عشرة وخمسمائة، وإنّما ذكرناه هاهنا لتتّصل الحادثة.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في جُمادى الآخرة، كانت زلزلة شديدة بديار الجزيرة، والشام، وغيرها، فخربت كثيراً من الرُّها، وحَرّانَ، وسُمَيْسَاط، وبالِس وغيرها، وهلك خلق كثير تحت الهدم[٢].

وفيها قُتل تاج الدولة ألب أرسلان بن رضوان، صاحب حلب، قتله غلمانه بقلعة حلب، وأقاموا بعده أخاه سلطان شاه بن رضوان، وكان المستولي عليه لؤلؤ الخادم[٣].

[الوفيات]

وفيها توفّي الشريف النسيب أبو القاسم عليُّ بن إبراهيم بن العبّاس الحسينيُّ[٤]، في ربيع الآخر، بدمشق.

---

(١) في الأوربية: «سبع».

(٢) تاريخ حلب ٣٦٦، ٣٦٧ (٣٢)، المنتظم ٩/ ١٨٠، ١٨١ (١٧/ ١٤٠)، ذيل تاريخ دمشق ١٩١، تاريخ الزمان ١٣٦، زبدة الحلب ٢/ ١٧٣، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٥٢، الدرّة المضية ٤٧٧، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٠٨ هـ.) ص ٣٢، البداية والنهاية ١٢/ ١٧٨، عيون التواريخ ١٢/ ٤٤، كشف الصلصلة ١٨٢، شذرات الذهب ٤/ ٢١ و ٢٣.

(٣) تاريخ حلب ٣٦٦ (٣٢)، ذيل تاريخ دمشق ١٩١ زبدة الحلب ٢/ ١٧١، ١٧٢، نهاية الأرب ٢٧/ ٧٦، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٢٨، تاريخ الإسلام ٣٢، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٣، البداية والنهاية ١٢/ ١٧٨، مآثر الإنافة ٢/ ٢٠. وانظر ترجمته في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٨ هـ.) ص ٢٠٢ رقم ٢٢١، وفيه مصادر أخرى.

(٤) انظر عن (الحسيني) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٨ هـ.) ص ٢٠٩ رقم ٢٣٧، وفيه مصادر ترجمته.

٥٠٩
ثم دخلت سنة تسع وخمسمائة

ذكر انهزام عسكر السلطان من الفرنج

قد ذكرنا ما كان من عصيان إيلغازي وطُغتِكين على السلطان، وقوّة الفرنج، فلمّا اتّصل ذلك بالسلطان محمّد جهّز عسكراً كثيراً، وجعل مقدّمهم الأمير بُرسق بن بُرسُق، صاحب همذان، ومعه الأمير جيوش بك والأمير كيدغدي[١]، وعساكر الموصل والجزيرة، وأمرهم بالبداية بقتال إيلغازي وطُغتِكين، فإذا فرغوا منهما قصدوا بلاد الفرنج، وقاتلوهم، وحصروا بلادهم.

فساروا في رمضان من سنة ثمانٍ وخمسمائة، وكان عسكراً كثير العدّة، وعبروا الفرات، آخر السنة، عند الرَّقّة، فلمّا قاربوا حلب راسلوا المتولّي لأمرها لؤلؤاً[٢] الخادم، ومقدّم عسكرها المعروف بشمس الخواصّ، يأمرونهما بتسليم حلب، وعرضوا عليهما كُتُب السلطان بذلك، فغالطا[٣] في الجواب، وأرسلا إلى إيلغازي وطُغتكين يستنجدانهما، فسارا إليهم في ألفَيْ فارس، ودخلا حلب، فامتنع من بها حينئذٍ عن عسكر السلطان، وأظهروا العصيان. فسار الأمير برْسُق بن بُرْسُق إلى مدينة حماة، وهي في طاعة طُغتِكين، وبها ثَقَله، فحصرها، وفتحها عَنوةً ونهبها ثلاثة أيّام، وسلّمها إلى الأمير قرجان، صاحب حِمص.

وكان السلطان قد أمر أن يسلّم إليه كلّ بلد يفتحونه[٤]، فلمّا رأى الأمراء ذلك فشلوا وضعُفت نيّاتهم في القتال، بحيث تؤخذ البلاد وتُسلّم إلى قرجان، فلمّا سلّموا

---

(١) في طبعة صادر ٥٠٩/١٠: «كنتغدي»، وفي الباريسية: «كسفدي»، والمثبت من نسخة بودليان.
(٢) في الأوربية: «لؤلؤ».
(٣) في الأوربية: «فغالطا».
(٤) في الأوربية: «تفتحونه».

حماة إلى قرجان سلّم إليهم إياز بن إيلغازي، وكان قد سار إيلغازي، وطُغتِكين، وشمس الخواصّ، إلى أنطاكية واستجاروا بصاحبها رُوجيل[1]، وسألوه أن يُساعدهم على حفظ مدينة حماة (ولم يكن بلغهم)[2] فتحها.

ووصل إليهم بأنطاكية بغدوين، صاحب القدس، وصاحب طرابلس، وغيرهما من شياطين الفرنج، واتّفق رأيهم على ترك اللقاء لكثرة المسلمين، وقالوا إنّهم عند هجوم الشتاء يتفرّقون، واجتمعوا بقلعة أفامِيَة، وأقاموا نحو شهرَيْن، فلمّا انتصف أيلول، ورأوا عزم المسلمين على المقام، تفرّقوا، فعاد إيلغازي إلى ماردِين، وطُغتِكين إلى دِمَشق، والفرنج إلى بلادها.

وكانت أفامِيَة وكَفَرْطاب للفرنج، فقصد المسلمون كَفَرْطاب وحصروها، فلمّا اشتدّ الحصر على الفرنج، ورأوا الهلاك، قتلوا أولادهم ونساءهم وأحرقوا أموالهم، ودخل المسلمون البلد عَنوةً وقهراً، وأسروا صاحبه، وقتلوا من بقي فيه من الفرنج، وساروا إلى قلعة أفامية، فرأوها حصينة، فعادوا عنها إلى المَعَرة، وهي للفرنج أيضاً، وفارقهم الأمير جيوش بك إلى وادي بُزَاعة فملكه.

وسارت العساكر عن المَعَرَّة إلى حلب، وتقدّمهم ثَقَلهم ودوابّهم، على جاري العادة، والعساكر في أثره متلاحقة، وهم آمنون لا يظنّون أحداً يقدم على القرب منهم.

وكان روجيل[1]، صاحب أنطاكية، لمّا بلغه حصر كفَرْطاب، سار في خمسمائة فارس وألفَيْ راجل للمنع، فوصل إلى المكان الذي ضُربت فيه خيام المسلمين، على غير علم بها، فرآها خالية من الرجال المقاتلة، لأنّهم لم يصلوا إليها، فنهب جميع ما هناك، وقتل كثيراً من السوقيّة، وغلمان العسكر، ووصلت العساكر متفرّقة، فكان الفرنج يقتلون كلّ من وصل إليهم.

ووصل الأمير بُرسق في نحو مائة فارس، فرأى الحال، فصعد تلاًّ هناك، ومعه أخوه زنكي، وأحاط بهم من السوقيّة والغلمان، واحتموا بهم، ومنعوا الأمير بُرسق من النزول، فأشار عليه أخوه ومَن معه بالنزول والنجاة بنفسه، فقال: لا أفعل، بل أُقتل في سبيل الله، وأكون فداء المسلمين؛ فغلبوه على رأيه، فنجا هو ومن معه، فتبعهم الفرنج نحو فرسخ، ثم عادوا وتمّموا الغنيمة والقتل، وأحرقوا كثيراً من الناس. وتفرّق العسكر، وأخذ كلّ واحد جهةً.

---

(١) في الباريسية: «روحيل».

(٢) في الأوربية: «فلا بلغهم».

ولمّا سمع الموكّلون بالأسرى المأخوذين من كفَرْطاب ذلك قتلوهم، وكذلك فعل الموكّل بإياز بن إيلغازي قتله أيضاً، وخاف أهل حلب وغيرها من بلاد المسلمين التي بالشام، فإنّهم كانوا يرجون النصر من جهة هذا العسكر، فأتاهم ما لم يكن في الحساب، وعادت العساكر عنهم[1] إلى بلادها[2].

وأمّا بُرسق وأخوه زنكي فإنّهما توفّيا في سنة عشرٍ وخمسمائة، وكان بُرسق خيّراً، ديّناً، وقد ندم على الهزيمة، وهو يتجهّز للعَود إلى الغزاة، فأتاه أَجَله[3].

ذكر ملك الفرنج رَفَنيّة وأخذها منهم

في هذه السنة، في جُمادى الآخرة، ملك الفرنج رَفَنِيّةَ من أرض الشام، وهي لطُغتِكين، صاحب دمشق، وقوّوها بالرجال والذخائر، وبالغوا في تحصينها، فاهتمّ طُغتِكين لذلك، وقوي عزمه على قصد بلاد الفرنج بالنهب لها والتخريب، فأتاه الخبر عن رَفَنِيّة بخلوّها من[4] عسكرٍ يمنع عنها، وليس هناك إلاّ الفرنج الذين رُتّبوا لحفظها، فسار إليها جريدةً، فلم يشعر من بها إلاّ وقد هجم عليهم البلد فدخله عَنوةً وقهراً، وأخذ كلّ من فيه من الفرنج أسيراً، فقتل البعض، وترك البعض، وغنم المسلمون من سوادهم، وكُراعهم، وذخائرهم ما امتلأت منه أيديهم، وعادوا إلى بلادهم سالمين[5].

ذكر وفاة يحيى بن تميم وولاية ابنه عليّ

في هذه السنة توفّي يحيى بن تميم المعزّ بن باديس، صاحب إفريقية، يوم عيد الأضحى، فجأةً، وكان منجّم قد قال له في مُنَسْتِير مولده إنّ عليه قطعاً في هذا اليوم، فلا يَرْكَبْ[6]، فلم يركب، وخرج أولاده وأهل دولته إلى المصلّى، فلمّا انقضت الصلاة

---

(١) في الأوربية: «منهم».

(٢) الإعتبار لأسامة ٩٠ ـ ٩٢، تاريخ حلب ٣٦٧ (٣٢)، زبدة الحلب ٢/ ١٧٤ ـ ١٧٦، المختصر في أخبار البشر ٢/٢٢٨، ٢٢٩، دول الإسلام ٢/ ٣٧، العبر ٤/ ١٨، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٠٩ هـ.) ص ٣٤، ٣٥، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٣، مرآة الجنان ٣/ ١٩٨، البداية والنهاية ١٢/ ١٧٩، عيون التواريخ ١٢/ ٥٠.

(٣) تاريخ حلب ٣٦٧ (٣٢)، تاريخ الإسلام ٣٥.

(٤) في الأوربية: «لخلوّها عن».

(٥) زبدة الحلب ٢/ ١٧٧، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٥٦، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٢٩، تاريخ الإسلام ٣٥، ذيل تاريخ دمشق ١٩٢، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٣، تاريخ طرابلس ١/ ٤٨٩.

(٦) في الأوربية: «تركب».

حضروا عنده للسلام عليه وتهنئته، وقرأ القراء، وأنشد الشعراء، وانصرفوا إلى الطعام، فقام يحيى من بابٍ آخر ليحضر معهم على الطعام، فلم يمش غير ثلاث خُطا حتّى وقع ميّتاً، وكان ولده عليّ بمدينة سَفَاقُس، فأُحضر وعُقدت له الولاية، ودُفن يحيى بالقصر، ثم نُقل إلى التربة بمُنَسْتِيرَ، وكان عمره اثنتين وخمسين سنة وخمسة عشر يوماً، وكانت ولايته ثماني سنين وخمسة أشهر وخمسة وعشرين يوماً، وخلّف ثلاثين ولداً، فقال عبد الجبّار بن محمّد بن حَمدِيس الصِّقلِيُّ يَرثيه ويهنّىء ابنه عليّاً بالملك:

ما أُغْمِدَ العَضْبُ إلاّ جُرِّدَ الذَّكَرُ ... ولا اختفَى قَمَرٌ حَتّى بدَا قَمَرُ

بموتِ يَحْيَى أُميتَ الناسُ كلّهُمُ ... حتّى إذا ما عليٌّ جاءهمْ نُشِرُوا

إن يُبْعَثُوا بسُرورٍ من تملّكِهِ ... فَمِنْ مَنِيّةِ يحيى بالأسى قُبِرُوا

أوفَى عليٌّ فسِنُّ المُلكِ ضاحِكةٌ ... وعينُها من أبيهِ دمعُها هَمِرُ

شُقّتْ جُيوبُ المَعالي بالأسى فبكَتْ ... في كلّ أُفقٍ عليه الأنجُمُ الزُّهُرُ

وقَلَّ لابن تميم حُزنُ[1] ما دهما[2] ... فكلُّ حُزنٍ عظيم فيهِ مُحْتَقَرُ

قامَ الدليلُ ويَحيى لا حياةَ له ... إنّ المنيّةَ لا تُبْقي ولا تَذَرُ

وكان يحيى عادلاً في رعيّته، ضابطاً لأمور دولته، مدبّراً لجميع أحواله، رحيماً بالضعفاء والفقراء، يُكثر الصدقة عليهم، ويقرّب أهل العلم والفضل، وكان عالماً بالأخبار، وأيّام الناس، والطبّ، وكان حسن الوجه، أشهل العين، إلى الطول ما هو[3].

ولمّا استقرّ عليّ في الملك جهّز أسطولاً إلى جزيرة جَرْبَةَ؛ وسببه أنّ أهلها كانوا[4] يقطعون الطّريق، ويأخذون التجار، فحصرها، وضيّق على من فيها فدخلوا تحت [طاعته]، والتزموا ترك الفساد، وضمنوا إصلاح الطريق، وكفّ عنهم عند ذلك، وصلح أمر البحر، وأمِن المسافرون.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في رجب، قدِم السلطان محمّد بغداذَ، ووصل إليه أتابَك

---

(١) في المكتبة العربية الصقلّية لأماري، ص ٢٨٠ «حزّنَ» بتشديد الزاي وفتح النون.

(٢) في الأوربية: «بهما»، وفي المكتبة العربية: «بها».

(٣) انظر عن (يحيى بن تميم) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٩ هـ.) ص ٢٣٨، ٢٣٩ رقم ٢٨٣، وفيه مصادر ترجمته.

(٤) في الأوربية: «كان».

طُغتِكين، صاحب دمشق، في ذي القعدة، وسأل الرضا عنه، فرضي عنه السلطان، وخلع عليه، وردّه إلى دمشق[1].

وفيها أمر الإمام المستظهر بالله ببيع البَدريّة، وهي مَنسوبة إلى بدر غلام المعتضد بالله، وكانت من أحسن دُور الخلفاء، وكان ينزلها الراضي بالله، ثم تهدّمت وصارت تلاً، فأمر القادر بالله أن يسوَّر عليها سور، لأنّها مع الدار الإماميّة، ففُعِل ذلك، فلمّا كان الآن أمر ببيعها، فبيعت، وعمّرها الناس.

وفيها، في شعبان، وقعت الفتنة بين العامّة، وسببها أنّ الناس لمّا عادوا من زيارة مُصعب اختصموا على من يدخل أوّلاً، فاقتتلوا، وقُتل بينهم جماعة، وعادت الفِتَن بين أهل المحالّ كما كانت، ثم سكنت.

وفيها أقطع السلطان محمّد الموصِل وما كان بيد آقسنقَر البرسقيّ (للأمير جيوش بك، وسيّر ولده الملك مسعوداً، وأقام البرسقيُّ)[2] بالرَّحبة، وهي إقطاعه، إلى أن توفّي السلطان محمّد، وكان ما نذكره إن شاء الله تعالىٰ.

[الوفيات]

وفيها توفّي إسماعيل بن محمّد بن أحمد بن ملّة[3] الأصبهانيُّ، أبو عثمان بن أبي سعيد الواعظ، سمع الكثير، وحدّث ببغداذ وغيرها.

وهبة[4] الله بن المبارك بن موسى السَّقَطيُّ، أبو البركات، له رحلة، وله تصانيف، وكان أديباً.

---

(١) المختصر في أخبار البشر ٢/٢٢٩، دول الإسلام ٢/٣٧، تاريخ الإسلام ٣٥، البداية والنهاية ١٢/١٧٩.

(٢) من نسخة بودليان.

(٣) انظر عن (ابن مَلّة) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٩ هـ.) ص ٢١٦، ٢١٧ رقم ٢٥١.

(٤) في طبعة صادر ١٠/٥١٥ «عبد الله»، والتصحيح من مصادر ترجمته التي حشدتها في تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٩ هـ.) ص ٢٣٥، ٢٣٦ رقم ٢٨٠.

٥١٠
ثم دخلت سنة عشر وخمسمائة

ذكر قتل أحمديل بن وهسوذان

في هذه السنة، أوّل المحرّم، حضر أتابك طُغتِكين، صاحب دمشق، دار السلطان محمّد ببغداذ، وحضر جماعة الأمراء، ومعهم أحمديل بن إبراهيم بن وهسوذان الروادي، الكرديّ، صاحب مَراغة وغيرها من أَذَرْبِيجان، وهو جالس إلى جانب طُغتِكين، فأتاه رجل متظلّم، وبيده رقعة، وهو يبكي، ويسأله أن يوصلها إلى السلطان، فأخذها من يده، فضربه الرجل بسكّين، فجذبه أحمديل وتركه تحته، فوثب رفيق للباطنيّ وضرب أحمديل سِكّيناً أخرى، فأخذتهما السيوف، وأقبل رفيق لهما وضرب أحمديل ضربة أخرى، فعجب الناس من إقدامه بعد قتل صاحبَيْه، وظنّ طُغتِكين والحاضرون[1] أنّ طُغتِكين كان المقصود بالقتل، وأنّه بأمر السلطان، فلمّا علموا أنّهم باطنيّة زال هذا الوهم[2].

ذكر وفاة جاولي سقاوو وحال بلاد فارس معه

في هذه السنة توفّي جاولي سقاوو، وكان السلطان ببغداذ عازماً على المقام بها، فاضطرّ إلى المسير إلى أصبهان ليكون قريباً من فارس، لئلاّ تختلف عليه، وقد ذكرنا حال جاولي بالموصل إلى أن مُلكتْ منه وأخذها السلطان، فلمّا قصد السلطانَ ورضي عنه أقطعه بلاد فارس، فسار جاولي إليها، ومعه ولد السلطان جغري، وهو طفل له من العمر سنتان، وأمره بإصلاحها، وقَمْع المفسدين بها، فسار إليها، فأوّل ما اعتمده فيها

---

(١) في الأوربية: «والحاضرين».

(٢) المنتظم ٩/ ١٨٥، رقم ٣١٣ (١٧/ ١٤٧ رقم ٣٨٣٥)، وفي الطبعتين: «أحمد بك»، بغية الطلب (تراجم السلاجقة) ١٦٠، ١٦١، الدرّة المضيّة ٤٧٩، تاريخ الإسلام ٣٧، عيون التواريخ ١٢/ ٦٤.

أنّه لم[1] يتوسّط بلاد الأمير بلدجي، وهو من كبار مماليك السلطان ملكشاه، ومن جملة بلاده كَليل وسرماه[2]، وكان متمكّناً بتلك البلاد.

وراسله جاولي ليحضر خدمة جغري، ولد السلطان، وعلّم جغري أن يقول بالفارسيّة[3] خذوه، فلمّا دخل بلدجي قال جغري، على عادته: خذوه، فأُخذ وقُتل، ونُهبت أمواله.

وكان لبلدجي، من جملة حصونه، قلعة إصطَخْر، وهي من أمنع القلاع وأحصنها، وكان بها أهله وذخائره، وقد استناب في حفظها وزيراً له يُعرف بالجهرميّ، فعصى[4] عليه، وأخرج إليه أهله وبعض المال، ولم تزل في يد الجهرميّ حتّى وصل جاولي إلى فارس فأخذها منه، وجعل فيها أمواله.

وكان بفارس جماعة من أمراء الشوانكارة، وهم خلق كثير لا يحصَون، ومقدّمهم الحسن بن المبارز، المعروف بخسرو، وله فَسا وغيرها، فراسله جاولي ليحضر خدمة جغري، فأجاب: إنّني عبد السلطان، وفي طاعته، فأمّا الحضور فلا سبيل إليه، لأنّني قد عرفتُ عادتك مع بلدجي وغيره، ولكنّني أحمل إلى السلطان ما يؤثره. فلمّا سمع جاولي جوابه علم أنّه لا مقام له بفارس معه، فأظهر العَود إلى السلطان، وحمل أثقاله على الدوابّ، وسار كأنّه يطلب السلطانَ، ورجع الرسول إلى خسرو فأخبره، فاغترّ وقعد للشرب، وأمِن.

وأمّا جاولي فإنّه عاد من الطريق إلى خسرو جريدةً في نفر يسير، فوصل إليه وهو مخمور نائم، فكبسه، فأنبهه أخوه فضلُوه، فلم يستيقظ، فصبّ عليه الماء البارد، فأفاق، وركب من وقته وانهزم، وتفرّق أصحابه، ونهب جاولي ثقله وأمواله، وأكثر القتل في أصحابه، ونجا خسرو إلى حصنه، وهو بين جبلَيْن، يقال لأحدهما أُنْجُ.

وسار جاولي إلى مدينة فَسا فتسلّمها؛ ونهب كثيراً من بلاد فارس منها[5] جَهْرَم، وسار إلى خسرو، وحصره مدّة، وضيّق عليه، فرأى من امتناع حصنه وقوّته، وكثرة ذخائره ما علم [معه] أنّ المدّة تطول عليه، فصالحه ليشتغل بباقي بلاد فارس، ورحل

---

(١) في الأوربية: «الما».
(٢) في نسخة بودليان: «وشرماوه».
(٣) في الأوربية: «بالفرسية».
(٤) في الأوربية: «فعصا».
(٥) في الأوربية: «منهم».

عنه إلى شِيرَازَ، فأقام بها، ثم توجّه إلى كازَرُون فملكها، وحصر أبا سعد محمّد بن ممّا في قلعته، وأقام عليها سنتَيْن صيفاً وشتاء، فراسله جاولي في الصلح، فقتل الرسول، فأرسل إليه قوماً من الصوفيّة، فأطعمهم الهريسة والقطائف، ثم أمر بهم فخيطت أدبارهم وأُلقوا في الشمس فهلكوا؛ ثم نفد ما عند أبي سعد، فطلب الأمان فأمّنه، وتسلّم الحصن.

ثم إنّ جاولي أساء معاملته، فهرب، فقبض على أولاده، وبثّ الرجال في أثره، فرأى بعضهم زنجيّاً يحمل شيئاً، فقال: ما معك؟ فقال: زادي؛ ففتّشه، فرأى دجاجاً، وحَلواء السكر، فقال: ما هذا من طعامك! فضربه، فأقرّ على أبي سعد، وأنّه يحمل ذلك إليه، فقصدوه، وهو في شعب جبل، فأخذه الجنديُّ وحمله إلى جاولي فقتله.

وسار إلى دَارَابْجِرْد، وصاحبها اسمه إبراهيم، فهرب صاحبها منه إلى كَرمان خوفاً منه، وكان بينه وبين صاحب كَرمان صِهر، وهو أرسلانشاه بن كرمانشاه بن أرسلان بك بن قاورت، فقال له: لو تعاضدنا لم يقدر علينا جاولي؛ وطلب منه النجدة.

وسار جاولي بعد هربه منه إلى حصار رتيل رننه[1]، يعني مضيق رننه[2]، وهو موضع لم يؤخذ قهراً قطّ، لأنّه وادٍ نحو فرسخين، وفي صدره قلعة مَنيعة على جبل عالٍ، وأهل دَارَابْجِرْدَ يتحصّنون به إذا خافوا، فأقاموا به، وحفظوا أعلاه.

فلمّا رأى جاولي حصانته سار يطلب البرّيّة نحو كَرْمان، كاتماً أمره، ثم رجع من طريق كَرْمان إلى دَارَابْجِرْدَ، مُظهراً أنّه من عسكر الملك أرسلانشاه، صاحب كَرمان، فلم يشكّ أهل الحصن أنّهم مدد لهم مع صاحبهم، فأظهروا السرور، وأذنوا له في دخول[3] المضيق، فلمّا دخله وضع السيف فيمن هناك، فلم ينج غير القليل، ونهب أموال أهل دارَابْجِرْدَ وعاد إلى مكانه، وراسل خسرو[4] يعلمه أنّه عازم على التوجّه إلى كَرمان، ويدعوه إليه، فلم يجد بدّاً من موافقته، فنزل إليه طائعاً، وسار معه إلى كَرمان، وأرسل إلى صاحبها القاضيَ أبا طاهر عبد الله بن طاهر قاضي شِيراز، يأمره بإعادة الشوانكارة لأنّهم رعيّة السلطان، يقول: إنّه متى أعادهم عاد عن قصد بلاده، وإلاّ قصده؛ فأعاد صاحب كَرمان جواب الرسالة يتضمّن الشفاعة فيهم، حيث استجاروا به.

---

(١) في الباريسية: «رسه»، وفي نسخة بودليان أيضاً.

(٢) في الباريسية: «رسه»، وفي بودليان»: «رسه».

(٣) في الأوربية: «الدخول».

(٤) في الأصل: «خسره».

ولمّا وصل الرسول إلى جاولي أحسن إليه، وأجزل له العطاء، وأفسده على صاحبه، وجعله عيناً له عليه، وقرّر معه إعادة عسكر كَرمان ليدخل البلاد وهم غارّون، فلمّا عاد الرسول وبلغ السِّيرَجَان، وبها عساكر صاحب كرمان، ووزيره مقدم الجيش، أعلم الوزير ما عليه جاولي من المقاربة، وأنّه يفارق ما كرهوه، وأكثر من هذا النوع، وقال: لكنّه مستوحش من اجتماع العساكر بالسِّيرَجَان، وإنّ أعداء جاولي طمعوا فيه بهذا العسكر، والرأي أن تعاد العساكر إلى بلادها.

فعاد الوزير والعساكر، وخلَت السّيرَجَان، وسار جاولي في أثر الرسول، فنزل بفَرَجَ[1]، وهي الحدّ بين فارس وكَرْمان، فحاصرها، فلمّا بلغ ذلك ملك كَرمان أحضر الرسول وأنكر عليه إعادة العسكر، فاعتذر إليه. وكان مع الرسول فرّاش لجاولي ليعود إليه بالأخبار، فارتاب به الوزير، فعاقَبَه، فأقرّ على الرسول، فصُلب، ونُهبت أمواله، وصُلب الفرّاش، وندب العساكر إلى المسير إلى جاولي، فساروا في ستّة آلاف فارس.

وكانت الولاية التي هي الحدّ بين فارس وكرمان بيد إنسان يسمّى موسى، وكان ذا رأي ومكرٍ، فاجتمع بالعسكر، وأشار عليهم بترك الجادّة المسلوكة، وقال: إنّ جاولي محتاط[2] منها؛ وسلك بهم طريقاً غير مسلوكة، بين جبالٍ ومضايق.

وكان جاولي يحاصر فَرَجَ، وقد ضيّق على من بها، وهو يُدمن الشرب، فسيّر أميراً في طائفة من عسكره ليلقى العسكر المنفذ من كَرْمان، فسار الأمير، فلم يرَ أحداً، فظنّ أنّهم قد عادوا، فرجع إلى جاولي، وقال: إنّ العسكر كان قليلاً، فعاد خوفاً منّا؛ فاطمأنّ حينئذٍ جاولي، وأدمن شرب الخمر.

ووصل عسكر كَرْمان إليه ليلاً، وهو سكران، نائم، فأيقظه بعض أصحابه وأخبره، فقطع لسانه، فأتاه غيره وأيقظه وعرّفه الحال، فاستيقظ وركب وانهزم، وقد تفرّق عسكره منهزمين، فقُتل منهم وأُسر كثير، وأدركه خسرو وابن أبي سعد الذي قتل جاولي أباه، فسارا معه في أصحابهما، فالتفت، فلم يرَ معه أحداً من أصحابه الأتراك، فخاف على نفسه منهم، فقالا له: إنّا لا نغدر بك، ولن ترى منّا إلاّ الخير والسلامة وسارا معه، حتّى وصل إلى مدينة فَسا، واتّصل به المنهزمون من أصحابه، وأطلق صاحب كَرمان الأسرى وجهّزهم، وكانت هذه الوقعة في شوّال سنة ثمانٍ وخمسمائة.

---

(١) في الأصل: «بفرح».

(٢) في الأوربية: «محتاطاً».

وبينما جاولي يدبّر الأمر ليعاود كَرمان، ويأخذ بثأره، توفّي الملك جغري ابن السلطان محمّد، وعمره خمس سنين، وكانت وفاته في ذي الحجّة سنة تسع وخمسمائة، ففتّ ذلك في عضُده، فأرسل ملك كَرمان رسولاً إلى السلطان، وهو ببغداذ، يطلب منه مَنع جاولي عنه، فأجابه السلطان أنّه لا بدّ من إرضاء جاولي وتسليم فَرَج إليه، فعاد الرسول في ربيع الأوّل سنة عشرٍ وخمسمائة، فتوفّي جاولي، فأمِنوا ما كانوا يخافونه[1]، فلمّا سمع السلطان سار عن بغداذ إلى أصبهان، خوفاً على فارس من صاحب كَرمان[2].

ذكر فتح جبل وَسْلات وتونس

في هذه السنة حصر عسكر عليّ بن يحيى، صاحب إفريقية، مدينة تُونُس، وبها أحمد بن خُراسان، وضيّق على مَنْ بها، فصالحه صاحبها على ما أراد.

وفيها فتح أيضاً جبل وَسْلات[3] بإفريقية، واستولى عليه، وهو جبل منيع، ولم يزل أهله، طول الدهر، يفتكون بالناس، ويقطعون الطريق، فلمّا استمرّ ذلك منهم سيّر إليهم جيشاً، فكان أهل الجبل ينزلون إلى الجيش، ويقاتلون أشدّ قتال، فعمل قائد الجيش الحيلة في الصعود إلى الجبل من شعبٍ لم يكن أحد يظنّ أنّه يصعد منه، فلمّا صار في أعلاه، في طائفة من أصحابه، ثار إليه أهل الجبل، فصبر لهم، وقاتلهم فيمن معه أشدّ قتالٍ، وتتابع الجيش في الصعود إليه، فانهزم أهل الجبل، وكثر القتل فيهم، ومنهم مَنْ رمى[4] نفسه فتكسّر، ومنهم من أفلت؛ واحتمى جماعة كثيرة بقصر في الجبل، فلمّا أحاط بهم الجيش طلبوا أن يُرسِل إليهم من يصلح حالهم، فأرسل إليهم جماعة من العرب والجند، فثار بهم أولئك بالسلاح، فقتلوا بعضهم، وطلع الباقون إلى أعلى القصر، ونادوا أصحابهم من الجيش، فأتوهم وقاتلوهم: بعضهم من أعلى القصر، وبعضهم من أسفله، فألقى مَن فيه من أهل الجبل أيديهم، فقُتلوا كلّهم[5].

---

(١) من بودليان.

(٢) المنتظم ٩/ ١٨٥ رقم ٣١٤ (١٧/ ١٤٧ رقم ٣٨٣٥)، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٢٩، تاريخ الإسلام ٣٧، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٣.

(٣) جاء في الروض المعطار ٦١٢: «وأسللت، جبل عظم طوله يومان، وبينه وبين القيروان خمسة عشر ميلاً، وفيه عمارات ومياه جارية، وفيه حصون عامرة كثيرة».

(٤) في الأوربية: «رما».

(٥) تاريخ الإسلام ٣٧، ٣٨.

ذكر الفتنة بطوس

في هذه السنة، في عاشوراء، كانت فتنة عظيمة بطُوس، في مشهد عليّ بن موسى الرضا عليه السّلام.

وسببها: أنّ علويّاً خاصم، في المشهد، يوم عاشوراء، بعض فقهاء طُوس، فأدّى ذلك إلى مضاربة، وانقطعت الفتنة، ثم استعان [كلّ] منهما بحزبه[1]، فثارت فتنة عظيمة حضرها جميع أهل طُوس، وأحاطوا بالمشهد وخرّبوه، وقتلوا مَنْ وجدوا، فقُتل بينهم جماعة ونُهبت أموال جمّة، وافترقوا.

وترك أهل المشهد الخطبة أيام الجمعات فيه، فبنى[2] عليه عضُد الدّين فرامرز بن عليّ سوراً منيعاً يحتمي به مَن بالمشهد على من يريده بسوء، وكان بناؤه سنة خمس عشرة وخمسمائة[3].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة وقعت النار في الحظائر المجاورة للمدرسة النظاميّة ببغداذ، فاحترقت الأخشاب التي بها، واتّصل الحريق إلى درب السلسلة، وتطاير الشرر إلى باب المراتب، فاحترقت منه عدّة دُور، واحترقت خزانة كتب النظاميّة، وسَلِمت الكتب، لأنّ الفقهاء لمّا أحسّوا بالنار نقلوها[4].

[الوفيات]

وفيها توفّي عبد الله بن يحيى بن محمّد بن بهلول أبو محمّد الأندلسيُّ، السَّرقُسْطيُّ، وكان فقيهاً، فاضلاً، ورد العراق نحو سنة خمسمائة، وسار إلى خُراسان، فسكن مَرْو الرُّوذ، فمات بها، وله شِعر حَسَن، فمنه:

وَمُهَفْهَفٍ يَختالُ في أبرادِهِ ... مَرَحَ القَضيب اللّدْنِ تحتَ البارِحِ
أبصرتُ في مرآةِ فكري خَدَّهُ ... فحكيتُ فِعْلَ جفُونهِ بجَوارحِي

---

(١) في الأوربية: «بخربه».
(٢) في الأوربية: «فبنا».
(٣) تاريخ الإسلام ٣٨.
(٤) المنتظم ٩/١٨٤ (١٧/١٤٥)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/٦٢، الدرّة المضية ٤٧٩، تاريخ الإسلام ٣٨، عيون التواريخ ١٢/٦٤.

ما كنتُ أحسِبُ أنّ فِعْل تَوهّمي ... يَقوى تَعدّيهِ فيجرحُ جارحِي
لا غروَ إن جَرحَ التّوهّم خَدَّه ... فالسِّحرُ يَعمَلُ في البَعيد النَازحِ

وفيها، في شعبان، توفّي أبو القاسم عليُّ بن أحمد [بن محمّد][1] بن بيان[2] الرَّزّاز[3]، ومولده في سفر سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، وهو آخر من حدّث عن أبي الحسن بن مَخْلَد، وأبي القاسم بن بِشْران.

وفيها توفّي أبو بكر محمّد بن منصور[4] بن محمّد بن عبد الجبّار السمعانيُّ، رئيس الشافعيّة، بمَرْو، ومولده سنة ستّ وأربعين[5]، وأربعمائة، وسمع الحديث الكثير وصنّف فيه، وله فيه أمالٍ[6] حسنة، وتكلّم على الحديث، فأحسن ما شاء.

وفيها توفّي محفوظ بن أحمد بن الحسن الكَلْوَذَانيُّ[7] أبو الخطّاب الفقيه الحنبليُّ، ومولده سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، وتفقّه على أبي يعلى بن الفرّاء.

---

(١) في طبعة صادر ١٠/٥٢٣: «علي بن محمد بن أحمد»، والتصحيح من مصادر ترجمته.

(٢) في الباريسية: «بمان»، وفي بودليان: «بيان».

(٣) في المنتظم بطبعتيه ٩/١٨٦ رقم ٣١٦ /و ٣٧/١٤٧، ١٤٨ رقم (٣٨٣٨): «الوزان»، والمثبت هو الصحيح كما في مصادر ترجمته التي ذكرتها في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٠ هـ.) ص ٢٤٧ رقم ٢٩٨.

(٤) انظر عن (محمد بن منصور) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٠ هـ.) ص ٢٥٩ ـ ٢٦٢ رقم ٣١١، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٥) في هامش الباريسية: «وثلاثين».

(٦) في الأوربية: «أمالي».

(٧) انظر عن (الكلوذاني) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٠ هـ.) ص ٢٥١ ـ ٢٥٣ رقم ٣٠٣، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

٥١١
ثم دخلت سنة إحدى عشرة وخمسمائة

ذكر وفاة السلطان محمّد وملك ابنه محمود

في هذه السنة، في الرابع والعشرين من ذي الحجّة، توفّي السلطان محمّد بن ملكشاه بن ألب أرسلان، وكان ابتداء مرضه في شعبان، وانقطع عن الركوب، وتزايد مرضه، ودام، وأُرجِف عليه بالموت، فلمّا كان يوم عيد النحر حضر السلطان، وحضر ولده السلطان محمود على السماط، فنهبه الناس، ثم أذِن لهم فدخلوا إلى السلطان محمّد، وقد تكلّف القعود لهم، وبين يَدَيْه سماط كبير، فأكلوا وخرجوا. فلمّا انتصف ذو الحجّة أيِس من نفسه، فأحضر ولده محموداً، وقبّله، وبكى كلّ واحد منهما، وأمره أن يخرج ويجلس على تَخْت السلطنة، وينظر في أمور الناس، وعمره إذ ذاك قد زاد على أربع عشرة سنة، فقال لوالده: إنّه يوم غير مبارك، يعني من طريق النجوم؛ فقال: صدقت، ولكن على أبيك، وأمّا عليك فمبارك بالسلطنة. فخرج وجلس على التخت بالتاج والسوارَيْن.

وفي يوم الخميس الرابع والعشرين أُحضر الأمراء وأُعلموا بوفاته، وقُرئت وصيّته إلى ولده محمود يأمره بالعدل والإحسان، وفي الجمعة الخامس والعشرين منه خُطب لمحمود بالسلطنة.

وكان مولد السلطان محمّد ثامن عشر شعبان من سنة أربع وسبعين وأربعمائة، وكان عمره سبعاً[١] وثلاثين سنة وأربعة أشهر وستّة أيّام، وأوّل ما دُعي له بالسلطنة، ببغداذ، في ذي الحجّة سنة اثنتين وتسعين [وأربعمائة]، وقُطعت خطبته عدّة دفعات على ما ذكرناه، ولقي من المشاقّ والأخطار ما لا حدّ له[٢]، فلمّا توفّي أخوه بركْيارُق صفت

(١) في الأوربية: «سبع».
(٢) في الأوربية: «عليه».

له السلطنة، وعظُمت هيبته، وكثُرت جيوشه وأمواله، وكان اجتمع الناس عليه اثنتي عشرة سنة وستّة أشهر.

ذكر بعض سيرته

كان عادلاً، حسن السيرة، شجاعاً، فمن عدله أنّه اشترى مماليك من بعض التجّار، وأحالهم بالثمن على عامل خُوزستان، فأعطاهم البعض، ومطل بالباقي، فحضروا مجلس الحكم، وأخذوا معهم غلمان القاضي، فلمّا رآهم السلطان، قال لحاجبه: أنظر ما حال هؤلاء؛ فسألهم عن حالهم، فقالوا: لنا خصم يحضر معنا مجلس الحكم؛ فقال: من هو؟ قالوا: السلطان؛ وذكروا قصتهم، فأعلمه ذلك، فاشتدّ عليه وأُكره، وأمر بإحضار العامل، وأمره بإيصال أموالهم، والجُعْل الثقيل[1]، ونكل به حتّى يمتنع غيره عن مثل فعله، ثم إنّه كان يقول بعد ذلك: لقد ندمتُ ندماً عظيماً حيث لم أحضر معهم مجلس الحكم، فيقتدي بي غيري، ولا يمتنع أحد عن الحضور فيه وأداء الحقّ.

فمن عدله: أنّه كان له خازن يُعرف بأبي أحمد القزوينيّ قتله الباطنيّة، فلمّا قُتل أمر بعرض الخزانة، فعرض عليه فيها دُرج فيه جوهر كثير نفيس، فقال: إنّ هذا الجوهر عرضه عليّ، منذ أيّام، وهو في ملك أصحابه، وسلّمه إلى خادم ليحفظه وينظر من أصحابه فيسلّم إليهم؛ فسأل عنهم، وكانوا تجّاراً غرباء، وقد تيقّنوا ذهابه[2] وأيسوا منه، فسكتوا، فأحضرهم وسلّمه إليهم.

ومن عدله: أنّه أطلق المكوس والضرائب في جميع البلاد، ولم يُعرف منه فعل قبيح، وعلم الأمراء سيرته، فلم يقدم أحد منهم على الظلم، وكفّوا عنه[3].

ومن محاسن أعماله ما فعله مع الباطنيّة على ما نذكره.

ذكر حال الباطنيّة أيّام السلطان محمّد

قد تقدّم ذكر ما اعتمده من حصر قلاعهم، ونحن نذكر هاهنا زيادة اهتمامه بأمرهم، فإنّه، رحمه الله تعالىٰ، لما علم أن مصالح البلاد والعباد منوطة بمحو آثارهم، وإخراب ديارهم، وملك حصونهم وقلاعهم، جعل قصدهم دأبَهُ.

---

(١) في الباريسية: «المعيل».

(٢) في الأوربية: «ذهابها لهم».

(٣) انظر عن وفاة السلطان محمّد في: تاريخ الإسلام (حوادث ٥١١ هـ.) ص ٢٧٠، وفيه حشدت مصادر الخبر وترجمته.

وكان، في أيّامه، المقدّم عليهم، والقيّم بأمرهم الحسن بن الصبّاح الرازيّ، صاحب قلعة أَلَمُوت، وكانت أيّامه قد طالت، وله منذ ملك قلعة أَلَمُوت ما يقارب ستّاً[1] وعشرين سنة، وكان المجاورون له في أقبح صورة من كثرة غزاته عليهم، وقتْله وأسْره رجالهم، وسبي نسائهم، فسيّر إليه السلطان العساكر، على ما ذكرناه، فعادت من غير بلوغ غرض. فلمّا أعضل داؤه ندب لقتاله الأمير أنوشتكين شيركير، صاحب آبة، وساوة، وغيرهما، فملك منهم عدّة قلاع منها قلعة كلام، ملكها في جمادى الأولى سنة خمسٍ وخمسمائة، وكان مقدّمها يُعرف بعليّ بن موسى، فأمّنه ومن معه، وسيّرهم إلى أَلَمُوت؛ وملك منهم أيضاً قلعة بيرة، وهي على سبعة فراسخ من قزوين، وأمّنهم، وسيّرهم إلى أَلَمُوت أيضاً.

وسار إلى قلعة أَلَمُوت فيمن معه من العساكر، وأمّده السلطان بعدّة من الأمراء، فحصرهم، وكان هو، من بينهم، صاحب القريحة والبصيرة في قتالهم، مع جودة رأي وشجاعة، فبنى[2] عليها مساكن يسكنها هو ومن معه، وعيّن لكلّ طائفة من الأمراء أشهراً يقيمونها، فكانوا ينيبون، ويحضرون، وهو ملازم الحصار، وكان السلطان ينقل إليه الميرة، والذخائر، والرجال، فضاق الأمر على الباطنيّة، وعُدمت عندهم الأقوات وغيرها، فلمّا اشتدّ عليهم الأمر نزّلوا نساءهم وأبناءهم مستأمنين، وسألوا[3] أن يفرج لهم ولرجالهم عن الطريق، ويؤَمَّنوا، فلم يجابوا إلى ذلك، وأعادهم إلى القلعة، قصداً، ليموت الجميع جوعاً.

وكان ابن الصبّاح يُجري لكلّ رجل منهم، في اليوم، رغيفاً، وثلاث جوزات، فلمّا بلغ بهم الأمر إلى الحدّ الذي لا مزيد عليه، بلغهم موت السلطان محمّد، فقويت نفوسهم، وطابت قلوبهم، ووصل الخبر إلى العسكر المحاصر لهم بعدهم بيوم، وعزموا على الرحيل، فقال شيركير: إن رحلنا عنهم، وشاع الأمر، نزلوا إلينا، وأخذوا ما أعددناه من الأقوات والذخائر، والرأي أن نقيم على قلعتهم حتّى نفتحها، وإن لم يكن المقام، فلا بدّ من مقام ثلاثة أيّام، حتّى ينفد[4] منّا ثقَلنا وما أعددناه، ونحرق ما نعجز عن حمله لئلاّ يأخذه العدوّ.

فلمّا سمعوا قوله علِموا صِدقه، فتعاهدوا على الاتّفاق والاجتماع، فلمّا أمسوا

---

(١) في الأوربية: «ست».

(٢) في الأوربية: «فبنا».

(٣) في الأوربية: «ويسألوا».

(٤) في الأوربية: «ينفذ».

رحلوا من غير مشاورة، ولم يبق غير شيركير، ونزل إليه الباطنيّة من القلعة، فدافعهم وقاتلهم وحمى[1] مَن تخلّف من سوقة العسكر وأتباعه، ولحق بالعسكر[2]، فلمّا فارق القلعة غنم الباطنيّة ما تخلّف عندهم.

ذكر حصار قابِس والمهديّة

في هذه السنة جهّز عليُّ بن يحيى، صاحب إفريقية، أسطولاً في البحر إلى مدينة قابِس، وحصرها.

وسبب ذلك أنّ صاحبها رافع بن مكّن الدهمانيّ أنشأ مركباً بساحلها ليحمل التجّار في البحر، وكان ذلك آخر أيّام الأمير يحيى، فلم ينكر يحيى ذلك، جرياً على عادته في المداراة، فلمّا وليَ عليّ الأمر، بعد أبيه، أنِف من ذلك وقال: لا يكون لأحد من أهل إفريقية أن يناوئني في إجراء المراكب في البحر بالتجّار؛ فلمّا خاف رافع أن يمنعه التجأ إلى اللعين رجّار ملك الفرنج بصِقلّية، واعتضد به، فوعده رجّار أن ينصره ويعينه على إجراء مركبه في البحر، وأنفذ في الحال أسطولاً إلى قابِس، فاجتازوا بالمهديّة، فحينئذ تحقّق عليّ اتّفاقهما، وكان يكذّبه.

فلما جاز أُسطول رجّار بالمهديّة أخرج عليّ أسطوله في أثره، فتوافى الجميع إلى قابِس، فلمّا رأى صاحبها أسطول الفرنج والمسلمين لم يخرج مركبه، فعاد أُسطول الفرنج، وبقي أُسطول عليّ يحصر رافعاً بقابِس مضيّقاً عليها.

ثم عادوا إلى المهديّة، وتمادى رافع في المخالفة لعليّ، وجمع قبائل العرب، وسار بهم، حتّى نزل على المهديّة محاصراً لها، وخادع عليّاً، فقال: إنّني إنّما جئت للدخول في الطاعة؛ وطلب من يسْعَى في الصُّلح، وأفعالُه تكذّب أقواله، فلم يجبه عن ذلك بحرف، وأخرج العساكر، وحملوا على رافع ومَنْ معه حملة منكرة، فألحقوهم بالبيوت، ووصل العسكر إلى البيوت، فلمّا رأى ذلك النساء صِحْنَ، وولوْلنَ، فغارت العرب، وعاودت القتالَ، واشتدّ حينئذ الأمر إلى المغرب، ثم افترقوا، وقد قُتل من عسكر رافع بشر كثير، ولم يُقتَل من جند عليّ غير رجل واحد من الرَّجّالة.

ثم خرج عسكر عليّ مرّة أخرى، فاقتتلوا أشدّ من القتال الأوّل، كان الظهور فيه

---

(١) في الأوربية: «وحما».

(٢) في الباريسية جملة مضطربة: «فأظهر الأمراء الذين كانوا معه أن كتب السلطان محمد إلى أصبهان فحبسوه بها إلى».

لعسكر عليّ، فلمّا رأى رافع أنّه لا طاقة له بهم رحل عن المهديّة ليلاً إلى القَيروان، فمنعه أهلها من دخولها، فقاتلهم أيّاماً قلائل، ثم دخلها، فأرسل عليّ إليه عسكراً من المهديّة، فحصروه فيها إلى أن خرج عنها، وعاد إلى قابِس؛ ثم إنّ جماعة من أعيان إفريقية، من العرب وغيرهم، سألوا عليّاً في الصلح، فامتنع، ثم أجاب إلى ذلك، وتعاهد عليه.

ذكر الوحشة بين رجّار والأمير عليّ

كان رُجّار، صاحب صقلّية، بينه وبين الأمير عليّ، صاحب إفريقية، مودّة وكيدةٌ، إلى أن أعان رافعاً كما تقدّم قبلُ، فاستوحش كلٌّ منهما من صاحبه، ثم بعد ذلك خاطبه رجّار بما لم تجْرِ عادتهم به، فتأكّدت الوحشة، فأرسل رجّار رسالة فيها خشونة، فاحترز عليّ منه، وأمر بتجديد الأسطول، وإعداد الأهبة للقاء العدوْ، وكاتب المرابطين بمَرَّاكش في الاجتماع معه على الدخول إلى صقلّية، فكف رجّار عمّا كان يعتمده.

ذكر قتل صاحب حلب واستيلاء إيلغازي عليها

في هذه السنة قُتل لؤلؤ الخادم، وكان قد استولى على قلعة حلب وأعمالها، بعد وفاة الملك رضوان، ووَلِيَ أتابكيّة ولده ألب أرسلان، فلمّا مات أقام بعده في الملك سلطانشاهَ بن رضوان، وحكم في دولته أكثر من حكمه في دولة أخيه، فلمّا كانت هذه السنة سار منها إلى قلعة جَعْبَر ليجتمع بالأمير سالم بن مالك صاحبها، فلمّا كان عند قلعة نادر نزل يُريق الماء، فقصده جماعة من أصحابه الأتراك، وصاحوا: أرنب، أرنب! وأوهموا أنّهم يتصيّدون، ورموه بالنشّاب، فقُتل، فلمّا هلك [نهبوا] خزانته[١]، فخرج إليهم أهل حلب، فاستعادوا ما أخذوه[٢].

ووليَ أتابكيّةَ سلطانشاه بن رضوان شمس الخواصّ يارو قتاش، فبقي شهراً، وعزلوه؛ ووليَ بعده أبو المعالي بن الملحيّ الدمشقيُّ، ثم عزلوه وصادروه.

وقيل: كان سبب قتل لؤلؤ أنّه أراد قتل سلطانشاه، كما قتل أخاه ألب أرسلان قبله، ففطن به أصحاب سلطانشاه، فقتلوه؛ وقيل: كان قتله سنة عشر وخمسمائة، والله أعلم.

---

(١) في الباريسية: «عرانسه».

(٢) تاريخ حلب ٣٦٧ (٣٣)، ذيل تاريخ دمشق ١٩٨، زبدة الحلب ٢/ ١٧٧، ١٧٨، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٦٨، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣٠، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١١ هـ) ص ٢٧٠، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٤، عيون التواريخ ١٢/ ٧٢.

ثمّ إنّ أهل حلب خافوا من الفرنج، فسلّموا البلد إلى نجم الدين إيلغازي، فلمّا تسلّمه لم يجد فيه مالاً، ولا ذخيرة، لأنّ الخادم كان قد فرّق الجميع، وكان الملك رضوان قد جمع فأكثر، فرزقه الله غير أولاده، فلمّا رأى إيلغازي خلوّ البلد من الأموال صادر جماعة من الخدم بمالٍ صانع به الفرنج، وهادنهم مُدّة يسيرة تكون بمقدار مسيره إلى ماردين، وجمْع العساكر والعود، فلمّا تمّت الهدنة سار إلى ماردين، على هذا العزم، واستخلف بحلب ابنَهُ حُسام الدين تمرتاش.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في رابع عشر صفر، انخسف القمر انخسافاً كلّيّاً.

وفي هذه الليلة هجم الفرنج على ربض حماة من الشام، وقتلوا من أهلها ما يزيد على مائة رجل وعادوا[1].

وفيها، في يوم عرفة، كانت زلزلة بالعراق، والجزيرة، وكثير من البلاد، وخربت ببغداذ دور كثيرة بالجانب الغربيّ[2].

[الوفيات]

وفيها مات أحمد العربيُّ[3] ببغداذ، وكان من عباد الله الصالحين، له كرامات، وقبره يزار بها.

وفي هذه السنة، في شوّال، توفّي أبو عليّ محمّد بن سعيد[4] بن إبراهيم بن نَبْهَان الكاتب، وعُمره مائة سنة، وكان عالي الإسناد، روى عن أبي عليّ بن شاذان وغيره؛ والحسن بن أحمد بن جعفر أبو عبد الله الشقّاق الفَرَضيُّ، الحاسب، وكان

---

(١) مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٦٩، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣٠، تاريخ الإسلام ٢٦٩، الكواكب الدرّية ٨١.

(٢) تاريخ حلب ٣٦٨ (٣٤)، المنتظم ٩/ ١٩٣ (١٧/ ١٥٦)، التاريخ الباهر ٢٠، وفيه زلزلت إربل، ومثله في الروضتين ١/ ٧٠، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٦٨، تاريخ الإسلام ٢٦٩، البداية والنهاية ١٢/ ١٨٠، عيون التواريخ ١٢/ ٧٢، الكواكب الدرّية ٨١، النجوم الزاهرة ٥/ ٢١٣، تاريخ الخلفاء ٤٣٢، كشف الصلصلة ١٨٢، شذرات الذهب ٤/ ٣٠.

(٣) المنتظم ٩/ ١٩٣، ١٩٤، رقم ٣٢٨ (١٧/ ١٥٦ رقم ٣٨٥٠) وفيه: «أحمد القزويني»، تاريخ الإسلام (وفيات ٥١١ هـ.) ص ٣١٤ رقم ٤.

(٤) في طبعة صادر ١٠/ ٥٣٢ «سعد»، والمثبت من مصادر ترجمته التي حشدتها في تاريخ الإسلام (وفيات ٥١١ هـ.) ص ٣٢١ رقم ١٧.

واحد عصره في عِلم الفرائض والحساب، وسمع الحديث من أبي الحسين بن المهتدي، وغيره.

وفيها مات الكزايكس[1] ملك القسطنطينيّة[2]، وملك بعده ابنه يوحنّا، وسلك سيرته.

وفيها مات دوقس أنطاكية[3]، وكفى الله شرّه.

(١) في الباريسية: «الكراكس»، وفي بودليان «الكرالس»

(٢) ذيل تاريخ دمشق ١٩٩، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١١ هـ.) ص ٢٧١.

(٣) ذيل تاريخ دمشق ١٩٩.

٥١٢
ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وخمسمائة

ذكر ما فعله السلطان محمود بالعراق
وولاية البُرسقيّ شحنكيّة بغداذ

لمّا توفّي السلطان محمّد، وملك بعده ابنه محمود، ودبّر دولته الوزير الربيب أبو منصور، أرسل إلى الخليفة المستظهر بالله يطلب أن يخطب له ببغداذ، فخُطب له في الجمعة ثالث عشر المحرّم، وكان شحنة بغداذ بهروز.

ثم إنّ الأمير دُبَيْس بن صدقة كان عند السلطان محمّد، مذ قُتل والده، على ما ذكرناه، فأحسن إليه، وأقطعه إقطاعاً كثيراً، فلمّا توفّي السلطان محمّد خاطب السلطانَ محموداً في العود إلى بلده الحِلّة، فأذِن له في ذلك، فعاد إليها، فاجتمع عليه خلق كثير من العرب، والأكراد، وغيرهم، وكان آقسنقر البرسقيُّ مقيماً بالرَّحبة، وهي إقطاعه، وليس بيده من الولايات شيء، فاستخلف عليها ابنه عزّ الدين مسعود، وسار إلى السلطان محمّد، قبل موته، عازماً على مخاطبته في زيادة إقطاعه، فبلغه وفاة السلطان محمّد قبل وصوله إلى بغداذ.

وسمع مجاهد الدين بَهروز بقربه من بغداذ، فأرسل إليه يمنعه من دخولها، فسار إلى السلطان محمود، فلقيه توقيع السلطان بولاية شحنكيّة بغداذ، وهو بحُلوان، وعزل بهروز.

وكان الأمراء عند السلطان يريدون البرسقيَّ، ويتعصّبون له، ويكرهون مجاهد الدين بهروز، ويحسدونه (للقرب الذي كان له)[1] عند السلطان محمّد، وخافوا أن يزداد تقدّماً عند السلطان محمود وحكماً. فلمّا وليَ البرسقيُّ شحنكيّةَ بغداذ هرب بهروز إلى تكريت، وكانت له.

---

(١) في الأوربية: «لقربه كان».

ثمّ إنّ السلطان ولّى شحنكيّة بغداذ الأمير منكوبرس، وهو من أكابر الأمراء، وقد حكم في دولة السلطان محمود، فلمّا أُعطي الشحنكيّة سيّر إليها ربيبه الأمير حسين بن أزبك، أحد الأمراء الأتراك، وهو صاحب أسداباذ، لينوب عنه ببغداذ والعراق، وفارق السلطان من باب همَذان، واتّصل به جماعة الأمراء البكجيّة وغيرهم.

فلمّا سمع البُرْسُقيُّ خاطب الخليفة المستظهر بالله ليأمره بالتوقّف إلى أن يكاتب السلطانَ، ويفعل ما يرد به الأمر عليه، فأرسل إليه الخليفة، فأجاب: إن يرسم الخليفة بالعود عُدْتُ، وإلاّ فلا بدّ من دخول بغداذ. فجمع البُرْسُقيُّ أصحابه وسار إليه، فالتقوا واقتتلوا، فقُتل أخٌ لحسين، وانهزم هو ومن معه، وعادوا إلى عسكر السلطان، فكان ذلك في شهر ربيع الأوّل، قبل وفاة المستظهر بالله بأيّام[1].

ذكر وفاة المستظهر بالله

في هذه السنة، سادس عشر شهر ربيع الآخر، توفّي المستظهر بالله أبو العبّاس أحمد بن المقتدي بأمر الله، وكان مرضه التراقي، وكان عمره إحدى وأربعين سنة وستّة أشهر وستّة أيّام، وخلافته أربعاً[2] وعشرين سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً؛ ووزر له عميد الدولة أبو منصور بن جَهِير، وسديد المُلك أبو المعالي المفضّل بن عبد الرزّاق الأصبهانيُّ، وزعيم الرؤساء أبو القاسم بن جَهِير، ومجد الدين أبو المعالي هبة الله بن المطّلب، ونظام الدين أبو منصور الحسين بن محمّد؛ وناب عن الوزارة أمين الدولة أبو سعد بن الموصلايا، وقاضي القضاة أبو الحسن عليُّ بن الدمغانيّ، ومضى[3]، في أيّام، ثلاثة سلاطين خُطب لهم بالحضرة، وهم: تاج الدولة تُتُش بن ألب أرسلان، والسلطان بركْيارُق، ومحمّد ابنا ملكشاه.

ومن غريب الاتّفاق أنّه لمّا توفّي السلطان ألب أرسلان توفّي بعده القائم بأمر الله، ولمّا توفّي السلطان ملكشاه توفّي بعده المقتدي بأمر الله، ولمّا توفّي السلطان محمّد توفّي بعده المستظهر بالله[4].

---

(١) المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣٠، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٢ هـ.) ص ٢٧٣، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٤.

(٢) في الأوربية: «أربع».

(٣) في الأوربية: «ومضا».

(٤) انظر عن وفاة الخليفة المستظهر بالله في: تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٢ هـ.) ص ٢٧٣ وفيه حشدت مصادر ترجمته. وانظر أيضاً (وفيات ٥١٢ هـ.) ص ٣٢٦ ـ ٣٢٨ رقم ٢٤.

ذكر بعض أخلاقه[1] وسيرته

كان، رضي الله عنه، ليّن الجانب، كريم الأخلاق، يحبّ اصطناع الناس، ويفعل الخير، ويسارع إلى أعمال البرّ والمثوبات، مشكور المساعي لا يردّ مكرمة تُطلب منه.

وكان كثير الوثوق بمن يولّيه، غير مصغٍ إلى سعاية ساعٍ، ولا ملتفت إلى قوله، ولم يُعرف منه تلوّن، وانحلال عزم، بأقوال أصحاب الأغراض.

وكانت أيّامه أيّامَ سرور للرعيّة، فكأنّها من حُسنها أعياد، وكان إذا بلغه ذلك فرح به وسرّه، وإذا تعرّض سلطان أو نائب له لأذى أحدٍ بالغ في إنكار ذلك والزجر عنه.

وكان حسن الخطّ، جيّد التوقيعات، لا يقاربه فيها أحد، يدلّ على فضلٍ غزير، وعلم واسع؛ ولمّا توفّي صلّى عليه ابنه المسترشد بالله، وكبّر أربعاً، ودُفن في حجرةٍ له كان يألفها.

ومن شِعره قوله:

أذابَ حَرُّ الهوَى في القَلبِ ما جَمَدَا[2] ... لـمّـا مـددتُ إلـى رَسْـمِ الـوَدَاعِ يَـدَا

وكَيْـفَ أسـلُـكُ نَـهْـجَ الاصـطـبـارِ وقـد ... أرى طـرائـقَ فـي مَـهْـوَى الـهَـوى قِـدَدَا

قـد أخلَـفَ الـوعـدَ بـدرٌ قـد شُـغِـفْـتُ بـهِ ... من بعد ما قَد وفى[3] دهري بما وعَدا

(إن كنتُ)[4] أنقضُ عهدَ الحبّ في خلَدي[5] ... مـن بـعـدِ هـذا[6] فـلا عـاينـتُـه[7] أبَـدَا[8]

ذكر خلافة الإمام المسترشد بالله

لمّا توفّي المستظهر بالله بويع ولده المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن أبي العبّاس أحمد بن المستظهر بالله، وكان وليَّ عهد قد خُطب له ثلاثاً وعشرين سنة، فبايعه[9] أخواه ابنا المستظهر بالله، وهما أبو عبد الله محمّد، وأبو طالب العبّاس،

---

(١) في الأوربية: «الخلافة».
(٢) في الأوربية: «جمد».
(٣) في الأوربية: «وفا».
(٤) ساقطة من بودليان، والمثبت من الباريسية.
(٥) في بودليان: «جلدي».
(٦) في تاريخ الإسلام: «حبي».
(٧) في تاريخ الإسلام: «عاتبتكم».
(٨) الأبيات ما عدا الثالث في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٢ هـ.)، ص ٣٢٧.
(٩) في الأوربية: «فبايعاه».

وعمومته بنو المقتدي بأمر الله، وغيرهم من الأمراء، والقضاة، والأئمّة، والأعيان.

وكان المتولّي لأخذ البيعة القاضي أبو الحسن الدمغانيُّ، وكان نائباً عن الوزارة، فأقرّه المسترشد بالله عليها. ولم يأخذ البيعة قاضٍ غير هذا، وأحمد بن أبي داود، فإنّه أخذها للواثق بالله، والقاضي أبو عليّ إسماعيل بن إسحاق، أخذها للمعتضد بالله.

ثم إنّ المسترشد عزل قاضي القضاة عن نيابة الوزارة، واستوزر أبا شجاع محمّد بن الربيب أبي منصور، وزير السلطان محمود، وكان والده خطب في معنى ولده، حتّى استُوزر، وقبض على صاحب المخزن أبي طاهر يوسف بن أحمد الحُزّيّ[1].

ذكر هرب الأمير أبي الحسن أخي المسترشد وعوده

لمّا اشتغل الناس ببَيعة المسترشد بالله، ركب أخوه الأمير أبو الحسن بن المستظهر بالله سفينة، ومعه ثلاثة نفر، وانحدر إلى المدائن، وسار منها إلى دُبَيْس بن صدقة بالحِلّة، فكرّمه دُبيس، وعلم منه وفاة المستظهر بالله، وأقام له الإقامات الكثيرة، فلمّا علم المسترشد بالله خبره أهمّه ذلك وأقلقه، وأرسل إلى دُبيس يطلب منه إعادته، فأجاب بأنّني عبد الخليفة، وواقف عند أمره، ومع هذا، فقد استذمّ بي، ودخل منزلي، فلا أكرهه على أمرٍ أبداً.

وكان الرسول نقيب النقباء شرف الدين عليّ بن طراد الزينبيّ[2]، فقصد الأمير أبا الحسن، وتحدّث معه في عوده، وضمن له عن الخليفة كلّ ما[3] يريده، فأجاب إلى العود، وقال: إنّني لم أفارق أخي لشرّ أريده، وإنّما الخوف حملني على مفارقته، فإذا أمّنني قصدتُه. وتكفّل دُبيس بإصلاح الحال بنفسه، والمسير معه إلى بغداذ، فعاد النقيب وأعلم الخليفة الحال، فأجاب إلى ما طلبه منه.

ثم حدث من أمر البُرْسُقي ودُبيس ومنكوبرس ما ذكرناه، فتأخّر الحال.

وأقام الأمير أبو الحسن عند دُبَيْس إلى ثاني عشر صفر سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، ثم سار عن الحلّة إلى واسط، وكثُر جمعه[4] وقوي الإرجاف بقوّته، وملك مدينة واسط، وخيف جانبه، فتقدّم الخليفة المسترشد بالله بالخطبة لوليّ عهده ولده أبي

(١) هكذا في الأصل. وفي المنتظم ١٧/١٦٣: «الخرزي».
(٢) في الأوربية: «النرينبي».
(٣) في الأوربية: «كما».
(٤) في الأوربية: «جمع».

جعفر المنصور، وعمره حينئذٍ اثنتا[1] عشرة سنة، فخُطب له ثاني ربيع الآخر ببغداذ، وكتب إلى البلاد بالخطبة له، وأرسل إلى دُبَيْس بن مَزْيد في معنى الأمير أبي الحسن، وأنّه الآن قد فارق جواره، ومدّ يده إلى بلاد الخليفة وما يتعلّق به، وأمره بقصده ومعاجلته قبل قوّته؛ فأرسل دُبَيْس العساكر إليه، ففارق واسط، وقد تحيّر هو وأصحابه، فضلّوا الطريق، ووصلت عساكر دُبَيْس، فصادفوهم عند الصِّلْح، فنهبوا أثقاله، وهرب الأكراد من أصحابه، والأتراك، وعاد الباقون إلى دُبَيْس.

وبقي الأمير أبو الحسن في عشرة من أصحابه وهو عطشان، وبينه وبين الماء خمسة فراسخ، وكان الزمان قيظاً، فأيقن بالتلف، وتبعه بدويّان، فأراد الهرب منهما، فلم يقدر، فأخذاه وقد اشتدّ به العطش، فسقياه، وحملاه إلى دُبَيْس، فسيّره إلى بغداذ، وحمله إلى الخليفة، بعد أن بذل له عشرين ألف دينار، فحُمل إلى الدار العزيزة، وكان بين خروجه عنها وعوده إليها أحد عشر شهراً.

ولمّا دخل على المسترشد بالله قبّل قدمَه، وقبّله المسترشد، وبكيا، وأنزله داراً حسنة كان هو يسكنها قبل أن يلي الخلافة، وحمل إليه الخِلع، والتحف الكثيرة، وطيّب نفسه وأمّنه.

ذكر مسير الملك مسعود وجيوش بك إلى العراق وما كان بينهما وبين البُرسقيّ ودُبَيْس

في هذه السنة، في جمادى الأولى، برز البُرْسُقيُّ، ونزل بأسفل الرَّقّةِ في عسكره ومَن معه، وأظهر أنّه على قصد الحِلّة وإجلاء دُبَيْس بن صدقة عنها.

وجمع دُبَيْس جموعاً كثيرة في العرب والأكراد، وفرق الأموال الكثيرة والسلاح.

وكان الملك مسعود ابن السلطان محمّد بالموصِل مع أتابكه أي أبه[2] جيوش بك، فأشار عليهما جماعة ممّن عندهما بقصد العراق فإنّه لا مانع دونه، فسارا في جيوش كثيرة، ومع الملك مسعود وزيره فخر المُلك أبو عليّ بن عمّار، صاحب طرابلس، وقسيم الدولة زنكي بن آقسنقَر جدّ ملوكنا الآن بالموصِل، وكان من الشجاعة في الغاية، ومعهم أيضاً صاحب سِنجار، وأبو الهيجاء، صاحب إربل، وكرباوي بن خراسان التركمانيُّ، صاحب البوازيج. فلمّا علم البرسقيُّ قربهم خافهم.

---

(١) في الأوربية: «اثنتي».

(٢) في بودليان: «أي أبه»، وفي الباريسية: «أزبه».

وكان البُرسُقيُّ قديماً قد جعله السلطان محمّد أتابك ولده مسعود، على ما ذكرناه، وإنّما كان خوفه من جيوش بك، فلمّا قاربوا بغداذ سار إليهم ليقاتلهم ويصدّهم، فلمّا علم مسعود وجيوش بك ذلك أرسلا إليه الأمير كرباوي في الصلح، وأعلمه أنّهم إنّما جاءوا نجدةً له على دُبَيْس، واصطلحوا، وتعاهدوا، واجتمعوا.

ووصل مسعود إلى بغداذ، ونزل بدار المملكة، ووصلهم الخبر بوصول الأمير عماد الدين منكُبرس، المقدّم ذكره، في جيش كثير، فسار البُرْسُقيُّ عن بغداذ نحوه ليحاربه ويمنعه عنها، فلمّا علم به منكبرس قصد النُّعمانيّة، وعبر دجلة هناك، واجتمع هو ودُبَيْس بن صدقة.

وكان دُبَيْس قد خاف من الملك مسعود والبرسُقيّ، فبنى أمره على المحاجزة والملاطفة، فأهدى لمسعود هدية حسنة، وللبرسقيّ، وجيوش بك، فلمّا وصله خبر وصول منكبرس راسله، واستماله، واستحلفه، واتّفقا على التعاضد والتناصر، واجتمعا، وكلّ واحد منهما قوي بصاحبه، فلمّا اجتمعا سار الملك مسعود، والبرسقيُّ، وجيوش بك، ومَن معهم، إلى المدائن للقاء دُبَيْس ومنكبرس، فلمّا وصلوا المدائن أتتهم الأخبار بكثرة الجمع معهما، فعاد البرسقيّ، والملك مسعود، وعبرا نهر صرصر، وحفظا المخاضات عليه، ونهبت الطائفتان السواد نهباً فاحشاً: نهر الملك، ونهر صَرْصَر، ونهر عيسى، وبعض دُجَيْل، واستباحوا النساء.

فأرسل المسترشد بالله إلى الملك مسعود والبرسقيّ ينكر هذه الحال، ويأمرهما بحقن الدماء، وترْك الفساد، ويأمر بالموادعة والمصالحة، وكان الرسل: سديد الدولة بن الأنباريّ، والإمام الأسعد المِيهنيّ، مدرّس النظاميّة، فأنكر البرسقيُّ أن يكون جرى منهما شيء من ذلك، وأجاب إلى العَود إلى بغداذ، فوصل من أخبره أنّ منكبرس ودُبَيْساً قد جهّزا ثلاثة آلاف فارس مع منصور أخي دُبَيْس، والأمير حسين بن أزبك، ربيب منكبرس، وسيّروهم، وعبروا[1] عند دَرْزِيجَان ليقطعوا مخاضة عند دَيَالى إلى بغداذ، لخلوّها من عسكر يحميها ويمنع عنها.

فعاد البرسقيُّ إلى بغداذ، وعبر الجسر لئلاّ يخاف الناس، ولم يعلموا الخبر، وخلّف ابنه عزّ الدين مسعوداً[2] على عسكره بصَرْصَر، واستصحب معه عماد الدين زنكي بن آقسنقَر، فوصل إلى دَيَالى، ومنع عسكر منكبرس من العبور، فأقام يومَيْن،

---

(١) في الأوربية: «وسيراه، وعبر».

(٢) في الأوربية: «مسعود».

فأتاه كتاب ابنه عزّ الدين مسعود يخبره أنّ الصلح قد استقرّ بين الفريقَيْن، فانكسر نشاطه، حيث جرى هذا الأمر ولم يعلم به، وعاد نحو بغداذ، وعبر إلى الجانب الغربي، وعبر منصور وحسين فسارا في عسكرهما خلفه، فوصلا[1] بغداذ عند نصف الليل، فنزلا عند جامع السلطان.

وسار البرسقيّ إلى الملك مسعود فأخذ بَركه ومالَه وعاد إلى بغداذ، فخيّم عند القنطرة العتيقة، وأصعد الملك مسعود، وجيوش بك، فنزلا عند البِيمارستان، وأصعد دُبَيْس ومنكبرس فخيّما تحت الرَّقّة، وأقام عزّ الدين مسعود بن البرسقيُّ عند منكبرس منفرداً عن أبيه.

وكان سبب هذا الصلح أنّ جيوش بك قد أرسل إلى السلطان محمود يطلب الزيادة له وللملك مسعود، فوصل كتاب الرسول من العسكر يذكر أنّه لقي من السلطان إحساناً كثيراً، وأنّه أقطعهما[2] أذربيجان، فلمّا بلغه رحيلهما[3] إلى بغداذ اعتقد أنّهما قد عَصَيَا[4] عليه، فعاد عمّا كان استقرّ، ويقول إنّ السلطان قد جهّز عسكراً إلى الموصل. فوقع الكتاب بيد منكبرس، فأرسله إلى جيوش بك، وضمن له إصلاح السلطان له وللملك مسعود، وكان منكبرس متزوّجاً بأمّ الملك مسعود، واسمها سَرجهان، وكان يؤثر مصلحته لذلك، واستقرّ الصلح، وخافا من البرسقيّ أن يمنع منه، فاتّفقا على إرسال العسكر إلى دَرْزِيجَانَ لينفذ في مقابلته البرسقيّ ليخلو العسكر منه، ويقع الاتّفاق، فكان الأمر في مسيره على ما تقدّم.

وكان البرسقيُّ محبوباً لدى أهل بغداذ لحسن سيرته فيهم، فلمّا استقرّ الصلح، ووصلوا إلى بغداذ، تفرّق عن البرسقيّ أصحابه وجموعه، وبطل ما كان يحدّث به نفسه من التغلّب على العراق بغير أمر السلطان، وسار عن العراق إلى الملك مسعود، فأقام معه، واستقرّ منكُبرس في شِحنكيّة بغداذ، وودّعه دُبَيْس بن صدقة، وعاد إلى الحِلّة، بعد أن طالب بدار أبيه بدرب فيروز، وكانت قد دخلت في جامع القصر ببغداذ، فصولح عنها بمال.

وأقام منكُبرس ببغداذ يظلم، ويعسف الرعيّة، ويصادرهم، فاختفى أرباب

---

(١) في الأوربية: «فوصلوا».
(٢) في الأوربية: «قطعهم».
(٣) في الأوربية: «رحيلكم».
(٤) في الأوربية: «أنكم قد عصيتم».

الأموال، وانتقل جماعة إلى حريم دار الخلافة خوفاً منه، وبطلت معايش الناس، وأكثر أصحابه الفساد، حتّى إنّ بعض أهل بغداذ زُفّت إليه امرأة تزوّجها، فعلم بعض أصحاب منكُبرس، فأتاه وكسر الباب وجرح الزوج عدّة جِراحات، وابتنى بزوجته، فكثر الدعاء ليلاً ونهاراً، واستغاث الناس لهذه الحال، وأغلقوا الأسواق، فأُخذ الجنديّ إلى دار الخلافة فاعتُقل أيّاماً ثم أُطلق.

وسمع السلطان بما يفعله منكبرس ببغداذ، فأرسل إليه يستدعيه، ويحثّه على اللحوق به، وهو يغالط ويدافع، وكلّما طلبه السلطان لجّ في جمع الأموال والمصادرات. فلمّا علم أهل بغداذ تغيُّر[1] السلطان عليه، واستدعاءه إيّاه، طمعوا فيه، فسار حينئذٍ منكبرس عنهم خوفاً أن يثوروا به، وكفى الناس شرّه، وظهر من كان مستتراً.

ذكر وفاة ملك الفرنج وما كان بين الفرنج وبين المسلمين

في ذي الحجّة من سنة إحدىٰ عشرة وخمسمائة توفّي بغدُوين ملك القدس[2]، وكان قد سار إلى ديار مصر في جمع الفرنج، قاصداً ملكها والتغلّب عليها، وقوي طمعه في الديار المصريّة، وبلغ مقابل تِنّيس، وسبح في النيل، فانتقض جرح كان به، فلمّا أحسّ بالموت عاد إلى القدِس، فمات، ووصّى ببلاده للقمّص صاحب الرُّها، وهو الذي كان أسره جَكَرمِش، وأطلقه جاولي سقاوو، واتّفق أنّ هذا القمّص كان قد سار إلى القدس يزور بِيعة قُمامَةَ، فلمّا وصّى إليه بالملك قبله، واجتمع له القدس والرُّها.

وكان أتابك طُغتِكين قد سار عن دمشق لقتال الفرنج، فنزل بين دَيْر أيّوب وكفَر بَصَل[3] باليَرْموك، فخفيت عنه وفاة بغدوين، حتّى سمع الخبر بعد ثمانية عشر يوماً، وبينهم نحو يومَيْن، فأتته رسل ملك الفرنج يطلب المهادنة، فاقترح عليه طغتِكين ترك المناصفة التي بينهُم من (جبل عَوف، والحَنّانَة)[4]، والصَّلْت[5]، والغَور، فلم يُجب

---

(١) في الأوربية: «تغثير».

(٢) تاريخ حلب ٣٦٨ (٣٣)، ذيل تاريخ دمشق ١٩٩، دول الإسلام٢/٣٨، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١١ هـ.) ص ٢٧٠، الدرّة المضية ٤٨٠، الكواكب الدرّية ٨٢، إتعاظ الحنفا ٣/٥٦، شذرات الذهب ٤/ ٣٠.

(٣) في الباريسية: «كفربصل»، والمثبت من بودليان.

(٤) في الباريسية: «الحنانه»، وفي بودليان: «حبل عوف والحانه».

(٥) في بودليان: «الصلب».

إلى ذلك، وأظهر القوّة، فسار طغتكين إلى طَبريّة فنهبها وما حولها، وسار منها نحو عَسْقَلان.

وكانت للمصريّين وبها عساكرهم، كانوا قد سيّروها لمّا عاد ملك القدس المتوفّى عن مصر، وكانوا سبعة آلاف فارس، فاجتمع بهم طغتكين، وأعلمه المقدّم عليهم أنّ صاحبهم تقدّم إليه بالوقوف عند رأي طُغتِكين، والتصرّف على ما يحكم به، فأقاموا بعَسْقَلان نحو شهرَيْن، ولم يؤثّروا في الفرنج أثراً، فعاد طُغتِكين إلى دمشق، فأتاه الصريخ بأنّ مائة وثلاثين فارساً من الفرنج أخذوا حصناً من أعماله يُعرف بالحبس، يُعرف بحصن جَلْدَك، سلّمه إليهم المستحفظ به وقصدوا أذْرِعات فنهبوها، فأرسل إليهم تاج الملوك بوري بن طُغتِكين، فانحازوا عنه إلى جبل هناك، فنازلهم، فأتاه أبوه ونهاه عنهم، فلم يفعل، وطمع فيهم، فلمّا أيِس الفرنج قاتلوا قتال مُسْتقتل، فنزلوا من الجبل وحملوا على المسلمين حملة صادقة هزموهم بها، وأسروا وقتلوا خلقاً كثيراً، وعاد الفلّ إلى دمشق على أسوإ حال.

فسار طُغتِكين إلى حلب، وبها إيلغازي، فاستنجده، وطلب منه التعاضد على الفرنج، فوعده بالمسير معه، فبينما هو بحلب أتاه الخبر بأنّ الفرنج قصدوا حَوْران من أعمال دمشق، فنهبوا وقتلوا وسبوا وعادوا، فاتّفق رأي طُغتِكين وإيلغازي (على عَود طُغتكين إلى دمشق، وحماية بلاده، وعود إيلغازي)[1] إلى ماردين، وجَمْع العساكر، والاجتماع على حرب الفرنج، فصالح إيلغازي مَن يليه من الفرنج على ما تقدّم ذكره، وعبر إلى مارِدين لجمع العساكر، وكان ما نذكره سنة ثلاث عشرة [وخمسمائة]، إن شاء الله تعالىٰ.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة انقطع الغيث، وعُدمت الغلاّت في كثير من البلاد، وكان أشدّه بالعراق، فغلت الأسعار، وأجلى أهل السواد، وتقوّت الناس بالنخالة، وعظُم الأمر على أهل بغداذ بما كان يفعله منكُبرِس بهم.

وفيها أسقط المسترشد بالله من الإقطاع المختصّ به كلّ جَور، وأمر أن لا يؤخذ إلاّ ما جرت به العادة القديمة، وأطلق ضمان غزل الذهب، وكان صنّاع السِّقْلاطون، والممزّج، وغيرهم ممّن يعمل منه، يلقون شدّة من العمّال عليها، وأذًى عظيماً.

---

(١) من الباريسية.

وفيها تأخّر مسير الحُجّاج تأخّراً أُرجف بسببه بانقطاع الحجّ من العراق، فرتّب الخليفة الأمير نَظَر، خادم أمير الجيوش يُمن، وولاّه من أمر الحجّ ما كان يتولاّه أمير الجيوش، وأعطاه من المال ما يحتاج إليه في طريقه، وسيّره، فأدركوا الحجّ وظهرت كفاية نظر[1].

وفيها وصل مركبان كبيران فيهما قوّة ونجدة للفرنج بالشام، فغرقا، وكان الناس قد خافوا ممّن فيهما.

وفيها وصل رسول إيلغازي، صاحب حلب وماردين، إلى بغداذ يستنفر على الفرنج، ويذكر ما فعلوا بالمسلمين في الديار الجزريّة، وأنّهم ملكوا قلعة عند الرُّها، وقتلوا أميرها ابن عُطَيْر، فسُيّرت الكتب بذلك إلى السلطان محمود.

وفيها نُقل المستظهر إلى الرُّصافة، وجميع من كان مدفوناً بدار الخلافة، وفيهم جدّة المستظهر أمّ المقتدي، وكانت وفاتها بعد المستظهر، ورأت البطن الرابع من أولادها.

وفيها كثُر أمر العيّارين بالجانب الغربيّ من بغداذ، فعبر إليهم نائب الشّحنة في خمسين غلاماً أتراكاً، فقاتلهم، فانهزم منهم، ثم عبر إليهم من الغد في مائتَيْ غلام، فلم يظفر بهم، ونهب العيّارون يومئذ قُطُفْتا.

[الوفيات]

وفي هذه السنة، في شعبان، توفّي أبو الفضل بكر بن محمّد[2] بن عليّ بن الفضل الأنصاريُّ من ولد جابر بن عبد الله، وهو من بلد بخارى، وكان من أعيان الفقهاء الحنفيّة، حافظاً للمذهب.

وتوفّي أبو طالب الحسين بن محمّد بن عليّ بن الحسن الزينبيُّ[3]، نقيب النقباء ببغداذ، في صفر، واستقال من النقابة، فوليها أخوه طِراد، وكان من أكابر الحنفيّة، وروى الحديث الكثير.

---

(١) المنتظم ٩/١٩٩ (١٧/١٦٤).

(٢) انظر عن (بكر بن محمد) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٢ هـ.)، ص ٣٢٩، ٣٣٢ رقم ٢٨ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٣) انظر عن (الزينبي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٢ هـ.) ص ٣٣٢، ٣٣٣ رقم ٣٠ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

وفيها، في ذي الحجّة، توفي أبو زكريّاء يحيى بن عبد الوهّاب بن مَنْدة[1] الأصبهانيُّ، المحدّث المشهور من بيت الحديث، وله فيه تصانيف حسنة.

وفيها توفّي أبو الفضل أحمد بن الخازن[2]، وكان أديباً، ظريفاً، له شعر حسن، فمنه قوله، وقد قصد زيارة صديق له، فلم يره، فأدخله غلمانه إلى بستان في الدار، وحمّام، فقال في ذلك:

وافَيْتُ مَنزِلَهُ فلم أرَ صاحباً ... إلاّ تلقّاني بوَجهٍ ضاحكِ
والبِشرُ في وَجْهِ الغُلامِ نتيجةٌ ... لمُقَدِّماتِ ضياء وجهِ المالكِ
ودخلتُ جنّتَهُ وزُرت جَحيمَهُ ... فشكرتُ رِضواناً ورأفةَ مالكِ

(١) انظر عن (ابن منده) في: المنتظم ١٧/ ١٦٩، ١٧٠ رقم ٣٨٧٦، وتذكرة الحفاظ ٤/ ٢٥٠ وفيه وفاته سنة ٥١١ هـ.

(٢) انظر عن (ابن الخازن) في: المنتظم ١٧/ ١٧٠ رقم ٣٨٧٧، والبداية والنهاية ١٢/ ١٨٣.

٥١٣
ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمائة

ذكر عصيان الملك طُغرل على أخيه السلطان محمود

كان الملك طُغرل بن محمّد لمّا توفّي والده بقلعة سَرْجَهَانَ، وكان مولده سنة ثلاثٍ وخمسمائة في المحرّم، وأقطعه والده، سنة أربع، ساوةَ وآوةَ وزَنْجَانَ، وجعل أتابكه الأمير شيركير الذي تقدم ذكره في حصار قلاع الإسماعيليّة، فازداد مُلك طُغرل بما فتحه شيركير من قلاعهم، فأرسل إليهم السلطان محمود الأمير كنتغدي ليكون أتابكاً له، ومدبّراً لأمره، ويحمله إليه، فلمّا وصل إليه حسّن له مخالفة أخيه، وترْك المجيء إليه، واتّفقا على ذلك.

وسمع السلطان محمود الخبر، فأرسل شرف الدين أنوشروان بن خالد، ومعه خِلَع وتُحَف وثلاثون ألف دينار، ووعد أخاه بإقطاع كثير، زيادة على ما له، إذا قصده، واجتمع به، فلم تقع الإجابة إلى الاجتماع، وأجاب كنتغدي (بأننا في طاعة)[1] السلطان، وأيّ جهة أراد قصدناها، ومعنا من العساكر ما نقاوم بها من يرسم بقصده.

فبينما الخوض معهم في ذلك ركب السلطان محمود من باب همَذان في عشرة آلاف فارس، جريدة، في جمادى الأولى، وكتم مقصده، وعزم على أن يكبس أخاه، والأمير كنتغدي، فرأى أحد خواصّه تركياً من أصحاب الملك طُغرل، فأعلم السلطان به، فقبض عليه، فعلم رفيق كان معه الحال، فسار عشرين فرسخاً في ليلة، ووصل إلى الأمير كنتغدي، وهو سكران، فأيقظه بعد جهد، وأعلمه الحال، فقصد الملك طُغرل، فعرّفه ذلك، وأخذه متخفّياً، وقصد قلعة سَمِيران[2]، فضلاً عن الطريق إلى قلعة

---

(١) في نسخة بودليان والباريسية: «نائباً عن السلطان».

(٢) تحرّفت في الباريسية إلى «شميران»، وفي بودليان: «شهيران».

سَرْجَهان، وكانا قد فارقاها، وجمعا العساكر، وكان ضلالهما هدايةً لهما إلى السلامة، فإنّ السلطان محموداً[1] جعل طريقه على سَمِيران، وقال: إنّهما حصنهما الذي فيه الذخائر والأموال، وإذا علما بوصوله إليهما سارا إليها، فربّما صادفهما في الطريق، فسلما منه بما ظنّاه عَطَباً لهما.

ووصل السلطان إلى العسكر، فكبسه، ونهبه، وأخذ من خزانة أخيه ثلاثمائة ألف دينار، وذلك المال الذي أنفذه له، وأقام السلطان محمود بزَنْجَان، وتوجّه منها إلى الرَّيّ؛ ونزل طُغرل من سَرجَهان، ولحِق هو وكنتغدي بكَنْجَة وقصده أصحابه، فقويت شوكته، وتمكّنت الوحشة بينه وبين أخيه محمود.

ذكر الحرب بين سَنجَر والسلطان محمود

في هذه السنة، في جُمادى الأولى، كانت حرب شديدة بين سَنجَر وابن أخيه السلطان محمود، ونحن نذكر سياقة ذلك:

قد ذكرنا سنة ثمانٍ وخمسمائة مسير السلطان سَنجَر إلى غَزْنَة، وفتحها وما كان منه فيها، ثم عاد عنها إلى خُراسان، فلمّا بلغه وفاة أخيه السلطان محمّد، وجلوس ولده السلطان محمود في السلطنة، وهو زوج ابنة سنجَر، لحِقه حزن عظيم لموت أخيه، وأظهر من الجزع والحزن ما لم يُسمع بمثله، وجلس للعزاء على الرماد، وأغلق البلد سبعة أيّام، وتقدّم إلى الخطباء بذكر السلطان محمّد بمحاسن أعماله من قتال الباطنيّة، وإطلاق المكوس، وغير ذلك.

وكان سنجَر يلقّب بناصر الدين، فلمّا توفّي أخوه محمّد تلقّب بمعزّ الدين، وهو لقب أبيه ملكشاه، وعزم على قصد بلد الجبال والعراق وما بيد محمود ابن أخيه، فندم على قَتْل وزيره أبي جعفر محمّد بن فخر المُلك أبي المظفّر بن نظام المُلك.

وكان سبب قتله أنّه وحّش الأمراء، واستخفّ بهم، فأبغضوه وكرهوه، وشكوا منه إلى السلطان، وهو بغَزْنَة، فأعلمهم أنّه يؤثر قتله، وليس يمكنه فعل ذلك بغَزنة.

وكان سنجر قد تغيّر على وزيره لأسباب، منها: أنّه أشار عليه بقصد غَزْنَة، فلمّا وصل إلى بُست أرسل إلى أرسلانشاه صاحبها إلى الوزير، وضمن له خمسمائة ألف دينار ليَثْني سنجَر عن قصده، فأشار عليه بمصالحته والعود عنه، وفعل مثل ذلك بما وراء النهر.

---

(١) في الأوربية: «محمود».

ومنها: أنّه نُقل عنه أنّه أخذ من غَزنة أموالاً جليلة عظيمة المقدار.

ومنها: ما ذُكر من إيحاشه الأمراء وغير هذه الأسباب.

فلمّا عاد إلى بَلْخ قبض عليه، وقتله وأخذ ماله، وكان له من الجواهر والأموال ما لا حدّ عليه، والذي وُجد له من العين ألفا ألف دينار، فلمّا قتله استوزر بعده شهاب الإسلام عبد الرزّاق ابن أخي نظام المُلك، ويُعرف بابن الفقيه، إلاّ أنّه لم تكن له منزلة ابن فخر المُلك عند الناس في عُلُوّ المنزلة. فلمّا اتّصل به وفاة أخيه ندم على قتله لأنّه كان يبلغ به من الأغراض والملك ما لا يبلغه بكثرة العساكر لميل الناس إليه، ومحلّه عندهم.

ثم إنّ السلطان محموداً[١] أرسل إلى عمّه سنجَر شرفَ الدين أنوشروان بن خالد وفخر الدين طُغايرك بن اليزن[٢]، ومعهما الهدايا والتُّحف، وبذل له النزول عن مازَنْدران، وحَمْل مائتَيْ ألف دينار كلّ سنة، فوصلا إليه وأبلغاه الرسالة، فتجهّز ليسير إلى الرَّيّ، فأشار عليه شرف الدين أنوشروان بترك القتال والحرب، فكان جوابه في ذلك: أنّ ولد أخي صبيّ، وقد تحكّم عليه وزيره والحاجب عليّ.

فلمّا سمع السلطان محمود بمسير عمّه نحوه، ووصول الأمير أُنَر في مقدّمته إلى جُرجان، تقدّم إلى الأمير عليّ بن عمر، وهو أمير حاجب السلطان محمّد، وبعده صار أمير حاجب السلطان محمود، بالمسير، وضمَّ[٣] إليه جمعاً كثيراً من العساكر والأمراء، فاجتمعوا في عشرة آلاف فارس، فساروا إلى أن قاربوا مقدّمة سنجَر التي عليها الأمير أُنَر، فراسله الأمير عليُّ بن عمر يعرّفه وصيّة السلطان محمّد بتعظيم سنجَر والرجوع إلى أمره ونهيه، والقبول منه، وأنّه ظنّ أنّ سنجَر يحفظ السلطنة على ولده السلطان محمود، وأخذ علينا بذلك العهود، فليس لنا أن نخالفه، وحيث جئتم إلى بلادنا لا نحتمل ذلك، ولا نغضي[٤] عليه، وقد علمتُ أنّ معك خمسة آلاف فارس، فأنا أرسل إليك أقلّ منهم لتعلّم أنكم لا تقاوموننا، ولا تقوون بنا.

فلمّا سمع الأمير أُنَر ذلك عاد عن جُرْجان، ولحِقه بعض عسكر السُّلطان محمود، فأخذوا قطعة من سواده، وأسروا عدّة من أصحابه.

---

(١) في الأوربية: «محمود».

(٢) في الباريسية: «النرن»، وفي بودليان: «البزن».

(٣) في الأوربية: «وضمن».

(٤) في الأوربية: «نفضي».

وكان السلطان محمود قد وصل إلى الريّ، وهو بها، وعاد الأمير عليُّ بن عمر إليه، فشكره على فِعله، وأثنى عليه وعلى عسكره الذين معه.

وأشير على السلطان محمود بملازمة الرَّيّ، والمقام بها.

وقيل: إنّ عساكر خُراسان إذا علموا بمقامك فيها لا يفارقون حدودهم، ولا يتعدّون ولايتهم. فلم يقبلْ ذلك وضجر [من] المقام[1]، وسار إلى جُرجَان.

ووصل السلطان محمود والأميرُ منكبرس من العراق في عشرة آلاف فارس، والأمير منصور بن صدقة أخو دُبَيْس، والأمراء البكجيّة، وغيرهم، وسار محمود إلى همَذان، وتوفّي بها وزيره الربيب، واستوزر أبا طالب السميرميَّ، وبلغه وصول عمّه سنجَر إلى الريّ، فسار نحوه قاصداً قتاله، فالتقيا بالقرب من ساوة ثاني جمادى الأولى من السنة، وكان عسكر السلطان محمود قد عرفوا المفازة التي بين يدَيْ عسكر سنجَر، وهي ثمانية أيّام، فسبقوهم إلى الماء وملكوه عليهم.

وكان العسكر الخُراسانيُّ في عشرين ألفاً، ومعهم ثمانية عشر فيلاً اسم كبيرها باذهو، ومن الأمراء الكبار: ولد الأمير أبي الفضل، صاحب سِجِستان، وخُوارِزمشاه محمّد، والأمير أنَر، والأمير قماج، واتّصل به علاء الدولة كرشاسِف بن فرامرز بن كاكوَيْه، صاحب يزد، وهو صهر السلطان محمّد وسنجَر على أختهما، وكان أخصّ الناس بالسلطان محمّد، فلمّا تولّى السلطان محمود تأخّر[2] عنه، فأقطع بلده لقراجة الساقي الذي صار صاحب بلاد فارس، فسار حينئذٍ علاء الدولة إلى سنجَر، وهو من ملوك الديلم، وعرّف سنجَر الأحوال، والطريق إلى قصد البلاد، وما فعله الأمراء من أخذ الأموال، وما هم عليه من اختلاف الأهواء، وحسّن قصد البلاد.

وكان عسكر السلطان محمود ثلاثين ألفاً، ومن الأمراء الكبار: الأمير عليُّ بن عمر، أمير حاجب، والأمير منكبُرس، وأتابكه غزغلي، وبنو بُرسق، وسُنقر البخاريُّ، وقراجة الساقي، ومعه تسعمائة حمل من السلاح.

واستهان عسكر محمود بعسكر عمّه بكثرتهم وشجاعتهم، وكثرة خيلهم، فلمّا التقوا ضعُفت نفوس الخُراسانيّة لما رأوا لهذا العسكر من القوّة والكثرة، فانهزمت ميمنة سنجَر وميسرته، واختلط أصحابه، واضطرّب أمرهم، وساروا منهزمين لا يلوون على شيء، ونُهب من أثقالهم شيء كثير، وقتل أهل السواد كثيراً منهم.

---

(١) في الأوربية: «مقام».

(٢) في الأوربية: «فتأخّر».

ووقف سنجَر بين الفِيَلة في جمْع من أصحابه، وبإزائه السلطان محمود، ومعه أتابكه غزغلي، فألجأت سنجَرَ الضرورَة، عند تعاظُم الخَطْب عليه، أن يقدّم الفِيَلة للحرب، وكان من بقي معه قد أشاروا عليه بالهزيمة، فقال: إما النصر أو القتل، وأمّا الهزيمة فلا. فلمّا تقدّمت الفِيَلة، ورآها خيل محمود، تراجعت بأصحابها على أعقابها، فأشفق سنجَر على السلطان محمود في تلك الحال، وقال لأصحابه: لا تُفزِعوا الصبيَّ بحملات الفِيَلة؛ فكفّوها عنهم، وانهزم السلطان محمود ومن معه في القلب، وأسر أتابكه غزغلي، فكان يكاتبُ السلطانَ، ويعده أنّه يحمل إليه ابن أخيه، فعاتبه على ذلك، فاعتذر بالعجز، فقتله، وكان ظالماً قد بالغ في ظلم أهل همذان، فعجّل الله عقوبته.

ولمّا تمّ النصر والظفر للسلطان سنجَر أرسل من أعاد المنهزمين من أصحابه إليه، ووصل الخبر إلى بغداذ في عشرة أيّام، فأرسل الأمير دُبَيْس بن صدقة إلى المسترشد بالله في الخطبة للسلطان سنجَر، فخُطب له في السادس والعشرين من جُمادى الأولى، وقُطعت خطبة السلطان محمود.

وأمّا السلطان محمود، فإنّه سار من الكسرة إلى أصبهان، ومعه وزيره أبو طالب السميرميُّ، والأمير عليُّ بن عمر، وقراجة.

وأمّا سنجَر فإنّه سار إلى همَذان، فرأى قلّة عسكره، واجتماع العساكر على ابن أخيه، فراسله في الصلح، وكانت والدته تشير عليه بذلك، وتقول: قد استوليتَ على غزنة وأعمالها، وما وراء النهر، وملكتَ ما لا حدّ عليه، وقرّرتَ الجميع على أصحابه، فاجعل ولد أخيك كأحدهم.

وكانت والدة سنجَر هي جدّة السلطان محمود، فأجاب إلى قولها، ثم كثُرت العساكر عند سنجَر منهم البرسقيُّ، وكان عند الملك مسعود بأذربِيجان من حين خروجه عن بغداذ إلى هذه الغاية، فقوي بهم. فعاد الرسول وأبلغه عن الأمراء الذين مع السلطان محمود أنّهم لا يصالحونه حتّى يعود إلى خُراسان، فلم يُجِبْ إلى ذلك، وسار من همَذان إلى كَرَج، وأعاد مراسلة السلطان محمود في الصلح، ووعده أن يجعله وليَّ عهده، فأجاب إلى ذلك، واستقرّ الأمر بينهما، وتحالفا عليه.

وسار السلطان محمود إلى عمّه سنجَر في شعبان، فنزل على جدّته والدة سنجَر، وأكرمه عمّه، وبالغ في ذلك، وحمل له السلطان محمود هدية عظيمة، فقبِلها ظاهراً، وردّها باطناً، ولم تُقْبلْ منه سوى خمسة أفراس عربيّة، وكتب السلطان سنجَر إلى سائر

الأعمال التي بيده كخُراسان وغَزنة، وما وراء النهر، وغيرها من الولايات، بأن يخطب للسلطان محمود بعده، وكتب إلى بغداذ مثل ذلك، وأعاد عليه جميع ما أخذ من البلاد سوى الرَّيّ، وقصد بأخْذها أن تكون له في هذه الديار لئلاّ يحدّث السلطان محمود نفسه بالخروج[1].

ذكر غزاة إيلغازي بلاد الفرنج

في هذه السنة سار الفرنج من بلادهم إلى نواحي حلب، فملكوا بُزاعة وغيرها، وخرّبوا بلد حلب ونازلوها، ولم يكن بحلب من الذخائر ما يكفيها شهراً واحداً، وخافهم أهلها خوفاً شديداً، ولو مُكّنوا من القتال لم يبقَ بها أحد، لكنّهم مُنعوا من ذلك؛ وصانَعَ[2] الفرنج أهل حلب على أن يقاسموهم[3] على أملاكهم التي بباب حلب. فأرسل أهل البلد إلى بغداذ يستغيثون، ويطلبون النجدة، فلم يُغاثوا.

وكان الأمير إيلغازي، صاحب حلب، ببلد ماردِين يجمع العساكر والمتطوّعة للغزاة، فاجتمع عليه نحو عشرين ألفاً، وكان معه أُسامة بن المبارك بن شِبل الكلابيّ، والأمير طُغان أرسلان بن المكر، صاحب بَدْلِيس وأرْزَن، وسار بهم إلى الشام، عازماً على قتال الفرنج.

فلمّا علم الفرنج قوّة عزمهم على لقائهم، وكانوا ثلاثة آلاف فارس، وتسعة آلاف راجل، ساروا فنزلوا قريباً من الأثارب، بموضع يقال له تَلّ عِفْرِينَ، بين جبال ليس لها طريقٌ إلاّ من ثلاث جهات، وفي هذا الموضع قُتل شرف الدولة مُسلّم بن قريش.

وظنّ الفرنج أنّ أحداً لا يسلك إليهم لضيق الطريق، فأخلدوا إلى المطاولة وكانت عادة لهم، إذا رأوا قوّةً من المسلمين؛ وراسلوا إيلغازي يقولون له: لا تُتعبْ نفسك بالمسير إلينا، فنحن واصلون إليك؛ فأعلم أصحابه بما قالوه، واستشارهم فيما يفعل، فأشاروا بالركوب من وقته، وقصْدهم، ففعل ذلك، وسار إليهم، ودخل الناس من الطرق الثلاثة، ولم تعتقد الفرنج أنّ أحداً يقدم عليهم، لصعوبة المسلك إليهم، فلم

(١) المنتظم ٩/ ١٧٢ (١٧/ ٢٠٥)، الإنباء في تاريخ الخلفاء ٢١١، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣١، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٧٨ ـ ٣٨١، الدرّة المضيّة ٤٨٤، دول الإسلام ٢/ ٤٠، تاريخ الإسلام (٥٠١ ـ ٥٢٠ هـ.) ص ٢٧٧، الكواكب الدرّية ٨٥.

(٢) في الأوربية: «وصانعوا».

(٣) في الأوربية: «قاسموهم».

يشعروا إلاّ وأوائل المسلمين قد غشيتهم[١]، فحمل الفرنج حملة منكرة، فولّوا منهزمين، فلقوا باقي العسكر متتابعة، فعادوا معهم، وجرى بينهم حرب شديدة، وأحاطوا بالفرنج من جميع جهاتهم، وأخذهم السيف من سائر نواحيهم، فلم يفلتْ منهم غير نفر يسير، وقُتل الجميع، وأُسروا.

وكان في جملة الأسرى نيّف وسبعون[٢] فارساً من مقدّميهم، وحُملوا إلى حلب، فبذلوا في نفوسهم ثلاثمائة ألف دينار، فلم يُقبلْ منهم، وغنم المسلمون منهم الغنائم الكثيرة.

وأمّا سيرجال[٣]، صاحب أنطاكية، فإنّه قُتل وحُمل رأسه، وكانت الوقعة منتصف شهر ربيع الأوّل، فممّا مُدح به إيلغازي في هذه الوقعة قول العَظيميّ:

قُلْ ما تشاء فقولُك المقبولُ　　وعليكَ بَعد الخالِق التَّعْويلُ
واستَبْشَر القرآنُ حينَ نصرتَهُ　　وبكى لفقدِ[٤] رجالهِ الإنجيلُ

ثم تجمّع من سلِم من المعركة مع غيرهم، فلقِيهم إيلغازي أيضاً، فهزمهم، وفتح منهم حصن الأثارب، وزَرْدَنا[٥]، وعاد إلى حلب، وقرّر أمرها، وأصلح حالها، ثم عبر الفرات إلى ماردِين[٦].

ذكر وقعة أخرى مع الفرنج

في هذه السنة سار جوسلين، صاحب تلّ باشِر، في جمع من الفرنج، نحو مائتَيْ فارس، من طَبَريّة، فكبس طائفة من طيّ يُعرفون ببني خالد، فأخذهم، وأخذ غنائمهم، وسألهم عن بقيّة قومهم من بني ربيعة، فأخبروه أنّهم من وراء الحَزن، بوادي السلالة، بين دمشق وطَبَرِيّة، فقدّم جوسلين مائة وخمسن فارساً من أصحابه، وسار هو في

(١) في الأوربية: «غشيهم».
(٢) في الأوربية: «وسبعين».
(٣) هو: روجر Roger of Antioch.
(٤) في الأوربية: «وبكا بفقد»، وفي الأصل «الفقد».
(٥) في الأصل: «وودنا».
(٦) الإعتبار لابن منقذ ١١٩، تاريخ حلب للعظيمي (بتحقيق زعرور) ٣٧٠ (وتحقيق سويم) ٣٥، زبدة الحلب ٢/ ١٨٩، ١٩٠، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٩، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣١، دول الإسلام ٢/ ٤٠، تاريخ الإسلام ٢٧٨، العبر ٤/ ٢٨، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٥، الدرّة المضيّة ٤٨٤، البداية والنهاية ١٢/ ١٨٠، الكواكب الدرّية ٨٥.

خمسين فارساً على طريق آخر، وواعدهم الصبح ليكبسوا بني ربيعة، فوصلهم الخبر بذلك، فأرادوا الرحيل، فمنعهم أميرهم من بني ربيعة، وكانوا في مائة وخمسين فارساً، فوصلهم المائة وخمسون من الفرنج، معتقدين أنّ جوسلين قد سبقهم، أو سيدركهم، فضلّ الطريق، وتساوت العدّتان، فاقتتلوا، وطعنت العرب خيولهم، فجعلوا أكثرهم رجّالة، وظهر من أميرهم شجاعة، وحُسن تدبير، وجَودة رأي، فقُتل من الفرنج سبعون، وأُسر اثنا عشر من مقدّميهم، بذل كلّ واحدٍ [منهم] في فداء نفسه مالاً جزيلاً وعدّة من الأسرى.

وأمّا جوسلين، فإنّه ضلّ في الطريق، وبلغه خبر الوقعة، فسار إلى طرابلس، فجمع بها جمعاً، وأسْرَى إلى عَسْقَلان، فأغار على بلدها، فهزمه المسلمون هناك، فعاد مفلولاً[1].

ذكر قتل منكوبرس

في هذه السنة قُتل الأمير مَنْكوبِرْس الذي كان شِحنة بغداذ، وقد تقدّم حاله.

وكان سبب قتله: أنّه لمّا انهزم مع السلطان محمود وعاد إلى بغداذ، نهب عدّة مواضع من طريق خُراسان، وأراد دخول بغداذ، فسيّر إليه دُبَيْس بن صدقة مَنْ منعه، فعاد وقد استقرّ الصلح بين السلطانين[2] سنجَر ومحمود، فقصد السلطانَ سنجَر، فدخل إليه ومعه سيف وكفَن، فقال له: أنا لا أُؤآخذ أحداً؛ وسلّمه إلى السلطان محمود، وقال: هذا مملوكك، فاصنَعْ به ما تريد! فأخذه.

وكان في نفسه منه غيظٌ شديد لأسباب، منها: أنّه لمّا توفّي السلطان محمّد أخذ سرّيّته، والدة الملك مسعود، قهراً، قبل انقضاء عِدّتها؛ ومنها: جُرأتُه عليه، واستبداده بالأمور دونه، ومسيره إلى شِحنكيّة بغداذ، والسلطان كارهٌ لذلك لكنّه لم يقدر على منعه؛ ومنها: ما فعله بالعراق من الظلم، إلى غير ذلك، فقتله صبراً، وأراح العباد والبلاد من شرّه[3].

ذكر قتل الأمير عليّ بن عمر

في هذه السنة أيضاً قُتل الأمير عليُّ بن عُمَر، حاجب السلطان محمّد، وكان قد

---

(١) ذيل تاريخ دمشق ٢٠١.

(٢) في الأوربية: «السلاطين».

(٣) المنتظم ٩/ ٢٠٧ (١٧/ ١٧٤)، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٣ هـ.) ص ٢٧٩.

صار أكبر أمير مع السلطان محمود، وانقادت العساكر له، فحسده الأمراء، وأفسدوا حاله مع السلطان محمود، وحسّنوا له قتله، فعلم، فهرب إلى قلعة برجين، وهي بين بَرُوجِرْدَ وكَرَج، وكان بها أهله وماله، وسار منها في مائتَيْ فارس إلى خُوزستان، وكانت بيد أقبوري بن برسق، وابني أخوَيْهِ: أُرغُلي بن يَلْبكي، وهنْدُو بن زنكي، فأرسل إليهم وأخذ عهودهم بأمانه وحمايته.

فلمّا سار إليهم أرسلوا عسكراً منعوه من قصدهم، فلقُوه على ستّة فراسخ من تُسْتَر، فاقتتلوا، فانهزم هو وأصحابه، فوقف به فرسه، فانتقل إلى غيره، فتشبّث ذيله بسرجه الأوّل، فأزاله، فعاود التعلّق، فأبطأ، فأدركوه وأسروه، وكاتبوا السلطانَ محموداً في أمره، فأمرهم بقتله، فقُتل وحُمل رأسه إليه.

ذكر الفتنة بين المرابطين وأهل قرطبة

في هذه السنة، وقيل سنة أربع عشرة [وخمسمائة]، كانت فتنة بين عسكر أمير المسلمين عليّ بن يوسف وبين أهل قُرطُبَة.

وسببها: أنّ أمير المسلمين استعمل عليها أبا بكر يحيى بن روّاد، فلمّا كان يوم الأضحى خرج الناس متفرّجين، فمدّ عبدٌ من عبيد أبي بكر يده إلى امرأة فأمسكها، فاستغاثت بالمسلمين، فأغاثوها، فوقع بين العبيد وأهل البلد فتنة عظيمة، ودامت جميع النهار، والحرب بينهم قائمة على ساقٍ، فأدركهم الليل، فتفرّقوا، فوصل الخبر إلى الأمير أبي بكر، فاجتمع إليه الفقهاء والأعيان، فقالوا: المصلحة أن تقتل واحداً من العبيد الذين أثاروا الفتنة؛ فأنكر ذلك، وغضب منه، وأصبح من الغد، وأظهر السلاح والعُدَد يريد قتال أهل البلد، فركب الفقهاء والأعيان والشُّبّان من أهل البلد، وقاتلوه فهزموه، وتحصّن بالقصر، فحصروه، وتسلّقوا إليه، فهرب منهم بعد مشقّة وتعب، فنهبوا القصر، وأحرقوا جميع دُور المرابطين، ونهبوا أموالهم، وأخرجوهم من البلد على أقبح صورة.

واتّصل الخبر بأمير المسلمين فكره[1] ذلك واستعظمه، وجمع العساكر من صنهاجة، وزَنَاتة، والبربر، وغيرهم، فاجتمع له منهم جَمْعٌ عظيم، فعبر إليهم سنة خمس عشرة وخمسمائة، وحصر مدينة قُرطُبة، فقاتله أهلها قتال من يريد [أن] يحمي دمه وحريمه وماله، فلمّا رأى أمير المسلمين شدّة قتالهم دخل السُّفراء بينهم، وسعوا في

---

(١) في الأوربية: «فأكره».

الصلح، فأجابهم إلى ذلك على أن يُغَرِّمَ أهلَ قرطبةَ المرابطين ما نهبوه من أموالهم، واستقرّت القاعدة على ذلك، وعاد عن قتالهم.

ذكر ملك عليّ بن سكمان البصرة

في هذه السنة استولى عليّ بن سُكْمان على البصرة.

وسبب ذلك: أنّ السلطان محمّداً[1] كان قد أقطع البصرة الأمير آقسنقَر البخاريّ، فاستخلف بها نائباً يُعرف بسُنقر البياتيّ، فأحسن السيرة إلى حدّ أنّ الماء بالبصرة مِلْح، فأقام سُفناً وجِراراً للضعفاء والسابلة، تحمل لهم الماء العذب. فلمّا توفّي السلطان محمّد عزم هذا الأمير سُنقر على القبض على أمير اسمه غزغلي، مقدّم الأتراك الإسماعيليّة، وهو مذكور، وحجّ بالناس على البصرة عدّة سنين، وعلى أمير آخر اسمه سُنقر ألب، وهو مقدّم الأتراك البُلدقيّة، فاجتمعا عليه، وقبضاه وقيّداه، وأخذا القلعة وما وجداه له.

ثمّ إنْ سُنقر ألب أراد قتله، فمنعه غزغلي، فلم يقبَلْ منه، فلمّا قتله وثب غزغلي على سُنقر ألب فقتله، ونادى في الناس بالسكون، فاطمأنّوا.

وكان أمير الحاجّ من البصرة هذه السنة؛ أمير اسمه عليّ بن سُكْمان أحد الأمراء البلدقيّة، وكان في نفس غزغلي عليه حقد، حيث تمّ الحجّ على يده، ولأنّه خاف أن يأخذ بثأر سُنقر ألب، إذ هو مقدّم البلدقيّة، فأرسل غزغلي إلى عرب البريّة يأمرهم بقصد الحُجّاج ونَهْبهم، فطمعوا بذلك، وقصدوا الحُجّاج فقاتلوهم، وحماهم ابن سُكمان، وأبلى بلاء حسناً، وجعل يقاتلهم وهو سائر نحو البصرة إلى أن بقي بينه وبين البصرة يومان، فأرسل إليه غزغلي يمنعه من قصد البصرة، فقصد العوني، أسفلَ دجلة، هذا، والعرب يقاتلونه، فلمّا وصل إلى العوني حمل على العرب حملة صادقة، فهزمهم.

وسار غزغلي إلى عليّ بن سُكْمان في عددٍ كثير، وكان عليّ في قلّة، فتحاربا، واقتتلت الطائفتان، فأصابت فرس غزغلي نشّابة فسقط وقُتل، وسار عليّ إلى البصرة فدخلها، وملك القلعة، وأقرّ عمّال آقسنقَر البخاريّ ونوّابه، وكاتَبَهُ بالطاعة، وكان عند السلطان، وسأله أن يكون نائباً عنه بالبصرة، فلم يجِبه آقسنقَر إلى ذلك، فطرد حينئذٍ

---

(١) في الأوربية: «محمّد».

نوّاب آقسنقر، واستولى على البلد، وتصرّف تصرّف الأصحاب، مستبدًا، واستقر فيه، وأحسن السيرة إلى سنة أربع عشرة [وخمسمائة]، فسيّر السلطان محمود الأمير آقسنقَر البخاريَّ في عسكر إلى البصرة، فأخذها من عليّ بن سُكمان.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة أمر السلطان سنجَر بإعادة مجاهد الدين بهروز شِحنكيّة العراق، وكان بها نائب دُبَيْس بن صدقة، فعُزل عنها[١].

وفيها، في ربيع الأوّل، توفّي الوزير ربيب الدولة، وزير السلطان محمود، ووَزَرَ بعده الكمال السّميرميُّ، وكان ولد ربيب الدولة، وزير المسترشد، فعُزل، واستُعمل بعده عميد الدولة أبو عليّ بن صدقة، ولُقّب جلال الدين، وهذا الوزير، وهو عمّ الوزير جلال الدين أبي الرضا صدقة، الذي وزر للراشد، والأتابَك[٢] زنكي على ما نذكره[٣].

وفيها ظهر قبر إبراهيم الخليل، وقبرا ولدَيْه إسحاق ويعقوب، عليهم السّلام، بالقرب من البيت المقدّس، ورآهم كثير من الناس لم تبْلَ أجسادهم، وعندهم في المغارة قناديل من ذهب وفضّة، هكذا ذكره حمزة بن أسد التميميُّ في تاريخه[٤]، والله أعلم.

[الوفيات]

وفيها، في المحرّم، توفّي قاضي القضاة أبو الحسن عليُّ بن محمّد الدامغانيُّ[٥]، ومولده في رجب سنة تسعٍ وأربعين وأربعمائة، ووليَ القضاء بباب الطاق من بغداذ إلى الموصل وله من العمر ستّ وعشرون سنة، وهذا شيء لم يكن لغيره، ولمّا توفّي وليَ قضاء القضاة الأكمل أبو القاسم عليُّ بن أبي طالب الحسين بن محمّد الزينبيّ، وخُلع عليه ثالث صفر.

---

(١) المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣١، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٣ هـ.) ص ٢٧٩، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٥.

(٢) في الأوربية: «والأتبك».

(٣) تاريخ دولة آل سلجوق ١٠٦ و ١٢٠، تاريخ الإسلام ٢٧٩.

(٤) ذيل تاريخ دمشق ٢٠٢، تاريخ الإسلام ٢٨٠.

(٥) انظر عن (الدامغاني) في: المنتظم ١٧/ ١٧٥، ١٧٩ رقم ٣٨٨١، والبداية والنهاية ١٢/ ١٨٥، وشذرات الذهب ٤/ ٤٠.

[ذكر عدّة حوادث]

وفيها هُدم تاج الخليفة على دجلة للخوف من انهدامه، وهذا التاج بناه أمير المؤمنين المكتفي بعد سنة تسعين ومائتين.

وفيها تأخّر الحجّ، فاستغاث الناس، وأرادوا كسر المِنبر بجامع القصر، فأرسل الخليفة إلى دُبَيْس بن صدقة ليساعد الأمير نظر على تسيير(1) الحُجّاج، فأجاب إلى ذلك، وكان خروجهم من بغداذ ثاني عشر ذي القعدة، وتوالت عليهم الأمطار إلى الكوفة.

وفيها أرسل دُبَيْس بن صدقة القاضي أبا جعفر عبد الواحد بن أحمد الثقفيّ، قاضي الكوفة، إلى إيلغازي بن أُرتُق بماردِين، يخطب ابنته، فزوّجها منه إيلغازي، وحملها الثقفيّ معه إلى الحِلّة، واجتاز بالموصل.

[الوفيات]

وفيها، في جُمادى الأولى، توفّي أبو الوفا عليُّ بن عُقيل(2) بن محمّد بن عُقيل، شيخ الحنابلة، في وقته، ببغداذ، وكان حَسَن المناظرة، سريع الخاطر، وكان قد اشتغل بمذهب المعتزلة في حداثته على أبي [عليّ بن](3) الوليد، فأراد الحنابلة قتله، فاستجار بباب المراتب عدّة سنين، ثم أظهر التوبة حتّى تمكّن من الظهور، وله مصنّفات من جملتها كتاب «الفنون»(4).

---

(1) في الأوربية: «تسئير».

(2) انظر عن (ابن عقيل) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٣ هـ.) ص ٣٤٩ ـ ٣٥٦ رقم ٥٤، وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

(3) في طبعة صادر ١٠/٥٦١ «على أبو الوليد»، والتصويب من المصادر.

(4) انظر عنه في: الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٢٥٩.

٥١٤
ثم دخلت سنة أربع عشرة وخمسمائة

ذكر عصيان الملك مسعود على أخيه السلطان محمود والحرب بينهما

في هذه السنة، في ربيع الأوّل، كان المصافّ بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود، ومسعود حينئذٍ له الموصِل وأَذَرْبِيجان.

وكان سبب ذلك أنّ دُبَيْس بن صدقة كان يكاتب جيوش بك أتابَك مسعود، يحثّه على طلب السلطنة للملك مسعود، ويَعِده المساعدة، وكان غرضه أن يختلفوا فينال من الجاه وعُلُوّ المنزلة ما ناله أبوه باختلاف السُّلطانين[1] بَرْكْيارُق ومحمّد ابنَيْ ملكشاه على ما ذكرناه.

وكان قسيم الدولة البرسقيُّ، أتابَك الملك مسعود، قد فارق شحنكيّة بغداذ، وقد أقطعه مسعود مَراغة، مضافَةً إلى الرَّحبة، وبينه وبين دُبَيْس عداوة مُحكَمة، فكاتب دُبَيْس جيوش بك يشير عليه بقبض البرسقيّ، وينسبه إلى الميل إلى السلطان محمود، وبذل له مالاً كثيراً على قبضه، فعلم البرسقيُّ ذلك، ففارقهم إلى السلطان محمود، فأكرمه وأعلى محلّه وزاد في تقديمه.

واتّصل الأستاذ أبو إسماعيل الحسين بن عليّ الأصبهانيّ الطُّغرائي[2] بالملك مسعود. فكان ولده أبو المؤيّد، محمّد بن أبي إسماعيل، يكتب الطُّغراء مع الملك، فلمّا وصل والده استوزره مسعود، بعد أن عزل أبا عليّ بن عمّار، صاحب طرابلس، سنة ثلاث عشرة [وخمسمائة] بباب خُوَيّ، فحسّن ما كان دُبَيْس يكاتب به من مخالفة السلطان محمود والخروج عن طاعته:

---

(١) في الأوربية: «السلاطين».

(٢) في الأوربية: «الطفرائي».

وظهر ما هم عليه من ذلك، فبلغ السلطان محموداً[1] الخبر، فكتب إليهم يخوّفهم إن خالفوه، ويَعِدهم الإحسان إن أقاموا على طاعته وموافقته، فلم يُصْغوا إلى قوله، وأظهروا ما كانوا عليه، وما يُسرّونه، وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة، وضربوا له النُّوَب الخمس، وكان ذلك على تفرّق من عساكر السلطان محمود، فقوي طمعهم، وأسرعوا السير إليه ليلقوه وهو مُخفّف من العساكر، فاجتمع إليه خمسة عشر ألفاً، فسار أيضاً إليهم، فالتقوا عند عقَبة أسَدابَاذ، منتصف ربيع الأوّل، واقتتلوا من بُكرة إلى آخر النهار.

وكان البُرسقيّ في مقدّمة السلطان محمود، وأبلى يومئذٍ بلاء حسناً، فانهزم عسكر الملك مسعود، آخر النهار، وأُسر منهم جماعة كثيرة من أعيانهم ومقدّميهم، وأُسر الأستاذ أبو إسماعيل وزير مسعود، فأمر السلطان بقتله، وقال: قد ثبت عندي فساد دينه واعتقاده؛ فكانت وزارته سنةً وشهراً، وقد جاوز ستّين سنة، وكان حَسَن الكتابة والشعر، يميل إلى صنعة الكيمياء، وله فيها تصانيف قد ضيّعت من الناس أموالاً[2] لا تحصى.

وأمّا الملك مسعود فإنّه لمّا انهزم أصحابه وتفرّقوا قصد جبلاً بينه وبين الوقعة اثنا عشر فرسخاً، فاختفى فيه ومعه غلمان صغار، فأرسل ركابيّه عثمان إلى أخيه يطلب له الأمان، فسار إلى السلطان محمود وأعلمه حال أخيه مسعود، فرقّ له، وبذل له الأمان، وأمر آقسنقَر البرسقيَّ بالمسير إليه، وتطييب قلبه، وإعلامه بعفوه عنه، وإحضاره؛ فكان مسعود بعد أن أرسل يطلب الأمان قد وصل بعض الأمراء إليه، وحسّن له اللّحاق بالموصل، وكانت له، ومعها أَذْرِبيجان، وأشار عليه بمكاتبة دُبَيْس بن صدقة ليجتمع به، ويكثُر جَمْعُه، ويعاود طلب السلطنة، فسار معه من مكانه.

ووصل البرسقيُّ فلم يره، فأُخبر بمسيره، فسار في أثره، وعزم على طلبه ولو إلى الموصل، وجدّ في السير، فأدركه على ثلاثين فرسخاً من مكانه ذلك، وعرّفه عفو أخيه عنه، وضمن له ما أراد، وأعاده إلى العسكر، فأمر السلطان محمود العساكر باستقباله وتعظيمه، ففعلوا ذلك، وأمر السلطان أن ينزل عند والدته، وجلس له، وأحضره، واعتنقا، وبكيا، وانعطف عليه محمود، ووفى[3] له بما بذله، وخلطه بنفسه في كلّ

(١) في الأوربية: «محمود».
(٢) في الأوربية: «أصولاً».
(٣) في الأوربية: «ووفا».

أفعاله، فعُدّ ذلك من مكارم محمود، وكانت الخطبة بالسلطنة لمسعود بأَذَربيجان، وبلد الموصِل، والجزيرة، ثمانية وعشرين يوماً.

وأمّا أتابكه جيوش بك فإنّه سار إلى عقَبة أسادَابَاذ، وانتظر الملك مسعوداً، فلم يره، وانتظره بمكان آخر، فلم يصل إليه، فلمّا أيِس منه سار إلى الموصل، ونزل بظاهرها، وجمع الغلاّت من السواد إليها، واجتمع إليه عسكره، فلمّا سمع بما فعله السلطان مع أخيه، وأنّه عنده، علم أنّه لا مقام له على هذه الحال، فسار كأنّه يريد الصيد، فوصل إلى الزاب، وقال لمن معه: إنّني قد عزمتُ على قصد السلطان محمود، وأُخاطِر بنفسي؛ فسار إليه، فوصل وهو بهَمذان، ودخل إليه، فطيّب قلبه وأمّنه، وأحسن إليه.

وأمّا دُبَيْس فإنّه كان بالعراق، فلمّا بلغه خبر انهزام الملك مسعود نهب البلاد وخرّبها، وفعل فيها الأفاعيل القبيحة، إلى أن أتاه رسول السلطان محمود، وطيّب قلبه، فلم يلتفت[1].

ذكر حال دُبَيْس وما كان منه

لمّا كان منه ببغداذ وسوادها من النهب والقتل والفساد ما لم يجرِ مثله، أرسل إليه الخليفة المسترشد بالله رسالة ينكر عليه، ويأمره بالكفّ، فلم يفعل، فأرسل إليه السلطان وطيّب قلبه، وأمره بمنع أصحابه عن الفساد، فلم يقبل، وسار بنفسه إلى بغداذ، وضرب سرادقه بإزاء دار الخلافة، وأظهر الضغائن التي في نفسه، وكيف طِيف برأس أبيه، وتهدّد الخليفة، وقال: إنّك أرسلتَ تستدعي السلطان، فإن أعدتموه، وإلاّ فعلتُ وصنعتُ. فأُعيد جواب رسالته: أنّ عَوْدَ السلطان، وقد سار عن همَذان، غير ممكنٍ، ولكنّا نُصلح حالك معه.

وكان الرسول شيخ الشيوخ إسماعيل، فكفّ على أن تسيّر الرسل في الاتّفاق بينه وبين السلطان، وعاد عن بغداذ في رجب.

ووصل السلطان في رجب إلى بغداذ، فأرسل دُبَيْس زوجته ابنة عميد الدولة بن جَهِير إليه، ومعها مال كثير، وهدية نفيسة، وسأل الصفح عنه، فأُجيب إلى ذلك على

---

(١) المنتظم ٩/١٨٦، ١٨٧ (١٧/٢١٧، ٢١٨)، بغية الطلب (قسم السلاجقة) ٢٢٥، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/٨٩، ٩٠، المختصر في أخبار البشر ٢/٢٣٢، تاريخ الإسلام ٢٨٢، ٢٨٣، مرآة الجنان ٣/ ٢٠٥، عيون التواريخ ١٢/١٠٣.

قاعدة امتنع منها، ولزِم لجاجه، ونهب جَشيراً للسلطان. فسار السلطان عن بغداذ، في شوّال، إلى قصد دُبيس بالحِلّة، واستصحب ألف سفينة يعبر فيها، فلمّا علم دُبَيْس مسير السلطان أرسل يطلب الأمان، فأمّنه، وكان قصده أن يغالطه ليتجهّز، فأرسل نساءه إلى البطيحة، وأخذ أمواله وسار عن الحلّة، بعد أن نهبها، إلى إيلغازي ملتجئاً إليه، ووصل السلطان إلى الحِلّة، فلم يرَ أحداً، فبات بها ليلة واحدة وعاد.

وأقام دُبَيْس عند إيلغازي، وتردّد معه، ثمّ إنّه أرسل أخاه منصوراً[1] في جيش من قلعة جَعْبَر إلى العراق، فنظر الحِلّة، والكوفة، وانحدر إلى البَصرة، وأرسل إلى يرنقش الزكويّ يسأله أن يُصلح حاله مع السلطان، فلم يتمّ أمره، فأرسل إلى أخيه دُبَيْس يعرّفه ذلك، ويدعوه إلى العراق، فسار من قلعة جَعْبَر إلى الحِلّة سنة خمس عشرة [وخمسمائة]، فدخلها وملكها، وأرسل إلى الخليفة والسلطان يعتذر، ويعدّ من نفسه الطاعة، فلم يُجَبْ إلى ذلك.

وسُيّرت إليه العساكر، فلمّا قاربوه فارق الحِلّة، ودخل إلى الأزبر(!)[2]، وهو نهر سِنْداد، ووصل العسكر إليها، وهي فارغة قد أُجلي أهلها عنها، وليس بها إقامة، فكانت المِيرة تُنقل من بغداذ، وكان مقدّم العسكر سعد الدولة يرنقش الزكويّ، فترك بالحِلّة خمسمائة فارس، وبالكوفة جماعة أخرى تحفظ الطريق على دُبَيْس، وأرسل إلى عسكر واسط يحفظ طريق البطيحة، ففعلوا ذلك، وعبر عسكر السلطان إلى دُبَيْس، فبقي بين الطائفتَيْن نهر يخاض فيه مواضع، فتراسل يرنقش ودُبَيْس، واتّفقا على أن يرسل دُبَيْس أخاه منصوراً رهينةً، ويلازم الطاعة، ففعل، وعاد العسكر إلى بغداذ سنة ستّ عشرة [وخمسمائة][3].

ذكر خروج الكُرْج إلى بلاد الإسلام وملك تِفلِيس

في هذه السنة خرج الكُرج، وهم الخَزَر[4]، إلى بلاد الإسلام، وكانوا[5] قديما يغيرون، فامتنعوا أيّام السلطان ملكشاه إلى آخر أيّام السلطان محمّد، فلمّا كانت هذه

---

(١) في الأوربية: «منصور».

(٢) هكذا في الأصل، وبودليان، والباريسية.

(٣) المنتظم ٩/ ٢٢٧ (١٧/ ١٩٧، ١٩٨)، بغية الطلب (قسم السلاجقة ٢٢٦)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٩٨، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٥ هـ.) ص ٢٨٩، و (حوادث ٥١٦ هـ.) ص ٢٩٣.

(٤) في الأوربية: «الجرز».

(٥) في الأوربية: «وكافوا».

السنة خرجوا ومعهم قفجاق، وغيرهم من الأمم المجاورة لهم، فتكاتب الأمراء المجاورون لبلادهم، واجتمعوا، منهم: الأمير إيلغازي، ودُبَيْس بن صدقة، وكان عنده، والملك طُغرل بن محمّد، وأتابكه كنتغدي، وكان لطُغرل بلد أرّان، ونَقْجُوَانَ إلى أرّس، فاجتمعوا وساروا إلى الكُرج، فلمّا قاربوا تِفلِيسَ، وكان المسلمون في عسكر كثير يبلغون [ثلاثين] ألفاً، التقوا واصطفّت الطائفتان للقتال، فخرج من القفجاق مائتا رجل، فظنّ المسلمون أنّهم مستأمنون، فلم يحترزوا منهم، ودخلوا بينهم، ورمَوْا بالنشّاب، فاضطرّب صفّ المسلمين، فظنّ مَن بَعُد أنّها هزيمة، فانهزموا، وتبع الناس بعضهم بعضاً منهزمين، ولشدّة الزحام صدم بعضهم بعضاً، فقُتل منهم عالم عظيم.

وتبِعهم الكُفّار عشرة فراسخ يقتلون ويأسرون، فقُتل أكثرهم، وأسروا أربعة آلاف رجل، ونجا الملك طُغرل، وإيلغازي، ودُبَيْس، وعاد الكُرج فنهبوا بلاد الإسلام، وحصروا مدينة تِفليس، واشتدّ قتالهم لمن بها، وعظُم الأمر، وتفاقم الخطْب على أهلها، ودام الحصار إلى سنة خمس عشرة [وخمسمائة]، فملكوها عَنوةً.

وكان أهلها لمّا أشرفوا على الهلاك قد أرسلوا قاضيها وخطيبها إلى الكُرج في طلب الأمان، فلم تُصْغِ الكُرج إليهما فأخرقوا بهما، ودخلوا البلد قهراً وغلبةً، واستباحوه ونهبوه، ووصل المستنفرون منهم إلى بغداذ مستصرخين ومستنصرين سنة ستّ عشرة [وخمسمائة]، فبلغهم أنّ السلطان محموداً بهمَذان، فقصدوه واستغاثوا به، فسار إلى أذربِيجان، وأقام بمدينة تِبريز شهر رمضان، وأنفذ عسكراً إلى الكُرج، وسيرد ذكر ما كان منهم[(١)]، إن شاء الله تعالىٰ.

ذكر غزوات إيلغازي هذه السنة

في هذه السنة أرسل المسترشد بالله خِلعاً مع سديد الدولة بن الأنباريّ لنجم الدين إيلغازي، وشكره على ما يفعله من غزو الفرنج، ويأمره بإبعاد دُبَيْس عنه، وسار أبو عليّ بن عمّار الذي كان صاحب طرابلس، مع ابن الأنباريّ إلى إيلغازي ليقيم عنده، يعبر الأوقات بما ينعم[(٢)] به عليه، فاعتذر عن إبعاد[(٣)] دُبَيْس، ووعد به، ثم سار إلى

---

(١) الإنباء في تاريخ الخلفاء ٢١٣، ٢١٤، تاريخ مختصر الدول ٢٠١، ٢٠٢، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣٢، دول الإسلام ٢/ ٤١، العبر ٤/ ٣١، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٤ هـ) ص ٢٨٣، مرآة الجنان ٣/ ٢٠٥، عيون التواريخ ١٢/ ١٠٣.

(٢) في الأوربية: «ينقم».

(٣) في الأوربية: «بإبعاد»، وفي بودليان: «عن إبعاده».

الفرنج، وكان قد جمع لهم جمعاً، فالتقوا بموضعٍ اسمه ذات البقل[١] من أعمال حلب، فاقتتلوا، واشتدّ القتال، وكان الظفر له.

ثم اجتمع إيلغازي وأتابَك طُغتِكين، صاحب دمشق، وحصروا الفرنج في مَعَرّة قِنّسْرين يوماً وليلةً، ثم أشار أتابَك طُغتِكين بالإفراج عنهم، كيلا يحملهم الخوف على أن يستقتلوا ويخرجوا إلى المسلمين، فربّما ظفروا؛ وكان أكثر خوفه من دُبُر خيل التركمان، وجودة خيل الفرنج، فأفرج لهم إيلغازي، فساروا عن مكانهم وتخلّصوا؛ وكان إيلغازي لا يطيل المُقام في بلد الفرنج لأنّه كان يجمع التركمان للطمع، فيحضر أحدهم ومعه جراب فيه دقيق، وشاة، ويَعُدُّ الساعات لغنيمة يتعجّلها، ويعود، فإذا طال مُقامهم تفرّقوا، ولم يكن له من الأموال ما يفرّقها فيهم.

ذكر ابتداء أمر محمّد بن تومَرت وعبد المؤمن وملكهما

في هذه السنة كان ابتداء أمر المهدي أبي عبد الله محمّد بن عبد الله بن تُومَرت العلويّ، الحسنيّ، وقبيلته من المصامدة، تُعرف بهَرغة في جبل السُّوس، من بلاد المغرب، نزلوا به لمّا فتحه المسلمون مع موسى بن نُصير، ونذكر أمره وأمر عبد المؤمن هذه السنة إلى أن فرغ من ملك المغرب لِنُتْبِع بعضَ الحادثة بعضاً.

وكان ابن تُومَرت قد رحل في شبيبته إلى بلاد الشرق في طلب العلم، وكان فقيهاً، فاضلاً، عالماً بالشريعة، حافظاً للحديث، عارفاً[٢] بأصولَي الدين والفِقه، متحقّقاً بعلم العربيّة، وكان ورِعاً، ناسكاً، ووصل في سفره إلى العراق، واجتمع بالغزاليّ، وإلْكِيا، واجتمع بأبي بكر الطُّرطوشيّ بالإسكندريّة، وقيل إنّه جرى له حديث مع الغزاليّ فيما فعله بالمغرب من التملّك، فقال له الغزاليُّ: إنّ هذا لا يتمشّى في هذه البلاد، ولا يمكن وقوعه لأمثالنا.

كذا قال بعض مؤرّخي المغرب، والصحيح أنّه لم يجتمع به، فحجّ من هناك وعاد إلى المغرب، ولمّا ركب البحر من الإسكندريّة، مغرباً، غيّر المنكر في المركب، وألزم مَن به بإقامة الصّلاة، وقراءة القرآن، حتّى انتهى إلى المَهديّة، وسلطانها حينئذٍ يحيى بن تميم، سنة خمسٍ وخمسمائة، فنزل بمسجدِ قبليّ، مسجد السبت، وليس له سوى

---

(١) في الباريسية: «النقل»، وفي بودليان: «ذا نيث اليقل»، وهو «دانيث البقل» Danith بين أنطاكية وحلب.
(٢) في الأوربية: «غارماً».

رَكوة، وعَصاً، وتسامع به أهل البلد، فقصدوه يقرأون عليه أنواع العلوم، وكان إذا مرّ به منكرٌ غيّره وأزاله، فلمّا كثُر ذلك منه أحضره الأمير يحيى مع جماعة من الفقهاء، فلمّا رأى سمتَهُ وسمع كلامه أكرمه واحترمه، وسأله الدعاء.

ورحل عن المدينة وأقام بالمُنَسْتِير مع جماعةٍ من الصالحين، مدّةً، وسار إلى بِجَايَةَ ففعل فيها مثل ذلك، فأُخرج منها إلى قَرية بالقرب منها اسمها مَلاَّلَة[1]، فلقِيه بها عبد المؤمن بن عليّ، فرأى فيه من النجَابة والنهضة ما تفرّس فيه التقدّم، والقيام بالأمر، فسأله عن اسمه وقبيلته، فأخبره أنّه من قيس عيلان، ثم من بني سُلَيْم، فقال ابن تُومَرت: هذا الذي بشّر به النبيّ ﷺ، حين قال: إنّ الله ينصر هذا الدين، في آخر الزمان، برجل من قيس، فقيل: من أيّ قيسٍ؟ فقال: من بني سُليم. فاستبشر بعبد المؤمن وسُرّ بلقائه؛ وكان مولد عبد المؤمن في مدينة تَاجَرَة، من أعمال تِلِمْسان، وهو من عائذ، قبيلٌ من كومرة، نزلوا بذلك الإقليم سنة ثمانين ومائة.

ولم يزل المهديّ ملازِماً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في طريقه إلى أن وصل إلى مرّاكش دار مملكة أمير المسلمين يوسف بن عليّ بن تاشفين، فرأى فيها من المنكَرات أكثر ممّا عاينه في طريقه، فزاد في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فكثُر أتباعه، وحسنت ظنون الناس فيه، فبينما هو في بعض الأيّام في طريقه، إذ رأى أخت أمير المسلمين في موكبها، ومعها من الجواري الحِسان عدّة كثيرة، وهنّ مُسْفِرات، وكانت هذه عادة الملثّمين يُسفر نساؤهم [عن] وجوههنّ، ويتلثّم الرجال، فحين رأى النساء كذلك أنكر عليهنّ، وأمرهنّ بستر وجوههنّ وضرب هو وأصحابه دوابّهنّ، فسقطت أخت أمير المسلمين عن دابّتها، فرُفع أمره إلى أمير المسلمين عليّ بن يوسف، فأحضره، وأحضر الفقهاء ليناظروه فأخذ يَعِظه، ويخوّفه، فبكى أمير المسلمين، وأمر أن يناظره الفقهاء، فلم يكن فيهم من يقوم له لقوّة أدلّته في الذي فعله.

وكان عند أمير المسلمين بعض وزرائه يقال له مالك بن وهيب، فقال: يا أمير المسلمين، إنّ هذا والله لا يريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إنما يريد إثارة فتنة، والغلبة على بعض النواحي، فاقتله وقلّدني دمه. فلم يفعل ذلك، فقال: إن[2] لم تقتله فاحبسه، وخلّده [في] السجن، وإلاّ أثار شرّاً لا يمكن تلافيه. فأراد حبسه، فمنعه رجل من أكابر الملثّمين يسمّى بيان بن عثمان، فأمر بإخراجه من مرّاكُش، فسار إلى

---

(١) في الأصل: «ملاية».

(٢) في الأوربية: «إذ».

أغمَاتَ، ولحِق بالجبل، فسار فيه، حتّى التحق بالسّوسِ الذي فيه قبيلة هرغة وغيرهم من المصامدة سنة أربع عشرة [وخمسمائة]، فأتوه، واجتمعوا حوله.

وتسامع به أهل تلك النواحي، فوفدوا عليه، وحضر أعيانهم بين يدَيْه، وجعل يعظهم، ويذكّرهم بأيّام الله، ويذكر لهم شرائع الإسلام، وما غُيّر منها، وما حدث من الظلم والفساد، وأنّه لا يجب طاعة دولة من هذه الدول لاتّباعهم الباطل، بل الواجب قتالهم، ومَنْعهم عمّا هم فيه، فأقام على ذلك نحو سنة، وتابعته هرغة قبيلته، وسمّى أتباعه الموحّدين، وأعلمهم أنّ النبيّ ﷺ بشّر بالمهديّ الذي يملأ الأرض عدلاً، وأنّ مكانه الذي يخرج منه المغرب الأقصى، فقام إليه عشرة رجال، أحدهم عبد المؤمن، فقالوا: لا يوجد هذا إلاّ فيك فأنت المهديُّ؛ فبايعوه على ذلك.

فانتهى خبره إلى أمير المسلمين، فجهّز جيشاً من أصحابه وسيّرهم إليه، فلمّا قَرُبوا من الجبل الذي هو فيه، قال لأصحابه: إنّ هؤلاء يريدونني، وأخاف عليكم منهم، فالرأي أن أخرج بنفسي إلى غير هذه البلاد لتسلموا أنتم. فقال له ابن توفيان[1] من مشايخ هرغة: هل تخاف شيئاً من السماء؟ فقال: لا، بل من السماء تُنصرون؛ فقال ابن توفيان[2]: فليأتنا كلّ مَن في الأرض. ووافقه جميع قبيلته، فقال المهديّ: أبشِروا بالنصر والظّفَر بهذه الشرذمة، وبعد قليل تستأصلون دولتهم، وترِثون أرضهم. فنزلوا من الجبل، ولقوا جيش أمير المسلمين، فهزموهم، وأخذوا أسلابهم، وقوي ظنّهم في صدق المهدي، حيث ظفروا، كما ذكر لهم.

وأقبلت إليه أفواج القبائل، من الحِلل التي حولَه، شرقاً وغرباً، وبايعوه، وأطاعته قبيلة هنتاتة، وهي من أقوى القبائل، فأقبل عليهم، واطمأنّ إليهم، وأتاه رسل أهل تِينِ مَلّلَ[3] بطاعتهم، وطلبوه إليهم، فتوجّه إلى جبل تِينِ مَلّل واستوطنه، وألّف لهم كتاباً في التوحيد، وكتاباً في العقيدة، ونهج لهم طريق الأدب بعضهم مع بعض، والاقتصار على القصير من الثياب، القليل الثمن، وهو يحرّضهم على قتال عدوّهم، وإخراج الأشرار من بين أظهرهم.

وأقام بِتِينِ مَلّل وبنى[4] له مسجداً خارج المدينة، فكان يصلّي فيه الصلوات هو

(١) في الباريسية: «تومان»، وفي بودليان: «بوفيان».
(٢) في بودليان: «بوفنان».
(٣) هكذا في الأصل.
(٤) في الأوربية: «وبنا».

وجمعٌ ممّن معه عنده، ويدخل البلد بعد العِشاء الآخرة، فلمّا رأى كثرة أهل الجبل، وحصانة المدينة، خاف أن يرجعوا عنه، فأمرهم أن يحضروا بغير سلاح، ففعلوا ذلك عدّة أيّام، ثم إنّه أمر أصحابه أن يقتلوهم، فخرجوا عليهم وهم غارّون فقتلوهم في ذلك المسجد، ثم دخل المدينة فقتل فيها وأكثر، وسبى[1] الحريم، ونهب الأموال، فكان عدّة القتلى خمسة عشر ألفاً، وقسّم المساكن والأرض بين أصحابه، وبنى[2] على المدينة سوراً، وقلعة على رأس جبلٍ عالٍ.

وفي جبلِ تِينِ مَلّلَ أنهار جارية، وأشجار، وزروع، والطريق إليه صعب، فلا جبل أحصن منه.

وقيل: إنّه لمّا خاف أهل تِينِ مَلّلَ نظر، فرأى كثيراً من أولادهم شُقراً زُرقاً، والذي يغلب على الآباء السُّمرة، وكان لأمير المسلمين عدّة كثيرة من المماليك الفرنج والروم، ويغلب على ألوانهم الشُّقرة، وكانوا يصعدون الجبل في كلّ عام مرّةً، ويأخذون ما لهم فيه من الأموال المقرّرة لهم من جهة السلطان، فكانوا يسكنُون بيوت أهله، ويخرجون أصحابها منها، فلمّا رأى المهديّ أولادهم سألهم: ما لي أراكم سُمر الألوان، وأرى أولادكم شُقراً، زُرقاً؟ فأخبروه خبرهم مع مماليك أمير المسلمين، فقبّح الصبر على هذا، وأزرى عليهم، وعظّم الأمر عندهم، فقالوا له: فكيف الحيلة في الخلاص منهم، وليس لنا بهم قوّة؟ فقال: إذا حضروا عندكم في الوقت المعتاد، وتفرّقوا في مساكنهم، فليقمْ كلّ رجل منكم إلى نزيلِه فيقتلهُ، واحفظوا جبلكم، فإنّه لا يرام ولا يُقْدَر عليه. فصبروا حتّى حضر أولئك العبيد، فقتلوهم على ما قرّر لهم المهدي، فلمّا فعلوا ذلك خافوا على نفوسهم من أمير المسلمين، فامتنعوا في الجبل، وسدّوا ما فيه من طريق يُسْلَك إليهم، فقويت نفس المهدي بذلك.

ثم إنّ أمير المسلمين أرسل إليهم جيشاً قويّاً، فحصروهم في الجبل، وضيّقوا عليهم، ومنعوا عنهم الميرة، فقلّتْ عند أصحاب المهدي الأقواتُ، حتّى صار الخبز معدوماً عندهم، وكان يطبخ لهم كلّ يوم من الحساء ما يكفيهم، فكان قوت كلّ واحد منهم أن يغمسَ يده في ذلك الحساء ويخرجَها، فما علق عليها قنع به ذلك اليوم، فاجتمع أعيان أهل تِينِ مَلّلَ، وأرادوا إصلاح الحال مع أمير المسلمين، فبلغ الخبر بذلك المهدي بن تُومَرت، وكان معه إنسان يقال له أبو عبد الله الونشريشيُّ، يُظهر البله،

---

(١) في الأوروبية: «وسبا».

(٢) في الأوروبية: «وبنا».

وعدم المعرفة بشيء من القرآن والعلم، وبُزاقه يجري على صدره، وهو كأنّه معتوه، ومع هذا فالمهدي يقرّبه، ويُكرمه، ويقول: إنّ لله سِرّاً في هذا الرجل سوف يظهر.

وكان الونشريشيّ يلزم الاشتغال بالقرآن والعلم في السرّ بحيث لا يعلم أحد ذلك منه، فلمّا كان سنة تسع عشرة [وخمسمائة]، وخاف المهديُّ من أهل الجبل، خرج يوماً لصلاة الصُّبح، فرأى إلى جانب محرابه إنساناً حسن الثياب، طيّب الريح، فأظهر أنّه لا يعرفه، وقال: مَنْ هذا؟ فقال: أنا أبو عبد الله الونشريشيّ! فقال له المهدي: إن أمرك لعجب! ثم صلى، فلما فرغ من صلاته نادى في الناس فحضروا، فقال: إن هذا الرجل يزعم أنه الونشريشي، فانظروه، وحقّقوا أمره. فلمّا أضاء النهار[1] عرفوه، فقال له المهديُّ: ما قصّتك؟ قال: إنّني أتاني الليلة ملك من السماء، فغسل قلبي، وعلّمني الله القرآن، والموطّأ، وغيره من العلوم والأحاديث. فبكى المهديُّ بحضرة الناس، ثم قال له: نحن نمتحنك؛ فقال: افعلْ.

وابتدأ يقرأ القرآن قراءة حسنة من أيّ موضع سُئل، وكذلك الموطّأ، وغيره من كتب الفقه والأصول، فعجب الناس من ذلك، واستعظموه.

ثم قال لهم: إنّ الله تعالىٰ قد أعطاني نوراً أعرف به أهل الجنّة من أهل النار، وآمركم أن تقتلوا أهل النار، وتتركوا أهل الجنّة، وقد أنزل الله تعالىٰ ملائكة إلى البئر التي في المكان الفلاني يشهدون بصدقي.

فسار المهديُّ، والناس معه وهم يبكون، إلى تلك البئر، وصلّى المهديُّ عند رأسها، وقال: يا ملائكة الله! إنّ أبا عبد الله الونشريشيّ قد زعم كيتَ وكيتَ؛ فقال مَن بها: صدق! وكان قد وضع فيها رجالاً يشهدون بذلك، فلمّا قيل ذلك من البئر، قال المهدي: إنّ هذه مطهّرة مقدّسة قد نزل إليها الملائكة، والمصلحة أن تُطمّ لئلاّ يقع فيها نجاسة، أو ما لا يجوز؛ فألقوا فيها من الحجارة والتراب ما طمّها، ثم نادى في أهل الجبل بالحضور إلى ذلك المكان، فحضروا للتمييز[2]، فكان الونشريشيّ يعمد إلى الرجل الذي يخاف ناحيته، فيقول: هذا من أهل النار؛ فيُلقى من الجبل مقتولاً، وإلى الشاب الغِرّ، ومن لا يخشى، فيقول: هذا من أهل الجنّة؛ فيُترك على يمينه، فكان عدّة القتلى سبعين ألفاً. فلمّا فرغ من ذلك أمن على نفسه وأصحابه واستقام أمر.

(١) في الأوربية: «النهر».
(٢) في الأوربية: «للتمئيز».

هكذا سمعتُ جماعة من فضلاء المغاربة يذكرون في التمييز، وسمعتُ منهم من يقول: إنّ ابن تُومَرت لمّا رأى كثرة أهل الشرّ والفساد في أهل الجبل، أحضر شيوخ القبائل، وقال لهم: إنّكم لا يصحّ لكم دين، ولا يقوى إلاّ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإخراج المفسد من بينكم، فابحثوا عن كلّ مَن عندكم من أهل الشرّ والفساد، فانهوهم عن ذلك، فإن انتهَوا، وإلاّ فاكتبوا أسماءهم وارفعوها إليّ لأنظر في أمرهم. ففعلوا ذلك، وكتبوا له أسماءهم من كلّ قبيلة، ثم أمرهم بذلك مرّة ثانية، وثالثة، ثم جمع المكتوبات فأخذ منها ما تكرّر من الأسماء فأثبتها عنده، ثم جمع الناس قاطبةً، ورفع الأسماء التي كتبها، ودفعها إلى الونشريشيّ المعروف بالبشير، وأمره أن يعرض القبائل، ويجعل أولئك المفسدين في جهة الشمال، ومَن عداهم في جهة اليمين، ففعل ذلك، وأمر أن يُكتَّف مَن على شمال الونشريشيّ، فكتفوا، وقال: إنّ هؤلاء أشقياء قد وجب قتلهم؛ وأمر كلّ قبيلة أن يقتلوا أشقياءهم، فقُتلوا عن آخرهم فكان يوم التمييز.

ولمّا فرغ ابن تومرت من التمييز، رأى أصحابه[1] الباقين على نيّات صادقة، وقلوب متّفقة على طاعته، فجهّز منهم جيشاً وسيّرهم إلى جبال أغمات، وبها جمعٌ من المرابطين، فقاتلوهم، فانهزم أصحاب ابن تومرت، وكان أميرهم أبو عبد الله الونشريشيّ، وقُتل منهم كثير، وجُرح عمر الهنتاتيُّ[2]، وهو من أكبر أصحابه، وسكن حسّه ونبضه، فقالوا: مات! فقال الونشريشيُّ: أما إنه لم يمُتْ، ولا يموت حتى يملك البلاد. فبعد ساعة فتح عينَيْه، وعادت قوّته إليه، فافتتنوا به، وعادوا منهزمين إلى ابن تومرت، فوعظهم، وشكرهم على صبرهم.

ثم لم يزل بعدها يُرسل السرايا في أطراف بلاد المسلمين، فإذا رأوا عسكراً تعلّقوا بالجبل فأمِنوا. وكان المهديُّ قد رتّب أصحابه مراتبَ؛ فالأولى يسمّون أيت عشرة يعني أهل عشرة، وأوّلهم عبد المؤمن، ثم أبو حفص الهنتاتيّ، وغيرهما، وهم أشرف أصحابه، وأهل الثقة عنده، والسابقون إلى متابعته؛ والثانية: أيت خمسين، يعني أهل خمسين، وهم دون تلك الطبقة، وهم جماعة من رؤساء القبائل؛ والثالثة: أيت سبعين، يعني أهل سبعين، وهم دون التي قبلها، وسمّي عامّة أصحابه والداخلين في طاعته موحّدين، فإذا ذُكر الموحّدون في أخبارهم فإنّما يُعنى أصحابه وأصحاب عبد المؤمن بعده.

---

(١) في الأوربية: «أصحاب».
(٢) في الأصل: «هساى».

ولم يزل أمر ابن تومرت يعلو إلى سنة أربعٍ وعشرين [وخمسمائة]، فجهّز المهديّ جيشاً كثيفاً يبلغون أربعين ألفاً، أكثرهم رجّالة، وجعل عليهم الونشريشيّ، وسيّر معهم عبدَ المؤمن، فنزلوا وساروا إلى مرَّاكُش فحصروها، وضيّقوا عليها، وبها أمير المسلمين عليُّ بن يوسف، فبقي الحصار عليها عشرين يوماً، فأرسل أمير المسلمين إلى متولّي سِجِلْمَاسة يأمره أن يحضر ومعه الجيوش، فجمع جيشاً كثيراً وسار، فلمّا قارب عسكر المهديّ خرج أهل مرَّاكُش من غير الجهة التي أقبل منها، فاقتتلوا، واشتدّ القتال، وكثُر القتل في أصحاب المهدي، فقُتل الونشريشيّ أميرهم، فاجتمعوا إلى عبد المؤمن وجعلوه أميراً عليهم.

ولم يزل القتال بينهم عامّة النهار، وصلّى عبد المؤمن صلاة الخوفِ، الظُّهرَ والعصْرَ، والحرب قائمة، ولم تُصلّ بالمغرب قبل ذلك، فلمّا رأى المصامدة كثرة المرابطين، وقوّتهم، أسندوا ظهورهم إلى بستان كبير هناك، والبستان يُسمّى عندهم البُحيرة، فلهذا قيل وقعة البُحيرة، وعام البُحيرة، وصاروا يقاتلون من جهة واحدة إلى أن أدركهم الليل، وقد قُتل من المصامدة[1] أكثرهم، وحين قُتل الونشريشيُّ دفنه عبد المؤمن، فطلبه المصامدة، فلم يروه في القتلى، فقالوا: رفعتْه الملائكة؛ ولمّا جنّهم الليل سار عبد المؤمن ومن سلم من القَتْل إلى الجبل.

ذكر وفاة المهدي وولاية عبد المؤمن

لمّا سيّر الجيش إلى حصار مَرَّاكُش مرض مرضاً شديداً، فلمّا بلغه خبر الهزيمة اشتدّ مرضه، وسأل عن عبد المؤمن، فقيل: هو سالم؛ فقال: ما مات أحد، الأمر قائم، وهو الذي يفتح البلاد. ووصّى أصحابه باتّباعه، وتقديمه، وتسليم الأمر إليه، والانقياد له، ولقّبه أمير المؤمنين.

ثم مات المهديُّ، وكان عمره إحدى وخمسين سنة، وقيل: خمساً[2] وخمسين سنة، ومدّة ولايته عشرين سنة، وعاد عبد المؤمن إلى تِين مَلّلَ، وأقام بها يتألّف القلوب، ويحسن إلى الناس، وكان جواداً مقداماً في الحروب، ثابتاً في الهزاهز، إلى أن دخلت سنة ثمانٍ وعشرين وخمسمائة، فتجهّز وسار في جيش كثير، وجعل يمشي مع الجبل أن أن وصل إلى تَادَلَة، فمانعه أهلُها، وقاتلوه، فقهرهم، وفتحها وسائر البلاد

---

(١) في الأوربية: «المصاعدة».

(٢) في الأوربية: «خمس».

التي تليها ومشى[1] في الجبال يفتح ما امتنع عليه، وأطاعته صنهاجة الجبل.

وكانَ أمير المسلمين قد جعل وليَّ عهده ابنه سير، فمات، فأحضر أمير المسلمين ابنه تاشفين من الأندلس، وكان أميراً عليها، فلمّا حضر عنده جعله وليَّ عهده سنة إحدى وثلاثين [وخمسمائة]، وجعل معه جيشاً، وصار يمشي في الصحراء قبالة عبد المؤمن في الجبال.

وفي سنة اثنتين وثلاثين كان عبد المؤمن في النواظر، وهو جبل عالٍ مشرفٌ، وتاشفين في الوطأ، [وكان] يخرج من الطائفتَيْن قوم يترامون ويتطاردون، ولم يكن بينهما لقاء، ويسمّى عام النواظر.

وفي سنة ثلاثٍ وثلاثين توجّه عبد المؤمن، مع الجبل، في الشَّعْراء، حتّى انتهى إلى جبل كرناطة، فنزل في أرض صُلْبة، بين شجر، ونزل تاشفين قبالته، في الوطأة، في أرض لا نبات فيها، وكان الفصل شاتياً، فتوالت الأمطار أيّاماً كثيرة لا تُقلِع[2]، فصارت الأرض التي فيها تاشفين وأصحابه كثيرة الوحل، تسوخ فيها قوائم الخيل إلى صدورها، ويعجز الرجل عن المشي فيها، وتقطّعت الطرق عنهم، فأوقدوا رماحهم، وقرابيس سروجهم، وهلكوا جوعاً وبرداً وسوء حالٍ.

وكان عبد المؤمن وأصحابه في أرض خشنة صلبة في الجبل، لا يبالون بشيء، والميرة متّصلة إليهم؛ وفي ذلك الوقت سيّر عبد المؤمن جيشاً إلى وَجْرَةَ من أعمال تِلِمْسان، ومقدّمهم أبو عبد الله محمّد بن رقو، وهو من أيت خمسين، فبلغ خبرهم إلى محمّد بن يحيى بن فانّوا[3]، متولّي تِلِمْسان، فخرج في جيش من الملثّمين، فالتقوا بموضع يُعرف بخندق الخمر، فهزمهم جيش عبد المؤمن، وقُتل محمّد بن يحيى وكثير من أصحابه، وغنموا ما معهم ورجعوا؛ فتوجّه عبد المؤمن بجميع جيشه إلى غمارة، فأطاعوه قبيلة بعد قبيلة، وأقام عندهم مدّة.

وما برح يمشي في الجبال، وتاشفين يحاذيه في الصحارى، فلم يزل عبد المؤمن كذلك إلى سنة خمسٍ وثلاثين، فتوفّي أمير المسلمين عليّ بن يوسف بمرَّاكُش وملك بعده ابنه تاشفين، فقوي طمع عبد المؤمن في البلاد، إلاّ أنّه لم ينزل الصحراء.

وفي سنة ثمانٍ وثلاثين توجّه عبد المؤمن إلى تِلِمْسان، فنازلها، وضرب خيامه في

---

(١) في الأوربية: «ومشا».
(٢) في الأوربية: «يقلع».
(٣) في الباريسية: «فـادوا»، وبودليان: «فانوا».

جبل بأعلاها، ونزل تاشفين على الجانب الآخر من البلد، وكان بينهم مناوشة، فبقوا كذل إلى سنة تسعٍ وثلاثين، فرحل عبد المؤمن عنها إلى جبل تَاجَرَة، ووجّه جيشاً مع عمر الهنتاتيّ إلى مدينة وَهْران، فهاجمها بغتةً، وحصل هو وجيشه فيها، فسمع [بذلك عبد المؤمن] فسار إليها، فخرج منها عمر، ونزل تاشفين بظاهر وَهْران، على البحر، في شهر رمضان سنة تسعٍ وثلاثين، فجاءت ليلة سبعٍ وعشرين منه، وهي ليلة يعظّمها أهل المغرب، وبظاهر وَهْران ربوة مطلّة على البحر، وبأعلاها ثَنيّة يجتمع فيها المتعبّدون، وهو موضع معظّم عندهم، فسار إليه تاشفين في نفر يسير من أصحابه متخفّياً، لم يعلم به إلاّ النفر الذين معه، وقصد التبرّك بحضور ذلك الموضع مع أولئك الجماعة الصالحين، فبلغ الخبر إلى عمر بن يحيى الهنتاتيّ، فسار لوقته بجميع عسكره إلى ذلك المتعبَّد، وأحاطوا به، وملكوا الربوة، فلمّا خاف تاشفين على نفسه أن يأخذوه ركب فرسه وحمل عليه إلى جهة البحر، فسقط من جُرفٍ عالٍ على الحجارة فهلك، ورُفعت جثّته على خشبة، وقُتل كلّ من كان معه.

وقيل: إنّ تاشفين قصد حصناً هناك على رابية، وله فيه بستان كبير فيه من كلّ الثمار، فاتّفق أنّ عمر الهنتاتيّ، مقدّم عسكر عبد المؤمن، سيّر سريّةً إلى ذلك الحصن، يُعلمهم بضعفَ مَن فيه، ولم يعلموا أنّ تاشفين فيه، فألقوا النار في بابه فاحترق، فأراد تاشفين الهرب، فركب فرسه، فوثب الفرس من داخل الحصن إلى خارج السور، فسقط في النار، فأُخذ تاشفين، فاعترف، فأرادوا حمله إلى عبد المؤمن، فمات في الحال لأنّ رقبته كانت قد اندقّت، فصُلب، وقُتل كلّ من معه، وتفرّق عسكره ولم يَعُدْ لهم جماعة. وملك بعده أخوه إسحاق بن عليّ بن يوسف.

ولمّا قُتل تاشفين أرسل عمر إلى عبد المؤمن بالخبر، فجاء من تَاجَرَةَ في يومه بجميع عسكره، وتفرّق عسكر أمير المسلمين، واحتمى بعضهم بمدينة وَهْران، فلمّا وصل عبد المؤمن دخلها بالسيف، وقتل فيها ما لا يُحصى. ثم سار إلى تِلِمْسان، وهما مدينتان بينهما شوط فرس، إحداهما تاهَرْتُ[1]، وبها عسكر المسلمين، والأخرى[2] أقادير[3]، وهي بناء قديم، فامتنعت أقادير[3]، وغلقت أبوابها، وتأهّب أهلها للقتال.

وأمّا تاهَرْتُ[1]، فكان فيها يحيى بن الصحراويّة، فهرب منها بعسكره إلى مدينة

---

(١) في الأوربية: «أحدهما تاجرت»، وفي هامش الباريسية: «تامردت»، وبودليان: «تامررت».

(٢) في الأوربية: «والآخر».

(٣) تُعرف الآن «أغادير».

فاس، وجاء عبد المؤمن إليها، فدخلها لمّا فرّ منها العسكر، ولقيه أهلها بالخضوع والاستكانة، فلم يقبل منهم ذلك، وقتل أكثرهم، ودخلها عسكره، ورتّب أمرها، ورحل عنها، وجعل على أقادير جيشاً يحصرها، وسار إلى مدينة فاس سنة أربعين [وخمسمائة] فنزل على جبل مُطِلّ عليها، وحصرها تسعة أشهر، وفيها يحيى بن الصحراويّة، وعسكره الذين فرّوا من تِلِمْسان، فلمّا طال مُقام عبد المؤمن عمد إلى نهر يدخل البلد فسكّره بالأخشاب والتراب وغير ذلك، فمنعه من دخول البلد، وصار بُحيرة تسير فيها السفن، ثم هدم السكر، فجاء الماء دفعةً واحدة فخرّب سور البلد، وكلّ ما يجاور[1] النهر من البلد، وأراد عبد المؤمن أن يدخل البلد، فقاتله أهله خارج السور، فتعذّر عليه ما قدّره من دخوله.

وكان بفاس عبد الله بن خيار الجَيّانيّ[2] عاملاً عليها وعلى جميع أعمالها، فاتّفق هو وجماعة من أعيان البلد، وكاتبوا عبدَ المؤمن في طلب الأمان لأهل فاس، فأجابهم إليه، ففتحوا له باباً من أبوابها، فدخلها عسكره، وهرب يحيى بن الصحراويّة، وكان فتحها آخر سنة أربعين وخمسمائة، وسار إلى طنجَةَ، ورتّب عبد المؤمن أمر مدينة فاس، وأمر فنودي في أهلها: مَن ترك عنده سلاحاً وعدّة قتال حلّ دمه؛ فحمل كلّ من في البلد ما عندهم من سلاح إليه، فأخذه منهم.

ثم رجع إلى مِكْنَاسَة، ففعل بأهلها مثل ذلك، وقتل من بها من الفرسان والأجناد.

وأمّا العسكر الذي كان على تِلِمْسان فإنّهم قاتلوا أهلها ونصبوا المجانيق، وأبراج الخشب، وزحفوا بالدبّابات؛ وكان المقدّم على أهلها الفقيه عثمان، فدام الحصار نحو سنة، فلمّا اشتدّ الأمر على أهل البلد اجتمع جماعة منهم وراسلوا الموحّدين أصحاب عبد المؤمن، بغير علم الفقيه عثمان، وأدخلوهم البلد، فلم يشعر أهله إلاّ والسيف يأخذهم، فقُتل أكثر أهله، وسُبيت الذريّة والحريم، ونُهب من الأموال ما لا يُحصى، ومن الجواهر ما لا تُحدّ قيمته، ومن لم يُقتل بِيع بأوكس الأثمان، وكان عدّة القتلى مائة ألف قتيل، وقيل: إنّ عبد المؤمن هو الذي حصر تِلِمْسان، وسار منها إلى فاس، والله أعلم.

---

(١) في الأوربية: «وكلما يجاوز».

(٢) في الأصل: «الجباني».

وسيّر عبد المؤمن سريّة إلى مِكناسةَ، فحصروها مدّةً، ثم سلّمها إليهم أهلها بالأمان فوفوا لهم.

وسار عبد المؤمن من فاس إلى مدينة سَلاً ففتحها، وحضر عنده جماعة من أعيان سَبتَةَ، فدخلوا في طاعته، فأجابهم إلى بذل الأمان، وكان ذلك سنة إحدى وأربعين [وخمسمائة].

ذكر ملك عبد المؤمن مدينة مَرّاكُش

لمّا فرغ عبد المؤمن من فاس، وتلك النواحي، سار إلى مَرَّاكُشَ، وهي كرسيّ مملكة الملثّمين، وهي من أكبر المدن وأعظمها، وكان صاحبها حينئذ إسحاق بن عليّ بن يوسف بن تاشفين، وهو صبيّ، فنازلها، وكان نزوله عليها[1] سنة إحدى وأربعين [وخمسمائة]، فضرب خيامه في غربيّها على جبل صغير، وبنى[2] عليه مدينة له ولعسكره، وبنى[2] بها جامعاً وبنى[2] له بناء عالياً يُشرف[3] منه على المدينة، ويرى أحوال أهلها، وأحوال المقاتلين من أصحابه، وقاتلها قتالاً كثيراً، وأقام عليها أحد عشر شهراً، فكان من بها من المرابطين يخرجون يقاتلونهم بظاهر البلد، واشتدّ الجوع على أهله، وتعذّرت الأقوات عندهم.

ثم زحف إليهم يوماً، وجعل لهم كميناً، وقال لهم: إذا سمعتم صوت الطبل فاخرجوا؛ وجلس هو بأعلى المنظرة التي بناها يشاهد القتال، وتقدّم عسكره، وقاتلوا، وصبروا، ثم إنّهم انهزموا لأهل مَرّاكُش ليتبعوهم إلى الكمين الذي لهم، فتبعهم الملثّمون إلى أن وصلوا إلى مدينة عبد المؤمن، فهدموا أكثرَ سورها، وصاحت المصامدة بعبد المؤمن ليأمر بضرب الطبل ليخرج الكمين، فقال لهم: اصبروا حتّى يخرج كلّ طامع في البلد؛ فلمّا خرج أكثر أهله أمر بالطبل فضُرب وخرج الكمين عليهم، ورجع المصامدة المنهزمون إلى الملثّمين فقتلوهم كيف شاءوا، وعادت الهزيمة على الملثّمين، فمات في زحمة الأبواب ما لا يحصيه إلاّ الله سبحانه.

وكان شيوخ الملثّمين يدبّرون دولة إسحاق بن عليّ بن يوسف لصغر سنّه، فاتّفق أنّ إنساناً من جملتهم يقال له عبد الله بن أبي بكر خرج إلى عبد المؤمن مستأمناً وأطلعه

(١) في الأوربية: «عليه».
(٢) في الأوربية: «وبنا».
(٣) في الأوربية: شرف».

على عوراتهم وضعفهم، فقوي الطمع فيهم، واشتدّ عليهم البلاء، ونصب عليهم المنجنيقات والأبراج، وفنيت أقواتهم، وأكلوا دوابّهم، ومات من العامّة بالجوع ما يزيد على مائة ألف إنسان، فأنتن البلد من ريح الموتى.

وكان بمَرَّاكُش جيش من الفرنج كان المرابطون قد استنجدوا بهم، فجاءوا إليهم نجدةً، فلمّا طال عليهم الأمر راسلوا عبد المؤمن يسألون الأمان، فأجابهم إليه، ففتحوا له باباً من أبواب البلد يقال له باب أغمات، فدخلت عساكره بالسيف، وملكوا المدينة عنوةً، وقتلوا من وجدوا، ووصلوا إلى دار أمير المسلمين، فأخرجوا الأمير إسحاق وجميع من معه من أمراء المرابطين، فقُتلوا، وجعل إسحاق يرتعد رغبة في البقاء، ويدعو لعبد المؤمن ويبكي، فقام إليه الأمير سير بن الحاجّ، وكان إلى جانبه مكتوفاً، فبزق في وجهه، وقال: تبكي على أبيك وأمّك؟ اصبر صبر الرجال، فهذا رجل لا يخاف الله ولا يدين[1] بدين. فقام الموحّدون إليه بالخشب فضربوه حتّى قتلوه، وكان من الشجعان المعروفين بالشجاعة، وقُدّم إسحاق، على صغر سنّه، فضُربت عنقه سنة اثنتين وأربعين [وخمسمائة]، وهو آخر ملوك المرابطين وبه انقرضت دولتهم، وكانت مدّة ملكهم سبعين سنة، ووليَ منهم أربعة: يوسف وعليّ وتاشفين وإسحاق.

ولمّا فتح عبد المؤمن مَرّاكُش أقام بها، واستوطنها واستقرّ ملكه. ولمّا قتل عبد المؤمن من أهل مَرَّاكُش فأكثر فيهم القتل اختفى كثير من أهلها، فلمّا كان بعد سبعة أيّام أمر فنودي بأمان من بقي من أهلها، فخرجوا، فأراد أصحابه المصامدة قتْلهم، فمنعهم، وقال: هؤلاء صنّاع، وأهل الأسواق مَن ننتفع به؛ فتُركوا، وأمر بإخراج القتلى من البلد، فأخرجوهم، وبنى[2] بالقصر جامعاً كبيراً، وزخرفه فأحسن عمله، وأمر بهدم الجامع الذي بناه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين.

ولقد أساء يوسف بن تاشفين في فعله بالمعتمد بن عبّاد، وارتكب بسجنه على الحالة المذكورة أقبح مركب، فلا جَرَمَ سلّط الله [عليه في] عقابه[3] مَنْ أربى في الأخذ عليه وزاد، فتبارك الحيّ الدائم الملك، الّذي لا يزول ملكه، وهذه سُنّة الدنيا، فأُفّ لها، ثم أُفّ، نسأل الله أن يختم أعمالنا بالحُسنى، ويجعل خير أيّامنا يوم نلقاه بمحمّدٍ وآله.

---

(١) في الأوربية: «يدينه».
(٢) في الأوربية: «وبنا».
(٣) في الأوربية: «أعقابه».

ذكر ظفر عبد المؤمن بدكّالة

في سنة ثلاثٍ وأربعين وخمسمائة سار بعض المرابطين من الملثّمين إلى دَكّالة، فاجتمع إليه قبائلها، وصاروا يُغيرون على أعمال مَرَّاكُش، وعبد المؤمن لا يلتفت إليهم، فلمّا كثُر ذلك منهم سار إليهم سنة أربعٍ وأربعين [وخمسمائة]، فلمّا سمعت دَكّالة بذلك انحشروا كلّهم إلى ساحل البحر في مائتَيْ ألف راجل وعشرين ألف فارس، وكانوا موصوفين بالشجاعة.

وكان مع عبد المؤمن من الجيوش ما يخرج عن الحصر، وكان الموضع الذي فيه دَكّالة كثير الحجَر والحُزُونة، فكمّنوا فيه كمناء ليخرجوا على عبد المؤمن إذا سلكه، فمن الاتّفاق الحسن له أنّه قصدهم من غير الجهة التي فيها الكمناء، فانحلّ عليهم ما قدروه، وفارقوا ذلك الموضع، فأخذهم السيف، فدخلوا البحر، فقُتل أكثرهم، وغُنمت إبلهم وأغنامهم وأموالهم، وسُبِيَتْ نساؤهم وذراريّهم، فبيعت الجارية الحسناء بدراهم يسيرة، وعاد عبد المؤمن إلى مرّاكش مظفّراً منصوراً، وثبت ملكه، وخافه الناس في جميع المغرب، وأذعنوا له بالطاعة.

ذكر حصر مدينة كُتندة

في هذه السنة، يعني سنة أربع عشرة وخمسمائة، خرج ملك من ملوك الفرنج بالأندلس، يقال له ابن رُذمير، فسار حتّى انتهى إلى كُتندة، وهي بالقرب من مُرسية، في شرق الأندلس، فحصرها، وضيّق على أهلها، وكان أمير المسلمين عليُّ بن يوسف حينئذ بقُرطُبة، ومعه جيش كثير من المسلمين والأجناد المتطوّعة، فسيّرهم إلى ابن رُذمير، فالتقوا واقتتلوا أشدّ القتال، وهزمهم ابن رُذمير هزيمة منكرة، وكثر القتل في المسلمين، وكان فيمن قُتل أبو عبد الله بن الفرّاء، قاضي المَريّة، وكان من العلماء العاملين، والزهّاد في الدنيا العادلين في القضاء[1].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة كسر بلكُ بن أُرتُق عفراسَ الروميّ، وقتل من الروم خمسة آلاف رجل (على قلعة سرمان من بلد اندكان (!)[2])، وأُسر عفراس وكثير من عسكره.

---

(١) معجم البلدان ٤/ ٣١٠، دول الإسلام ٢/ ٤٢، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٤ هـ) ص ٢٨٥.

(٢) من نسخة بودليان.

وفيها أغار جوسلين الفرنجيُّ، صاحب الرُّها، على جيوش العرب والتركمان، وكانوا نازلين بصِفّين، غَربيّ الفُراتُ، وغنم من أموالهم وخيلهم ومواشيهم شيئاً كثيراً، ولمّا عاد خرّب بُزاعة[1].

وفيها تسلّم أتابك طغتكين، صاحب دمشق، مدينة تدمر والشقيف.

وفيها أمر السلطان محمود الأمير جيوش بك بالمسير إلى حرب أخيه طُغْرل، فسار إليه، فسمع طُغرل وأتابكه كنتغدي ذلك، فسارا إلى كَنْجَةَ من بين يدَي العسكر، ولم يَجْرِ قتالٌ.

[الوفيات]

وفيها، في المحرّم، توفّي خالصة الدولة أبو البركات أحمد بن عبد الوهّاب بن السيبيّ[2]، صاحب المخزن ببغداذ، ووليَ مكانه الكمال أبو الفتوح حمزة بن طلحة، المعروف بابن البقشلام، والد علم الدين الكاتب المعروف.

وفي جُمادى الأولى منها توفّي أبو سعد عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القُشَيريُّ[3]، الإمام ابن الإمام، وكان أخذ العلم من قرابته[4]، والطريقة أيضاً، ثم استفاد أيضاً من إمام الحرمَيْن أبي المعالي الجُوَينيّ، سمع الحديث من جماعة، ورواه، وكان حَسَن الوعظ، وسريع الخاطر، ولمّا توفّي جلس الناس في البلاد البعيدة للعزاء به، حتّى في بغداذ برباط شيخ الشيوخ.

---

(١) ذيل تاريخ دمشق ٢٠٣.

(٢) انظر عن (ابن السيبي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٤ هـ.) ص ٣٦٢ رقم ٦٤، وفيه مصادر ترجمته.

(٣) انظر عن (القشيري) في: البداية والنهاية ١٢/ ١٨٧ وفيه: «عبد الرحيم بن عبد الكبير»، والمنتظم ١٧/ ١٩٠ رقم ٣٨٩٥، وشذرات الذهب ٤/ ٤٥.

(٤) في الأوربية: «قرابيه».

٥١٥
ثم دخلت سنة خمس عشرة وخمسمائة

ذكر إقطاع البُرسقيّ الموصل

في هذه السنة، في صفر، أقطع السلطان محمود مدينة الموصل وأعمالها، وما ينضاف إليها، كالجزيرة، وسِنجار، وغيرهما، الأمير آقسنقَر البُرسقيَّ.

وسبب ذلك: أنّه كان في خدمة السلطان محمود، ناصحاً له، ملازماً له في حروبه كلّها، وكان له الأثر الحسن في الحرب المذكورة بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود، وهو الذي أحضر الملك مسعوداً[١] عند أخيه السلطان محمود، فعظم عند ذلك السلطان محمود، ولمّا حضر جيوش بك عند السلطان محمود وبقيت الموصل بغير أمير ولّى عليها البرسقيَّ، وتقدّم إلى سائر الأمراء بطاعته، وأمره بمجاهدة الفرنج وأخذ البلاد منهم، فسار إليها في عسكر كثير وملكها، وأقام يدبّر أمورها، ويصلح أحوالها[٢].

ذكر وفاة الأمير عليّ وولاية ابنه الحسن إفريقية

في هذه السنة توفّي الأمير عليُّ بن يحيى بن تميم، صاحب إفريقية، في العشر الأخير[٣] في ربيع الآخر، وكان مولده بالمهديّة، وقد تقدّم من حروبه وأعماله ما يُستدلّ به على علوّ همّته، ولمّا توفّي وليَ الملك بعده ابنه الحسن، بعهد أبيه، وقام بأمر دولته

---

(١) في الأوربية: «مسعود».

(٢) كتاب الروضتين ١/ ٧٣، الأعلاق الخطيرة ج ١ ق ١/ ١٣٣، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣٥، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٥ هـ.) ص ٢٨٩، ٢٩٠، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٨، البداية والنهاية ١٢/ ١٨٨، عيون التواريخ ١٢/ ١٢٠.

(٣) في الأوربية: «الآخر».

صندل الخصيّ، لأنّه كان عمره حينئذ اثنتي عشرة سنة لا يستقلّ بتدبير الملك، فقام صندل في الحفظ والاحتياط، فلم تطُلْ أيّامه حتّى توفّي، فوقع الاختلاف بين أصحابه وقوّاده، كلّ منهم يقول: أنا المقدّم على الجميع، وبيدي الحلّ والشدّ؛ فلم يزالوا كذلك إلى أن فوّض أمور دولته إلى قائد من أصحاب أبيه يقال له أبو عزيز موفّق، فصلحت الأمور.

ذكر قتل أمير الجيوش

في هذه السنة، في الثالث والعشرين من رمضان، قُتل أمير الجيوش الأفضل بن بدر الجماليُّ، وهو صاحب الأمر والحكم بمصر، وكان ركب إلى خزانة السلاح ليفرّقه على الأجناد، على جاري العادة في الأعياد، فسار معه عالم كثير من الرجّالة والخيّالة، فتأذّى بالغبار، فأمر بالبعد عنه، وسار منفرداً، معه رجلان، فصادفه رجلان بسوق الصياقلة، فضرباه بالسكاكين فجرحاه، وجاء الثالث من ورائه، فضربه بسكّين في خاصرته، فسقط عن دابّته، ورجع أصحابه فقتلوا الثلاثة، وحملوه إلى دار الأفضل، فدخل عليه الخليفة، وتوجّع له، وسأل عن الأموال، فقال: أمّا الظاهر منها فأبو الحسن بن أُسامة الكاتب يعرفه، وكان من أهل حلب، وتولّى أبوه قضاء القاهرة، وأمّا الباطن[1] فابن البطائحيّ يعرفه؛ فقالا: صدق.

فلمّا توفّي الأفضل نُقل من أمواله ما لا يعلمه إلاّ الله تعالىٰ، وبقي الخليفة في داره نحو أربعين يوماً، والكتّاب بين يدَيْه، والدوابّ تحمل وتنقل ليلاً ونهاراً، ووُجد له من الأعلاق النفيسة، والأشياء الغريبة القليلة الوجود، ما لا يوجد مثله لغيره، واعتُقل أولاده، وكان عمره سبعاً[2] وخمسين سنة، وكانت ولايته بعد أبيه ثمانياً[3] وعشرين سنة، منها: آخر أيّام المستنصر، وجميع أيّام المُسْتَعلي، إلى هذه السنة من أيّام الآمر.

وكان الإسماعيليّة يكرهونه لأسباب، منها: تضييقه[4] على إمامهم، وتركه ما يجب عندهم سلوكه معهم، ومنها: ترْكُ معارضة أهل السُّنّة في اعتقادهم، والنهي عن معارضتهم، وإذنه للناس في إظهار معتقداتهم والمناظرة عليها، فكثر الغرباء ببلاد مصر.

---

(١) في الأوربية: «الباطنة».
(٢) في الأوربية: «سبع».
(٣) في الأوربية: «ثمان».
(٤) في الأوربية: «تضشيعه».

وكان حَسَن السيرة، عادلاً، حُكِي أنّه لمّا قُتل، وظهر الظلم بعده، اجتمع جماعة واستغاثوا بالخليفة[1]، وكان من جملة قولهم: إنّهم لعنوا الأفضل، فسألهم عن سبب لعنهم إيّاه، فقالوا: إنّه عدل، وأحسن السيرة، ففارقنا بلادنا وأوطاننا، وقصدنا بلده لعدله، فقد أصابنا بعده هذا الظلم، فهو كان سبب ظلمنا. فأحسن الخليفة إليهم، وأمر بالإحسان إلى الناس.

ومنها: أنّ صاحبه الآمر بأحكام الله، صاحب مصر، وضع منه[2]، وسبب ذلك ما ذكرناه قبلُ، ففسد الأمر بينهما، فأراد الآمر أن يضع عليه من يقتله إذا دخل عليه قصره للسّلام، أو في أيّام الأعياد، فمنعه من ذلك ابن عمّه أبو الميمون عبد المجيد، وهو الذي وليَ الأمر بعده بمصر، وقال له: في هذا الفعل شناعة، وسوء سُمعة، لأنّه قد خدم دولتنا هو وأبوه خمسين سنة، ولم يعلم الناس منهما إلاّ النُّصح لنا، والمحبّة لدولتنا، وقد سار ذلك في أقطار البلاد، فلا يجوز أن يظهر منّا هذه المكافأة الشنيعة، ومع هذا فلا بدّ وأن نقيم غيره مكانه ونعتمد عليه في منصبه، متمكّن مثله، أو ما يقاربه، فيخاف أن نفعل به مثل فعلنا بهذا، فيحذر من الدخول إلينا خوفاً على نفسه، وإن دخل علينا كان خائفاً مستعدّاً للامتناع، وفي هذا الفعل منهم ما يُسقط المنزلة، والرأي أن تراسل أبا عبد الله بن البطائحيّ، فإنّه الغالب على أمر الأفضل، والمطّلع على سرّه، وتَعِده أن تولّيه منصبه، وتطلب منه أن يدبّر الأمر في قتله لمن يقاتله، إذا ركب، فإذا ظفرنا بمن قتله قتلناه، وأظهرنا الطلب بدمه، والحزن عليه، فنبلغ غرضنا، ويزول عنّا قبح الأحدوثة. ففعلوا ذلك فقُتل كما ذكرناه.

ولمّا قُتل وليَ بعده أبو عبد الله بن البطائحيّ الأمر، ولُقّب المأمون، وتحكّم في الدولة، فبقي كذلك حاكماً في البلاد إلى سنة تسع عشرة [وخمسمائة]، فصُلب كما نذكره إن شاء الله تعالىٰ[3].

ذكر عصيان سليمان بن إيلغازي على أبيه

في هذه السنة عصى[4] سليمان بن إيلغازي بن أُرتُق على أبيه بحلب، وقد جاوز عمره عشرين سنة، حمله على ذلك جماعة مَن عنده، فسمع والده الخبر، فسار مُجِدّاً

---

(١) في الأوربية: «إلى الخليفة».

(٢) في الأوربية: «عليه».

(٣) انظر عن (الأفضل) في تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٥ هـ) ص ٣٨٥ ـ ٣٨٨ رقم ٩٢، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٤) في الأوربية: «عصا».

لوقته، فلم يشعر به سليمان حتّى هجم عليه، فخرج إليه معتذراً، فأمسك عنه، وقبض على من كان أشار عليه بذلك[1]، منهم: أمير كان قد التقطه أُرتُق، والد إيلغازي، وربّاه، اسمه ناصر، فقلع عينَيْه، وقطع لسانه، ومنهم: إنسان من أهل حماة من بيت قرناص، كان قد قدّمه إيلغازي على أهل حلب، وجعل إليه الرئاسة، فجازاه بذلك، وقطع يدَيْه ورِجْلَيْه، وسمل عينَيْه، فمات.

وأحضر ولده، وهو سكران، فأراد قتله، فمنعته رقّة الوالد، فاستبقاه، فهرب إلى دمشق، فأرسل طُغتِكين يشفع فيه، فلم يُجِبه إلى ذلك، واستناب بحلب سليمان ابن أخيه عبد الجبّار بن أُرتُق، ولقّبه بدر الدولة، وعاد إلى ماردين[2].

ذكر إقطاع ميّافارقين إيلغازي

في هذه السنة أقطع السلطان محمود مدينة ميّافارقين للأمير إيلغازي.

وسبب ذلك أنّه أرسل ولده حُسام الدين تمرتاش، وعمره سبع عشرة سنة، إلى السلطان ليشفع في دُبَيْس بن صدقة، ويبذل عنه الطاعة، وحَمْل الأموال، والخَيْل، وغيرها، وأن يضمن الحلّة كلّ يوم بألف دينار وفرس؛ وكان المتحدّث عنه القاضي بهاء الدين أبو الحسن عليّ بن القاسم بن الشهرزوريّ، فتردّد الخطاب في ذلك، ولم ينفصل حال، فلمّا أراد العود أقطع السلطان أباه مدينة ميّافارقين، وكانت مع الأمير سُكمان، صاحب خِلاط، فتسلّمها إيلغازي، وبقيت في يده، ويد أولاده، إلى أن ملكها صلاح الدين يوسف بن أيّوب سنة ثمانين وخمسمائة، وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالىٰ.

ذكر حصر بَلْك بن بَهرام الرُّها وأسر صاحبها

في هذه السنة سار بَلْك بن بَهرام، ولد أخي إيلغازي، إلى مدينة الرُّها، فحصرها وبها الفرنج، وبقي على حصرها مدّة، فلم يظفر بها، فرحل عنها، فجاءه إنسان تركمانيّ وأعلمه أنّ جوسلين، صاحب الرُّها وسَروج، قد جمع مَن عنده من الفرنج، وهو عازم على كبسه، وكان قد تفرّق عن بَلْك أصحابه، وبقي في أربعمائة فارس، فوقف مستعدّاً لقتالهم.

---

(١) في الأوربية: «ذلك».

(٢) زبدة الحلب ٢/ ٢٠٠، نهاية الأرب ٢٧/ ٧٦، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣٥، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٥ هـ.) ص ٢٩٠، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٨.

وأقبل الفرنج، فمن لطف الله تعالىٰ بالمسلمين أنّ الفرنج وصلوا إلى أرض قد نضب عنها الماء، فصارت وحلاً وغاصتْ خيولهم فيه فلم تتمكّن، مع ثقل السلاح والفرسان، من[1] الإسراع والجري، فرماهم أصحاب بلك بالنشّاب، فلم يفلتْ منهم أحد، وأُسر جوسلين وجُعل في جلد جمل، وخُيّط عليه، وطُلب منه أن يسلّم الرُّها، فلم يفعل، وبذل في فداء نفسه أموالاً جزيلة، وأسرى كثيرة، فلم يجبْهُ إلى ذلك، وحمله إلى قلعة خَرْتَبِرْتَ فسجنه بها، وأسر معه ابن خالته، واسمه كليام، وكان من شياطين الكفّار، وأسر أيضاً جماعة من فرسانه المشهورين، فسجنهم معه.

[الوفيات]

في هذه السنة توفّيت جدّة السلطان[2] محمود لأبيه، وهي[3] والدة السلطان سنجَر، وكانت تركيّة تُعرف بخاتون السفريّة، وكان موتها بمرو، فجلس محمود ببغداذ للعزاء بها، وكان عزاء لم يشاهد مثله الناس.

وفيها توفّي الخطير محمّد بن الحسين المَيْبُذيُّ ببلاد فارس، وهو في وزارة الملك سلجوق ابن السلطان محمّد، وكان قديماً وَزَر للسلطانَيْن بركْيارُق ومحمّد، وكان جواداً حليماً، سمع أنّ الأبيوَرْديَّ هجاه، فلمّا سمع الهجو مضّه، فعضّ على إبهامه، وصفح عنه، وخلع عليه ووصله.

وفيها توفّي الشهاب أبو المحاسن عبد الرزّاق بن عبد الله وزير السلطان سنجَر، وهو ابن أخي نظام المُلك، وكان يتفقّه قديماً على إمام الحرمَيْن الجُوينيّ فكان يُفتي ويوقّع، ووَزَر بعده أبو طاهر سعد بن عليّ بن عيسى القُمّيُّ، وتوفّي بعد شهور، فوَزَر بعده عثمان القُمّيُّ.

[ذكر عدّة حوادث]

وفيها، في جمادى الأولى، أوقع أتابك طغتِكين بطائفة من الفرنج، فقتل منهم وأسر وأرسل من الأسرى والغنيمة للسلطان وللخليفة.

وفيها تضعضع الركن اليَمانيُّ من البيت الحرام، زاده الله شرفاً، من زلزلة، وانهدم

---

(١) في الأوربية: «على».

(٢) المنتظم ٩/٢٢٢ (١٧/١٩٢)، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٥ هـ.) ص ٢٨٦.

(٣) في الأوربية: «وهو».

بعضه، وتشعّث بعض حرم النبيّ ﷺ، وتشعّث غيرها من البلاد، وكان بالموصل كثير منها[1].

وفيها احترقت دار السلطان، كان قد بناها مجاهد الدين بهروز للسلطان محمّد، ففرغتْ قبل وفاته بيسير، فلمّا كان الآن احترقت.

وسبب الحريق أنّ جارية كانت تختضب ليلاً، فأسندت شمعة إلى الخيش فاحترق، وعلقت النار منه في الدار، واحترق فيها من زوجة السلطان محمود بنت السلطان سنجَر ما لا حدّ له[2] من الجواهر، والحلى، والفرش، والثياب، وأقيم الغسّالون يخلّصون الذهب وما أمكن تخليصه، وكان الجوهر جميعه قد هلك إلاّ الياقوت الأحمر.

وترك السلطان الدار لم تجدّدْ عمارتها، وتطيّرَ منها، لأنّ أباه لم يتمتّع بها، ثم احترق فيها، من أموالهم، الشيء العظيم، واحترق قبلها بأسبوع جامع أصبهان، وهو من أعظم الجوامع وأحسنها، أحرقه قوم من الباطنيّة ليلاً، وكان السلطان قد عزم على أخذ حقّ البيع، وتجديد المكوس بالعراق، بإشارة الوزير السميرميّ عليه بذلك، فتجدّد من هذَيْن الحريقَيْن ما هاله، واتّعظ فأعرض عنه[3].

وفيها، في ربيع الآخر، انقضّ كوكب عِشاء، وصار له نور عظيم، وتفرّق منه أعمدة عند انقضاضه، وسُمع عند ذلك صوت هدّة عظيمة كالزلزلة[4].

وفيها ظهر بمكّة إنسان علويٌّ، وأمر بالمعروف، فكثُر جمعه، ونازع أميرَ مكّة ابن أبي هاشم، وقوي أمره، وعزم على أن يخطب لنفسه، فعاد ابن أبي هاشم وظفر به، ونفاه عن الحجاز إلى البحرَيْن، وكان هذا العلويُّ من فقهاء النظاميّة ببغداذ.

وفيها ألزم السلطان أهل الذمّة ببغداذ بالغِيار، فجرى فيه مراجعات انتهت إلى أن قُرّر عليهم للسلطان عشرون[5] ألف دينار، وللخليفة أربعة آلاف دينار.

---

(١) البداية والنهاية ١٢/١٨٨، كشف الصلصلة ١٨٢، ١٨٣.

(٢) في الأوربية: «عليه».

(٣) المنتظم ٩/٢٢٣، ٢٢٤ (١٧/١٩٤)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/٩٦، العبر ٤/٣٤، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٥ هـ.) ص ٢٨٧، مرآة الجنان ٣/٢١١، عيون التواريخ ١٢/١٢٠، الكواكب الدرية ٨٦، ٨٧، شذرات الذهب ٤/٤٧.

(٤) المنتظم ٩/٢٢٣ (١٧/١٩٣)، تاريخ الإسلام ٢٨٦، الكواكب الدرية ٨٦.

(٥) في الأوربية: «عشرين».

وفيها حضر السلطان محمود وأخوه الملك مسعود عند الخليفة، فخلع عليهما، وعلى جماعة من أصحاب السلطان، منهم: وزيره أبو طالب السميرميُّ، وشمس المُلك عثمان بن نظام المُلك، والوزير أبو نصر أحمد بن محمّد بن حامد المستوفي، وعلى غيرهم من الأمراء.

وفيها، في ذي القعدة، وهو الحادي والعشرون من كانون الثاني، سقط بالعراق جميعه من البصرة إلى تكريت ثلج كثير، وبقي على الأرض خمسة عشر يوماً، وسمكه ذراع، وهلكت أشجار النارنْج، والأتْرجّ، والليمون، فقال فيه بعض الشعراء:

يـا صُـدُورَ الـزمـانِ لـيـس بـوَفْـرِ ... مـا رأيـنـاه فـي نـواحـي الـعـراقِ
إنّـمـا عـمَّ ظـلـمُـكـم سائرَ الـخَلْــ ... ـقِ فـشـابَـت ذَوائِـبُ الآفـاقِ[1]

وفيها هبّت بمصر ريح سوداء ثلاثة أيّام، فأهلكت كثيراً من الناس، وغيرهم من الحيوانات.

[الوفيات]

وفيها توفّي أبو محمّد القاسم بن عليّ بن محمّد بن عثمان الحريريُّ[2]، صاحب المقامات المشهورة.

وهزارسب[3] بن عِوَض الهرويُّ، وكان قد سمع الحديث كثيراً.

(١) مرآة الزمان ج ٨ ق ٩٨/١، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٥ هـ.) ٢٨٩، الكواكب الدرّية ٨٧، وانظر المنتظم ١٩٦/١٧، ١٩٧.

(٢) انظر عن (الحريري) في: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٦٠ ـ ٤٦٥ رقم ٢٦٨، وفيه مصادر ترجمته الكثيرة.

(٣) انظر عن (هزارسب) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٥ هـ.) ص ٣٩٥، ٣٩٦ رقم ١٠٥، وفيه مصادر ترجمته.

٥١٦
ثم دخلت سنة ست عشرة وخمسمائة

ذكر طاعة الملك طغرل لأخيه السلطان محمود

وفي المحرّم من هذه السنة أطاع الملك طُغرل أخاه السلطان محموداً[١]، وكان قد خرج عن طاعته، كما ذكرناه، وقصد أَذَرْبيجان في السنة الخالية ليتغلّب عليها، وكان أتابكه كنتغدي يحسّن له ذلك، ويقوّيه عليه، فاتّفق أنّه مرض، وتوفّي في شوّال سنة خمس عشرة [وخمسمائة].

وكان الأمير آقنسقَر الأحمديليّ، صاحب مَراغة، عند السلطان محمود ببغداذ، فاستأذنه في المُضِيّ إلى إقطاعه، فأذِن له، فلمّا سار عن السلطان ظنّ أنّه يقوم مقام كنتغدي من الملك طُغرل، فسار إليه، واجتمع به، وأشار عليه بالمكاشفة لأخيه السلطان محمود، وقال له: إذا وصلتَ إلى مَراغة اتّصل بك عشرة آلاف فارس وراجل. فسار معه، فلمّا وصلوا إلى أرْدَبيل أُغلقت أبوابها دونهم، فساروا عنها إلى قريب تِبريز، فأتاهم الخبر أنّ السلطان محموداً[١] سيّر الأمير جيوش بك إلى أذربيجَانَ، وأقطعه البلاد، وأنّه نزل مَراغة في عسكر كثيف من عند السلطان.

فلمّا تيقّنوا ذلك عدلوا إلى خُوَنْج، وانتقض عليهم ما كانوا فيه، وراسلوا الأمير شيركير الذي كان أتابَك طُغرل، أيّام أبيه، يدعونه إلى إنجادهم، وقد كان كنتغدي قبض عليه بعد موت السلطان محمّد على ما ذكرناه، ثم أطلقه السلطان سنجَر، فعاد إلى إقطاعه، أبْهَرَ، وزَنْجَانَ، وكاتبوه فأجابهم، واتّصل بهم، وسار معهم إلى أبْهَر، فلم يتمّ لهم ما أرادوا، فراسلوا السلطان بالطاعة، فأجابهم إلى ذلك، فاستقرّت القاعدة أوّل هذه السنة، وتمّت.

---

(١) في الأوربية: «محمود».

ذكر حال دُبَيْس بن صدقة وما كان منه

قد ذكرنا سنة أربع عشرة [وخمسمائة] حال دُبَيْس بن صدقة، وصُلحه على يد يرنقُش الزكويّ، ومقامه بالحِلّة، وعَود يرنقُش إلى السلطان ومعه منصور بن صدقة، أخو دُبيس وولده رهينةً، فلمّا علم الخليفة بذلك لم يرضَ به، وراسل السلطانَ محموداً[1] في إبعاد دُبَيْس عن العراق إلى بعض النواحي.

وتردّد الخطاب في ذلك، وعزم السلطان على المسير إلى همَذان، فأعاد الخليفة الشكوى من دُبَيْس، وذكر أنّه يطالب الناس بحقوقه، منها قتْل أبيه؛ وأشار[2] أن يُحضر السلطان آقسنقَر البرسقيَّ من الموصل، ويولّيه شِحنكيّة بغداذ والعراق، ويجعله في وجه دُبَيْس، ففعل السلطان ذلك، وأحضر البرسقيَّ، فلمّا وصل إليه زوّجه والدة الملك مسعود، وجعله شِحنة بغداذ، وأمره بقتال دُبَيْس إن تعرّض للبلاد.

وسار السلطان عن بغداذ في صفر من هذه السنة، وكان مُقامه ببغداذ سنةً وسبعة أشهر وخمسة عشر يوماً، فلمّا فارق بغداذ والعراق تظاهر دُبَيْس بأمور تأثّر بها المسترشد بالله، وتقدّم إلى البرسقيّ بالمسير إليه، وإزعاجه عن الحِلّة، فأرسل البرسقيّ إلى الموصل، وأحضر عساكره، وسار إلى الحِلّة، وأقبل دُبَيْس نحوه، فالتقوا عند نهر بَشِير، شرقيّ الفرات، واقتتلوا، فانهزم عسكر البرسقيّ.

وكان سبب الهزيمة أنّه رأى في ميسرته خللاً، وبها الأمراء البكجيّة؛ فأمر بإلقاء خيمته، وأن تُنصَب عند الميسرة، ليقوّي قلوب من بها، فلمّا رأوا الخيمة وقد سقطت ظنّوها عن هزيمة، فانهزموا، وتبَعهم الناس والبرسقيُّ.

وقيل: بل أُعطي رقعة فيها: إنّ جماعةً من الأمراء، منهم إسماعيل البكجيُّ، يريدون الفتك به، فانهزم، وتبِعه العسكر، ودخل بغداذ ثاني ربيع الآخر، وكان في جملة العسكر نصر بن النفيس بن مهذّب الدولة أحمد بن أبي الجبر، وكان ناظراً بالبطيحة لريحان محكوَيْه، خادم السلطان، لأنّها كانت من جملة إقطاعه، وحضر أيضاً المظفّر بن حمّاد بن أبي الجبر، وبينهما عداوة شديدة، فالتقيا عند الانهزام بساباط نهر ملك، فقتله المظفّر ومضى[3] إلى واسط، وسار منها إلى البطيحة، وتغلّب عليها وكاتب دُبَيْساً وأطاعه.

---

(١) في الأوربية: «محمود».

(٢) في الأوربية: «وأخبار».

(٣) في الأوربية: «ومضا».

وأمّا دُبَيْس فإنّه لم يعرض لنهر ملك، ولا غيره، وأرسل إلى الخليفة أنّه على الطاعة، ولولا ذلك لأخذ البرسقيّ وجميع مَن معه، وسأل أن يخرج الناظر إلى القُرى التي لخاصّ الخليفة لقبض دَخْلها.

وكانت الوقعة في حزيران[1]، وحمَى البلد، فأحمد الخليفة فعله، وتردّدت الرسل بينهما، فاستقرّت القاعدة أن يقبض المسترشد بالله على وزيره جلال الدين أبي عليّ بن صدقة ليعود إلى الطاعة، فقبض على الوزير، ونُهبت داره ودور أصحابه والمنتمين إليه، وهرب ابن أخيه جلال الدين أبو الرضا إلى الموصل.

ولمّا سمع السلطان خبر الوقعة قبض على منصور بن صدقة، أخي دُبَيْس، وولده، ورفعهما إلى قلعة برحين وهي تجاور كَرَج.

ثم إنّ دُبَيْساً أمر جماعة من أصحابه بالمسير إلى أقطاعهم بواسط، فساروا إليها، فمنعهم أتراك واسط، فجهّز دُبَيْس إليهم عسكراً مقدّمهم مُهلهِل بن أبي العسكر، وأرسل إلى المظفّر بن أبي الجبر بالبطيحة ليتّفق مع مهلهِل ويساعده على قتال الواسطيّين، فاتّفقا على أن تكون الوقعة تاسع رجب، وأرسل الواسطيّون إلى البرسقيّ يطلبون منه المدد، فأمدّهم بجيش من عنده، وعجل مُهلهِل في عسكر دُبَيْس، ولم ينتظر المظفّر ظنّاً منه أنّه بمفرده ينال منهم ما أراد[2]، وينفرد بالفتح، فالتقى هو والواسطيّون، ثامن رجب، فانهزم مُهَلهِل وعسكره، وظفر الواسطيّون، وأُخذ مُهلهِل أسيراً وجماعة من أعيان العسكر، وقُتل ما يزيد على ألف قتيل، ولم يُقتل من الواسطيّين غير رجل واحد.

وأمّا المظفّر بن أبي الجبر، فإنّه أصعد من البطيحة ونهب وأفسد، وجرى من أصحابه القبيح، فلمّا قارب واسطاً سمع بالهزيمة، فعاد منحدراً.

وكان في جملة ما أخذ العسكر الواسطيُّ من مُهلهِل تذكرة بخطّ دُبَيْس يأمره فيها بقبض المظفّر بن أبي الجبر ومطالبته بأموال كثيرة أخذها من البطيحة، فأرسلوا الخطّ إلى المظفّر، وقالوا: هذا خطّ الذي تختاره، وقد أسخطتَ الله تعالىٰ والخلق كلّهم لأجله؛ فمال إليهم وصار معهم، فلمّا جرى على أصحاب دُبَيْس من الواسطيّين ما ذكرناه شمّر عن ساعده[3] في الشرّ، وبلغه أنّ السلطان كحل أخاه، فجزّ شعره، ولبس السواد، ونهب البلاد، وأخذ كلّ ما للخليفة بنهر الملك، فأجلى الناس إلى بغداذ.

---

(١) في الأوربية: «الحزيران».
(٢) في الأوربية: «أرادوا».
(٣) في الأوربية: «ساعد».

وسار عسكر واسط إلى النّعمانيّة، فأجلوا عنها عسكر دُبَيْس واستولوا عليها، وجرى بينهم هناك وقعة كان الظفر [فيها] للواسطيّين، وتقدّم الخليفة إلى البرسقيّ بالتبريز إلى حرب دُبَيْس، فبرّز في رمضان، وكان ما نذكره إن شاء الله تعالىٰ[١].

ذكر قتل السُّميرميّ

وفي هذه السنة قُتل الوزير الكمال أبو طالب السُّميرميُّ، وزير السلطان محمود، سلْخ صفر، وكان قد برز مع السلطان ليسير إلى همَذان، فدخل إلى الحمّام، وخرج بين يدَيْه الرجّالة والخيّالة، وهو في موكبٍ عظيم، فاجتاز بسوق المدرسة التي بناها خُمارتِكين التُّتُشيُّ، واجتاز في منفذٍ ضيّق فيه حظائر الشوك، فتقدّم أصحابه لضِيق الموضع، فوثب عليه باطنيٌّ وضربه بسكّين، فوقعت في البغلة، وهرب إلى دجلة، وتبِعه الغلمان، فخلا الموضع، فظهر رجل آخر فضربه بسكّين في خاصرته، وجذبه عن البغلة إلى الأرض، وضربه عدّة ضربات.

وعاد أصحاب الوزير، فحمل عليهم رجلان باطنيّان، فانهزموا منهما، ثم عادوا وقد ذُبِحَ الوزير مثل الشاة، فحُمل قتيلاً وبه نيِّف وثلاثون جراحة، وقُتل قاتلوه.

ولمّا كان في الحمّام كان المنجّمون يأخذون له الطالع ليخرج، فقالوا: هذا وقت جيّد، وإن تأخّرتَ يفت[٢] طالع السعد؛ فأسرج وركب، وأراد أن يأكل طعاماً، فمنعوه لأجل الطالع، فقُتل ولم ينفعه قولهم.

وكانت وزارته ثلاث سنين وعشرة أشهر، وانتُهب ماله، وأخذ السلطان خزانته، ووزر بعده شمس المُلك بن نظام المُلك.

وكانت زوجة السُّميرميّ قد خرجت هذا اليوم في موكب كبير، معها نحو مائة جارية، وجَمْع من الخدم، والجميع بمراكب الذهب، فلمّا سمعن بقتله عُدْنَ حافيات حاسرات، وقد تبدّلن بالعزّ هواناً، وبالمَسَرّة أحزاناً، فسبحان من لا يزول ملكه[٣].

وكان السُّميرميّ ظالماً، كثير المصادرة للناس، سيء السيرة، فلمّا قُتل أطلق السلطان ما كان جدّده من المكوس، وما وضعه على التجار والباعة[٤].

---

(١) المنتظم ٩/ ٢٣٣، ٢٣٤ (١٧/ ٢٠٥، ٢٠٦)، الفخري ٣٠٥، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٦ هـ.) ص ٢٩٢.

(٢) في الأوربية: «يفوت».

(٣) في الأوربية: «مالكاً».

(٤) المنتظم ٩/ ٢٣٩، ٢٤٠ رقم ٣٩٠ (١٧/ ٢١٢، ٢١٣ رقم ٣٩١٢)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٠١، تاريخ =

ذكر القبض على ابن صدقة وزير الخليفة ونيابة عليّ بن طِراد

في جُمادى الأولى قبض الخليفة على وزيره جلال الدين بن صدقة، وقد تقدّم ذِكره قبلُ، وأُقيم نقيب النقباء شرف الدين عليُّ بن طِراد الزينبيُّ في نيابة الوزارة، فأرسل السلطان إلى المسترشد بالله في معنى الوزارة نظام المُلك أبي نصر أحمد بن نظام المُلك، وكان أخو شمس المُلك عثمان بن نظام المُلك وزير السلطان محمود، فأُجيب إلى ذلك، واستوزر في شعبان.

وكان قد وزر للسلطان محمّد سنة خمسمائة، ثم عُزل، ولزِم داراً استجدّها ببغداذ إلى الآن. فلمّا خُلع على نظام المُلك، وجلس في الديوان، طلب أن يخرج ابنُ صدقة عن بغداذ، فلمّا علم ابن صدقة ذلك طلب من الخليفة أن يُسيّر إلى حديثة عانة ليكون عند الأمير سليمان بن مُهارش، فأُجيب إلى ما طلب.

وسار إلى الحديثة، فخرج عليه في الطريق إنسان من مفسدي التركمان يقال له يُونُس الحراميّ، فأسره ونهب أصحابه، فخاف الوزير أن يعلم دُبَيْس فأرسل إلى يُونُس وبذل له مالاً يأخذه منه للعداوة التي بينهما، فقرّر أمره مع يونُس على ألف دينار يعجّل منها ثلاثمائة، ويؤخّر الباقي إلى أن يرسله من الحديثة.

وراسل عامل بلد الفُرات في تخليصه، وإنفاذ من يَضمن الباقي الذي عليه، فأعمل العامل الحيلة في ذلك، فأحضر إنساناً فلاّحاً وألبسه ثياباً فاخرة وطَيلساناً، وأركبه وسيّر معه غلماناً، وأمره أن يمضي إلى يونُس ويدّعي أنّه قاضي بلد الفُرات، ويضمن الوزير منه بما بقي[1] من المال، فسار السواديّ إلى يُونُس، فلمّا حضر عند الوزير ويُونُس احترماه، وضمن السواديُّ الوزير منه، وقال له: أُقيم عندك إلى أن يصل المال مع صاحبٍ لك تُنفِذه مع الوزير؛ فاعتقد يونس صِدق ذلك وأطلق الوزير ومعه جماعة من أصحابه، فلمّا وصل الحديثة قبض على مَن معه منهم، فأطلق يونس ذلك السواديّ، والمال الذي أخذه، حتّى أطلق الوزير أصحابه، وعلم الحيلة التي تمّت عليه.

ولمّا سار الوزير من عند يونس لقي إنساناً أنكره، فأخذه، فرأى معه كتاباً من

= الإسلام (حوادث ٥١٦ هـ) ص ٢٩٥، و (وفيات ٥١٦ هـ.) ص ٤٠٢ رقم ١١٥)، البداية والنهاية ١٢/ ١٩٠.

(١) في الأوربية: «باقي».

دُبَيْس إلى يونُس يبذل ستّة آلاف دينار ليسلّم الوزير إليه، وكان خلاصه من أعجب الأشياء[1].

ذكر قتل جيوش بك

في هذه السنة قُتل الأمير جيوش بك الذي كان صاحب الموصل، وقد ذكرنا خروجه على السلطان محمود، وعَوده إلى خدمته، فلمّا رضي عنه أقطعه أَذَرْبيجان وجعله مقدّم عسكره، فجرى بينه وبين جماعة من الأمراء منافرة ومنازعات، فأغروا به السلطان، فقتله في رمضان على باب تِبريز.

وكان تركيّاً من مماليك السلطان محمّد، عادلاً، حسن السيرة، ولمّا وليَ الموصل والجزيرة كان الأكراد بتلك الأعمال قد انتشروا، وكثُر فسادهم، وكثُرت قِلاعهم، والناس معهم في ضِيق، والطريق خائفة، فقصدهم، وحصر قلاعهم، وفتح كثيراً منها ببلد الهَكّارِيّة، وبلد الزَّوْزان، وبلد البَشنويّة، وخافه الأكراد، وتولّى قصدهم بنفسه، فهربوا منه في الجبال والشِعاب والمضايق، وأمِنت الطرق، وانتشر الناس واطمأنّوا، وبقي الأكراد لا يجسرون أن يحملوا السلاح لهيبته[2].

ذكر وفاة إيلغازي وأحوال حلب بعده

في هذه السنة، في شهر رمضان، توفّي إيلغازي بن أُرتُق بميّافارقين، وملك ابنه حسام الدين تمرتاش قلعة ماردين، وملك ابنه سليمان ميّافارقين، وكان بحلب ابن أخيه بدر الدولة سليمان بن عبد الجبّار بن أُرتُق، فبقي بها إلى أن أخذها ابن عمّه[3].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة أقطع السلطان محمود الأميرَ آقسنقَر مدينةَ واسط وأعمالها، مضافاً إلى ولاية الموصِل وغيرها ممّا بيده، وشِحنكيّة العراق، فلمّا أقطعها البرسقيَّ سيّر إليها

(١) المنتظم ٩/٢٣٣، ٢٣٤ (١٧/٢٠٥، ٢٠٦)، تاريخ دولة آل سلجوق ١٠٨، الفخري ٣٠٥، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٦ هـ.) ص ٢٩٢، ٢٩٣، البداية والنهاية ١٢/١٩٠، عيون التواريخ ١٢/١٣٠.

(٢) المختصر في أخبار البشر ٢/٢٣٦، تاريخ الإسلام ٢٩٥، ٢٩٦.

(٣) تاريخ مختصر الدول ٢٠٢، زبدة الحلب ٢/٢٠٦، ذيل تاريخ دمشق ٢٠٨، الأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ١/ ٥٤، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/١٠٢، نهاية الأرب ٢٧/٧٧، المختصر في أخبار البشر ٢/٢٣٦، الدرّة المضيّة ٤٩٠، العبر ٤/٣٦، دول الإسلام ٢/٤٣، تاريخ الإسلام ٢٩٦، تاريخ ابن الوردي ٢/٢٩، النجوم الزاهرة ٥/٢٢٣، شذرات الذهب ٤/٤٨.

عماد الدين زنكي بن آقسنقَر الذي كان والده صاحب حلب، وأمره بحمايتها، فسار إليها في شعبان ووليها، وقد ذكرنا أخبار زنكي في كتاب «الباهر»[1] في ذكر ملكه وملك أولاده الذين هم ملوكنا الآن، فيُنْظَر منه.

وفيها ظهر مَعْدِن نُحاس بديار بكر قريباً من قلعة ذي القرنَيْن.

وفيها زاد الفرات زيادة عظيمة لم يُعهَد مثلها، فدخل الماء إلى ربض قلعة جَعْبَر، وكان الفرات، حينئذٍ، بالقرب منها، فغرق أكثر دُوره ومساكنه، وحمل فرساً من الربض وألقاه من فوق السور إلى الفرات[2].

وفيها بُنيت مدرسة بحلب لأصحاب الشافعيّ.

وفيها توفّيت ابنة السلطان سنجَر زوج السلطان محمود.

وفيها، في شعبان، قدِم إلى بغداذ البرهان أبو الحسن عليّ بن الحسين الغزنويُّ ووعد مجلس الوعظ في جميع المواضِع، وورد بعده أبو القاسم عليُّ بن يَعْلَى العلويُّ، ونزل رباط شيخ الشيوخ، فوعظ في جامع القصر، والتاجيّة، ورباط سعادة، وصار له قبولٌ عند الحنابلة، وحصل له مال كثير لأنّه أظهر موافقتهم.

وورد بعده أبو الفتوح الإسْفَرَايينيُّ، ونزل برباط شيخ الشيوخ أيضاً، ووعظ في هذه المواضع، وفي النِّظاميّة، وأظهر مذهب الأشعريّ، فصار له قبول كثير عند الشافعيّة، وحضر مجلسه الخليفة المسترشد بالله، وسلّم إليه رباط الأرجُونِيّةِ، والدة المقتدي بالله، بدرب زاخي[3].

[الوفيات]

وفيها توفّي عبد الله بن أحمد بن عمر أبو محمّد السمرقنديُّ[4]، أخو أبي القاسم بن السمرقنديّ، ومولده بدمشق سنة أربع وأربعين وأربعمائة، ونشأ ببغداذ، وسمع الصَّرِيفِينيّ وابن النَّقور، وغيرهما، وسافر الكثير، وكان حافظاً للحديث عالماً به.

---

(١) التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل - تحقيق عبد القادر أحمد طليمات - مصر ١٩٦٣.

(٢) المنتظم ١٧/ ٢٠٣.

(٣) المنتظم ٩/ ٢٣٨ (١٧/ ٢١٠)، تاريخ الإسلام ٢٩٦.

(٤) انظر عن (السمرقندي) في: تذكرة الحفاظ ١٢٦٣، البداية والنهاية ١٢/ ١٩١، المنتظم ١٧/ ٢١١، شذرات الذهب ٤/ ٤٩، وورد اسمه في فهرس التراجم من كتاب: المقتدر في ذكر علماء سمرقند، ص ٥٦٦، في السطر الثالث قبل الأخير رقم ٣٦٩ ولم أجده في متن الكتاب!

وفي ذي الحجّة توفّي عبد القادر[1] بن محمّد بن عبد القادر بن محمّد بن يوسف أبو طالب، ومولده سنة ستّ وثلاثين وأربعمائة، وسمع البرمكيَّ، والجوهريَّ، والعشاريَّ، وكان ثقة، حافظاً للحديث.

(١) انظر عن (عبد القادر) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٦ هـ.) ص ٤٠١ رقم ١١٤، وفيه مصادر ترجمته.

٥١٧
ثم دخلت سنة سبع عشرة وخمسمائة

ذكر مسير المسترشد بالله لحرب دُبَيْس

في هذه السنة كانت الحرب بين الخليفة المسترشد بالله، وبين دُبَيْس بن صدقة.

وكان سبب ذلك: أنّ دُبَيْساً أطلق عفيفاً خادم الخليفة، وكان مأسوراً عنده، وحمّله رسالة فيها تهديد للخليفة بإرسال البرسقيّ إلى قتاله، وتقويته بالمال، وأنّ السلطان كحل أخاه، وبالغ في الوعيد[١]، ولبس السواد، وجزّ شعره، وحلف لينهبنّ بغداذ، ويخرّبها، فاغتاظ الخليفة لهذه الرسالة، وغضب، وتقدّم إلى البرسقيّ بالتّبريز إلى حرب دُبَيْس، فبرز في رمضان سنة ستّ عشرة [وخمسمائة].

وتجهّز الخليفة، وبرز من بغداذ، واستدعى العساكر، فأتاه سليمان بن مُهارش، صاحب الحديثة، في عُقيل، وأتاه قرواش بن مسلّم، وغيرهما، وأرسل دُبَيْس إلى نهر ملك فنهب، وعمل أصحابه كلّ عظيم من الفساد، فوصل أهله إلى بغداذ، فأمر الخليفة فنودي ببغداذ لا يتخلّف من الأجناد أحد، ومَن أحبّ الجنديّة من العامّة فليحضر، فجاء خلق كثير، ففرّق فيهم الأموال والسلاح.

فلمّا علم دُبَيْس الحال كتب إلى الخليفة يستعطفه ويسأله الرضا عنه، فلم يُجب إلى ذلك، وأُخرجت خيام الخليفة في العشرين من ذي الحجّة من سنة ستّ عشرة [وخمسمائة]، فنادى أهل بغداذ: النفيرَ النفيرَ، الغزاةَ الغَزاةَ! وكثُر الضجيج من الناس، وخرج منهم عالم كثير لا يُحصَون كثرةً، وبرز الخليفة رابع عشر ذي الحجّة، وعبر دجلة وعليه قَباء أسود، وعمامة سوداء، وطرحة، وعلى كتفه البُردة، وفي يده القضيب، وفي وسطه مِنطقةُ حديد صينيّ، ونزل الخيام ومعه وزير نظام الدين أحمد بن نظام

---

(١) في الأوربية: «الوعد».

المُلك، ونقيب الطالبيّين، ونقيب النقباء عليُّ بن طِراد، وشيخ الشيوخ صدر الدين إسماعيل وغيرهم من الأعيان.

وكان البرسقيُّ قد نزل بقرية جِهار طاقَ، ومعه عسكره، فلمّا بلغهم خروج الخليفة عن بغداذ عادوا إلى خدمته، فلمّا رأوا الشمسة ترجّلوا بأجمعهم، وقبّلوا الأرض بالبعد منه.

ودخلت هذه السنة، فنزل الخليفة، مستهلّ المحرّم، بالحديثة، بنهر الملك، واستدعى البرسقيّ والأمراء، واستحلفهم على المناصحة في الحرب، ثم ساروا إلى النِّيل، ونزلوا بالمباركة، وعبّأ البرسقيُّ أصحابه، ووقف الخليفة من وراء الجميع في خاصّته، وجعل دُبَيْس أصحابه صفّاً واحداً، ميمنة، وميسرة، وقلباً، وجعل الرجّالة بين يدي الخيّالة بالسلاح، وكان قد وعد أصحابَهُ بنهب بغداذ، وسبي النساء، فلمّا تراءت الفئتان بادر أصحاب دُبَيْس، وبين أيديهم الإماء يضربن بالدفوف، والمخانيث بالملاهي، ولم يُرَ في عسكر الخليفة غير قارىء، ومسبّح، وداعٍ، فقامت الحرب على ساق.

وكان مع أعلام الخليفة الأمير كرباوي بن خُراسان، وفي الساقة سليمان بن مُهارش، وفي ميمنة عسكر البرسقيّ الأمير أبو بكر بن إلياس مع الأمراء البكجيّة، فحمل عنتر بن أبي العسكر في طائفة من عسكر دُبَيْس على ميمنة البرسقيّ، فتراجعت على أعقابها، وقُتل ابن أخ للأمير أبي بكر البكجيّ، وعاد عنتر وحمل حملة ثانية على هذه الميمنة، فكان حالها في الرجوع على أعقابها كحالها الأوّل، فلمّا رأى عسكر واسط ذلك، ومقدّمهم الشهيد عماد الدين زنكي بن آقسنقَر، حمل وهم معه على عنتر ومَن معه، وأتوهم من ظهورهم فبقي عنتر في الوسط، وعماد الدين وعسكر واسط من ورائه، والأمراء البكجيّة بين يديه، فأُسر عنتر، وأُسر معه بريك بن زائدة وجميع مَن معهما ولم يفلت أحد.

وكان البرسقيُّ واقفاً على نشزٍ من الأرض، وكان الأمير آق بوري في الكمين في خمسمائة فارس، فلمّا اختلط الناس خرج الكمين على عسكر دُبَيْس، فانهزموا جميعهم وألقَوا نفوسهم في الماء، فغرق كثير منهم، وقُتل كثير.

ولمّا رأى الخليفة اشتداد الحرب جرّد سيفه وكبّر وتقدّم إلى الحرب، فلمّا انهزم عسكر دُبَيْس وحُملت الأسرى إلى بين يدَيْه أمر الخليفة أن تُضرب أعناقهم صبراً.

وكان عسكر دُبَيْس عشرة آلاف فارس، واثني عشر ألف راجل، وعسكر البرسقيّ ثمانية آلاف فارس، وخمسة آلاف راجل، ولم يُقتل من أصحاب الخليفة غير عشرين

فارساً، وحصل نساء دُبَيْس وسراريّه تحت الأسر سوى بنت إيلغازي، وبنت عميد الدولة بن جُهير، فإنّه كان تركهما في المشهد.

وعاد الخليفة إلى بغداذ، فدخلها يوم عاشوراء من هذه السنة. ولمّا عاد الخليفة إلى بغداذ ثار العامّة بها، ونهبوا مشهد باب التبن، وقلعوا أبوابه، فأنكر الخليفة ذلك، وأمر نظر أمير الحاجّ بالركوب إلى المشهد، وتأديب من فعل ذلك، وأخْذ ما نُهب، ففعل وأعاد البعض وخفي الباقي عليه.

وأمّا دُبَيْس بن صدقة فإنّه لمّا انهزم نجا بفرسه وسلاحه، وأدركته الخيل، ففاتها وعبر الفرات، فرأته امرأة عجوز وقد عبر، فقالت له: دُبَيْر جئتَ؟ فقال: دُبَيْر من لم يجيء. واختفى خبره بعد ذلك، وأُرجف عليه بالقتل، ثم ظهر أمره أنّه قصد غُزَيّة من عرب نجد، فطلب منهم أن يحالفوه، فامتنعوا عليه وقالوا: إنّا نُسخط الخليفة والسلطان؛ فرحل إلى المنتفق، واتّفق معهم على قصد البصرة وأخْذها، فساروا إليها ودخلوها، ونهبوا أهلها، وقُتل الأمير سَخْت كمان مقدّم عسكرها، وأُجلي أهلها.

فأرسل الخليفة إلى البرسقيّ يعاتبه على إهماله أمر دُبَيْس، حتّى تمّ له من أمر البصرة ما أخربها، فتجهّز البرسقيُّ للانحدار إليه، فسمع دُبَيْس ذلك، ففارق البصرة، وسار على البرّ إلى قلعة جَعْبر، والتحق بالفرنج، وحضر معهم حصار حلب، وأطمعهم في أخذها، فلم يظفروا بها، فعادوا عنها، ثم فارقهم والتحق بالملك طغرل ابن السلطان محمّد، فأقام معه، وحسّن له قصد العراق، وسنذكره سنة تسعٍ وعشرين [وخمسمائة]، إن شاء الله تعالىٰ[1].

ذكر ملك الفرنج حصن الأثارب

في هذه السنة، في صفر، ملك الفرنج حصن الأثارب، من أعمال حلب.

وسبب ذلك: أنّهم كانوا قد أكثروا قصد حلب وأعمالها بالإغارة، والتخريب، والتحريق، وكان بحلب حينئذٍ بدر الدولة سليمان بن عبد الجبّار بن أُرتُق، وهو صاحبها، ولم يكن له بالفرنج قوّة، وخافهم، فهادنهم على أن يسلّم الأثارب ويكفّوا

---

(١) المنتظم ٩/٢٤٢، ٢٤٣ (١٧/٢١٦، ٢١٧)، تاريخ حلب للعظيمي (تحقيق زعرور) ٣٧٢ (تحقيق سويم) ٣٧، الإنباء في تاريخ الخلفاء ٢١٥ ـ ٢١٦، ذيل تاريخ دمشق ٢٠٨ ـ ٢٠٩، التاريخ الباهر ٢٥ ـ ٢٦، الروضتين ج ١ ق ١/٧٣، ٧٤، بغية الطلب (قسم تراجم السلاجقة) ٢٢٧ ـ ٢٢٨، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/١١٠، المختصر في أخبار البشر ٢/٢٣٦، دول الإسلام ٢/٤٢، العبر ٤/٣٩، تاريخ الإسلام ٢٩٧ ـ ٢٩٨، تاريخ ابن الوردي ٢/٣١، مرآة الجنان ٣/٢٢١، البداية والنهاية ١٢/١٩٠، ١٩١.

عن بلاده، فأجابوه إلى ذلك، وتسلّموا الحصن، وتمّت الهدنة بينهم، واستقام أمر الرعيّة بأعمال حلب، وجُلبت إليهم الأقوات وغيرها؛ ولم تزل الأثارب بأيدي الفرنج إلى أن ملكها أتابك زنكي بن آقسنقَر[1]، على ما نذكره إن شاء الله تعالىٰ.

ذكر ملك بَلك حرّان وحلب

في هذه السنة، في ربيع الأوّل، ملك بَلك بن بهرام مدينة حرَّان، وكان قد حصرها، فلمّا ملكها سار منها إلى مدينة حلب.

وسبب مسيره إليها: أنّه بلغه أن صاحبها بدر الدولة قد سلّم قلعة الأثارب إلى الفرنج، فعظُم ذلك عليه، وعلم عجزه عن حفظ بلاده، فقوي طمعه في ملكها، فسار إليها، ونازلها في ربيع الأوّل، وضايقها، ومنع الميرة عنها، وأحرق زروعها، فسلّم إليه ابن عمّه البلد والقلعة بالأمان، غرّة جمادى الأولى من السنة، وتزوّج ابنة الملك رضوان، وبقي مالكاً لها إلى أن قُتل على ما نذكره[2].

ذكر الحرب بين الفرنج والمسلمين بإفريقية

قد ذكرنا أنّ الأمير عليّ بن يحيى، صاحب إفريقية، لمّا استوحش من رُجّار صاحب صِقِلّية، جدّد الأسطول الذي له، وكثّر عَدده وعُدده، وكاتب أميرَ المسلمين عليَّ بن يوسف بن تاشفين بمَرَّاكُش بالاجتماع معه على قصد جزيرة صقِلِيّة، فلمّا علم رجّار ذلك كفّ عن بعض ما كان يفعله.

فاتّفق أنّ عليّاً مات سنة خمس عشرة [وخمسمائة]، ووليَ ابنه الحسن، وقد ذكرناه. فلمّا دخلت سنة ستّ [عشرة وخمسمائة] سيّر أمير المسلمين أُسطولاً، ففتحوا نقوطرة[3] بساحل بلاد قِلَوْرِيَةَ، فلم يشكّ رُجّار أن عليّاً كان سبب ذلك، فجدّ في تعمير الشواني والمراكب، وحشد فأكثر، ومنع من السفر إلى إفريقية وغيرها من بلاد الغرب، فاجتمع له من ذلك ما لم يُعْهَدْ مثله، قيل: كان ثلاثمائة قطعة، فلمّا انقطعت الطريقُ عن إفريقية توقّع الأمير الحسن بن عليّ خروج العدوّ إلى المَهديّة، فأمر باتّخاذ العُدد، وتجديد الأسوار، وجمع المقاتلة، فأتاه من أهل البلاد ومن العرب جمع كثير.

---

(١) ذيل تاريخ دمشق ٢٠٩.

(٢) تاريخ حلب (زعرور) ٣٧٢ ـ ٣٧٣، (سويم) ٣٨ ـ ٣٩، زبدة الحلب ٢/ ٢١١ ـ ٢١٢، الأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ١/ ٥٤، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣٧، تاريخ الإسلام (حوادث ٥١٧ هـ) ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٣١.

(٣) في الأصل: «بقوطره».

فلمّا كان في جمادى الآخرة سنة سبع عشرة [وخمسمائة] سار الأسطول الفرنجيُّ في ثلاثمائة قطعة، فيها ألف فرس وفرس واحد، إلاّ أنّهم لمّا ساروا من مَرسَى عليّ فرّقتهم الريح، وغرق منهم مراكب كثيرة، ونازل من سلم منهم جزيرة قَوْصَرَةَ ففتحوها، وقتلوا من بها، وسبوا وغنموا، (وساروا عنها)(١)، فوصلوا إلى إفريقية، ونازلوا الحصن المعروف بالدّيماس أواخر جمادى الأولى، فقاتلهم طائفة من العرب كانوا هناك، والدّيماس حصنٌ منيعٌ، في وسطه حصن آخر، وهو مشرف على البحر.

وسيّر الحسن مَن عنده من الجموع إلى الفرنج، وأقام هو بالمهديّة في جمع آخر يحفظها، وأخذ الفرنج حصن الدّيماس، وجنود المسلمين محيطة بهم، فلمّا كانَ بعد ليالٍ اشتدّ القتال على الحصن الداخل، فلمّا كان الليل صاح المسلمون صيحة عظيمةً ارتّجت لها الأرض، وكبّروا، فوقع الرعب في قلوب الفرنج، فلم يشكّوا أنّ المسلمين يهجمون عليهم، فبادروا إلى شوانيهم، وقتلوا بأيديهم كثيراً من خيولهم، وغنم المسلمون منها أربعمائة فرس، ولم يسلم معهم غير فرس واحد، وغنم المسلمون جميع ما تخلّف عن الفرنج، وقتلوا كلّ من عجز عن الطلوع إلى المراكب.

فلمّا صعد الفرنج إلى مراكبهم أقاموا بها ثمانية أيّام لا يقدرون على النزول إلى الأرض، فلمّا أيسوا من خلاص أصحابهم الذين في الديماس ساروا والمسلمون يكبّرون عليهم ويصيحون بهم، وأقامت عسكر المسلمين على حصن الديماس في أمم لا يُحصَون كثرةً، فحصروه، فلم يمكنهم فتحه لحصانته وقوّته، فلمّا عُدِم الماء على من به من الفرنج، وضجروا من مواصلة القتال ليلاً ونهاراً، فتحوا باب الحصن وخرجوا، فقُتلوا عن آخرهم، وذلك يوم الأربعاء منتصف جمادى الآخرة من السنة، وكانت مدّة إقامتهم في الحصن ستّة عشر يوماً.

ولمّا رجع الفرنج مقهورين أرسل الأمير الحسن البُشرى إلى سائر البلاد، وقال الشعراء في هذه الحادثة فأكثروا، تركنا ذلك خوفَ التطويل.

ذكر استيلاء الفرنج على خَرْتَبِرْت وأخذها منهم

في هذه السنة، في ربيع الأول، استولى الفرنج على خَرْتَبِرْت من بلاد ديار بكر.

وسبب ذلك: أنّ بَلك بن بَهرام بن أُرتُق كان صاحب خَرْتَبِرْتَ، فحصر قلعة كَركر، وهي تقارب خَرْتَبِرْتَ، فسمع الفرنج بالشام الخبر، فسار بغدوين ملك الفرنج في

(١) زيادة من المكتبة الصقلّية لأماري، ص ٢٨٣.

جموعه إليه ليرحله عنها، خوفاً أن يقوى بملكها، فلمّا سمع بَلَك بقربه منه رحل إليه، والتقيا في صفر، واقتتلا، فانهزم الفرنج، وأُسر ملكهم ومعه جماعة من أعيان فرسانهم، وسجنهم بقلعة خَرْتَبِرْتَ، وكان بالقلعة أيضاً جوسلين، صاحب الرُّها، وغيره من مقدّمي الفرنج كان قد أسرهم سنة خمس عشرة [وخمسمائة]، وسار بَلَك عن خَرْتَبِرْتَ إلى حرَّان في ربيع الأوّل فملكها، فأعمل الفرنج الحيلة باستمالة بعض الجُند، فظهروا وملكوا القلعة.

فأمّا الملك بغدوين فإنّه اتّخذ الليل جملاً ومضى[1] إلى بلاده، واتّصل الخبر ببَلَك صاحبها، فعاد في عساكره إليها وحصرها، وضيّق على من بالقلعة، واستعادها من الفرنج، وجعل فيها من الجُند من يحفظها، وعاد عنها[2].

ذكر قتل وزير السلطان وعَوْد ابن صدقة إلى وزارة الخليفة

في هذه السنة قبض السلطان محمود على وزيره شمس المُلك عثمان بن نظام المُلك وقتله.

وسبب ذلك: أنّه لمّا أشار على السلطان بالعود عن حرب الكُرْج، وخالفه، وكانت الخيرة في مخالفته، تغيّر عليه، وذكره أعداؤه بالسوء[3]، ونبّهوا على تهوّره، وقلّة تحصيله ومعرفته بمصالح الدولة، ففسد رأي السلطان فيه.

ثم إنّ الشهاب أبا المحاسن، وزير السلطان سنجَر، كان قد توفّي وهو ابن أخي نظام المُلك، ووَزَرَ بعده أبو طاهر القُمّيُّ، وهو عدوّ للبيت النظاميّ، فسعى مع السلطان سنجَر، حتّى أرسل إلى السلطان محمود يأمره بالقبض على وزيره شمس المُلك، فصادف وصول الرسول وهو متغيّر عليه، فقبض عليه وسلّمه إلى طغايرك، فبعثه إلى بلده خَلْخَال، فحبسه فيها.

ثم إنّ أبا نصر المستوفي، الملقّب بالعزيز، قال للسلطان محمود: لا نأمن أن يرسل السلطان سنجَر يطلب الوزير، ومتى اتّصل به لا نأمن شرّاً يحدث منه. وكان بينهما عداوة، فأمر السلطان بقتله، فلمّا دخل عليه السيّاف ليقتله، قال: أمهلني حتّى

---

(١) في الأوربية: «ومضا».

(٢) ذيل تاريخ دمشق ٢٠٩.

(٣) في الأوربية: «أسوء».

أصلّي ركعتَيْن؛ ففعل، فلمّا صلّى جعل يرتعد، وقال للسيّاف: سيفي أجْود من سيفك، فاقتلني به ولا تعذّبني؛ فقُتل ثاني جمادى الآخرة. فلمّا سمع الخليفة المسترشد بالله ذلك عزل أخاه نظام الدين أحمد من وزارته، وأعاد جلال الدين أبا عليّ بن صدقة إلى الوزارة، وأقام نظام الدين بالمثمّنة التي في المدرسة النظاميّة ببغداذ.

وأمّا العزيز المستوفي فإنه لم تطُلْ أيّامه حتّى قُتل، على ما نذكره، جزاء لسَعْيه في قتل الوزير[1].

ذكر ظفر السلطان محمود بالكُرْج

في هذه السنة اشتدّت نكاية الكُرْج في بلد الإسلام، وعظُم الأمر على الناس، لا سيّما أهل دَرْبَنْد شِروانَ، فسار منهم جماعة كثيرة من أعيانهم إلى السلطان، وشكوا إليه ما يلقون منهم، وأعلموه بما هم عليه من الضعف والعجز عن حفظ بلادهم، فسار إليهم والكُرْج قد وصلوا إلى شَمَاخِي، فنزل السلطان في بستان هناك، وتقدّم الكُرْج إليه، فخافهم العسكر خوفاً شديداً.

وأشار الوزير شمس المُلك عثمان بن نظام المُلك على السلطان بالعَود [من] هناك، فلمّا سمع أهل شِروان بذلك قصدوا السلطان، وقالوا له: نحن نقاتل ما دمت[2] عندنا، وإن تأخّرتَ عنّا ضعُفت نفوس المسلمين وهلكوا؛ فقبل قولهم، وأقام بمكانه.

وبات العسكر على وجلٍ عظيم، وهم بنيّة المصافّ، فأتاهم الله بفرج من عنده، وألقى بين الكُرْج وقفجاق اختلافاً وعداوة، فاقتتلوا تلك اللّيلة، ورحلوا شبه المنهزمين، وكفى الله المؤمنين القتال، وأقام السلطان بشِروان مدّةً، ثم عاد إلى همَذان فوصلها في جمادى الآخرة.

ذكر الحرب بين المغاربة وعسكر مصر

في هذه السنة وصل جمْعٌ كثير من لَوَاتَةَ من الغرب إلى ديار مصر، فأفسدوا[3] فيها ونهبوها، وعملوا أعمالاً شنيعة، فجمع المأمون بن البطائحيّ، الذي وَزَرَ بمصر بعد الأفضل، عسكر مصر، وسار إليهم فقاتلهم فهزمهم، وأسر منهم وقتل خلقاً كثيراً، وقرّر

---

(١) المنتظم ٩/ ٢٤٥، ٢٤٦ (١٧/ ٢٢٠)، تاريخ دولة آل سلجوق ١٠٨ و ١٣٢، تاريخ الإسلام ٢٩٩، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٢٦.

(٢) في الأوربية: «مهما أنت».

(٣) في الأوربية: «فاسدوا».

عليهم خرجاً معلوماً كلّ سنة يقومون به، وعادوا إلى بلادهم، وعاد المأمون إلى مِصر مظفّراً منصوراً.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في صفر، أمر المسترشد بالله ببناء سور بغداذ، وأن يجبى ما يخرج عليه من البلد، فشقّ ذلك على الناس، وجُمع من ذلك مال كثير، فلمّا علم الخليفة كراهة الناس لذلك أمر بإعادة ما أُخذ منهم، فسُرّوا بذلك، وكثُر الدعاء له.

وقيل: إنّ الوزير أحمد بن نظام المُلك بذل من ماله خمسة عشر ألف دينار، وقال: نقسّط الباقي على أرباب الدولة.

وكان أهل بغداذ يعملون بأنفسهم فيه، وكانوا يتناوبون العمل: يعمل أهل كلّ محلّة منفردين بالطبول والزُّمُور، وزيّنوا البلد، وعملوا فيه القباب[(١)].

وفيها عُزل نقيب العلويّين، وهُدمت دار عليّ بن أفلح، وكان الخليفة يكرمه، فظهر أنّهما عين لدُبَيْس يطالعانه بالأخبار، وجعل الخليفة نقابة العلويّين إلى عليّ بن طِراد، نقيب العبّاسيّين[(٢)].

وفيها جمع الأمير بَلك عساكره وسار إلى غزاة بالشام، فلقيه الفرنج، فاقتتلوا، فانهزم الفرنج وقُتل منهم وأُسر بشر كثير من مقدّميهم ورجّالتهم[(٣)].

وفيها كان في أكثر البلاد غلاء شديد، وكان أكثره بالعراق، فبلغ ثمن كارة الدقيق الخشكار ستّة دنانير وعشرة قراريط، وتبع ذلك موت كثير، وأمراض زائدة هلك فيها كثير من الناس[(٤)].

[الوفيات]

وفيها، في صفر، توفّي قاسم بن أبي هاشم العلويُّ الحسنيُّ أمير مكّة، ووليَ بعده ابنه أبو فُلَيْتة، وكان أعدل منه، وأحسن السيرة، فأسقط المكوس، وأحسن إلى الناس[(٥)].

---

(١) المنتظم ٩/ ٢٤٥ (١٧/ ٢١٩)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١١٠، تاريخ الإسلام ٢٩٨.

(٢) المنتظم ٩/ ٢٤٤ (١٧/ ٢١٧).

(٣) تاريخ حلب ٣٧٤ (٣٩)، تاريخ الزمان ١٣٩، تاريخ مختصر الدول ٢٠٢، زبدة الحلب ٢/ ٢١٩، الأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ١/ ٥٤، تاريخ الإسلام ٣٠٠، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٢٨.

(٤) المنتظم ٩/ ٢٤٧ (١٧/ ٢٢١).

(٥) المنتظم ١٧/ ٢٢٦، رقم ٣٩٣٢.

وفيها توفّي عبد الله[1] بن الحسن بن أحمد بن الحسن أبو نَعيم بن أبي عليّ الحدّاد الأصبهانيُّ، ومولده سنة ثلاثٍ وستّين وأربعمائة، وهو من أعيان المحدّثين، سافر الكثير في طلب الحديث.

[ذكر عدّة حوادث]

وفيها سار طُغتِكين، صاحب دمشق، إلى حمص، فهجم [على] المدينة ونهبها وأحرق كثيراً منها وحصرها، وصاحبها قرجان[2] بالقلعة، فاستمدّ صاحبها طُغانَ أرسلان، فسار إليه في جَمْعٍ كثير، فعاد طُغتِكين إلى دمشق[3].

وفيها لقي أسطول مصر أسطول البنادقة من الفرنج، فاقتتلوا، وكان الظفر للبنادقة، وأُخذ من أُسطول مصر عدّة قطع، وعاد الباقي سالماً[4].

وفيها سار الأمير محمود بن قراجة، صاحب حماة، إلى حصن أفَامِيَةَ، فهجم على الربَض بغتةً، فأصابه سهم من القلعة في يده، فاشتدّ ألمُهُ، فعاد إلى حمَاة، وقلع الزُّجّ من يده، ثم عملتْ عليه، فمات منه، واستراح أهل عمله من ظُلمه وجوره؛ فلمّا سمع طُغتِكين، صاحب دمشق، الخبر سيّر إلى حمَاة عسكراً، فملكها وصارت في جملة بلاده، ورتّب فيها والياً وعسكراً لحمايتها[5].

---

(١) يقال له «عبد الله» و «عبيد الله». انظر عنه في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٧ هـ.) ص ٤١٤ ـ ٤١٥ رقم ١٣٤.

(٢) في الأصل: «حيرخان».

(٣) ذيل تاريخ دمشق ٢١٠.

(٤) ذيل تاريخ دمشق ٢٠٩.

(٥) تاريخ حلب للعظيمي (بتحقيق زعرور) ٣٧٣ (وتحقيق سويم) ٣٥، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣٧، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٢٧ هـ.) ص ٣٠٠، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٣١.

٥١٨
ثم دخلت سنة ثماني عشرة وخمسمائة

ذكر قتل بَلك بن بهرام بن أرتق وملك تمرتاش[١] حلب

في هذه السنة، في صفر، قبض بَلك بن بهرام بن أُرتُق، صاحب حلب، على الأمير حسّان البعلبكّيّ، صاحب مَنبِج، وسار إليها فحصرها، فملك المدينة، وحصر القلعة، فامتنعت عليه، فسار الفرنج إليه ليرحّلوه عنها لئلاّ يقوى بأخذها، فلمّا قاربوه ترك على القلعة من يحصرها، وسار في باقي عسكره إلى الفرنج، فلقيهم وقاتلهم، فكسرهم وقتل منهم خلقاً كثيراً، وعاد إلى مَنبِج فحصرها، فبينما هو يقاتل من بها أتاه سهم فقتله، لا يُدرَى من رماه، واضطّرب عسكره، وتفرّقوا، وخلص حسّان من الحبس، فكان حُسام الدين تمرتاش[١] بن إيلغازي بن أُرتُق مع ابن عمّه بَلك، فحمله مقتولاً إلى ظاهر حلب، وتسلّمها في العشرين من ربيع الأوّل من هذه السنة، وزال الحصار عن قلعة مَنبج، وعاد إليها صاحبها حسّان، واستقرّ تمرتاش بحلب واستولى عليها.

ثم إنّه جعل فيها نائباً له يثق به[٢]، ورتّب عنده ما يحتاج إليه من جُندٍ وغيرهم وعاد إلى ماردين، لأنّه رأى الشام كثيرة الحرب مع الفرنج، وكان رجلاً يحبّ الدَّعَةَ والرّفاهة، فلمّا عاد إلى ماردين أُخذت حلب منه، على ما نذكره إن شاء الله تعالىٰ[٣].

---

(١) في الأوربية: «تمرتاس».

(٢) في الأوربية: «إليه».

(٣) تاريخ حلب ٣٧٤ (٣٩)، تاريخ الزمان ١٣٩، تاريخ مختصر الدول ٢٠٢، زبدة الحلب ٢/٢١٩، الأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ١/٥٤، تاريخ الإسلام ٣٠٠، النجوم الزاهرة ٥/٢٢٨.

ذكر ملك الفرنج مدينة صور بالشام

كانت مدينة صور للخلفاء العلويّين بمصر، ولم تزل كذلك إلى سنة ستّ وخمسمائة، فكان بها والٍ من جهة الأفضل أمير الجيوش، وزير الآمر بأحكام الله العلويّ، يلقّب عزّ الملك، وكان الفرنج قد حصروها، وضيّقوا عليها، ونهبوا بلدها غير مرّةٍ، فلمّا كانت سنة ستّ تجهّز ملك الفرنج، وجمع عساكره ليسير إلى صور، فخافهم أهل صور، فأرسلوا إلى أتابك طُغتِكين، صاحب دمشق، يطلبون منه أن يرسل إليهم أميراً من عنده يتولّاهم ويحميهم، ويكون البلد له، وقالوا له: إن أرسلتَ إلينا والياً، وعسكراً، وإلاّ سلّمنا البلد إلى الفرنج؛ فسيّر إليهم عسكراً، وجعل عندهم والياً اسمه مسعود، وكان شهماً، شجاعاً، عارفاً بالحرب ومكايدها، وأمدّه بعسكر، وسيّر إليهم ميرة ومالاً[1] فرّقه فيهم.

وطابت نفوس أهل البلد، ولم تُغيّر الخطبة للآمر، صاحب مصر، ولا السكّة، وكتب إلى الأفضل بمصر يعرّفه صورة الحال، ويقول: متى وصل إليها من مصر من يتولّاها، ويذبّ عنها، سلّمتُها إليه؛ ويطلب أنّ الأسطول لا ينقطع عنها بالرجال والقوّة. فشكره الأفضل على ذلك، وأثنى عليه، وصوّب رأيه فيما فعله، وجهّز أسطولاً، وسيّره إلى صور، فاستقامت أحوال أهلها. ولم يزل كذلك إلى سنة ستّ عشرة، بعد قَتْل الأفضل، فسُيّر إليها أسطول، على جاري العادة، وأمروا المقدّم على الأسطول أن يعمل الحيلة على الأمير مسعود الوالي بصور من قِبل طُغتِكين، ويقبض عليه، ويتسلّم البلد منه.

وكان السبب في ذلك: أنّ أهل صور أكثروا الشكوى منه إلى الآمر بأحكام الله، صاحب مصر، بما يعتمده من مخالفتهم، والإضرار بهم، ففعلوا ذلك، وسار الأسطول فأرسى[2] عند صور، فخرج مسعود إليه للسلام على المقدّم عليه، فلمّا صعِد إلى المركب الذي فيه المقدّم اعتقله، ونزل البلد، واستولى عليه، وعاد الأسطول إلى مصر، وفيه الأمير مسعود، فأُكرم وأُحسن إليه، وأُعيد إلى دمشق.

وأمّا الوالي من قِبَل المصريّين فإنّه طيّب قلوب الناس، وراسل طُغتِكين يخدمه بالدعاء والاعتضاد، وأنّ سبب ما فعل هو شكوى أهل صور من مسعود، فأحسن طُغتِكين الجواب، وبذل من نفسه المساعدة.

---

(١) في الأوربية: «وملاً».

(٢) في الأوربية: «فأرسا».

ولمّا سمع الفرنج بانصراف مسعود عن صور قوي طمعهم فيها، وحدّثوا نفوسهم بملكها، وشرعوا في الجمع والتأهّب للنزول عليها وحَصْرها، فسمع الوالي بها للمصريّين الخبر، فعلم أنّه لا قوّة له، ولا طاقة على دفع الفرنج عنها، لقلّة من بها من الجُند والمِيرة، فأرسل إلى الآمر بذلك، فرأى أن يردّ ولاية صور إلى طُغتِكين، صاحب دمشق، فأرسل إليه بذلك، فملك صور، ورتّب بها من الجُند وغيرهم ما ظنّ فيه كفاية.

وسار الفرنج إليهم ونازلوهم في ربيع الأوّل من هذه السنة، وضيّقوا عليهم، ولازموا القتال، فقلّت الأقوات، وسئم من بها القتال، وضعُفت نفوسهم، وسار طُغتكين إلى بانياس ليقرب منهم، ويذبّ عن البلد، ولعلّ الفرنج إذا رأوا قربه منهم رحلوا، فلم يتحرّكوا، ولزِموا الحصار، فأرسل طُغتِكين إلى مصر يستنجدهم، فلم يُنجدوه، وتمادت الأيّام، وأشرف أهلها على الهلاك، فراسل حينئذٍ طُغتِكين، صاحب دمشق، وقرّر الأمر على أن يسلّم المدينة إليهم، ويمكّنوا من بها من الجُند والرعيّة من الخروج منها بما يقدرون عليه من أموالهم ورحالهم وغيرها، فاستقرّت القاعدة على ذلك، وفُتحت أبواب البلد، وملكه الفرنج، وفارقه أهلُه، وتفرّقوا في البلاد، وحملوا ما أطاقوا، وتركوا ما عجزوا عنه، ولم يعرض الفرنج لأحد منهم، ولم يبق إلاّ الضعيف عجز عن الحركة.

وملك الفرنج البلد في الثالث والعشرين من جُمادى الأولى من السنة، وكان فتحه وهناً عظيماً على المسلمين، فإنّه من أحصن البلاد وأمنعها، فالله يعيده إلى الإسلام، ويقرّ أعين المسلمين بفتحه، بمحمّد وآله[1].

ذكر عزل البُرسقيّ عن شِحنكيّة العراق ووِلاية يرنقش الزكويّ

في هذه السنة عُزل البرسقيُّ عن شِحنكيّة العراق، ووليها سعد الدولة يرنقش الزكويّ.

---

(١) انظر عن سقوط صور في: تاريخ حلب ٣٧٤ (٣٩)، وذيل تاريخ دمشق ٢١١، وتاريخ الزمان ١٤٠، وتاريخ مختصر الدول ٢٠٢، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١١٣، وأخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٦٤، ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٧٠ ـ ٢٧٢، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣٧، والأعلاق الخطيرة ٢/ ١٦٩ ـ ١٧١، والمغرب ٨٤، والدرّة المضيّة ٤٩٥، ودول الإسلام ٢/ ٤٤، والعبر ٤/ ٤٢، وتاريخ الإسلام ٣٠٣، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٢، والإعلام والتبيين ٢٤، وتاريخ سلاطين المماليك ٣ (ضمن أخبار فتح عكا)، ومرآة الجنان ٣/ ٢٢٢، واتعاظ الحنفا ٣/ ١٠٧، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٨٢ ـ ١٨٣، وشذرات الذهب ٤/ ٥٧، وانظر كتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ٣٠٤ ـ ٣٠٩، وفيه مصادر أجنبية أخرى.

وسبب ذلك: أنّ البرسقيَّ نفر عنه المسترشد بالله، فأرسل إلى السلطان محمود يلتمس منه أن يعزل البرسقيَّ عن العراق ويعيده إلى الموصل، فأجابه السلطان إلى ذلك، وأرسل إلى البرسقيّ يأمره بالعود إلى الموصِل، والاشتغال بجهاد الفرنج، فلمّا علم البرسقيّ الخبر شرع في جباية الأموال، ووصل نائب يرنقش، فسلّم إليه البرسقيُّ الأمر، وأرسل السلطان ولداً له صغيراً مع أمّه إلى البرسقيّ ليكون عنده، فلمّا وصل الصغير إلى العراق خرجت العساكر والمواكب إلى لقائه، وحُملت له الإقامات، وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً، وتسلّمه البرسقيُّ، وسار إلى الموصل، وهو ووالدته معه.

ولمّا سار البرسقيُّ إلى الموصل كان عماد الدين زنكي بن آقسنقَر بالبصرة قد سيّره البرسقيُّ إليها ليحميها، فظهر من حمايته لها ما عجب منه الناس، ولم يزل يقصد العرب ويقاتلهم في حِللهم، حتّى أبعدوا إلى البرّ، فأرسل إليه البرسقيُّ يأمره باللحاق به، فقال لأصحابه: قد ضجرنا ممّا نحن فيه: كلّ يوم للموصل أمير جديد، ونريد نخدمه، وقد رأيتُ أن أسير إلى السلطان فأكون معه؛ فأشاروا عليه بذلك، فسار إليه، فقدِم عليه بأصبهان فأكرمه، وأقطعه البصرة وأعاده إليها[1].

ذكر ملك البُرسقيّ مدينة حلب

في هذه السنة، في ذي الحجّة، ملك آقسنقَر البرسقيُّ مدينة حلب وقلعتها.

وسبب ذلك: أنّ الفرنج لمّا ملكوا مدينة صور، على ما ذكرناه، طمعوا، وقويت نفوسهم، وتيقّنوا الاستيلاء على بلاد الشام، واستكثروا من الجموع، ثم وصل إليهم دُبَيْس بن صدقة، صاحب الحِلّة، فأطمعهم طمعاً ثانياً، لا سيّما في حلب، وقال لهم: إنّ أهلها شيعة، وهم يميلون إليّ لأجل المذهب، فمتى رأوني سلّموا البلد إليّ. وبذل لهم على مساعدته بذولاً كثيرة، وقال: إنّني أكون ها هنا نائباً عنكم ومطيعاً لكم. فساروا معه إليها وحصروها، وقاتلوا قتالاً شديداً، ووطّنوا نفوسهم على المقام الطويل، وأنّهم لا يفارقونها حتى يملكوها، وبنوا البيوت لأجل البرد والحرّ.

فلمّا رأى أهلها ذلك ضعفت نفوسهم، وخافوا الهلاك، وظهر لهم من صاحبهم تمرتاش الوهن والعجز، وقلّت الأقوات عندهم، فلمّا رأوا ما دُفِعوا إليه من هذه الأسباب، أعملوا الرأي في طريق يتخصلّون به، فرأوا أنّه ليس لهم غير البرسقيّ،

---

(١) المنتظم ٩/ ٢٤٩ (١٧/ ٢٢٤)، بغية الطلب (قسم السلاجقة) ٢٠٤، تاريخ الإسلام ٣٠١، البداية والنهاية ١٢/ ١٩٤، عيون التواريخ ١٢/ ١٥٥، ويرد: «يرتقش» و «برنقش».

صاحب الموصل، فأرسلوا[1] إليه يستنجدونه ويسألونه المجيء إليهم ليسلّموا البلد إليه. فجمع عساكره وقصدهم، وأرسل إلى من بالبلد، وهو في الطريق؛ يقول: إنّني لا أقدر على الوصول إليكم، والفرنج يقاتلونكم، إلاّ إذا سلّمتم القلعة إلى نوّابي، وصار أصحابي فيها، فإنّني لا أدري ما يقدّره الله تعالىٰ إذا أنا لقيتُ الفرنج، فإن انهزمنا منهم وليست حلب بيد أصحابي حتّى أحتمي أنا وعسكري بها، لم يبق منّا أحد، وحينئذٍ تؤخذ حلب وغيرها.

فأجابوه إلى ذلك، وسلّموا القلعة إلى نوّابه، فلمّا استقرّوا فيها، واستولوا عليها، سار في العساكر التي معه، فلمّا أشرف عليها رحل الفرنج عنها، وهو يراهم، فأراد من في مقدّمة عسكره أن يحمل عليهم، فمنعهم هو بنفسه، وقال: قد كُفينا شرّهم، وحفظنا بلدنا منهم، والمصلحة تَرْكَهُم حتّى يتقرّر أمر حلب ونُصلح حالها ونُكثر ذخائرها، ثم حينئذٍ نقصدهم ونقاتلهم. فلمّا رحل الفرنج خرج أهل حلب ولقوه، وفرحوا به، وأقام عندهم حتّى أصلح الأمور وقرّرها[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة انقطعت الأمطار في العراق، والموصِل، وديار الجزيرة، والشام، وديار بكر، وكثير من البلاد، فقلّت الأقوات، وغلت الأسعار في جميع البلاد، ودام إلى سنة تسع عشرة [وخمسمائة][3].

وفيها وصل منصور بن صدقة أخو دُبَيْس إلى بغداذ تحت الاستظهار فمرض بها، فأحضر الخليفة الأطبّاء وأمرهم بمعالجته، وأحضره عنده، وجُعل في حجرة، وأدخل أصحابه إليه.

وفيها سار دُبَيْس من الشام، بعد رحيله عن حلب، وقصد الملك طُغرلْ، فأغراه بالخليفة، وأطمعه في العراق، وكان ما نذكره سنة تسع عشرة إن شاء الله تعالىٰ.

وفيها مات الحسن بن الصبّاح، مقدّم الإسماعيليّة، صاحب أَلَمُوتَ، وقد تقدّم من أخباره ما يُعلم به محلّه من الشجاعة والرأي والتجربة.

---

(١) في الأوربية: «فأرسل».

(٢) تاريخ حلب ٣٧٥ (٤٠)، زبدة الحلب ٢/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣ و ٢٢٧ ـ ٢٣٠، بغية الطلب (قسم السلاجقة) ٢٠٥ ـ ٢٠٦ و ٢٢٨، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١١٤، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣٥، تاريخ الإسلام ٣٠٤، الدرّة المضية ٤٩٤، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٢.

(٣) انظر: المنتظم ٩/ ٢٤٩ (١٧/ ٢٢٤)، وتاريخ الإسلام ٣٠٢.

وفيها أيضاً توفّي داود ملك الأَبخَازِ[1].

وشمس الدولة بن نجم الدين إيلغازي.

وفيها ثار أهل آمِد بمَن فيها من الإسماعيليّة، وكانوا قد كثُروا، فقتلوا منهم نحو سبعمائة رجل، فضعُف أمرهم بها بعد هذه الوقعة.

[الوفيات]

وفيها، في صفر، توفّي محمّد بن مرزوق بن عبد الرزّاق الزعفرانيُّ، وهو من أصحاب الخطيب البغداذيّ.

وفيها توفّي أحمد بن عليّ بن برهان[2] أبو الفتح، الفقيه المعروف بابن الحمّاميّ لأنّ أباه كان حمّامياً، وكان حنبليّاً، تفقّه على ابن عُقيل، ثم صار شافعيّاً، وتفقّه على الغزاليّ، والشاشيّ.

---

(١) انظر عن (الملك داود) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٨ هـ.) ٤٢٤ رقم ١٥١، وتاريخ حلب للعظيمي (٣٧٣) (٣٩).

(٢) هكذا هنا والبداية والنهاية ١٢/ ١٩٤، وفي المنتظم ١٧/ ٢٢٥ رقم ٣٩٢٨ «تركان».

٥١٩
ثم دخلت سنة تسع عشرة وخمسمائة

ذكر وصول الملك طغرل ودُبَيْس ابن صدقة إلى العراق وعودهما عنه

قد ذكرنا مسير دُبَيْس بن صدقة إلى الملك طُغرل من الشام، فلمّا وصل إليه لقيه، وأكرمه، وأحسن إليه، وجعله من أعيان خواصّه وأمرائه، فحسّن له دُبَيْس قَصْد العراق، وهوّن أمره عليه، وضمن له أنّه يملكه، فسار معه إلى العراق، فوصلوا دَقُوقًا في عساكر كثيرة. فكتب مجاهد الدين بهروز من تَكريت يخبر الخليفة خبرهما، فتجهّز للمسير ومَنْعهما، وأمر يرنقشَ الزكويّ، شِحنة العراق، أن يكون مستعداً للحرب، وجمع العساكر، والأمراء البكجيّة، وغيرهم، فبلغت عدّة العساكر اثني عشر ألفاً سوى الرجّالة، وأهل بغداذ، وفرّق السلاح.

وبرز خامس صفر وبين يدَيْه أرباب الدولة رجّالة، وخرج من باب النصر، وكان قد أمر بفتحه تلك الأيّام، وسمّاه باب النصر، ونزل صحراء الشمّاسيّة، ونزل يرنقش عند السَّبّي، ثم سار فنزل الخالصَ تاسع صفر.

فلمّا سمع طُغرل بخروج الخليفة عدل إلى طريق خُراسان، وتفرّق أصحابه في النهب والفساد، ونزل هُوَ رباط جَلولاء، فسار إليه الوزير جلال الدين بن صدقة في عسكر كثير، فنزل الدَّسكرة، وتوجّه طُغرل ودُبَيْس إلى الهارونيّة، وسار الخليفة فنزل بالدَّسكرة هو والوزير، واستقرّ الأمر بين دُبَيْس وطُغرل أن يسيرا حتّى يعبرا دِيَالَى وتامَرّا، ويقطعا جسر النَّهروان، ويقيم دُبَيْس ليحفظ المعابر، ويتقدّم طُغرل إلى بغداذ فيملكها وينهبها، فسارا على هذه القاعدة، فعبرا تامرّا، ونزل طُغرل بينه وبين دَيالى.

وسار دُبَيْس على أن يلحقه طُغرل، فقدّر الله تعالىٰ أنّ الملك طُغرل لحِقه حُمّى شديدة، ونزل عليهم من المطر ما لم يشاهدوا مثله، وزادت المياه وجاءت السيول

والخليفة بالدَّسكرة، وسار دُبَيْس في مائتَيْ فارس، وقصد مَعَرّة النَّهروان وهو تَعبان سهران، وقد لقي هو وأصحابه من المطر والبلل ما آذاهم، وليس معهم ما يأكلون، ظنّاً منهم أن طغرل وأصحابه يلحقونهم، فتأخّروا لما ذكرناه، فنزلوا جياعاً قد نالهم البرد، وإذا قد طلع عليهم ثلاثون جملاً تحمل الثياب المخيطة، والعمائم، والأقبية، والقلانس، وغيرها من الملبوس، وتحمل أيضاً أنواع الأطعمة المصنوعة، قد حُملت من بغداذ إلى الخليفة، فأخذ دُبَيْس الجميع، فلبسوا الثياب الجُدد، ونزعوا الثياب النديّة، وأكلوا الطعام، وناموا في الشمس ممّا نالهم تلك الليلة.

وبلغ الخبر أهل بغداذ، فلبسوا السلاح، وبقوا يحرسون اللّيل والنهار[١]، ووصل الخبر إلى الخليفة والعسكر الذين معه أنّ دُبَيْساً قد ملك بغداذ، فرحل من الدَّسكرة، ووقعت الهزيمة على العسكر إلى النَّهروان، وتركوا أثقالهم ملقاة بالطريق لا يلتفت إليها أحد، ولولا أنّ الله تعالىٰ لطف بهم بحمّى الملك طُغرل وتأخّره لكان قد هلك العسكر، والخليفة أيضاً، وأُخذوا، وكانت السواقي مملوءةً بالوحل والماء من السيل، فتمزّقوا، ولو لحقهم مائة فارس لهلكوا.

ووصلت رايات الخليفة، ودُبَيْس وأصحابه نيام، وتقدّم الخليفة، وأشرف على دَيالَى، ودُبَيْس نازل غرب النَّهروان، والجسر ممدود شرق النهروان، فلمّا أبصر دُبَيْس شمسة الخليفة قبّل الأرض بين يدَي الخليفة وقال: أنا العبد المطرود، فيلعفُ أمير المؤمنين عن عبده. فرقّ الخليفة له، وهمّ بصلحه، حتّى وصل الوزير ابن صدقة فثناه عن رأيه، وركب دُبَيْس، ووقف بإزاء عسكر يرنقش الزكويّ يحادثهم ويتماجن معهم، ثم أمر الوزير الرجّالة فعبروا ليمدّوا الجسر آخر النهار، فسار حينئذٍ دُبَيْس عائداً إلى الملك طُغرل، وسيّر الخليفة عسكراً مع الوزير في أثره، وعاد إلى بغداذ فدخلها، وكانت غيبته خمسة وعشرين يوماً.

ثم إنّ الملك طُغرل ودُبَيْساً عادا وسارا إلى السلطان سنجَر، فاجتازا بهمَذان، فقسّطا على أهلها مالاً كثيراً، وأخذاه وغابا في تلك الأعمال، فبلغ خبرهم السلطان محموداً، فجدّ السير إليهم، فانهزموا من بين يدَيْه، وتبعتهم العساكر، فدخلوا خُراسان إلى السلطان سنجَر، وشكوا إليه من الخليفة ويرنقش الزكويّ[٢].

---

(١) في الأوربية: «والنها».
(٢) المنتظم ٩/٢٥٢ ـ ٢٥٣ (١٧/٢٢٨ ـ ٢٢٩)، الفخري ٣٠٢، العبر ٤/٤٤، تاريخ الإسلام ٣٠٥، مرآة الجنان ٣/٢٢٣، البداية والنهاية ١٢/١٩٤ ـ ١٩٥.

ذكر فتح البُرسقيّ كفرطاب وانهزامه من الفرنج

في هذه السنة جمع البرسقيُّ عساكره وسار إلى الشام، وقصد كفرطابَ وحصرها، فملكها من الفرنج، وسار إلى قلعة عَزَازَ، وهي من أعمال حلب من جهة الشمال، وصاحبها جوسلين، فحصرها، فاجتمعت الفرنج، فارسها وراجلها، وقصدوه ليرحّلوه عنها، فلقيهم وضرب معهم مصافّاً، واقتتلوا قتالاً شديداً صبروا كلّهم فيه، فانهزم المسلمون وقُتل منهم وأُسر كثير.

وكان عدد القتلى أكثر من ألف قتيل من المسلمين، وعاد منهزماً إلى حلب، فخلّف بها ابنَهُ مسعوداً، وعبر الفرات إلى الموصِل ليجمع العساكر ويعاود القتال[1]، وكان ما نذكره إن شاء الله تعالىٰ.

ذكر قتل المأمون بن البطائحيّ

في هذه السنة، في رمضان، قبض الآمر بأحكام الله العلويُّ، صاحب مصر، على وزيره أبي عبد الله بن البطائحيّ، الملقّب بالمأمون، وصلبه وإخوته.

وكان ابتداء أمره أنّ أباه كان من جواسيس الأفضل بالعراق، فمات ولم يخلّف شيئاً، فتزوّجت أمّه وتركته فقيراً، فاتّصل بإنسان يتعلّم البناء بمصر، ثم صار يحمل الأمتعة بالسوق الكبير، فدخل مع الحمّالين إلى دار الأفضل أمير الجيوش، مرّة بعد أخرى، فرآه الأفضل خفيفاً رشيقاً، حسن الحركة، حلو الكلام، فأعجبه، فسأل عنه، فقيل هو ابن فلان، فاستخدمه مع الفرّاشين، ثم تقدّم عنده، وكبرت[2] منزلته، وعلت حالته، حتّى صار وزيراً.

وكان كريماً، واسع الصدر، قتّالاً، سفّاكاً للدماء، وكان شديد التحرّز، كثير التطلّع إلى أحوال الناس من العامّة والخاصّة من سائر البلاد: مصر، والشام، والعراق، وكثُر الغمّازون في أيّامه.

وأمّا سبب قتله: فإنّه كان قد أرسل الأمير جعفراً[3] أخا الآمر ليقتل الآمر ويجعله

---

(١) تاريخ حلب للعظيمي ٣٧٥ (٤٠)، زبدة الحلب ٢/ ٢٣١، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣٨، تاريخ الإسلام ٣٠٦، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٣.

(٢) في الأوربية: «وكثرت».

(٣) في الأوربية: «جعفر».

خليفة، وتقرّرت القاعدة بينهما على ذلك، فسمع بذلك أبو الحسن بن أبي أُسامة، وكان خِصّيصاً بالآمر، قريباً منه، وقد ناله من الوزير أذًى واطّراح، فحضر عند الآمر وأعلمه الحال، فقبض عليه وصلبه؛ وهذا جزاء من قابل الإحسان بالإساءة[١].

ذكر عدّة حوادث
[الوفيات]

في هذه السنة توفّي شمس الدولة سالم بن مالك[٢]، صاحب قلعة جَعْبَر، وتُعرف قديماً بقلعة دَوْسَر[٣].

وفيها قُتل القاضي أبو سعد محمّد بن نصر بن منصور الهَرَوِيُّ بهمذان، قتله الباطنيّة، وكان قد مضى[٤] إلى خُراسان في رسالة الخليفة إلى السلطان سنجَر، فعاد فقُتل، وكان ذا مروءة غزيرة، وتقدُّم كثير في الدولة السلجوقيّة.

وفي هذه السنة توفّي هلال[٥] بن عبد الرحمٰن بن شُرَيح بن عمر بن أحمد، وهو من ولد بلال بن رباح، مؤذّن رسول الله ﷺ، وكنيته أبو سعد[٦]، طاف البلاد، وسمع وقرأ القرآن، وكان موته بسَمَرْقَنْدَ.

---

(١) انظر عن (البطائحي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٩ هـ.) ص ٤٣٤ ـ ٤٣٥ رقم ١٦٨، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) تاريخ حلب للعظيمي ٣٧٥ ـ ٣٧٦ (٤١).

(٣) في طبعة صادر: «دُوس»، وهو غلط. والمثبت عن (معجم البلدان ٢/ ٤٨٤).

(٤) في الأوربية: «مضا».

(٥) انظر عن (هلال) في: المنتظم ١٧/ ٢٣٠ رقم ٣٩٣٧، والبداية والنهاية ١٢/ ١٩٥، وفيه «بلال».

(٦) في المنتظم: أبو سعيد.

٥٢٠
ثم دخلت سنة عشرين وخمسمائة

ذكر حرب الفرنج والمسلمين بالأندلس

في هذه السنة عظُم شأن ابن رُدمير الفرنجيّ بالأندلس، واستطال على المسلمين، فخرج في عساكر كثيرة من الفرنج، وجاس في بلاد الإسلام، وخاضها، حتّى وصل إلى قريب قُرْطُبَة، وأكثر النهب والسبي والقتل، فاجتمع المسلمون في جيشٍ عظيم زائد الحدّ في الكثرة، وقصدوه، فلم يكن له بهم طاقة، فتحصّن منهم في حصن منيع له اسمه أرنيسول[١]، فحصروه، وكبسهم ليلاً، فانهزم المسلمون، وكثُر القتل فيهم، وعاد إلى بلاده[٢].

ذكر قصد بلاد الإسماعيليّة بخُراسان

في هذه السنة أمر الوزير المختصّ أبو نصر أحمد بن الفضل، وزير السلطان سَنْجَر، بغزو الباطنيّة، وقَتْلهم أين كانوا، وحيثما ظُفر بهم، ونَهْب أموالهم، وسبْي حريمهم، وجهّز جيشاً إلى طُرَيْثِيث، وهي لهم، وجيشاً إلى بَيْهَقَ من أعمال نيسَابور، وكان في هذه الأعمال قرية مخصوصة بهم اسمها طرز[٣]، ومقدّمهم بها إنسان اسمه الحسن بن سمين.

وسيّر إلى كلّ طرف من أعمالهم جمعاً من الجُند، ووصّاهم أن يقتلوا من لقوه منهم، فقصد كلّ طائفة إلى الجهة التي سُيّرت إليها. فأمّا القرية التي بأعمال بَيهَق

---

(١) في نسخة بودليان: «أزنول»، وفي الباريسية: «أرسول».

(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ٥٢٠ هـ.) ص ٣١١.

(٣) في نسخة بودليان: «طور»، وفي الباريسية: طرر».

فقصدها العسكر، فقتلوا كلّ من بها، وهرب مقدّمهم، وصعِد منارة المسجد وألقى نفسه منها فهلك؛ وكذلك العسكر المنفَذ إلى طُرَيْثِيث قتَلوا من أهلها فأكثروا، وغنموا من أموالهم وعادوا[1].

ذكر ملك الإسماعيليّة قلعة بانياس

في هذه السنة عظُم أمر الإسماعيليّة بالشام، وقويت شوكتهم، وملكوا بانياس في ذي القعدة منها.

وسبب ذلك أنّ بهرام ابن أخت الأسداباذيّ، لمّا قُتل خاله ببغداذ، كما ذكرناه، هرب إلى الشام، وصار داعي الإسماعيليّة فيه؛ وكان يتردّد في البلاد، ويدعو أوباش الناس وطُغامهم إلى مذهبه، فاستجاب له منهم مَنْ لا عقل له، فكثُر جَمْعُه، إلاّ أنّه يُخفي شخصه فلا يُعرف، وأقام بحلب مُدّةً، ونَفَر إلى[2] إيلغازي صاحبها.

وأراد إيلغازي أن يعتضد به لاتّقاء الناس شرّه وشرّ أصحابه، لأنّهم كانوا يقتلون كلّ من خالفهم، وقصد من يتمسّك بهم، وأشار إيلغازي على طُغتِكين، صاحب دمشق، بأن يجعله عنده لهذا السبب، فقبِل رأيه، وأخذه إليه، فأظهر حينئذٍ شخصه، وأعلن دعوته، فكثُر أتباعه من كلّ من يريد الشرّ والفساد، وأعانه الوزير أبو طاهر بن سعد المرغينانيُّ قصداً للاعتضاد به على ما يريد، فعظُم شرّه واستفحل أمره، وصار أتباعه أضعاف ما كانوا، فلولا أنّ عامّة دمشق يغلب عليهم مذاهب أهل السُّنّة، وأنّهم يشدّدون[3] عليه فيما ذهب إليه لملك البلد.

ثم إنّ بهرام رأى من أهل دمشق فَظاظة وغلظة عليه، فخاف عاديتهم، فطلب من طُغتِكين حصناً يأوِي إليه وهو ومن اتّبعه، فأشار الوزير بتسليم قلعة بانياس إليه، فسُلّمتْ إليه، فلمّا سار إليها اجتمع إليه أصحابه من كلّ ناحية، فعظُم حينئذٍ خطْبه، وجلّت المحنة بظهوره، واشتدّ الحال على الفقهاء والعلماء وأهل الدّين، لا سيّما أهل السُّنّة والسّتر والسلامة، إلاّ أنّهم لا يقدرون على أن ينطقوا بحرفٍ واحدٍ، خوفاً من سلطانهم أوّلاً، ومن شرّ الإسماعيليّة ثانياً، فلم يقدم أحد على إنكار هذه الحال، فانتظروا بهم الدوائر[4].

---

(١) تاريخ حلب (٣٧٦) (٤٢)، تاريخ الإسلام (٥٢٠ هـ.) ص ٣١١.

(٢) في الأوربية: «ونفق على».

(٣) في الأوربية: «يشددوا».

(٤) ذيل تاريخ دمشق ٢١٥، تاريخ الإسلام (٥٢٠ هـ.) ص ٣١٢، مرآة الزمان ج ٨ ق ١١٨/١ ـ ١١٩، =

ذكر قتل البُرسقيّ وملك ابنه عزّ الدين مسعود

في هذه السنة، ثامن ذي القعدة، قُتل قسيم الدولة آقسنقَر البرسقيُّ، صاحب الموصِل، بمدينة الموصِل، قتلته الباطنيّة يوم جمعة بالجامع، وكان يصلّي الجمعة مع العامّة، وكان قد رأى تلك الليلة في منامه أنّ عدّةً من الكلاب ثارت به، فقتل بعضها، ونال منه الباقي ما آذاه، فقصّ رؤياه على أصحابه، فأشاروا عليه بترك الخروج من داره عدّة أيّام، فقال: لا أترك الجمعة لشيء أبداً؛ فغلبوا على رأيه، ومنعوه من قصد الجمعة، فعزم على ذلك، فأخذ المُصحف يقرأ فيه، فأوّل ما رأى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾[1]؛ فركب إلى الجامع على عادته، وكان يصلّي في الصفّ الأوّل، فوثب عليه بضعة عشر نفساً عدّة الكلاب التي رآها، فجرحوه بالسكاكين، فجرح هو بيده ثلاثة، وقُتل رحمه الله.

وكان مملوكاً تركيّاً، خيّراً، يحبّ أهل العلم والصالحين، ويرى[2] العدل ويفعله، وكان من خير الولاة يحافظ على الصلوات في أوقاتها، ويصلّي من الليل متهجّداً.

حكى لي والدي، رحمه الله، عن بعض من كان يخدمه قال: كنتُ فرّاشاً معه، فكان يصلّي كلّ ليلة كثيراً، وكان يتوضّأ هو بنفسه، ولا يستعين بأحد، ولقد رأيتُه في بعض ليالي الشتاء بالموصِل، وقد قام من فراشه، وعليه فرجيّة صغيرة وبَر، وبيده إبريق، فمشى[3] نحو دجلة ليأخذ ماء، فمنعني البرد من القيام، ثم إنّني خفتُهُ، فقمتُ إلى بين يدَيْه لآخذ الإبريق منه، فمنعني وقال: يا مِسكين! ارجع إلى مكانك، فإنّه برد؛ فاجتهدت لآخذ الإبريق، فلم يُعطني، وردّني إلى مكاني، ثم توضّأ وقام يصلّي.

ولمّا قُتل كان ابنه عزّ الدين بحلب يحفظها من الفرنج، فأرسل إليه أصحاب أبيه بالخبر، فسار إلى الموصِل ودخلها أوّل ذي الحجّة، وأحسن إلى أصحاب أبيه بها، وأقرّ وزيره المؤيّدَ أبا غالب بن عبد الخالق بن عبد الرزّاق على وزارته، وأطاعه الأمراء والأجناد، وانحدر إلى خدمة السلطان محمود، فأحسن إليه وأعاده، ولم يختلف عليه أحد من أهل بلاد أبيه.

= أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٧٠، الكواكب الدرّية ٩١، إتعاظ الحنفا ٣/ ١٢١ (حوادث ٥٢٢ هـ.)، المقفّى الكبير ٢/ ٥١٧.

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٨.

(٢) في الأوربية: «درى».

(٣) في الأوربية: «فمشا».

ووقع البحث عن حال الباطنيّة، والاستقصاء عن أخبارهم، فقيل إنّهم كانوا يجلسون إلى إسكافٍ بدرب إيليا، فأُحضر ووُعد الإحسان إن أقرّ، فلم يقرّ، فهُدّد بالقتل، فقال: إنّهم وردوا من سنين لقتله، فلم يتمكّنوا منه إلى الآن؛ فقُطعت يداه ورِجلاه وذَكَرُهُ، ورُجم بالحجارة فمات.

ومن العجب أنّ صاحب أنطاكية أرسل إلى عزّ الدين بن البُرسقيّ يخبره بقتل والده قبل أن يصل إليه الخبر، وكان قد سمعه الفرنج قبله لشدّة عنايتهم[1] بمعرفة الأحوال الإسلاميّة.

ولمّا استقرّ عزّ الدين في الولاية قبض على الأمير بابكر بن ميكائيل، وهو من أكابِر الأمراء، وطلب منه أن يسلّم ابن أخيه قلعة إربل إلى الأمير فضل وأبي عليّ، ابنَيْ أبي الهيجاء، وكان ابن أخيه قد أخذها منه سنة سبع عشرة [وخمسمائة]، فراسل ابن أخيه، فسلّم إربل إلى المذكورَيْن[2].

ذكر الاختلاف الواقع بين المسترشد بالله والسلطان محمود

كان قد جرى بين يرنقش الزكويّ، شِحنة بغداذ، وبين نوّاب الخليفة المسترشد بالله نفرة تهدّده الخليفة فيها، فخافه على نفسه، فسار عن بغداذ إلى السلطان محمود في رجب من هذه السنة، وشكا إليه، وحذّره جانب الخليفة، وأعلمه أنّه قد قاد العساكر، ولقي الحروب، وقويت نفسه، ومتى لم تعاجلْه بقصد العراق ودخول بغداذ، ازداد قوّةً وجمعاً[3]، ومنعه عنه، وحينئذٍ يتعذّر عليه ما هو الآن بيده.

فتوجّه السلطان نحو العراق، فأرسل إليه الخليفة يعرّفه ما هي البلاد وأهلها عليه من الضعف والوهن، بسبب دُبَيْس، وإفساد عسكره فيها، وأنّ الغلاء قد اشتدّ بالناس لعدم الغلاّت والأقوات، لهرب الأكرة عن بلادهم، ويطلب منه أن يتأخّر هذه الدفعة إلى أن ينصلح حال البلاد ثم يعود إليها، فلا مانع له عنها؛ وبذل له على ذلك مالاً كثيراً.

فلمّا سمع السلطان هذه الرسالة قوي عنده ما قرّره الزكويُّ، وأبى أن يجيب إلى التأخّر، وصمّم العزم وسار إليها مُجِدّاً. فلمّا بلغ الخليفة الخبر عبر هو وأهله وحُرَمه

---

(1) في الأوربية: «عنايته».
(2) انظر عن مقتل البرسقي في: تاريخ الإسلام (٥٢٠ هـ.) ص ٣١١، وفيه مصادر كثيرة.
(3) في الأوربية: «وجماً».

ومَنْ عنده من أولاد الخلفاء إلى الجانب الغربيّ في ذي القعدة، مُظهراً للغضب والانتزاح عن بغداذ إنْ قصدها السلطان، فلمّا خرج من داره بكى[1] الناس جميعهم بكاء عظيماً لم يشاهد مثله. فلمّا علم السلطان ذلك اشتدّ عليه، وبلغ منه كلّ مبلغ، فأرسل يستعطف الخليفة، ويسأله العَود إلى داره، فأعاد الجواب أنّه لا بدّ من عَودك هذه الدفعة، فإنّ الناس هلكى بشدّة الغلاء، وخراب البلاد، وأنّه لا يرى في دينه أن يزداد ما بهم، وهو يشاهدهم، فإنْ عاد السلطان، وإلاّ رحل هو عن العراق لئلاّ يشاهد ما يلقى الناسُ بمجيء العساكر.

فغضب السلطان لقوله، ورحل نحو بغداذ، وأقام الخليفة بالجانب الغربيّ، فلمّا حضر عيد الأضحى خطب النّاسَ، وصلّى بهم، فبكى الناس لخطبته، وأرسل عفيفاً الخادم، وهو من خواصّه، في عسكر إلى واسط ليمنع عنها نوّاب السلطان فأرسل السلطان إليه عماد الدين زنكي بن آقسنقَر، وكان له حينئذٍ البصرة، وقد فارق البرسقيَّ، واتّصل بالسلطان، فأقطعه البصرة.

فلمّا وصل عفيف إلى واسط سار إليه عماد الدين، فنزل بالجانب الشرقيّ، وكان عفيف بالجانب الغربيّ، فأرسل إليه عماد الدين يحذّره القتال، ويأمره بالانتزاح عنهم، فأبى[2] ولم يفعل فعبر إليه عماد الدين، واقتتلوا، فانهزم عسكر عفيف، وقُتل منهم مقتلة عظيمة، وأُسر مثلهم، وتغافل عن عفيف حتّى نجا لمودّةٍ كانت بينهما.

ثمّ إنّ الخليفة جمع السفن جميعها إليه، وسدّ أبواب دار الخلافة سوى باب النُّوبيّ، وأمر حاجب الباب ابن الصاحب بالمقام فيه لحِفظ الدار، ولم يبق من حواشي الخليفة بالجانب الشرقيّ سواه.

ووصل السلطان إلى بغداذ في العشرين من ذي الحجّة، ونزل بباب الشمّاسيّة، ودخل بعض عسكره إلى بغداذ ونزلوا في دور الناس، فشكا الناس ذلك إلى السلطان، فأمر بإخراجهم، وبقي فيها من له دار، وبقي السلطان يراسل الخليفة بالعود، ويطلب الصُّلح، وهو يمتنع.

وكان يجري بين العسكرَيْن مناوشة، والعامّة من الجانب الغربيّ يسبّون السلطان أفحش سب. ثم إنّ جماعة من عسكر السلطان دخلوا دار الخلافة، ونهبوا التاج،

---

(١) في الأوربية: «بكا».
(٢) في الأوربية: «فأبا».

وحُجَر الخليفة، أوّل المحرّم سنة إحدى وعشرين [وخمسمائة]، وضجّ أهلُ بغداذ من ذلك، فاجتمعوا ونادوا الغزاة، فأقبلوا من كلّ ناحية، ولمّا رآهم الخليفة خرج من السُّرادق والشمسة على رأسه، والوزير بين يدَيْه، وأمر بضرب الكوسات والبوقات، ونادى بأعلى صوته: يا آل هاشم! وأمر بتقديم السفن، ونصب الجسر وعبر الناس دفعةً واحدةً، وكان له في الدار ألف رجل مختفين في السراديب، فظهروا، وعسكر السلطان مشتغلون بالنهب، فأسر منهم جماعة من الأمراء، ونهب العامّة دار وزير السلطان، ودور جماعة من الأمراء، ودار عزيز الدين المستوفي، ودار الحكيم أوحد الزمان الطبيب، وقُتل منهم خلق كثير في الدروب.

ثم عبر الخليفة إلى الجانب الشرقيّ، ومعه ثلاثين ألف مقاتل من أهل بغداذ والسواد، وأمر بحفر الخنادق، فحُفرت بالليل، وحفظوا بغداذ من عسكر السلطان، ووقع الغلاء عند العسكر، واشتدّ الأمر عليهم، وكان القتال كلّ يوم عليهم عند أبواب البلد وعلى شاطىء دجلة، وعزم عسكر الخليفة على أن يكبسوا عسكر السلطان، فغدر بهم الأمير أبو الهيجاء الكرديُّ، صاحب إربل، وخرج كأنّه يريد القتال، فالتحق هو وعسكره بالسلطان.

وكان السلطان قد أرسل إلى عماد الدين بواسط يأمره أن يحضر هو بنفسه، ومعه المقاتلة في السفن، وعلى الدوابّ في البرّ، فجمع كلّ سفينة في البصرة إلى بغداذ، وشحنها بالرجال المقاتلة، وأكثر من السلاح، وأصعد، فلمّا قارب بغداذ أمر كلّ من معه في السفن وفي البرّ بلبس السلاح، وإظهار ما عندهم من الجَلَد والنهضة، فسارت السفن في الماء، والعسكر في البرّ على شاطىء دجلة قد انتشروا وملأُوا الأرض برّاً وبحراً، فرأى الناس منظراً عجيباً، كبُر في أعينهم، وملأ صدورهم، وركب السلطان والعسكر إلى لقائهم، فنظروا إلى ما [لم] يروا مثله، وعظُم عماد الدين في أعينهم، وعزم السلطان على قتال بغداذ حينئذٍ، والجدّ في ذلك في البرّ والماء. فلمّا رأى الإمام المسترشد بالله الأمر على هذه الصورة، وخروج الأمير أبي الهيجاء من عنده، أجاب إلى الصلح، وتردّدت الرسل بينهما، فاصطلحا، واعتذر السلطان ممّا جرى، وكان حليماً يسمع سبّه بأُذُنه فلا يعاقب عليه، وعفا عن أهل بغداذ جميعهم.

وكان أعداء الخليفة يشيرون على السلطان بإحراق بغداذ، فلم يفعل، وقال: لا تساوي الدنيا فعل مثل هذا. وأقام ببغداذ إلى رابع شهر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين [وخمسمائة]، وحمل الخليفة من المال إليه كما استقرّت القاعدة عليه، وأهدى له

سلاحاً وخيلاً وغير ذلك، فمرض السلطان ببغداذ، فأشار عليه الأطبّاء بمفارقتها، فرحل إلى هَمَذَان، فلمّا وصلها عوفي[١].

ذكر مصافّ بين طغتكين أتابك والفرنج بالشام

في هذه السنة اجتمعت الفرنج وملوكها وقمامصتها وكنودها وساروا إلى نواحي دمشق، فنزلوا بمرج الصُفّر عند قرية يقال لها سَقْبَا[٢] بالقرب من دمشق، فعظُم الأمر على المسلمين واشتدّ خوفهم، وكاتب طُغتِكين أتابك صاحبها أُمراء التركمان من ديار بكر وغيرها وجمعهم. وكان هو قد سار عن دمشق إلى جهة الفرنج، واستخلف بها ابنه تاج الملوك بوري فكان بها، كلما جاءت طائفة أحسن ضيافتهم وسيّرهم إلى أبيه، فلمّا اجتمعوا سار بهم طُغتكين إلى الفرنج، فالتقوا أواخر ذي الحجّة واقتتلوا، واشتدّ القتال، فسقط طُغتِكين عن فرسه، فظنّ أصحابه أنّه قُتل، فانهزموا وركب طُغتكين فرسه ولحِقهم، وتبِعهم الفرنج، وبقي التركمان لم يقدروا أن يلحقوا بالمسلمين في الهزيمة فتخلّفوا، فلمّا رأوا فرسان الفرنج قد تبِعوا المنهزمين، وأنّ معسكرهم وراجلهم ليس له مانع ولا حام، حملوا على الرجّالة فقتلوهم، ولم يسلم منهم إلاّ الشريد، ونهبوا معسكر الفرنج وخيامهم وأموالهم وجميع ما معهم. وفي جملته كنيسة وفيها من الذهب والجواهر ما لا يقوَّم كثرةً، فنهبوا ذلك جميعه، وعادوا إلى دمشق سالمين لم يُعدم منهم أحدٌ. ولمّا رجع الفرنج من أثر المنهزمين ورأوا رجّالتهم قتْلَى وأموالهم منهوبة تمّوا منهزمين لا يلوي الأخ على أخيه، وكان هذا من الغريب أنّ طائفتَيْن تنهزمان[٣] كلّ واحدة منهما من صاحبتها.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة حصر الفرنج رَفَنِيَةَ من أرض الشام، وهي بيد المسلمين، وضيّقوا عليها فملكوها[٤].

وفيها توفّي أبو الفتح أحمد بن محمّد بن محمّد الغزالي[٥]، الواعظ، وهو أخو

---

(١) تاريخ دولة آل سلجوق ١٤١، تاريخ الإسلام (٥٢٠ هـ.) ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩.

(٢) في طبعة صادر ١٠/٦٣٩: «سقحبا»، والتصحيح من: معجم البلدان ٣/٢٢٦.

(٣) في الأوربية: «ينهزمان».

(٤) تاريخ حلب للعظيمي ٣٧٦ (٤١)

(٥) انظر عن (الغزالي) في: المنتظم ١٧/٢٣٧ ـ ٢٤٠ رقم ٣٩٣٩، والبداية والنهاية ١٢/١٩٦، وشذرات الذهب ٤/ ٦٠.

الإمام أبي حامد محمّد، وقد ذمّه أبو الفرج بن الجوزيّ بأشياء كثيرة منها: روايته في وعظه الأحاديث التي ليست له بصحيحة، والعجب أنّه يقدح فيه بهذا، وتصانيفه هو ووعْظه محشوّ به، مَمْلُوءٌ[1] منه، نسأل الله أن يعيذنا من الوقيعة في الناس، ثم يا ليت شِعري أما كان للغزاليّ حسنة تُذكر مع ما ذكر من المساوىء التي نسبها إليه، لئلاّ يُنسب إلى الهوى والغَرَض؟

حتى هنا نهاية الجزء الثامن
ويليه الجزء التاسع

(١) في الأوربية: «مملوّ».

(بعون الله وتوفيقه تمّ التصحيح والتعليق على المجلّد الثامن من الكامل في التاريخ لابن الأثير، على يد طالب العلم «عمر بن عبد السلام تدمري» الطرابلسي المولد والوطن، الأستاذ الدكتور في الجامعة اللبنانية، وذلك صباح يوم الخميس ٢٠ من محرّم ١٤١٦ هـ/ ٦ حزيران (يونيو) ١٩٩٦ م).

الفهرس العام للمجلّد الثامن من الكامل في التاريخ

(سنة ٤٣٥ هـ.)

(سنة ٤٣٦ هـ.)

(سنة ٤٣٧ هـ.)

(سنة ٤٣٨ هـ.)

(سنة ٤٣٩ هـ.)

(سنة ٤٤٠ هـ.)

(سنة ٤٤١ هـ.)

(سنة ٤٤٢ هـ.)

(سنة ٤٤٣ هـ.)

(سنة ٤٤٤ هـ.)

(سنة ٤٤٨ هـ.)

(سنة ٤٤٩ هـ.)

(سنة ٤٥٠ هـ.)

(سنة ٤٥١ هـ.)

(سنة ٤٥٢ هـ.)

(سنة ٤٥٣ هـ.)

(سنة ٤٥٤ هـ.)

(سنة٤٥٥ هـ.)

(سنة ٤٥٦ هـ.)

(سنة ٤٥٧ هـ.)

(سنة ٤٥٨ هـ.)

(سنة ٤٦٥ هـ.)

(سنة ٤٦٦ هـ.)

(سنة ٤٦٧ هـ.)

(سنة ٤٦٨ هـ.)

(سنة ٤٦٩ هـ.)

(سنة ٤٧٠ هـ.)

(سنة ٤٧١ هـ.)

(سنة ٤٧٢ هـ.)

(سنة ٤٧٣ هـ.)

(سنة ٤٧٤ هـ.)

(سنة ٤٧٥ هـ.)

(سنة ٤٧٦ هـ.)

(سنة ٤٧٧ هـ.)

(سنة ٤٧٨ هـ.)

(سنة ٤٧٩ هـ.)

(سنة ٤٨٠ هـ.)

(سنة ٤٨١ هـ.)

(سنة ٤٨٢ هـ.)

(سنة ٤٨٦ هـ.)

(سنة ٤٨٧ هـ.)

(سنة ٤٨٨ هـ.)

(سنة ٤٩٥ هـ.)

(سنة ٤٩٦ هـ.)

(سنة ٤٩٧ هـ.)

(سنة ٤٩٨ هـ.)

(سنة ٤٩٩ هـ.)

(سنة ٥٠٠ هـ.)

(سنة ٥٠١ هـ.)

(سنة ٥٠٢ هـ.)

(سنة ٥٠٣ هـ.)

(سنة ٥٠٤ هـ.)

(سنة ٥٠٥ هـ.)

(سنة ٥٠٦ هـ.)

(سنة ٥٠٧ هـ.)

(سنة ٥٠٨ هـ.)

(سنة ٥٠٩ هـ.)

(سنة ٥١٠ هـ.)

(سنة ٥١١ هـ.)

(سنة ٥١٢ هـ.)

(سنة ٥١٣ هـ.)

(سنة ٥١٤ هـ.)

(سنة ٥١٥ هـ.)

(سنة ٥١٦ هـ.)

(سنة ٥١٧ هـ.)